

كتاب الابرار

كتاب الابرار والابرار

كتاب الابرار



0184412

Bibliotheca Alexandrina

تاريخ الطب

ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطب

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

الجزء السادس

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

بيان

من الأصول الخطية التي اعتمدت عليها في تحقيق هذا الكتاب ، أجزاء متفرقة ، مختلفة الخطوط ، من نسخة مصورة عن النسخة المحفوظة بمكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم ٢٩٢٩ ، وقد رجعتُ إلى جزء منها في تحقيق الجزء الأول ، ومن هذه النسخة جزء يشتمل على ذكر حوادث سنة ٦٥ إلى آخر حوادث سنة ٨٠ هـ ؛ رجعت إليه فيما يقابله من هذا الجزء ، وأثبتت الفروق في الحواشي مع بعض فروق النسخ التي رجع إليها مصححو طبعة ليدن ؛ ورمرت إلى نسخة أحمد الثالث بالحرف « ا » ، كما مر ذكره في مقدمة الجزء الأول ، وقد وقعت فيها على تصويبات هامة ، وتوجيهات مفيدة .

وضع هذا الجزء على أساس تميزة خاصة للناسخ ، وعلى صفحة العنوان : « الجزء التاسع من كتاب تاريخ الملوك وأخبارهم ومواليد الرسل وأنبيائهم والكاثرين كان في زمن كل واحد منهم ، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري رحمة الله عليه » وآخره : « تمّ الجزء التاسع بعون الله تعالى وتوفيقه من التاريخ يتلوه في الجزء العاشر : ثم دخلت سنة إحدى وثمانين . والحمد لله وحده ، وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد نبيه وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل » . كتب بخط نسخي جلي واضح ، يميل إلى الجودة والإتقان ، وضبطت بعض كلماته ضبطاً صحيحاً في الغالب ، وفيه علامات الوقف والمراجعة ، ويبدو أنه كتب في القرن السادس الهجري . وعدد أوراقه ٢٢٤ ورقة ، وعدد الأسطر ١٩ سطراً لكل صفحة ، في كل سطر ١٠ كلمات تقريباً .

وقد عنيت عناية تامة بإثبات جميع التصويرات والاستدراكات والكثير من التعليقات التي وضعها مصححو طبعة ليدن في مجلد خاص ؛ وهي في مجموعها تحقق كثيراً من أعلام الأشخاص والبلدان ونصوص الشعر ؛ وذلك ممّا لم يشته ناشرو هذا الكتاب في الطبعتين المصريتين .

أما باقى التعليقات فقد جرى الأمر فيها على نحو ما جرى فى الأجزاء السابقة من الرجوع إلى أمتهات كتب التاريخ واللغة والأدب ودواوين الشعر ؛ مما أرجو أن يوضع فى ثبوت خاص مع البيانات الكافية فى آخر الكتاب إن شاء الله .

والله الموفق والمعين .

محمد أبو الفضل إبراهيم

المحرم سنة ١٣٨٤

مايو سنة ١٩٦٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة ست وستين

ذكر الخبر عن الكائن الذي كان فيها من الأمور الجليلة

فما كان فيها من ذلك وثوب المختار بن أبي عبيد الكوفة طالباً بدم الحسين بن علي بن أبي طالب وإخراجه منها عامل ابن الزبير عبد الله بن مطيع العدوي .

ذكر الخبر عما كان من أمرهما في ذلك وظهور المختار للدعوة إلى ما دعا إليه الشيعة بالكوفة :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف . أن فضيل بن خديج ؛ حدثه عن عبيدة بن عمرو وإسماعيل بن كثير من بني هند ؛ أن أصحاب سليمان سرّدوا لماً قدموا كتب إليهم المختار :

أما بعد ؛ فإن الله أعظم لكم الأجر ، وحقّ عنكم الوزر ، بمفارقة القاسطين ، وجهاد المحلّين ؛ إنكم لم تنفقوا نفقة ، ولم تقطعوا عقبة ^(١) ، ولم ^{٥٩٩/٢} تخطوا خطوة إلا رفع الله لكم بها درجة ، وكتب لكم بها حسنة ، إلى ما لا يحصىه ^(٢) إلا الله من التضعيف ؛ فأبشروا فإنني لو قد خرجت إليكم قد ^(٣) جردت فيما بين المشرق والمغرب في عدوكم السيف ^(٤) ، بإذن الله ، فجعلتهم ^(٥) بإذن الله ركّاماً ؛ وقتلتهم فداً وتوأمّاً ؛ فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى ؛ ولا يبعد الله إلا من عصى وأبى ؛ والسلام يا أهل المدي .

فجاءهم بهذا الكتاب سميحان بن عمرو ، من بني ليث من عبد القيس قد أدخله في قلنسوته فيما بين الظّهارة والبطانة ^(٦) ؛ فألقى بالكتاب رفاة بن شدّاد

(١) ف : « وأديناه » . (٢) ف : « لم يحصه » .

(٣) ف : « لقد » . (٤) ا : « من عدوكم » ، ف : « السيف في عدوكم » .

(٥) ا : « يحملهم » . (٦) ا : « الظاهرة والبطانة » .

والمُشَنَّى بن مُضَرَّبَة العبدى وسعد بن حذيفة بن اليمكان ويزيد بن أنس وأحمر بن شُمَيْط الأحمسي وعبد الله بن شدّاد البجليّ وعبد الله بن كامل ، فقرأ عليهم الكتاب ؛ فبعثوا إليه ابن كامل ، فقالوا : قل له : قد قرأنا الكتاب ^(١) ؛ ونحن حيث يسرك ؛ فإن شئت أن نأتيك حتى نخرجك فعلنا . فأتاه ، فدخل عليه السجن ؛ فأخبره بما أرسل إليه به ؛ فسُرَّ باجتماع الشيعة له ؛ وقال لهم : لا تريدوا هذا ؛ فإني أخرج في أيّام هذه .

٦٠٠/٢ قال : وكان المختار قد بعث غلاماً يدعى زُرَيْباً إلى عبد الله بن عمر ابن الخطاب ، وكتب إليه :

أماً بعد : فإني قد حبست مظلوماً ، وظنّ بي الولاة ظنوناً كاذبة ؛ فأكتب في رحمتك الله إلى هذين الظالمين كتاباً لطيفاً ؛ عسى الله أن يخلصني من أيديهما بلطفك وبركتك ويؤمنك ^(٢) ؛ والسلام عليك .

فكتب إليهما عبد الله بن عمر :

أماً بعد ؛ فقد علمتُمَا الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُخْتَارِ بن أَبِي حَبِيدٍ مِنَ الصُّهْرِ ، وَالَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمَا مِنَ الْوَدِّ ؛ فَأَقْسَمْتُ عَلَيْكُمَا بِحَقِّ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمَا لَمَّا خَلَيْتُمَا صَبِيحَةَ حِينَ تَنْظُرَانِ فِي كِتَابِي هَذَا ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

فلما أتى عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة كتاب عبد الله ابن عمر دعوا للمختار بكُمُفْلَاءَ يَضْمَنُونَهُ بِنَفْسِهِ ^(٣) ، فأتاه أناس من أصحابه كثير ، فقال يزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيْسٍ لعبد الله بن يزيد : ما تصنع بضمان هؤلاء كلهم ! ضمته عشرة منهم أشرافاً معروفين ، ودّع سائرهم . ففعل ذلك ، فلما ضمّونه ، دعا به عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة فحلّاه بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ؛ لا يغيهما غائلة ، ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان ؛ فإن هو فعل فعليه ألف بدنة

(١) ف : « كتابك » .

(٢) ط : « منك » ، تحريف ، صوابه من ا ، وفيها : « ببركتك ومنك » .

(٣) ا : « فضمنوه بنفسه » .

ينحرفها لدى رِثاج الكعبة ؛ وبما ليكنه كلهم ذكرهم وأنثاهم أحراراً . فحلف
لها بذلك ، ثم خرج فجاء داره فترها .

قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن أبي عيسى ، عن حميد بن مسلم ،
قال : سمعت المختار بعد ذلك يقول ^(١) : قاتلهم الله ! ما أحقهم حين يرون
أننى أفى لهم بأيمانهم هذه ! أما حلفي لهم بالله ؛ فإنه ينبغي لى إذا حلفت على
يمين فرأيت ما هو خير منها أن أدع ما حلفت عليه وآتى الذى هو خير ؛ ^{١٠١/٢}
وأكثر يميني ، وخروجي عليهم خير من كفى عنهم ؛ وأكثر يميني ؛ وأما
هذى ألف بدنة فهو أهون على من بصفة ؛ وما نحن ألف بدنة فيهلوسى !
وأما عتق ممالئكي فوالله لو ددت أنه قد استتب لى أمرى ، ثم لم أملك مملوكاً
أبدأ .

قال : ولما نزل المختار داره عند خروجه من السجن ، اختلف ^(٢) إليه
الشعبة واجتمعت عليه ؛ واتفق رأيها ^(٣) على الرضا به ، وكان الذى يبايع له الناس
وهو فى السجن خمسة نفر : السائب بن مالك الأشعرى ، ويزيد بن أنس ،
وأحمر بن شبيب ، ورفاعة بن شداد الفتياني ، وعبد الله بن شداد الجشمي .
قال : فلم تزل أصحابه يكثررون ، وأمره يقوى ويشدد حتى عزل ابن الزبير
عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة ، وبعث عبد الله بن مطيع
على عملهما إلى الكوفة .

قال أبو مخنف : فحدثني الصقعب بن زهير ، عن عمر بن عبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام ، قال : دعا ابن الزبير عبد الله بن مطيع أخا بني عدى
ابن كعب والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ؛ فبعث عبد الله بن مطيع
على الكوفة ، وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة . قال :
فبلغ ذلك بحجير بن ريسان الحميري ؛ فلقيهما ، فقال لهما : يا هذان ؛
إن القمر الليلة بالناطع ^(٤) ، فلا تسيرا . فأما ابن أبي ربيعة ؛ فأقام يسيراً ^{١٠٢/٢}

(١) ف : « يقول بعد ذلك » . (٢) ا : « اختلفت » .

(٣) ف : « رأيهم » . ا : « رأيها » .

(٤) الناطع والناطح : من منازل القمر مما يتشام به .

ثم شخص إلى عمله فسلم ؛ وأماً عبد الله بن مطيع فقال له : وهل نطلب إلا التطيح ! قال : فلي والله تطيحاً وبطحاً ، قال : يقول عمر : والبلاء موكل بالقول .

قال عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : بلغ عبد الملك بن مروان أن ابن الزبير بعث عمالاً على البلاد ؛ فقال : مَنْ بعث على البصرة ؟ فقيل : بعث عليها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ؛ قال : لا حرّ بوادي عوف ، بعث عوقاً وجلس ! ثم قال : مَنْ بعث على الكوفة ؟ قالوا : عبد الله بن مطيع ، قال : حازم وكثيراً ما يسقط ، وشجاع وما يكره أن يفرّ ، قال : مَنْ بعث على المدينة ؟ قالوا : بعث أخاه مُصعب بن الزبير ، قال : ذاك الليث النَّهْد ، وهو رجل أهل بيته .

قال هشام : قال أبو مخنف : وقدم عبد الله بن مطيع الكوفة في رمضان سنة خمس وستين يوم الخميس لخمس بقين من شهر رمضان ، فقال لعبد الله ابن يزيد : إن أحببت أن نقيم معي أحسنُ صحبتك ، وأكرمُ مثواك ، وإن لحقتُ بأمير المؤمنين عبد الله بن الزبير فبك عليه كرامة ، وعلى مَنْ قبله من المسلمين . وقال لإبراهيم بن محمد بن طلحة : الحقُّ بأمير المؤمنين ؛ فخرج لإبراهيم حتى قدم المدينة ، وكسر على ابن الزبير الخراج ؛ وقال : إننا كانت فتنة ؛ فكفّ عنه ابن الزبير .

قال : وأقام ابن مطيع على الكوفة على الصلوة والخراج ؛ وبعث على شرطته إياس بن مضارب العجلي ، وأمره أن يحسن السيرة والشدة على المريب .

قال أبو مخنف : فحدثني حصيرة بن عبد الله بن الحارث بن دريد الأزدي - وكان قد أدرك ذلك الزمان ، وشهد قتل مُصعب بن الزبير - قال : إنني لشاهد المسجد حيث قدم عبد الله بن مطيع ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أمّا بعد ؛ فإن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثني على مصركم وثغوركم ، وأمرني بعباية فيثكم ؛ وألا أحمل فضل فيثكم عنكم إلا برضاً منكم ، ووصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته ، وبسيرة عثمان ابن عفان التي سار بها في المسلمين ؛ فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلقوا ، وخذلوا

على أبدي سفهائككم ؛ وإلا تفعلوا فلوما أنفسكم ولا تلوموني ؛ فوالله لأوقعن بالسقيم العاصي ؛ ولأقيمن دَرَه^(١) الأصغر المرتاب . فقام إليه السائب بن مالك الأشعري . فقال : أمّا أمر ابن الزبير إيتاك ألاّ تحمل فضل فيثنا عنّا إلا برضانا فلإنا نشهدك^(٢) أنّا لا نرضى أن تحمل^(٣) فضل فيثنا عنّا ؛ وألاّ يقسم إلاّ فينا ؛ وألاّ يُسار فينا إلاّ بسيرة عليّ بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه . ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيثنا ولا في أنفسنا ؛ فلإنها إنما كانت أثره وهوّى ، ولا في سيرة عمر بن الخطاب في فيثنا ؛ وإن كانت أهون السيرتين علينا ضرّاً ؛ وقد كان لا يألو الناس خيراً . فقال يزيد ابن أنس : صدق السائب بن مالك وبرّ ، رأيُنا مثل رأيهِ . وقلنا مثل قوله . فقال ابن مطيع : نسير فيكم بكلّ سيرة أحببتموها وهوّيتوها ثم نزل . فقال : يزيد بن أنس الأسديّ : ذهبت بفضلها يا سائب ؛ لا يعلمك المسلمون ! أما والله لقد قمّت وإني لأريد أن أقوم فأقول له نحواً من مقاتلك ، وما أحب أن الله ولّي الردّ عليه رجلاً من أهل المِصر ليس من شيعتنا .

٦٠٤/٢

وجاء إلياس بن مضارب إلى ابن مطيع ، فقال له : إنّ السائب بن مالك من رموس أصحاب المختار ، ولست آمنُ المختار ؛ فابعت إليه فليأتك ؛ فإذا جاءك فاحبسّه في سجنك حتى يستقيم أمر الناس ؛ فإن عيوني قد أعتى فخبّرني أن أمره قد استجمع له ؛ وكأنه قد وثب بالمِصر . قال : فبعث إليه ابن مطيع زائدة بن قدامة وحسين بن عبد الله البرسَمي من همدان . فدخلا عليه ، فقالا : أجب الأمير ، فدعا بشيابه وأمر بإسراج دابّته ، وتحشّش^(٤) للذهاب معهما ؛ فلما رأى زائدة بن قدامة ذلك قرأ قول الله تبارك وتعالى :

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٥) ، ففهمها المختار ، فجلس ثم أتى ثيابه عنه ، ثم قال : القواعلى القطيفة ؛ ما أراى إلاّ قد وُعِيت ؛ إني لأجد قفقهة

(١) الثمر : الميل والعرج . (٢) ف : « نشهد »

(٣) التحشّش : الحركة ، وفي ط : « تحشّش » ، والصواب ما أثبتّه من أ .

(٤) سورة الأنفال : ٣٠ .

شديدة ، ثم تمثل قول عبد العزى بن صهل الأزدى :

إذا ما معشرٌ تركوا ندائهم ولم يأتوا الكريمة لم يَبْأُوْا

ارجعنا إلى ابن مطيع ، فأعلمناه حالى التى أنا عليها . فقال له زائدة بن

١٠٠/٢ قدامة : أمّا أنا ففاعل ؛ [فقال :^(١) وأنت يا أخاهمذان فاعل دنى عنده فإنه خير لك .

قال أبو مخنف : فحدثني إسماعيل بن نعيم الهمداني ، عن حسين بن عبد الله ، قال : قلت في نفسي : والله إن أنا لم أبلغ عن هذا ما يرضيه ما أنا بأمن من أن يظهر غداً فيهلكنى . قال : فقلت له ، نعم ، أنا أضع^(٢) عند ابن مطيع عذرك ، وأبلغه كل ما تحب ؛ فخرجنا من عنده ؛ فإذا أصحابه على بابهِ ، وفي داره منهم جماعة كثيرة . قال : فأقبلنا نحو ابن مطيع ، فقلت لزائدة بن قدامة : أما إني قد فهمت قولك حين قرأت تلك الآية ؛ وعلمت ما أردت بها ، وقد علمت أنها هي تَبَسُّطُهُ عن الخروج معنا بعد ما كان قد لبس ثيابه ، وأسرج دابته ؛ وعلمت حين تمثل البيت الذى تمثل أعما أراد يخبرك أنه قد فهم عنك ما أردت أن تُفهمه ، وأنه لن يأتيه . قال : فجاحدنى أن يكون أراد شيئاً من ذلك ؛ فقلت له : لا تحلف ؛ فوالله ما كنت لأبلغ عنك ولا عنه شيئاً تكرهانه ؛ ولقد علمت أنك مشفق عليه ، تجد له ما يجد المرء لابن عمه . فأقبلنا إلى ابن مطيع ؛ فأخبرناه بعلته وشكواه ؛ فصدقنا ولما عنه . قال : وبعث المختار إلى أصحابه ؛ فأخذ يجمعهم في الدُّور حوله ، وأراد أن يشب بالكوفة في المحرم ؛ فجاء رجل من أصحابه من شِيبام^(٣) - وكان عظيم الشرف يقال له عبد الرحمن بن شريح - فلقى سعيد بن منقذ الثوري وسعر ابن أبي سحر الحنفى والأسود بن جراد الكندي وقدامة بن مالك الجشمي ؛ فاجتمعوا في منزل سحر الحنفى ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أمّا بعد ؛ فإنَّ المختار يريد أن يخرج بنا ، وقد بايعناه ولا ندري أرسله إلينا ابن الحنفية أم لا ؛ فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا به

(١) تكله من ا .

(٢) كذا في ا ، س ، وفي ط : أضع .

(٣) ابن الأثير : شِيبام : حمى من همدان .

وبما دعانا إليه ؛ فإن رخص لنا في اتباعه اتبعناه ؛ وإن نهانا عنه اجتنبناه ؛ فوالله ما ينبغي أن يكون شيء من أمر الدنيا أثر عندنا من سلامة ديننا . فقالوا^(١) له : أراك الله ! فقد أصبت ووقفت ؛ اخرج بنا إذا شئت . فأجمع رأيهم على أن يخرجوا من أبياتهم ، فخرجوا ، فلقوا بآبِنِ الحَنْفِيَّةِ ؛ وكان إمامهم عبدُ الرحمن بن شريح ، فلما قدموا عليه سلموا عن حال النَّاسِ فخبَّروا عن حالهم وما هم عليه .

قال أبو مخنف : فحدثني خليفة بن ورقاء ، عن الأسود بن جراد الكندي قال : قلنا لابن الحنفية ؛ إن لنا إليك حاجة ؛ قال : فسر^(٢) هي أم علانية ؟ قال : قلنا : لا ؛ بل سر ، قال : فرويدا إذا ؛ قال : فكث قليلا ؛ ثم تنحى جانبا فدعانا فقمنا إليه ، فبدأ عبد الرحمن بن شريح ، فتكلم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ؛ فإنكم أهل بيت خصكم الله بالفضيلة ، وشرفكم بالنبوة ، وعظم حُكمكم على هذه الأمة ؛ فلا يحل حُكمكم إلا مقبول الرأي ، محسوس النصب ؛ قد أصبح بحسن رحمة الله عليه . عظم مصيبة اختصاصكم^(٣) بها ، بعد^(٤) ما عم بها المسلمون ، وقد قدم علينا المختار بن أبي عبيد يزعم لنا أنه قد جاءنا من تلقائكم ، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ والطلب بدماء أهل البيت ، والدفع عن الضعفاء ؛ فبايعناه على ذلك . ثم إننا رأينا أن تأتيك فذكر^(٥) لك ما دعانا إليه ، وتديننا له ؛ فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه ، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه .

١٠٧/٢

ثم تكلمنا واحداً واحداً بنحو ما تكلم به صاحبنا ؛ وهو يسمع ، حتى إذا فرغنا حميد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أما بعد ؛ فأما ما ذكرتم مما خصصنا الله^(٦) به من فضل ؛ فإن الله يوتييه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ؛ فله الحمد ! وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين ؛ فإن ذلك كان في الذكر الحكيم

(٢) ف : « أنسر » .

(١) ف : « قالوا » .

(٣) كذا في ف ، وفي ط : « ما قد خصكم » . (٤) كذا في ا ، وفي ط : « قد عم »

(٦) ف : « خصنا » .

(٥) ف : « بهم » .

وهي ملحمة كُتبت عليه ، وكرامة أهداها الله له ، رفع بما كان منها درجات قوم عنده ، ووضع بها آخرين ، وكان أمر الله مفعولاً ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا ؛ فواؤه لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

قال : فخرجنا من عنده ، ونحن نقول : قد أذن لنا ؛ قد قال : لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ، ولو كره لقال : لا تفعلوا . قال : فجئنا وأناس من الشيعة ينتظرون مقدمنا ^(١) ممن كنا قد أعلمناه بمخرجنا وأطلعناه على ذات أنفسنا ؛ ممن كان على رأينا من إخواننا ؛ وقد كان بلغ المختار مخرجنا ، فشق ذلك عليه ، وخشى أن تأتية بأمر يُخذل الشيعة عنه ؛ فكان قد أرادهم على أن ينهض بهم قبل قدومنا ^(٢) ؛ فلم يتهمياً ذلك له ^(٣) ؛ فكان المختار يقول : إن نفيراً منكم ارتابوا وتحيروا وخابوا ؛ فإن هم أصابوا أقبلوا وأنابوا ؛ وإن هم كبوا ^(٤) وهابوا ، واعترضوا وانجابوا ، فقد تببروا وخابوا ؛ فلم يكن إلا شهراً ^(٥) وزيادة شيء ؛ حتى أقبل القوم على رواحلهم ؛ حتى دخلوا على المختار قبل دخولهم إلى رحالهم ، فقال لهم : ما وراءكم ؟ فقد فُتِنْتُمْ وارتبتم ، فقالوا له : قد أمرنا بنصرتك فقال : الله أكبر ! أنا أبو إسحاق ، اجمعوا إلى الشيعة ، فجمع له منهم من كان منه قريباً فقال : يا معشر الشيعة ؛ إن نفرأ منكم أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به ، فرحلوا إلى إمام الهدى ، والتجيب المرتضى ابن خير من طشي ^(٦) ومشى ؛ حاشا النبي المجتبي ؛ فسأله عما قدمت به عليكم ؛ فنباهم أنى وزيره وظهيره ، ورسوله وخطيله ؛ وأمرهم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم إليه من قتال المخلفين ، والطلب بدماء أهل بيت ^(٧) نبيكم المصطفين . فقام عبد الرحمن بن شريح ، فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : أما بعد يا معشر الشيعة ؛ فإننا قد كنا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصة ولجميع إخواننا عامة ؛ فقلدنا على المهدي بن علي . فسألناه عن حربنا هذه ، وعما دعانا إليه المختار منها ، فأمرنا بمظاهرتة ومؤازرتة وإجابته إلى ما دعانا إليه ،

(١) كذا في ١ ، و ٢ ط : « لقومنا » . (٢) ف : مقدمنا . (٣) ف : له ذلك .

(٤) ف : « تكسوا » . (٥) ف : « غير شهر » .

(٦) كذا في ط ، وفي اللسان : « تلثى المريض ، برئ » . (٧) ف : « بدم أهل البيت » .

فأقبلنا طيبة أنفسنا ، منشرة صدورنا ، قد أذهب الله منها الشك والغلب
والريب ، واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدونا ؛ فليبلغ ذلك شاهدكم . ٦٠٩/٢
غائبكم ، واستعدوا وتأهبوا . ثم جلس وقمنا رجلا فرجلا^(١) ؛ فتكلمنا بنحو
من كلامه ؛ فاستجمعت له الشيعة^(٢) وحديث عليه .

قال أبوحنيفة : فحدثني نُمَيْرُ بْنُ وَعْلَةَ وَالْمَشَرِقِيُّ - عن عامر الشعبي -
قال : كنت أنا وأبى أَوَّلَ من أجاب المختار . قال : فلما تهيأ
أمره ودنا خروجه ؛ قال له أحمر بن شميطة ويزيد بن أنس وعبد الله بن
كامل وعبد الله بن شداد : إن أشرف أهل الكوفة مجتمعون على قتالكم مع ابن
مطيع ؛ فإن جامعنا على أمرنا إبراهيم بن الأشتر رجونا بإذن الله القوة على
عدونا ، وألا بضرنا خلاف من خالفنا ، فإنه في بئس ؛ وابن رجل شريف
بعيد الصيت ؛ وله عشيرة ذات عز وعدد . قال لهم المختار : فالقوه فادعوه .
وأعلموه الذي أمرنا به من الطلب بدم الحسين وأهل بيته .

قال الشعبي : فخرجوا إليه وأنا فيهم ، وأبى ، فتكلم يزيد بن أنس ، فقال له :
إنما قد أتيناك في أمر نعرضه عليك ، وندعوك إليه ؛ فإن قبلته كان خيرا لك .
وإن تركته فقد أدبنا إليك فيه النصيحة ؛ ونحن نحب أن يكون عندك مستورا .
فقال لهم إبراهيم بن الأشتر : وإن مثلي لا تخاف غائلته ولا سعايته ؛ ولا
التقرب إلى سلطانها باغتيال الناس ، إنما أولئك الصغار الأخطار الدقاق همما .
فقال له : إنما ندعوك إلى أمر قد أجمع عليه رأى الملا من الشيعة ؛
إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه ، والطلب بدماء أهل البيت ؛ وقاتل
المحبيين ، والدفع عن الضعفاء . قال : ثم تكلم أحمر بن شميطة ، فقال له : إني
لك ناصح ، ولخطبك محب ؛ وإن أباك قد هلك وهو سيد الناس^(٣) [لوفيك منه إن
رعى حق الله خلفك ؛ قد دعوناك إلى أمر إن أجبتنا إليه عادت لك منزلة
أبيك في الناس ، وأحييت من ذلك أمرا قد مات ؛ إنما يكنى مثلك السير حتى
تبلغ الغاية التي لا مذهب وراءها ، إنه قد نبى لك أولك مفتخر^(٤) . وأقبل القوم

(١) ف : رجلا رجلا . (٢) ف : لنا الشيعة وله .

(٣) تكله من ا . (٤) ط : ضري ، والاصواب ما أتته من ا .

كلّهم عليه^(١) يدعونه إلى أمرهم ويرغبونه فيه. فقال لهم إبراهيم بن الأشتر : فإنّي قد أجبتمكم إلى ما دعوتوني إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته ، على أن تولّوني الأمر ، فقالوا : أنت لذلك أهل ، ولكن ليس إلى ذلك سبيل ، هذا المختار قد جاءنا من قبيل المهديّ ، وهو الرّسول والمأمور بالقتال ، وقد أمرنا بطاعته . فسكت عنهم ابن الأشتر ولم يجيبهم . فانصرفنا من عنده إلى المختار فأخبرناه بما ردّ علينا ، قال : فغبر ثلاثاً ، ثم إن المختار دعا بقصعة عشر رجلاً من وجوه أصحابه - قال الشعبي : أنا وأبي فيهم - قال : فسار بنا ونضى أماننا بقصد بنا بيوت الكوفة قد لا ندرى أين يريد ، حتى وقف على باب إبراهيم بن الأشتر ، فاستأذنّا عليه فأذن لنا ، وألقيت لنا سائداً ، فجلسنا عليها وجلس المختار معه على فراشه ، فقال المختار :

الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وصلى الله على محمد ، والسلام عليه ، أمّا بعد ، فإنّ هذا كتاب إليك من المهديّ محمد بن أمير المؤمنين الوصيّ ، وهو خير أهل الأرض اليوم ، وابن خير أهل الأرض كلّها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله ، وهو يسألك أن تنصرفنا وتؤازرنا ، فإن فعلت اغتبطت ، وإن لم تفعل فهذا الكتاب حجة عليك ، وسيغني الله المهديّ محمدًا وأوليائه عنك . قال الشعبي : وكان المختار قد دفع الكتاب إلى حين خرج من منزله ، فلما قضى كلامه قال لي : ادفع الكتاب إليه ، فلففته إليه ، فدعنا بالمصباح ونفضنا خاتمه ، وقرأه فإذا هو :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد المهديّ إلى إبراهيم بن مالك الأشتر ، سلامٌ عليك ، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أمّا بعد فإنّي قد بعثت إليكم بوزيري وأميني ونجيبتي الذي ارتضيته لنفسى ، وقد أمرته^(٢) بقتال علويّ والطلب بدماء أهل بيتي ، فانهضْ معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك ، فإنّك إن نصررتني وأجبت دعوتي وصاعدت وزيري كانت لك عندي بذلك^(٣) فضيلة ، ولك بذلك أعنة الخيل وكلّ جيش غازٍ ، وكلّ مصر ومنبر وقر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهل

(١) ف : عليه كلهم . . . (٢) ف : وأمره . . .

(٣) ف : بذلك عندي . . .

الشام، على الوفاء بذلك على عهد الله؛ فإن فعلت ذلك نلت به عند الله أفضل الكرامة، وإن أبيت هلكت هلاكاً لا تستقيه أبداً، والسلام عليك.

فلما قضى إبراهيم قراءة الكتاب، قال: لقد كتب إلى ابن الحنفية؛ وقد كتبت^(١) إليه قبل اليوم؛ فما كان يكتب إلى إلا باسمه واسم أبيه، قال له ١١٢/٢ المختار: إن ذلك زمان وهذا زمان، قال إبراهيم: فمن يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفية إلى؟ فقال له: يزيد بن أنس وأحمر بن شبيب وعبد الله بن كامل وجماعتهم — قال الشعبي: إلا أنا وأبي — فقالوا: نشهد أن هذا كتاب محمد بن علي إليك، فتأخر إبراهيم عند ذلك عن صدر القراش فأجلس المختار عليه، فقال: أبسط يدك أبائتلك؛ فبسط المختار يده فبايعه إبراهيم، ودعا لنا بفاكهة، فأصينا منها؛ ودعا لنا بشراب من حسل فشربنا ثم نهضنا؛ وخرج معنا ابن الأشر؛ فركب مع المختار حتى دخل رحله؛ فلما رجع إبراهيم متصرفاً أخذ يبدى، فقال: انصرف بنا يا شعبي، قال: فانصرفت معه ومضى إلى حتى دخل إلى رحله، فقال: يا شعبي، إلى قد حفظت أنك لم تشهد أنت ولا أبوك؛ أقرئ هؤلاء شهدوا على حق؟ قال: قلت له: قد شهدوا على ما رأيت وهم سادة القراء وشيخة المصر وفرسان العرب، ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقاً. قال: فقلت له هذه المقالة؛ وأنا والله لهم على شهادتهم متهم؛ غير أني يعجبني الخروج وأنا أرى رأى القوم؛ وأحب تمام ذلك الأمر^(٢)؛ فلم أطلعه على ما في نفسي من ذلك؛ فقال لي ابن الأشر: اكتب لي أسماءهم فلنأخذ ليس كلهم أعرف. ودعا بصحيفة ودواة، وكتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم؛ هذا ما شهد عليه السائب بن مالك الأشعري، ويزيد بن أنس الأسدي وأحمر بن شبيب الأحمسي ومالك بن عمرو النهدي؛ حتى أتى على أسماء القوم؛ ثم كتب: شهدوا أن محمد بن علي كتب إلى إبراهيم بن الأشر يأمره بموازة المختار ومظاهرة على قتال المحلّين، والطلب بدماء أهل البيت، وشهد على هؤلاء النفر الذين شهدوا على هذه الشهادة شراحل ابن عبد — وهو أبو عامر الشعبي الفقيه — وعبد الرحمن بن عبد الله النخعي،

وعامر بن شراحيل الشعبي . قلت له : ما تصنع بهذا رحمك الله ؟ قال :
دعاه يكون . قال : ودعا إبراهيم عشيرته وإخوانه ومن أطاعه ، وأقبل يختلف إلى
المختار .

* * *

قال هشام بن محمد : قال أبو مخنف : حدثني يحيى بن أبي عيسى الأزدي ،
قال : كان حميد بن مسلم الأزدي صديقاً لإبراهيم بن الأشتر ، وكان
يختلف إليه ، ويذهب به معه ، وكان إبراهيم يروح في كل عشية عند المساء ،
فيأتي المختار ، فيمكث عنده حتى تصوب النجوم ، ثم ينصرف ، فكنوا بذلك
يدبرون أمورهم ، حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع
عشرة من ربيع الأول سنة ست وستين ، ووطن على ذلك شيعتهم ومن أجا بهم .
فلما كان عند غروب الشمس ، قام إبراهيم بن الأشتر ، فأذن ، ثم إنه
استقدم ، فصلّى بنا المغرب ، ثم خرج بنا بعد المغرب حين قلت : أخوك أو
الذئب^(١) — وهو يريد المختار ، فأقبلنا علينا السلاح ، وقد أتى إياس بن مضارب
عبد الله بن مطيع فقال : إن المختار خارج عليك لإحدى الليلتين ، قال :
فخرج إياس في الشرط^(٢) ، فبعث ابنه راشداً إلى الكُنْئاسة ، وأقبل يسير
حول السوق في الشرط .

ثم إن إياس بن مضارب دخل على ابن مطيع ، فقال له : إنني قد بعثت
ابني إلى الكُنْئاسة ، فلو بعثت في كل جبانة بالكوفة عزيمة رجلاً من
أصحابك في جماعة من أهل الطاعة ، هاب المريب الخروج عليك . قال :
فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس إلى جبانة السبيع ، وقال :
اكفني قومك ، لا أوتين من قبلك ، وأحكم أمر الجبانة التي وجهتك إليها ،
لا يحدثن بها حديث ، فأوليك العجز والوهن . وبعث كعب بن أبي كعب
الخنعمي إلى جبانة بشر ، وبعث زحر بن قيس إلى جبانة كِنْدَةَ . وبعث
شمير بن ذى الجوشن إلى جبانة سالم ، وبعث عبد الرحمن بن مخنف بن سليم إلى
جبانة الصائدين ، وبعث يزيد بن الحارث بن رُويم أبا حوشب إلى جبانة مراد ،

(١) يقال : أخوك أو الذئب ، إذا اشتد الظلام . (٢) ف : « الشرط » .

وأوصى كلَّ رجل أن يكفِّيه قومه ، وألَّا يوتى من قبيله ، وأن يحكم الوجه الذى وجَّهه فيه ؛ وبعث شَبَث بن ربِيعٍ إلى السَّبْحَةِ ، وقال : إذا سمعت صوت القوم فوجَّه نحوهم ؛ فكان هؤلاء قد خرجوا يوم الاثنين ؛ فنزلوا هذه الجبابين ، وخرج إبراهيم بن الأشتر من رحله بعد المغرب يريد إتيان المختار ؛ ٦١٥/٢ وقد بلغه أن الجبابين قد حُشيت رجالا ، وأن الشرط قد أحاطت بالسوق والقصر .

قال أبو حنيفة : فحدثني يحيى بن أبى عيسى . عن حميد بن مسلم . قال : خرجت مع إبراهيم بن منزله بعد المغرب ليلة الثلاثاء حتى مررنا بدار عمرو بن حريث ، ونحن مع ابن الأشتر كتيبة نحو من مائة ، علينا الدروع ؛ قد كفَرنا^(١) عليها بالأقبية ، ونحن متقلِّدو السيوف ؛ ليس معنا سلاحٌ إلَّا السيوف في عواتقنا ، والدروع قد سترناها بأقبيتنا ؛ فلما مررنا بدار سعيد بن قيس فجزَّناها إلى دار أسامة ، قلنا : مرَّ بنا على دار خالد بن عرقطة ، ثم امض بنا إلى بَجِيلَة ، فلمنَّ في دورهم حتى نخرج إلى دار المختار — وكان إبراهيم فتى حَدَثًا شجاعًا ؛ فكان لا يكره أن يلقاهم — فقال : والله لأمرنَّ على دار عمرو بن حريث إلى جانب القصر وسط السوق . ولأمرنَّ به عدونا ولأريَنَّهُم هوانهم علينا . قال : فأخذنا على باب الفيل على دار ابن هُبَّار^(٢) ؛ ثم أخذ ذات اليمين على دار عمرو بن حريث ؛ حتى إذا تجاوزها ألقينا إِيَّاس بن مضارب في الشرط مظهرين السلاح ، فقال لنا : من أنتم ؟ ما أنتم ؟ فقال له إبراهيم : أنا إبراهيم بن الأشتر ، فقال له ابن مضارب : ما هذا الجمع معك ؟ وما تريد ؟ والله إن أمرك لمريب ! وقد بلغني أنك تمرَّ كلَّ عشية ها هنا ، وما أنا بتاركك حتى آتى بك الأمير فبرى فيك رأيهُ . فقال إبراهيم : لا أبا لغيرك ! خلَّ سبيلنا ، فقال : كلا والله لا أقفل — ومع إِيَّاس بن مضارب رجل من هَمْدَان ، يقال له أبو قطن ، كان يكون مع إمرة الشرط فهم يكرِّمونه ٦١٦/٢ ويؤثرونه ، وكان لابن الأشتر صديقًا — فقال له ابن الأشتر : يا أبا قطن ، ادنْ منى — ومع أبى قطن رمح له طويل — ؛ فدنا منه أبو قطن ، ومعه الرمح ؛

(١) كفَرنا ، أى سترنا . (٢) ط : « هبار » ، وانظر الجزء الرابع ص ٢٧٣ .

وهو يرى أن ابن الأشتر يطلب إليه أن يشفع له إلى ابن مضارب ليخلى سبيله ؛ فقال إبراهيم - وتناول الرمح من يده^(١) : إن وصحك هنا لطويل ؛ فحمل به إبراهيم على ابن مضارب ، فطعته في ثُغْرَةِ نحره فصرعه ، وقال لرجل من قومه : انزل عليه^(٢) ، فاحتز رأسه ، فنزل إليه فاحتز رأسه ، وتفرق أصحابه ورجعوا إلى ابن مطيع . فبعث ابن مطيع ابنته راشد إلى ابن مضارب مكان أبيه^(٣) على الشرطة ، وبعث مكان راشد ابن إياس إلى الكُنْكَسَةِ تلك الليلة سُوَيْد بن عبد الرحمن الحَنْقَرِيُّ أبا القعقاع بن سُوَيْد . وأقبل إبراهيم بن الأشتر إلى المختار ليلة الأربعاء ، فدخل عليه فقال له إبراهيم : إننا اتبعنا الخروج للقابلة ليلة الخميس ، وقد حدث أمرٌ لا بد من الخروج الليلة ، قال المختار : ما هو ؟ قال : عرض لي إياس بن مضارب في الطريق ليحسني بزعمه ، فقتلته ؛ وهذا رأسه مع أصحابي على الباب . فقال المختار : فبشرك الله بخير ! فهذا طير صالح ، وهذا أول الفتح إن شاء الله . ثم قال^(٤) المختار : قم يا سعيد بن منقذ ، فأشعل في المردى^(٥) التيران ثم ارفعها للمسلمين ، وقم أنت يا عبد الله بن شداد ، فناد : يا منصور أمت ؛ وقم أنت يا سفيان بن ليلى ، وأنت يا قدامة ابن مالك ، فناد : يا ثارات الحسين ! ثم قال المختار : على بدرعي وصلاحي ، فأتني به ؛ فأخذ يلبس سلاحه ويقول :

قَدْ عَلِمْتَ بَيِّضَاءَ حَسَنَاءَ الطَّلَلِ وَاضِحَةَ الْخَلْبَيْنِ عَجَزَاءَ الْكَفَلِ ١١٧/٢

• أُنَى غَدَاةَ الرَّوْعِ مِقْدَامٌ بَطَلٌ •

ثم إن إبراهيم قال للمختار : إن هؤلاء الرعوص الذين وضعهم ابن مطيع في الجلبابين يمتعون إخواننا أن يأتونا ، ويضيئون عليهم ؛ فلو أتى خرجت بمن معي من أصحابي حتى آتني قومي ؛ فيأتني كل من قد بايعني من قومي ، ثم سرت بهم في نواحي الكوفة ، ودعوت بشعارنا ؛ فخرج إلى من أراد الخروج إلينا ، ومن قدر على إتيانك من الناس ؛ فمن أذاك حيثه عندك إلى من

(٢) من ف .

(١) ف : و يده .

(٣) ف : راشد مكان أبيه إياس .

(٤) كلما ف : فط : وقال .

(٥) في السان : المردية : تصبغت قسم ملوثة بطلاقات الكرم ، تسيل عليها قصبانه .

ملك ولم تفرقهم ؛ فلما عجلت فأنيت كان ملك من تمتع به ؛ ولما لو قد فرغت من هذا الأمر عجلت إليك في الخيل والرجل . قال له . إيمالا^(١) فاعجل وإني أن تسير إلى أميرهم تقاتله ، ولا تقاتل أحداً وأنت تستطيع ألا تقاتل ، واحفظ ما أوصيتك به إلا أن يبدأك أحد بقتال . فخرج إبراهيم بن الأشتر من عنده في الكتيبة التي أقبل فيها ؛ حتى أتى قومه ، واجتمع إليه بجل من كان يابيه وأجابه . ثم إنه سار بهم في سبيل الكوفة طويلاً من الليل ؛ وهو في ذلك يتجنب السلك التي فيها الأمراء ، فجاء إلى الذين معهم الجماعات الذين وضع ابن مطيع في الجبايين وأفواه الطرق العظام ، حتى انتهى إلى مسجد السكون ، وعجلت إليه خيل من خيل زحر بن قيس الجعفي ليس لهم قائد ولا عليهم أمير . فشد عليهم إبراهيم بن الأشتر وأصحابه ، فكشفوهم حتى دخلوا جبانة كندة ، فقال إبراهيم : من صاحب الخيل في ٦١٨/٧ جبانة كندة ؟ فشد إبراهيم وأصحابه عليهم ، وهو يقول : اللهم إنك تعلم أننا غضبنا لأهل بيت نبيك ، وفترنا لهم ؛ فانصرونا عليهم ؛ ونتم لنا دعوتنا ؛ حتى انتهى إليهم هو وأصحابه ، فخالطوهم وكشفوهم فقبل له : زحر بن قيس ؛ فقال : انصرفوا بنا عنهم ، فركب بعضهم بعضاً كلما لقيهم رفاق دخل منهم طائفة ، فانصرفوا يسرون .

ثم خرج إبراهيم يسير حتى انتهى إلى جبانة أثير ، فوقف فيها طويلاً ، ونادى أصحابه بشعارهم ، فبلغ سويد بن عبد الرحمن المنقري مكانهم^(٢) في جبانة أثير ، فرجا أن يصيبهم فيحطى بذلك عند ابن مطيع ، فلم يشعر ابن الأشتر إلا وهم معه في الجبانة ، فلما رأى ذلك ابن الأشتر قال لأصحابه : يا شرطة الله ، انزلوا فإنكم أولى بالنصر من الله من هؤلاء الفساق الذين خاضوا دماء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنزلوا . ثم شد عليهم إبراهيم ، فضر بهم حتى أخرجهم من الصحراء ، ولوا منهزمين يركب بعضهم بعضاً ، وهم يتلاومون ، فقال قاتل منهم : إن هذا الأمر يراد ؛ ما يلقون لنا جماعة

(١) إيمالا ، أي إن كنت لا تفعل غير ذلك .

(٢) ف : « حديثهم ومكانهم » .

إِلَّا هَزَمُوهُمْ ! فَلَمْ يَزَلْ يَهْزِمُهُمْ حَتَّى أَدْخَلَهُمُ الْكُنَاسَةَ . وَقَالَ أَصْحَابُ إِبْرَاهِيمَ لِإِبْرَاهِيمَ : اتَّبِعْهُمْ وَاعْتَنِمْ مَا قَدْ دَخَلَهُمْ مِنَ الرَّعْبِ ، فَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ إِلَى مَنْ نَدَعُو وَمَا نَطْلُبُ . وَإِلَى مَنْ يَدْعُونَ وَمَا يَطْلُبُونَ ! قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ سِيرُوا بِنَا إِلَى صَاحِبِنَا حَتَّى يُؤْمِنَ اللَّهُ بِنَا وَحِشْتَهُ ، وَنَكُونَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى عِلْمٍ ، وَيَعْلَمَ هُوَ أَيْضًا مَا كَانَ مِنْ عَسَائِنَا ، فِيزِدَادُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ قُوَّةً وَبَصِيرَةً إِلَى قَوَاهِمَ وَبَصِيرَتِهِمْ ، مَعَ أَنِّي لَا أَمْنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ آتَى . ٦١٩/٢

فَأَقْبَلَ إِبْرَاهِيمُ فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى مَرَّ بِمَسْجِدِ الْأَشْعَثِ ، فَوَقَفَ بِهِ سَاعَةً ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى دَارَ الْخِتَارِ ، فَوَجَدَ الْأَصْوَاتَ عَالِيَةً ، وَالْقَوْمَ يَقْتُلُونَ ، وَقَدْ جَاءَ شَبَثُ بْنُ رَبِيعٍ مِنْ قَبْلِ السَّبْحَةِ ، فَعَيَّ لَهُ الْخِتَارِيَّ زَيْدُ بْنُ أُنْسٍ ، وَجَاءَ حِجَارُ بْنُ أَبِي جَرَّاحٍ الْعَجَلِيُّ ، فَجَعَلَ الْخِتَارُ فِي وَجْهِهِ أَحْمَرَ بَنَ شَيْطٍ ، فَالْتَمَسَ يَقْتُلُونَ ، وَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ قَبْلِ الْقَصْرِ ، فَبَلَغَ حِجَارًا وَأَصْحَابَهُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ قَدْ جَاءَهُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَتَفَرَّقُوا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ إِبْرَاهِيمُ ، وَذَهَبُوا فِي الْأُرْقَةِ وَالسَّكَنَةِ ، وَجَاءَ قَيْسُ بْنُ طَهْفَةَ فِي قَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي نَهْدٍ مِنْ أَصْحَابِ الْخِتَارِ ، فَحَمَلَ عَلَى شَبَثِ بْنِ رَبِيعٍ وَهُوَ يَقَاتِلُ يَزِيدَ بْنَ أُنْسٍ ، فَخَلَعَتْ لَهُمُ الطَّرِيقَ حَتَّى اجْتَمَعُوا جَمِيعًا . ثُمَّ إِنْ شَبَثُ بْنُ رَبِيعٍ تَرَكَ لَهُمُ السَّكَنَةَ ، وَأَقْبَلَ حَتَّى لَقِيَ ابْنَ مَطِيعٍ ، فَقَالَ : ابْعَثْ إِلَى أَمْرَاءِ الْجَسَبِيِّينَ فَرِهِمْ فَيَلِائَتُوكَ ، فَاجْمَعْ إِلَيْكَ جَمِيعَ النَّاسِ ، ثُمَّ انْهَدِ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَقَاتِلِهِمْ وَابْعَثْ إِلَيْهِمْ مَنْ تَتَّقِي بِهِ فَيُكْفِلُكَ قِتَالَهُمْ ، فَإِنْ أَمَرَ الْقَوْمُ قَدْ قَوِيَ ، وَقَدْ خَرَجَ الْخِتَارُ وَظَهَرَ ، وَاجْتَمَعَ لَهُ أَمْرُهُ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْخِتَارُ مِنْ مَشُورَةِ شَبَثِ بْنِ رَبِيعٍ عَلَى ابْنِ مَطِيعٍ خَرَجَ الْخِتَارُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلَ فِي ظَهْرِ دَبَرٍ هَنْدٍ مِمَّا بِلَى بُسْتَانَ زَائِلَةً فِي السَّبْحَةِ .

قَالَ : وَخَرَجَ أَبُو عِثْمَانَ النَّهْدِيُّ فَنَادَى فِي شَاكِرٍ وَهُمْ يَجْتَمِعُونَ فِي دُورِهِمْ ، يَخَافُونَ أَنْ يَظْهَرُوا فِي الْمِيدَانِ لِقُرْبِ كَعْبِ بْنِ أَبِي كَعْبٍ الْخُثَمِيِّ مِنْهُمْ ، وَكَانَ كَعْبٌ فِي جَبَانَةٍ بَشَرٍ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ شَاكِرًا تَخْرُجُ جَاءَ يَسِيرٌ ^(١) حَتَّى نَزَلَ بِالْمِيدَانِ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ بِأَفْوَاهِ سَيْكَنَتِهِمْ وَطَرُقِهِمْ . قَالَ : فَلَمَّا أَنَاهُمْ أَبُو عِثْمَانَ النَّهْدِيُّ

في عصابة من أصحابه ، فادى : يا لثارات الحسين ! يا منصورُ أمت !
يأيتها الحَيِّ المهتدون ، ألا إن أمير آل محمد ووزيرهم . قد خرج فنزل
دير هند ، وبعثني إليكم داعياً ومبشراً ، فاعرجوا إليه يرحمكم الله ! قال :
فخرجوا من الدور يتداعون : يا لثارات الحسين ! ثم ضاربوا كعب بن
أبي كعب حتى خلى لهم الطريق ، فأقبلوا إلى المختار حتى نزلوا معه في
عسكره ، وخرج عبد الله بن قراد الخثعمي في جماعة من خثعم نحو المائتين
حتى لحق بالمختار ، فنزلوا معه في عسكره ، وقد كان عرض له كعب بن
أبي كعب فصافه ، فلماً عرفهم ورأى أنهم قومُه خلى عنهم . ولم
يقاتلهم .

وخرجت شيبام من آخر ليلتهم فاجتمعوا إلى جبانة مراد ، فلماً
بلغ ذلك عبد الرحمن بن سعيد بن قيس بعث إليهم : إن كنتم تريدون اللحاق
بالمختار فلا تمروا على جبانة السبيح ، فليحقوا بالمختار ، فتوافى إلى المختار
ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفاً كانوا يابعوه ، فاستجمعوا له قبل
انفجار الفجر ، فأصبح قد فرغ من تعبته .

قال أبو مخنف : فحدثني الوالي قال : خرجت أنا وحميد بن مسلم ،
والنعمان بن أبي الجعد إلى المختار ليلة خرج ، فأتيناه في داره ، وخرجنا معه
إلى معسكره ، قال : فوالله ما انفجر الفجر حتى فرغ من تعبته ؛ فلماً ١٢١/٢
أصبح استقدم ، فصلني بنا الغداة بفسس ، ثم قرأه والنازعات « وعبس وتولى » ،
قال : فاسمعنا إماماً أم قوماً أفصح لهجة منه .

قال أبو مخنف : حدثني حصيرة بن عبد الله ، أن ابن مطيع بعث إلى
أهل الجبايين ، فأمرهم أن ينضموا إلى المسجد ، وقال لراشد بن إياس بن
مضارب : ناد في الناس فليأتوا المسجد ، فنادى المنادي : ألا يرثت الذمة
من رجل لم يحضر المسجد الليلة ! فتوافى الناس في المسجد ، فلماً اجتمعوا
بعث ابن مطيع شبث بن ربعي في نحو من ثلاثة آلاف إلى المختار ، وبعث
راشد بن إياس في أربعة آلاف من الشرط .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الصلت التيمي عن أبي سعيد الصيقل .

قال : لما صُلِّيَ المختار الغداةَ ثم انصرف سَمِعْنَا أصواتًا مرتفعة فيها بين
 بنى سُلَيْمٍ وسَكَّةَ البريد ، فقال المختار : مَنْ يعلم لنا علم هؤلاء ما هم ؟
 فقلت له : أنا أصلحك الله ! فقال المختار : إمّا لا ^(١) فألقى سلاحك وانطلق
 حتى تدخل فيهم كأنك نظار ، ثم تأتيني بخبرهم . قال : ففعلتُ ، فلَمَّا
 دنوت منهم إذا مؤذَنهم يقيم ، فجئت حتى دنوتُ منهم فإذا شَبَّثَ بن
 رُبَيْعٍ معه خيل عظيمة ، وعلى خيله شَيْبَان بن حُرَيْث الضبيّ ، وهو في
 الرجالة معه منهم كثرة ، فلما أقام مؤذَنهم تقدّم فصلّي بأصحابه ، قرأ : ﴿ إِذَا
 زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ ، فقلت في نفسي : أما والله إني لأرجو أن يزلزل الله بكم ،
 وقرأ : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ ، فقال أناس من أصحابه : لو كنت قرأت سورتين هما
 أطول من هاتين ^(٢) أَشَيْئًا أَفَقَالَ شَبَّثَ : ترون الذي لم قد نزلت بساحتكم ،
 وأنتم تقولون : لو قرأت سورة البقرة و آل عمران إ قال : وكانوا ثلاثة آلاف ،
 قال : فأقبلت سريعاً حتى أتيت المختارَ فأخبرته بخبر ^(٣) أَشَبَّثَ وأصحابه ،
 وأتاه معي ساعة أتته ^(٤) سِعْر بن أبي سحر الحنفيّ يركض من قبيل مراد ،
 وكان معنّ بايع المختار فلم يقدر على الخروج معه ليلة خرج غفافة الحرس ،
 فلَمَّا أصبح أقبل على فرسه ، فرّ بجبانة مراد ، وفيها راشد بن إلياس ، فقالوا :
 كما أنت ! ومن أنت ؟ فراكضهم حتى جاء المختار ، فأخبره خبر راشد ، وأخبرته
 أنا خبر شَبَّثَ ، قال : ففرّح إبراهيم بن الأشتر قبيل راشد بن إلياس في تسعة أمتة—
 ويقال سَمَاتة فارس وسَمَاتة راجل — وبعث نعيم بن هبيرة أخا مَصْقَلَةَ بن هبيرة
 في ثلثة فارس وسَمَاتة راجل ، وقال لهما : امضيا حتى تلقيا عدوكم ، فإذا
 لقيتهما فانزلا في الرجال وعلجا الفسارح وأبدأهم بالإقدام ، ولا تستهفاهم ،
 فإنهم أكثر منكم ، ولا ترجعا إلىّ حتى تظهرا أو تُقتلا . فتوجّه إبراهيم إلى
 راشد ، وقدّم المختارُ يزيد بن أنس في موضع مسجد شَبَّثَ في تسعة أمتة أمامه .
 وتوجّه نعيم بن هبيرة قبيل شَبَّثَ .

قال أبو مخنف : قال أبو سعيد الصيقل : كنت أنا فيمن توجهت مع نعيم

(١) إمّا لا ، أي إن كنت لاتفعل غير ذلك . (٢) ف : « منها » .

(٣) ف : « خبر » . (٤) ف : « وأتته » .

ابن هيرة إلى شَبَث ومعى سِعْر بن أبى صر الحنفى ، فلما انتهيا إليه قاتلناه ٦٢٣/٢ قتالا شديداً ، فجعل نعيم بن هيرة صعر بن أبى سِعْر الحنفى على الخيل ، ومشى هو فى الرجال فقاتلهم حتى أشرقت الشمس وانبسطت ، فضر بناهم حتى أدخلناهم البيوت ؛ ثم إنَّ شَبَث بن ربيع ناداهم : يا حماة السوء ! بش فرسان الحقائق ^(١) أنتم ! أمينٌ عبيدكم تهريرون ^(٢) أقال : فثابت إليه منهم جماعة ^(٣) فشدَّ علينا وقد نفرقنا فهزمنا ، وصبر نعيم بن هيرة فقتل ، وزل صعر فأسير وأميرت أنا وخليد مولى حسان بن مخلوج ^(٤) ، فقال شَبَث لخليد — وكان وسيماً جسيماً : من أنت ؟ فقال : ^(٥) خليد مولى حسان بن مخلوج اللهل ، فقال له شَبَث : يا بن المتكأ ، تركت بيع الصحناء ^(٦) بالكُناسة وكان جزاء من أعنتك أن تملؤ عليه بسيفك تضرب رقابه ! اضربوا عنقه ، فقتل ، ورأى صعر الحنفى فمَرَّه ، فقال : أخو بنى حنيفة ؟ فقال له : نعم ؛ فقال : ويحك ! ما أردت إلى اتباع هذه السبئية ! قبح الله رأيك ، دعوا ذاك . فقلت فى نفسى : قتل المولى وترك العربى ، إن علم والله إلى مولى قتلنى . فلما عُرِضت عليه قال : من أنت ؟ فقلت : من بنى نيم الله ؛ قال : أعربى أنت أو مولى ؟ فقلت : لا بل عربى ، أنا من آل زياد بن خصمة ، قال : يخ ! يخ ! ذكرت الشريف المعروف ، الحق بأهلك . قال : فأقبلت حتى انتهيت إلى الحمراء ، ٦٢٤/٢ وكانت لى فى قتال القوم بصيرة ، فجئت حتى انتهيت إلى المختار ؛ وقلت فى نفسى : والله لأتبن أصحابي فلا واسينهم بنفسى ، قبح الله العيش بعدهم ! قال : فأتيتهم وقد سبقنى إليهم سِعْر الحنفى ، وأقبلت إليه خيل شَبَث ، وجاءه قتل نعيم بن هيرة ، فدخل من ذلك أصحاب المختار أمر كبير ؛ قال : فدنوت من المختار ، فأخبرته بالذى كان من أمرى ، فقال لى : اسكت ، فليس هذا بمكان الحديث . وجاء شَبَث حتى أحاط بالمختار وبيزيد بن أنس

(١) ف : الحقيقة . (٢) ف : تفرون .

(٣) ف : جماعة منهم .

(٤) ط : يخنج ، والصواب ما أثبت ؛ وانظر الاستبصار ٣٤٧ . (٥) ف : قال .

(٦) المتكأ من النساء : هى التى لم تخفص ؛ وهو من السب عتقم . وفى اللسان : الصحناء بالكسر : إدام يتخذ من السمك ، يعد ويقصر ، والصحناء أنص منه .

وبعث ابن مطيع يزيد بن الحارث بن رؤم في ألفين من قبل مكة لحزام جرير،
فوقموا في أفواه تلك السكك ، وولّى المختار يزيد بن أنس خيله ، وخرج
هو في الرجالة .

قال أبو مخنف : فحدثني الحارث بن كعب الوالي ، والبة الأزدي ، قال :
حملت علينا خيل شبيب بن ربعي حملتين ، فإزول منّا رجل من مكانه ،
فقال يزيد بن أنس لنا : يا معشر الشيعة ، قد كنتم تقتلون وتقطع أيديكم
وأرجلكم ، وتسمّل أعينكم ، وترفحون على جُلوع النخل في حبّ أهل
بيت نبيكم ، وأنتم مقيمون في بيوتكم ، وطاعة عدوكم ، فأظنكم يهولاء
للقوم إن ظهروا عليكم اليوم ! إذا والله لا يدعون منكم عيناً تطرف ،
وليقتلنكم صبراً ، ولتروّن منهم في أولادكم ولزواجكم وأموالكم ما الموت
خير منه ، والله لا ينجيكم منهم إلا الصديق والصبر ، والظعن الصائب في
أعينهم ، والضرب الدّارك^(١) على هامهم . فتيسروا للشدة ، وتهيئوا للحملة ،
٦٢٥/٢ فإذا حرمت رايي مرتين فاحملوا . قال الحارث : فتهيأنا وتيسرنا ، وجشونا
على الرّمسب ، وانتظرنا أمره .

قال أبو مخنف : وحدثني فضيل بن خديج الكندي أن إبراهيم بن الأشتر
كان حين توجه إلى راشد بن إياس ، مضى حتى لقيه في مراد ، فإذا معه
أربعة آلاف ، فقال لإبراهيم لأصحابه : لا يهولنكم كثرة هؤلاء ، فوالله
لربّ رجل خير من عشرة ، ولربّ فئة قليلة قد غلبت فئة كثيرة
بإذن الله والله مع الصّابرين ، ثم قال : يا خزيمه بن نصر ، سرّ إليهم في
الخليل . ونزل هو يمشي في الرجال ، ورايته مع مزاحم بن طمّيل ، فأخذ
إبراهيم يقول له : ازدكف برايتك ، امض بها قدماً قدماً . واقتل الناس ،
فاشدّ قتالهم ، وبصر خزيمه بن نصر العبيّ براشد بن إياس ، فحمل عليه

فقطعه ، فمَشَّكَه ، ثُمَّ نادى : قَتَلْتُ رَاشِدًا وَرَبَّ الكَعْبَةِ . وانهزم أصحابُ رَاشِد ، وأقبل إبراهيمُ بن الأَشْرَ وخزيمَةُ بن نصر وسَن كان معهم بعد قتل رَاشِد نحو المختار ، وبعث النعمانُ بن أبي الجعد يشتر المختار بالفتح عليه ويقتل رَاشِد ، فلما أن جاءهم البشير بذلك كَبُرُوا ، واشتدَّتْ أنفُسُهُمْ ، ودخل أصحاب ابن مطيع الفَشْكَسْ ، وسَرَح ابن مطيع حَسَّان بن فائد بن بكير العيسى في جيش كثيف نحو من أَلْفَيْن . فاعترض إبراهيم بن الأَشْرَ فَوَيْقَ الحمرَاء ليرده عَمَّن في السبْخَةِ من أصحاب ابن مطيع ، فَفَقَدَمَ إبراهيمُ خزيمَةَ بن نصر إلى حَسَّان بن فائد في الخليل ، ومضى إبراهيم نحوهِ في الرجال . فقال :

والله ما اطعناَ بمرح ، ولا اضطررناَ بسيف ، حتَّى انهزموا . وتَخَلَّف حسان بن فائد في أخريات الناس يَحْمِيهِمْ ، وحمل عليه خزيمة بن نصر ، ١٢٦/٢
فلما رآه عرفه ، فقال له : يا حَسَّان بن فائد ، أما والله لولا القربة لعرفت أنى سألتمس قتلَكَ بجهدى ، ولكن النجاء ، فَعَثَرَ بحَسَّانَ فرسه فوقع ، فقال : تَسْأَلُكَ ، أبا عبد الله ! وأبندره الناس فأحاطوا به ، فصارَ بِهِمْ ساعةً بسيفه ، فناداه خزيمة بن نصر ، قال : إِنَّكَ آمَنَ يا أبا عبد الله ، لا تقتل نفسك ، وجاء حتَّى وقف عليه ونَهَنَهُ الناسُ عنه ، ومرَّ به إبراهيم ، فقال له خزيمة : هذا ابن عمِّى وقد آمَنته ؛ فقال له إبراهيم : أَحَسَنْتَ ، فأمر خزيمة بطلب فرسه حتَّى أتى به ، فَحَمَلَهُ عليه ، وقال : الحق بأهلك .

قال : وأقبل إبراهيم نحو المختار ، وشبَّت محيط بالمختار ويزيد بن أنس ، فلما رآه يزيد بن الحارث وهو على أفواه سِكَك الكوفة الَّتِي تلى السَّبْخَةِ ، وإبراهيم مقبل نحو شبَّت ، أقبل نحوَه ليصدَّه عن شبَّت وأصحابه ، فبعث إبراهيم طائفةً من أصحابه مع خزيمة بن نصر ، فقال : أَغْنِ عَنَّا يزيد بن الحارث : وصمَد هو في بقيَّة أصحابه نحو شبَّت بن ربِيعى .

قال أبو مخنف : فحدثنى الحارث بن كعب أن إبراهيم لما أقبل نحونا رأينا شيئاً وأصحابه ينكصون وراءهم رويداً رويداً ، فلما دنا إبراهيم من شبَّت وأصحابه : حمل عليهم : وأمرنا يزيد بن أنس بالحملة عليهم ،

فحملناهم ، فانكفوا حتى انتهوا إلى أبيات الكوفة ، وحمل خزيمة ابن نصر على يزيد بن الحارث بن رويم فهزمه ، وازدحموا على أفواه السكك ، وقد كان يزيد بن الحارث وضع رامية على أفواه السكك فوق البيوت ، وقبيل المختار في جماعة الناس إلى يزيد بن الحارث ، فلما انتهى أصحاب المختار إلى أفواه السكك رمته تلك الرامية^(١) بالنبل ، فصدّوهم عن دخول الكوفة من ذلك الوجه ، ورجع الناس من السبّخة متوجهين إلى ابن مطيع ، وجاءه قتل ويشد بين الراس ، فأسقط في يده .

قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن هاشم قال : قال عمرو بن الحجاج الزبيدي لابن مطيع : أيها الرجل لا يسقط في خلدك ، ولا تلحق بيدك ، أخرج إلى الناس فاندبهم إلى عدوك فاغزوهم ، فإن الناس كثير عدوهم ، وكلهم ملك إلا هذه الطاغية التي خرجت على الناس ، والله غزينا وشهدنا ، وأنا لو كنت متدب ، فاندب معي طائفة ، ومع غيري طائفة . قال : فخرج ابن مطيع ، فقام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إن من أعجب العجائب عجزكم عن عصية منكم قليل عدوها ، خبيث دينها ، ضالة مضلة . اخرجوا إليهم فامنوا منهم حريمكم وقتلواهم عن مصركم ، وامنوا منهم فبئسكم ، وإلا والله ليشارككم في فبئسكم من لا حق له فيه . والله لقد بلغني أن فيهم خمسمائة رجل من محرريكم عليهم أمير منهم ، وإنما ذهاب عزكم وسلطانكم وتغير دينكم حين يكثرون . ثم نزل .

قال : ومنهم يزيد بن الحارث أن يدخلوا الكوفة . قال : ومضى المختار من السبّخة حتى ظهر على الجبّاة ، ثم ارتفع إلى البيوت ، بيوت مزينة وأحسن وبارق ، فنزل عند مسجدهم وبيوتهم ، وبيوتهم شاذة منفردة من بيوت أهل الكوفة ، فاستقبلوه بالماء ، فسقى أصحابه ، وأبى المختار أن يشرب . قال : فظن أصحابه أنه صائم ، وقال أحمر بن هديج من حمدان

(١) ف : « الرامية » .

لابن كامل : أتري الأميرة صائماً ؟ فقال له : نعم ، هو صائم ، فقال له : فلو أنه كان في هذا اليوم مفطراً كان أقوى له ؛ فقال له : إنه مصوم ، وهو أعلم بما يصنع ؛ فقال له : صلقت ، استغفر الله . وقال المختار : نعم مكان المقاتل هذا ، فقال له : لإبراهيم بن الأشتر : قد هزمهم الله وملكهم ، وأدخل الرعب قلوبهم ، وتنزل هاهنا سيرتنا ؛ فوالله ما دون القصر أحد يمنع ، ولا يمنع كبير امتناع ؛ فقال المختار : ليقيمها هنا كلى شيخ ضعيف وذى علة ، وضعوا ما كان لكم من ثقل وسلاح بهذا الموضع حتى تسيروا إلى عدوكم . فقبلوا ، فاستخلف المختار عليهم ثانياً عثمان التمهدي ، وقدم إبراهيم بن الأشتر أمامه ، وعبى أصحابه على الخال التي كانوا عليها في السبعة .

قال : وبعث عبد الله بن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفي رجل ، فخرج عليهم من سكة الثوريين ، فبعث المختار إلى إبراهيم أن اطوه ولا تقم عليه . فطواه إبراهيم ، ودعا المختار يزيد بن أنس ، فأمره أن يصمد لعمرو بن الحجاج ، ففسي نحوه ، وذهب المختار في أثر إبراهيم ، ففصروا جميعاً حتى إذا انتهى المختار إلى موضع مصلّى خالد بن عبد الله وقف ، وأمر إبراهيم أن يمضي على وجهه حتى يدخل الكوفة من قبيل الكناسه ، فمضى ، فخرج إليه من سكة ابن عمرز ، وأقبل شمر بن ذي الجوشن في ألفين ، فسرّح المختار إليه سعيد بن منقذ الحميداني فواقعه ، وبعث إلى إبراهيم أن اطوه ، وامض ٦٢٩/٢ على وجهك . فمضى حتى انتهى إلى سكة شيب ، وإذا ^(١) نوفل بن مساحق بن عبد الله بن عزيمة في نحو من ألفين - أو قال : خمسة آلاف . وهو الصحيح - وقد أمر ابن مطيع سويد بن عبد الرحمن فنادى في الناس : أن الحقوا بابن مساحق . قال : واستخلف شيب شيبين ربيعي على القصر ، وخرج ابن مطيع حتى وقف بالكناسه .

قال أبو مخنف ^(٢) : حدثني حصيرة بن عبد الله ، قال : إني لأنظر إلى ابن الأشتر حين أقبل في أصحابه ، حتى إذا دنا منهم قال لهم : انزلوا ، فزولوا ، فقال :

(١) ف : « فإذا » .

(٢) يسطاف : ف : « لوط بن يحيى » .

قربوا خيولكم بعضها إلى بعض ، ثم امشوا إليهم مصليتين بالسيوف ، ولا يهولنكم أن يقال : جاءكم شَيْبَت بن رُبَيْع وآل عَتِيبَةَ بن النُّشَاس وآل الأشعث وآل فلان وآل يزيد بن الحارث ... قال : فسَمَّى بيوتات من بيوتات أهل الكوفة ، ثم قال : إن هؤلاء لو قد وجدوا لهم حرَّ السيوف قد انصفقوا عن ابن مطيع انصفاق المِعْزَى عن الذئب . قال حصيرة : فلنظر إليه وإلى أصحابه حين قربوا خيولهم وحين أخذ ابن الأشتر أسفل قبائله فرفعه فأدخله في منطقة له حمراء من حواشي البرود ، وقد شدَّ بها على القباء ، وقد كسَّر بالقباء على الدرع ، ثم قال لأصحابه : شدُّوا عليهم فدعى لكم عَمِي وخالي ! قال : فوالله ما لبثتهم أنْ هَزَمَهُمْ ؛ فركب بعضهم بعضاً على فم السَّكَّة وازدحموا ، وانتهى ابنُ الأشتر إلى ابن مساحق ، فأخذ بلبجام دابَّته ، ورفع السيفَ عليه ، فقال له ابن مساحق : يا ابن الأشتر ، أنشدك الله ، أنطَلُبُنِي بئراً ! هل بيني وبينك من إحنة ! فخلَّى ابنُ الأشتر سبيله ، وقال له : اذكُرْها ؛ فكان بعد ذلك ابن مساحق يذكُرُها لابن الأشتر ، وأقبلوا يسرون حتَّى دخلوا الكُنُاسَة في آثار القوم حتَّى دخلوا السوق والمسجد ، وحصروا ابن مطيع ثلاثاً .

قال أبو مخنف : وحدثني النَّضَر بن صالح أن ابن مطيع مكث ثلاثاً ، يرزُق أصحابه في القَصْر حيث حُصِرَ الدقيق ، ومعه أشرف الناس ، إلا ما كان من عمرو بن حريث ، فإنه أتى دارَه ولم يلزم نفسه الحصارَ ، ثم خرج حتَّى نزل البرّ ، وجاء المختار حتَّى نزل بجانب السوق ، وولّى حصار القصر إبراهيم بن الأشتر ، ويزيد بن أنس ، وأحمر بن شُميْط ، فكان ابن الأشتر ممّاً إلى المسجد وباب القصر ، ويزيدُ بن أنس ممّاً إلى بني حذيفة وسكّة دار الروميين ، وأحمر بن شُميْط ممّاً إلى دار عمارة ودار أبي موسى . فلماً اشتدَّ الحصار على ابن مطيع وأصحابه كلَّهم الأشراف ، فقام إليه شَيْبَت فقال : أصلح الله الأمير ! انظرْ لنفسك ولنْ مَعَكَ ، فوالله ما عندهم غنَاء عنكَ ولا عن أنفسهم . قال ابن مطيع : هاتوا ، أشيروا على برأيكم ؛

قال شَبَّثَ : الرأى أن تأخذ لنفسك من هذا الرجل أماناً ولنا ، ونخرج ولا تُهلك نفسك ومن معك . قال ابن مطيع : والله إني لأكره أن آخذ منه أماناً والأمر مستقيمة لأمر المؤمنين بالحِجَاز كله وبأرض البصرة ؛ قال : ٦٣١/٢
فخرج لا يشعر بك أحد حتى تنزل منزلاً بالكوفة عند من تستصيححه وتسبق به ، ولا يعلم بمكانك حتى تخرج فتلتحق بصاحبك ؛ فقال لأسماء بن خارجة وعبد الرحمن بن مخنف وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس وأشراف أهل الكوفة : ما ترون في هذا الرأي الذى أشار به على شَبَّثَ ؟ فقالوا : ما نرى الرأى إلا ما أشار به عليك ، قال : فريداً حتى أمسى .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو المغلس الليثي ، أن عبد الله بن عبد الله الليثي أشرف على أصحاب المختار من القصر من العشي يشتمهم ، ويتنحى له مالك بن عمرو أبو نمران^(١) النهدي يسهم ، فيمر بحلقه ، فقطع جلدة من حلقه قال فوق ؛ قال : ثم إنه قام وبرأ بعد ؛ وقال النهدي حين أصابه : خذها من مالك ، من فاعل كذا .

قال أبو مخنف : وحدثني النضر بن صالح ، عن حسان بن فائد بن بكير ، قال : لما أمسينا في القصر في اليوم الثالث ، دعانا ابن مطيع ، فذكر الله بما هو أهله . وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وقال : أما بعد ، فقد علمت الذين صنعوا هذا منكم من هم ؛ وقد علمت أنما هم أراذل لكم وسفهاؤكم وطغماؤكم وأخسأؤكم ، ما عدا الرجل أو الرجلين ، وأن أشرافكم وأهل الفضل منكم لم يزالوا سامعين مطيعين مناصحين ، وأنا مبلغ ذلك صاحبي ، ومعلمه طاعتكم وجهادكم عدوه ، حتى كان الله الغالب على أمره ، وقد كان ٦٣٢/٢
من رأيكم وما أشرتم به على ما قد علمتم ، وقد رأيت أن أخرج الساعة . فقال له شَبَّثَ : جزاك الله من أمير خيراً ! فقد والله عفت عن أموالنا ، وأكرمت أشرافنا ، ونصحت لصاحبك ، وقضيت الذى عليك ، والله ما كنا لنفارقك أبداً إلا ونحن منك في إذن ، فقال : جزاكم الله خيراً ، أخذ امرؤ حيث أحب ، ثم خرج من نحو دروب الروميين حتى أتى دار أبى موسى ، وخلق القصر ، وفتح أصحابه

الباب، فقالوا : يا بن الأشر ، آمنون نحن ؟ قال : أنتم آمنون ، فخرجوا فبايعوا المختار .

قال أبو مخنف : فحدثني موسى بن عامر العدوي ، من على جبهته - وهو أبو الأشعر - أن المختار جاء حتى دخل القصر ، فبات به ، وأصبح أشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر ، وخرج المختار فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، فقال : الحمد لله الذي وعد وليه النصر ، وعلوه الخسر ، وجعله فيه إلى آخر الدهر ، وعداً مفعولاً ، وقضاءً مقضياً ، وقد خاب من افترى . أيها الناس ، إنّه رفعت لنا راية ، ومُدّت لنا غاية ، فقبل لنا في الـراية : أن ارفعوها ولا تَضَعوها ، وفي الغاية : أن اجبروا إليها ولا تحلبوها ، فسمعنا دعوة الداعي ، ومقالة الواصي ، فكم من فاع وناحية ، لقتل في الواعية ! وبعدكم لمن طغى وأدبر ، وصحى وكذّب وتولّى ، ألا فادخلوا أيها الناس فبايعوا بيعة هدى ، فلا واللّٰه يجعل السّاء سقفاً مكفوناً ، والأرض فجاجاً سبّلاً ، ما بايعتم بعد بيعة علىّ بن أبي طالب وآل علىّ أهدى منها .

١٣٢/٢ ثمّ " نزل فدخل ، ودخلنا عليه وأشراف الناس ، فبسّط يده ، وابتدعه (١) الناس فبايعوه ، وجعل (٢) يقول : تبايعوني على كتاب الله وسنة نبيه ، والطلب بدماء أهل البيت ، وجهاد الْمُحِلِّين ، والدفع عن الضّعفاء ، وقتال مَنْ قاتلنا ، وسلم مَنْ سألنا ، والوفاء ببيعتنا ، لا تفيلكم ولا تستفيلكم ؛ فإذا قال الرجل : نعم ، بايعته . قال : فكأنّي والله أنظر إلى المنذر بن حسان بن ضِرار الضبيّ إذ أتاه حتّى سلّم عليه بالإمرة ، ثمّ بايعه وانصرف عنه ، فلما خرج من القصر استقبل سعيد بن منقذ الثوريّ في عصابة من الشيعة واقفاً عند المصطبة ، فلما رأوه ومعهم ابنته حيّان بن المنذر ، قال رجل من صفهائهم : هذا والله من رهوس الجبّارين ، فشَدُّوا عليه وعلى ابنته ، فقتلوهما ، فصاح بهم سعيد بن منقذ : لا تَجْعَلُوا ، لا تَجْعَلُوا حتّى ننظر ما رأى أميركم فيه . قال : وبلغ المختار ذلك ، فكرهه حتّى رُئِيَ ذلك في وجهه ، وأقبل المختار يمتنّي الناس ، ويستجِرّ مودّتهم ومودة الأشراف ، ويُحسِن السيرة بجُهدِهِ .

(١) ف : « وابتدعه » . (٢) ا : ف : « فبذل » .

قال : وجاءه ابن كامل فقال للمختار ، أعلمتَ أنَّ ابن مطيع في دار أبي موسى ؟ فلم يُجبه بشيء ، فأعادها عليه ثلاثَ مرَّات فلم يُجبه ، ثمَّ أعادها فلم يُجبه ، فظنَّ ابن كامل أنَّ ذلك لا يوافقه ، وكان ابن مطيع قبلُ للمختار صديقاً ، فلما أمسى بعث إلى ابن مطيع بمائة ألف درهم ، فقال له : تجهَّزْ بهذه واخرج ؛ فإنِّي قد شعرتُ بمكانك ، وقد ظننتُ أنَّه لم يمنعك من الخروج إلَّا أنَّه ليس في يديك ما يقويك على الخروج . وأصاب ٦٣٤/٢ المختار تسعة آلاف ألف في بيت مال الكوفة ، فأعطى أصحابه الذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع في القصر - وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة ^(١) رجل - كلَّ رجل خمسمائة درهم خمسمائة درهم . وأعطى سنة آلاف من أصحابه أثنوه بعد ما أحاط بالقصر ، فأقاموا معه تلك الليلة وتلك الثلاثة الأيام حتَّى دخل القصر مائتين مائتين ، واستقبل الناس بخير ، ومنَّاهم العدل وحسن السيرة ، وأدنى الأشراف ، فكانوا جلساءه وحُدَّائِه ، واستعمل على شُرْطته عبد الله بن كامل الشَّاكِرِي ، وعلى حرسه كيسان أبا عمَّرة مولى عُرينة ؛ فقام ذات يوم على رأسه ، فرأى الأشراف يحدثونه ، ورآه قد أقبل بوجهه وحديثه عليهم ، فقال لأبي عمَّرة بعضُ أصحابه من الموالي : أما ترى أبا إسحاق قد أقبل على العرب ما ينظر إلينا ! فدعاه المختار فقال له : ما يقول لك أولئك الذين رأيتهم يكلِّمونك ؟ فقال له - وأسرَّ إليه : شقَّ عليهم أصلحك الله صرَّفَكَ وجهك عنهم إلى العرب ، فقال له : قُلْ لهم : لا يشقنَّ ذلك عليكم ، فأنتم مني وأنا منكم . ثمَّ سكت طويلاً ، ثمَّ قرأ : ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾ ^(٢) . قال : فحدثني أبو الأشعر موسى بن عامر قال : ما هو إلَّا أن سمعها الموالي منه ، فقال بعضهم لبعض : أبشروا ، كأنكم والله به قد قتلهم .

قال أبو مخنف : حدثني حصيرة بن عبد الله الأزدي وفُصِّل بن خديج الكندي والنضر بن صالح العبسي ، قالوا : أوَّل رجل عقد له المختار

(١) ف : « وثمانمائة » .

(٢) سورة السجدة : ٢٢ .

١٣٥/٢ راية عبد الله بن الحارث أخو الأشتر، عَقَدَ لَهُ على أرمينية، وبعث محمد ابن عمير بن عطاود على آذربيجان، وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل، وبعث إسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جُوسَجِي، وبعث قدامة بن أبي عيسى بن ربيعة النصري، وهو حليف لثقيف على بهقباد الأعلى، وبعث محمد بن كعب بن قَرْظَةَ على بهقباد الأوسط، وبعث حبيب بن منقذ الثوري على بهقباد الأسفل، وبعث سعد بن حذيفة بن اليمسّان على حلوان، وكان مع سعد بن حذيفة ألفاً فارس بحلوان. قال: ورزقه ألف درهم في كل شهر، وأمره بقتال الأكراد، وإقامة الطرق، وكتب إلى عمّاله على الجبال يأمرهم أن يحملوا أموال كُورهم إلى سعد بن حذيفة بحلوان، وكان عبد الله بن الزبير قد بعث محمد بن الأشعث بن قيس على الموصل، وأمره بمكاتبة ابن مطيع وبالسّمع له والطاعة، غير أن ابن مطيع لا يقدر على عزله إلّا بأمر ابن الزبير، وكان قبل ذلك في إمارة عبد الله بن يزيد، وإبراهيم بن محمد منقطعاً بإمارة الموصل، لا يكتب أحدًا دون ابن الزبير.

فلما قدم عليه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس من قبيل المختار أميراً تنحى له عن الموصل، وأقبل حتى نزل تكريت، وأقام بها مع أناس من أشراف قومه وغيرهم، وهو معتزل ينظر ما يصنع الناس، وإلى ما يصير أمرهم، ثم شخص إلى المختار فبايع له^(١)، ودخل فيما دخل فيه أهل بلده.

١٣٦/٢ قال أبو مخنف: وحدّثني صلة بن زهير النّهدي، عن مسلم بن عبد الله الضّبّائي، قال: لمّا ظهر المختار واستمكن، ونفى ابن مطيع وبعث عمّاله، أقبل يجلس للناس غلوة^(٢) وعشيّة، فيقضي بين الخصمين، ثم قال: والله إن لي فيما أراول وأحاول لشغلا عن القضاء بين الناس، قال: فأجلس للناس شريحا، وقضى بين الناس، ثم إنّه خافهم فتأرّص، وكانوا يقولون: إنّه عياني، وإنّه ممن شهد على حجر بن عدى، وإنّه لم يبلغ عن هاني ابن عروة ما أرسله به — وقد كان على بن أبي طالب عزّله عن القضاء — فلما

(١) ف: «فبايعه».

(٢) ف: «بكرة».

أن سمع بذلك ورآهم يَنتُمونه وَيُسَلِّدونَ إليه مثلَ هذا القولِ تَمَارَضَ ، وجعل المختارُ مكانه عبدُ الله بن عتبة بن مسعود . ثمَّ إِنَّ عبد الله مرضَ ، فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي قاضياً .

قال مسلم بن عبد الله : وكان عبد الله بن همام سمع أبا عمرة يذكر الشيعة وينال من عثمان بن عفان ، فقتلته بالسوط ، فلما ظهر المختار كان معتزلاً حتى استأمنَ له عبدُ الله بن شداد ، فجاء إلى المختار ذات يوم فقال :

أَلَا انْتَسَأْتَ بِالوُدِّ عَنْكَ وَأَذْبَرْتَ
وَحَمَلَهَا وَأَشْرَ سَعَى غَيْرِ مُؤْتَلٍ
فَخَفَضَ عَلَيْكَ الشَّانَ لَا يُرِيدُكَ الْهَوَى
وَفِي لَيْلَةِ الْمُخْتَارِ مَا يُذْهِلُ الْفَتَى
دَعَا بِالنَّارَاتِ الْحُسَيْنِ فَأَقْبَلَتْ
وَمِنْ مَنَاجِجِ جَاءَ الرَّئِيسُ ابْنُ مَالِكٍ
وَمِنْ أَسَدٍ وَاقَى يَزِيدُ لِنَصْرِهِ
وَجَاءَ نَعِيمٌ خَيْرُ شَيْبَانَ كُلِّهَا
وَمَا ابْنُ شَمِيطٍ إِذْ يَحْرُضُ قَوْمَهُ
وَلَا قَيْسُ نَهْدٍ لَا وَلَا ابْنُ هَوَازِنٍ
وَسَارَ أَبُو النُّعْمَانِ لِلَّهِ سَعِيَهُ
بِخَيْلٍ عَلَيْهَا يَوْمَ هَنَاجَا دُرُوعَهَا
فَكَرَّ الْخَيْلُ كَرَةً ثَقِفَتْهُمْ
فَوَلَّى بِضَرْبٍ يَشْدُخُ الْهَامَ وَقَعَهُ
فَحُوصِرَ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ بِائِثِيَا
فَمَنْ وَزِيرُ ابْنِ الْوَصِيِّ عَلَيْهِمْ

مُعَالِنَةً بِالْهَجَرِ أَمْ سَرِيعٌ (١)
فَأُبْتُ بِهِمْ فِي الْقَوَادِ جَمِيعٌ
فَلَيْسَ انْتِقَالُ خُطَّةٍ بِبَيْعِ
وَيُلْهِمُهُ عَنِ رُؤْدِ الشُّبَابِ شُمُوعُ
كَتَابُ مِنْ هَمْدَانَ بَعْدَ هَزِيعِ
يَقُودُ جُمُوعاً عُيِّيَتْ بِجُمُوعِ
بِكُلِّ فَتَى حَامِي الذَّمَارِ مَنِيعِ
بِأَمْرِ لَدَى الْهَيْجَا أَحَدٌ جَمِيعِ
هَنَّاكَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا بِمُضْغِيعِ
وَكُلُّ أَخُو إِنْخِبَانَةٍ وَخُشُوعِ
إِلَى ابْنِ إِيَّاسٍ مُضْجِرًا لِقُوعِ
وَأُخْرَى حُسُورًا غَيْرَ ذَاتِ دُرُوعِ
وَشَدُّ بُلُولَاهَا عَلَى ابْنِ مُطْبِيعِ
وَطَعْنِ غَدَاةَ السُّكْتَنِ وَجِيعِ
بِذُلِّ وَإِرْغَامٍ لَهُ وَخُضُوعِ
وَكَانَ لَهُمْ فِي النَّاسِ خَيْرٌ شَفِيعِ

١٣٧/٢

١٣٨/٢

وَأَبَّ الْهَدْيَ حَقًّا إِلَى مُسْتَقَرِّهِ بِخَيْرٍ لِأَبِي آبَةَ وَرُجُوعٍ
إِلَى الْهَاشِمِيِّ الْمُهْتَدِي الْمُهْتَدِي بِهِ فَنَحْنُ لَهُ مِنْ سَامِعٍ وَمَطِيعٍ
قَالَ : فَلَمَّا أَنْشَدَهَا الْمُخْتَارَ قَالَ الْمُخْتَارُ لِأَصْحَابِهِ : قَدْ أَتَيْتِي عَلَيْكُمْ كَمَا
تَسْمَعُونَ ، وَقَدْ أَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَيْكُمْ ، فَأَحْسِنُوا لَهُ الْجَزَاءَ . ثُمَّ قَامَ الْمُخْتَارُ ،
فَدَخَلَ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : لَا تَبْرَحُوا حَتَّى أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ ؛ قَالَ : وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ شَدَّادِ الْجُشَمِيِّ : يَا بَنِي هِمَامَ : إِنَّ لَكَ عِنْدِي فَرَسًا وَمُطَرَفًا ، وَقَالَ
قَيْسُ بْنُ طَهْفَةَ النَّهْدِيُّ - وَكَانَتْ عِنْدَهُ الرِّبَابُ بِنْتُ الْأَشْعَثِ : فَإِنْ لَكَ عِنْدِي
فَرَسًا وَمُطَرَفًا ، وَاسْتَحْيَا أَنْ يُعْطِيَهُ (صَاحِبُهُ شَيْئًا لَا يُعْطِيهِ مِثْلُهُ ، فَقَالَ) ٦٣٩/٢
لِيزِيدِ بْنِ أَنَسٍ : فَمَا تُعْطِيهِ ؟ فَقَالَ يَزِيدُ : إِنْ كَانَ ثَوَابُ اللَّهِ أَرَادَ بِقَوْلِهِ فَمَا عِنْدَ
اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ ، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا اعْتَرَى بِهَذَا اتَّقُولُ أَمْوَالِنَا ، فَوَاللَّهِ مَا فِي أَمْوَالِنَا
مَا يَسَعُهُ ؟ قَدْ (٢) كَانَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ عَطَائِي بِقِيَّةٍ فَقَوِيَّةٌ بِهَا إِخْوَانِي ؛ فَقَالَ
أَحْمَرُ بْنُ شُمَيْطٍ مِبَادِرًا لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَكَلِّمُوهُ : يَا بَنِي هِمَامَ ، إِنْ كُنْتُ أَرَدْتُ
بِهَذَا الْقَوْلِ وَجْهَ اللَّهِ فَاطْلُبْ ثَوَابَكَ مِنَ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتُ إِنَّمَا اعْتَرَيْتَ بِهِ رِضَا
النَّاسِ وَطَلَبَ أَمْوَالَهُمْ ، فَاكْدِمِ الْجَنْدَلَ ؛ فَوَاللَّهِ مَا مَنَّ قَالَ قَوْلًا لغيرِ اللَّهِ فِي
غَيْرِ ذَاتِ اللَّهِ بِأَهْلٍ أَنْ يُنْحَلَ ، وَلَا يُوصَلَ ؛ فَقَالَ لَهُ : عَضَضْتُ بِأَيْرِ أَبِيكَ !
فَرَفَعَ يَزِيدُ بْنُ أَنَسٍ السُّوطَ وَقَالَ لِبَنِي هِمَامَ : تَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ يَا فَاسِقُ !
وَقَالَ لِبَنِي شُمَيْطٍ : اضْرِبْهُ بِالسَّيْفِ ، فَرَفَعَ ابْنُ شُمَيْطٍ عَلَيْهِ السَّيْفَ (٣) وَوَثَبَ
وَوَثَبَ أَصْحَابُهُمَا يَتَفَلَّتُونَ عَلَى ابْنِ هِمَامَ . وَأَخَذَ بِيَدِهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْثَرِ فَأَلْقَاهُ
وَرَاءَهُ ، وَقَالَ : أَنَا لَهُ جَارٌ ، لِمَ تَأْتُونَ إِلَيْهِ مَا أَرَى ! فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَوَاصِلُ الْوَلَايَةِ ،
رَاضٍ بِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ ، حَسَنَ الثَّنَاءِ ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَكْفُتُوهُ بِحَسَنِ ثَنَائِهِ ، فَلَا تَشْتَمُوا
عَرْضَهُ ، وَلَا تَسْفِكُوا دَمَهُ . وَوُثِبَ مَذْحِجٌ فَحَالَتْ دُونَهُ ، وَقَالُوا :
أَجَارَهُ ابْنُ الْأَشْثَرِ ، لَا وَاللَّهِ لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ . قَالَ : وَسَمِعَ لَسَاطَتَهُمُ
الْمُخْتَارَ (٤) ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَيْهِمْ ، أَنْ اجْلِسُوا ، فَجَلَسُوا ، فَقَالَ لَهُمْ :
٦٤٠/٢ إِذَا قِيلَ لَكُمْ خَيْرٌ فَأَقْبِلُوهُ ، وَإِنْ قُدِرَ عَلَيْكُمْ مَكَا فَاةٌ فَافْعَلُوا ، وَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا

(١ - ١) ف : « دُونَ عَطِيَّةٍ صَاحِبِهِ وَقَالَ » . (٢) ف : « وَقَدْ » .

(٣) ف : « السَّيْفُ عَلَيْهِ » .

على مكافأة فتصوّلوا ، واتقوا لسانَ الشاعر . فإن شره حاضر . وقوله فاجر ، وسعيه بائر ، وهو بكم غداً غادر . فقالوا^(١) : أفلا تقتله ؟ قال : إنّنا قد آمنّاه وأجرناه . وقد أجاره أخوكم إبراهيم بن الأشتر ، فجلس مع الناس . قال : ثمّ إنّ إبراهيم قام فانصرف إلى منزله فأعطاه ألفاً وقرساً ومطرقاً فرجع بها وقال : لا والله ، لا تجاوزت هؤلاء أبداً . وأقبلت هوازنٌ وغضبت واجتمعت في المسجد غضباً لابن همام . فبعث إليهم المختار فسألهم أن يصفحوا عمّا اجتمعوا له ، ففعلوا . وقال ابن همام لابن الأشتر يمدحه :

أطفأ عني نَارَ كَلْبَيْنِ أَلْبَا على الكلابِ ذُو الفِعالِ ابنُ مالِكِ
فتى حينَ يَلْقَى الخيلَ يَفْرُقُ بينها بطنِ دِرّاكٍ أو بضربِ مُوَأشِكِ
وقد غَضِبْتَ لى مِنْ هِوازَنَ عَصْبَةٍ طولُ الدُّرّا فيها عراضِ المَبَارِكِ
إذا ابنُ شَمِيطٍ أو يزيدُ تعرّضا لها وَقَعًا في مُسْتَحارِ المِهاالِكِ^(٢) ٦٤١/٢
وَتَبَيْتُمْ عَلَيْنَا يَا مَوَالِي طَبِئِي مع ابنِ شَمِيطٍ شَرْمَاشٍ وَرَاتِكِ^(٣)
وأعظمَ دِيَارٍ على اللَّهِ فِرْيَةً وما مُفَتِّرٍ طاعِ كَأَخَرِ نَاسِكِ
فيا عَجَباً مِنْ أَحْمَسَ ابْنِ أَحْمَسٍ^(٤) تَوَثَّبُ حَوْلِي بِالْقِنَا والتَّيْازِكِ^(٥)
كَأَنَّكُمْ فِي العِزِّ قَيْسٌ وَخُثْعُمٌ وهل أنتمُ إِلَّا لَثَامُ عَوَارِكِ^(٦)
وأقبل عبد الله بن شدّاد من الغد فجلس في المسجد يقول : علينا توثبُ
بنو أسد وأحمس ! والله لا نرضى بهذا أبداً . فبلغ ذلك المختار ، فبعث إليه
فدعاه ، ودعا يزيد^(٧) بن أنس وبابن^(٨) شميطة ، فحمّد الله وأثنى عليه
وقال^(٨) : يا ابن شدّاد ، إنّ الدّدي فعلت نَزْعَةً من نَزَعَاتِ الشيطان ، فكتب
إلى الله ، قال : قد تَبَيّت ، وقال : إنّ هذين أخواك ، فأقبل إليهما ، وأقبل
منهما ، وهب لي هذا الأمر : قال : فهو لك . وكان ابن همام قد قال قصيدة

(١) ف : « قالوا » . (٢) ف : « موبقات المِهاالك » .

(٣) الرتك : مشية فيها اهتزاز . (٤) ف : « وما عجب » .

(٥) ف : « تولت قتال » . (٦) ف : « وما أنتم غير الإياء العوارك » .

(٧) ف : « يزيد » . (٨) ف : « وابن » . (٨) ف : « ثم قال » .

أخرى في أمر المختار ، فقال :

أضحت سُلَيْمَى بعدَ طولِ عِتَابٍ وَتَجَرَّمُ وَنَقَادِ غَرِبِ شَبَابٍ
قد أَرْمَعَتْ بِصِرْمَتِي وَتَجَنَّبِي ^(١) وَهَوَّكِ مَدَّ ذَاكَ فِي إِعْتَابِ ^(٢)
لَمَّا رَأَيْتُ الْقَصْرَ أَعْلَقَ بَابُهُ وَتَوَكَّلْتُ هَمْدَانُ بِالْأَسْبَابِ ^(٣)
وَرَأَيْتُ أَصْحَابَ الدَّقِيقِ كَأَنَّهُمْ ^(٤) حَوْلَ الْبُيُوتِ ثَعَالِبُ الْأَسْرَابِ ^{٦٤٢/٢}
وَرَأَيْتُ أَبْوَابَ الْأَزَقَةِ حَوْلَنَا دَوْبَتْ بِكُلِّ هِرَاوَةٍ وَذِيَابِ
أَيَقُنْتُ أَنَّ خَيْلَ شِيعَةٍ رَاشِدٍ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا قَيْشٌ أُبَيْرِ ذِيَابِ

[ذكر الخبر عن أمر المختار مع قَتْلَةِ الحسين بالكوفة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وثب المختارُ بمن كان بالكوفة ^(٥) من قَتْلَةِ الحسين والمشايخين على قتله ، فقتل من قَدَّرَ عليه منهم ، وهرب من الكوفة بعضهم ، فلم يقتل عليه .

• ذكر الخبر عن سبب وثوبه بهم وتسمية مَنْ قتل منهم وَمَنْ هرب فلم يقتل عليه منهم :

وكان سبب ذلك - فيما ذكره هشام بن محمد ، عن عوانة بن الحكم - أن مَرْوَانَ بن الحكم لما استوسقت له الشَّامُ بالطَّاعَةِ ، بعث جيشين أحدهما إلى الحجاز عليه حُبَيْشُ بن دُلْجَةَ القَيْنِي - وقد ذكرنا أمره وخبر مهلكه قبل - والآخر منهما إلى العراق عليهم عبيد الله بن زياد - وقد ذكرنا ما كان من أمره وأمر التَّوَّابِينَ من الشيعة بعَيْنِ الْوَرْدَةِ - وكان مَرْوَانُ جعل لعبيد الله بن زياد إذ وجَّهه إلى العراق بما غلب عليه ، وأمره أن يَنْهَبَ الكوفة إذا هو ظفر بأهلها ثلاثاً . ^{٦٤٣/٢}

قال عوانة : فرَّ بأرض الجزيرة فاحتبس بها وبها قيسُ عَيْلَانَ ^(٦) على

(١) ف : « هجرى وطول تجنبي » . (٢) ف : « لا تمجان قلت من أصحابي » .

(٣) ف : « وتعلقت همدان بالواب » . (٤) ف : « أصحاب البيوت » .

(٥) ف في الكوفة » . (٦) ا : « قيس بن عيلان » .

طاعة ابن الزبير ، وقد كان مروانُ أصاب قيساً يومَ مَرَجٍ رَاهِطٍ
وهم مع الضمَّحَاكُ بن قيس غالفين على مروان ، وعلى ابنه عبد الملك من بعده ،
فلم يزل عبید الله مشتغلاً بهم عن العراق نحواً من سنة . ثمَّ إِنَّهُ أَقْبَلَ إِلَى
الموصل ، فكتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس عاملُ المختار على الموصل إلى
المختار : أما بعد ، فإني أخبرك أيها الأمير أنَّ عبید الله بن زياد قد دخل أرضَ
الموصل ، وقد وجَّه قَيْسَ خَيْلَهُ ورجاله ، وأنى انحضرت إلى تَكْرِيتٍ حتَّى
يَأْتِيَنِي رَأْيُكَ وَأَمْرُكَ ، والسلام عليك .

فكتب إليه المختار : أمَّا بعد ، فقد بلغني كتابُكَ ، وفهمتُ كلَّ ما ذكرتَ
فيه ، فقد أصبحتُ بانهيازك إلى تكريت ، فلا تبرحنَّ مكانك الَّذِي أَنْتَ به
حتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، والسلام عليك .

قال هشام ، عن أبي مخنف : حدثني موسى بن عامر ، أنَّ كتاب
عبد الرحمن بن سعيد لمَّا ورد على المختار بعث إلى يزيد بن أنس فدعاه ،
فقال له : يا يزيدُ بن أنس ، إِنَّ العالمَ ليس كالجاهل ، وإنَّ الحقَّ ليس
كالباطل ، وإني أخبرك خبر من لم يكذب ولم يكذب ، ولم يُخَالِفْ ولم يرتب ،
وإنَّ المؤمنين الميامين ، الغالبون المساليم ، وإنَّكَ صاحب الخيل التي تجرُّ
جِيعَها ، وتضفر أذنانها ، حتَّى تُوردها منابتَ الزيتون ، غائرةٌ عيونُها ،
لاحقةٌ بطونُها . اخرج إلى الموصل حتَّى تنزلَ أدانيها^(١) ، فإني ممدِّك
بالرجال بعد الرجال . فقال له يزيد بن أنس : سرَّحْ معي ثلاثة آلاف فارس ٦٤٤/٢
أنتخبهم ، وخسكتي والفرج الَّذي توجهنا إليه ، فإن احتجتُ إلى الرجال
فسأكتب إليك ، قال له^(٢) المختار : فاخرج فانتخب على اسم الله مَنْ أُحِبَّبت^(٣) .
فخرج فانتخب ثلاثة آلاف فارس ، فجعل على رُبْعِ المدينة النعمان بن
عوف بن أبي جابر الأزدي ، وعلى رُبْعِ تميم ومُهمَّدان عاصم بن قيس بن حبيب
الهمداني ، وعلى مَدْحَجٍ وأسد ورقاء بن عازب الأسدي ، وعلى رُبْعِ ربيعة
وكندة سَعْر بن أبي سَعْر الحنفي .

ثمَّ إِنَّهُ فصل من الكوفة ، فخرج وخرج معه المختار والناس يشيعونه ، فلما
(١) ف : «بأدانيها» . (٢) ف : «وقال» . (٣) ف : «ثلاثة آلاف من أحببت» .

بلغ دير أبي موسى ودّعه المختار وانصرف ، ثم قال له : إذا لقيت عدوك فلا
تُناظرهم ، وإذا أمكنك الفرصة فلا تؤخرها ، وليكن خبرك في كل يوم
عندي ، وإن احتجت^(١) إلى مدد فاكتب إلى مع أنى مُمددك ولو لم
تستمدد ، فإنه أشدّ لِعَصْلِكَ ، وأعزّ لِعُجْنِكَ ، وأرعب لعدوك . فقال له
يزيد بن أنس : لا تمدني إلّا بدعائك ، فكفى به مددًا . وقال له الناس :
صَحِيحُ اللَّهِ وَأَدَاكَ وَأَيْدِكَ^(٢) . وودّعه . فقال لهم يزيد : سلوا الله لي الشهادة ،
وأيّ الله لن لقيتهم ففانني النصر لا تفتني الشهادة إن شاء الله . فكتب
المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس : أما بعد ، فخلّ بين يزيد وبين
البلاد إن شاء الله ، والسلام عليك . فخرج يزيد بن أنس بالناس حتى بات
بسورًا ، ثم غلبا بهم سائرًا حتى بات بهم بالمدائن ، فشكا الناس إليه^(٣) ما دخلهم
٦٤٥/٢ من شدة السير عليهم ، فأقام بها يومًا وليلة . ثم إنّه اعترض بهم أرض
جُوحى حتى خرج بهم في الراذات ، حتى قطع بهم إلى أرض الموصل ،
فنزلت بينات تلي ، وبلغ مكانه ومنزله الذي نزل به عبيد الله بن زياد ،
فسأل عن عدّتهم ، فأخبرته عدوّته أنّه خرج معه من الكوفة ثلاثة آلاف
فارس . فقال عبيد الله : فأنا أبعث إلى كل ألف ألفين . ودعا ربيعة بن
المخارق القنوي وعبد الله بن حملة الخثعمي ، فبعثهما في ثلاثة آلاف ثلاثة
آلاف ، وبعث ربيعة بن المخارق أولًا ، ثم مكث يومًا ، ثم بعث خلفه
عبد الله بن حملة ، ثم كتب إليهما : أيكما سبق فهو أمير على صاحبه ،
وإن انتهيتما جميعًا فأكبركما سنًا أميرًا على صاحبه والجماعة . قال : فسبق
ربيعة بن المخارق فنزل بيزيد بن أنس وهو بينات تلي ، فخرج إليه يزيد بن أنس
وهو مريض مضنى .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الصلت ، عن أبي سعيد الصيقل ، قال :
خرج علينا يزيد بن أنس وهو مريض على حمار يمشي معه الرجال يُسمكونه
عن يمينه وعن شماله ، بفخذيه وعصديه وجنبه ، فجعل يقف على الأرباع :

(٢) ف : « وأيدك وأداك سالماً غاماً » .

(١) ف : « وإذا احتجت » .

(٣) ف : « فشكا إليه الناس » .

رُبْع ربيع^(١) ويقول: يا شرطة الله، اصبروا تُجْرُوا، وصابروا عدوكم تَنْظَفَرُوا، وَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ. إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا، إِنَّ هَلَكْتَ فَأَمِيرُكُمْ وِرْقَاءُ بْنُ عَازِبِ الْأَسَدِيِّ، فَإِنْ هَلَكْتَ فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ضَمْرَةَ الْعَدْرِيِّ، فَإِنْ هَلَكَ فَأَمِيرُكُمْ سَعْرُ بْنُ أَبِي سَعْرٍ الْحَنْفِيُّ. قَالَ: وَأَنَا وَاللَّهِ فِيمَنْ يَمْشِي مَعَهُ وَيُمْسِكُ بَعْضُهُ وَيَدُهُ، وَإِنِّي لَأَعْرِفُ فِي وَجْهِهِ أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ نَزَلَ بِهِ. قَالَ: فَجَعَلَ يَزِيدُ بْنُ أَنَسٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ ضَمْرَةَ الْعَدْرِيَّ عَلَى مِيمَتِهِ، وَسَعْرُ بْنُ أَبِي سَعْرٍ عَلَى مِيسَرَتِهِ، وَجَعَلَ وِرْقَاءُ بْنُ عَازِبِ الْأَسَدِيِّ عَلَى الْخَيْلِ، وَنَزَلَ هُوَ فَوْضَعَ بَيْنَ الرِّجَالِ عَلَى السَّرِيرِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: ابْرِزُوا لَهُم بِالْعَرَاءِ، وَقَدْ مَوَى فِي الرِّجَالِ، ثُمَّ إِنْ شَتَمَ فَقَاتِلُوا عَنْ أَمِيرِكُمْ، وَإِنْ شَتَمَ فَقَرُّوا عَنْهُ. قَالَ: فَأَخْرَجْنَاهُ فِي ذِي الْحِجَّةِ يَوْمَ عَرَفَةَ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ، فَأَخَذْنَا نُمْسِكُ أحيانًا بظَهْرِهِ فيقول: اصنعوا كذا، اصنعوا كذا. وافعلوا كذا، فبأمر بأمرة، ثُمَّ لَا يَكُونُ بِأَسْرَعٍ مَنْ أَنْ يَغْلِبَهُ الْوَجْعُ فَيُوضَعُ هُنَيْشُهُ وَيَقْتُلُ النَّاسُ، وَذَلِكَ عِنْدَ شَفَقِ الصَّبْحِ قَبْلَ شُرُوقِ الشَّمْسِ. قَالَ: فَحَمِلْتُ مِيسَرَتَهُمْ عَلَى مِيمَتِنَا، فَاشْتَدَّ قِتَالُهُمْ، وَتَحَمَّلَ مِيسَرَتُنَا عَلَى مِيمَتِهِمْ فَتَهَزَّمُوا^(٢)، وَبَحَمِلَ وِرْقَاءُ بْنُ عَازِبِ الْأَسَدِيِّ فِي الْخَيْلِ فَهَزَزَهُمْ. فَلَمْ يَرْتُقِ الضُّحَى حَتَّى هَزَمْنَاهُمْ، وَحَوَيْنَا عَسْكَرَهُمْ.

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: وَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَامِرٍ الْعَدَوِيُّ، قَالَ: انْتَهَيْنَا إِلَى رِبْعَةِ ابْنِ الْخَارِقِ صَاحِبِهِمْ، وَقَدْ انْهَزَمَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَهُوَ نَازِلٌ^(٣) ينادي: يَا أَوْلِيَاءَ الْحَقِّ، وَيَا أَهْلَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، إِلَى أَنَا ابْنُ الْخَارِقِ؛ قَالَ مُوسَى: فَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ غَلَامًا حَدَثًا، فَتَهَيَّئْتُ وَوَقَفْتُ، وَبَحَمِلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وِرْقَاءِ الْأَسَدِيِّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ ضَمْرَةَ الْعَدْرِيُّ، فَفَقَتَلَاهُ.

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ أَبُو كَبْشَةَ الْقَيْنِيُّ؛ قَالَ: ٦٤٧/٢
كُنْتُ غَلَامًا حِينَ رَاهَقْتُ مَعَ أَحَدِ عُمَوِيٍّ فِي ذَلِكَ الْعُسْكَرِ، فَلَمَّا نَزَلْنَا بِعَسْكَرِ الْكُوفِيِّينَ عَبَّانًا رِبْعَةَ ابْنِ الْخَارِقِ فَأَحْسَنَ التَّعْبَةَ، وَجَعَلَ عَلَى مِيمَتِهِ ابْنَ

(١) ١: «وَبَارِيقًا». (٢) ف: «فَهَزَزَهَا». (٣) ف: «بَارِكُهُ».

أخيه ، وعلى ميسرته عبد ربه السلمي ، وخرج هو في الخليل والرجال وقال : يا أهل الشام ، إنكم إنما تقتلون العبيد الأبقار ، وقوماً قد تركوا الإسلام وخرجوا منه ، ليست لهم ثقيّة ، ولا ينطقون بالعربيّة ؛ قال : فوالله إن كنت لأحسب أن ذلك كذلك حتّى قاتلناهم ؛ قال : فوالله ما هو إلّا أن اقتتل الناس إذا رجل من أهل العراق يعرض الناس بسيفه وهو يقول :

بَرِئْتُ مِنْ دِينِ الْمُحْكَمِينَ وَذَلِكَ فِينَا شَرُّ دِينِ دِينَا
ثُمَّ إِنْ قَاتَلْنَا وَقَتَالَهُمْ أَشَدَّ سَاعَةً مِنْ النَّهَارِ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ هَزَمُونَا حِينَ ارْتَفَعَ الضُّحَى فَقَتَلُوا صَاحِبَنَا ، وَحَوَّوْا عَسْكَرَنَا ؛ فَخَرَجْنَا مِنْهُمْ مَنَهِزِينَ حَتَّى تَلَقَّانَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمَلَةَ عَلَى مَسِيرَةِ سَاعَةٍ مِنْ تِلْكَ الْقَرْيَةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا بَنَاتُ تَلِي ، فَرَدَّنَا ، فَأَقْبَلْنَا مَعَهُ حَتَّى نَزَلَ بِيَزِيدَ بْنِ أَنَسٍ ، فَبَقْنَا مُتَحَارِسِينَ حَتَّى أَصْبَحْنَا فَصَلَبْنَا الْغَدَاةَ ، ثُمَّ خَرَجْنَا عَلَى تَبِيعَةٍ حَسَنَةٍ ، فَجَعَلَ عَلَى مِيسْمَتِهِ الزَّيْبَرِ بْنِ خَزِيمَةَ^(١) ؛ مِنْ خَشَعُمْ ، وَعَلَى مِيسْرَتِهِ ابْنُ أَقْبِصَرِ الْقَحَاقِ مِنْ خَشَعُمْ ، وَتَقَدَّمَ فِي الْخَلِيلِ وَالرَّجَالِ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَضْحَى ، فَاقْتَتَلْنَا قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ إِنَّهُمْ هَزَمُونَا هَزِيمَةً قَبِيحَةً ، وَقَتَلُونَا قِتَالًا ذَرِيعًا ، وَحَوَّوْا عَسْكَرَنَا ، وَأَقْبَلْنَا حَتَّى انْهَبْنَا إِلَى عَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَحَدَّثَنَا بِمَا لَقِينَا .

٦٤٨/٢ قال أبو مخنف : وَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَامِرٍ ، قَالَ : أَقْبَلَ إِلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمَلَةَ الْخُثَعَمِيُّ ؛ فَاسْتَقْبَلَ قَبْلَ رُبْعَةِ بَنِ الْخَارِقِ الْغَنَوِيِّ فَرَدَّهُمْ ، ثُمَّ جَاءَ حَتَّى نَزَلَ بَنَاتُ تَلِي ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَادُوا وَغَادَيْنَا ، فَتَطَارَدَتِ الْخِيَلَانُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَانْصَرَفْنَا ؛ حَتَّى إِذَا صَلَبْنَا الظُّهْرَ خَرَجْنَا فَاقْتَتَلْنَا ، ثُمَّ هَزَمْنَاهُمْ . قَالَ : وَنَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمَلَةَ فَأَخَذَ يَنَادِي أَصْحَابَهُ : الْكُرَّةُ بَعْدَ الْفَرَّةِ ، يَا أَهْلَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ؛ فَحَمَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُرَادِ الْخُثَعَمِيُّ فَقَتَلَهُ ، وَحَوَّيْنَا عَسْكَرَهُمْ وَمَا فِيهِ ، وَأَتَى يَزِيدُ بْنُ أَنَسٍ بِثَلَاثَةِ أَسِيرٍ وَهُوَ فِي السُّوقِ ، فَأَخَذَ يَوْمُؤُا بِيَدِهِ أَنْ اضْرَبُوا أَعْنَاقَهُمْ ، فَقَتَلُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ .

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ أَنَسٍ : إِنْ هَلَكْتُ فَأَمِيرُكُمْ وَرَقَاءُ بْنُ عَازِبِ الْأَسَدِيِّ ، فَا أَمَسَى حَتَّى مَاتَ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ وَرَقَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَدَقَّنَهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَصْحَابُهُ أَسْقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ، وَكَسَّرَ مَوْتُهُ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ ، وَأَخَذُوا فِي دَفْنِهِ ،

(١) كَلَّا ق ١ ، وَفِي ط مِنْ غَيْرِ نَقْط .

فقال لهم ورقاء : يا قوم ، ماذا ترون ؟ إنَّه قد بلغني أنَّ عبيد الله بن زياد قد أقبل إلينا في ثمانين ألفاً من أهل الشام ، فأخذوا يتسلَّلون ويرجعون . ثم إنَّ ورقاء دعا برؤس الأرباع وفرسان أصحابه فقال لهم : يا هؤلاء ، ماذا ترون فيما أخبرتكم ؟ إنَّما أنا رجل منكم ، ولست بأفضلكم رأياً ، فأشيروا عليَّ ، فإنَّ ابن زياد قد جاءكم في جُنْد أهل الشام الأعظم ، وبجِلَّتْهم وفرسانهم وأشرفهم ، ولا أرى لنا ولكم بهم طاقةً على هذه الحال ، وقد هلك يزيد بن أنس أميرنا ، وتفرقت عنَّا طائفة منَّا ، فلو انصرفنا اليوم من ٦٤٩/٢ تلقاء أنفسنا قبل أن نلقاهم ، وقبل أن نبلُغهم ، فَيَعْلَمُوا أنَّنا إنَّما رَدَّنا عنهم هلاكُ صاحبنا ، فلا يزالوا لنا هائنين لقتلنا منهم أمرهم ! ولأنَّنا إنَّما نعتلُّ لانصرافنا بموت صاحبنا . وإنَّنا إن لقيناهم اليوم كنَّا مخاطرين ، فإن هزَمْنَا اليوم لم نفعُنا هزيمتُنا إيَّاهم من قبل اليوم . قالوا : فإنَّك نعماً رأيت ، انصرف رحمتك الله . فانصرف ، فبلغ مُنْصَرَفُهم ذلك المختار وأهل الكوفة ، فأرجف الناس ، ولم يعلموا كيف كان الأمر أنَّ يزيد بن أنس هلك ، وأنَّ الناس هزَمُوا ، فبعث إلى المختار عامله على المدائن عيناً له من أبناط السواد فأخبره الخبر ، فدعا المختار إبراهيم بن الأشتر فعقَدَ له على سبعة آلاف رجل ، ثم قال له : سرَّ حتى إذا أنت لقيت جيشَ ابن أنس فارددْهم معك ، ثم سرَّ حتى تلقى عدوك فتناجزهم . فخرج إبراهيم فوَضَعَ عسكره بحمَّام أعين .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو زهير النضر بن صالح ، قال : لَمَّا مات يزيد أنس التقي أشرافُ الناس بالكوفة فأرجفوا بالمختار وقالوا : قتل يزيد بن أنس ، ولم يصدقوا أنَّه مات ، وأخذوا يقولون : والله لقد تأمَّر علينا هذا الرجل بغير رضا منَّا ، ولقد أدنى مواليتنا ، فحملتهم على الدواب ، وأعطاهم وأطعمهم فيتنا ، ولقد عصتْنا عبيدنا ، فحرب بذلك أيتامنا وأراملنا . فاتعدوا منزل شَبَّ بن ربيع وقالوا : نجتمع في منزل شيخنا— وكان شَبَّ جاهلياً إسلامياً— فاجتمعوا فأتوا منزله ، فصلَّى بأصحابه ، ثم تلاكروا هذا النحو من الحديث ٦٥٠/٢ قال : ولم يكن فيما أحدثُ عليهم شيء هو أعظمُ من أن جعل للموالى

النبيء نصيباً - فقال لهم شَبِّتْ : دعوني حتى ألقاه ؛ فذهب فلقيه ، فلم يدع شيئاً مما أنكره أصحابه إلا وقد ذاكـره إياه ، فأخذ لا يذكر خـصلة إلا قال له المختار : أَرْضِيهِمْ فِي هَذِهِ الْخـَصْـلَةِ ، وَأَتِي كُلَّ شَيْءٍ أَحَبُّوا ؛ قال : فذكر المـالـيك ؛ قال : فَأَنَا أُرِدُّ عَلَيْهِمْ عِيـدَهُمْ ، فذكر له الموالى ، فقال : عمدت إلى مواليتنا ، وهم فيءٌ أَفَاءَهُ اللهُ عَلَيْنَا وَهَذِهِ الْبِلَادُ بِجَمِيعِهَا فَأَعْتَقْنَا رِقَابَهُمْ ، نَأْمُلُ الْأَجْرَ فِي ذَلِكَ وَالثَّوَابَ وَالشُّكْرَ ، فلم تَرْضَ لَهُمْ بِذَلِكَ حَتَّى جَعَلْتَهُمْ شُرَكَاءَنَا فِي فَيْثِنَا ، فَقَالَ لَهُمُ الْمُخْتَارُ : إِنَّ أَنَا تَرَكْتُ لَكُمْ مَوَالِيَكُمْ ، وَجَعَلْتُ فَيْثَكُمْ فِيكُمْ ، أَتَقَاتِلُونَ مَعِيَ بَنِي أُمَيَّةَ وَابْنَ الزُّبَيْرِ ، وَتَعْطُونَ عَلَى الْوَفَاءِ بِذَلِكَ عَهْدَ اللَّهِ وَبِثَاقِهِ ، وَمَا أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ ؟ فَقَالَ شَبِّتْ : مَا أَدْرَى حَتَّى أَخْرَجَ إِلَى أَصْحَابِي فَأَذَاكِرَهُمْ ذَلِكَ ، فَخَرَجَ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى الْمُخْتَارِ . قال : وَأَجْمَعَ رَأْيَ أَشْرَافِ أَهْلِ الْكُوفَةِ عَلَى قِتَالِ الْمُخْتَارِ .

قال أبو مخنف : فحدثني قُدَامَةُ بْنُ حَوْشَبٍ ، قال : جَاءَ شَبِّتُ ابْنِ رَبِيعَةَ وَشَسْرَ بْنَ ذِي الْجَوْشَنِ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى كَعْبِ بْنِ أَبِي كَعْبٍ الْخُثَمِيِّ ، فَتَكَلَّمُوا شَبِّتَ ، فَحَسَدَ اللَّهُ وَأَثَنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِاجْتِمَاعِ رَأْيِهِمْ عَلَى قِتَالِ الْمُخْتَارِ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يُجِيبَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَقَالَ فَمَا يَعْجِبُ بِهِ الْمُخْتَارُ : إِنَّهُ تَأَمَّرَ عَلَيْنَا بِغَيْرِ رِضَا مِنَّا ، وَزَعَمَ أَنَّ ابْنَ الْخَنْفِيَّةِ بَعَثَهُ إِلَيْنَا ، وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ ابْنَ الْخَنْفِيَّةِ لَمْ يَفْعَلْ ، وَأَطْعَمَ مَوَالِيَنَا فَيْثَنَا . وَأَخَذَ عِيْدَنَا ، فَحَرَّبَ بِهِمْ يَتَامَانَا وَأَرَامَلَنَا ، وَأَظْهَرَ هُوَ وَسَبَّيْتُهُ الْبَرَاءَةَ مِنْ أَسْلَافِنَا الصَّالِحِينَ . قال : فَحَرَّبَ بِهِمْ كَعْبُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ . وَأَجَابَهُمْ إِلَى مَا دَعَاهُ إِلَيْهِ .

قال أبو مخنف : حدثني أَبِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ أَنَّ أَشْرَافَ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَدْ كَانُوا دَخَلُوا عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُخْنَفٍ ، فَدَعَاهُ إِلَى أَنْ يُجِيبَهُمْ إِلَى قِتَالِ الْمُخْتَارِ ، فَقَالَ لَهُمْ : يَا هَؤُلَاءِ ، إِنَّكُمْ إِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَخْرُجُوا لَمْ أَخْذُ لَكُمْ ، وَإِنْ أَنْتُمْ أَطَعْتُمُونِي لَمْ تَخْرُجُوا . فَقَالُوا : لِمَ ؟ قال : لِأَنِّي أَخَافُ أَنْ تَنْفَرُوا وَتَخْتَلِفُوا وَتَتَخَذُوا كَلِمَةً : مَعَ الرَّجُلِ وَاللَّهُ شَجَاعُكُمْ وَفِرْسَانُكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ؛ أَلَيْسَ

معه فلان وفلان ! ثمّ معه عبيدكم ومواليكم ، وكلمة هؤلاء واحدة . وعبيدكم ومواليكم أشدّ حنقاً عليكم من عدوكم ، فهو مقاتلكم بشجاعة العرب ، وعداوة العجم ، وإن انتظروه قليلاً كفيتموه بقدوم أهل الشام ، أو بمجيء أهل البصرة ، فتكونوا قد كفيتموه بغيركم ، ولم تجعلوا بأسكم بينكم ؛ قالوا : نَشْدُكَ الله أنْ تخالفنا ، وأنْ تُفسد علينا رأينا وما قد اجتمعت عليه جماعتنا . قال : فأنا رجلٌ منكم ، فإذا شتم فآخروا . فصار بعضهم إلى بعض وقالوا : انتظروا حتّى يذهب عنه إبراهيم بن الأشتر ؛ قال : فأهلوا حتّى إذا بلغ ابن الأشتر سبّاطاً ، وثبوا بالختار . قال : فخرج عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس الحمدانيّ في همدان في جبانة السبيع ، وخرج زحر بن قيس الجعفيّ وإسحاق بن محمد بن الأشعث في جبانة كيندة .

قال هشام : فحدثني سليمان بن محمد الحضرميّ ، قال : خرج إليهما جبير الحضرميّ فقال لهما : أخرجا عن جبانتنا ، فإننا نكره أن نُعرى ٦٥٢/٢ بشرٌ ؛ فقال له إسحاق بن محمد : وجبانتهم هي ؟ قال : نعم ، فانصرفوا عنه ؛ وخرج كعب بن أبي كعب الخثعميّ في جبانة بشر ، وصار بشر بن جرير بن عبد الله إليهم في سجيلة ، وخرج عبد الرحمن بن مخنف في جبانة مخنف ، وصار إسحاق بن محمد وزحر بن قيس إلى عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس بجبانة السبيع ، وصارت بجيلة وخثعم إلى عبد الرحمن ابن مخنف وهو بالأزد . وبلغ الذين في جبانة السبيع أن المختار قد عبأ لهم خيلاً ليسير إليهم . فبعثوا الرسل يتلو بعضها بعضاً إلى الأزد وبجيلة وخثعم ، يسألونهم بالله والرحم لما عجلوا إليهم . فصاروا إليهم واجتمعوا جميعاً في جبانة السبيع ، ولمّا أن بلغ ذلك المختار سرّه اجتماعهم في مكان واحد ، وخرج شمر بن ذى الجوشن حتّى نزل بجبانة بني مسكول في قيس ، ونزل شبث بن ربيعيّ وحسان بن فائد العبسيّ وربيعة بن ثروان الضبيّ في مُضَرّ بالكُنَاسة ، ونزل حجّار بن أبهر ويزيد بن الحارث بن رؤيم في ربيعة فيما بين التمارين والسبّخة ، ونزل عمرو بن الحجاج الزبيديّ في جبانة مراد بمن تبعه من مدحج ، فبعث إليه أهل اليمن : أن اثنتا . فأبى أن يأتيهم

وقال لهم : جدوا ، فكأنى قد أنيتكم . قال : وبعث المختار رسولا من يومه يقال ٦٥٣/٢ له عمرو بن توبة بالرخص إلى إبراهيم بن الأشتر وهو بساباط ألا تضع كتابى من يدك حتى تقبل بجميع من معك إلى . قال : وبعث إليهم المختار فى ذلك اليوم : أخبرونى ما تريدون ؟ فإنى صانع كل ما أحببتم ، فقالوا : فلاننا نريد أن تعزنا لنا ، فلانك زعمت أن ابن الحنفية بعثك ولم يبعثك . فأرسل إليهم المختار أن ابعثوا إليه من قبلكم وفدا ، وأبعث إليه من قبلى وفدا ، ثم انظروا فى ذلك حتى تتبينوه ، وهو يريد أن يرثهم بهذه المقالة ليقدم عليه إبراهيم بن الأشتر ، وقد أمر أصحابه فكفوا أيديهم ، وقد أخذ أهل الكوفة عليهم بأفواه السكك ، فليس شىء يصل إلى المختار ولا إلى أصحابه من الماء إلا القليل الوسخ^(١) ، يجئهم إذا غفلوا عنه . قال : وخرج عبد الله بن سبيع فى الميدان ، فقالت شاكرا قتالا شديدا ، فجاءه عقبة بن طارق الجشمى فقاتل معه ساعة حتى ردها دبتهم عنه ، ثم أقبل على حاميتهما يسيران حتى نزل عقبة بن طارق مع قيس فى جبانة بنى سكول ، وجاء عبد الله بن سبيع حتى نزل مع أهل اليمن فى جبانة السبيع .

قال أبو مخنف : حدثنى يونس بن أبى إسحاق ، أن شمر بن ذى الجوشن أتى أهل اليمن فقال لهم : إن اجتمعتم فى مكان نجعل فيه مجتبتين ونقاتل من وجه واحد فأنا صاحبكم ، وإلا فلا ، والله لا أقاتل فى مثل هذا المكان فى سلك ضيقة ، ونقاتل من غير وجه . فانصرف إلى جماعة قومه فى جبانة بنى سكول . قال : ولما خرج رسول المختار إلى ابن الأشتر بلغه من يومه عشية ، فتأدى فى الناس : أن ارجعوا إلى الكوفة ، فسار بقیة عشية تلك ، ثم نزل حين أمسى ، فتعشى أصحابه ، وأراحوا الدواب شيئا كلا شىء ، ثم تأدى فى الناس ، فسار ليلته كلها ، ثم صلى الغداة بسورا ، ثم سار من يومه فصلى العصر على باب الجسر من الغد ، ثم إنه جاء حتى بات ليلته فى المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة والجلد ، حتى إذا كان صبيحة اليوم الثالث من مخرجهم على المختار ، خرج المختار إلى

(١) الوسخ : القليل من كل شىء .

المنبر فصعده .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو جناب الكلبي أن شبيب بن ربيعة بعث إليه ابنه عبد المؤمن فقال : إنما نحن عشيرتك ، وكف يمينك ، لا والله لا نقاتلك ، فحق بملك منّا ، وكان رأيته قتاله ، ولكنه كاده . ولمّا أن اجتمع أهل اليمن بجبّانة السبيع حضرت الصلاة ، فكبره كل رأس من رؤوس أهل اليمن أن يتقدمه صاحبه ، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف : هذا أول الاختلاف ، قدموا الرضا فيكم ، فإن في عشيرتكم سيد قراء أهل مصر ، فليصل بكم رفاة بن شدّاد الفتياني من بجيلة ، ففعلوا ، فلم يزل يصلّي بهم حتى كانت الوقعة .

قال أبو مخنف : وحدثني وازع بن السري أن أنس بن عمرو الأزدي انطلق فدخل في أهل اليمن ، ومعهم وهم يقولون : إن سار المختار إلى إخواننا من مضر سرنا إليهم ، وإن سار إلينا ساروا إلينا ، فسمعا منهم رجلاً ، وأقبل جواداً حتى صعد إلى المختار على المنبر ، فأخبره بمقاتلتهم ، فقال : أمّا ٦٠٥/٢ هم فحلفاء لو سرت إلى مضر أن يسروا إليهم ، وأمّا أهل اليمن فأشهد لأن سرت إليهم لا تسير إليهم مضر ، فكان بعد ذلك يدعو ذلك الرجل ويكرمه . ثم إن المختار نزل فعبأ أصحابه في السوق - والسوق إذ ذاك ليس فيها هذا البناء - فقال لإبراهيم بن الأشتر : إلى أي الفريقين أحب إليك أن تسير ؟ فقال : إلى أي الفريقين أحببت ، فنظر المختار - وكان ذا رأي ، فكره أن يسير إلى قومه فلا يبلغ في قتالهم - فقال : سر إلى مضر بالكناسة وعليهم شبيب بن ربيعة ومحمد بن عمير بن عطارد ، وأنا أسير إلى أهل اليمن .

قال : ولم يزل المختار يُعرف بشدة النفس ، وقلة البقيّة على أهل اليمن وغيرهم إذا ظفر ، فسار إبراهيم بن الأشتر إلى الكناسة ، وسار المختار إلى جبّانة السبيع ، فوقف المختار عند دار عُمَر بن سعد بن أبي وقاص ، وسرح بين أيديه أحمر بن شميظ البجلي ثم الأحمسي ، وسرح عبد الله بن كامل الشاكري ، وقال لابن شميظ : الزم هذه السكة حتى تخرج إلى أهل

جَبَّانَةَ السَّبْعِ من بين دُور قومك . وقال لعبد الله بن كامل : الزَّيْمُ هذه السَّكَّةُ حَتَّى تخرج على جَبَّانَةَ السَّبْعِ من دار آل الأحنس بن شريق ، ودعاهما فأمرُ إليهما أَنْ شَيَّامًا قد بعثتْ تُخْبِرُنِي أَنَّهُم قد أَتَوْا القوم من ورائهم ، فَمَضَيَا ^(١) فَسَلَكََا الطَّرِيقَيْنِ اللَّذَيْنِ ^(٢) أَمَرَهُمَا بِهِمَا ^(٣) ، وبلغ أهل اليمن مَسِيرُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْهِم ، فاقْتَسَمَا تَيْبَنِكَ السَّكَّتَيْنِ ، فَأَمَّا السَّكَّةُ الَّتِي فِي دِبرِ مسجد أَحْمَسَ فَإِنَّهُ وَقَفَ فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ قَيْسِ الْمُهَلْسَانِيِّ وَإِسْحَاقُ بْنُ الْأَشْعَثِ وَزَحْرُ بْنُ قَيْسٍ ، وَأَمَّا السَّكَّةُ الَّتِي تَلِي الْفُرَاتَ فَإِنَّهُ وَقَفَ فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَخْنَفٍ ، وَبِشِيرُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَعْبُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ . ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اقْتَتَلُوا كَأَشَدَّ قِتَالٍ اقْتَتَلَكَ قَوْمٌ . ثُمَّ إِنَّ أَصْحَابَ ^(٤) أَحْمَرَ بْنِ شُمَيْطٍ انْكَشَفُوا وَأَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَامِلٍ أَيْضًا ، فَلَمْ يَرَعْ الْمُخْتَارُ إِلَّا وَقَدْ جَاءَهُ الْقَتْلُ قَدْ أَقْبَلَ ، فَقَالَ : مَا وَرَاءَكُمْ ؟ قَالُوا : هِزْمَنَا ؛ قَالَ : فَمَا فَعَلَ أَحْمَرُ بْنُ شُمَيْطٍ ؟ قَالُوا : تَرَكْنَاهُ قَدْ نَزَلَ عِنْدَ مَسْجِدِ الْقَصَاصِ - يَعْنُونَ مَسْجِدَ أَبِي دَاوُدَ فِي وَادِعَةَ ، وَكَانَ يَعْتَادُهُ رِجَالُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ يَقْصُونَ فِيهِ ، وَقَدْ نَزَلَ مَعَهُ أَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ - وَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ : مَا نَدْرِي مَا فَعَلَ ابْنُ كَامِلٍ ! فَصَاحَ بِهِمْ : أَنْ انْصَرِفُوا . ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِمْ حَتَّى انْتَهَى إِلَى دَارِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجُدِّيِّ ، وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُرَادِ الْخُثَمِيِّ - وَكَانَ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ - فَقَالَ : سِرُّ فِي أَصْحَابِكَ إِلَى ابْنِ كَامِلٍ ، فَإِنْ يَكُ هَلَكَ فَأَنْتَ مَكَانُهُ ، فَقَاتِلِ الْقَوْمَ بِأَصْحَابِكَ وَأَصْحَابَهُ ، وَإِنْ تَجَدَّهُ حَيًّا صَاحِلًا فَسِرُّ فِي مِائَةِ أَصْحَابِكَ كُلِّهِمْ فَارِسَ ، وَادْفَعْ إِلَيْهِ بَقِيَّةَ أَصْحَابِكَ ، وَمِرَّ ^(٥) بِالْجِدِّ مَعَهُ وَلِلْمُنَاصِحَةِ لَهُ ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَنَاصِحُونَنِي ، وَمَنْ نَاصَحَنِي فليُشِيرَ ، ثُمَّ امْضُ فِي الْمِائَةِ حَتَّى تَأْتِيَ أَهْلَ جَبَّانَةَ السَّبْعِ مِمَّا يَلِي حِمَّامَ قَطْنَانَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ . فَضَى فَوْجُ ابْنِ كَامِلٍ وَأَقْبَى عِنْدَ حِمَّامٍ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ

(١ - ١) ف : « سَلَكََا الطَّرِيقَ الَّتِي » .

(٢) ف : « يَ » .

(٣) ف : « وَإِنَّ أَصْحَابَ أَحْمَرَ » .

(٤) ف : « وَأَمْرٍ » .

معه أناس^(١) من أصحابه قد صبروا . وهو يقاتل القوم . فدفع إليه ثلثمائة ١٥٧/٢
من أصحابه ثم مضى حتى نزل إلى جبانة السبيع .

ثم أخذ في تلك السكك حتى انتهى إلى مسجد عبد القيس . فوقف عنده ، وقال لأصحابه : ما ترون ؟ قالوا : أمرنا لأمرِكَ تبع^(٢) وكل من كان معه من حاشد من قومه وهم مائة ؛ فقال لهم : والله إنى لأحب أن يظهر المختار . والله إنى لكاره أن يهلك أشرافُ عشيرتى اليوم ، والله لأن أموت أحب إلى من أن يسحل بهم الهلاك على يدى . ولكن قفوا قليلا فإنى قد سمعتُ شباهاً يزعمون أنهم سيأتونهم^(٣) من ورائهم ؛ فلعن شباهاً تكون هى تفعل ذلك ، ونحافى نحن منه . قال له أصحابه : فرأيتك . فثبت كما هو عند مسجد عبد القيس ، وبعث المختارُ مالك بن عمرو النهدي في مائتى رجل - وكان من أشد الناس بأساً - وبعث عبد الله بن شريك النهدي في مائتى فارس إلى أحمر بن شميظ . وثبت مكانه ، فانتهوا إليه وقد علاه القوم وكشروه ، فاقتتلوا عند ذلك كأشد القتال ، ومضى ابن الأشتر حتى لقي شبث بن ربعي . وأناساً معه من مضر كثيراً ، وفيهم حسّان بن قائد العيسى ، فقال لهم إبراهيم : ويحكمكم ! انصرفوا ، فوالله ما أحب أن يصاب أحد من مضر على يدى ، فلا تهلكوا أنفسكم ، فأبوا ، فقاتلوه فهزمهم ، واحتمل حسّان بن قائد إلى أهله ، فمات حين أدخل إليهم ، وقد كان وهو على فراشه قبل موته أفاق إفاقة فقال : أما والله ما كنت أحب أن أعيش من جراحتى هذه ، وما كنت أحب أن تكون مني إلا بطعنة رمح ، أو بضربة سيف ؛ فلم يتكلم بعدها كلمة^(٤) حتى مات . وجاءت البشيرة إلى المختار من قبل إبراهيم بهزيمة مضر ، فبعث المختار البشيرة من قبله^(٥) إلى أحمر بن شميظ وإلى ابن كامل ، فالنّاس^(٦) على أحوالهم كل أهل سكة منهم قد أغنت ما يليها . قال : فاجتمعت شيكاًم^(٧) وقد رأسوا عليهم أبا القلوص ، وقد أجمعوا

(١) ف : « ناس » . (٢-٢) ف : « قالوا : أمرنا أمرِكَ ونحن لك تبع » .

(٣) ف : « أن سيأتونهم » . (٤) ف : « بكلمة » .

(٥) ف : « من قبله البشيرة » . (٦) ف : « والناس » .

(٧) ف : « فاجتمع » .

واجتمعوا بأن يأتوا أهل اليمن من ورائهم ، فقال بعضهم لبعض : أما والله لو جعلتم جددكم ^(١) هنا على من خالفكم من غيركم لكان أصوب ، فسيروا إلى مضر أو إلى ربيعة ^(٢) فقاتلوهم — وشيخهم أبو القلوص ما كت لا يتكلم — فقالوا : يا أبا القلوص ، ما رأيك ؟ فقال : قال الله جل ثناؤه : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَدُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ ^(٣) قوموا ؛ فقاموا ؛ فشى بهم قيس ربحين أو ثلاثة ثم قال لهم : اجلسوا فجلسوا ، ثم مشى بهم أنفس من ذلك شيئا ، ثم قعد بهم ، ثم قال لهم : قوموا ، ثم مشى بهم الثالثة أنفس من ذلك شيئا ، ثم قعد بهم ، فقالوا له : يا أبا القلوص ، والله إنك عندنا لأشجع العرب ، فما يحملك على الذي تصنع ! قال : إن المجرب ليس كن لم يجرب ، إني أردت أن ترجع إليكم أفدتكم ، وأن توطنوا على القتال أنفسكم ، وكرهت أن أفحيمكم على القتال وأنتم على حال دهرش ؛ قالوا : أنت أبصر بما صنعت .

فلما خرجوا إلى جباله السبيع استقبلهم على فم السكة الأعسر الشاكري ، فحمل عليه الجندعي وأبو الزبير بن كريب فصرعاه ، ودخلا الجباله ، ودخل الناس الجباله في آثارهم ، وهم ينادون : يا لثارات الحسين ! فأجابهم أصحاب ابن شميظ يا لثارات الحسين ! فسمعها يزيد بن عمير بن ذى مرثان من همدان فقال : يا لثارات عثمان ! فقال لهم رفاعه بن شداد : ما لنا ولعثمان ! لا أقاتل مع قوم يبيعون دم عثمان ، فقال له أناس من قومه : جئت بنا وأطعنك ، حتى إذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلت : انصرفوا ودعوه ! فعطفت عليهم وهو يقول :

أنا ابن شداد على دين علي لست لعثمان بن أروى يولي
لأصليين اليوم فيمن يضطلي بحر نار الحرب غير مؤتلي .

فقاتل حتى قتل ، وقتل يزيد بن عمير بن ذى مرثان ، وقتل النعمان ابن صهبان الجرمي ثم الراسبي — وكان ناسكا — ورفاعة بن شداد بن عوسجة

(١) ف : « حكم » . (٢) ف : « ربيعة ومضر » . (٣) سورة التوبة ١٢٣ .

الفتيات عند حمام المتهين الذي بالسبخة - وكان ناسكاً - وقتل الفرات ابن زحر بن قيس الجعفي، وأرثت زحر بن قيس، وقتل عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس، وقتل عمر بن مخنف، وقتل عبد الرحمن بن مخنف حتى أرتثت، وحملت الرجال على أيديها وما يشعر، وقتل حوله رجال من الأزد، فقال حميد بن مسلم:

لأضربن عن أبي حكيم مفارق الأعبد والصميم

وقال سراقه بن مرداس البارق:

١٦٠/٢

يا نفس إلاً تصبري تليمي لا تنوئي عن أبي حكيم^(١)
 واستخرج من دور الوادعين خمسمائة أسير، فأتي بهم المختار مكتفين، فأخذ رجل من بني نهد وهو من رؤساء أصحاب المختار يقال له: عبد الله ابن شريك، لا يخلو بعري إلاً خلّى سبيله، فرفق ذلك إلى المختار درهم مولى لبني نهد، فقال له المختار: اعرضوهم علي، وانظروا كل من شهد منهم قتل الحسين فأعلموني به، فأخذوا لا يمتروا عليه^(٢) رجل قد شهد قتل الحسين إلاً قيل له: هذا ممن شهد قتله، فيقدمه فيضرب عنقه، حتى قتل منهم قبل أن يخرج مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً، وأخذ أصحابه كلما رأوا رجلاً قد كان يؤذيهم أو يماريهم^(٣) أو يضربهم يخلوا به فيقتلوه حتى قتل ناس كثير منهم وما يشعر بهم المختار، فأخبر بذلك المختار بعد، فدعا بمن بقي^(٤) من الأسارى فأعتقهم، وأخذ عليهم الموائيق إلاً يجامعوا عليه علواً، ولا يبعوه ولا أصحابه^(٥) غائلة، إلا سراقه بن مرداس البارق، فإنه أمر به أن يساق معه إلى المسجد. قال: ونادى نادى المختار: إنه من أغلق بابه فهو آمن، إلاً رجلاً شرك في دم آل محمد صلى الله عليه وسلم.

(٢) ف: لا يمر عليهم رجل.

(١) ديوانه ١٠٥.

(٣) ف: ويمارهم.

(٤) ف: من بقي.

(٥) ف: لأصحابه.

قال أبو مخنف: حدثني^(١) الحجالد بن سعيد، عن عامر الشعبي . ، أن يزيد ابن الحارث بن يزيد بن رقيم وحجّار بن أبيجر بعثا رسلا لهما ، فقالا لهم : كونوا من أهل اليمن قريباً ، فإن رأيتموهم قد ظهروا^(٢) فأبكم سبق إلينا فليقل صرّاقان ، وإن كانوا هزّموا فليقل جُمُزان ، فلما هزّم أهل اليمن أنْتهم رسلهم ، فقال لهم أولُ من انتهى إليهم : جُمُزان ، ققام الرجلان فقالا لقومهما : انصرفوا إلى بيوتكم ، فانصرفوا . وخرج عمرو بن الحجاج الزبيديّ - وكان ممن شهد قتل الحسين - فركب راحلته ، ثمّ ذهب عليها ، فأخذ طريقَ شَراف وواقصة ، فلم يرَ حتّى الساعة ، ولا يدرى أرضٌ بخسّته ، أم سماءَ حصّيته ! وأما قُرات بن زحر بن قيس فإنه لما قُتل بعثت عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجُعْفِيَّة - وكانت امرأة الحسين بن علي - إلى المختار تسأله أن يأذن لها أن توارى بجسده ؛ ففعل ؛ فدفنته .

وبعث المختار غلاماً له يدعى زربياً في طلب شَمير بن ذى الجَوْشَن . قال أبو مخنف : فحدثني يونس بن أبي إسحاق ، عن مسلم بن عبد الله الضَّبائِي ، قال : تبعنا زربى غلامُ المختار ، فليحقّقنا وقد خرجنا من الكوفة على خيول لنا ضَمَر ، فأقبل يتمطر به^(٣) فرسه ، فلما دنا منا قال لنا شَمير : اركضوا وتباعدوا عني لعلّ العبد يطمع في ؛ قال : فركضنا ، فأمعنا ، وطمع العبد في شَمير ، وأخذ شمر ما يستطرد له ، حتّى إذا انقطع من أصحابه حمل عليه شَمير فدقّ ظهره ، وأتى المختار فأخبر بذلك ، فقال : يؤسّ لزربى ، أما لو يستشيرني ما أمرته أن يخرج لأبى السابقة .

قال أبو مخنف : حدثني أبو محمد الهَمْدانيّ ، عن مسلم بن عبد الله الضَّبائِي ، قال : لما خرج شمر بن ذى الجَوْشَن وأنا معه حين هزمنا المختار ، وقتل أهل اليمن بيجانة السَّبِيع ، ووجه غلامه زربياً في طلب شمر ، وكان ممن قتل شمر إِيّاه ما كان مضي شمر حتّى ينزل سائيداً ، ثمّ مضى حتّى ينزل إلى جانب قرية يقال لها الكلثانية على شاطئ نهر ، إلى جانب تلّ ،

(١) ف : « فحدثني » . (٢) ف : « ظفروا » . (٣) يتمطر به : يسرع .

ثم أرسل إلى تلك القرية فأخذ منها عِلْجًا فضربه . ثم قال : النجاء يكتبني هذا إلى المصعب بن الزبير وكتب عنوانه : للأمير المصعب بن الزبير من شمر بن ذي الجوشن . قال : فتمصّي العِلْجَ حتى يدخل قرية فيها بيوت ، وفيها أبو عمرة ، وقد كان المختار بعثه في تلك الأيام إلى تلك القرية لتكون مسلحة فيما بينه وبين أهل البصرة ، فلقى ذلك العِلْجَ عِلْجًا من تلك القرية ، فأقبل يشكو إليه ما لقي من شمر ، فإنه لقاهم معه يكلسه إذ مر به رجل من أصحاب أبي عمرة . فرأى الكتاب مع العِلْج . وعنوانه : لمصعب من شمر ، فأسألو العِلْجَ عن مكانه الذي هو به ، فأخبرهم . فإذا ليس بينهم وبينه إلا ثلاثة فراسخ . قال : فأقبلوا يسرون إليه .

قال أبو مخنف : حدثني مسلم بن عبد الله . قال : وأنا والله مع شمر تلك الليلة ^(١) . فقلنا : لو أنك ارتحلت بنا من هذا المكان فإننا نتخوف به ! فقال : أو كل هذا فرقا من الكذاب ! والله لا أتحوّل منه ثلاثة أيام . ملأ الله قلوبكم رعبًا ! قال : وكان بذلك المكان الذي كنا فيه دبي كثير ، فوالله إني لسيئ السمطان والنائم ، إذ سمعت وقع حوافر الخيل ، فقلت في نفسي : هذا صوت الدبي ، ثم إني سمعته أشد من ذلك ، فانتبهت ومسحت ^(٢) عيني ، وقلت : لا والله ، ما هذا بالدبي . قال : وذهبت لأقوم ، فإذا أنا بهم قد أشرفوا علينا من التلّ ، فكبروا : ثم أحاطوا بأبياتنا ، وخرجنا نشتد على أرجلنا . وتركنا خيلنا . قال : فأمر على شمر ، وإنه لمتزرب برؤد محقق ^(٣) - وكان أبرص - فكأنني أنظر إلى بياض كشحجه من فوق البرؤد ، فإنه ليطاعنهم بالرمح . قد أعجلوه أن يلبس سلاحه وثيابه . فضينا وتركناه . قال : فما هو إلا أن أمعت ساعة ، إذ سمعت : الله أكبر . قتل الله الخبيث !

قال أبو مخنف : حدثني المشرق ، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود ، قال : أنا والله صاحب الكتاب الذي رأيته مع العِلْج ، وأتيت به أبا عمرة وأنا قتلت شمرًا ، قال : قلت : هل سمعته يقول شيئًا ليلتذ ؟ قال : نعم ،

(١) ف : « ليلتذ » . (٢) ف : « فحمت » . (٣) برد محقق : محكم النج .

خرج علينا فطاعننا برمح ساعة ، ثم ألقى رمحه ، ثم دخل بيته فأخذ سيفه ، ثم خرج علينا وهو يقول :

نَبَهُنَّمْ لَيْثَ عَرِينٍ بِأَيْسَلَا جَهْمًا مُحْيَاهُ يَدُقُّ الْكَاهِلَا
لَمْ يَرْيَوْمًا عَنْ عَدُوٍّ نَاكِلَا إِلَّا كَذَا مُقَاتِلَا أَوْ قَاتِلَا
• يُبْرِحُهُمْ ضَرْبًا وَيُزَوِّي الْعَامِلَا •

قال أبو مخنف ، عن يونس بن أبي إسحاق : ولما خرج المختار من جببانة السبيح ، وأقبل إلى القصر ، أخذ سُرَاقَةً بن مِرْدَاسٍ يناديه بأعلى صوته :

امْنَنْ عَلَى الْيَوْمِ يَا خَيْرَ مَعَلَّةٍ وَخَيْرَ مَنْ حَلَّ بِشَمْعِرٍ وَالْجَنْدِ^(١)
• وَخَيْرَ مَنْ حَيًّا وَلَيْئًا وَسَجَدَ^(٢) •

فبعث به المختار إلى السجن ، فحبسه ليلة ، ثم أرسل إليه من الغد فأخرجه ، فدعا سُرَاقَةً ، فأقبل إلى المختار وهو يقول :

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنَا نَزَوْنَا نَزْوَةً كَانَتْ عَلَيْنَا^(٣)
خَرَجْنَا لَا نَرَى الضَّعَفَاءَ شَيْئًا وَكَانَ خُرُوجُنَا بَطْرًا وَحِينًا
نَرَاهُمْ فِي مَصَافِهِمْ قَلِيلًا وَهُمْ مِثْلُ الدَّبِي حِينَ التَّقِينَا
بَرَزْنَا إِذْ رَأَيْنَاهُمْ فَلَمَّا رَأَيْنَا الْقَوْمَ قَدْ بَرَزُوا إِلَيْنَا
لَقِينَا مِنْهُمْ ضَرْبًا طَلْحًا^(٤) وَطَعْنَا صَائِبًا حَتَّى انْثَنَيْنَا
نَصِرْتُ عَلَى عَدُوِّكَ كُلِّ يَوْمٍ بِكُلِّ كَتِيبَةٍ تَنْغِي حُمَيْنَا^(٥)
كَتَصِرَ مُحَمَّدٌ فِي يَوْمٍ بَدُرٍ وَيَوْمَ الشُّعْبِ إِذْ لَاقَى حُنَيْنَا
فَأَسْجَحْ إِذْ مَلَكَتْ فَلَوْ مَلَكْنَا لَجَرْنَا فِي الْحُكُومَةِ وَأَعْتَدَيْنَا
تَقَبَّلْ تَوْبَةً مِنِّي فَلَانِي سَأَشْكُرُ إِنْ جَعَلْتَ النُّقْدَ دِينَا

(١) ديوانه ٧٤ . (٢) ف : « لقي وجها » .
(٣) ديوانه ٧٧ ، ٧٦ . (٤) ضرباً طلحاً ، أي شديداً وجيهاً .
(٥) ف : « تبنى علينا » .

قال : فلما انتهى إلى المختار ، قال له : أصَلَحَكَ اللهُ أَيُّهَا الأمير ! سُرَاقَةُ
ابن مرداس يَحْلِفُ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ رَأَى المَلَأَكَةَ تَقَاتِلُ عَلَى
الْجِوَالِ الْبَلُوقِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؛ فقال له المختار : فاصعد المِنْبَرَ فَأَعْلِمِ
ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَصَعِدَ فَأَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ ثُمَّ نَزَلَ ، فَخَلَا بِهِ المختار ، فقال :
إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تَرِ المَلَأَكَةَ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ مَا قَدْ عَرَفْتُ إِلَّا أَقْتَلُكَ ، ٦٦٥/٢
فَاذْهَبْ عَنِّي حَيْثُ أَحْبَبْتَ^(١) ، لَا تُفْسِدْ عَلَى أَصْحَابِي .

قال أبو مخنف : فحدثني الحجاج بن عليّ الباري عن سُرَاقَةَ بن
مرداس ، قال : ما كنت في إيمان خلقت بها قط أشدَّ اجتهادًا ولا مبالغةً في
الكذب^(٢) متى في إيماني هذه التي خلقت لهم بها أني قد رأيت المَلَأَكَةَ
مَعَهُمْ تَقَاتِلُ . فخلَّوْا سبيلَهُ . فهرب ، فلحق بعبد الرحمن بن مخنف عند
المصعب بن الزبير بالبصرة ، وخرج أشرافُ أهل الكوفة والوجه . فلحقوا
بمصعب بن الزبير بالبصرة ، وخرج سُرَاقَةُ بن مرداس من الكوفة وهو يقول :

أَلَا أَبْلُغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنِّي رَأَيْتُ الْبُلُقَ دُهِمًا مُصَمَّنَاتِ^(٣)
كَفَرْتُ بِوَحْيِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْرًا عَلَى قِتَالِكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ
أَرَى عَيْنِي مَا لَمْ تُبْصِرْهُ كَلَانَا عَالَمٌ بِالنُّرَاهِ
إِذَا قَالُوا أَقُولُ لَهُمْ كَذَبْتُمْ وَإِنْ خَرَجُوا لَيْسَتْ لَهُمْ أَدَاتِي

حدثني أبو السائب سلم بن جبلة ، قال : حدثنا محمد بن براد^(٤) ، من
ولد أبي موسى الأشعري ، عن شيخ ، قال : لما أسير سُرَاقَةُ الباري ، قال :
وَأَنْتُمْ أَسْرَعُونِي ! مَا أَسْرَعَنِي إِلَّا قَوْمٌ عَلَى دَوَابِّ بُلُقٍ ، عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بَيْضٌ . قال :
فقال المختار : أولئك المَلَأَكَةُ ، فَأَطْلَقَهُ ، فقال :

أَلَا أَبْلُغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنِّي رَأَيْتُ الْبُلُقَ دُهِمًا مُصَمَّنَاتِ
أَرَى عَيْنِي مَا لَمْ تَرَأْيَاهُ كَلَانَا عَالَمٌ بِالنُّرَاهِ

(١) ف : « شئت » . (٢) ف : « متى في الكذب » .

(٣) ديوانه ٧٨ . (٤) ١ : « براه » .

قال أبو مخنف : حدثني عمير بن زياد أن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس
٦٦٦/٢ الهمداني قال يوم جباة السبيع : ويحكم ! من هؤلاء الذين أتونا من
ورائنا ؟ قيل له : شيكهم ؛ فقال : يا عجا ! يقاتلني بقوتي من لا قوم له .

قال أبو مخنف : وحدثني أبو روق أن شرجيل بن ذي بقلان من
الناعطين قُتِل يومئذ : وكان من بيوتات همدان ، فقال يومئذ قبل أن
يُقْتَلَ : يا لها قتلة . ما أضل مقتولا ! قتال مع غير إمام ، وقاتل على غير
نية ، وتعجيل فراق الأحبة ، ولو قتلناهم إذا لم نسلم منهم ، إننا لله
وإننا إليه راجعون ! أما والله ما خرجت إلا مواسياً لقوى بنفسى مخافة أن
يُضْطَهَدُوا ؛ وإم الله ما نجوت من ذلك ولا أنجوا ، ولا أغنيت عنهم ولا
أغنوا . قال : ويرميه رجل من الفاشيين من همدان يقال له أحمر بن
هديج بسهم فيقتله .

قال : واختصم في عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني نفر ثلاثة : سيعر
ابن أبي سحر الحنفي ، وأبو الزبير الشبائي : ورجل آخر ؛ فقال سيعر : طعنته
طعنة ، وقال أبو الزبير : لكن ضربته أنا عشر ضربات أو أكثر ، وقال لي
ابنه : يا أبا الزبير : أقتل عبد الرحمن بن سعيد سيد قومك ! فقلت :
﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ
كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (١) . فقال المختار:
كلكم محسن . وانجلت الواقعة عن سبعائة ومائتين قتيلاً من قومه .

قال أبو مخنف : حدثني النضر بن صالح أن القتل إذ ذاك كان استحر
٦٦٧/٢ في أهل اليمن ، وأن مضر أصيب منهم بالكُناسة بضعة عشر رجلاً ، ثم
مضوا حتى مروا بريقة ، فرجع حجار بن أبجر ، ويزيد بن الحارث بن
رؤيم وشداد بن المنذر - أخو حضين - وعكرمة بن ربيع . فانصرف جميع
هؤلاء إلى رحالهم ، وعطف عليهم عكرمة فقاتلهم قتالاً شديداً ، ثم انصرف
عنهم وقد خرج ، فجاء حتى دخل منزله ، فقبل له : قد مرت خيل في

ناحية الحى ؛ فخرج فأراد أن يشب من حائط داره إلى دار أخرى إلى جانبه فلم يستطع حتى حملته غلام له . وكانت وقعة جبانة السبع يوم الأربعاء لست ليال بقرين من ذى الحجة سنة ست وستين .

قال : وخرج أشرافُ الناس فلتَحِقُوا بالبصرة ، وتجرّد المختارُ لقتلة الحسين فقال : ما من ديننا تركُ قوم قتلوا الحسينَ يمشونَ أحياءَ في الدنيا آمنين ؛ بش ناصرُ آل محمدنا إذا في الدنيا ! أنا إذا الكذاب كما سمّوتى . فإنى ^(١) بالله أستعين عليهم ، الحمد ^(٢) لله الذى جعلنى سيفاً ضريبهم به ، ورعاً طعنهم به ، وطلب وترهم ، والقائم بحقهم ؛ إنه ^(٣) كان حقاً على الله أن يقتل من قتلهم ، وأن يذل من جهل حقهم ، فسموهم لى ثم اتبعوهم ^(٤) حتى تفتنوهم .

قال أبو مخنف : فحدثنى موسى بن عامر أن المختار قال لهم : اطلبوا لى قتلته الحسين ، فإنه لا يسوغ لى الطعام والشراب حتى أظهر الأرض منهم ، وأنى المصير منهم .

قال أبو مخنف : وحدثنى مالك بن أعين الجهشي أن عبد الله بن دبّاس ، وهو الذى قتل محمد بن عمار بن ياسر الذى قال الشاعر :

• قَتِيلَ أَبْنِ دَبَّاسٍ أَصَابَ قَدَالَهُ • ^(٥)

٢٦٨/٢

هو الذى دلّ المختار على نفر ممن قتل الحسين ، منهم عبد الله بن أسيد بن النزال الجهشي من حرقة ، ومالك بن النسير البدي ، وحمل بن مالك الحارثي ؛ فبعث إليهم المختار أبا نمران مالك بن عمرو النهدي . وكان من رؤساء أصحاب المختار — فأتاهم وهم بالقادسية ، فأخدمهم فأقبل بهم حتى أدخلهم عليه عشاء ، فقال لهم المختار : يا أعداء الله وأعداء كتابه وأعداء رسوله وآل رسوله ، أين الحسين بن علي ؟ أدوا لى الحسين . قتلتم من أميرتكم بالصلاة عليه فى الصلاة ، فقالوا ^(٦) : رحمك الله ! بعثنا ونحن كارهون ، فامنن علينا واستبقنا ، قال المختار : فهلا منتم على الحسين ابن بنت

(١) ف : « وإن » . (٢) ف : « والحمد » . (٣) ف : « إن » .

(٤) ف : « تبعوهم » . (٥) ف : « أصيب قتاله » . (٦) ف : « قالوا » .

نبيكم واستبقيتموه وسقيتموه ! ثم قال المختار للبدوي: أنت صاحب بُرْنُسِه ؟ فقال له عبد الله بن كامل : نعم ، هو هو ، فقال المختار ، اقطعوا يدَيَّ^(١) هذا ورجلَيْه ، ودَعُوْهُ فليضطرب حتى يموت ، ففعل ذلك به وترك ، فلم يزل يتزرف الدم حتى مات ، ولُمِر بالآخرين فقدما ، فقتل عبد الله بن كامل عبد الله الجهني ، وقتل سَعْرُ بْنُ أَبِي سَعْرٍ حَمَلُ بْنُ مَالِكِ الْحَارِثِيَّ .

قال أبو مخنف : وحدثنى أبو الصلت التيمي ، قال : حدثني أبو سعيد الصبيقل أن المختار دُلَّ على رجال من قِتلَةِ الحسين ، دَلَّه^(٢) عليهم سَعْرُ الحنفي ، قال : فبعث المختار عبد الله بن كامل ، فخرجنا معه حتى مرَّ ببني ضُبَيْعَة ، فأخذ منهم رجلا يقال له زياد بن مالك ، قال : ثم مضى إلى عَسَنَة فأخذ منهم رجلا يقال له عِمْرَان بن خالد . قال : ثم بعثني في رجال معه يقال لهم الدُّبَابَة إلى دار في الحمراء ، فيها عبد الرحمن بن أبي حُشْكَاة البجليّ وعبد الله بن قيس الخولانيّ ، فجئنا بهم حتى أدخلناهم عليه ، فقال لهم : يا قتلة للصالحين ، وقتلة سيّد شباب أهل الجنة ، ألا ترون الله قد أفاد منكم اليوم ! لقد جاءكم الورس ، بيوم نحس - وكانوا قد أصابوا من الورس الذي كان مع الحسين - أخرجوهم إلى السوق فضربوا رقابهم . ففعل ذلك بهم ، فهؤلاء أربعة نفر .

قال أبو مخنف : وحدثنى سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : جاءنا السائب بن مالك الأشعريّ في خيل المختار ، فخرجت نحو عبد القيس ، وخرج عبد الله وعبد الرحمن ابنا صُلَيْخ^(٣) في أثري ، وشغلوا بالاحتباس عليهما عني ، فنجوت وأخلوهما ، ثم مضوا بهما حتى مروا على منزل رجل يقال له عبد الله بن وهب بن عمرو ابن عمّ أعشى همدان من بني عبد ، فأخذوه ، فأنهوا بهم إلى المختار ، فأمر بهم فقتلوا في السوق ، فهؤلاء ثلاثة . فقال حميد بن مسلم في ذلك حيث نجا منهم :

أَلَمْ تَرِنِي عَلَى دَهْشِ نَجَوْتُ وَلَمْ أَكْذُ أَنْجُوْ

(١) ف : « يديه » . (٢) ف : « دله » .

(٣) ابن الأثير : « صلح » .

رجاء الله أنقصدني ولم أك غيرهُ أرجو

قال أبو مخنف : حدثني موسى بن عامر العلوي من جهينة - وقد عرف ذلك الحديث شهم بن عبد الرحمن الجهني - قال : بعث المختار عبد الله ابن كامل إلى عثمان بن خالد بن أسير الدُهماني من جهينة ، وإلى أبي أسماء بشر بن مسوط القابضي - وكانا ممن شهدا قتل الحسين ، وكانا اشتركا في دم عبد الرحمن بن عتيق بن أبي طالب وفي سلبه - فأحاط عبد الله بن كامل عند العصر بمسجد بني دُهمان ، ثم قال : عليّ مثل خطايا بني دُهمان منذ يوم خلقوا إلى يوم يُبعثون إن لم أوتَ بعثان بن خالد بن أسير ، إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم . فقلنا له : أمهلنا نطلبه ، فخرجوا مع الخيل في طلبه ، فوجدوها جالسَيْن في الجبَّانة - وكانا يريدان أن يخرجوا إلى الجزيرة - فأتى بهما عبد الله بن كامل ، فقال : الحمد لله الذي كفى المؤمنين القتال ، لو لم يجدوا هذا مع هذا عثانا إلى منزله في طلبه ، فالحمد لله الذي حينك حتى أمكن منك . فخرج بهما حتى إذا كان في موضع بر الجعد ضرب أعناقهما ، ثم رجع فأخبر المختار خبرهما ، فأمره أن يرجع إليهما فيحرقهما بالنار ، وقال : لا يُلدفنان حتى يحرقا . فهذان رجلان ، فقال أعشى همدان^(١) يرى عثمان الجهني :

يا عَيْنَ بَكَى فَتَى الْفَتَيَانِ عُثْمَانَا لَا يَبْعَلَنَّ الْفَتَى مِنْ آلِ دُعْمَانَا
وَأَذْكَرُ فَتَى مَاجِدًا حُلُوا شِمَانُلَهُ مَا مِثْلُهُ فَارِسٌ فِي آلِ هَمْدَانَا

قال موسى بن عامر : وبعت معاذ بن هاني بن عدي الكندي ، ابن أنثى حُجر ، وبعت أبا عمرة صاحب حرّسه ، فساروا حتى أحاطوا بدار خولّ بن يزيد الأصبحي وهو صاحب رأس الحسين الذي جاء به ، فاخترأ في مخرجه ، فأمر معاذ أبا عمرة أن يطلبه في الدار ، فخرجت امرأته إليهم ، فقوالها : أين زوجك ؟ فقالت : لا أدري أين هو - وأشارت بيدها إلى المخرج ، فدخلوا فوجدوه قد وضع على رأسه قَوْصَرَةً ، فأخرجوه ، وكان المختار يسير

(١) اسمه عبد الرحمن بن عبد الله ، وحمدان بالادال الساكنة من قبائل كهلان باليمن ، وانظر

(٢) ف : « وقد كان » .

المؤلف والمختلف ١٢ .

بالكوفة . ثمَّ إِنَّهُ أَقْبِلَ فِي أَثَرِ أَصْحَابِهِ وَقَدْ بَعَثَ أَبُو عَمْرٍةَ إِلَيْهِ رَسُولًا ، فَاسْتَقْبَلَ الْمُخْتَارَ الرَّسُولَ عِنْدَ دَارِ بِلَالٍ ، وَمَعَهُ ابْنُ كَامِلٍ ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، فَأَقْبَلَ ^(١) الْمُخْتَارَ نَحْوَهُمْ ، فَاسْتَقْبَلَ بِهِ ، فَرَدَّه ^(٢) حَتَّى قَتَلَهُ إِلَى جَانِبِ أَهْلِهِ ، ثُمَّ دَعَا ^(٣) بَنَارَ فَحَرَّقَهُ [بِهَا] ^(٤) ، ثُمَّ لَمْ يَبْرَحْ حَتَّى عَادَ رِمَادًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ . وَكَانَتْ أَمْرَأَتُهُ مِنْ حَضْرَمَوْتٍ يُقَالُ لَهَا الْعَيُوفُ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ نَهَارِ بْنِ عَقْرَبٍ ، وَكَانَتْ نَصَبَتْ لَهُ الْعِدَاوَةَ خِيفَ جَاءَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ .

قال أبو مخنف : وحدثني موسى بن عامر أبو الأشعر أن المختار قال ذات يوم وهو يحدث جلساءه : لأقتلنَّ غدًا رجلاً عظيماً القَدَمين ، غائر العينين ، مشرف الحاجبين . يسرَّ مقتله المؤمنين والملائكة المقرَّبين . قال : وكان الهيثم بن الأسود النخعي عند المختار حين سمع هذه المقالة ، فوقع في نفسه أن الذي يريد عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فلحقاً رجع إلى منزله دعا ابنه العريان فقال : ألق ابن سعد الليلة فخبِّره بكنا وكذا ، وقل له : خذ حذرَكَ ، فإنَّه لا يريد غيرَكَ . قال : فأناه فاستخلاه ، ثمَّ حدثته الحديث ، فقال له عمر بن سعد : جزى الله أباك والإخاء خيراً ! كيف يريد هذا بي بعد الذي أعطاني من العهود والمواثيق ! وكان المختار أول ما ظهر أحسن شيء سيرةً وتألُّفاً للناس ، وكان عبد الله بن جهملة بن هبيرة أكرمَ خلق الله على المختار لقربائه بعلى ^(٥) ، فكلم عمرُ بنُ سعد عبد الله بن جهملة وقال له : إني لا آمن هذا الرجل — يعني المختار — فخذْ لي منه أماناً ، ففعل ؛ قال : فأنا رأيتُ أمانته وقرأته [وهو] ^(٦) :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا أمانٌ من المختار بن أبي عبيد لعمرو بن سعد ابن أبي وقاص ، إنَّكَ آمنَ بأمان الله على نفسك ومالك وأهلك وأهل بيتك وولدك . لا تؤاخذُ بِحَدَثِ كَانَ مِنْكَ قَدِيمًا مَا سَمِعْتَ وَأَطَعْتَ وَلَزِمْتَ رَحْلَكَ وَأَهْلَكَ وَمِصْرَكَ ^(٧) . فَنَ لَقِيَ عَمْرَ بْنَ سَعْدٍ مِنْ شَرْطَةِ اللَّهِ وَشِيعَةِ آلِ مُحَمَّدٍ

(١) ف : « فرج وأقبل » . (٢) ف : « فردّه » .

(٣) ف : « وجما » . (٤) من ف .

(٥) ف : « من علي » . (٦) من ف . (٧) ف : « وضرك » .

ومن غيرهم من الناس ، فلا يعرض له إلا بخير . شهد السائب بن مالك وأحمر بن شبيب وعبد الله بن شداد وعبد الله بن كامل . وجعل المختار على نفسه عهد الله وميثاقه ليعتق لعمر بن سعد بما أخطاه من الأمان ، إلا أن يحدث حدثاً ، وأشهد الله على نفسه ، وكفسي بالله شهيداً . ٦٧٣/٢

قال : فكان أبو جعفر محمد بن علي يقول : أمّا أمان المختار لعمر بن سعد : إلا أن يحدث حدثاً ، فإنه كان يريد به إذا دخل الخلاء فأحدث . قال : فلمّا جاءه العريان بهذا خرج من تحت ليلته حتّى أتى حمامه ، ثم قال في نفسه : أنزل داري ، فرجع فعبّر الروحاء ، ثم أتى داره غلوة ، وقد أتى حمامه ، فأخبر مولّى له بما كان من أمانه وبما أريد به ، فقال له مولاه : وأى حدث أعظم ممّا صنعت ! إنك تركت رحلك وأهلك ^(١) وأقبلت إلى ها هنا ، ارجع إلى رحلك ، لا تجعل ^(٢) للرجل عليك ميلاً . فرجع إلى منزله ، وأتى المختار بانطلاقه ، فقال : كلّ إن في عنقه سلسلة سردة ، لو جهّد أن ينطلق ما استطاع . قال : وأصبح المختار فبعث إليه أبا عمرة ، وأمره أن يأتيه به ، فجاءه حتّى دخل عليه فقال : أجب الأمير ، فقام عمر فعبّر في جبة له ، ^(٣) ويضربه أبو عمرة بسيفه ^(٤) ، فقتله ، وجاء برأسه في أسفل قبّاه حتّى وضعه بين يدي المختار ، فقال المختار لابنه حفص بن عمر بن سعد وهو جالس عنده : أتعرف هذا الرأس ؟ فاسترجع وقال : نعم ، ولا خير في العيش بعده ، قال له المختار : صدقت ، فلنك لا تعيش بعده ، فأمر به فقتل ، وإذا رأسه مع رأس أبيه . ثم إن المختار قال : هذا بحسّين وهذا بعلي بن حسين ^(٥) ، ولا سواه ، والله لو قتلته به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله ، فقالت حميدة بنت عمر بن سعد تبيكي أباهما :

لو كان غير أخي قسي غره أو غير ذي يمن وغير الأعجم
سختي بنفسى ذاك شيئاً فاعلموا عنه وما البطريق مثل الألام
أعطى ابن سعلج الصحيفة وابنه عهداً يلين له جناح الأرقم

(١) ف : « أمك ورحلك » . (٢) ف : « لا تبيل » .

(٣-٤) ف : « ويضربه أبو عمرة فضر به » . (٤) ف : « الحسين » .

فلما قتل المختار عمر بن سعد وابنه بعث برأسيهما مع مسافر بن سعيد ابن نمران الناعطي وطبسيان بن عمارة التميمي، حتى قدما بهما على محمد بن الحنفية، وكتب إلى ابن الحنفية في ذلك بكتاب .

قال أبو مخنف : وحدثني موسى بن عامر ، قال : إنما كان هيج المختار على قتل عمر بن سعد أن يزيد بن شراحيل الأنصاري أتى محمد بن الحنفية ، فسلم عليه ، فجرى الحديث إلى أن تذاكروا المختار وخروجه وما يدعو إليه من الطلب بدماء أهل البيت ، فقال محمد بن الحنفية : على أهون رسله يزعم أنه لنا شيعه ، وقتلة الحسين جلساؤه على الكراسي يحذثونه! قال : فوعاها الآخر منه ، فلما قدم الكوفة أتاه فسلم عليه ، فسأله المختار : هل لقيت المهدي؟ فقال له : نعم ، فقال : ما قال لك وماذا كرك؟ قال : فخبّره الخبر . قال : فإلبث المختار عمر بن سعد وابنه أن قتلتهما ، ثم بعث برأسيهما ^(١) إلى ابن الحنفية مع الرسولين اللذين سمينا ، وكتب معهما إلى ابن الحنفية : ٦٧٥/٢

بسم الله الرحمن الرحيم . للمهدي محمد بن علي من المختار بن أبي عبيد . سلام عليك يا أيها المهدي ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإن الله بعثني نعمة على أعدائكم ، فهم بين قتيل وأسير ، وطريد وشريد ، فالحمد لله الذي قتل قاتلكم ^(٢) ، ونصر مؤازريك ^(٣) . وقد بعثت إليك برأس عمر بن سعد وابنه ، وقد قتلنا من شرك في دم الحسين وأهل بيته رحمة الله عليهم - كل من قدرنا عليه ، ولن يعجز الله عن شيء ، ولست بمنسجم ^(٤) عنهم حتى لا يبلغني أن على أديم الأرض منهم أرمياً ^(٥) . فاكذب إلى أيها المهدي برأيك أتبعه وأكون عليه ، والسلام عليك أيها المهدي ورحمة الله وبركاته .

ثم إن المختار بعث عبد الله بن كامل إلى حكيم بن طقفيل الطائي السبيعي - وقد كان أصاب صلب العباس بن علي ، ورمي

(١) كذا في ف و ط : «برأسيهما» . (٢) ف : «قاتلكم» . (٣) ف : «مؤازركم» .

(٤) ف : «منسجم» . (٥) إرميا ، أي أعداء ، يقال : ما بالدار إرميا ، أي أعداء .

حسيناً بسهمهم ، فكان يقول : تعلق سهمي بسرياله وما ضره — فأناه عبد الله ابن كامل ، فأخذه ثم أقبل به ، وذهب أهلُه فاستأثروا^(١) بعدي بن حاتم ، فلحقهم في الطريق ، فكلمهم عبد الله بن كامل فيه ، فقال : ما لي^(٢) من أمره شيء ، إنما ذلك^(٣) إلى الأمير المختار . قال : فإني آتيه ؛ قال : فإنه راشدٌ . ففضى عدي نحو المختار ، وكان المختار قد شفّعه في نفر من قومه أصابهم يوم جَبانة السَّبع ، لم يكونوا نطقوا بشيء من أمر الحسين ولا أهل بيته ، فقالت الشيعة لابن كامل : إننا نخاف أن يشفع الأمير عدي بن حاتم^{١٧٦/٧} في هذا الخبيث ، وله من الذنب ما قد علمت^(٤) ، فدعنا نقتله . قال : شأنكم به ، فلما انتهوا به إلى دار المستزينين وهو مكتوف نصبوه غرصاً ، ثم قالوا له : سلبت ابن علي ثيابه ، والله لنسلين ثيابك وأنت حي تنظر ! فزعوا ثيابه ، ثم قالوا له : رميت حسيناً ، واتخذته غرصاً لنيلك ، وقلت : تعلق سهمي بسرياله ولم يضره ، وإيم الله لزمينك كما ريمته بنال ما تعلق بك منها أبزأك . قال : فرمّوه رشقاً واحداً ، فوقع به منهم نبال كثيرة فخر ميتاً .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الجارود^(٥) ، عن رآه قتيلاً كأنه قُنفذَ ليماً فيه من كثرة النبل : ودخل عدي بن حاتم على المختار فأجلسه معه على مجلسه ، فأخبره عدي عما جاء له ، فقال له المختار : أنت محل يا أبا طريف أن تطلب في قتيلا الحسين ! قال : إنه مكنوب عليه أصلحك الله ! قال^(٦) : إذا ندّعه لك قال : فلم يكن بأسرع من أن دخل ابن كامل فقال له المختار : ما فعل الرجل ؟ قال : قتلته الشيعة : قال : وما أعجلك إلى قتله قبل أن تأتيني به وهو لا يسره أنه لم يقتله — وهذا علي قد جاء فيه ، وهو أهل أن يشفع ويؤي ما سره^(٧) ! قال : غلبتني والله الشيعة ، قال له عدي : كذبت يا عدو الله ، ولكن ظننت أن من هو خير منك ميشفعني فيه ، فبادرتني

(١) ف : « فاستأثروا » . (٢) ف : « ما لي » .

(٣) ف : « ذلك » . (٤) ف : « علمته » .

(٥) هو زياد بن زياد ، الذي قسى باسمه فرقة الجارودية .

(٦) ف : « فقال » . (٧) ف : « يسره » .

فقتلته ، ولم يكن خطر يدفعك عمياً صنعت . قال : فاستحقر^(١) إليه ابن
 كامل بالشَّيْمة ، فوضع المختار لاصْبَعه على فيه ، يأمر ابن كامل بالسكوت
 والكف عن عدى ، فقام عدى راضياً عن المختار مسلخاً على ابن كامل ،
 يشكوه عند من لقي من قومه . وبعث المختار إلى قاتل علي بن الحسين عبد الله
 ابن كامل ، وهو رجل من عبد القيس يقال له مِرَّة بن مُنْقِذ بن النعمان العبدي
 وكان شجاعاً ، فأناه ابن كامل فأحاط بداره ، فخرج إليهم وبَيْدَه^(٢)
 الرمح ، وهو على فرس جواد ، فطعن عبيد الله بن ناجية الشَّيْء ، فصَرَعه
 ولم يضره . قال : ويضربه ابن كامل بالسيف فيخفيه بيده اليسرى ، فأسرع^(٣)
 فيها السيف ، وتمطرت به الفرس^(٤) ، فأقلت ولحق بمصعب ، وشككت يده بعد
 ذلك . قال : وبعث المختار أيضاً عبد الله الشاكري إلى رجل من جنب
 يقال له زيد بن رقاد ، كان يقول : لقد رميت فتى منهم بهم وإنه لواضيع
 كفه على جبهته يتقى النبل فأثبت كفه في جبهته ، فما استطاع أن يزيل
 كفه عن جبهته .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو عبد الأعلى الزبيدي أن ذلك الذي عبد الله
 ابن مسلم بن عقيل ، وأنه قال حيث أثبت كفه في جبهته : اللهم إنيهم
 استقلونا واستذلونا ، اللهم فاقتلهم كما قتلونا ، وأذلهم كما استذلونا . ثم
 إنه رأى الغلام بسهم آخر فقتله ، فكان يقول : جثته ميتاً فنزعت
 سهمي الذي قتلته به من جوفه ، فلم أزل أنفض السهم^(٥) من جبهته
 حتى نزعته ، وبقي النصل في جبهته مثبتاً ما قدرت على نزعها .

قال : فلما أتى ابن كامل داره أحاط بها ، واقتحم الرجال عليه ، فخرج
 مسلحاً بسيفه^(٦) . وكان شجاعاً فقال ابن كامل : لا تضربوه بسيف ،
 ولا تطفئوه برمح ، ولكن ارموه بالنبل ، وارجعوه^(٧) بالحجارة ، ففعلوا ذلك به ،
 فسقط ، فقال ابن كامل : إن كان به رمق فأخرجوه^(٨) ، فأخرجوه وبه

(١) في اللسان : يقال : استحقر الرجل في خطبه ، إذا مضى واتسع في كلامه .

(٢) ف : « بيده » . (٣) ف : « فيسرع » .

(٤) ف : « فرسه » . (٥) فضض السهم ، إذا حركه .

(٦) ف : « بالسيف » . (٧) ف : « وارجعوه » . (٨) ف : « فأخرجوه بالنار » .

رَمَتْ ، فدعا بنار فحرقه بها وهو حي لم تخرج رُوحه . وطلب المختار سنان ابن أنس اللّدي كان يدعى قَتْلَ الحسين ، فوجده قد هَرَبَ إلى البصرة ، فهَدَمَ داره . وطلب المختارُ عبدَ الله بن عَقْبَةَ الغَنَوِيّ فوجده قد هَرَبَ ، ولحق بالجزيرة ، فهدم داره ، وكان ذلك الغَنَوِيّ قد قتل منهم غلاماً ، وقتل رجلاً آخرَ من بني أسد يقال له حَرْمَلَة بن كاهل رجلا من آل الحسين . ففِيهِمَا يَقُول ابن أبي عَقِبِ اللّيثي :

وعِنْدَ غَنِيٍّ قَطْرَةٌ مِنْ دِمَائِنَا وَفِي أَسَدٍ أُخْرَى تُعَدُّ وَتُذَكَّرُ

وطلب رجلا من خَشَعَمَ يقال له عبد الله بن عُرْوَة الخثعمي — كان يقول :

رَمِيت فِيهِمْ بِأَنَّثِيْ عَشْرَ مِهْمًا ضَيِّعَةً — ففاته وَلَحِقَ بِمَصْعَب ، فَهَدَمَ داره ، وطلب رجلا من صُدَاء يقال له عَمْرُو بن صَبِيح ، وكان يقول : لقد طَعَنْتُ بَعْضَهُمْ وَجَرَحْتُ فِيهِمْ ^(١) وما قتل منهم أَحَدًا ، فَأَتَيْ لَيْلًا وهو

على سَطْحِهِ وهو لا يشعر بعد ما هَدَأَتِ الْعَيُون ، وسيفه تحت رأسه ، فَأَخَذُوهُ ٦٧٩/٢
أَخَذًا ، وَأَخَذُوا سَيْفَهُ ، فقال : قَبْحَكَ اللَّهُ سَيْفًا ، مَا أَقْرَبَكَ وَأَبْعَدَكَ !
فَجِئْتُ بِهِ إِلَى الْمُخْتَار ، فَحَبَسَهُ مَعَهُ فِي الْقَصْرِ ، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحَ أَذِنَ لِأَصْحَابِهِ ،
وَقِيلَ : لِيَدْخُلْ مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ ، ودخل الناس ، وجرى به مَقْبِدًا ، فقال :
أَمَّا وَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ الْكُفَرَةِ الْفَجْرَةِ أَنْ لَوْ بِيَدِي سَيْفٌ لَعَلِمْتُ أَنِّي بِنَصْلِ السَّيْفِ
غَيْرَ رَعِيشٍ وَلَا رَعْدِيدٍ ، مَا بَسَرْتَنِي إِذْ ^(٢) كَانَتْ مَنِيَّتِي قَتْلًا أَنَّهُ قَتَلَنِي مِنْ
الْخَلْقِ أَحَدٌ ^(٣) غَيْرِكُمْ . لقد عَلِمْتُ أَنَّكُمْ شَرَارُ خَلْقِ اللَّهِ ، غَيْرَ أَنِّي وَدِدْتُ
أَنْ يَبْدِيَ سَيْفًا أَضْرِبَ بِهِ فِيكُمْ سَاعَةً ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ فَلَطَمَ عَيْنَ ابْنِ كَامِلٍ
وهو إلى جنبه ، فَضَحَكَ ابْنُ كَامِلٍ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ وَأَمْسَكَهَا ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُ
يَزْعَمُ أَنَّهُ قَدْ جَرَحَ فِي آلِ مُحَمَّدٍ وَطَعَنَ ، فَسَرُّنَا بِأَمْرِكَ فِيهِ ، فقال المختار :
عَلَى بِالرَّمَاكِ ، فَأَتَى بِهَا ، فقال : اطْعَمُوهُ حَتَّى يَمُوتَ ، فَطُعِنَ بِالرَّمَاكِ
حَتَّى مَاتَ .

قال أبو مخنف : حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَابْنُهُ الْحَكَمُ بْنُ هِشَامٍ

(١) ف : « لقد طعنت فيهم وجرحت » . (٢) ف : « إن » .

(٣) ف : « أحد من الناس » .

أن أصحاب المختار مروا بدار بني أبي زُرعة بن مسعود ، فرمّوهم من فوقها ، فأقبلوا حتّى دخلوا الدارَ ، فقتلوا الهياط بن عثمان بن أبي زُرعة الثقفى وعبد الرحمن بن عثمان بن أبي زُرعة الثقفى ، وأفلستهم عبدُ المالك بن أبي زُرعة بضربة في رأسه ، فجاء يشتدّ حتّى دخل على المختار ، فأمر امرأته أمّ ثابت ابنة سمرّة بن جندب ، فداوت شجّته ، ثمّ دعاه ، فقال : لا ذنب لى ، ٦٨٠/٢
إنّكم رميتُم^(١) القوم فأغضبتموهم^(٢) . وكان محمّد بن الأشعث بن قيس في قرية الأشعث إلى جنب القادسية ، فبعث المختار إليه حوشياً سادِنَ الكرميّ في مائة ، فقال : انطلق إلى فإنّك تجده لاهياً منصيداً ، أو قائماً متلبداً ، أو خائفاً متلداً ، أو كامناً متعمداً ، فإن قدرت عليه فأتني برأسه . فخرج حتّى أتى قصره فأحاط به ، وخرج منه محمّد بن الأشعث فلحق بمصعب ، وأقاموا على القصر وهم يرون أنّه فيه ، ثمّ دخلوا فعلموا أنّه قد فاتهم ، فانصرفوا إلى المختار ، فبعث إلى داره فهدمها ، وبني بلبسها وطينها دار حُجّر بن عدى الكِنْدى ، وكان زيادُ بن سُميَّة قد هدّمها .

* * *

[ذكر الخبر عن البيعة للمختار بالبصرة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة دَعَا المثنّى بن مخزّبة العبدى إلى البيعة للمختار بالبصرة أهلها ؛ فحدثني أحمد بن زهير ، عن عليّ بن محمّد ، عن عبد الله بن عطية اللبّى وعامر بن الأسود ، أن المثنّى بن مخزّبة العبدى كان مِمَّنْ شهد عينَ الوُرْدَةِ مع سليمان بن صرَد ، ثمّ رجع مع مَنْ رجع مِمَّنْ بقى من التّوّابين إلى الكوفة ، والمختار محبوس ، فأقام حتّى خرج المختار من السجن ، فبايعه المثنّى سرّاً ، وقال له المختار : الحقّ بِبَلَدِكَ بالبصرة فارح الناسَ ، وأسِرْ أمرَكَ ؛ فقدم البصرة فدعا ، فأجابه رجالٌ من قومه وغيرهم فلمّا أخرج المختارُ ابنَ مطيع من الكوفة وسنّعَ عمر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام من الكوفة خرج المثنّى بن مخزّبة فاتخذ مسجداً ، واجتمع^(٣) إليه ٦٨١/٢

(١) ف : أريهم . (٢) ف : وأغضبتم .

(٣) ف : فاجتمع .

قومه ، ودعا إلى المختار ، ثم أتى مدينة الرزق فمسكر عندها ، وجمعوا الطعام في المدينة ، ونَحَرُوا الجُرُزَ ، فوجّه إليهم القُبَاعُ عِبَادَ بن حصين وهو على شُرْطَته ، وقيس بن الميثم في الشَّرْطِ والمقاتلة ، فأخذوا في سَكَةِ الموالى حتى خرجوا إلى السَّبْخَةِ ، فوقفوا ، ولزِمَ الناسُ دَوَرَهُمْ . فلم يخرج أحد ، فجعل عِبَادُ ينظر هل يرى أحداً يسأله ! فلم ير أحداً ؛ فقال : أما ها هنا رجلٌ من بني عَمِ ؟ فقال خليفة الأعور مولى بني عدي ، عدى الرِّياب : هذه دار وِراد مولى بني عبد شَمْسٍ ؛ قال : دُقِ الباب ، فدقّه ، فخرج إليه وِراد ، فشتمه عِبَادُ وقال : وَيَحْك ! أنا واقفٌ ها هنا . لِمَ لَمْ تخرج إلى ! قال : لم أدر ما يوافقك ، قال : شدّ عليك سلاحك واركب ، ففعل ، ووقفوا ، وأقبل أصحابُ المثنى فواقفهم ، فقال عِبَادُ لوراد : قف مكانك مع قيس ، فوقف قيس بن الميثم ووراد ، ورجع عِبَادُ فأخذ في طريق الذَّبَّاحين ، والنَّاسِ وقوفٌ في السَّبْخَةِ ، حتى أتى الكلأ ، ولمدينة الرزق أربعة أبواب : باب ميمّا إلى البصرة ، وباب إلى الخلائين ، وباب إلى المسجد ، وباب إلى مهبّ الشمال ؛ فأتى الباب الذي يلي النهر ميمّا إلى أصحاب السَّقَطِ : وهو باب صغير ، فوقف ودعا بسَلَمٍ فوضعه مع حائط المدينة ، فصعد ثلاثون رجلاً ، وقال لهم : الزموا السطح ، فإذا سمعتم التكبير فكبروا على السطوح ، ورجع عِبَادُ إلى قيس بن الميثم وقال لوراد : حَرَسَ القومَ ؛ فطاردهم وِراد ، ثم التبس القتال فقتل أربعون رجلاً من أصحاب المثنى ، وقتل رجل من أصحاب عِبَادَ ، وسمع الذين على السطوح ^(١) في دار الرزق الضجّة والتكبير ، ٦٨٢/٢ فكبروا ، فهرب من كان في المدينة ، وسمع المثنى وأصحابه التكبير من ورائهم ، فانهزموا ، وأمر عِبَادُ وقيس بن الميثم ^(٢) الناس بالكف عن اتباعهم ^(٣) وأخذوا مدينة الرزق وما كان فيها ، وأتى المثنى وأصحابه عبد القيس ورجع عِبَادُ وقيس ومن معهم إلى القُبَاعِ فوجهما إلى عبد القيس ، فأخذ قيس بن الميثم من ناحية الحسر ، وأتاهم عِبَادُ من طريق المِرْبِدِ ، فالتقوا فأقبل زياد بن عَمْرٍو العَتَكِيُّ إلى القُبَاعِ وهو في المسجد جالس على المنبر ،

(١) ف : « السطح » .

(٢-٣) ف : « بالكف عن الناس ومن » .

فدخل زياد المسجد على فرسه، فقال: أيُّها الرجل، لردن خيلك عن إخواننا أو لقتالنا^(١). فأرسل القُبَاعُ الأحنفَ بنَ قيسَ وعمرَ بنَ عبد الرحمن المخزومي ليصلحا أمرَ الناس، فأتيا عبد القيس، فقال الأحنف لبكر والأزد وللعمامة: ألسم على بيعة ابن الزبير! قالوا: بلى، ولكننا لا نُسلم إخواننا. قال: فمروهم فليخرجوا إلى أي بلاد أحبوا، ولا يفسدوا هذا المِصرَ على أهله، وهم آمنون فليخرجوا حيث شاءوا. فثنى مالكُ بنُ مِسمَع وزِيادُ بن عمرو وجوهُ أصحابهم إلى المثنى، فقالوا له ولأصحابه: إننا والله ما نحن على رأيكم، ولكننا كرهنا أن تُضاموا^(٢). فالحقوا بصاحبكم. فإن من أجابكم إلى رأيكم قليل، وأنتم آمنون. فقَبِلَ المثنى قولهما وما أشارا به، وانصرف. ورجع الأحنف وقال: ما غَبِيتُ رأيي إلا يومِي هذا، إني أتيت هؤلاء القومَ ونطقتُ بكراً والأزد ورأيي، ورجع عبادُ قيس إلى القُبَاع، وشخص المثنى إلى المختار بالكوفة في نفر يسير من أصحابه، وأصيب في تلك الحرب سُويدُ بن رثاب الشنّي، وعقبه بن عشيرة الشنّي، قَتَلَهُ رجل من بني تميم وقَتَلَ التميمي فتولّع أخو عقبه بن عشيرة في دَمِ التميمي، وقال: ثأري. وأخير المثنى المختار حين قَدِمَ عليه بما كان من أمر مالك بن مِسمَع وزِياد بن عمرو ومسيرهما إليه، وذَبَهما عنه حتّى شخص عن البصرة. فطَمَعَ المختار فيهما، فكتب إليهما: أمّا بعد، فاسمعا وأطيعا أوتيكما^(٣) من الدنيا ما شئتما، وأضمن لكما الجنة. فقال: مالكُ لزِياد: يا أبا المغيرة، قد أكثر لنا أبو إسحاق إعطاءنا الدنيا والآخرة! فقال زياد للمالك مازحاً: يا أبا غسان، أمّا أنا فلا أقاتل نسيئةً، من أعطانا الدّراهم قاتلنا معه. وكتب المختارُ إلى الأحنف بن قيس:

٦٨٣/٢

من المختار إلى الأحنف ومن قبّله، فسَلِّمُ أنتم، أمّا بعد، فويلُ أمّ ربيعة من مفسر، فإنّ الأحنف مُورد قومه سقَر، حيث لا يستطيع لهم الصّدَر، وإنّي^(٤) لا أملك ما خُطّ في القَدَر، وقد بلغني أنكم تسمّونني^(٥) كذّاباً،

٦٨٤/٢

(١) ف: وابن الأثير «لقتالهم».

(٢) ف: «نصابوا».

(٣) ف: «ولكنا».

(٤) ف: «وأنا».

(٥) ف: «تسمون».

وقد كُذِّبَ الأَنياءُ مِن قَبْلِي ، وَلستُ بخيرٍ من كثيرٍ منهم .
ويكتب إلى الأحنف :

إِذَا اشتريتَ قَرَساً من مالِكَا ثُمَّ أَخَذْتَ الجَوْبَ في شِمالِكَا
• فاجعلْ مصاعاً حطماً مِن بالِكا •

حدثني أبو السائب سَكَمُ بن جُنادة ، قال : حدثنا الحسن بن حمَّاد ،
عن حَيَّان^(١) بن عليّ ، عن المجالد ، عن الشَّعْبِيّ ، قال : دخلتُ البَصْرَةَ
فقدتُ إلى حَلْفَةٍ فيها الأحنف بن قيس ، فقال لي بعضُ القوم : مَنْ
أَنْتَ ؟ قلتُ : رجلٌ من أهل الكوفة ؛ قال : أَنْتَ مَوَالٍ لَنَا ؛ قلتُ : وكيف ؟
قال : قد أَقْدَنَّاكَم من أَيْلَى عبيدكم مِن أصحابِ المختار ، قلتُ : تدرى
ما قال شيخُ هَمْدَانَ فينا وفيكم ؟ فقال الأحنف بن قيس : وما قال ؟
قلت : قال :

أَفْخَرْتُمْ أَنْ قَتَلْتُمْ أَعْبَدًا وَهَزَمْتُمْ مَرَّةً آلَ عَزَلٍ
وَإِذَا فَاخَرْتُمُونَا فَادْكُرُوا مَا فَعَلْنَا بِكُمْ يَوْمَ الْجَمَلِ
بَيْنَ شَيْخٍ خَاضِبٍ عُنُونُهُ وَفَتًى أَبْيَضٍ وَضَّاحِ رِفْلِ
جَاعِلًا يَهْلِكُ فِي سَابِقَةٍ فَذَبَحْنَاهُ ضَحًى ذَبَحَ الْحَمَلِ
وَعَفَوْنَا فَنَسِيتُمْ عَفْوَنَا وَكَفَرْتُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ الْأَجَلِ
وَقَتَلْتُمْ خَشْيَتَيْنِ بِهِمْ بَدَلًا مِنْ قَوْمِكُمْ شَرًّا بَدَلِ

فغضب الأحنف ، فقال^(٢) : يا غلام ، هات تلك الصحيفة ، فَأَنبَى ٦٨٥/٢
بصحيفة فيها :

بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس ،
أَمَّا بَعْدُ . فويلُ أُم رُبَيْعَةٍ وَمُضَرٍّ^(٣) ، فَإِنَّ الأحنف مُورِدٌ قَوْمَهُ سَقَمَرٌ ،
حَيْثُ لَا يَتَّقِدُونَ عَلَى الصَّدَرِ ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُكْذِبُونِي ، وَإِنْ كُذِّبْتُ

(١) ط : « حيان » تصحيف . (٢) ف : « وقال » . (٣) ف : « من مضر » .

فقد كُذِّبَ رسلٌ من قبلي ، ولستُ أنا خيراً^(١) منهم . فقال : هذا منّا أو منكم !

وقال هشام بن محمد عن أبي عَنف ، قال : حدثني مَنيع بن العلاء السعدي أن مسكين بن عامر بن أنسيف بن شريح بن عمرو بن عدس كان فيمن قاتل المختار ، فلما هزم الناس لحق بأذربيجان بمحمد بن عمير بن عطار ، وقال :

عَجِبْتُ دَخَنُوسَ لَمَّا رَأَيْتِي قَدْ عَلَانِي مِنَ الْمَشِيرِ خِيَارُ
فَأَهْلَيْتُ بِصَوْرَتِهَا وَأَرَنْتُ لَا تَهَالِي قَدْ شَابَ مِنِّي الْعِذَارُ
إِنْ تَرَيْتَنِي قَدْ بَانَ غَرْبُ شَبَابِي وَأَتَى دُونَ مَوْلَدِي أَعْصَارُ
فَابْنُ عَامَيْنِ وَابْنُ خَمْسِينَ عَاماً أَيْ دَهْرٌ إِلَّا لَهُ أَدْهَارُ
لَيْتَ سِيقِي لَهَا وَجُوبَتَهَا لِي يَوْمَ قَالَتْ أَلَا كَرِيمٌ يَغَارُ
لَيْتَنَّا قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ يَتَنَّا أَوْ فَعَلْنَا مَا تَفْعَلُ الْأَحْرَارُ
فَعَلَ قَوْمٌ تَقَاذِفَ الْخَيْرِ عَنْهُمْ لَمْ نُقَاتِلْ وَقَاتَلَ الْعِزَّازُ
وَتَوَلَّيْتُ عَنْهُمْ وَأَصْبَحُوا وَنَفَايَ عَنْهُمْ شَنَارُ وَعَارُ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى شِهَابِ قُرَيْشٍ يَوْمَ يُوقَى بِرَأْسِهِ الْمُخْتَارُ
وَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ اللَّيْثِيُّ :

قَتَلُوا حُسَيْنًا ثُمَّ هُمْ يَنْعَوْنَهُ إِنَّ الزَّمَانَ بِأَهْلِهِ أَطْوَارُ
لَا تَبْعِدُنَ بِالطُّفِّ قَتْلِي ضَبِعْتُ وَسَقَى مَسَاكِينَ هَامِيهَا الْأَمْطَارُ
مَا شُرْطَةُ الدِّجَالِ تَحْتَ لَوَائِهِ بِأَضَلِّ مِمَّنْ غَرَّهُ الْمُخْتَارُ
أَبْنَى قَسَى أَوْثَقُوا دَجَالَكُمْ يَجْلُ الْغُبَارُ وَأَنْتُمْ أَحْرَارُ
لَوْ كَانَ عِلْمُ الْغَيْبِ عِنْدَ أَخِيكُمْ لَتَوَطَّأْتُ لَكُمْ بِهِ الْأَحْبَارُ
وَلَكَانَ أَمْرًا بَيِّنًا فِيمَا مَضَى نَأَى بِهِ الْأَنْبَاءُ وَالْأَخْبَارُ

إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُكَلِّبَ وَحْيَكُمْ
وَيَجِيئَكُمْ قَوْمٌ كَأَنَّ سُرُوقَهُمْ
لَا يَنْتَوْنُ إِذَا هُمْ لَأَقْوَمُكُمْ
طَعْنُ يَشُقُّ عَصَاكُمْ وَحِصَارُ
بِأَكْثِهِمْ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ نَارُ
إِلَّا وَهَامُ كَمَا تَكُمُ أَعْشَارُ

* * *

[ذكر الخبر عن بعث المختار جيشه للمكر بابن الزبير]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة بعث المختارُ جيشاً إلى المدينة للمكر بابن الزبير ، وهو مظهر له أَنَّهُ وَجَّهَهُمْ مَعُونَةً لَهُ لِحَرْبِ الْجَيْشِ الَّذِي كَسَانِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَجَّهَهُ إِلَيْهِ لِحَرْبِهِ ، فَنَزَلُوا وَادِيَ الْقُرَى .

• ذكر الخبر عن السبب الداعي كان للمختار إلى توجيه ذلك الجيش وإلى ما صار أمرهم :

قال هشام بن محمد : قال أبو مخنف : حدثني موسى بن عامر ، قال :
لَمَّا أَخْرَجَ الْمُخْتَارُ ابْنَ مَطِيعٍ مِنَ الْكُوفَةِ لِحَقِّ بِالْبَصْرَةِ . وَكَرِهَ أَنْ يَقْدِمَ
ابْنَ الزَّبِيرِ بِمَكَّةَ وَهُوَ مَهْزُومٌ مَقْلُولٌ ، فَكَانَ بِالْبَصْرَةِ مَقِيمًا حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ
عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هِشَامٍ ، فَصَارَا جَمِيعًا بِالْبَصْرَةِ . وَكَانَ سَبَبُ قُلُومِ
عَمْرِ بِالْبَصْرَةِ أَنَّ الْمُخْتَارَ حِينَ ظَهَرَ بِالْكُوفَةِ وَاسْتَجْمَعَ لَهُ الْأَمْرُ وَهُوَ عِنْدَ الشَّيْعَةِ
لِأَنَّمَا يَدْعُو إِلَى ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ وَالطَّلَبِ بِدِمَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، أَخَذَ يَخَادِعُ ابْنَ
الزَّبِيرِ وَيَكْتُبُ إِلَيْهِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ عَرَفْتَ مُنَاصَحَتِي لِإِنَّا
وَجْهَدِي عَلَى أَهْلِ عِدَاوَتِكَ ، وَمَا كُنْتُ أُعْطِيْتَنِي إِذَا أَنَا فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ
فَلَمَّا وَفَّيْتُكَ ، وَقَضَيْتُ الَّذِي كَانَ لَكَ عَلَيَّ ، خَسِبْتَ بِي ، وَلَمْ تَفْعَلْ بِمَا
عَاهَدْتَنِي عَلَيْهِ ، وَرَأَيْتَ مِنِّي مَا قَدْ رَأَيْتَ ، فَإِنْ تَرُدُّ مَرَاஜِعِي أَرَا جِعْلَكَ ،
وَلِنْ تَرُدُّ مُنَاصَحَتِي أَنْصَحَ لَكَ . وَهُوَ يَرِيدُ بِذَلِكَ كَفَّهُ عَنْهُ ، حَتَّى يَسْتَجْمَعَ
لَهُ الْأَمْرُ ^(١) ، وَهُوَ لَا يُطْلَعُ الشَّيْعَةَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ ، وَإِذَا بَلَغَهُمْ
شَيْءٌ مِنْهُ أَرَاهُمْ أَنَّهُ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْ ذَلِكَ . قَالَ : فَأَرَادَ ابْنُ الزَّبِيرِ أَنْ يَعْلَمَ
أَسْلِمُ هُوَ أَمْ حَرْبٌ ! فَدَعَا عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ الْخَزَوِيَّ

فقال له : تجهّز إلى الكوفة فقد وليّنا كتبها^(١) ، فقال : كيف وبها المختار ! قال :
لأنّه يزعم أنّه سامع مطيع . قال : فتجهّز بما بين الثلاثين ألف درهم إلى الأربعين
ألفاً^(٢) ، ثمّ خرج مقبلاً إلى الكوفة . قال : ويحيى عين المختار من مكّة حتّى
أخبره^(٣) الخبر ، فقال له : بكم تجهّز ؟ قال : بما بين الثلاثين ألفاً إلى الأربعين
ألفاً . قال : فدعا المختار زائدة بن قدامة وقال^(٤) له : احمل معك سبعين
ألف درهم ضعيف ما نفقت هذا في مسيره إلينا وتلقه في المتأوّل ، واخرج معك
مسافر^(٥) بن سعيد بن نحران الناعطي في خمسمائة فارس دارع رامح ، عليهم
البَيْض ، ثمّ قل له : خذ هذه النّفقة فإنّها ضعيف نفقتك ، فإنّه قد
بلغنا أنّك تجهّزت وتكلّفت قدر ذلك ، فكبرها أن تغرم ، فخذها
وانصرف ، فإن فعل وإلا فأره الخيل وقل له : إن وراء هؤلاء مثلهم مائة كتيبة .
قال : فأخذ زائدة المال ، وأخرج معه الخيل ، وتلقاه بالمأوّل ، وعرض
عليه المال ، وأمره بالانصراف ، فقال له : إنّ أمير المؤمنين قد ولّاني الكوفة
ولا بدّ من إنفاذ أمره . فدعا زائدة بالخيل وقد أكنها في جانب ، فلما رآها
قد أقبلت قال : هذا الآن أعذر لي وأجمل لي ، هات المال ، فقال له
زائدة : أمّا إنّّه لم يبعث به إليك إلّا لما بينك وبينه ، فدفعه إليه فأخذه ، ثمّ
مضى راجعاً نحو البصرة ، فاجتمع بها هو وابن مطيع في إمارة الحارث بن
عبد الله بن أبي ربيعة ، وذلك قبل وثوب المتشّي بن مخزبة العبدي بالبصرة .

٦٨٨/٢

قال أبو مخنف : فحدثني إسماعيل بن نعيم أنّ المختار أخبر أنّ أهل
الشام قد أقبلوا نحو العراق ، فعرف أنّه به يُبْذَر ، فخشى أن يأتيه أهل
الشام من قِبَل المغرب ، ويأتيه مصعب بن الزبير من قِبَل البصرة ، فودّع
ابن الزبير وداراه وكأبده^(٦) ؛ وكان عبد الملك بن مروان قد بعث عبد الملك
ابن الحارث بن الحَكَم بن أبي العاص إلى وادي القرى ، والمختار لابن الزبير
مكاييد موادع ، فكتب المختار إلى ابن الزبير :

٦٨٩/٢

(١) ف : « وليّنا كتبها » . (٢) ف : « ألف درهم » .

(٣) ف : « أخبرته » . (٤) ف : « فقال » .

(٥) ط : « مسافر » . (٦) ف : « وكأبده » .

أما بعد ، فقد بلغني أن عبد الملك بن مروان قد بعث إليك جيشاً ، فإن أحببت أن أمدك بمدد أمددتك .

فكتب إليه عبد الله بن الزبير :

أما بعد ، فإن كنت على طاعتي فلست أكره أن تبعث الجيش إلى بلادى وتبايع إلى الناس قبلك ، فإذا أتتني بيعتك صدقت مقاتلتك ، وكففت جنودي عن بلادك ، وعجلت على بتسريع الجيش الذي أنت باعته ، ومهرم فليسيروا إلى من بوادى القرى من جند ابن مروان فليقاتلهم . والسلام .

فدعا المختار شُرْحِبِيلَ بن وَرْسٍ من همدان ، فسرّحه في ثلاثة آلاف أكثرهم الموالى ، ليس فيهم من العرب إلا سبعمائة رجل ، فقال له : سرّ حتى تدخل المدينة ، فإذا دخلتها فاكب إلى بئلك حتى يأتيك أمرى ، وهو يريد إذا دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميراً من قبيلة ، ويأمر ابن ورس أن يضى إلى مكة حتى يحاصر ابن الزبير ويقاقله بمكة ، فخرج الآخر يسير قبيل المدينة ، وخشى ابن الزبير أن يكون المختار إنما يكيده ، فبعث من مكة إلى المدينة عباس بن سهل بن سعد في ألفين ، وأمره أن يستفر الأعراب ، وقال له ابن الزبير : إن رأيت القوم في طاعتي فأقبل منهم ، وإلا فكأيدهم حتى تهلكهم . ففعلوا ، وأقبل عباس بن سهل حتى لقي ابن ورس بالرقم ، وقد عصى ابن ورس أصحابه . فجعل على ميمنته سلمان ابن حيمير الثوري من همدان ، وعلى ميسرته عيَّاش بن جعدة الجدي ، وكانت خيلها كلها في الميمنة والميسرة ، فدنا فسلم عليه ، ونزل هو يمشى في الرجالة ، وجاء عباس في أصحابه وهم منقطعون على غير تعب . فيجد ابن ورس على الماء قد عصى أصحابه تعبته القتال . فلما منهم فسلم عليهم . ثم قال : اخل معي ها هنا ، فحلاً به ، فقال له : رحمك الله ! ألسنت في طاعة ابن الزبير ! فقال له ابن ورس : بلى ، قال : فسر بنا إلى علوة هذا الذي بوادى القرى ، فإن ابن الزبير حدثني أنه إنما أشخصكم صاحبكم إليهم ، قال ابن ورس : ما أمرت بطاعتك . إنما أمرت أن أسير حتى آتي المدينة ، فإذا نزلتها رأيت رأي . قال له عباس بن سهل : فإن كنت في طاعة ابن الزبير فقد

أمرني أن أسيرَ بك وبأصحابك إلى علوِّنا اللَّذَيْن^(١) بوادي القرى ، فقال له ابن ورس : ما أمرتُ بطاعتك ، وما أنا بمتبِعك دون أن أدخل المدينة ، ثمَّ أكتب إلى صاحبي فيأمرني بأمره . فلمَّا رأى عبَّاس بن سهل لِسَاجِسَتَه عرف بخلافته ، فكسَّره^(٢) ، أن يعلمه أنَّه قد فطن له ، فقال : فرأيتك أفضل ، اعمل بما بدا لك ؛ فأما أنا فإني سائر إلى وادي القرى . ثمَّ جاء عبَّاس بن سهل فنزل بالماء ، وبعث إلى ابن ورس يجزائركَ كانت معه ، فأهداها له ، وبعث إليه بدقيق وغم مسلَّخة - وكان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا جوعاً - فبعث عبَّاس بن سهل إلى كلِّ عشرة منهم شاة^(٣) ، فذبحوها ، واشتغلوا بها ، واحتلطلوا على الماء ، وترك القوم تبعيتهم ، وأمين بعضهم بعضاً ؛ فلمَّا رأى عبَّاس بن سهل ما هم فيه من الشغل جَمَعَ من أصحابه نحواً من ألف رجل من ذوى البأس والنجدة ٦٩١/٢ ثمَّ أقبل^(٤) نحو فسطاط شُرَحْبِيل بن ورس ، فلمَّا رآهم ابن ورس مُقْبِلِينَ إليه نادى في أصحابه ، فلم يَتَوَافَ إليه مائة رجل حتى انتهى إليه عبَّاس بن سهل وهو يقول : يا شُرْطَةُ اللهِ ، إلىَّ إلىَّ ! قاتلوا المُحِلِّين ، أولياء الشيطان الرجيم . فإنَّكم على الحقِّ والهدى ؛ قد غَدَرُوا وفجروا .

قال أبو مخنف : فحدَّثني أبو يوسف أنَّ عبَّاساً انتهى إليهم ، وهو يقول :

أَنَا ابن سهل فارسٌ غيرٌ وَكَلٌّ أَرُوغٌ مِقْدَامٌ إِذَا الْكِبْشُ نَكَلٌ
وَأَعْتَلَى رَأْسَ الطَّرِمَاحِ الْبَطْلُ بِالسَّيْفِ يَوْمَ الرُّوْعِ حَتَّى يُنْخَزَلَ

قال : فوالله ما اقتتلنا إلَّا شيئاً ليس بشيء حتى قُتِلَ ابن ورس في سبعين من أهل الحفاظ ، ورفَّح عبَّاس بن سهل رايةَ أمان لأصحاب ابن ورس ، فأتَوْها إلَّا نحواً من ثلثمائة رجل انصرفوا مع سُلَيْمَانَ بْنِ حَمِيرِ الْهَمْدَانِيِّ وَعِيَاشِ بْنِ جَعْفَةَ الْجَلْدِيِّ ، فلمَّا وقعوا في يد عبَّاس بن سهل أمر بهم فقتلوا إلَّا نحواً من مائتي رجل ، كره ناس من النَّاسِ مِمَّنْ دُفِعُوا إِلَيْهِمْ قَتْلَهُمْ ، فخلَّوْا سبيلهم ، فرجعوا ، فأتَ أكثرهم في الطريق ، فلمَّا

(١) ف : « اللئى » . (٢) ف : « كره » .

(٣) ف : « نيشة » . (٤) ف : « وأقبل » .

بلغ المختار أمرهم ، ورجع من رجع منهم ، قام خطيباً فقال : ألا إن
الفُجَّارَ الأشرار ، قَتَلُوا الأبرار الأخيار . ألا إنه كان أمراً مائياً ، وقضاءً
مقضيّاً . وكتب المختار إلى ابن الحنفية مع صالح بن مسعود الخثعمي :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإنني كنت بعثتُ إليك جنداً ليذلتوا
لك الأعداء ، وليجوزوا لك البلاد ، فساروا إليك حتى إذا أظلموا على طيبة ، ١٩٢/٢
لقبهم بجندُ الملحِد ، فخدعهم بالله ، وغرّهم بعهد الله ، فلمّا
اطمأنوا إليهم ، ووثقوا بذلك منهم ، وثبوا عليهم فقتلهم ، فإن رأيتَ
أن أبعثُ إلى أهل المدينة من قبلي جيشاً كثيفاً ، وتبعثُ إليهم من قبلك
رسلاً ، حتى يعلم أهلُ المدينة أني في طاعتك ، وأنما بعثتُ الجندَ إليهم عن
أمرك ، فافعل ، فإنك ستجد عظمهم بحضكم أعرف ، وبكم أهل البيت أراف
منهم بأل الزبير الظلمة الملحدين ، والسلام عليك .

فكتب إليه ابنُ الحنفية : أما بعد ، فإن كتابك لَمّا بلغني قرأته :

وفهمتُ تعظيمك لحقي ، وما تنوى به من سروري . وإن أحبّ الأمور
كلّها إلىّ ما أطيع الله فيه ، فأطع الله ما استطعتَ فيما أعلنتَ وأسررت ،
واعلم أني لو أردتُ لوجدتُ الناسَ إلىّ سراعاً ، والأعوانَ لي كثيراً ، ولكني
أعترزُهم ، وأصبر حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين .

فأقبل صالح بنُ مسعود إلى ابن الحنفية فودّعه وسلّم عليه ، وأعطاه
الكتاب وقال له : قل للمختار فليتي الله ، وليكفُف عن الدماء ، قال :
فقلت له : أصلحك الله ! أو لم تكتب بهذا إليه ! قال له ابن الحنفية :
قد أمرتهُ بطاعة الله ، وطاعةُ الله تَجْمَعُ الخيرَ كلّهُ ، وتَنْهِي عن الشرِّ ١٩٣/٢
كلّهُ . فلمّا قدّم كتابه على المختار أظهر للناس أني قد أمرتُ بأمر يجمع
البرَّ واليسر ، ويتّضح الكُفْر والغدر .

[ذكر الخبر عن قدوم الخشبية مكة وموافاتهم الحج]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة قدمت الخشبية مكة ، ووافوا الحج وأميرهم
أبو عبد الله الجليلي .

• ذكر الخبر عن سبب قدومهم مكة :
وكان السبب في ذلك - فيما ذكر هشام ، عن أبي مخنف وعليّ بن محمد ،

عن مسّلة ابن محارب - أن عبد الله بن الزبير حبس عمه بن الحنفية ومن معه من أهل بيته سبعة عشر رجلا من وجوه أهل الكوفة بزعمهم ، وكرهوا البيعة لمن لم تجتمع عليه الأمة ، وهربوا إلى الحرم ، وتوعدّهم بالقتل والإحراق ، وأعطى الله عهداً إن لم يبايعوا أن يُنفذ فيهم ما توعدّهم به ، وضرب لهم في ذلك أجلاً ، فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه أن يبعث إلى المختار وإلى من بالكوفة رسولا يعلمهم حالهم وحال من معهم ، وما توعدّهم به ابن الزبير . فوجه ثلاثة نفر من أهل الكوفة حين نام الحرس على باب زمزم ، وكتب معهم إلى المختار وأهل الكوفة يعلمهم حاله وحال من معه ، وما توعدّهم به ابن الزبير من القتل والتحريق ^(١) بالنار ، ويسألهم ألاّ يخذلوه كما خذلوا الحسين وأهل بيته . فقدموا على المختار ، فدفعوا إليه الكتاب ^(٢) فنادى في الناس وقرأ عليهم الكتاب وقال : هذا كتاب ^(٣) مهديكم وصريح أهل بيت نبيكم ، وقد تركوا محظوراً عليهم كما يحظر على الغم ينتظرون القتل والتحريق بالنار في آناء الليل وتارات النهار ، ولست أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزراً ، وإن لم أسرب إليهم الخيل في أثر الخيل ، كالسيل يتلوه السيل ، حتى يحلّ بابن الكاهلية الويل .

٦٩٤/٢

وجه أبا عبد الله الخليل في سبعين ركباً من أهل القوة ، وجه ظبيان ابن عمارة ^(٤) أخا بني تميم ومعه أربع مائة ، وأبا المعتمر في مائة ، وهاني بن قيس في مائة ، وعصير بن طارق في أربعين ، ويونس بن عمران في أربعين ، وكتب إلى محمد بن عليّ مع الطقميل بن عامر ومحمد بن قيس بتوجيه الجنود إليه ، فخرج الناس بعضهم في أثر بعض ، وجاء أبو عبد الله حتى نزل ذات عرق في سبعين ركباً ، ثم لحقه عمير بن طارق في أربعين ركباً ، ويونس ابن عمران في أربعين ركباً : فتموا خمسين ومائة ، فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام ، ومعهم الكافركوبات ، وهم ينادون : يا لئارات الحسين ! حتى انتهوا إلى زمزم ، وقد أعدّ ابن الزبير الحطّاب ليحرقهم ، وكان قد

(١) ف : « الإحراق » . (٢) ف : « دفعوا الكتاب إليه » .

(٣) ف : « من مهديكم » . (٤) ط : « هاني » ، وهو خطأ ، وانظر الفهرس .

بقي من الأجل يومان ، فطردوا المحترس ، وكسروا أعوادَ زمزم ، ودخلوا على ابن الحنفية ، فقالوا له : خصل بيننا وبين علو الله ابن الزبير ، فقال لهم : إني لا أستحل القتال في حرم الله فقال ابن الزبير : أنتحبون أني مُحَلٌّ سبيلهم دون أن يبايع ويبايعوا^(١) ! فقال أبو عبد الله الجدلّي : إني ورَبِّ الرُّكْنِ والمقام ، وربِّ الحِلِّ والحرام ، لتخلين سبيله أو لنجالدنك بأسافنا جيلاداً يرتاب منه المُبْطِلون . فقال ابن الزبير : والله ما هؤلاء إلا أكلة رأس ، والله لو أذنت لأصحابي ما مضت ساعة حتّى تُعْطَفَ رءوسهم ؛ فقال له قيس بن مالك : أما والله إني لأرجو إن رمت ذلك أن يوصل إليك قبل أن ترى فينا ما تحب . فكفَّ ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة ، ثم قدم أبو المعتمر في مائة ، وهانئ بن قيس في مائة ، وطلبيان بن عُمارة في مائتين ، ومعه المال حتّى دخلوا المسجد ، فكبروا : يا لثارات الحسين ! فلما رآهم ابن الزبير خافهم ، فخرج محمد بن الحنفية ومن معه إلى شِعب على وهم يسبون ابن الزبير ، ويستأذنون ابن الحنفية فيه ، فأبى عليهم ، فاجتمع مع محمد ابن علي في الشعب أربعة آلاف رجل ، فقسم بينهم ذلك المال .

* * *

[ذكر الخبر عن حصار بني تميم بخراسان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم من كان بخراسان من رجال بني تميم بسبب قتل من قتل منهم ابنه محمدًا . قال علي بن محمد : حدثنا الحسن بن رشيد الجوزجاني عن الطنقبيل ابن مرداس العمي ، قال : لما تفرقت بنو تميم بخراسان أيام ابن خازم ، أتى قصر فترتسا عدة من فرسانهم ما بين السبعين إلى الثمانين ؛ فولّوا أمرهم عثمان بن بشر بن المحتفز المُرّقي ، ومعه شعبة بن ظهير النهشلي ، وورد بن الفلق العنبري ، وزهير بن ذؤيب العدوي ، وجيهان بن مشجعة القصبّي ، والحجّاج بن ناشب العدوي ، ووقبة بن الحرّ في فرسان بني تميم . قال : فأتاهم ابن خازم ، فحصرهم وخشدق خشدقًا حصينًا . قال : وكانوا يخرجون إليه

(١) س : « ويايعوا » .

فيقاتلونهُ ، ثم يرجعون إلى القصر . قال : فخرج ابن خازم يوماً على تعبئة من خندقه في ستة آلاف ، وخرج أهل القصر إليه ، فقال لهم عثمان بن بشر بن الحنفز : انصرفوا اليوم عن ابن خازم ، فلا أظن لكم به طاقة ، فقال زهير بن ذؤيب العدوي : امرأته طالق إن رجعت حتى يتقصص صفوفهم - وإلى جنبهم نهرٌ يدخله الماء في الشتاء ، ولم يكن يومئذ فيه (١) ماء ، فاستبطنه زهير ، فسار فيه ، فلم (٢) يشعر به أصحاب ابن خازم حتى حمل عليهم ، فحطّم أولهم على آخرهم ، واستداروا (٣) وكرّ راجعاً ، واتبعوه على جنبتي النهر يصيحون به : (٤) لا ينزل إليه أحد ، حتى انتهى إلى الموضع الذي انحدر فيه ، فخرج فحمل عليهم ، فأفرجوا له حتى رجع ؛ قال : فقال ابن خازم لأصحابه : إذا طاعنتم زهيراً فاجعلوا في رماحكم كلاليب فأعلقوها (٥) في أذانه إن قد رم عليه ، فخرج إليهم يوماً وفي (٦) رماحهم كلاليب (٧) قد هيئوها له ، فطاعنوه ، فأعلقوا (٨) في درعه أربعة أرماع ، فالتفت إليهم ليحمل عليهم ، فاضطربت أيديهم ، فخطوا رماحهم ، فجاء يجر أربعة أرماع حتى دخل القصر ؛ قال : فأرسل ابن خازم غزوان بن جسرء العدوي إلى زهير فقال : قل له : أرايتك إن أمنتك وأعطيتك مائة ألف ، وجعلت لك باسار (٩) طعمة تناصحنى ؛ فقال زهير لغزوان : ويحك ! كيف أناصح قوماً قتلوا الأشعث ابن ذؤيب ! فأسقط بها غزوان عند موسى بن عبد الله بن خازم .

قال : فلمّا طال عليهم الحصار أرسلوا إلى ابن خازم أن خلّنا نخرج فتنفرك ، فقال : لا إلّا أن تنزلوا على حُكْمى ، قالوا : فلما نزل على حُكْمك ، فقال لهم زهير : ثكلتكم أمهاتكم ! والله ليقتلنكم عن آخركم ، فإن طبعتم بالموت أنفساً (١٠) فموتوا كراماً ، اخرجوا بنا جميعاً فلمّا أن تموتوا جميعاً ولما أن ينجو بعضهم ويهلك بعضهم ، وإيم الله لئن شدت عليهم

(١) ف : « فيه يومئذ ماء » . (٢) ف : « ولم » .

(٣) ف : « واستدار » . (٤) ف : « ولا يحسر أحد منهم أن ينزل فيه » .

(٥) ف : « الكلاليب ثم أعلقوها » . (٦) ف : « وفي » .

(٧-٧) ف : « فأعلقوها في أذانه لما هيئوها له ، وطلاعته ساعة وأعلقوها » .

(٨) ظ : « باسار » .

(٩) ف : « وابن الأثير : « نفس » .

شدة صادقة ليخرجن لكم عن مثل طريق المرشد، فإن شتمت كنت أمامكم، ١٩٨/٢ وإن شتمت كنت خلفكم. قال : فأبوا عليه ، فقال : أما إني سأريكم ، ثم خرج هو ورقبة بن الحرّ ومع رقبة غلام له تركي وشعبة بن ظهير . قال : فحتملوا على القوم حملة منكرة ، فأفرجوا لهم ، فتمصوا ؛ فأما زهير فرجع إلى أصحابه حتى دخل القصر فقال لأصحابه : قد رأيت فأطيعوني ، ومضى رقبة وغلامه وشعبة ، قالوا : إن فينا من يضعف ^(١) عن هذا ويطمع ^(٢) في الحياة : قال ^(٣) : أبعدكم الله ! أنخلون عن أصحابكم ! والله لا أكون أبجز عنكم عند الموت . قال : ففتحوا القصر ونزلوا ، فأرسل قتيدهم ، ثم حملوا إليه رجلا رجلا ، فأراد أن يمن عليهم ، فأبى ابنه موسى ، وقال : والله لئن عفوت عنهم لأتكنن على سبني حتى يخرج من ظهري ؛ فقال له عبد الله : أما والله إني لأعلم أن الفتي فيما تأمرني به ، ثم قتلهم جميعا إلا ثلاثة ؛ قال : أحدهم الحججاج بن ناشب العدوي — وكان رعى ابن خازم وهو محاصرهم فكسر ضرسه ، فحلف لئن ظفر به ليقطعنه أو ليقطعن يده ، وكان حذكنا ، فكلّمه فيه رجال من بني تميم كانوا معزّلين ؛ من عمرو بن حنظلة ، فقال رجل منهم : ابن عمي وهو غلام حدث جاهل ؛ هب لي ، قال : فوهبه له ، وقال : النجاء ! لا أرى لك . قال : وجيهان بن مشجعة الضببي الذي ألقى نفسه على ابنه محمد يوم قُتيل ، فقال ابن خازم : خلوا عن هذا البخل الدارج ، ورجل من بني سعد ، وهو الذي قال يوم لحقوا ابن خازم : انصرفوا عن فارس مضر . قال : وجاءوا بزهير بن ذؤيب فأرادوا حمله وهو مقيّد ، فأبى وأقبل يحجل ٩٩/٢ حتى جلس بين يديه ، فقام له ابن خازم : كيف شريك إن أطلقتك وجعلت لك باسار ^(٤) طعمة ؟ قال : لو لم تصنع بي إلا حقن دى لشكرتك ، فقام ابنه موسى فقال : تقتل الضبيع وتترك الذبيح ^(٥) ! تقتل اللبؤة وتترك اللبث ! قال : ويحك ! تقتل مثل زهير ! من لقتال عدو المسلمين ! من لساء العرب ! قال : والله لو شركت في دم أخى أنت لقتلتك ؛ فقام رجل من بني

(١) ف : « قالوا إنا نضعف » . (٢) ف : « وطمع » .

(٣) ف : « فقال » . (٤) ط : « باسان » .

(٥) الذبيح : الذكر من الضباع ، ويطلق الضبع على الأنثى منها .

مُسَلِّمٍ إِلَى ابْنِ خَازِمٍ ، قَالَ : أذْكُرُكَ اللَّهُ فِي زَهْرٍ ! فَقَالَ لَهُ مُوسَى : اتَّخَذَهُ فَحْلًا لِبَنَاتِكَ ، فَغَضِبَ ابْنُ خَازِمٍ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَقَالَ لَهُ زَهْرٍ : إِنَّ لِي حَاجَةً ، قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : تَقْتُلُنِي عَلَى حَدِّةٍ ، وَلَا تَخْطُلُ دُمِي بِدِمَاءِ هَؤُلَاءِ النَّاسِ ، فَقَدْ نَهَيْتُهُمْ عَمَّا صَنَعُوا وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يَمُوتُوا كَرَامًا ، وَأَنْ يَخْرُجُوا عَلَيْكُمْ مُصْلِتِينَ ، وَابِمِ اللَّهِ أَنْ لَوْ فَعَلُوا لَدَعَرُوا بُنْيَاكَ هَذَا : وَشَغَلُوهُ بِنَفْسِهِ عَنْ طَلَبِ النَّارِ بِأَخِيهِ فَأَبَوْا ، وَلَوْ فَعَلُوا مَا قَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى يَقْتُلَ رَجُلًا . فَأَمَرَ بِهِ فَسُحِّي نَاحِيَةٌ فَقُتِلَ .

قَالَ مُسْلِمَةُ بْنُ مَحَارِبٍ : فَكَانَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ إِذَا ذَكَرَهُمْ قَالَ : قَبِّحَ اللَّهُ ابْنَ خَازِمٍ ! قَتَلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَيْمٍ بِابْنِهِ ، صَبِيٍّ وَغَدَّ أَحْمَقٌ لَا يَسَاوِيهِ عِلْمًا ، وَلَوْ قَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلًا بِهِ لَكَانَ وَفَى .

قَالَ : وَزَعَمَتْ بَنُو عَدِيٍّ أَنَّهُمْ لَمَّا أَرَادُوا حَمْلَ زَهْرٍ بْنِ ذُوَيْبٍ أَبَى وَاعْتَمَدَ عَلَى رُمُوحِهِ وَجَمَعَ رَجُلِيهِ فَوَثَّبَ الْخَنْدَقَ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْحَرِيرِشَ بْنَ هَلَالٍ قَتَلَهُمْ قَالَ :

٧٠٠/٢

أَعَاذَلِ إِنِّي لَمْ أَلِمَ فِي قِتَالِهِمْ	وَقَدْ عَصَّ سِنِي كِبَشُهُمْ ثُمَّ صَمَمَا
أَعَاذَلِ مَا وَلَّيْتُ حَتَّى تَبَدَّدْتُ	رَجَالًا وَحَتَّى لَمْ أَجِدْ مُتَقَدِّمًا
أَعَاذَلِ أَفْنَانِي السَّلَاحِ وَمَنْ يُطِلُّ	مُقَارَعَةَ الْأَبْطَالِ يَرْجِعُ مَكْلَمًا
أَعْيَيْتُ إِنْ أَنْزَفْتُمَا الدَّمَاعَ فَاسْكُبَا	دَمًا لَا زَمَالِي دُونَ أَنْ تَسْكُبَا الدَّمَاعَ
أَبْعَدَ زَهْرٍ وَابْنِ بَشَرٍ تَتَابَعَا	وَوَرِدَ أَوْجِي فِي خُرَاسَانَ مَعْنَمَا
أَعَاذَلِ كَمْ مِنْ يَوْمٍ حَرِبَ شَهِدْتُهُ	أَكْرَهُ إِذَا مَا فَارَسُ السُّوءِ أَحْجَمَا

يَعْنِي بِقَوْلِهِ : « أَبْعَدَ زَهْرٍ » : زَهْرُ بْنُ ذُوَيْبٍ ، وَابْنُ بَشَرٍ : عُمَانُ بْنُ بَشَرٍ الْمُحْتَفِزُ الْمَازَنِيُّ ، وَوَرِدَ بْنُ الْفُلُقِ الْعَنْبَرِيُّ ، قُتِلُوا يَوْمَئِذٍ ، وَقَتَلَ سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُحْتَفِزِ أَخُو بَشَرٍ .

* * *

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَجَّعَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ . وَكَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ مَصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ قِيَلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ . وَعَلَى الْبَصْرَةِ الْحَارِثُ

ابنُ عبد الله بن أبي ربيعة ، وعلى قضائها هشامُ بنُ هُبيرة ، وكانت الكوفة بها المختار غالباً عليها ، وبخُرَّاسان عبد الله بن نَظَام .

[شخص ابن إبراهيم بن الأشتر لحرب عبد الله بن زياد]

وفي هذه السنة شَخَّصَ إبراهيمُ بنُ الأشتر متوجِّهًا إلى عبد الله ابن زياد لحربه ، وذلك لثمانِ بَقِيَّين من ذى الحِجَّة .

قال هشام بن محمد : حدثني أبو مخنف ، قال : حدثني النضر بن صالح - وكان قد أدرك ذلك - قال : حدثني فضيل بن خديج - وكان قد شهد ذلك - وغيرهما . قالوا : ما هو إلا أن فرغ المختار من أهل السبيع وأهل الكُنامة ، فأنزل إبراهيم بن الأشتر إلا يومين حتى أشخصه إلى الوجه الذى كان وجهه له لقتال أهل الشام . فخرج يوم السبت لثمانِ بَقِيَّين من ذى الحِجَّة سنة ست وستين ، وأخرج المختار معه من وجوه أصحابه وفرسانهم وذوى البصائر منهم : مِمَّنْ قد شهد الحرب وجربها . وخرج معه قيس بن طهفة النهدي على ربع أهل المدينة . وأمر عبد الله بن حبة الأمدى على ربع مدجج وأسَد ، وبعث الأسود بن جراد الكِنْدَى على رُبْع كندة وربيعه . وبعث حبيب بن منقذ الثوري من هَمْدَان على ربع عَمِ وهَمْدَان ، وخرج معه المختار يشيعه حتى إذا بلغ دبرَ عبد الرحمن بن أمِّ الحَكَم ، إذا أصحاب المختار قد استقبلوه ، قد حملوا الكرسي على بغل أشهب كانوا يحملونه عليه ، فوقفوا به على القنطرة ، وصاحب أمر الكرسي حَوْشَب البرسمي . وهو يقول : يا ربَّ عُرِّنَا في طاعتك . وانصرنا على الأعداء ، واذكرنا ولا تنسنا واسترنا ، قال : وأصحابه يقولون : آمين آمين : قال فضيل : فأنا سمعت ابن نَوْف الهَمْدَانِي يقول : قال المختار :

أَمَا وَرَبُّ الْمُرْسَلَاتِ عُرِفَا لَنَقْتُلَنَّ بَعْدَ صَفٍّ صَفًّا

• وبعد ألفِ قَاسِطِينَ أَلَفًا •

قال : فلمَّا انتهى إليهم المختار وابنُ الأشتر ازدحموا ازدحامًا شديدًا

على القنطرة ، ومضى المختار مع إبراهيم إلى قناطر رأس الجالوت - وهى إلى جنب دَيْر عبد الرحمن - فإذا أصحاب الكرسي قد وقفوا على قناطر رأس الجالوت يستنصرون ، فلما صار المختار بين قنطرة دَيْر عبد الرحمن وقناطر رأس الجالوت وقف ، وذلك حين أراد أن ينصرف ، فقال لابن الأشر : خذ عني ثلاثاً : خَفَّ الله في سرِّ أمرِكَ وعلائيته ، وعجَّل السير ، وإذا لقيت عدوك فناجزهم ساعةً تلقاهم ، وإن لقيتهم ليلاً فاستطعت ألا تُصبح حتى تناجزهم ، وإن لقيتهم نهاراً فلا تنتظر بهم الليل حتى تحاكمهم إلى الله . ثم قال : هل حفظت ما أوصيتك^(١) به ؟ قال : نعم ، قال : صحبتك الله . ثم انصرف . وكان موضع عسكر إبراهيم بموضع حمام أعين ، ومنه شخص بعسكره .

* * *

[ذكر أمر الكرسي الذى كان المختار يستنصر به !]

قال أبو مخنف : فحدثني فضيل بن خديج قال : لما انصرف المختار مضى^(٢) إبراهيم ومعه أصحابه حتى انتهى إلى أصحاب الكرسي وقد عكفوا حوله^(٣) وهم رافعو أيديهم^(٤) إلى السماء يستنصرون ، فقال إبراهيم : اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء - سنةً بنى إسرائيل ، والذي نفسى بيده إذ عكفوا على عجلهم - فلما جاز القنطرة إبراهيم وأصحابه انصرف أصحاب الكرسي .

• ذكر الخبر عن سبب كرسي المختار الذى يستنصر به هو وأصحابه :

٧٠٣/٢ قال أبو جعفر : وكان بدم سببه ما حدثني به عبد الله بن أحمد بن شبيب ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله ابن المبارك ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة ، قال : حدثني معبد بن خالد ، قال : حدثني طمّيل بن جعدة بن هبيرة ، قال : أعلمت مرةً من الورق ، فإني لكذلك إذ خرجت يوماً فإذا زيات جارئ لي ، له كرسي قد ركب وسع شديد ، فخطر على بالي أن لو قلت للمختار في هذا ! فرجعت فأرسلت إلى

(١) ف : « عني ما وصيتك » .

(٢) ف : « ومضى » .

(٣) ف : « عليه » .

(٤) ف : « وهم رافعون أيديهم » .

الزِّيَات : أرسل إلى بالكرمي ، فأرسل إلى به ، فأتيت المختار ، فقلت : إني كنت أكنمك شيئا لم^(١) أستحل ذلك ، فقد بدا لي أن أذكره لك ، قال : وما هو ؟ قلت : كرمي كان جملة بن هبيرة يجلس عليه كأنه يرى أن فيه أثر من عليم ، قال : سبحان الله ! فأنصرت هذا إلى اليوم ! ابعت إليه ، ابعت إليه ، قال : وقد غسل وخرج عود نضار ، وقد تشرب الزيت ، فخرج يبيص ، فجيء به وقد غشي ، فأمر لي باثني عشر ألفاً ، ثم دعا : الصلاة جامعة .

فحدثني معبد بن خالد الجدي قال : انطلق بنو ويسماعيل بن طلحة ابن عبيد الله وشبث بن ربعي والناس يحرون إلى المسجد ، فقال المختار : إنهم لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمة مثله ، وإنه كان في بني إسرائيل التابوت فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، وإن هذا فينا مثل التابوت ، اكشفوا عنه ، فكشفوا عنه أثوابه ، وقامت السبيبة فرفعوا أيديهم ، وكبروا ثلاثاً ، فقام شبث بن ربعي وقال : يا معشر مضصر ، ٧٠٤/٢ لا تكفرون ، فتحوه فذبوه وصدوه وأخرجوه ، قال إسحاق : فوالله إني لأرجو أنها لشيت ، ثم لم يلبث أن قيل : هذا عبيد الله بن زياد قد نزل بأهل الشام باجميرا ، فخرج بالكرمي على بغل وقد غشي ، يمسكه عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة ، فقتل أهل الشام مقتلة لم يقتلوا مثلها ، فزادهم ذلك فتنة ، فارتفعوا فيه حتى تعاطوا الكفر ، فقلت : إن الله ! وندمت على ما صنعت ، فتكلم الناس في ذلك ، فغييب ، فلم أره بعد .

حدثني عبد الله ، قال : حدثني أبي قال : قال أبو صالح : فقال في ذلك أعشى همدان كما حدثني غير عبد الله :

شهدت عليكم أنكم سبيبة وإني بكم يا شرطلة الشرك عارف
وأقسم ما كرميكم بسكينه وإن كان قد لفت عليه الألفاف
وأن ليس كالتابوت فينا وإن سعت شياكم حوائيه ونهت وخارف ٧٠٥/٢^(٢)

(١) ف : « ولم » .

(٢) ف : « وخارف » .

وإني امرؤٌ أَحَبُّ آلَ مُحَمَّدٍ وَتَابَعْتُ عَبْدَ اللَّهِ لَمَّا تَتَابَعْتُ^(١) عَلَيْهِ قَرِيْشٌ : شَطَطُهَا وَالْفَطَارُفُ وَتَابَعْتُ وَحْيًا ضَمَّنَتْهُ الْمَصَاحِفُ

وَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ السَّيِّ :

أَبْلُغْ أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ جِسْمَهُ أَنَّنِي بِكَرْسِيِّكُمْ كَافِرٌ
تَنْزَوْ شُبَّامٌ حَوْلَ أَعْوَادِهِ وَتَحْمِلُ الرُّوحَى لَهُ شَاكِرٌ
مَحْمَرَةٌ أَعْيُنُهُمْ حَوْلُهُ كَأَنَّهُنَّ الْحَمَصُ الْحَادِرُ

فَأَمَّا أَبُو مُخَنَفٍ : فَإِنَّهُ ذَكَرَ عَنْ بَعْضِ شَيْوَنِهِ قِصَّةَ هَذَا الْكَرْمِيِّ غَيْرِ
الَّذِي ذَكَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بِالإِسْنَادِ الَّذِي حَدَّثَنَا بِهِ ، عَنْ طِفْلِ بْنِ
جَعْدَةَ . وَالَّذِي ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْهُ ،
قَالَ : حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَابْنُهُ الْحَكَمُ بْنُ هِشَامٍ ، أَنَّ الْخُتَارَ قَالَ
لَأَلِ جَعْدَةَ بِنْتُ هُبَيْرَةَ بِنْتُ أَبِي وَهَبٍ الْخَزَوِيَّةِ - وَكَانَتْ أُمَّ جَعْدَةَ أُمَّ هَافٍ
بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ أُخْتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ : أَنْتَوْنِي
بِكْرَمِيَّ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ عِنْدَنَا ، وَمَا نَدْرِي مِنْ
أَيْنَ نَجَى بِهِ ! قَالَ : لَا تَكُونُنَّ حَسَمِي ، أَذْهَبُوا فَأَتُونِي بِهِ ، قَالَ : فَظَنَنْتُ
أَلْقَوْمَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَأْتُونُ بِكْرَمِيَّ ، فَيَقُولُونَ : هُوَ هَذَا إِلَّا قَبِيلَهُ
مِنْهُمْ ، فَجَاءُوا بِكْرَمِيَّ فَقَالُوا : هُوَ هَذَا^(٢) ، فَقَبِلَهُ ، قَالَ : فَخَرَجْتُ
شَبَّامٌ وَشَاكِرٌ وَرَمَوْسُ أَصْحَابِ الْخُتَارِ وَقَدْ عَصَبَتْهُوَ بِالْخُرَيْرِ وَالذَّبْيَاجِ .

٧٠٦/٢

قَالَ أَبُو مُخَنَفٍ ، عَنْ مُوسَى بْنِ عَامِرٍ أَبِي الْأَشْعَرِ الْجُهَنِيِّ : إِنَّ الْكَرْمِيَّ
لَمَّا بَلَغَ ابْنَ الزَّيْبِرِ أَمْرُهُ قَالَ : أَيْنَ بَعْضُ جُنَادِيَةِ الْأَزْدِ عَنْهُ !

قَالَ أَبُو الْأَشْعَرِ : لَمَّا جَاءَ بِالْكَرْمِيَّ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَدَّتَهُ مُوسَى بْنُ
أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ ، وَكَانَ يَأْتِي الْخُتَارَ أَوَّلَ مَا جَاءَ وَيَحْفَ بِهِ ، لِأَنَّ أُمَّهُ أُمَّ كَلْثُومَ
بِنْتُ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ عُتِبَ عَلَيْهِ فَاسْتَحْيَا

(٢) ف : وابن الأثير : « هذا هو » .

(١) ف : « ويايت » .

منه ، فدفعه إلى حوثب اليُرْسُمي ، فكان صاحبه حتى هلك المختار .
قال : وكان أحد عمومة الأعشى رجلاً يكتي أبا أمامة يأتي مجلس أصحابه
فيقول : قد وُضع لنا اليوم وحى ما سمع الناس بمثله ، فيه نبأ ما يكون
من شيء .

قال أبو مخنف : حدثنا موسى بن عامر أنه إنما كان يصنع ذلك لهم
عبد الله بن نوف ، ويقول : المختار أمرني به ، ويتبرأ المختار منه .

ثم دخلت سنة سبع وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك مقتل عبيد الله بن زياد ومن كان معه من أهل الشام .

• ذكر الخبر عن صفة مقتله .

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي غنم ، قال : حدثني أبو الصلت ، عن أبي سعيد الصيقل ، قال : مضينا مع إبراهيم بن الأشتر ونحن نريد عبيد الله بن زياد ومن معه من أهل الشام ، فخرجنا مُسْرِعِينَ لانتشئ ، نريد أن نلقاه قبل أن يدخل أرض العراق . قال : فسبقناه إلى تخوم أرض العراق سبقتنا بعيداً ، ووصلنا في أرض الموصل ، فتعجلنا إليه ، وأسرعنا السير ، فنلقاه بخازر إلى جنب قرية يقال لها باربيثا ، بينها وبين مدينة الموصل خمسة فراسخ ، وقد كان ابن الأشتر جعل على مقدمته الطفيل بن لقيط ، من وهبيل من النخع (رجلاً من قومه) ، وكان شجاعاً بئيساً^(١) ، فلما أن دنا من ابن زياد ضم حميد بن حريث إليه ، وأخذ ابن الأشتر لا يسير إلا على تعبئة ، وضم أصحابه كلهم إليه بخيله ورجاله ، فأخذ يسير بهم جميعاً لا يفرقهم ، إلا أنه يبعث الطفيل بن لقيط في الطلائع حتى نزل تلك القرية .

قال : وجاء عبيد الله بن زياد حتى نزل قريباً منهم على شاطئ خازر . وأرسل عمير بن الحباب السلمي إلى ابن الأشتر : إني معك ، وأنا أريد^(٢) الليلة لقاءك ، فأرسل إليه ابن الأشتر : أن القتي إذا شئت ، وكانت قيس كلها بالجزيرة ، فهم أهل خلاص لمروان وآل مروان ، وجند مروان يومئذ كلب وصاحبهم ابن بحدل . فأتاه عمير ليلاً فبايعه ، وأخبره أنه على مسيرة صاحبه ، وواعده أن ينهزم بالناس ، وقال ابن الأشتر : ما رأيك ؟ أختدق على وأتلوم يومين أو ثلاثة ؟ قال عمير بن الحباب : لا تفعل ، إننا

(١) الرجل البئيس : الشديد . (٢) س : « وأريد » .

الله ! هل يريد القومُ إلا هذه ! إن طاولوك واطلوك فهو خير لهم ، هم كثيرٌ أضعافكم ، وليس يطيق القليلُ الكثير في المطاولة ؛ ولكن ناجز القوم فإنهم قد ملئوا منكم رعباً ، فأتيتهم فإنهم إن شاموا أصحابك وقتلوه يوماً بعد يوم ، ومرة بعد مرة أنسوا بهم ، واجتروا عليهم ؛ قال إبراهيم : الآن علمتُ أنك لي مناصح ، صدقتَ ، الرأي مارأيت ، أما إن صاحبي بهذا أوصاني ، وبهذا الرأي أمرني . قال عمير : فلا تملون رأيه ، فإن الشيخ قد ضرسته الحروب ، وقاسى منها ما لم تُقاس ، أصبح فناهض الرجل .

ثم إن عميراً انصرف ، وأذكى ابن الأشتر حره تلك الليلة الليل كله ، ولم يخل عينه غمض ، حتى إذا كان في السحر الأول عبى أصحابه ، وكسب ٧٠٩/٢ كتابه ، وأمر أمراءه . فبعث سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي على ميمنته ، وحلي بن مالك الجشمي على ميسرته ، وهو أخو أبي الأحوص . وبعث عبد الرحمن بن عبد الله - وهو أخو إبراهيم بن الأشتر لأمه - على الخيل ، وكانت خيله قليلة ، فضمها إليه ، وكانت في الميمنة والقلب ، وجعل على رجائه الطفيل بن لقيط ، وكانت رايته مع مزاحم بن مالك . قال : فلما انفجر الفجر صلبى بهم الغداة بفلس ، ثم خرج بهم فصفهم ، ووضع أمراء الأرباع في مواضعهم ، وألحق أمير الميمنة بالميمنة ، وأمير الميسرة بالميسرة ، وأمير الرجال بالرجال ، وضم الخيل إليه ، وعليها أخوه لأمه عبد الرحمن بن عبد الله ، فكانت وسطاً من الناس ، ونزل إبراهيم يمشي ، وقال للناس : ارحموا ، فزحف الناس معه على رؤسهم رؤيداً رؤيداً حتى أشرف على تلٍ عظيم مشرف على القوم ، فجلس عليه ، وإذا أولئك لم يتحرك منهم أحد بعد ففسر عبد الله بن زهير السلولي وهو على فرس له يتأكل تأكلاً^(١) ، فقال : قرب على فرسك حتى تأتيني بخير هؤلاء ، فانطلق ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء ، فقال : قد خرج القوم على دهنش وفشل ، لقيت رجل منهم فما كان له هجيرى إلا يا شيعة أبي تراب ، يا شيعة المختار الكذاب ! فقلت : ما بيننا وبينكم أجل من الشتم ، فقال لي : يا عدو الله ، إلام

(١) تأكل القوس ، أى هاج وكاد يأكل بضه بضعاً .

تدعوننا ! أنتم تقتلون مع غير إمام ، فقلت له : بل يا لثارات الحسين . ابن رسول الله ! ادفنوا إلينا عبيد الله بن زياد ؛ فإنه قَتَلَ ابنَ رسول الله وسيد شباب أهل الجنة حتى قَتَلَهُ بعض موالينا الذين قَتَلَهُمْ مع الحسين ، فإننا لا نراه حسين ندأ فَنَرَضَى أن يكون منه قوداً ، وإذا دفعتموه إلينا فقتلناه بعض موالينا الذين قتلهم جعلنا بيننا وبينكم كتاب الله ، أرأى صالح من المسلمين شتم حَكَمًا ، فقال لى : قد جربناكم مرة أخرى في مثل هذا - يعنى الحكَمَين - فَنَدَرَم ، فقلت له : وما هو ؟ فقال : قد جعلنا بيننا وبينكم حَكَمَين فلم ترضوا بحُكْمَهما ؛ فقلت له : ما جئت بحجة ، إنما كان صلحنا على أنهما إذا اجتمعا على رجل تبعا حكمهما ، ورضينا به وبايعناه ، فلم يجتمعا على واحد ، وتفرقا ، فكلاهما لم يوفقه الله لخير ولم يسدده ، فقال : من أنت ؟ فأخبرته ؛ فقلت له : من أنت ؟ فقال : عبدس - لبيغته يزجرها ^(١) - فقلت له : ما أنصفتى ، هذا أول غدرك !

قال : ودعا ابن الأشر بفرس له فركبه ، ثم مر بأصحاب الرابات كلها ، فكلما مر على راية وقف عليها ، ثم قال : يا أنصار الدين ، وشيعة الحق ، وشرطة الله ، هذا عبيد الله بن مَرْجَانَةَ قاتل الحسين بن على ، ابن فاطمة بنت رسول الله ، حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء القرات أن يشربوا منه ، وهم ينظرون إليه ، وسَمِعَهُ أن يأتى ابن عمه فيصالحه ، وسَمِعَهُ أن ينصرف إلى رحله وأهله ، ومنعه الذهاب في الأرض العريضة حتى قتلته وقتل أهل بيته ؛ فوالله ما عميل فرعون يُنجِّىه بنى إسرائيل ما عميل ابن مَرْجَانَةَ بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . قد جاءكم الله به ، وجاءكم بكم ، فوالله إنى ^(٢) لأرجو ألا يكون الله جمع بينكم في هذا الوطن وبينه إلا ليشفى صدوركم بسفك دمه على أيديكم ، فقد علم الله أنكم خرجتم غضبا لأهل بيت نبيكم . فسار فيها بين الميمنة والميسرة ، وسار في الناس كلهم فرغبتهم في الجهاد ، وحرصهم على القتال ، ثم رجع حتى نزل تحت رايته ، وزحف القوم إليه ، وقد جعل ابن زياد على

(١) : « ليزجرها » . (٢) : « وافقه إلى » .

مبنته الحُصَيْن بن نَمِر السَّكُونِي، وعلى ميسرته عُمَيْر بن الحُباب السُّلَمِي،
 وشُرَحْبِيل بن ذِي الكَلَّاع على الخليل وهو يمشي في الرجال، فلماً تَدَانِي
 الصَّفْقَان حمل الحُصَيْن بن نَمِر في ميمنة أهل الشام على ميسرة أهل الكوفة،
 وعليها على بن مالك الجُشَمِي؛ فثبت له هو بنفسه فقتل، ثم أخذ رايته
 قُرَّةُ بن علي، فقتل أيضاً في رجال من أهل الحِفاظ قتلوا وانهزمت الميسرة،
 فأخذ راية على بن مالك الجُشَمِي عبدُ الله بن ورقاء بن جُنادة السُّلَوِي
 ابن أخي حُبَيْش بن جُنادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستقبل
 أهل الميسرة حين انهزموا، فقال: إلى يا شُرطة الله؛ فأقبل إليه جُلُهم،
 فقال: هذا أميركم يقاتل، سيروا بنا إليه، فأقبل حتى أتاه وإذا هو كاشفُ
 عن رأسه يُنادي: يا شُرطة الله، إلى أنا ابن الأشتر! إن خيرَ فُرَارِكُم
 كُرَارُكُم، ليس مُسِيئاً من أعتب. فتاب إليه أصحابه، وأرسل إلى
 صاحب الميمنة: احمل على ميسرتهم - وهو يرجو حيثئذ أن ينهزم لهم عُمَيْر
 ابن الحُباب كما زعم، فحمل عليهم صاحبُ الميمنة، وهو سُهَيْب بن يزيد
 ابن المغفل، فثبت له عُمَيْر بن الحُباب وقَاتَلَهُ قتالاً شديداً، فلماً رأى
 إبراهيم ذاك قال لأصحابه: أسروا هذا السواد الأعظم، فوالله لو قد فَصَصْنَاهُ
 لَانْجَفَلَ مَنْ تَرَوْنَ مِنْهُمْ مِمَّنْ وَيَسِّرُهُ انْجَفَالُ طَيْرٍ ذَعَرَتْهَا فَطَارَتْ.

قال أبو مخنف: فحدثني إبراهيم بن عبد الرحمن الأنصاري، عن ورقاء
 ابن عازب، قال: مشينا إليهم حتى إذا دَكُونَا مِنْهُمْ اطعنا بالرمح قليلاً،
 ثم صرنا إلى السيوف والعمد، فاضطربنا بها ملياً من النهار، فوالله ما شَبَّهْتُ
 ما سمعتُ بيننا وبينهم من وقع الحديد على الحديد إلا مِسَاجِينَ قَصَّارِي^(١)
 دار الوليد بن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط. قال: فكان ذلك كذلك، ثم إن الله
 هزَمَهُمْ، وَنَحْنَا أَكْثَفُهُمْ.

قال أبو مخنف: وحدثني الحارث بن حَصِيْرَة، عن أبي صادق أن
 إبراهيم بن الأشتر كان يقول لصاحب رايته: انغمس برابيتك فيهم، فيقول
 له: إنَّه - جعلت فداك - ليس لي مُتَقَدِّم، فيقول: بلى، فإن أصحابك

(١) اللياجن: جمع مِجَّة، وهي ملقة القصار.

يقاتلون ؛ وإن هؤلاء لا يهربون إن شاء الله ؛ فإذا تقدم صاحبُ رايته برايته شدَّ إبراهيمُ بسيفه فلا يضرب به رجلاً إلا صرعه . وكرَدَ^(١) إبراهيمُ الرجال من بين يديه كأنهم الحُمْلان ، وإذا حمل برايته شدَّ أصحابه شدَّةَ رجل واحد .

قال أبو مخنف : حدثني المشرقُ أنه كان مع عبيد الله بن زياد يومئذ حديدةٌ لا تُلقي شيئاً مرَّت به ، وأنه لما هُزِم أصحابه حمل^(٢) عبيتهُ ابن أسماء أخته هند بنت أسماء - وكانت امرأةَ عبيد الله بن زياد - فذهب بها وأخذ يرتجز ويقول :

إِنْ تَضَرَّي جِئْنَا فَرُبَّمَا أَوْقَيْتُ فِي الْهَيْجَا الْكُمَى الْمُعْلِمَا
قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج أن إبراهيمَ لما شدَّ على ابن زياد وأصحابه انهزموا بعد قتال شديد وقتل كثير من الفريقين ، وأن عمير بن الحُبَابَ لما رأى أصحابَ إبراهيم قد هزَموا أصحابَ عبيد الله بعث إليه : أجيئك الآن ؟ فقال : لا تأتيني حتى تسكن فورةَ شرطةِ الله ، فإني أخاف عليك عاديتهم .

وقال ابن الأثير : قتل رجلاً وجلتُ منه رائحةُ المسك ، شرقتُ يدها وغربت رجلاه ، تحت راية منفردة ، على شاطئ نهر خازَرَ . فالتسموه فإذا هو عبيد الله بن زياد قتيلاً ، ضربه قدهُ بتصفين ، فذهب رجلاه في المشرق ، وبيده في المغرب . وحمل شريك بن جدير التغلبي على الحصين بن نُمير السكوني وهو يحسبه عبيد الله بن زياد ، فاعتق كل واحد منهما صاحبه ، ونادى التغلبي : اقتلوني وابن الزانية ؛ فقتل ابن نُمير .

وحدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله بن المبارك ، قال : حدثني الحسن بن كثير ، قال : كان شريك بن جدير التغلبي مع علي عليه السلام ، أصيبت عينه معه ، فلما انقضت حربُ علي لحق ببيت المقدس ، فكان به ، فلما جاءه

(١) الكرد : الطرد . (٢) ١ : وجل .

قتلُ الحسين ، قال : أعاهدُ الله إن قدرت على كذا وكذا - يَطْلُبُ بدم الحسين - لأقتلنَّ ابنَ مرجانة أو لأموئنَ دونه . فلماً بلغه أن المختار خرج يَطْلُبُ بدم الحسين أقبل إليه . قال : فكان وجهه مع لإبراهيم بن الأشتر ، وجُعِلَ على خيل ربيعة ، فقال لأصحابه : إني عاهدتُ الله على كذا وكذا ، فبايعه ثلثمائة على الموت ، فلماً اتفقوا حَمَلَ فجعل يَهْتِكُهَا صَفَاً صَفَاً مع أصحابه حتَّى وصلوا إليه ، وثار الرَّهَجُ فلا يُسْمَعُ إلا وقع الحديد والسيوف ، فانفجرت عن الناس وهما قتيلان ليس بينهما أحد ؛ التَّخَلَّى وعبيدُ الله ابن زياد ، قال : وهو الَّذِي يقول :

كلُّ عيش قد أَرَاهُ قَلِيْرًا^(١) غيرَ رَكزِ الرمحِ في ظلِّ القَرَسِ^(٢)

قال هشام : قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج ، قال : قتل^(٣) شرحبيل بن ذي الكلاع ، فادعى قتله ثلاثة : سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي ، وورقاء بن عازب الأسدي ، وعبيد الله بن زهير السلمي . قال : ولماً هُزِمَ أصحاب عبيد الله تبعهم أصحاب إبراهيم بن الأشتر ، فكان من غرق أكثر ممن قتل ، وأصابوا عسكرهم فيه من كل شيء ، وبلغ المختار وهو يقول لأصحابه : يأتيكم الفتح أحدَ اليومين إن شاء الله من قبيل إبراهيم ابن الأشتر وأصحابه ، قد هزموا أصحاب عبيد الله بن مرجانة . قال : فخرج المختار من الكوفة ، واستخلف عليها السائب بن مالك الأشعري ، وخرج بالناس ، ونزل ساباط .

قال أبو مخنف : حدثني المشرق ، عن الشعبي ، قال : كنت أنا وأبي ممن خرج معه ، قال : فلماً جُزْنَا ساباط قال للناس : أبشروا فإنَّ شرَّ طَئِفَةِ الله قد حسَّوهم بالسيوف يوماً إلى اللَّيْلِ بنصبيين أو قريباً من نصبيين ودوَيْنَ منازلهم ، إلا أن جلَّهم محصور بنصبيين . قال : ودخلنا المدائن ، واجتمعنا إليه ، فصعد المنبر ، فوَّاه إنَّه ليخطبنا ويأمرنا بالجدِّ وحسن

(١) ف : بالحلا . (٢) ف : غير ركن الرمح .

(٣) س : قتل .

الرأى والاجتهاد والثبات على الطاعة ، والطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام ،
 إذ جاءته البشرى تشترى بعضُها بعضاً بقتل عبيد الله بن زياد وهزيمة
 أصحابه ، وأخذ عسكره ، وقتل أشرف أهل الشام ، فقال المختار : يا سُوطَةَ
 ٧١٦/٢ الله ، ألم أيسركم بهذا قبل أن يكون ! قالوا : بلى والله لقد قلت ذلك ؛ قال :
 فيقول لى رجل من بعض جيراننا من الهَمْدَانِيِّينَ : أتؤمن الآن يا شعبي ؟
 قال : قلت بأى شيء أؤمن ؟ أؤمن بأن المختار يعلم الغيب ! لا أؤمن بذلك
 أبداً . قال : أو لم يقل لنا : إنهم قد هُزِمُوا ! فقلتُ له : إنمّا زعم لنا
 أنهم هُزِمُوا بنصيبين من أرض الجزيرة ، وإنمّا هو يخازر من أرض الموصل ،
 فقال : والله لا تؤمن يا شعبي حتّى ترى العذاب الأليم ؛ فقلت له : من
 هذا الهَمْدَانِيّ الَّذِي يَقُولُ لك هذا ؟ فقال : رجل لعمري كان شجاعاً — قتل
 مع المختار بعد ذلك يوم حَرَّورَاءَ — يقال له : سَلَمَانُ بن حمير من الثوريين
 من هَمْدَانٍ ؛ قال : وانصرف المختار إلى الكوفة . ومضى ابن الأشتر من
 عسكره إلى الموصل ، وبعث عمالَه عليها ، فبعث أخاه عبد الرحمن بن
 عبد الله على نصيبين ، وغلب على سنجار ودارا ، وما والاها من أرض الجزيرة ،
 وخرج أهل الكوفة الَّذِينَ كان المختار قاتلهم فهِزَمَهُمْ ، فلتَحِقُوا بِمُصْعَبِ بن
 الزبير بالبصرة . وكان فيمن قلم على مصعب شَبَبْتُ بن رُبَيْعٍ ، فقال سُرَاقَةُ
 ابن مِرْدَاسِ البَارِقِي يمدح إبراهيم بن الأشتر وأصحابه في قتل عبيد الله
 ابن زياد :

أَنَا كَمْ غُلَامٌ مِنْ عَرَانِينَ مُذْجِعٍ جَرَى عَلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرُ نَكُولٍ ^(١)
 فَيَا بْنَ زِيَادٍ بُوًّا بِأَعْظَمِ مَالِكٍ وَذُقْ حَدَّ مَاضِي الشُّفَرَتَيْنِ صَقِيلٍ
 ضَرَبْنَاكَ بِالْعَصَبِ الْحُسَامِ بَحْدَةٍ إِذَا مَا أَبَانَا قَاتِلًا بِقَتِيلٍ
 جَزَى اللَّهُ خَيْرًا سُوطَةَ اللَّهِ إِنَّهُمْ شَفَوْا مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ أُمِّسَ غَلِيلٍ ^(٢)

* * *

(١) ديوانه ٨١ . (٢) بعده في رواية الديوان :

وَأَجْدِرُ بِهِندَ أَنْ تُسَاقَ سَبِيئَةً لَهَا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ سَرُّ حَلِيلٍ

[ذكر الخبر عن عزل القبايع عن البصرة]

وفي هذه السنة عزل عبدُ الله بنُ الزبير القبايعَ عن البصرة ، وبعث ٧١٧/٢
 عليها أخاه مصعبَ بنَ الزبير ؛ فحدثني عمرُ بنُ شُبَّه ، قال : حدثني عليُّ
 ابنُ محمد ، قال : حدثنا الشعبيُّ ، قال : حدثني واقد بن أبي ياسر ، قال :
 كان عمرو بن سرح مولى الزبير يأتينا فيحدثنا ، قال : كنتُ والله في الرَّهطِ
 الَّذِينَ قَدِمُوا مع المصعب بن الزبير من مكة إلى البصرة ؛ قال : فقدم متلحمًا
 حتَّى أتَاخ على باب المسجد ، ثُمَّ دخل فصعد المنبر ، فقال الناسُ :
 أمير أمير . قال : وجاء الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة — وهو أميرها
 قبله — ففسر المصعب فقرؤه ، وقالوا : مصعب بن الزبير ! فقال : للحارث :
 اظهر اظهر ، فصعد حتَّى جلس تحته من المنبر درجة ؛ قال : ثُمَّ قام
 المصعب فحمد الله وأثنى عليه . قال : فوالله ما أكره الكلام ، ثم قال :
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿ طَسَمَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . نَتْلُو عَلَيْكَ
 مِنْ نَبَأِ مُوسَى ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ — وأشار بيده نحو الشام —
 ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً
 وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ — وأشار بيده نحو الحجاز — ﴿ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ
 وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ ^(١) — وأشار بيده نحو الشام .

حدثني عمر بن شُبَّه : قال : حدثني عليُّ بن محمد . عن عوانة ، قال :
 لما قدم مصعب البصرة خطبهم فقال : يا أهل البصرة . بلغني أنكم
 تلقبون أمراءكم ، وقد سميتُ قسماً الجزار .

[ذكر خير قتل مصعب المختار بن أبي عبيد]

وفي هذه السنة سار مصعبُ بنُ الزبير إلى المختار فقتله .

٧١٨/٢

• ذكر الخبر عن سبب سير مصعب إليه والخبر عن مقتل المختار :

(١) سورة القصص : ١-٦ .

قال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، حدثني حبيب بن بديل ، قال :
 لماً قلم شبت على مصعب بن الزبير البصرة وتحت بخله له قد قطع
 ذنبها ، وقطع طرف أذننها وشق قباها ، وهو ينادى : يا غوثاه يا غوثاه !
 فأتى مصعب ، فقيل له : إن الباب رجلا ينادى : يا غوثاه يا غوثاه ! مشقوق
 القبا ، من صفته كذا وكذا ، فقال لهم : نعم ، هذا شبت بن ربيع
 لم يكن ليفعل هذا غيره ، فأدخلوه ، فأدخل عليه ، وجاءه أشرف الناس من
 أهل الكوفة فدخلوا عليه ، فأخبروه بما اجتماعوا له ، وبما أصيبوا به ووثوب
 عبيدهم ومواليهم عليهم ، وشكروا إليه ، وسألوه التصبر لهم ، والمسير إلى
 المختار معهم . وقدم عليهم محمد بن الأشعث بن قيس - ولم يكن شهيد
 وقعة الكوفة ، كان في قصر له ميماً إلى القادسية بطييزاً يناد - فلما بلغه
 هزيمة الناس نهياً للشخص ، وسأل عنه المختار ، فأخبر بمكانه ، فسرّح إليه
 عبد الله بن قراد الخثعمي في مائة ، فلما ساروا إليه ، وبلغه أن قد دنوا منه ،
 خرج في البرية نحو المصعب حتى لحق به ، فلما قدم على المصعب استحثه
 بالخروج ، وأذناه مصعب وأكرمه لشرقه . قال : وبعث المختار إلى دار
 محمد بن الأشعث فهابها .

٧١٩/٢ قال أبو مخنف : فحدثني أبو يوسف بن يزيد أن المصعب لما أراد
 السير إلى الكوفة حين أكرم الناس عليه ، قال محمد بن الأشعث : إني لا أسير
 حتى يأتي المهلب بن أبي صفرة . فكتب المصعب إلى المهلب - وهو عامله
 على فارس : أن أقبل إلينا لتشهد أمرنا ، فلما نريد السير إلى الكوفة . فأبطأ
 عليه المهلب وأصحابه ، واعتل بشيء من الخراج ، لكرهة الخروج ، فأمر
 مصعب محمد بن الأشعث في بعض ما يستحش أن يأتي المهلب فيقبل به ،
 وأعلمه أنه لا يشخص دين أن يأتي المهلب ، فذهب محمد بن الأشعث
 بكتاب المصعب إلى المهلب ، فلما قرأه قال له : مثلك يا محمد يأتي^(١) بريداً !
 أما وجد المصعب بريداً غيرك ! قال محمد : إني والله ما أنا بريد أحد ، غير
 أن نساءنا وأبنائنا وحرمتنا غلبتنا عليهم عبداننا ومالنا . فخرج المهلب ،

وأقبل بجموع كثيرة وأموال عظيمة معه في جموع وهيئة ليس بها أحد من أهل البصرة . ولما دخل المهلب البصرة أتى باب المصعب ليدخل عليه وقد أذن للناس ، فحجبه الحاجب وهو لا يعرفه ، فرفع المهلب يده فكسر أنفه ، فدخل إلى المصعب وأنفه يسيل دماً ، فقال له : ما لك ؟ فقال : ضربتني رجل ما أعرفه ، ودخل المهلب فلما رآه الحاجب قال : هو ذا ، قال له المصعب : عدّ إلى مكانك ، وأمر المصعب الناس بالمسكر عند الجسر الأكبر ، ودعا عبد الرحمن بن مخنف فقال له : ائت الكوفة فأخرج إلى جميع من قدرت عليه أن تخرجه ، وادعهم إلى بيعتي سرّاً ، وتحدّك ٧٢٠/٢ أصحاب المختار ، فأنسل من عنده حتى جلس في بيته مستراً^(١) لا يظهر ، وخرج المصعب فقدم أمامه عبّاد بن الحصين الحبطي من بني تميم على مقدّمته ، وبعث عمر بن عبّيد الله بن مسمر على ميمنته ، وبعث المهلب بن أبي صفرة على ميسرته ، وجعل مالك بن مسمع على خمس بكر بن وائل ، ومالك بن المنذر على خمس عبد القيس ، والأحنف بن قيس على خمس تميم وزباد بن عمرو الأزدي على خمس الأزد ، وقيس بن الهيثم على خمس أهل العالية ، وبلغ ذلك المختار ، فقام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة ، يا أهل الدين ، وأعوان الحق ، وأنصار الضعيف ، وشيعة الرسول ، وآل الرسول ، إن قرأركم الذين بنوا عليكم أتوا أشباههم من الفاسقين فاستغفروهم عليكم ليصبح^(٢) الحق ، ويتعش الباطل ، ويقتل أولياء الله ، والله لو تهلكون ما عبّد الله في الأرض إلّا بالفرى على الله واللعن لأهل بيت نبيه . انتدبوا مع أحمر بن شُميط فإنكم لو قد لقيتموهم لقتلتموهم إن شاء الله قتل عاد وإرم .

فخرج أحمر بن شُميط ، فمسكراً بحمّام أعين ، ودعا المختار رموس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر ، فبعثهم مع أحمر بن شُميط ، كما كانوا مع ابن الأشتر ، فلأنهم إنما فارقوا ابن الأشتر ، لأنهم رأوه كالمتهانين بأمر المختار ، ٧٢١/٢ فانصرفوا عنه ، وبعثهم المختار مع ابن شُميط ، وبعث معه جيشاً كثيراً ،

(١) : « مستراً » . (٢) : يصبح الحق ، أي يلعب .

فخرج ابن شميظ ، فبعث على مقدمته ابن كامل الشاكري ، وسار أحمر بن شميظ حتى ورد المذار ، وجاء المصعب حتى عسكر منه قريباً .

ثم إن كل واحد منهما عصى جنده ، ثم تراحقا ، فجعل أحمر بن شميظ على ميمنته عبد الله بن كامل الشاكري ، وعلى ميسرته عبد الله ابن وهب بن نضلة الجشمي ، وعلى الخليل رزين عبد السلوي ، وعلى الرجالة كثير بن إسماعيل الكندي - وكان يوم خازر مع ابن الأشتر - وجعل كيسان أبا عمرة - وكان مولى لمرينة - على الموالى ، فجاء عبد الله بن وهب بن أنس الجشمي إلى ابن شميظ وقد جعله على ميسرته ، فقال له : إن الموالى والعبيد آل تخور عند المصدوقة ، وإن معهم رجالا كثيرا على الخليل . وأنت تمشي ، فمرهم فليزولوا معك ، فإن لهم بك أسوة ، فإنى أتخوف إن طوردوا ساعة ، وطوعونا وضربوا أن يطيروا على متونها ويسلموك ، وإنك إن أرجلتهم لم يجدوا من الصبر بدا ، وإنما كان هذا منه غشاً للموالى والعبيد ، لما كانوا لقوا منهم بالكوفة . فأحب إن كانت عليهم الدبرة أن يكونوا رجالا لا ينجو منهم أحد ، ولم يتهمه ابن شميظ ، وظن أنه إنما أراد بذلك نصحه ليصبروا ويقاتلوا ، فقال : يا معشر الموالى ، انزلوا معي فقاتلوا ، فنزلوا معه ، ثم مشوا بين يديه وبين يدي رايته ، وجاء مصعب بن الزبير وقد جعل عباد ابن الحصين على الخليل ، فجاء عباد حتى دنا من ابن شميظ وأصحابه فقال : إننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وإلىبيعة أمير المؤمنين عبد الله ابن الزبير ، وقال الآخرون : إننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وإلىبيعة الأمير المختار ، وإلى أن نجعل هذا الأمر شورى في آل الرسول (١) ، فمن زعم من الناس أن أحدا ينبغي له أن يتولى عليهم برثنا منه وجاهدناه . فانصرف عباد إلى المصعب فأخبره ، فقال له : ارجع فاحمل عليهم ، فرجع فحمل على ابن شميظ وأصحابه فلم يزُل منهم أحد . ثم انصرف إلى موقفه وحمل المهلب على ابن كامل ، فجاء أصحابه بعضهم في بعض ، فنزل ابن كامل ، ثم انصرف عنه المهلب . فقام مكانه ، فوقفوا ساعة

(١) ف : « إنما » . (٢) ف : « رسول الله » .

ثم قال المهلب لأصحابه: كبروا كربةً صادقة، فإن القوم قد أطمعوكم، وذلك بجورٍ لهم التي جالوا، فحمل عليهم حملةً منكبةً فولّوا، وصبر ابنُ كامل في رجالٍ من همدان، فأخذ المهلب يسمع شعار القوم: أنا الغلامُ الشاكري، أنا الغلامُ الشبّاي، أنا الغلامُ الثوري، فما كان إلا ساعه حتى هزّموا، وحمل عمرُ بنُ عبيدِ الله بنِ معمر على عبدِ الله ابنِ أنس، فقاتل ساعةً ثم انصرف، وحمل الناسُ جميعاً على ابنِ شُمَيْط، فقاتل حتى قُتِل، وتنادوا: يا معشرَ بَجيلةٍ وخَشَعَم، الصبرُ الصبرُ! فناداهم المهلب: الفرارُ الفرارُ! اليوم أنجى لكم، عَلامَ تَقْتُلون أنفسكم مع هذه العبدان، أضلَّ الله سعيكم. ثم نظر إلى أصحابه فقال: والله ٧٢٢/٢ ما أرى استِحرارَ القَتْلِ اليومَ إلا في قومي. ومالت الخيلُ على رجالةِ ابنِ شُمَيْط، فافترقت فانهزمت وأُخِلت الصَّحراءُ، فبعث المصعبُ عبادَ بنَ الحُصَيْنِ على الخيل، فقال: أيما أسيرٍ أخذتَه فاضربْ عُنُقَه. وصرَّحَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ في خيلٍ عظيمةٍ من خيلِ أهلِ الكوفةِ مِمَّنْ كان المختار طَرَدَهُمْ، فقال: دُونَكُمْ ثَارِكُمْ! فكانوا حيث انهزموا أشدَّ عليهم من أهلِ البصرة، لا يُلْزَمونَ منهزماً إلا قَتَلوه. ولا يأخِلون أسيراً فيعفون عنه. قال: فلم يَنْجُ من ذلك الجيشِ إلا طائفةٌ من أصحاب الخيل، وأما رَجَاؤُهُمْ فأبيلوا إلا قليلاً.

قال أبو مخنف: حَدَّثَنِي ابْنُ عِيَّاشِ الْمَنْشُوفِ، عن معاوية بن قُرةِ المُرِّي، قال: انتهيتُ إلى رجلٍ منهم، فأدخِلْتُ سنانَ الرمحِ في عينه، فأخذتُ أَخْضِضُخْصُ^(١) عينه بسنانِ رُمَحِي، فقلتُ له: وفعلتَ به هذا؟ قال: نعم: لأنَّهم كانوا أحلَّ عندنا دِماءَ من التُّركِ والدَّيْلَمِ؛ وكان معاوية بنُ قُرةَ قاضياً لأهلِ البصرة، ففي ذلك يقول الأعشى^(٢):

أَلْأَهْلَ أَتَاكَ وَالْأَنْبَاءُ تُنَمِّي	بِمَا لَأَقْتُ بَجِيلَةً بِالْمَذَارِ
أَتَبِّحُ لَهُمْ بِهَا ضَرْبَ طَلْحَفٍ	وَطَفَنُ صَائِبٍ وَجَهَ النَّهَارِ
كَأَنَّ سَحَابَةً صَعَقَتْ عَلَيْهِمْ	فَعَمَّتْهُمْ هُنَالِكَ بِالْأَمَارِ

(١) : «أخضض» . (٢) هو أَعشى همدان، وأمه عبد الرحمن بن عبد الله .

فَبَشَّرَ شَيْعَةَ الْمَخْصَارِ إِمَّا مَرَرْتَ عَلَى الْكُوفَةِ بِالصَّغَارِ
أَقْرَ الْعَيْنِ صَرَاعَهُمْ وَقُلْ لَهُمْ جَمُّ يُقْتَلُ بِالصَّحَارِ
وَمَا إِنْ سَرْنِي إِهْلَاكُ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا وَجَدَكَ فِي خِيَارِ
وَلَكِنِّي سُرَرْتُ بِمَا يُلَاقِي أَبُو إِسْحَاقَ مِنْ خِزْيٍ وَعَارِ ٧٢٤/٢

وَأَقْبَلَ الْمَصْعَبُ حَتَّى قَطَعَ مِنْ تَلْقَاءِ وَاسِطِ الْقَصَبِ ، وَلَمْ تَكُ وَاسِطُ
هَذِهِ بُنِيَتْ حَيْثُ بَعْدَ ، فَأَخَذَ فِي كَسْكَرٍ ، ثُمَّ حَمَلَ الرِّجَالَ وَأَقْبَلَ هُمْ
وَضَعُفَاءَ النَّاسِ فِي السَّفَنِ ، فَأَخَذُوا فِي نَهْرِ يُقَالُ لَهُ : نَهْرُ خُرْشَادَ ، ثُمَّ
خَرَجُوا مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ إِلَى نَهْرِ يُقَالُ لَهُ قُوسَانُ ، ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ
إِلَى الْقُرَاتِ .

قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ : وَحَدَّثَنِي فَضِيلُ بْنُ خَدِيدٍ الْكِنْدِيُّ ، أَنَّ أَهْلَ
الْبَصْرَةِ كَانُوا يَخْرُجُونَ فَيَجْرُونَ مِنْهُمْ وَيَقُولُونَ :

عَوَدَنَا الْمَصْعَبُ جَرَّ الْقَلَسِ وَالزَّنَبِيَّاتِ الطُّوَالِ الْقُعَسِ

قَالَ : فَلَمَّا بَلَغَ مَنْ مَعَ الْمُخْتَارِ مِنْ تِلْكَ الْأَعَاجِمِ مَا لَقِيَ لِإِخْوَانِهِمْ مَعَ ابْنِ
شُمَيْطَ قَالُوا بِالْفَارِسِيَّةِ : « إِبْنُ بَارْدُورُغِ كَفَّتْ » ؛ يَقُولُونَ : هَذِهِ الْمَرَّةُ
كُذِبَ .

قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ : وَحَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّقَفِيُّ ، عَنْ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ الثَّقَفِيِّ ، قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَجَالِسٌ عِنْدَ الْمُخْتَارِ
حِينَ أَنَاهُ هَزِيمَةُ الْقَوْمِ وَمَا لَقُوا ، قَالَ : فَأَصْبَغَنِي إِلَى ، فَقَالَ : قَتَلْتُ وَاللَّهِ
الْعَبِيدَ قَتْلَةً مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهَا قَطُّ . ثُمَّ قَالَ : وَقَتْلَ ابْنِ شُمَيْطَ وَابْنَ
كَامِلٍ وَفُلَانٍ وَفُلَانٍ ، فَسَمِيَ رِجَالًا مِنَ الْعَرَبِ أَصَابِيوًا ، كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ فِي
الْحَرْبِ خَيْرًا مِنْ فِئَامٍ ^(١) مِنَ النَّاسِ . قَالَ : فَقَتَلْتُ لَهُ : فَهَذِهِ وَاللَّهِ مَصِيبَةٌ ،
فَقَالَ لِي : مَا مِنَْ الْمَوْتِ بَدَأَ ، وَمَا مِنَْ مَيِّتَةٍ أَمُوتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِثْلِ مَيِّتَةِ ابْنِ

(١) الثَّغَامُ : الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ .

شَمِيط ، حبَّذا مَصَارِعُ الْكِرَامِ ! قَالَ : فَعَلِمْتُ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ حَدَّثَ ٧٢٥/٢
نَفْسَهُ إِنْ لَمْ يُصِيبْ حَاجَتَهُ أَنْ يُقَاتِلَ حَتَّى يَمُوتَ .

وَلَا بَلَّغَ الْمُخْتَارُ أَنََّّهُمْ قَدْ أَقْبَلُوا إِلَيْهِ فِي الْبَحْرِ ، وَعَلَى الظَّهْرِ ، سَارَ حَتَّى
نَزَلَ بِهِم السَّيْلَحِينَ ، وَنَظَرَ إِلَى مُجْتَمَعِ الْأَنْهَارِ نَهْرِ الْحَيَّةِ وَنَهْرِ السَّيْلَحِينَ
وَنَهْرِ الْقَادِسِيَّةِ ، وَنَهْرِ يَوْسُفَ ^(١) ، فَسَكَرَ ^(٢) الْقُرَاتُ عَلَى مُجْتَمَعِ الْأَنْهَارِ ،
فَذَهَبَ مَاءُ الْفُرَاتِ كُلُّهُ فِي هَذِهِ الْأَنْهَارِ ، وَبَقِيَ سَفْنُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي
الطَّيْنِ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ خَرَجُوا مِنَ السَّفْنِ يَمْشُونَ ، وَأَقْبَلَتْ خِيْلُهُمْ تَرْكُضُ
حَتَّى أَتَوْا ذَلِكَ السَّكْرَ ، فَكَتَسَرُوهُ وَصَمَدُوا صَمَدَ الْكُوفَةِ ، فَلَمَّا رَأَى
ذَلِكَ الْمُخْتَارُ أَقْبَلَ إِلَيْهِمْ حَتَّى نَزَلَ حَرَّوَرَاءَ ، وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْكُوفَةِ ،
وَقَدْ كَانَ حَصْنٌ قَصْرُهُ وَالْمَسْجِدُ ، وَأَدْخَلَ فِي قَصْرِهِ عُدَّةَ الْحِصَارِ ، وَجَاءَ
الْمَصْعَبُ يَسِيرُ إِلَيْهِ وَهُوَ بِحَرَّوَرَاءَ وَقَدْ اسْتَعْمَلَ عَلَى الْكُوفَةِ عَبْدَ اللَّهِ
ابْنَ شَدَّادَ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ الْمُخْتَارُ وَقَدْ جَعَلَ عَلَى مِمْتِهِ سُلَيْمُ بْنُ يَزِيدَ
الْكِنْدِيُّ ، وَجَعَلَ عَلَى مِيسِرَتِهِ سَعِيدُ بْنُ مُتَّقِدِ الْهَمْدَانِيِّ ثُمَّ التَّوْرِيُّ ،
وَكَانَ عَلَى شَرْطِيهِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُرَادِ الْخَثْعَمِيِّ ، وَبَعَثَ عَلَى الْخَيْلِ
عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّهْدِيُّ ، وَعَلَى الرِّجَالِ مَالِكُ بْنُ عَمْرٍو ^(٣) النَّهْدِيُّ ^(٤) ،
وَجَعَلَ مُصْعَبُ عَلَى مِمْتِهِ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ ، وَعَلَى مِيسِرَتِهِ عَمْرُ بْنُ
عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ التَّيْمِيِّ ، وَعَلَى الْخَيْلِ عَبَّادُ بْنُ الْحَصَمِيِّ الْحَبِطِيُّ ،
وَعَلَى الرِّجَالِ مِقَاتِيلُ بْنُ مِيسَمَحَ الْبَكْرِيِّ ، وَزَلَّ هُوَ يَمْشِي مُتَنَكِّبًا
قَتُوسًا لَهُ .

قَالَ : وَجَعَلَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ ، فَجَاءَ عُمَدَةُ حَتَّى ٧٢٦/٢
نَزَلَ بَيْنَ الْمَصْعَبِ وَالْمُخْتَارِ مَغْرِبًا مِيَامَنَا . قَالَ : فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْمُخْتَارُ بَعَثَ
إِلَى كُلِّ خُمْسٍ مِنْ أَعْصَاسِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَبَعَثَ إِلَى بَكْرِ
ابْنِ وَاثِلٍ سَعِيدَ بْنَ مُتَّقِدِ صَاحِبِ مِيسِرَتِهِ ، وَعَلَيْهِمْ مَالِكُ بْنُ مِيسَمَحَ
الْبَكْرِيُّ ، وَبَعَثَ إِلَى عَبْدِ الْقَيْسِ وَعَلَيْهِمْ مَالِكُ بْنُ الْمُنْزَرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

(١) ط : « يوسف » ، واصله من ا .

(٢) سكرانهر ؛ أى سداقه .

(٣) ف وابن الأثير : « مالك بن عبد الله » .

(٤) س : « البرزى » .

شُرِّحَ الشَّبَابِي ، وكان على بَيْتِ ماله ، وبعث إلى أهل العالية وعليهم قيسُ
ابنُ الهيثمِ السُّلَمِي عبدَ الله بنَ جَعْدَةَ القرشي ، ثم الخزومي ، وبعث إلى
الأزد وعليهم زيادُ بنُ عمرو العَتَكِي مسافرَ بنِ سَعِيدِ بنِ نَمِرَانَ الناعطي ،
وبعث إلى بني تميم وعليهم الأحنفُ بنُ قيسِ سُلَيمِ بنِ يزيدِ الكِنْدِي ،
وكان صاحب ميمته ، وبعث إلى محمد بنِ الأشعث السائب بن مالك
الأشعري ، ووقف في بقية أصحابه ، وتزاحف الناسُ ودنا بعضهم من بعض ،
ويَحْمِلُ سَعِيدُ بنُ مَنقَذٍ وعبدُ الرحمن بنُ شُرَيْحٍ على بكر بن وائل ، وعبد القيس ،
وهم في الميسرة وعليهم عمرُ بنُ عُبَيْدِ الله بنِ مَحْمَرٍ ، فقاتلهم ربيعةُ
قتالاً شديداً ، وصبروا لهم ، وأخذ سَعِيدُ بنُ مَنقَذٍ وعبدُ الرحمن بنُ
شُرَيْحٍ لا يُقْلَعَان ، إذا حمل واحدٌ فأنصرف حمل الآخر ، وربما حَمَلَا
جميعاً ، قال : فَبَعَثَ المصْعَبُ إلى المهلب : ما تنتظر أن تحمِلَ على
مَنْ بِإِزَالِكَ ! ألا ترى ما يَلْقَى هذان الخُمسان منذ اليوم ! أحملُ بأصحابك ،
فقال : إني لعمري ما كنتُ لأَجْزُرُ الأزدَ وتيمماً خشية أهل الكوفة حتى
أرى فُرْصَتِي . قال : وبعث المختارُ إلى عبدِ الله بنِ جَعْدَةَ أن أحملُ
على مَنْ بِإِزَالِكَ ، فحَمَلَ على أهل العالية فكَشَفَهُمْ حَتَّى انْتَهَوْا إلى
المصْعَبِ ، فَجَثَا المصْعَبُ على رُكْبَتَيْهِ ولم يكن فراراً - فرمى بأسهم .
ونزل الناسُ عنده فقاتلوا ساعةً ، ثم تَحَاجَزُوا . قال : وَبَعَثَ المصْعَبُ
إلى المهلب وهو في خُمُسَيْنِ جامعين كثيري العدد والقُرْمان : لا أبأ لك !
مما تنتظر أن تحمِلَ على القوم ! فمَكَثَ غيرَ بعيد ، ثم إِنَّهُ قال لأصحابه :
قد قاتل الناسُ منذ اليوم وأنتم وقوفٌ ، وقد أحسنوا ، وقد بقي ما عليكم ،
احملوا واستعينوا بالله واصبروا ، فحمل على مَنْ يَلِيهِ حملةٌ منكرةٌ ،
فحطموا أصحابَ المُخْتَارِ حَطْمَةً منكرةً ، فكَشَفُوهُمْ . وقال عبدُ الله
ابنُ عمرو النهدي - وكان من أصحابِ صِفْيَينَ : اللَّهُمَّ إني على ما كنتُ
عليه ليلةَ الخُمَيْسِ بصِفْيَينَ ، اللَّهُمَّ إني أبرأ إليك من فعل هؤلاء لأصحابه
حين انتهزوا ، وأبرأ إليك من أنفس هؤلاء - يعني أصحابَ المصْعَبِ -
ثم جالده يستقيمه حتى قُتِلَ ، وأتى مالك بن عمرو أبو نِمِرَانَ النهدي وهو

على الرّجاله بفترمه فركبه، وانقصّف أصحابُ المختار انقصافاً شديدة كأنّهم أجسةٌ فيها حريقٌ ، فقال مالك حين ركب : ما أصنع بالركوب ! والله لأنّ أقتل ها هنا أحبّ إلىّ من أن أقتل في بيتي ؛ أين أهلُ البصائر ؟ أين أهلُ الصبر ؟ فتاب إليه نحو من خمسين رجلاً ، وذلك عند المساء ، فكفر على أصحاب محمد بن الأشعث ، فقتل محمد بن الأشعث إلى جانبه هو وعامة أصحابه ، فيبعضُ الناس يقول : هو قتل محمد بن الأشعث ، ووُجد أبو نمران قتيلاً إلى جانبه - وكندةٌ تزعم أن عبد الملك بن أشاة الكندي هو الذي قتله - فلما مرّ المختار في أصحابه على محمد بن الأشعث قتيلاً قال : يا معشر الأنصار ، كُتروا على الثعالب الرواغة ، فحملوا عليهم ، فقتلوا ، فخشعهم تزعم أن عبد الله بن قُرَاد هو الذي قتله .

٧٢٨/٢

قال أبو مخنف : وسمعتُ عوف بن عمرو الجشمي يزعم أن مولى لمم قتله ، فادّعى قتله أربعة نفر . كلهم يزعم أنه قتله ، وانكشف أصحاب سعيد بن منقذ ، فقاتل في عصابة من قومه نحو من سبعين رجلاً فقتلوا ، وقاتل سليم بن يزيد الكندي في تسعين رجلاً من قومه ، وغيرهم ضارب حتى قُتل ، وقَاتَلَ المختارُ على قسمٍ مِكةَ شَيْث ، ونزك وهو يريد الأبيّرح ، فقاتلَ عامةً ليلته حتى انصرف عنه القوم ، وقتل^(١) معه ليلتد رجال من أصحابه من أهل الحفاظ ، منهم عاصم بن عبد الله الأزدي ، وعياش بن خازم الهمداني ، ثم الثوري ، وأحمر بن هديج الهمداني ثم الفايشي .

قال أبو مخنف : حدثنا أبو الزبير أن همدان تنادوا ليلتد : يا معشر همدان ، سيفوهم فقاتلوهم أشدّ القتال ؛ فلما أن تفرقوا عن المختار قال له أصحابه : أيها الأمير ، قد ذهب القوم فانصرف إلى منزلك إلى القصر ، فقال المختار : أما والله ما نزلت وأنا أريد أن آتي القصر ، فأما إذ انصرفوا فاركبوا بنا على اسم الله ؛ فجاء حتى دخل القصر فقال الأعشى^(٢) في قتل محمد بن الأشعث :

تَأَوَّبَ عَيْنَكَ عَوَّارَهَا وَعَادَ لِنَفْسِكَ تَذَكَّارَهَا

٧٢٩/٢

(٢) هو أعي همدان .

(١) : « وقاتل » .

وإلحى لِيَالِيكَ راجعتها
 وما ذاقَتِ العَيْنُ طَعْمَ الرُّقَا
 وقَامَ نَعَاةٌ أَبِي قَاسِمٍ
 فحقَّ العَيْنُ عَلَى ابْنِ الْأَشَجِّ
 وَالْأُتَى تَزَالَ تُبْكِي لَه
 عَلَيْكَ مُحَمَّدٌ لَمَّا نَوَى
 وَمَا يَذْكُرُنكَ إِلَّا بِكُورِ
 وعَارِيَةٍ مِنْ لِيَالِي الشَّنَا
 وَلَا يُنْبِغُ الْكَلْبُ فِيهَا الْعُقُورُ
 وَلَا يَنْفَعُ الثَّوْبُ فِيهَا الْفَقْرُ
 فَانْتَ مَحْمَدٌ فِي مِثْلِهَا
 تَطْلُ جِفَانُكَ مَوْضُوعَةٌ
 وَمَا فِي سَفَانِكَ مُسْتَنْطَفٌ
 فَيَا وَاهِبَ الْوُضْعَاءِ الصَّبَا
 وَيَا وَاهِبَ الْجُرْدِ مِثْلَ الْقِدَا
 وَيَا وَاهِبَ الْبِكْرَاتِ الْهَجَا
 وَكُنْتَ كَلِجْلَةً إِذْ تَرْتَمَى
 وَكُنْتَ جَلِيدًا وَذَا مِسرَةٍ
 وَكُنْتَ إِذَا بَلَدَةٌ أَصْفَقَتْ
 بَعَثَتْ عَلَيْهَا ذَوَاكِي الْعِيَرِ
 بِإِذْنِ مِنَ اللَّهِ وَالْخَيْلِ قَدْ
 وَقَدْ تُطْعَمُ الْخَيْلُ مِنْكَ الْوَجِي

أَرَقْتَ وَلَوْمْ شَارَهَا
 دِ حَتَّى تَبْلُجَ إِسْفَارَهَا
 فَاسْبِلْ بِاللَّمْعِ تَحْدَارَهَا
 أَلَا يُفْتَرُ تَقْطَارَهَا
 وَتَبْتَلُ بِاللَّمْعِ أَشْفَارَهَا
 تَ تَبْكِي الْبِلَادَ وَأَشْجَارَهَا
 إِذَا ذِمَّةُ خَانَهَا جَارَهَا
 لَا يَتَمَنَّحُ أَيْسَارَهَا
 رَ إِلَّا الْهَرِيرُ وَتَخْتَارَهَا
 وَلَا رِيَّةَ الْخِذْرِ تَخْدَارَهَا
 مُهِنُ الْجَزَائِرِ نَحَارَهَا
 تَسِيلُ مِنَ الشَّحْمِ أَصْبَارَهَا
 إِذَا الشَّوْلُ رَوْحَ أَغْبَارَهَا
 حَ إِنْ شِيرَتْ تَمَّ إِشْبَارَهَا
 حَ قَدْ يُعْجِبُ الصَّفَّ شَوَارَهَا
 نِ عُوْدًا تَجَاوَبُ أَبْكَارَهَا
 فَيُقَذَّفُ فِي الْبَحْرِ تِيَارَهَا
 إِذَا يُبْتَغَى مِنْكَ إِمْرَارَهَا
 وَأَذَنَ بِالْحَرْبِ جِبَارَهَا
 نِ حَتَّى تَوَاصِلَ أَخْبَارَهَا
 أَعِدْ لِدَلِكِ مِضْمَارَهَا
 فَ حَتَّى تُنْبَذَ أَمَارَهَا

وقد تعلمُ البازلُ العيسَجو رُ أنك بالخَبْتِ حَسَارُها
 فيا أَسْفَى يَوْمَ لاقِبْتَهُمُ وخانتُ رَجَالَكَ قُرَارُها
 وأقبلتِ الخيلُ مَهْزُومَةً عِثَارًا تُضْرَبُ أَدْبَارُها
 بشطِّ حُرُوراءِ واستَجَمَعَتْ عَلَيْكَ المَوَالِي وَسَحَارُها
 فأخطرتَ نفسك من دُونهم فحاز الرِّزِيْشَةُ أخطَارُها
 فلا تَبْعِدَنَّ أبا قاسمٍ فقد يَبْلُغُ النفسَ مَقْدَارُها
 وأفنى الحوائثُ سَادَاتِنَا ومَرُّ الليالي وَتَكَرَّرُها

٧٣١/٢

قال هشام : قال أبي : كان السائب أتى مع مُصِيبِ بْنِ الزَّيْبِرِ ، فقتله
 وَرَفَاءُ النَّخَعِيِّ مِنْ وَهْبِيلٍ ، فقال وَرَفَاءُ :

مَنْ مَبْلُغٌ عَنِّي عُبَيْدًا بِأَنِّي علوتُ أخاه بالحُسام المَهْدِ
 فإن كنتَ تبغِي العلمَ عنه فإنه صريعٌ لَدَى الدَّيْرَيْنِ غيرُ مُوسِدِ
 وَعَمْدًا علوتُ الرَّأْسَ منه بصارمٍ فاثكلتُهُ سُفْيَانُ بعدَ مُحَمَّدِ

قال هشام عن أبي مِخْنَفٍ ، قال : حدثني حَصْبِرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ،
 أَنَّ هِنْدًا بِنْتَ الْمُتَكَلِّفَةِ النَّاعِطِيَّةِ كَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهَا كُلُّ غَالٍ مِنَ الشَّيْعَةِ
 فَيَتَحَدَّثُ فِي بَيْتِهَا فِي بَيْتِ لَيْلَى بِنْتِ قُصَامَةَ الْمُزَنِّيَّةِ ، وَكَانَ أَخُوها رِفَاعَةُ
 ابْنِ قُصَامَةَ مِنْ شَيْعَةِ عَلِيٍّ ، وَكَانَ مُقْتَصِدًا ، فَكَانَتْ لَا تُحِبُّهُ ، فَكَانَ
 أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيُّ وَيَزِيدُ بْنُ شَرَاهِيلَ قَدْ أَخْبَرَا ابْنَ الْحَنْفِيَّةِ خَبَرَ هَاتَيْنِ
 الْمَرَاتَيْنِ وَغُلُوَّهُمَا وَخَبَرَ أَبِي الْأَحْرَاسِ الْمُرَادِيَّ وَالْبُطَيْنِيَّ اللَّيْثِيَّ وَأَبِي الْحَارِثِ الْكِنْدِيَّ .

قال هشام عن أبي مِخْنَفٍ ، قال : حدثني يَحْيَى بْنُ أَبِي عِمْسَى ،
 قال : فكان ابنُ الْحَنْفِيَّةِ قَدْ كَتَبَ مَعَ يَزِيدَ بْنِ شَرَاهِيلَ إِلَى الشَّيْعَةِ بِالْكُوفَةِ
 يُحَذِّرُهُمْ هَؤُلَاءِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِمْ :

٧٣٢/٢

من مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى مَنْ بِالْكُوفَةِ مِنْ شَيْعَتِنَا . أَمَّا بَعْدُ ، فَأَخْرَجُوا
 إِلَى الْمَجَالِسِ وَالْمَسَاجِدِ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِلَانِيَةً وَسِرًّا وَلَا تَتَخَلَّوْا مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ

بِطَانَتُهُ ، فَإِنْ خَشِيتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوا عَلَى دِينِكُمُ الْكَذَّابِينَ ،
وَأَكْثَرُوا الصَّلَاةَ وَالصَّيَامَ وَالزَّكَاةَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ يَسْمُكُ
لِأَحَدٍ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَكُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ،
وَلَا تَنْزِرُ وَالزَّيْرُ وَزَرَّ أُخْرَى ، وَاللَّهُ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، فاعْمَلُوا
صَالِحًا ، وَقَدْ مَوَّاهُ لَأَنْفُسِكُمْ حَسَنًا ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْغَافِلِينَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

قال أبو مخنف : فحدثني حصيرة بن عبد الله ، أن عبد الله بن
نوف خرج من بيت هند بنت المتكلمة حين خرج الناس إلى حرّ وراء
وهو يقول : يوم الأربعاء ، ترفعت السماء ، ونزك القضا ، بهزيمة الأعداء ،
فأخرجوا على اسم الله إلى حرّ وراء . فخرج ، فلما التقى الناس للقتال ضرب
على وجهه ضربة ، ووجع الناس منهزمين ، ولقي عبد الله بن شريك
الشهدى ، وقد سمع مقاتلته ، فقال له : ألم تزعم لنا يا بن نوف أننا سنهزمهم !
قال : أو ما قرأت في كتاب الله : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَيَعْنَدُ أَمَ
الْكِتَابِ ! قال : فلما أصبح المصعب أقبل يسير بمن معه من
أهل البصرة ومن خرج إليه من أهل الكوفة ، فأخذ بهم نحو السبخة ،
فرّ بالمهلب ، فقال له المهلب : يا له فتناً ما أهنأه لو لم يكن محمد بن
الأسعث قتل ! قال : صلعت ، فرحم الله محمدًا . ثم سار غير بعيد ، ثم قال :
يا مهلب ، قال : لبك أيها الأمير ، قال : هل علمت أن عبيد الله بن
علي بن أبي طالب قد قتل ! قال : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴾ ، قال :
المصعب : أما إنّه كان ممن أحب أن يرى هذا الفتح ، ثم لا تفعل
أنفسنا أحق بشيء مما نحن فيه منه ، أتدري ^(١) من قتله ؟ قال : لا ، قال :
إنما قتله من يزعم أنّه لأبيه شيعة ، أما إنهم قد قتلوه وهم يعرفونه .
قال : ثم مضى حتى نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة ، وبعث
عبد الرحمن بن محمد بن الأسعث فنزك الكناسة ، وبعث عبد الرحمن
ابن مخنف بن سليم إلى جبال السبيع ، وقد كان قال لعبد الرحمن بن مخنف :
ما كنت صنعت فيها كنت وكنتك به ؟ قال : أصلحك الله ! وجدت

٧٣٣/٢

الناس صنفين ؛ أما من كان له فيك هوى فخرج إليك ، وأما من كان يرى رأى المُختار ، فلم يكن ليدعه ، ولا ليؤثر أحداً عليه ، فلم أبرح بيتي حتى قدمت ؛ قال : صلت ؛ وبعث عبّاد بن الحصين إلى جبّانة كِنْدَةَ ، فكلّ هؤلاء كان يقطع عن المختار وأصحابه الماء والمادة ، وهم في قصر المختار ، وبعث زحر بن قيس إلى جبّانة مراد ، وبعث عبيد الله بن الحرّ إلى جبّانة الصائدين .

قال أبو مخنف : وحدّني فضيل بن خديج ، قال : لقد رأيت عبيد الله ابن الحرّ ؛ وإنّه ليطارد أصحاب خيّل المختار ، يُقاتِلهم في جبّانة الصائدين ولربّما رأيت خيلهم تطردُ خيله ، وإنّه لوراء خيله يحميها حتى يستهي إلى دار عكرمة ، ثمّ يكرّر راجعاً هو وخيله ، فيطردهم حتى يُلحقهم بجبّانة الصائدين ، ولربّما رأيت خيل عبيد الله قد أخذت السقاء والسقاءين فيضربون ، وإنّما كانوا يأتونهم بالماء أنّهم كانوا يعطونهم بالراوية الدينار والدينارين لما أصابهم من الجهد . وكان المختار ربّما خرج هو وأصحابه فقاتلوا قتالاً ضعيفاً ، ولا نكاية لهم ، وكانت لا تخرج له خيل إلاّ رميت بالحجارة من فوق البيوت ، ويصّب عليهم الماء القدير . واجترأ عليهم الناس ، فكانت معاشيهم أفضلها من نسائهم ، فكانت المرأة تخرج من منزلها معها الطعام واللطف والماء ، قد التحفّ عليه ، فتخرج كأنّها تريد المسجد الأعظم للصلاة ، وكأنّها تأتي أهلها وتزور ذات قرابة لها ، فإذا دنت من القصر فتشجّ لها ، فدخلت على زوجها وحسيما بطعامه وشرايه ولطفه . وإنّ ذلك بلغ المصعب وأصحابه ، فقال له المهلب - وكان مجرباً : اجعل عليهم دروباً حتى تمنع من يأتهم من أهلهم وأبنائهم ، وتدّعهم في حصنهم حتى يموتوا فيه . وكان القوم إذا اشتدّ عليهم العطش في قصرهم استقوا من ماء البئر . ثمّ أمر لهم المختار بعسل فصّب فيه ليخبر طعمه فيشربوا منه ، فكان ذلك أيضاً ممّا يروى أكثرهم . ثمّ إنّ مصعباً أمر أصحابه فاقربوا من القصر ، فجاء عبّاد بن الحصين الحبطي حتى نزل عند مسجد جهينة ، وكان ربّما تقدّم حتى ينتهي إلى مسجد

٧٣٥/٢

بني مخزوم ، وحتى يرى أصحابه من أشرف عليهم من أصحاب المختار من القصر ، وكان لا يلقى امرأة قريباً من القصر إلا قال لها : من أنت ؟ ومن أين جئت ؟ وما تريدان ؟ فأخذ في يوم ثلاث نساء للشباميين وشاكر أثنين أزواجهن في القصر ، فبعث بهن إلى مصعب ، وإن الطعام لهن ، فردهن مصعب ولم يعرض لهن ، وبعث زحر بن قيس ، فنزل عند الحدادين حيث تكرر الدواب ، وبعث عبيد الله بن الحر فكان موقفه عند دار بلال ، وبعث محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فكان موقفه عند دار أبيه ، وبعث حوشب بن يزيد فوقف عند زقاق البصريين عند فم سكة بني جديمة بن مالك من بني أسد بن خزيمه ، وجاء المهلب يسير حتى نزل جيهار سوج نخيس ، وجاء عبد الرحمن بن مخنف من قبل دار السقاية ، وابتدر السوق أناس من شباب أهل الكوفة وأهل البصرة ، أعمار ليس لهم عليم بالحرب ، فأخلوا يصيحون — وليس لهم أمير : يابن دومة ، يابن دومة ! فأشرف عليهم المختار فقال : أما والله لو أن الذي يعيرني بدومة كان من القرينين عظيماً ما عيرني بها . وبصر بهم وبتفرقهم وهبهم وانتشارهم ، فطمع فيهم ، فقال لطائفة من أصحابه : اخرجوا معي ، فخرج معه منهم نحو من مائتي رجل ، فكر عليهم ، فسلخ نحواً من مائة ، وهزمهم ، فركب بعضهم بعضاً ، وأخلوا على دار قرات بن حبان العجلي . ثم إن رجلاً من بني ضبة من أهل البصرة يقال له يحيى بن ضمضم ، كانت رجلاه تكادان تحيطان الأرض إذا ركب من طولها ، وكان أقتل شيء للرجال وأهيبه عندهم إذا رأوه ، فأخذ يحميل على أصحاب المختار فلا يثبت له رجل صمد صمده ، وبصر به المختار ، فحمل عليه فضربه ضربة على جبهته فأطار جبهته وقحف رأسه ، وخر ميتاً . ثم إن تلك الأمراء وتلك الرؤوس أقبلوا من كل جانب ، فلم تكن لأصحابه بهم طاقة ، فدخلوا القصر ، فكانوا فيه ، فاشتد عليهم الحصار فقال لهم المختار : ويحكمكم ! إن الحصار لا يزيدكم إلا ضعفاً ، انزلوا بنا فلنقاتل حتى نقتل كراماً إن تخن قتلنا ، والله ما أنا بأيس إن صلتهموم

٧٣٦/٢

أن يتصرّك الله ، فضعنوا وعجزوا ، فقال لهم المختار : أمّا أنا فوالله لا أعطي
بيدي ولا أحكمهم في نفسي . ولمّا رأى عبدُ الله بنُ بريدة بنُ هُبيرة
ابن أبي وهب ما يريد المختار تدلّي من القصر بحبل ، فليحق بأناس
من إخوانه ، فاخْتَبأ عندهم . ثم إنَّ المختار أزمع بالخروج إلى القوم حين
رأى من أصحابه الضعف ، ورأى ما بأصحابه من الفشل ، فأرسل إلى امرأته
أمّ ثابت بنت سمرة بن جندب الفزاري ، فأرسلت إليه بطيب كثير ،
فاغتسل وتحنّط ، ثم وضع ذلك الطيب على رأسه وليحيته ، ثم خرج في تسعة
عشر رجلاً ؛ فيهم السائب بن مالك الأشعري - وكان خليفته على الكوفة إذا
خرج إلى المدائن - وكانت تحته عَمْرَةُ بنتُ أبي موسى الأشعري ، فولدت
له غلاماً ، فسماه محمداً ، فكان مع أبيه في القصر ، فلمّا قُتل أبوه وأُخذ
مَن في القصر وجُد صبيّاً فترك ، ولمّا خرج المختار من القصر قال
للسائب : ماذا ترى ؟ قال : الرَّأْيُ لك ، فإذا ترى ؟ قال : أنا أرى أمّ الله
يرى ! قال : الله يرى ، قال : ويحك ! أحمق أنت ! إنّما أنا رجل
من العرب رأيت ابن الزبير انتزى على الحِجاز ، ورأيت نجدة انتزى
على البِمامة ، وروان على الشام ، فلم أكن دون أحد من رجال العرب ،
فأخذت هذه البلاد ، فكنت كأخدم ، إلّا أنّي قد طلبتُ بثأر أهل بيتِ
النبي صلّى الله عليه وسلم إذ نامتُ عنه العرب ، فقتلتُ مَن شرك في دِمائهم ،
وبالغتُ في ذلك إلى يومي هذا ، فقاتلتُ على حسبك إن لم تكن لك نيّة ،
فقال : ﴿ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴾ ، وما كنتُ أصنع أن أقاتل على حسبي !
فقال المختار عند ذلك يتمثل بقول غيلان بن سَكَمَة بن مُعَتَّب الثقفي :
ولو يراني أبو غيلان إذ حسرت عني الهموم بأمر ما له طيق
لقال رهباً ورغباً يجتمعان معاً غنم الحياة وهول النفس والشفق
إما تُسِف على مَجْدٍ ومَكْرَمَةٍ أو إمّسة لك فيمن تهلك الورق
فخرج في تسعة عشر رجلاً فقال لهم : أتؤمنوني وأخرج إليكم ؟ فقالوا :
لا ، إلّا على الحكم ، فقال : لا أحكمكم في نفسي أبداً ، فضارب بسيفه
حتى قُتل ، وقد كان قال لأصحابه حين أبوا أن يتابعوه على الخروج معه :

٧٣٧/٢

٧٣٨/٢

إذا أنا خرجتُ إليهم فقتلتُ لم تزدادوا إلّا ضَعْفًا وذُلًّا ، فإنْ نزلتم على حكمهم وثبّ أعداؤكم الذين قد وتَرْتَمَوْهم ، فقال كلُّ رجلٍ منهم لبعضكم : هذا عنده ثأري فيقتل ، وبعضكم ينظر إلى مصارع بعض فيقولون : يا لَيْتَنَا أطعنا المختار وعَمِلْنَا برأيه ! ولو أنكم خرجتم معي كنتم إنْ أخطأتم الظفرَ ممّ كرامًا ، وإنْ هرب منكم هاربٌ فدخل في عشيرته اشتملت عليه عشيرته ؛ أنتم غداً هذه الساعة أذلّ من على ظهر الأرض ، فكان كما قال .

قال : وَرَعِمَ النَّاسُ أَنْ الْمُخْتَارَ قُتِلَ عِنْدَ مَوْضِعِ الرِّبَاتَيْنِ الْيَوْمَ ، قَتَلَهُ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ أَخُو بَنِي حَنْظَلَةَ وَتَرْتَمَوْهُمَا طَرَفًا ، ابْنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَجَاجَةَ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ . وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْقَدَمِ قَتَلَ الْمُخْتَارُ قَالَ بِجَبْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُسَلِّي : يَا قَوْمَ ، قَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ أَمْسَ أَشَارَ عَلَيْكُمْ بِالرَّأْيِ لَوْ أَطَعْتُمُوهُ . يَا قَوْمَ ، إِنَّكُمْ إِنْ نَزَلْتُمْ عَلَى حُكْمِ الْقَوْمِ ذُبِحْتُمْ كَمَا تَذْبَحُ الْغَنَمَ ، اخْرُجُوا بِأَسْيَافِكُمْ فَقَاتِلُوا حَتَّى تَمُوتُوا كِرَامًا . فَمَضَوْهُ وَقَالُوا : لَقَدْ أَمَرْنَا بِهِذَا مَنْ كَانَ أَطْوَعَ عِنْدَنَا وَأَنْصَحَ لَنَا مِنْكَ ، فَعَصَيْنَاهُ ، أَفَنَحْنُ (١) نَطْلِعُكَ ! فَأَمَّا الْقَوْمُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَزَلُّوا عَلَى الْحُكْمِ . فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَصْعَبُ (٢) عَبَادَ بْنَ الْحُصَيْنِ الْحَبِطِيَّ فَكَانَ هُوَ يُخْرِجُهُمْ مَكْتَسِفِينَ ، وَأَوْصَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادِ الْجُشَمِيِّ إِلَى عَبَادِ بْنِ الْحُصَيْنِ ، وَطَلَبَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ قُرَادَةَ عَصَا أَوْ حِدِيدَةً أَوْ شَيْئًا يِقَاتِلُ بِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّدَامَةَ أَدْرَكَهُ بَعْدَ مَا دَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَأَخَذُوا سِيفَهُ ، وَأَخْرَجُوهُ مَكْتَوْفًا ، فَرَّ بِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَهُوَ يَقُولُ :

مَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَرَى أَسِيرًا إِنَّ الَّذِينَ خَالَفُوا الْأَمِيرَا
 * قَدْ رَغِمُوا وَتَبَرُّوا تَتَبِيرًا *

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : عَلَى بَدَا ، قَدْ مَوَّهَ إِلَى أَضْرَبَ عَقَبَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَمَا إِنِّي عَلَى دِينِ جَدِّكَ الَّذِي آمَنْتُمْ كَفَرْتُمْ إِنْ لَمْ أَكُنْ ضَرَبْتُ أَبَاكَ بِسَيْفِي حَتَّى قَاطَ . فَزَلَّ ثُمَّ قَالَ : أَذْنُوهُ مِنِّي ، فَأَذْنُوهُ مِنِّي ،

فقتله ، فغضب عباد ، فقال : قتلته ولم تؤمر بقتله !

ومر بعبد الله بن شدّاد الجُشمي وكان شريفاً ، فطلب عبد الرحمن إلى عباد أن يحبسّه حتى يكلمهم فيه الأمير ، فأبى مُصعباً ، فقال : إني أحبّ أن تُلَفِّحَ إلى عبد الله بن شدّاد فأقتله ، فإنه من البئار ، فأمر له به ، فلما جاءه أخذه فضرب عنقه ، فكان عباد يقول : أما والله لو علمتُ أنك إنما تريد قتله لدفعته إلى غيرك فقتله ، ولكي حسبْتُ أنك تكلمه فيه فتخلّى سبيله . وأبى بابتن عبد الله بن شدّاد ، وإذا اسمه شدّاد ، وهو رجل محطّم ، وقد اطلّتي بنورة ، فقال : اكشفوا عنه هل أدرك ! فقالوا : لا ، إنما هو غلام ، فخلّوا سبيله ، وكان الأسود بن سعيد قد طلب إلى مُصعب أن يعرض على أخيه الأمان ، فإن ترك تركه له ، فأثاء فعرض عليه الأمان ، فأبى أن ينزل ، وقال : أموت مع أصحابي أحبّ إلى من حياة معكم ، وكان يقال له قيس ، فأخرج فقتل فيمن قُتِل ؛ وقال بُجير بن عبد الله المُسليّ - ويقال : كان مولى لم حين أتى به مصعب ومعه منهم ناسٌ كثير - فقال له المُسليّ : الحمد لله الذي ابتلانا بالإمار ، وابتلاك بأن تغفو عنا ، وهما منزّلان إحداهما رضا الله ، والأخرى سخطه ، من عفاً عفاً الله عنه ، وزاده عزاً ، ومن عاقب لم يأمن القصاص . يابن الزبير ، نحن أهل قِبَلَتِكُمْ ، وعلى مِلَّتِكُمْ ، ولنا تُرُكّا ولا ديلماً ، فإن خالفنا إخواننا من أهل مِصرنا فلما أن نكون أصبنا وأخطأوا ، ولما أن نكون أخطأنا وأصابوا فاقْتَلْنَا كما اقْتَل أهل الشام بينهم ، فقد اختلفوا واقتتلوا^(١) ثم اجتمعوا ، وكما اقْتَل أهل البصرة بينهم فقد اختلفوا واقتتلوا ثم اصطَلَحوا واجتمعوا ، وقد ملكتم فأسجّحو ، وقد قدّرتُم فاعفّو . فما زال بهذا القول ونحوه حتى رَقَّ لهم الناس ، ورقَّ لهم مصعب ، وأراد أن يخلى سبيلهم ، فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال : تُخَلِّي سبيلهم ! اخترنا يابن الزبير أو اخترهم . ووُثِب محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني

(١) ف : وقد اقتتلوا واختلفوا .

(٢) ف : أنخل .

فقال : قُتِلَ أَبِي وَخَمْسَ مِائَةٍ مِنْ هَمْدَانٍ وَأَشْرَافِ الْعَشِيرَةِ وَأَهْلِ الْمَصَرِ^(١) ثُمَّ تَخَلَّى سَبِيلَهُمْ ، وَدَمَاقُنَا تَرَقَّرَقَ فِي أَجْوَاهِهِمْ ! اخْتَرْنَا أَوْ اخْتَرَهُمْ . وَوَتَّبَ كُلَّ قَوْمٍ وَأَهْلٍ بَيْتٍ كَانَ أَصِيبَ مِنْهُمْ رَجُلٌ فَقَالُوا نَحْوًا مِنْ هَذَا الْقَوْلِ . فَلَمَّا رَأَى مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْبِرِ ذَلِكَ أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ ، فَتَادَوْهُ بِأَجْمَعِهِمْ : يَابْنَ الزَّيْبِرِ ، لَا تَقْتُلْنَا ، اجْعَلْنَا مَقْدَمَتَكَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ غَدًا ، فَوَاللَّهِ مَا بَلَكَ وَلَا بِأَصْحَابِكَ عَنَّا غَدًا غِنَى ، إِذَا الْقَيْمُ عَدُوَّكُمْ فَإِنْ قَتَلْنَا لَمْ نَقْتُلْ حَتَّى نَرْفَعَهُمْ لَكُمْ^(٢) ، وَإِنْ ظَنَرْنَا بِهِمْ كَانَ ذَلِكَ لَكَ وَلِنِ مَعَكَ . فَأَبَى عَلَيْهِمْ وَتَبِعَ رِضَا الْعَامَةِ ، فَقَالَ بِحَيْرِ الْمُسْلِمِيْنَ : إِنْ حَاجَتِي إِلَيْكَ أَلَا أَقْتُلْ مَعَ هَؤُلَاءِ [الْقَوْمَ]^(٣) إِنْ أَمَرْتُهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا بِأَسْيَافِهِمْ فَيَقَاتِلُوا حَتَّى يَمُوتُوا كِرَامًا فَعَصَوْنِي ، فَقَدْ مَقْتُلٌ .

٧٤١/٢

قَالَ أَبُو مِخْضَفٍ : وَحَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو رَوْحٍ أَنَّ مَسَافِرَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ نِزْرَانَ قَالَ لِمُصْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ : يَابْنَ الزَّيْبِرِ ، مَا تَقُولُ لِلَّهِ إِذَا قُتِلَتْ عَلَيْهِ وَقَدْ قُتِلَتْ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ صَبْرًا ! حَكِيمُوكَ فِي دِمَائِهِمْ ، فَكَانَ الْحَقُّ فِي دِمَائِهِمْ أَلَّا تَقْتُلَ نَفْسًا^(٤) مُسْلِمَةً يَغِيرُ نَفْسَ مُسْلِمَةٍ ، فَإِنْ كُنَّا قَتَلْنَا عِدَّةَ رِجَالٍ مِنْكُمْ فَاقْتُلُوا عِدَّةً مِمَّنْ قَتَلْنَا مِنْكُمْ ، وَخَلَّوْا سَبِيلَ بَقِيَّتِنَا ، وَفِينَا^(٥) الْآنَ رِجَالٌ كَثِيرٌ لَمْ يَشْهَدُوا مَوْطِنًا مِنْ حَرْبِنَا وَحَرَّيْكُمْ يَوْمًا وَاحِدًا ، كَانُوا فِي الْبِلَادِ وَالسَّوَادِ يَجْتَبُونَ الْخَرَاجَ ، وَيُؤْمِنُونَ السَّبِيلَ . فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُ ، فَقَالَ : قَبِّحَ اللَّهُ قَوْمًا أَمَرْتُهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا لَيْلًا عَلَى حَرَسِ سَكَّةٍ مِنْ هَذِهِ السَّكَّةِ فَنَطْرُدُهُمْ ، ثُمَّ نَخْلُقُ بِعَشَائِرِنَا ، فَعَصَوْنِي حَتَّى حَمَلُونِي عَلَى أَنْ أُعْطِيتِ الَّتِي هِيَ أَنْقَصُ وَأَذْنَى وَأَوْضَعُ ، وَأَبُوءُ أَنْ يَمُوتُوا إِلَّا مِيتَةَ الْعَبِيدِ ، فَأَنَا أَسْأَلُكَ أَلَا تَمْخِطُ دِمَى بَدَائِهِمْ . فَقَدْ مَقْتُلٌ نَاحِيَةً^(٦) .

٧٤٢/٢

ثُمَّ إِنَّ الْمُصْعَبَ أَمَرَ بِكَفِّ الْخِتَارِ فَقَطَّعَتْ ثُمَّ سُمِّرَتْ بِمِيسَارٍ حَدِيدٍ إِلَى جَنْبِ^(٧) الْمَسْجِدِ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قَدِمَ الْحِجَابُ بْنُ يَوْسَفَ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ : مَا هَذِهِ ؟ قَالُوا : كَفَّ الْخِتَارَ ، فَأَمَرَ بِتَنْزِعِهَا . وَبَعَثَ مُصْعَبُ عُمَلَاءَهُ عَلَى الْجِبَالِ وَالسَّوَادِ ،

(١) ف : « وَالْمَصَر » .

(٢) ف : « لَكَ » .

(٣) ف : « أَلَا تَقْتُلُ نَفْسَ مُسْلِمَةٍ » .

(٤) م : ف .

(٥) ف : « نَاحِيَةً قَتْلَ » .

(٦) ف : « نَاحِيَةً قَتْلَ » .

(٧) ف : « جَانِبِ » .

ثم إنه ^(١) كتب إلى ابن الأشتر ^(٢) يدعو إلى طاعته ، ويقول له : إن أنت أجبتني ودخلت في طاعتي فلك الشام وأعنة الخليل ، وما غلبت عليه من أرض المغرب ما دام لآل الزبير سلطان . وكتب ^(٣) عبد الملك بن مروان من الشام إليه يدعو إلى طاعته ، ويقول : إن أنت أجبتني ودخلت في طاعتي فلك العراق . فدعا إبراهيم أصحابه فقال : ما ترون ؟ فقال بعضهم : تدخل في طاعة عبد الملك ، وقال بعضهم : تدخل مع ابن الزبير في طاعته ، فقال ابن الأشتر : ذاك لو لم أكن أصبت عبيد الله بن زياد ولا رؤساء أهل الشام تبعت عبد الملك ، مع أني لا أحب أن أختار على أهل مصرى مصرًا ، ولا على عشرينى عشيرة . فكتب إلى مصعب ، فكتب إليه مصعب أن أقبل ، فأقبل إليه بالطاعة .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جنتاب الكلبي أن كتاب مصعب قدم على ابن الأشتر وفيه :

أما بعد ، فإن الله قد قتل المختار الكذاب وشيعته الذين دانوا بالكفر ، وكادوا بالسحر ^(٤) ، وإننا ندعوك إلى كتاب الله سنة نبيه ، وإلى بيعة أمير المؤمنين ، فإن أجبت إلى ذلك فأقبل إلى ، فإن لك أرض الجزيرة وأرض المغرب ^(٥) كلها ما بقيت وبقي سلطان آل الزبير ، لك بذلك عهد الله وميثاقه ، وأشد ما أخذ الله على النبيين من عهد أو عقد ، والسلام .

وكتب إليه عبد الملك بن مروان :

أما بعد ، فإن آل الزبير انتزوا على أئمة الهدى ، ونازعوا الأمر أهله ، وألحدوا في بيت الله الحرام ^(٦) ، والله ممكين منهم ، وجاعل دائرة السوء عليهم ، وإنني ^(٧) أدعوك إلى الله وإلى سنة نبيه ، فإن قبلت وأجبت فلك سلطان العراق ما بقيت وبقيت ، على بالوفاء بذلك عهد الله وميثاقه .

قال : فدعا أصحابه فأقرأهم الكتاب ، واستشارهم في الرأي ، فقال

(١) ف : « وإنه » . (٢) ف : « إبراهيم بن الأشتر » .

(٣) ف : « وكتب إليه » . (٤) ف : « وكانوا علماء بالسحر » .

(٥) ا ، س : « العرب » . (٦) ف : « واتخذوا الحرم حلاً » .

(٧) ف : « فإني » .

يقول عبد الملك ؛ وقائل يقول : ابن الزبير ؛ فقال لهم : ورأى اتباع أهل الشام ، ولكن كيف لي بذلك ، وليس قبيلة تسكن الشام إلا وقد وترتها ، ولست بتارك عشيرتي وأهل مصري^(١) ! فأقبل إلى مصعب ، فلما بلغ مصعب إقباله^(٢) بعث المهلب إلى عمله ، وهي^(٣) السنة التي نزل فيها المهلب على القُرأت .

قال أبو مخنف : حدثني أبو علقمة الخثعمي أن المصعب بعث إلى أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار وإلى عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري - وهي امرأة المختار - فقال لهما : ما تقولان في المختار ؟ فقالت أم ثابت : ما عسينا أن نقول ! ما نقول فيه إلا ما نقولون فيه أنتم ، فقالوا لها : اذهبي ، وأما عمرة فقالت : رحمة الله عليه ، إنه كان عبداً من عباد الله الصالحين ، فرقعها مصعب إلى السجن ، وكتب فيها إلى عبد الله بن الزبير إنها تزعم أنه نبي ، فكتب إليه أن أخرجها فاقتلها . فأخرجها بين الحيرة والكوفة بعد العتمة ، ففربتها مطر ثلاث ضربات بالسيف - ومطر تابع لآل قسطل من بني تميم الله بن ثعلبة ، كان يكون مع الشرط - فقالت : يا أبتاه ، يا أهلاه ، يا عشيرته ! فسمع بها بعض الأنصار ، وهو أبان بن النعمان بن بشير ، فأثاه فطمه وقال له : يا بن الزانية ، قطعت نفسك قطع الله يمينك ! فكزمه حتى رفعه إلى مصعب ، فقال : إن أمي مسلمة ، وادعي شهادة بني قسطل ، فلم يشهد له أحد ؛ فقال مصعب : خلوا سبيل الفتي فإنه رأى أمراً فظيماً ، فقال عمر بن أبي ربيعة القرشي في قتل مصعب عمرة بنت النعمان بن بشير :

إِنْ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ عِنْدِي قَتَلَ بَيْضَاءَ حُرَّةٍ عَطُولِ^(١)
قُتِلَتْ هَكَذَا عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ إِنَّ اللَّهَ دَرَّهَا مِنْ قَتِيلِ
كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُحْصَنَاتِ جُرُّ الذُّبُولِ

قال أبو مخنف : حدثني محمد بن يوسف ، أن مصعباً لقى عبد الله بن

(١) ف : « ولا أهل مصري » . (٢) بعد ما في ف : « إليه » . (٣) ملحق ديوانه ٤٩٨ .

عمر فسلم عليه ، وقال له : أنا ابنُ أخيك مصعب ، فقال له ابنُ عمر : نعم ، أنتَ القاتلُ سبعةَ آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة ! عيش ما استطعت ! فقال مصعب : إنهم كانوا كفرة مسخرة ؛ فقال ابنُ عمر : والله لو قتل عدوتهم غنمًا من ثراث أبيك لكان ذلك سرًا ، فقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في ذلك :

أنى راكبٌ بالأمر ذى النبأ العجب	بقتل أئمة النعمان ذى الدين والحسب
بقتل فتاة ذات دل ستيرة	مهذبة الأخلاق والخيم والنسب
مطهرة من نسل قوم أكارم	من المؤثرين الخير في سالف الحقب
خليل النبي المصطفى ونصيره	وصاحبه في الحرب والتكبير والكرب
أتانى بأن الملحين تواقفوا	على قتلها لاجنبوا القتل والسلب
فلا هنأت آل الزبير معيشة	وذاقوا لباس الدل والخوف والحرب
كانهم إذ أبرزوها وقطعت	بأسيا فيهم فازوا بمملكة العرب ٧٤٦/٢
ألم تعجب الأروام من قتل حرّة	من المحصنات الذين محمود الأدب
من الغافلات المؤمنات ، بريئة	من الدّم والبهتان والشك والكذب
علينا كتاب القتل والبأس واجب	وهن العفاف في الحجال وفي العجب
على دين أجداد لها وأبوة	كرام مضت لم تخز أهلها ولم تُرب
من الخفيات لا خروج بذيّة	ملازمة تبغى على جارها الجنب
ولا الجار ذى القرى لم تدّر ما الخنا	ولم تزدلف يوماً بسوء ولم تحب
عجبت لها إذ كفنت وهى حيّة	ألا إن هذا الخطب من أعجب العجب

حدثت عن علي بن حرب الموصلى ، قال : حدثني إبراهيم بن سليمان الحنفى ، ابن أخى أبى الأحوص ، قال : حدثنا محمد بن أبان ، عن علقمة بن مرثد ، عن سويد بن غفلة ، قال : بينا أنا أسير بظهور النجف إذ لحقنى رجل قطعنى بمخصرة من خلقي ، فالتفت إليه ، فقال :

ما قولك في الشيخ ؟ قلت : أئى الشيوخ ؟ قال : على بن أبى طالب ؛ قلت : إني أشهد أنى أحبه بسمعى وبصرى وقلبي ولسانى ؛ قال : وأنا أشهدك أنى أبغضه بسمعى وبصرى وقلبي ولسانى . فسرنا حتى دخلنا الكوفة ، فافترقنا ، فكث بعد ذلك سنين - أو قال : زماناً - قال : ثم إني لنى المسجد الأعظم إذ دخل رجل معتم يتصفح وجوه الخلق ، فلم يزل ينظر فلم يركعنى أحق من لحنى همدان ، فجلس إليهم ، فتحولت فجلست معهم ، فقالوا : من أين أقبلت ؟ قال : من عند أهل بيت نبيكم ، قالوا : فإذا جئتنا به ؟ قال : ليس هذا موضع ذلك ، فودعهم من الغد موعداً ، فغداً وغدوت ، فإذا قد أخرج كتاباً معه فى أسفله طابع من رصاص ، فدفعه إلى غلام ، فقال له : يا غلام ، اقرأه - وكان أمياً لا يكتب - فقال الغلام : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب للمختار بن أبى عبيد كتبه له وصى آل محمد ؛ أما بعد فكلنا وكلنا .

فاستفرغ القوم البكاء ، فقال : يا غلام ، ارفع كتابك حتى يفيق القوم ؛ قلت : معاشر همدان ، أنا أشهد بالله لقد أدركنى هذا بظهر النجف ، فقصصت عليهم قصته ، فقالوا : أبئت والله إلا تشيطا عن آل محمد ، وتزييناً لنعشئل شقاق المصاحف . قال : قلت : معاشر همدان ، لا أحدتكم إلا ما سمعته أذناى ، ووعاه قلبي من على بن أبى طالب عليه السلام ، سمعته يقول : لا تسموا عيان شقاق المصاحف ، فوالله ما شققها إلا عن ملا من أصحاب محمد ، ولو وليتها لعملت فيها مثل الذى عمل ؛ قالوا : آله أنت ^(١) سمعت هذا من على ؟ قلت : والله لأننا سمعته منه ^(٢) ، قال : فترقوا عنه ، فعند ذلك مال إلى العبيد ، واستعان بهم ، وصنع ما صنع .

٧٤٨/٧

قال أبو جعفر : واقتصر الواقلى من خبر المختار بن أبى عبيد بعض ما ذكرنا ، فخالف فيه من ذكرنا خبره ، فزعم أن المختار إنما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قُدوم مصعب البصرة ، وأن مصعباً لما

سار إليه فبلغه مسيره إليه بعث إليه أحمر بن شُمَيْط البَجَلِيّ، وأمره أن يوافقَه بالمَدَار ، وقال : إنَّ الفتح بالمَدَار ؛ قال : وإنما قال ذلك المختار لأنه قيل : إن رجلاً من ثَقِيف يُفْتَح عليه بالمَدَار فتح عظيم ، فظنَّ أنه هو ، وإنما كان ذلك للحِجَّاج بن يَوصف في قتاله عبدَ الرَّحْمَنِ بن الأشعث . وأمر مصعبٌ صاحبَ مقدَّمته عبيدَ الحَبِطَى أن يسيرَ إلى جَمْع المُخْتَار فتقدَّم وتقدَّم معه عبيدُ الله بنُ عليّ بن أبي طالب ، ونزل مصعب ، نهرَ البَصْرِيِّينَ على شطِّ القرات ، وحفرَ هنالك نهرًا فسُمِّيَ نهرَ البَصْرِيِّينَ من أجل ذلك . قال : وخرج المختارُ في عشرين ألفًا حتى وقف بإزاءهم وزحف مصعبٌ ومن معه ، فوافوه مع الليل على تعبٍ ، فأرسل إلى أصحابه حين أُمسَى : لا يبرحنَّ أحدٌ منكم موقفه حتى يسمع منادياً ينادى : يا محمد ، فإذا سمعتموه فاحملوا . فقال رجل من القوم من أصحاب المختار : هذا والله كذاب على الله ، وانحازَ ومن معه إلى المصعب ، فأهل المختار حتى إذا طلع القمرُ أمر منادياً ، فنادى : يا محمد ؛ ثم حَمَلُوا على مُصْعَب وأصحابه فهزموهم ، فأدخلوه عسكره ، فلم يزالوا يقاتلونهم حتى أصبحوا وأصبح المختارُ وليس عنده أحد ، وإذا أصحابه قد وَغَلُوا في أصحاب مصعب ، فانصرف المختارُ منهزماً حتى دخل قصر الكوفة ، فجاء أصحابُ المُخْتَار حين أصبحوا ، فوقفوا مكبياً ، فلم يروا المختار ، فقالوا : قد قُتِل ، فهرب منهم من أطاق الهرب ، واختصموا في دُور الكوفة ، وتوجه منهم نحو القصر ثمانية آلاف لم يسجدوا من يقاتل بهم ، ووجدوا المختارَ في القصر ، فدخلوا معه ، وكان أصحاب المختار ، قتلوا^١ في تلك الليلة من أصحاب مصعب^٢ بشراً كثيراً ، فيهم محمد بن الأشعث ، وأقبل مصعبٌ حين أصبح حتى أحاط بالقصر ، فأقام مصعبٌ يحاصره أربعة أشهر يخرج إليهم في كل يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة من وجه واحد ، ولا يُقدِّر عليه حتى قُتِل المختار ، فلما قُتِل المختار بعثَ من في القصر يطلب الأمان ، فأبى مصعب حتى نزلوا على حكمه ، فلما نزلوا على حكمه قَتَلَ من العرب سبعمئة أو نحو ذلك ، وسائرهم

٧٤٩/٢

من العجم ؛ قال : فلما خرجوا أراد مُصعب أن يقتل العجم ويترك العرب ، فكلّمه من معه ، فقالوا : أى دين هذا ؟ وكيف ترجو النصر وأنت تقتل العجم وتترك العرب ويدّينهم واحد ! فقدّمهم فضرب أعناقهم .

قال أبو جعفر : وحدّثنى عمر بنُ شبة ، قال : حدّثنا علي بن محمد ، قال : لما قُتل المختار شاور مصعب أصحابه في المحصورين الذين نزلوا على حكمه ، فقال عبد الرحمن بنُ محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس وأشباههم ممن وترهم المختار : اقتلهم ، وضجّت ضبة ، وقالوا : دمٌ مُنذر بن حسان ؛ فقال عبيد الله بن الحر : أيها الأمير ، ادفع كل رجل في يديك إلى عشيرته تمنّ عليهم بهم ، فإنهم إن كانوا قتلونا فقد قتلناهم ، ولا غنى بنا عنهم في ثغورنا ، وادفع عبيدنا الذين في يديك إلى مواليتهم فإنهم لأيتامنا وأراملنا وضعفائنا ، يردّونهم إلى أعمالهم ، واقتل هؤلاء الموالى ، فإنهم قد بدّوا كفرهم ، وعظم^(١) كبرهم ، وقلّ شكرهم . فضحك مصعب وقال للأحنف : ما ترى يا أبا بحر ؟ قال : قد أراذني زياد فقصصته - يغرض بهم - فأمر مصعب بالقوم جميعاً فقتلوا ، وكانوا مئة آلاف ، فقال عتبة الأسدي :

قَتَلْتُمْ سِتَّةَ آلَافٍ صَبْرًا مع العهد الموثق مكتفينَا
جَعَلْتُمْ ذِمَّةَ الْحَبْطِيِّ جَسْرًا ذُلُولًا ظَهْرُهُ لِلوَاطِئِينَ
وَمَا كَانُوا غَدَاةَ دُعَا فُقُرَا^(٢) بَعْدَهُمْ بِأَوَّلِ حَائِنِينَ
وَكُنْتُ أَمْرَتَهُمْ لَوْ طَاوَعْنِي بَضْرَبٍ فِي الْأَزَقَةِ مُضْلِتِينَ
وَقُتِلَ الْمُخْتَارُ - فَمَا قِيلَ - وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ وَسْتِينَ سَنَةٍ ، لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ خَلَّتْ
مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَةِ سَبْعِ وَسْتِينَ .

فلما فرغ مصعب^(٣) من أمر المختار وأصحابه ، وصار إليه إبراهيم ابنُ الأشتر وجهُ المهلب بن أبي صفرة على الموصل والحزيرة وآذربيجان وأرمينية وأقام بالكوفة .

(١) ف : « ظهر » . (٢) ف : « قروا » . (٣) ف : « المصعب » .

[خبر عزل عبد الله بن الزبير أخاه المصعب]

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير عن البصرة ، وبعث بابنه حمزة بن عبد الله إليها ، فاختلِف في سبب عزله إياه عنها ، وكيف كان الأمر في ذلك .

فقال بعضهم في ذلك ما حدثني به عمر ، قال : حدثني علي بن محمد قال : لم يزل المصعب على البصرة حتى سار منها إلى المختار ، واستخلف على البصرة عبيد الله بن معمر . فقتل المختار ، ثم وفد إلى عبد الله بن الزبير فعزله وحسبه عنده ، واعتذر إليه من عزله ، وقال : والله إني لأعلم أنك أحرى وأكفى من حمزة ، ولكن رأيت فيه رأى عثمان في عبد الله بن عامر حين عزل أبا موسى الأشعري وولاه .

وحدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : قدم حمزة البصرة والياً ، وكان جواداً سخياً مخلطاً ، يوجد أحياناً حتى لا يدع شيئاً يملكه ، ويمنع أحياناً ما لا يمنع مثله ، فظهرت منه بالبصرة خفة وضعف ، فيقال : إنه ركب يوماً إلى قبض البصرة ، فلما رآه قال : إن هذا الغدير إن رفقوا به ليكفينهم صيغهم ، فلما كان بعد ذلك ركب إليه فوافقه جازراً ، فقال : قد رأيت هذا ذات يوم ، وظننت أن لن يكفينهم ، فقال له الأحنف : إن هذا ماء يأتينا ثم يتغيض عنا . وشخص إلى الأهواز ، فلما رأى جبلها قال : هذا قُعَيْقَعَان - لموضع بمكة - فسمى الجبل قُعَيْقَعَان ، وبعث إلى مرَدَ انشاه فاستحثه بالخراج ، فأبطأ به ، فقام إليه بسيفه فضر به فقتله ، فقال الأحنف : ما أحد سيف الأمير !

وحدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : لما خلط حمزة بالبصرة وظهر منه ما ظهر ، وهمَّ بعبد العزيز بن بشر أن يضربه ، كتب الأحنف إلى ابن الزبير بذلك ، وسأله أن يعيد مصعباً . قال : وحمزة الذي عقد لعبد الله بن عمر السبي على قتال النجدة بالبحرين .

حدثني عمر، قال : حدثنا علي بن محمد، قال : لما عزل ابن الزبير حمزة احتسّل مالا كثيراً من مال البصرة، فعرض له مالك بن مسجع، فقال : لا ندعك تخرج بأعطياتنا . فضمن له عبيد الله بن عبيد بن معمر العطاء، فكفّ، وشخص حمزة بالمال، فترك أباه وأتى المدينة، فأودع ذلك المال رجلاً، فذهبوا به إلا يهودياً كان أودعه فوفى له، وعلم ابن الزبير بما صنع، فقال : أبعد الله ! أردت أن أباهي به بنى مروان فنكص .

وأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبي مخنف في أمر مصعب وعزل أخيه إسماعيل عن البصرة وردّه إسماعيل إليها غير هذه القصة، والذي ذكر من ذلك عنه في سياق خير حدثت به عنه^(١)، عن أبي المخارق الراسبي، أن مصعباً لما ظهر على الكوفة أقام بها سنة معزولاً عن البصرة، عزله عنها عبد الله، وبعث ابنه حمزة، فمكث بذلك سنة، ثم إنه وقد على أخيه عبد الله بمكة، فردّه على البصرة .

وقيل : إن مصعباً لما فرغ من أمر المختار انصرف إلى البصرة وولى الكوفة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة . قال : وقال محمد بن عمر : لما قتل مصعب المختار ملك الكوفة والبصرة .

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير . وكان عامله على الكوفة مصعب، وقد ذكرت اختلاف أهل السير في العامل على البصرة . وكان على قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة، وبالشام عبد الملك بن مروان وكان على خراسان عبد الله بن خازم السلمي .

٧٥٣/٢

ثم دخلت سنة ثمان وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة

فمن ذلك ما كان من ردّ عبد الله أخاه مُصعباً إلى العراق أميراً ، وقد ذكرنا السبب في ردّ عبد الله أخاه مُصعباً إلى العراق أميراً بعد عزله إياه ، ولما ردّه عليها أميراً بعث مصعب الحارث بن أبي ربيعة على الكوفة أميراً ، وذلك أنه بدأ بالبصرة مَرَجِعَهُ إلى العراق أميراً بعد العزل ، فصار إليها .

• • •

[ذكر الخبر عن رجوع الأزارقة من فارس إلى العراق]

وفي هذه السنة كان مَرَجِعُ الأزارقة من فارس إلى العراق حتى صاروا إلى قرب الكوفة ، ودخلوا المتدائن .

• ذكر الخبر عن أمرهم وسيرهم ومَرَجِعِهِم إلى العراق :

ذكر هشام ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني أبو المخارق الراسبي ، أن مُصعباً وجه عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس أميراً ، وكانت الأزارقة لحقت بفارس وكرمان ونواحي أصبهان بعد ما أوقع بهم المهلب بالأهواز ، فلما شخص المهلب عن ذلك الوجه ووجه إلى الموصل ونواحيها عاملاً عليها ، وعمر بن عبيد الله بن معمر على فارس ، انحطت الأزارقة مع الزبير بن الماحوز على عُمَر بن عبيد الله بفارس ، فلقبهم بسابور ، فقاتلهم قتالا شديداً ، ثم إنه ظفر بهم ظفراً بيتناً ، غير أنه لم يكن بينهم كثير ^(١) قتل ، وذهبوا ^(٢) كأنهم على حامية ، وقد تركوا على ذلك المعركة .

قال أبو مخنف : فحدثني شيخ الحنّ بالبصرة ، قال : إني لأسمع قراءة كتاب عمر بن عبيد الله ^(٣) :

(١) ف : « كبير » . (٢) ف : « فركبوا » .

(٣) ينما ف : « ابن معمر » .

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإنني أخبرُ الأميرَ أصلحَ الله أُنَى
لَقِيتُ الْأَزَاقَةَ الَّتِي مَرَقَتْ مِنْ الدِّينِ وَاتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهَا بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ ،
فَقَاتَلْتُهُمْ بِالْمُسْلِمِينَ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ أَشَدَّ الْقِتَالِ . ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ وَجُوهَهُمْ
وَأَدْبَارَهُمْ ، وَمِنْخَنَا أَكْثَفَهُمْ ، فَقَتَلَ اللَّهُ مِنْهُمْ مَنَ خَابَ وَخَسِرَ ، وَكُلٌّ إِلَى
خُسْرَانٍ . فَكَتَبْتُ إِلَى الْأَمِيرِ كِتَابِي هَذَا وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ فَرَسِي فِي طَلَبِ
الْقَوْمِ ، أَرْجُو أَنْ يَجِدَهُمْ ^(١) اللَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ وَالسَّلَامُ .

ثُمَّ إِنَّهُ تَبِعَهُمْ وَضَوْاً مِنْ فُورِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى نَزَلُوا لِصَطْحَ خَرٍّ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ
حَتَّى لَقِيَهُمْ عَلَى قَنْطَرَةٍ طَمَسْتَانٍ ^(٢) ، فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَقُتِلَ ابْنُهُ .
ثُمَّ إِنَّهُ ظَفَّرَ بِهِمْ ، فَتَقَطَّعُوا قَنْطَرَةَ طَمَسْتَانٍ ، وَارْتَفَعُوا إِلَى نَحْوِ مَنْ أَصْبِيحَانَ
وَكِرْمَانَ ، فَأَقَامُوا بِهَا حَتَّى اجْتَسَبَرُوا وَقَوُوا ، وَاسْتَعْدَّوْا وَكَشَرُوا ، ثُمَّ أَقْبَلُوا
حَتَّى مَرَوْا بِفَارَسٍ وَبِهَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ ، فَتَقَطَّعُوا أَرْضَهُ مِنْ
غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي كَانَ فِيهِ أَخَذُوا عَلَى سَابُورٍ ، ثُمَّ خَرَجُوا عَلَى أَرْجَانٍ ، فَلَمَّا
رَأَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ قَدْ قَطَعَتِ الْخَوَارِجُ أَرْضَهُ مَتَوَّجَةً إِلَى الْبَصْرَةِ خَشِيَ
أَلَّا يَحْتَمِلَهَا لَهُ مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْبِرِ ، فَشَمَّرَ فِي آثَارِهِمْ مُسْرِعًا حَتَّى أَتَى
أَرْجَانَ ، فَوَجَدَهُمْ حِينَ خَرَجُوا مِنْهَا مَتَوَّجِينَ قِبَلَ الْأَهْوَازِ ، وَبَلَغَ مُصْعَبُ ^(٣)
إِقْبَالَهُمْ ، فَخَرَجَ فَعَسَكَرَ بِالنَّاسِ بِالْجِسْرِ الْأَكْبَرِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرَى
مَا الَّذِي أَغْنَى عَنِّي أَنْ وَضَعْتُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِفَارَسٍ ، وَجَعَلْتُ مَعَهُ
جُنْدًا أَجْرِي عَلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، وَأَوْفَيْتُهُمْ أَعْطِيَانَهُمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ ،
وَأَمَرْتُهُمْ مِنَ الْمَسَاعُونَ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِمِثْلِ الْأَعْطِيَاتِ ، تَقَطَّعَ أَرْضَهُ الْخَوَارِجُ
إِلَى ! وَقَدْ قَطَعَتْ عَلَيْهِ فَاْمَدَّتْهُ بِالرِّجَالِ وَقَوَّيْتُهُمْ ، وَاللَّهِ لَوْ قَاتَلْتَهُمْ ثُمَّ فَرَّكَانَ
أَعَذَّرَ لَهُ عِنْدِي ، وَإِنْ كَانَ الْفَارَ غَيْرَ مَقْبُولٍ الْعِذْرَ ، وَلَا كَرِيمِ الْفِعْلِ .

وَأَقْبَلَتِ الْخَوَارِجُ وَعَلَيْهِمُ الزَّيْبِرُ بْنُ الْمَاحُوزِ حَتَّى نَزَلُوا الْأَهْوَازَ ، فَأَتَتْهُمْ حِوْنِهِمْ
أَنْ عَمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي أَثَرِهِمْ ، وَأَنْ مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْبِرِ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْبَصْرَةِ
إِلَيْهِمْ ، فَقَامَ فِيهِمُ الزَّيْبِرُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ

(١) س : « وَيَجِدُهُمْ » . (٢) س : « طَمَسِيَان » ، ف : « طَمِسَان » ، وَفِي أَمِنْ

غَيْرِ نَقَطٍ . (٣) ف : « وَبَلَغَ ذَلِكَ مُصْعَبًا » .

مِنْ سِوَةِ الرَّأْيِ وَالْحَيَرَةِ ^(١) وَقُوعُكُمْ فِيمَا بَيْنَ هَاتَيْنِ الشَّوْكَتَيْنِ ، انْهَضُوا
بَنَّا إِلَى عَدُوِّنَا نَكْلَقَهُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ . فَسَارَ بِهِمْ حَتَّى قَطَعَ بِهِمْ أَرْضَ
جَوْحَى ، ثُمَّ اخَذَ عَلَى الشَّهْرَافَاتِ ، ثُمَّ لَزِمَ شَاطِئَ دِجْلَةَ حَتَّى خَرَجَ عَلَى
الْمَدَائِنِ وَبِهَا كَرْدَمُ بْنُ مَرْثَدٍ بْنِ نَجْبَةَ الْفَرَازِيِّ ، فَشَنُّوا الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ
الْمَدَائِنِ ، يُقْتَلُونَ الْوِلْدَانَ وَالنِّسَاءَ وَالرِّجَالَ ، وَيَبْقَرُونَ الْحَبَالَى ، وَهَرَبَ
كَرْدَمٌ ، فَأَقْبَلُوا إِلَى سَابِاطَ فَوْضَعُوا أَسْيَافَهُمْ فِي النَّاسِ ، فَقَتَلُوا أُمَّ وَلَدَ لَرِيعةَ
ابْنِ مَاجِدٍ ^(٢) ، وَقَتَلُوا بَنَاتَةَ ابْنَةِ أَبِي يَزِيدَ بْنِ عَاصِمِ الْأَزْدِيِّ ، وَكَانَتْ قَدْ
قَرَأَتْ الْقُرْآنَ ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ ، فَلَمَّا غَشَوْهَا ^(٣) بِالسَّيْفِ قَالَتْ :
وَيَحْكُمُ ! هَلْ سَمِعْتُمْ أَنَّ الرِّجَالَ كَانُوا يُقْتَلُونَ النِّسَاءَ ! وَيَحْكُمُ ! تَقْتُلُونَ مَنْ
لَا يَسِطُ إِلَيْكُمْ يَدًا ، وَلَا يَرِيدُ بِكُمْ ضَرًّا ، وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا ! انْقُتِلُونَ
مَنْ يُشْنَأُ فِي الْحَيَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ! فَقَالَ بَعْضُهُمْ : اقْتُلُوهَا ،
وَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : لَوْ أَنَّكُمْ تَرَكَتُمُوهَا ! فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَعَجَبَكِ جَمَالُهَا
يَا عَدُوَّ اللَّهِ ! قَدْ كَفَرْتَ وَافْتَنَنْتِ ، فَانصُرِي الْآخَرَ عَنْهُمْ وَتَرْكِيهِمْ ، فَظَلَنْتِ
أَنَّهُ فَارَقَهُمْ ، وَحَمَلُوا عَلَيْهَا فَاقْتُلُوهَا ، فَقَالَتْ رَيْطَةُ بِنْتُ يَزِيدَ : سَبَّحَانَ
اللَّهِ ! أَتَرَوْنَ اللَّهَ يَرْضَى بِمَا تَصْنَعُونَ ! تَقْتُلُونَ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ وَمَنْ لَمْ
يُذْنَبْ إِلَيْكُمْ ذَنْبًا ! ثُمَّ انصُرِفَتْ وَحَمَلُوا عَلَيْهَا وَبَيْنَ يَدَيْهَا الرَّوَاعِ بِنْتُ
لِإِسَاسِ بْنِ شُرَيْحِ الْهَمْلَانِي ، وَهِيَ ابْنَةُ أُخِيهَا لِأُمِّهَا ، فَحَمَلُوا عَلَيْهَا فَصَرَبُوهَا
عَلَى رَأْسِهَا بِالسَّيْفِ ، وَبَصِيبُ ذُبَابِ السَّيْفِ رَأْسَ الرَّوَاعِ فَسَقَطْنَا جَمِيعًا
إِلَى الْأَرْضِ ، وَقَاتَلَهُمْ لِإِسَاسُ بْنُ شُرَيْحٍ سَاعَةً ، ثُمَّ صَرَعَ فَوَقَعَ بَيْنَ
الْقَتْلَى ، فَتَرَعُوا عَنْهُمْ وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوهُ ، وَصَرَعَ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَكْرِ
ابْنِ وَاثِلٍ يَقَالُ لَهُ : رَزِيْنُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ .

فَلَمَّا انصَرَفُوا عَنْهُمْ لَمْ يَمِتْ غَيْرُ بَنَاتَةَ بِنْتُ أَبِي يَزِيدَ ، وَأُمُّ وَلَدِ رَيْعَةَ
ابْنِ نَاجِدٍ ، وَأَفَاقَ سَائِرُهُمْ ، فَسَقَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ الْمَاءِ ، وَعَصَبُوا جِرَاحَاتِهِمْ
ثُمَّ اسْتَأْجَرُوا دَوَابَّ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا نَحْوَ الْكُوفَةِ .

قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ : فَحَدَّثَتْنِي الرَّوَاعِ ابْنَةُ لِإِسَاسٍ ، قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ

(١) س : «والحين» . (٢) ف : «ناجده» ، س : «ناجزة» . (٣) ف : «أن غشوا» .

رجلاً قطَّ كان أجبن من رجل كان معنا وكانت معه ابنته ، فلما غَشِينَا ألقاها إلينا وهرب عنها وعنَّا^(١) ولا رأينا رجلاً قطَّ كانَ أكرم من رجل كان معنا ، ما نعرفه ولا يعرفنا ، لَمَّا غَشِينَا قاتل دوننا حتى صُرع بيننا ، وهو رُزِين بنُ المتوكل البكرى . وكان بعد ذلك يزورنا ويواصلنا . ثمَّ إنَّه هلك في إمارة الحجاج ، فكانت ورثته الأعرابُ ، وكان من العباد الصالحين .

قال هشام بنُ عمَّاد - وذكره عن أبي مخنف - قال : حدثني أبي ، عن عمِّه أنَّ مُصعبَ بنَ الزبير كان بعث أبا بكر بن مخنف على إستان العال ، فلَمَّا قَدِمَ الحارثُ بنُ أبي ربيعة أقصاه ، ثمَّ أقرَّه بعد ذلك على عمله السنة الثانية ، فلَمَّا قَدِمَتِ الخوارجُ الملائنَ سرَّحوا إليه عصابةً منهم ، عليها صالحُ بنُ مخرق ، فليقيه^(٢) بالكرخ فقاتله ساعة ، ثمَّ تنازَلوا فنزل أبو بكر ونزلت الخوارج ، فقتل أبو بكر ويسار مولاه وعبد الرحمن بنُ أبي جهمال ، ورجل من قومه ، وانتهزَمَ سائرُ أصحابيه ، فقال سرَّاقةُ بنُ مِرْداس البارقي في بطنٍ من الأزد :

ألا يا لقومي للهموم الطوارق
وللمحدث الجاني بإحدى الصفائق^(٣)
ومقتل غطريف كريم نجاره
من المُقْلِمِينَ الدائمين الأصادق^(٤)
أتاني دوين الخيف قتلُ ابنِ مخنف
وقد غَوَّرتْ أولى النجوم الخوافق
فقلتُ : تَلَقَّاكَ الإلهُ برحمة
وصلى عليك الله ربُّ المشارِق
لحا الله قوماً عَرَدُوا عنكَ بُكرةً
ولم يصبرُوا لِلأَمْعَاتِ البوارِق
تولَّوا فأجلُّوا بالصُّحَى عن زعيمنا
وسيلنا في المأزِقِ المتضابق
فأنت مَنَّا ما جِئنا في بيوتنا
سمِعتَ عويلاً من عَوَانٍ وعاتِق

٧٠٨/٢

(١) ف : « هنا وضها » .

(٢) ف : « فلقم » .

(٣) ديوانه ٥٢ - ٥٦ ، مع اختلاف في الرواية .

(٤) ١ : « اللقمنين البلمين » .

يُبَكِّينَ محمودَ الصَّرِيبةَ ماجداً صَبُوراً لَدَى الهَيْجَاءِ عِنْدَ الْحَقَائِقِ
لَقَدْ أَصْبَحَتْ نَفْسِي لِدَاكَ حَزِينَةً وَشَابَتْ لِمَا حَمَلْتُ مِنْهُ مَفَارِقِ
قال أبو مخنف : فحدثني حذرة بن عبد الله الأزدي ، والنضر
ابن صالح العبسي ، وفضيل بن خديج ، كلهم أخبرني^(١) أن الحارث بن
أبي ربيعة [الملقب بالقُبَاع]^(٢) أتاه أهل الكوفة ، فصاحوا إليه وقالوا له :
اخرجْ فإنّ هذا عدو لنا قد أظلم علينا^(٣) ليست له بقيّة ، فخرج
وهو يكّد كدّاً^(٤) حتّى نزل النخيلة ، فأقام بها أياماً ، فوَّتب إليه
إبراهيم بن الأشتر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد ، فإنّه
سار إلينا عدو ليست له بقيّة^(٥) ، يقتل الرجل والمرأة والمولود ، ويخيف
السبيل ، ويخرب البلاد ، فانهض بنا إليه ، فأمر بالرحيل . فخرج فنزل^(٦)
دير عبد الرحمن ، فأقام فيه حتّى دخل إليه شبّث بن ربعي ، فكلّمه
بنحو ممّا كلّمه به ابن الأشتر ، فارتحل ولم يكّد ، فلمّا رأى الناس بطنه
مسيره رجّزوا به فقالوا :

سَارَ بِنَا الْقُبَاعُ سَيْرًا نَكْرًا يَسِيرُ يَوْمًا وَيُقِيمُ شَهْرًا
فأشخصوه من ذلك المكان ، فكلّمنا نزل بهم منزلاً أقام بهم حتّى
يضجّ الناس به من ذلك ، ويصيحوا به حول فسقطاه ، فلم يبلغ الصّراة إلّا
في بضعة عشر يوماً ، فأقى الصّراة وقد انتهى إليها طلائع المدوّ وأوائل
الخيول ، فلما أتتهم العيون بأنّه قد أتاهم جماعة أهل المِصر قطعوا
الجسر بينهم وبين الناس ، وأخذ الناس يرتجزون :

إِنَّ الْقُبَاعَ سَارَ سَيْرًا مَلَكًا بَيْنَ كَبِيرَى وَدَبَاهَا خَمَسًا

قال أبو مخنف : وحدثني يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، أن
رجلاً من السبيح كان به لَمَمٌ ، وكان بقرية يقال لها جَوَيْر^(٧) عند الخُرّارة ،

(١) ف : « وأخبروا جميعاً » .

(٢) س : « أميل إلينا » ، ف : « أظلمنا » .

(٣) ط : « بقيّة » . (٤) ف : « حتّى نزل » . (٥) س : « جوين » .

(٦) من ف .

(٧) ف : « بكلا وكلا » .

وكان يدعى سيماك بن يزيد ، فأتت الخوارج قريته فأخذوه وأخذوا ابنته ، فقدّموا ابنته فقتلوها ، وزعم لي أبو الربيع السلولي أن اسم ابنته لم يزيد ، وأنها كانت تقول لهم : يا أهل الإسلام ، إن أبي مُصاب فلا تقتلوه ، وأما أنا فلأنما أنا جارية ، والله ما أتيت فاحشة قط ، ولا أذيتُ جارة لي قط ، ولا تطلعتُ ولا تشرقتُ قط . فقدّموها ليقتلوا ، فأخذتُ ثنّادى : ما ذنبي ما ذنبي اثم سقطت مخشياً عليها أوميتة ، ثم قطعوها ، بأسياهم . قال أبو الربيع : حدثتني بهذا الحديث ظمّر لها نصرانية من أهل الخوارج كانت معها حين قُتلت .

قال أبو مخنف : حدثني يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، أن الأزارقة جاءت بسيماك بن يزيد معهم حتى أشرقوا على الصّرة . قال : فاستقبل صكركا ، فرأى جماعة الناس وكثرتهم ، فأخذ ينادينا ويرفع صوته : اعبروا إليهم فإنهم فكلّ نجيب ، فضربوا عند ذلك عنقه وصلبوه ونحن ننظر إليه . قال : فلما كان الليل عبرتُ إليه وأنا رجل من الحى . فأنزلناه فدقناه .

قال أبو مخنف : حدثني أبي أن إبراهيم بن الأشتر قال للحارث بن أبي ربيعة : انذب معي الناس حتى أعبّر إلى هؤلاء الأكلب ، فأجيبك برؤسهم الساعة ، فقال شبّث بن ربعي وأسماء بن خارجة ويزيد ابن الحارث ومحمد بن الحارث ومحمد بن عُمير : أصلى الله الأمير ! دعهم فليذهبوا ، لا تبدأهم ، قال : وكأنهم حسدوا إبراهيم ابن الأشتر .

قال أبو مخنف : حدثني حصيرة بن عبد الله وأبو زهير العبّسي أن الأزارقة لما انتهوا إلى جسر الصّرة فرأوا أن جماعة أهل البصر قد خرجوا إليهم ، قطعوا الجسر ، واغتنم ذلك الحارث ، ففتح جس . ثم إنه جلس للناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن أول القتال الرمي بالنبل ، ثم إشرع الرماح ، ثم الطعن بها شزراً ، ثم السلة آخر ذلك كله .

قال : فقام إليه رجل فقال ، قد أحسن الأمير أصلحه الله الصفة ، ولكن حثام نصنع هذا وهذا البحر بيننا وبين عدونا ! مر بهذا الجسر فليعد^(١) كما كان ، ثم اعبر بنا إليهم ، فإن الله سيريك فيهم ما تحب ، فأمر بالجسر فأعيد ، ثم عبر الناس إليهم فطاروا حتى انتهوا إلى المدائن ، وجاء المسلمون حتى انتهوا إلى المدائن ، وجاءت خيل لهم فطاردت خيلاً للمسلمين طرداً ضعیفاً عند الجسر . ثم إنهم خرجوا منها فأتبهم^(٢) الحارث بن أبي ربيعة عبد الرحمن بن مِخْنَف في ستة آلاف ليخرجهم من أرض الكوفة ، فإذا وقعوا في أرض البصرة خلّاهم^(٣) فأتبهم حتى إذا خرجوا من أرض الكوفة وقعوا إلى أصبهان انصرف^(٤) عنهم ولم يقاتلهم ، ولم يكن بينه وبينهم قتال ، ومضوا حتى نزلوا بعثاب بن ورقاء يحيى ، فأقاموا عليه وحاصروه ، فخرج إليهم فقاتلهم فلم يقطعهم ، وشدوا على أصحابه حتى دخلوا المدينة ، وكانت أصبهان يومئذ طعمة لإسماعيل بن طلحة من^(٥) مُصعب بن الزبير ، فبعث عليها عثاباً ، فصبر لهم عثاب ، وأخذ يخرج إليهم في كل يوم^(٦) فيقاتلهم على باب المدينة ، ويرمونه من السور بالنبل والنشاب والحجارة ، وكان مع عثاب رجل من حَصْرَمَوْت يقال له أبو هريرة بن شريح ، فكان يخرج مع عثاب ، وكان شجاعاً ، فكان يحمل عليهم ويقول :

كيف ترون يا كِلَابَ النَّارِ شَدَّ أبنِ هُرَيْرَةَ الهَرَارِ
يهرمكم بالدليل والنهارِ يابن أبي الماحوز والأشرارِ
• كيف ترى جئ على المضمار ! •

فلما طال ذلك على الخوارج من قوله كمن له رجل من الخوارج يظنون أنه عبيدة بن هلال ، فخرج ذات يوم فصنع كما كان يصنع ، ويقول كما كان يقول ، إذ حمل عليه عبيدة بن هلال فضربه بالسيف ضربة على جيل عاتقه فصرعه ، وحمل أصحابه عليه فاحتلموه فأدخلوه

(١) ف : « فليعد » . (٢) ف : « وأتبهم » . (٣) ف : « جلاهم » .

(٤) ف : « فانصرف » . (٥) ط : « بين » ، وانظر النهرس . (٦) ط : « أيام » .

وداؤوه، وأخذت الأزارقة بعد ذلك تُناديهم يقولون^(١) : يا أعداء الله، ما فعلكم أبو هريرة الحرار^(٢) ؟ فينادونهم : يا أعداء الله، والله ما عليه من بأس، ولم يكسب أبو هريرة أن يرى، ثم خرج عليهم بعد، فأخذوا يقولون : يا عدو الله، أما والله لقد رجونا أن نكون قد أزرناك أمك؛ فقال لهم : يا فساق، ما ذكركم أمي ! فأخذوا يقولون : إنه ليغضب لآله، وهو آتيا عاجلا. فقال له أصحابه : ويحك ! إنما يحشون النار، ففطن فقال : يا أعداء الله، ما أغصكم بأمكم حين تنتفون منها ! إنما تلك أمكم، وإليها مصيركم. ثم إن الخوارج أقامت عليهم أشهر حتى هلك كراعهم، ونفدت أطعمتهم، واشتد عليهم الحصار، وأصلبهم الجهد الشديد، فدعاهم عتاب بن رقاء فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس، فإنه قد أصابكم من الجهد ما قد ترون، فوالله إن بقي إلا أن يموت أحدكم على فراشه فيجاء أخوه فيدفنه إن استطاع، وبالحري أن يتضعف عن ذلك، ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه، ولا يصلّي عليه، فاتقوا الله، فوالله ما أنتم بالقليل الذين تهون شوكتهم على عدوهم، وإن فيكم لمرسان أهل المصّر، وإنكم لصلحاء. من أنتم منه ! اخرجوا بنا إلى هؤلاء القوم وبكم حياة وقوة قبل ألا يستطيع رجل منكم أن يمضي إلى عدوه من الجهد، وقبل ألا يستطيع رجل أن يمتنع من امرأة لو جاءته، فقاتل رجل عن نفسه وصبر وصدق، فوالله إنّي لأرجو إن صدقتموه أن يُظفركم الله بهم، وأن يُظهركم عليهم. فناداه الناس من كل جانب: وفقت وأصبت، اخرج بنا إليهم، فجمع إليه الناس من الليل، فأمر لهم بعشاء كثير، فغشي الناس عنده، ثم إنّه خرج بهم حين أصبح على رأياتهم، فصباحهم في عسكرهم^(٣) وهم آمنون من أن يؤتوا في عسكرهم، فشدوا عليهم في جانبه، فصار يوم فأخذوا عن وجه العسكر حتى انتهوا إلى الزبير بن الماحوز، فنزل في عصابة من أصحابه فقاتل حتى قُتل، وانحازت الأزارقة إلى قطري، فبايعوه،

٧٦٤/٢

(١) ف : « ويقولون » . (٢) ف : « الفرار » .

(٣) ف : « يوم في عسكرهم » .

وجاء عَتَابٌ حَتَّى دَخَلَ مَدِينَتَهُ ، وَقَدْ أَصَابَ مِنْ عَسْكَرِهِمْ مَا شَاءَ ، وَجَاءَ قَطْرَى فِي أَثَرِهِ كَأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يِقَاتِلَهُ ، فَجَاءَ حَتَّى نَزَلَ فِي عَسْكَرِ الزَّيْرِ بْنِ المَاحُوزِ ، فَتَرَعَمَ الخَوَارِجُ أَنَّ عَيْنًا لِقَطْرَى جَاءَهُ فَقَالَ : سَمِعْتُ عَتَابًا يَقُولُ : إِنَّ هَؤُلَاءِ القَوْمَ إِن رَكِبُوا بَنَاتَ شَحَّاجٍ ، وَقَادُوا بَنَاتَ صِهَالٍ ، وَنَزَلُوا اليَوْمَ أَرْضًا وَغَدَاً أُخْرَى ، فَبِالْحَرِيِّ أَنْ يَبْقُوا ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قَطْرِيًّا خَرَجَ فَذَهَبَ وَخَلَّاهُمْ .

قال أبو مِخْنَفٍ : قال أبو زهير العَبْسِيُّ وَكَانَ مَعَهُمْ : خَرَجْنَا إِلَى قَطْرَى مِنَ القُدِّ مَشَاءَ مُصَلِّتِينَ بِالسَّيْفِ ، قَالَ : فَارْتَحَلُوا وَاللَّهِ فَكَانَ آخِرُ الْعَهْدِ بِهِمْ . قَالَ : ثُمَّ ذَهَبَ قَطْرَى حَتَّى أَتَى نَاحِيَةَ كَرْمَانَ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ ، وَأَكَلَ الأَرْضَ وَاجْتَنَى المَالَ وَقَوَّى ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى أَخَذَ فِي أَرْضِ أَصْبَهَانَ . ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ مِنْ شُعْبٍ نَاشِطٍ إِلَى أَيْدَجٍ ، فَأَقَامَ بِأَرْضِ الأَهْوَازِ وَالخَارِثِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ عَامِلَ الْمُصْعَبِ بْنِ الزَّيْرِ عَلَى البَصْرَةِ ، فَكَبَّ إِلَى مُصْعَبٍ يُخْبِرُهُ أَنَّ الخَوَارِجَ قَدْ تَحَدَّرَتْ إِلَى الأَهْوَازِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِمَنْ إِلَّا المَهْلَبُ ، فَبَعَثَ إِلَى المَهْلَبِ وَهُوَ عَلَى المَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ . فَأَمَرَهُ بِقِتَالِ الخَوَارِجِ وَالمَسِيرِ إِلَيْهِمْ ، وَبَعَثَ إِلَى عَمَلِهِ إِبرَاهِيمَ بْنِ الأَشْثَرِ ، وَجَاءَ المَهْلَبُ حَتَّى قَدِمَ البَصْرَةَ ، وَانْتَخَبَ النَّاسُ ، وَسَارَ بِمَنْ أَحَبَّ ، ثُمَّ تَوَجَّهَ نَحْوَ الخَوَارِجِ ، وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ حَتَّى التَقَوْا بِسُؤْلَافَ ، فَاقْتَتَلُوا بِهَا ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ أَشَدَّ قِتَالٍ رَأَى النَّاسُ ، لَا يَسْتَقِعُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِنَ الطَّلَعِ وَالضَّرْبِ مَا يَصُدُّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ .

• • •

قال أبو جعفر : وفي هذه السَّنة كَانَ التَّنَحُّطُ الشَّدِيدُ بِالشَّامِ حَتَّى لَمْ يَبْقَدِرُوا مِنْ شِدَّتِهِ عَلَى الْفَزْوِ .

وفِيهَا عَسَكَرَ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مُرْوَانَ بَيْطُنَانَ حَبِيبٍ مِنْ أَرْضِ قَنْسَرِينَ ، فَمُطِرُوا بِهَا ، فَكَثُرَ الرَّحْلُ فَسَمَوْهَا بَيْطُنَانَ الطِّينِ ، وَشَتَا بِهَا عَبْدُ المَلِكِ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ مِنْهَا إِلَى دِمَشْقَ .
وفِيهَا قَتَلَ عبيد الله بن الحرّ .

[ذكر الخبر عن مقتل عبد الله بن الحر]

• ذكر الخبر عن مقتله والسبب الذي جرّ ذلك عليه :

رَوَى أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُجَاهِدٍ ، أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَرِّ كَانَ رَجُلًا مِنْ خِيَارِ قَوْمِهِ صَلَاحًا وَفَضْلًا ، وَصَلَاةً وَاجْتِهَادًا ، فَلَمَّا قُتِلَ عُمَانُ وَهَاجَ الْهَيْجُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ ، قَالَ : أَمَا إِنْ اللَّهُ لَيَعْلَمُ أَنِّي أَحَبُّ عُمَانَ ، وَلَأَنْصُرَنَّهُ مِثْنًا . فَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ ، فَكَانَ مَعَ مَعَاوِيَةَ ، وَخَرَجَ مَالِكُ بْنُ مِسْمَعٍ إِلَى مَعَاوِيَةَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ الرَّأْيِ فِي الْعُمَانِيَّةِ ، ٧٦٦/٢ فَأَقَامَ عُبَيْدُ اللَّهِ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ ، وَشَهِدَ مَعَهُ صِفَتَيْنِ ، وَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ ، فَلَمَّا قُتِلَ عَلَى قَدَمِ الْكُوفَةِ فَأَتَى إِخْوَانَهُ وَمَنْ قَدْ خَفَ فِي الْفِتْنَةِ ، فَقَالَ لَهُمْ : يَا هَؤُلَاءِ ، مَا أَرَى أَحَدًا يَنْفَعُهُ اعْتِزَالُهُ ، كُنَّا بِالشَّامِ ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِ مَعَاوِيَةَ كَيْبَتْ وَكَيْبَتْ . فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : وَكَانَ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ كَيْبَتْ وَكَيْبَتْ ، فَقَالَ : يَا هَؤُلَاءِ ، إِنْ تُمْكِنَتِ الْأَشْيَاءُ فَاخْلَعُوا عُدْرَتَكُمْ ، وَامْلِكُوا^(١) أَمْرَكُمْ ؛ قَالُوا : سَنَلْتَقِي ، فَكَانُوا يَلْتَقُونَ عَلَى ذَلِكَ .

فلما مات معاوية هاج ذلك الهيج في فتنة ابن الزبير ، قال : ما أرى قريبًا تنصف ، أين أبناء الحرثاء! فأناه خلكيع كل قبيلة ، فكان معه سبعمائة فارس ، فقالوا : مرنا بأمرك ، فلما هرب عبيد الله بن زياد ومات يزيد بن معاوية ، قال عبيد الله بن الحر ليفتيانه : قد بين الصبح ليدى عيشين ، فإذا شتم ! فخرج إلى المدائن فلم يدع مالا قدّم من الجبيل للسلطان إلا أخذه ، فأخذ منه عطاءه وأعطيه أصحابه ، ثم قال : إن لكم شركاء بالكوفة في هذا المال قد استوجبوه ، ولكن تعجلوا عطاء قابيل سلفًا ، ثم كتب لصاحب المال براءة بما قبض من المال ، ثم جعل يتقصى الكور على مثل ذلك . قال : قلت : فهل كان يتناول أموال الناس والتجار ؟ قال لي : إنك لغير عالم بأبي الأشرس^(٢) ، والله ما كان في الأرض

(٢) ف : « الأشوس » .

(١) ف : « فاملكوا » .

عَرَبِيٍّ أَغْيَرَ عَنْ حُرَّةٍ وَلَا أَكْفَ عَنْ قَبِيحٍ وَعَنْ شَرَابٍ مِنْهُ ، وَلَكِنْ
 إِنَّمَا وَضَعَهُ عِنْدَ النَّاسِ شِعْرُهُ ، وَهُوَ مِنْ أَشْعَرِ الْقَتِيَانِ ^(١) . فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ
 مِنَ الْأَمْرِ حَتَّى ظَهَرَ الْمُخْتَارُ ، وَبَلَغَهُ ^(٢) مَا يَصْنَعُ بِالسَّوَادِ ، فَأَمَرَ ^(٣)
 بِأَمْرَاتِهِ أُمَّ مَسْكَمَةَ الْجُمُفِيَّةَ فَحُبِسَتْ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُنَّهُ أَوْ لَا أَقْتُلَنَّ
 أَصْحَابَهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَرِّ أَقْبَلَ فِي فِتْيَانِهِ حَتَّى دَخَلَ
 الْكَوْفَةَ لَيْلًا ، فَكَتَسَرَ بَابَ السِّجْنِ ، وَأَخْرَجَ أَمْرَاتَهُ وَكُلَّ امْرَأَةً وَرَجُلًا
 كَانَ فِيهِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُخْتَارَ مَنْ يَقَاتِلُهُ ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمَعْرِ ،
 فَقَالَ حِينَ أَخْرَجَ أَمْرَاتَهُ مِنَ السِّجْنِ :

أَلَمْ تَقْلَمِي يَا أُمَّ نَوْبَةَ أَنْتِي وَأَنْتِي صَبَحْتَ السَّجْنَ فِي سُورَةِ الضُّحَى
 فَمَا لَنْ بَرَحْنَا السِّجْنَ حَتَّى بَدَأَ لَنَا
 وَخَدَّ أَسْمَلٍ عَنْ فَتَاةٍ سَيِّئَةٍ
 فَمَا الْعَيْشَ إِلَّا أَنْ أُرْوَدَكَ أَيْمَانًا
 وَمَا أَنْتِ إِلَّا هَمَّةُ النَّفْسِ وَالْهَوَى
 وَمَا زِلْتِ مَحْبُوسًا لِحَبْلِكَ وَاجِمًا
 فَبِاللَّهِ هَلْ أَبْصُرْتِ مِثْلِي فَارِسًا
 وَمِثْلِي يُحَايِ دُونَ مِثْلِكَ لِإِنِّي
 أَضَارِبُهُم بِالسَّيْفِ عَنْكَ لَتَرْجِعِي
 إِذَا مَا أَحَاطُوا بِي كَرَرْتُ عَلَيْهِمْ
 دَعَوْتُ إِلَى الشَّاكِرِيِّ ابْنَ كَامِلٍ
 وَإِنْ هَتَفُوا بِاسْمِي عَطَفْتُ عَلَيْهِمْ
 فَلَا غَرَوْ إِلَّا قَوْلَ سَلْمَى ظَلَعَيْنِي :

أَنَا الْقَارِئُ الْحَايِ حَفَاتِقُ مُنْجٍ
 بِكُلِّ فَنَى حَامِي اللَّمَارِ مُنْجٍ
 جَعِينُ كَقَرْنِ الشَّمْسِ غَيْرُ مُنْجٍ
 إِلَيْنَا سَقَاهَا كُلِّ دَانٍ مُنْجٍ
 كَمَا دَيْنَا مِنْ قِتْلِ حَرْبِي وَمُخْرَجِي
 عَلَيْكَ السَّلَامُ مِنْ خَلِيطِ مُسَحِّجٍ
 وَإِنِّي بِمَا تَلْقَيْنِ مِنْ بَعْلِيهِ شَجٍ
 وَقَدْ وَلَجُوا فِي السِّجْنِ مِنْ كُلِّ مَوْلِجٍ !
 أَشَدُّ إِذَا مَا غَمَرَةَ لَمْ تَفْرَجِ
 إِلَى الْأَمْنِ وَالْعَيْشِ الرَّفِيعِ الْمُخْرِجِ
 كَكَرَّأَيِ شَيْلَيْنِ فِي الْخَيْسِ مُخْرِجِ
 فَوَلَّى حَيْثَا رَكُضَهُ لَمْ يُعْرِجِ
 خَيُْولُ كِرَامِ الضَّرْبِ أَكْثَرُهَا الْوَجَى
 أَمَا أَنْتِ يَا بِنَ الْحَرِّ بِالْمُتَحَرِّجِ !

(١) ف : « القليل » . (٢) ف : « قُبِلَ الْمُخْتَارُ » . (٣) س : « أَمَرَ » .

دَعِ الْقَوْمَ لَا تَقْتُلُهُمْ وَانْجُ سَالِمًا وَشَرَّ هَذَاكَ اللَّهُ بِالْخَيْلِ فَانْجُرْ
وَإِنِّي لِأَرْجُو يَابِسَةَ الْخَيْرِ أَنْ أَرَى عَلَى خَيْرِ أَحْوَالِ الْمُؤْمِلِ فَاثْبَجِي
أَلَا حَيْدًا قَوْلِي لِأَخْمَرَ طَيِّقِي وَلَا بِنِ خُبَيْبٍ قَدْ دَنَا الصَّبْحُ فَادْلِجِي
وقول لهذا يَرْ وقول لهذا ارتحل وقول لهذا من بعد ذلك أَسْرَجِ
وجعل يبعث بعمّال المختار وأصحابه ، وكتب هَمْدَانُ مع المختار
فأحرقوا داره ، وانتهبوا ضياعه بالجَبَّةِ والبُدَاةِ ، فلما بلغه ذلك سار إلى مائه إلى
ضياع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، فأنهبا وأنهب ما كان لهَمْدَانُ
بها ، ثم أقبل إلى السَّوَادِ فلم يدع مالا لهَمْدَانِي إِلَّا أَخَذَهُ ، ففى ذلك
يقول :

٧٦٩/٢

وَمَا تَرَكَ الْكَذَّابُ مِنْ جُلٍّ مَالِنَا وَلَا الزُّرْقُ مِنْ هَمْدَانَ غَيْرَ شَرِيدِ
أَفَى الْحَقِّ أَنْ تَنْهَبَ ضِيَاعِي شَاكِرًا^(١) وَتَأْمَنَ عِنْدِي ضَيْعَةَ ابْنِ سَعِيدِ !
أَلَمْ تَعْلَمْ يَا أُمَّ تَوْبَةَ أَنْتِنِ عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ غَيْرُ بَلِيدِ
أَشَدُّ حَيَازِمِي لِكُلِّ كَرِيهَةٍ وَإِنِّي عَلَى مَا نَابَ جَدُّ جَلِيدِ
فَلِنْ لَمْ أَصْبَحْ شَاكِرًا بِكَيْسَةٍ فَعَالَجْتُ بِالْكَفْمِ غُلَّ حَلِيدِ
هُمْ هَلَمُوا دَارِي وَقَادُوا حَلِيلِي إِلَى سِجْنِهِمْ وَالْمُسْلِمُونَ شُهُودِي
وهم أصغلوها أَنْ تَشُدَّ خِمَارَهَا فَيَا عَجَبًا هَلِ الزَّمَانُ مَقِيدِي !
فَمَا أَنَا بِابْنِ الْحُرِّ إِنْ لَمْ أُرْعَهُمْ بِخَيْلٍ تَعَادَى بِالْكَمَاةِ أَسْوَدِ
وَمَا جُبْنَتْ خَيْلِي وَلَكِنْ حَمَلَتْهَا عَلَى جَحْضٍ ذِي عُذَّةٍ وَعَرِيدِ
وهي طويلة . قال : وكان يَأْتِي الْمَدَائِنَ فَيَمْرَ بَعْمَالٍ جَوْحِي فَيَأْخُذُ
مَا مَعَهُمْ مِنَ الْأَسْوَاقِ ، ثُمَّ يَمِيلُ إِلَى الْجَبِيلِ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ
المختار ، فلما قُتِلَ المختار قال الناس لمصعب في ولايته الثانية : إن ابن الحر شاق
ابن زياد والمختار ، ولا نأمنه أَنْ يَثْبُجَ بِالسَّوَادِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ، فحبسه مُصْعَبُ
فقال ابن الحر :

٧٧٠/٢

(١) في الأغبار الطوال ٢٩٧ : ه أفى الحق أن يطلع مالى كله .

من مُبْلَغِ الْفِتْيَانِ أَنَّ أَحْسَامُ أَتَى دُونَهُ بَابٌ شَلِيدٌ وَحَاجِبَةٌ
بِمَنْزِلَةٍ مَا كَانَ يَرْضَى بِمِثْلِهَا إِذَا قَامَ عَنْتَهُ كِبُولٌ تَجَاوِبَةٌ
عَلَى السَّاقِ فَوْقَ الْكَعْبِ أَسْوَدٌ صَامِتٌ شَلِيدٌ يُدْنِي خَطْوُهُ وَيُقَارِبُهُ
وَمَا كَانَ ذَا مَنْ عَظُمَ جُرْمُ جَنِيَّتُهُ وَلَكِنْ سَمَى السَّاعِي بِمَا هُوَ كَاذِبَةٌ
وَقَدْ كَانَ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيفَةَ مَسْلُكٌ وَأَيُّ أَمْرٍ ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَذَاهِبُهُ ؟
وَفِي الدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ لِلْمَرْءِ عِيرَةٌ وَفِيَا مَضَى إِنْ نَابَ يَوْمًا نَوَالِبَةٌ
فَكَلَّمَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ قَوْمًا مِنْ مَدَحَجٍ أَنْ يَأْتُوا مُصْعَبًا فِي أَمْرِهِ ، وَأُرْسِلْ إِلَى
وَجْهِهِمْ ، فَقَالَ : أَتُوا مُصْعَبًا فَاكَلَمُوهُ فِي أَمْرِي ذَاتِهِ ، فَإِنَّهُ حَبَسَنِي عَلَى
غَيْرِ جُرْمٍ ، سَمِعْتُ بِي قَوْمٌ كَذِبَةٌ وَخَوَفُوهُ مَا لَمْ أَكُنْ لِأَمْسَلِهِ ، وَهَذَا لَمْ يَكُنْ
مِنْ شَأْنِي . وَأُرْسِلْ إِلَى فِتْيَانٍ مِنْ مَدَحَجٍ وَقَالَ : الْبَسُوا السِّلَاحَ ، وَخُذُوا
عِدَّةَ الْقِتَالِ ، فَقَدْ أُرْسِلْتُ قَوْمًا إِلَى مُصْعَبٍ يَكَلُمُونَهُ فِي أَمْرِي ، فَأَقْبِسُوا بِالْبَابِ ،
فَإِنْ خَرَجَ الْقَوْمُ وَقَدْ شَفَعْتَهُمْ فَلَا تَعْرِضُوا لِأَحَدٍ ، وَلْيَكُنْ صَلَاحُكُمْ مَكْفَرًا
بِالْثِّيَابِ ، فَجَاءَ قَوْمٌ ^(١) مِنْ مَدَحَجٍ فَلَخَطُوا عَلَى مُصْعَبٍ فَاكَلَمُوهُ ، فَشَفَعْتَهُمْ ،
فَأُطْلِقَهُ . وَكَانَ ابْنُ الْحُرِّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنْ خَرَجُوا وَلَمْ يَشْفَعْهُمْ فَكَابِرُوا
السَّجْنَ فَإِنِّي أَعِينُكُمْ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا خَرَجَ ابْنُ الْحُرِّ قَالَ لَهُمْ : أَظْهَرُوا
السِّلَاحَ ، فَأُظْهِرُوهُ ، وَبَعْضِي لَمْ يَعْزِضْ لَهُ أَحَدٌ ، فَأَتَى مَنْزِلَهُ ، وَنَدِمَ مُصْعَبٌ
عَلَى إِخْرَاجِهِ ، فَأُظْهِرَ ابْنُ الْحُرِّ الْخِلَافَ ، وَأَتَاهُ النَّاسُ يُهَنِّئُونَهُ ، فَقَالَ :
هَذَا الْأَمْرُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِحِثْلِ خُلَفَائِكُمُ الْمَاضِينَ ، وَمَا نَرَى لَهُمْ فِيْنَا نِدَاً
وَلَا شَبِيهَاً فَتَلَقَّيْ إِلَيْهِ أَرْمَتْنَا ، وَنَحْنُ نَصِيبُهَا ، فَإِنْ كَانَ إِنْسَانًا هُوَ مَنْ
عَزَّ بَرٌّ ، فَعَلَامٌ : نَعْقِدُ لَهُمْ فِي أَعْنَاقِنَا بَيْعَةً ، وَلَيْسُوا بِأَشْجَعٍ مِنَّا لِقَاءً ،
وَلَا أَعْظَمَ مِنَّا غَنَاءً ^(٢) ! وَقَدْ عَهَدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
إِلَّا طَاعَةَ الْخُلُقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ، وَمَا رَأَيْنَا بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ الْمَاضِينَ إِمَامًا
صَالِحًا ، وَلَا وَزِيرًا تَقِيًّا ، كُلُّهُمْ عَاصِرٌ خَالِفٌ ، قَوَى الدُّنْيَا ، ضَعِيفٌ

٧٧١/٢

٧٧٢/٢

(١) ف : و فاجوا .

(٢) كذا في أ ، وفي ط و غي .

الآخرة ، فعلام تُستَحَلَّ حرمتنا ، ونحن أصحاب النخيلة والقادسية وحكولاء
ونهاوند! نلْقَى الأسنّة بنُحورنا والسيوف بيجباهنا ، ثم لا يعرف لناحقنا
وفضلنا ، فقاتلوا عن حريمكم ، فأى الأمر ما كان فلَكُمْ فيه الفضل ، وإنى قد
قلبت ظهر المِجَنِّ ، وأظهرتُ لهم العداوة ، ولا قُوّة إلا بالله . وحاربهم فأغار
فأرسل إليه مصعبُ سيفَ بن هاني المُرَادِي ، فقال له : إن مصعباً يُعطيك
خراج بادوريا على أن تُبايع وتدخل في طاعته ، قال : أوكيس لي خراج
بادوريا وغيرها ! لست قابلاً شيئاً ، ولا أمتهم على شيء ، ولكني أراك
يا فقي - وسيف يومئذ حدث - حدثاً ، فهل لك أن تتبغى وأموالك !
فأبى عليه ، فقال ابن الحرّ حين خرج من الحبس :

لا كُوفَةُ أُمِّي ولا بَصْرَةُ أَبِي ولا أَنَا بَنِينِي عن الرحلة الكَسَلِ
- قال أبو الحسن : يروى هذا البيت لسُحَيْمِ بْنِ وَثِيل الرِّيَّاحِي -

فلا نخسبني ابن الزبير كنا عيس إذا حلّ أغفى أو يقال له أرنحل
فإن لم أزدك الخيل تردى عوابساً بفُرمانيها لا أدع بالحازم البطل
وإن لم تر الغارات من كل جانب عليك فتندم عاجلاً أبها الرجل
فلا وضعتُ عندى حصاناً قناعها ولا عشتُ إلا بالأماني والعلل
وهي طويلة .

٧٧٢/٢

فبعث إليه مُصَعَّبُ الأبرد بن قرة الرياحي في نفر ، فقَاتَلَهُ فهزَمَهُ
ابن الحرّ ، وضربه ضربة على وجهه ، فبعث إليه مصعبُ حُرَيْثِ
ابن زَيْد - أو يزيد - فبارزَه ، فقتله عبيدُ الله بن الحرّ ، فبعث إليه
مصعبُ الحجَّاج بن جارية^(١) الخثعمي ومُسلم بن عمرو ، فلقياه بنهر
صرصر ، فقاتلهم فهزَمَهم ، فأرسل إليه مصعبُ قوماً يدعونه إلى أن يؤمنه
ويصله ، ويوليه أى بلد شاء ، فكلم يقبل ، وأتى نرسي فزدهم فأتاها
ظليزجشنس بمال الفلكروجة ، فتبعه ابن الحرّ حتى مر بعين التمر وعليها
يسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني ، فتعوذ بهم الدهقان ، فخرجوا إليه
فقاتلوه - وكانت خيلُ يسطام خمسين ومائة فارس - فقال يونس بن

هاعان الهَمْدَانِيَّ من خَبَّانٍ، ودعاه ابنُ الحرِّ إلى المَبَارَزةِ : شرُّهم
 آخره، ما كنتُ أَصْبَتِي أَعِيشَ حَتَّى يَدْعُوَنِي إِنْسَانٌ إِلَى المَبَارَزةِ ! فبَارَزَهُ
 فَضَرَبَهُ ابنُ الحرِّ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ ، ثُمَّ اعْتَنَقَا فَمَرَّ جَمِيعًا عَنْ فَرَسَيْهِمَا ،
 وَأَخَذَ ابنُ الحرِّ عِمَامَةَ يُونُسَ وَكَتَفَهُ بِهَا ثُمَّ رَكِبَ ، وَوَقَّاهُمُ الحِجَّاجُ بِنِ حَارِثَةَ
 الحِثْمَمِيَّ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ الحِجَّاجُ فَأَسْرَهُ أَيْضًا عُبَيْدُ اللَّهِ ^(١) ، وَبَارَزَ
 بِسِطَامَ بِنِ مَصْقَلَةَ المِجَشَّرِ ، فَاضْطَرَّ بِهَا حَتَّى كَرِهَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ،
 وَعَلَاهُ بِسِطَامُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ابْنَ الحرِّ حَمَلَ عَلَى بِسِطَامَ وَاعْتَنَقَهُ بِسِطَامُ ،
 فَتَسَقَّطَا إِلَى الأَرْضِ ، وَصَقَطَ ابْنُ الحرِّ عَلَى صَدْرِ بِسِطَامَ فَأَسْرَهُ ، وَأَسْرَ يُونُسُ
 نَاسًا كَثِيرًا ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ : أَنَا صَاحِبُكَ يَوْمَ كُنَّا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : أَنَا
 نَازِلُ فَيْكُم ، وَيَسْتَكِلُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَا يَرَى أَنَّهُ يَنْفَعُهُ ، فَيُخَلِّي سَبِيلَهُ ،
 وَيَبْعُ قَوَارِسَ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِمْ ذِكْلَهُمْ الْمُرَادِيَّ يَطْلُبُونَ الدِّهْقَانَ ،
 فَأَخَذُوا المَالَ قَبْلَ القِتَالِ ، فَقَالَ ابْنُ الحرِّ :

لَوْ أَنَّ لِي مِثْلَ جَرِيرِ أَرْبَعَةٍ صَبَحْتُ بَيْنَ المَالِ حَتَّى أَجْمَعَهُ
 وَلَمْ يُهْلِكْ مُضْعَبٌ مِنْ مَعَةٍ نِعَمَ الفَتَى ذَلِكُمْ أَبْنِ مَشْجَعَهُ

ثُمَّ إِنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ أَتَى تَكْرِيتَ ، فَهَرَبَ عَامِلُ المَهْلَبِ عَنْ تَكْرِيتَ ،
 فَأَقَامَ عُبَيْدُ اللَّهِ بِجَبِي الخِرَاجِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ مَصْعَبُ الْأَبْرَدِ بِنِ قَرَّةِ الرِّيَاحِيِّ
 وَالبَجُونِ بِنِ كَعْبِ الهَمْدَانِيَّ فِي أَلْفَ ، وَأَمَدَّهُمَا المَهْلَبُ بِبِزِيدِ بِنِ
 المَغْفَلِ فِي خَمْسِمِائَةٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُمُوعِ لَعْبِيدِ اللَّهِ : قَدْ أَتَاكَ عَدَدٌ كَثِيرٌ ،
 فَلَا تُقَاتِلْهُمْ ، فَقَالَ :

بَعْرِفْنِي بِالْقَتْلِ قَوِي وَإِنَّمَا أَمُوتُ إِذَا جَاءَ الكِتَابُ المَوْجِلُ
 لَعَلَّ القِتَا تَدُنِّي بِأَطْرَافِهَا الفِتَى فَنَحْيَا كِرَامًا أَوْ نَكْرُ فَنَقْتَلُ

فَقَالَ لِلْمِجَشَّرِ وَدَفَعَ إِلَيْهِ رَايَتَهُ ، وَقَدَّمَ مَعَهُ ذِكْلَهُمَا الْمُرَادِيَّ ، فَقَاتَلَهُمْ
 يَوْمِينَ وَهُوَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ ، فَخَرَجَ جَرِيرُ بِنِ كَرِيبَ ، وَقَتَّلَ عَمْرُو بِنِ
 جُنْدَبَ الْأَزْدِيَّ وَفَرَسَانِ كَثِيرَ مِنْ فَرَسَانِهِ ، وَتَحَاجَزُوا عِنْدَ الْمَسَاءِ ،

وخرج عبيد الله من تكريت فقال لأصحابه: إني سائر بكم إلى عبد الملك ابن مروان، فتهيئوا، وقال: إني أخاف^(١) أن أفارق الحياة ولم أذعر مصعباً وأصحابه، فارجعوا بنا إلى الكوفة. قال: فسار إلى كسكس فتنقى عاملها، وأخذ بيت مالها، ثم أتى الكوفة فنزل لحام جرير، فبعث إليه مصعب وعمر بن عبيد الله بن معمر، فقأتكته، فخرج إلى دير الأعور، فبعث إليه مصعب حجّار بن أبيمر، فانهزم حجّار، فقتلته مصعب وردّه، وضم إليه الجون بن كعب الهمداني وعمر بن عبيد الله بن معمر، فقاتلوه بأجمعهم، وكثرت الجراحات في أصحاب ابن الحر وعقيرت خيلهم، وجرح المجسر، وكان معه لواء ابن الحر، فدفعه إلى أحسن طيئ، فانهزم حجّار بن أبيمر ثم كرّ، فاقتلوا قتالاً شديداً حتى أمسوا، فقال ابن الحر:

لو أنّ لي مثل الفتي المجسر
ثلاثة بيّتهم لا أمتري
ساعدني ليلة دير الأعور
بالطن والضرب وعند المعبر
ولطاح فيها عمر بن معمر *

وخرج ابن الحر من الكوفة، فكتب مصعب إلى يزيد بن الحارث بن رؤيم الشيباني - وهو بالمدائن - يأمره بقتال ابن الحر، فقدم ابنه حوشباً فلقيته بباجيسرى، فهزّمه عبيد الله وقتل فيهم، وأقبل ابن الحر فدخل المدائن، فتحصنوا، فخرج عبيد الله فوجه إليه الجون بن كعب الهمداني وبشر بن عبد الله الأسدي، فنزل الجون حولها، وقلم بشر إلى تكامراً فلقى ابن الحر، فقتله ابن الحر، وهزم أصحابه، ثم لقي الجون بن كعب بنحو ليا، فخرج إليه عبد الرحمن بن عبد الله، فتحمل عليه ابن الحر فطعمته فقتله وهزم أصحابه، وتبعهم، فخرج إليه بشر بن عبد الرحمن بن بشير العجلي، فالتقوا بسوراً فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانحاز بشير عنه، فرجع إلى عمله، وقال: قد هزمت ابن الحر،

٧٧٦/٢

فبلغ قوله مُصْعَبًا ، فقال : هذا من الذين يُحبّون أن يُحمّدوا بما لم يفعلوا . وقام عبيد الله في السّواد^(١) يُغيّرُ ويجي الخراج ، فقال ابنُ الحرّ في ذلك :

ملّوا ابنَ دُرّيم عن جِلادِي وموقِنِي يلدوانِ كسرى لا أوليهم ظهري
أكرُّ عليهم مُطليماً وقَرامُهم كيمزى تخنى خشية الذنوب بالصخر
ويبتئهم في حصنِ كسرى بنِ مُرمزٍ بمشحوذة بيضٍ وخطبة سمر
فأجزيئهم طعناً وضرباً تراهم يلوذون منا موهناً بلذراً القصر^(٢)
يلوذون مني رهبةً ومخافةً لوإذا كما لآذ الحماثم من صقرٍ

٧٧٧/٢

ثم إنَّ عبيد الله بنَ الحرّ - فيما ذكر - لحق بعبد الملك بن مروان ، فلما صار إليه وجهه في عشرة نفر نحو الكوفة ، وأمره بالمسير نحوها حتّى تلتحقه الجنود ، فسار بهم ، فلما بلغ الأنبار وجهه إلى الكوفة من يُخبر أصحابه بقدومه ، ويسألهم أن يخرجوا إليه ، فبلغ ذلك القيسية ، فأتوا الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة عامل ابن الزبير على الكوفة ، فسألوه أن يبعث معهم جيشاً ، فوجه معهم ، فلما لقوا عبيد الله قاتلهم ساعة ، ثم غرقت فرسه ، وركب معيراً فوقب عليه رجلٌ من الأنباط فأخذ بعصده وضربه الباقون بالمرادى ، وصاحوا : إنَّ هذا طلبة أمير المؤمنين ، فاعتسقا فغرقا ، ثم استخرجوه فجزّوا رأسه ، فبعمتوا به إلى الكوفة ثم إلى البصرة .

قال أبو جعفر : وقد قيل في مقتله غير ذلك من القول ؛ قيل : كان سبب مقتل عبيد الله بن الحرّ أنّه كان يفتنى بالكوفة مُصْعَبًا ، فراه يُقدّم عليه أهل البصرة ، فكتب إلى عبد الله بن الزبير - فيما ذكر - قصيدة يعاتب بها مُصْعَبًا ويخوفه مسيره إلى عبد الملك بن مروان ، يقول فيها :

(١) ف : « بالسواد » .

(٢) ف : « يلوذون منا بيتاً » .

أَبْلَغُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً
 أَفَى الْحَقِّ أَنْ أَجْعَلَ وَيَجْعَلَ مُصْعَبٌ
 فَكَيْفَ وَقَدْ أَبْلَيْتُكُمْ حَقًّا بَيْنِي
 وَأَبْلَيْتُكُمْ مَالًا يُضْعِفُ مِثْلَهُ
 فَلَمَّا أَسْتَنْارَ الْمَلِكُ وَأَنْقَادَتِ الْعِدَا
 جَمًّا مُصْعَبٌ عَنِّي وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ
 لَقَدْ رَأَيْتِي مِنْ مُصْعَبٍ أَنْ مُصْعَبًا
 وَمَا أَنَا إِلَّا خَلَّاتُومُنِي بِسِوَارِدٍ
 وَمَا لِأَمْرِي إِلَّا الَّذِي اللَّهُ سَاقِقٌ
 إِذَا قُمْتُ عِنْدَ الْبَابِ أَدْخِلْ مُسْلِمٌ

وهي طويلة .

وقال لمُصْعَبٍ وهو في حَبْسِهِ ، وكان قد حُبِسَ مَعَهُ عَلِيَّةُ بِنْتُ عَمْرِو
 الْبَكْرِيِّ ، فَخَرَجَ عَلِيَّةُ ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ :

أَقُولُ لَهُ صَبْرًا عَطِيٌّ فَإِنَّمَا
 أَرَى الدَّهْرَ لِي يَوْمِينَ يَوْمًا مَطْرَدًا
 أَتَطْعَنُ فِي دِينِي غَدَاةَ أَتَيْتُكُمْ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ شَيْنَ وَجْهَهُ
 هُوَ السَّجَنُ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ مَخْرَجًا
 شَرِيدًا وَيَوْمًا فِي الْمُلُوكِ مُتَوَجًّا
 وَلِلَّذِينَ تُذَنِّقُ الْبَاهِلُ وَحَشَرَجًا !
 وَنَيْعُ بِلَادِ اللَّهِ قَدْ صَارَ حَوْسَجًا !

وهي طويلة .

وقال أيضًا يُعَاتِبُ مُصْعَبًا فِي ذَلِكَ ، وَيَذْكُرُ لَهُ تَقْرِيبَهُ سُؤِيدَ
 ابْنِ مَسْنَجُوفٍ ، وَكَانَ سُؤِيدٌ خَفِيفَ الْحَيَةِ :

بَأَيِّ بِلَاوٍ أَمْ بِأَيِّ نَعْمَةٍ تَقْدُمُ قَبْلِي مُسْلِمٌ وَالْمُهْلَبُ

ويُدعى ابن منجوف إمامي كأنه
 وشيخُ تميمٍ كالثَغَامَةِ رأسُهُ
 جعلتُ قصور الأزد ما بين منيعٍ
 بلادُ نَفَى عنها العدو سِيوفنا
 وقال قصيدة يهجو فيها قيس عيلان ، يقول فيها :

أنا ابنُ بني قيسٍ فإن كنتَ سائلا
 بقميسٍ تجذمُ ذروةً في القبائل
 ألم ترَ قيساً قيسَ عيلانٍ برَّقَتْ
 لحاها وباعتَ نبلها بالمغازلِ !
 وما زلتُ أرجو الأزدَ حتى رأيتها
 تُقَصِّرُ عن بُنيانها المتطاويلِ
 فكذب زُفر بنُ الحارثِ إلى مُصعبٍ :
 قد كَفَيْتَكَ قتالَ ابنِ الزرقاءِ
 وابنِ الحرِّ يهجو قيساً . ثمَّ إنَّ نَقراً من بني مُسلمٍ
 أخطوا ابنَ الحرِّ فأَسْرَوْه ، فقال : إلى إنَّما قلت :

ألم ترَ قيساً قيسَ عيلانٍ أقبلتُ
 إلينا وسارتُ بالقتالِ والقتابيلِ
 فقتله رجلٌ منهم يقال له عيَّاشُ
 فقال زُفر بنُ الحارثِ :

لما رأيتُ الناسَ أولادَ عِلَّةٍ
 وأغرقَ فينا نَزْعَةً كُلُّ قاتِلِ
 تكلمَ عَنَّا مَشِيناً بسُيوفنا
 إلى الموتِ واستنشأ حبلَ المَرَاكِيلِ
 فلو يَسْأَلُ ابنُ الحرِّ أخيراً أنها
 بِمِسانيةٍ لا تُشْتَرَى بالمغازلِ
 وأخيراً أَنَا ذَاتُ عِلْمٍ سُيوفنا
 بِأَعناقٍ ما بينَ الطَّلِيِّ والكواهِلِ
 وقال عبدُ الله بنُ هَمَّامٍ :

٧٨١/٢

تَرَنَّمْتُ يا بنَ الحرِّ وحلَّكَ خَالِيَاً
 بقولِ امرئٍ نَشَوَانٍ أو قولِ ساقِيطِ
 أَتَذْكُرُ قوماً أوجَعْتَكَ رِماحُهُمْ
 وذَبُّوا عَنَ الأَحْسابِ عِندَ المَاقِيطِ
 فَبَيَّكِي لِمَا لَأَقْتَ رِبيعةً منهمُ
 وما أَنتَ في أَحْسابِ بَكْرِ بَواسِطِ !
 فَهَلَّا بِجُحْفِي طَلَبْتَ دُحُولَهَا
 ورَهَطَكَ دُنْيَا في السَّنينِ الفَوَارِطِ !
 تَرَكْنَاهُمْ يَوْمَ الثَّرَى أَذْلَةً
 يَلْوِذُونَ مِن أَسِيفِنَا بِالْعَرَاظِطِ

وخالطكم يوم النخيل بجمعه
وعمرُ فما استبشرتُم بالمخالط
ويوم شراحيل بجدعنا أنوفكم
وليس علينا يوم ذاك بقاسط
ضربنا بحد السيف مفرق رأيه
وكان حديثاً عهدُهُ بالمواسط
فإن رغمت من ذاك أنف ملحج
فرغماً وسخطاً للأنوف السواشط

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وافت عرقات أربعة ألوية ، قال محمد بن عمر : حدثني شريحيل بن أبي عون ، عن أبيه ، قال : وقت في سنة ثمان وستين بعرات أربعة ألوية : ابن الحنفية في أصحابه في لواء قام عند جبل المشاة ، وابن الزبير في لواء ، فقام مقام الإمام اليوم ، ثم تقدم ابن الحنفية بأصحابه حتى وقفوا حذاء ابن الزبير ، ونجدة الحروري خلفهما ، ولواء بني أمية عن يسارهما ، فكان أول لواء انقضى لواء محمد ابن الحنفية ، ثم تبعه نجدة ، ثم لواء بني أمية ، ثم لواء ابن الزبير ، واتبعه الناس .

٧٨٢/٢

قال محمد : حدثني ابن نافع ، عن أبيه ، قال : كان ابن عمر لم يلف تلك العشيّة إلا بدفعة ابن الزبير ، فلما أبطأ ابن الزبير وقد مضى ابن الحنفية ونجدة وبني أمية قال ابن عمر : ينتظر ابن الزبير أمر الجاهلية — ثم دقّ ، فدقّ ابن الزبير على أثره .

قال محمد : حدثني هشام بن عمار ، عن سعيد بن محمد بن جبّير ، عن أبيه ، قال : خفت الفتنة ، فشيت إليهم جميعاً ، فجئت محمد بن عليّ في الشعب ، فقلت : يا أبا القاسم ، اتق الله فإننا في مشعر حرام ، وبلد حرام ، والناس وفد الله إلى هذا البيت ، فلا تُفسد عليهم حجّهم ؛ فقال : والله ما أريد ذلك ، وما أحول بين أحد وبين هذا البيت ، ولا يؤتّى أحد من الحاج من قبلي ، ولكني رجل أدفع عن نفسي من ابن الزبير ؛ وما يروم مني ، وما أطلب هذا الأمر إلا ألا يختلف عليّ فيه اثنان ! ولكن انت ابن الزبير فكلّمه ، وعليك بتجدة ، قال

محمد: فجئتُ ابنَ الزبير فكلّمتُه بنحو ما كلّمتُ به ابنَ الحنفيةَ ، فقال :
 أنا رجلٌ قد اجتمع على الناسُ وبأيعقوني ، وهؤلاءُ أهلُ خلافٍ ، فقلت :
 أرى خيراً^(١) لك الكفّ ، قال^(٢) : أفعل ، ثمّ جئتُ نجلةَ الحروريّ
 فأجدهُ في أصحابه ، وأجدُ حكمةَ غلامِ ابنِ عباسٍ عنده ، فقلتُ له :
 استأذن لي على صاحبك ؛ قال : فدخل ، فلم يَنْشَبْ أن أذن لي ، فدخلتُ
 فعضمتُ عليه ، وكلّمتُه كما كلّمتُ الرجلين ، فقال : أمّا أن ابتدئَ أحداً
 بقتال فلا ، ولكنّ من بدأ بقتال قاتلته ؛ قلتُ : فلاني رأيتُ الرجلين
 لا يريدان قتالكَ ، ثمّ جئتُ شيعةَ بني أميةَ فكلّمتهم بنحو ما كلّمتُ
 به القوم ، فقالوا : نحن على ألا نقاتلَ أحداً إلا أن يقاتلنا ، فلم أرَ
 في تلك الألوية قوماً أسكنَ^(٣) ولا أسلمَ دفعةً من ابنِ الحنفيةِ .

قال أبو جعفر : وكان العاملُ لابنِ الزبير في هذه السنة على المدينة جابرُ
 ابنُ الأسود بن عوف الزهريّ ، وصلّى البصرة والكوفة أخوه مصعب ، وعلى
 قضاء البصرة هشامُ بنُ هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة عبدُ الله بنُ عتبة بن
 مسعود ، وعلى خراسانَ عبدُ الله بن خازم السلمي ، وبالشامَ عبدُ الملك
 ابنُ مروان .

(١) ف : الكف خير لك ، قال . (٢) : لكن .

ثم دخلت سنة تسع وستين

[ذكر خبر قتل عبد الملك سعيد بن عمرو]

ففيها كان خروج عبد الملك بن مروان - فيما زعم الواقدي - إلى عين وردة ، واستخلف عمرو بن سعيد بن العاص على دمشق فتحصن بها ، فبَلَغَ ذلك عبد الملك ، فرجع إلى دمشق ، فحاصره - قال : ويقال : خرج معه - فلما كان بيظتان حبيب ، رجع إلى دمشق فتحصن فيها ، ورجع عبد الملك إلى دمشق .

وأما عوانة بن الحَكَم فإنه قال فيها ذكر هشام بن محمد عنه : - إن عبد الملك بن مروان لما رجع من بيظتان حبيب إلى دمشق مكث بدمشق ما شاء الله ، ثم سار يريد قرقيسياء ، وفيها زُفر بن الحارث الكلبي ومعه عمرو بن سعيد ، حتى إذا كان بيظتان حبيب فتك عمرو بن سعيد ، فرجع ليلاً ومعه حميد بن حريث بن بحدل الكلبي وزهير بن الأبرد الكلبي ، حتى أتى دمشق وعليها عبد الرحمن ابن أم الحَكَم الثقفي قد استخلفه عبد الملك ، فلما بلغه رجوع عمرو ابن سعيد هرب وترك عمله ، ودخلها عمرو فغلب عليها وعلى خزائنها .

٧٨٤/٢

* * *

وقال غيرهما : كانت هذه القصة في سنة سبعين . وقال : كان^(١) مسير عبد الملك من دمشق نحو العراق يريد مصعب بن الزبير ، فقال له عمرو بن سعيد بن العاص : إنك تخرج إلى العراق ، وقد كان أبوك وعدي هذا الأمر من بعده ، وعلى ذلك جاهدت معه ، وقد كان من بلائي معه ما لم يخف عليك ، فاجعل لي هذا الأمر من بعدك ، فلم يجبه عبد الملك إلى شيء ، فانصرف عنه عمرو واجمعا إلى دمشق ، فرجع عبد الملك في أثره حتى انتهى إلى دمشق .

(١) : « وكان » .

رجع الحديث إلى حديث هشام ، عن عوانة ، قال : ولمّا غلب عمرو على دِمَشْق طلب عبدُ الرحمن بن أمّ الحَكَم فلم يُصِبْهِ ، فأمر بلباوه فهدّمت واجتمع الناسُ ، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنّه لم يقم أحد من قريش قبلي على هذا المنبر إلّا زعم أن له جنةً وفاراً ، يُخلّل الجنة من أطاعه ، والنار من عصاه ، وإنّي أخيركم أن الجنة والنار بيدي الله ، وأنّه ليس لي من ذلك شيء ، غير أن لكم على حسن المؤاماة والعطيّة . وزل .

٧٨٥/٢

وأصبح عبد الملك ، ففقد عمرو سعيد ، فسأل عنه ، فأخبر خبره ، فرجع عبدُ الملك إلى دِمَشْق ، فإذا عمرو قد جُلّل دِمَشْق المُسَوِّح فقاتلته بها أيّاماً ، وكان عمرو بنُ سعيد إذا أخرج حميد بن حرث الكلبي على الخيّل أخرج إليه عبدُ الملك سُفَيان بن الأبرد الكلبي ، وإذا أخرج عمرو بن سعيد زهير بن الأبرد الكلبي أخرج إليه عبد الملك حسان بن مالك بن بَحْلَل الكلبي .

قال هشام حدثني عوانة ، أن الخيلين تواقفتا ذات يوم ، وكان مع عمرو بن سعيد رجلٌ من كُتَيْب يقال له رَجَاء بن سراج ، فقال رجاء : يا عبدُ الرحمن بن سليم ، ابرُزْ - وكان عبدُ الرحمن مع عبد الملك - فقال عبدُ الرحمن : قد أنصف القنّارة من رامأها ، وبرز له ، فاطعننا وانقطع ركابُ عبد الرحمن ، فتنبأ منه ابنُ سراج ، فقال عبدُ الرحمن : والله لولا انقطاع الركاب لرميت بما في بطنك من تبن ، وما اصطلع عمرو وعبدُ الملك أبداً ، فلما طال قتالهم جاء نساءُ كُتَيْب وصبيانهم فبكسين وقتلن لسُفَيان بن الأبرد ولابن بَحْلَل الكلبي : عكلام تقتلون أنفسكم لسلطان قريش ! فحلف كل واحدٍ منهما ألا يرجع حتى يرجع صاحبه ، فلما أجمعوا على الرجوع نظروا فوجدوا سُفَيان أكبر من حرث ، فطلبوا إلى حرث ، فرجع . ثم إن عبد الملك وعمرًا اصطلحا ، وكتب بينهما كتاباً ، وأمنه عبدُ الملك وذلك عشية الخميس .

٥٨٦/٢

قال هشام : فحدثني عوانة أن عمرو بن سعيد خرج في الخيّل

مقتلداً قوساً سوداء ، فأقبل حتى أوطأ فرسه أطناب سرادق عبد الملك ، فانقضت الأطناب وسقط السرادق ، ونزل عمرو فجلس وعبد الملك مستضب ، فقال لعمرو : يا أبا أمية ، كأنك تشبه بتقلدك هذه القوس بهذا الحي من قيس ! قال : لا ، ولكني أتشبه بمن هو خير منهم ؛ العاص بن أمية . ثم قام مغضباً والخليلُ معه حتى دخل دمشق ، ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس ، فبعث إلى عمرو أن أعط الناس أرزاقهم ، فأرسل إليه عمرو : إن هذا لك ليس يبلد فاشخص عنه . فلما كان يوم الاثنين وذلك بعد دخول عبد الملك دمشق بأربع بعث إلى عمرو أن اتينى - وهو عند امرأته الكلبية ، وقد كان عبد الملك دعا كريب بن أبرهة بن الصبياح الحميري فاستشاره في أمر عمرو بن سعيد ، فقال له : في هذا هلكت حمير ، لا أرى لك^(١) ذلك ، لا ناقتي في ذا ولا جمل - فلما أتى رسول عبد الملك عمرًا يدعوه صادف الرسول عبد الله بن يزيد بن معاوية عند عمرو ، فقال عبد الله لعمرو بن سعيد : يا أبا أمية ، والله لأنت أحب إلي من سمعي وبصري ، وقد أرى هذا الرجل قد بعث إليك أن تأتيه ، وأنا أرى لك ألا تفعل ، فقال له عمرو : لم ؟ قال : لأن تبع ابن امرأة كعب الأبحار قال : إن عظيماً من عظماء ولد إسماعيل يرجع فيخلق أبواب دمشق ، ثم يخرج منها ، فلا يليق أن يقتل ؛ فقال له عمرو : والله لو كنت ناعماً ما تخوفت أن ينتهى ابن الزرقاء ، ولا كان لي جترى على ذلك مني ، مع أن عثمان بن عفان أتاني البارحة في المنام فألبسني قميصه - وكان عبد الله بن يزيد زوج أم موسى بنت عمرو بن سعيد - فقال عمرو للرسول : أبلغه السلام ، وقل له : أنا راتج إليك العشي إن شاء الله . فلما كان العشي لبس عمرو درعاً حصينة بين قباء قومي^(٢) وقميص قومي ، وتقلد سيفه وعنده امرأته الكلبية ، وحيد بن حريث بن سحبل الكليبي ، فلما نهض متوجهاً ، عثر بالبساط ، فقال له حميد : أما والله لئن^(٣) أطعنتي لم تأته ، وقالت له امرأته تلك المقالة ، فلم يلتفت إلى قولهم ، ومضى في مائة رجل من مواليه ، وقد بعث عبد الملك إلى بني مروان فاجتمعوا عنده ، فلما بلغ عبد الملك

٧٨٧/٢

(١) ف : لا أرى لك في ذلك . (٢) قبي : نية إلى قريظة .

(٣) ف : لو .

أنه بالبواب أمر أن يُحبس من كان معه ، وأذن له فدخل ، ولم تزل أصحابه يُحبسون عند كل باب حتى دخل عمرو قاعة الدار ، وما معه إلا وصيف له ، فرمى عمرو ببصره نحو عبد الملك ، فإذا حوله بنو مروان ، وفيهم حسّان ابن مالك بن يحدل الكلبي وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي ، فلما رأى جماعتهم أحسّ بالشر ، فالتفت إلى وصيفه فقال : انطلق ويحك إلى يحيى بن سعيد ، فقل له يأتي . فقال له الوصيف ولم يفهم ما قال له : لبيك ! فقال له : اغرب عني في حرق الله وناره . وقال عبد الملك لحسان وقبيصة : إذا شئنا فقومنا فالتقيا وعمرّا في الدار ، فقال عبد الملك لهما كالمازح ليطمن عمرو بن سعيد : أيكما أطول ؟ فقال حسّان : قبيصة يا أمير المؤمنين أطول مني بالإمرة ، وكان قبيصة على الخاتم . ثم التفت عمرو إلى وصيفه فقال : انطلق إلى يحيى فمره أن يأتي ، فقال له : لبيك ، ولم يفهم عنه ، فقال له عمرو : اغرب عني ، فلما خرج حسّان وقبيصة أمر بالأبواب فغلقت ، ودخل عمرو فرحب به عبد الملك ، وقال : ها هنا يا أبا أمية ، يرحمك الله ! فأجلسه معه على السرير ، وجعل يحدثه^(١) طويلا ، ثم قال : يا غلام ، خذ السيف عنه ، فقال عمرو : إنا لله يا أمير المؤمنين ! فقال عبد الملك : أو تطمع أن تجلس معي متقلدا سيفك ! فأخذ السيف عنه ، ثم تحدثا ما شاء الله ، ثم قال له عبد الملك : يا أبا أمية ، قال : لبيك يا أمير المؤمنين ، فقال : إنك حيث خلعتني آليتُ بيمين إن أنا ملأتُ عيني منك وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة ، فقال له بنو مروان : ثم تطلقه يا أمير المؤمنين ؟ قال : ثم أطلقه ، وما عسيت أن أصنع بأبي أمية ! فقال بنو مروان : أبرد قسم أمير المؤمنين ، فقال عمرو : قد أبر الله قسمك يا أمير المؤمنين ، فأخرج من تحت فراشه جامعة فطرحها إليه ، ثم قال : يا غلام ، قم فاجمعه فيها ، فقام الغلام فجمعته فيها ، فقال عمرو : أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تُخبرني فيها على رموس الناس ! فقال عبد الملك : أمسكرا أبا أمية عند الموت ! لاها الله إذا ! ما كنا

لنُخْرِجَكَ فِي جَامِعَةٍ عَلَى رِمَوسِ النَّاسِ ، وَلَمَّا نَخَرَجَهَا مِنْكَ إِلَّا صُعْدًا .
ثُمَّ اجْتَبَاهُ اجْتِبَاةٌ أَصَابَ فَمَهُ السَّرِيرُ فَكَبَسَ ثَنِيَّتَهُ ^(١) ، فَقَالَ عَمْرُو :
أَذْكُرُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوكَ إِلَى كَسْرِ عَظَمٍ مَتَى أَنْ تَرْكَبَ ^(٢) مَا هُوَ
أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : وَاللَّهِ لَوْ أَعْلِمَ أَنَّكَ تُبْقَى عَلَى إِنْ
أَبْقَيْتَ عَلَيْكَ وَتَصْلَحَ قَرِيبُش لِأَطْلَقْتُكَ ، وَلَكِنْ مَا اجْتَمَعَ رَجُلَانِ قَطُّ فِي
بَلَدَةٍ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْخَرَجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ . فَلَمَّا رَأَى عَمْرُو أَنْ
ثَنِيَّتَهُ قَدْ انْدَقَّتْ ^(٣) ، وَعَرَفَ أَنَّ يَرِيدُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، قَالَ : أَغْدُرَا يَا بَنِي الزَّرْقَاءِ !

٧٨٩/٢

* * *

وَقِيلَ : إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ لَمَّا جَذَبَ عَمْرًا فَسَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ جَعَلَ عَمْرُو
يَمْسَسُهَا ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَهُ : أَرَى ثَنِيَّتَكَ قَدْ وَقَعَتْ ^(٤) مِنْكَ مَوْعِدًا
لَا تَطِيبُ نَفْسُكَ بَعْدَهَا . فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ عَنْقُهُ .

* * *

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ عَوَانَةَ . وَأَذِنَ الْمُؤَذِّنُ الْعَصْرَ ، فَخَرَجَ
عَبْدُ الْمَلِكِ يَصْلِي بِالنَّاسِ ، وَأَمَرَ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَقَامَ
إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بِالسَّيْفِ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : أَذْكُرُكَ اللَّهُ وَالرَّحِيمَ أَنْ تَلِيَ
أَنْتَ قَتْلِي ، وَلِيَتَوَلَّ ذَلِكَ مَنْ هُوَ أَبْعَدُ رَحِمًا مِنْكَ ! فَأَلْقَى عَبْدُ الْعَزِيزِ
السَّيْفَ وَجَلَسَ ، وَصَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ صَلَاةً خَفِيفَةً ، وَدَخَلَ ، وَغُلِقَتِ الْأَبْوَابُ وَرَأَى
النَّاسُ عَبْدَ الْمَلِكِ حَيْثُ خَرَجَ وَلَيْسَ عَمْرُو مَعَهُ ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ
فَأَقْبَلَ فِي النَّاسِ حَتَّى حَلَّ بِيَابِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَعَهُ أَلْفُ عَبْدِ الْعَمْرِ ، وَأَنَاسَ
بَعْدَ مِنْ أَصْحَابِهِ كَثِيرٌ ، فَجَعَلَ مِنْ كَانَ مَعَهُ يَصِيحُونَ : أَسْمَعْنَا صَوْتَكَ
يَا أَبَا أُمَيَّةَ ! وَأَقْبَلَ مَعَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ حُمَيْدُ بْنُ حَرِثٍ وَزُهَيْرُ بْنُ الْأُبَرْدِ
فَكَسَرُوا بَابَ الْمَقْصُورَةِ ، وَضَرَبُوا النَّاسَ بِالسَّيْفِ ، وَضَرَبَ عَبْدُ الْعَمْرِو بْنِ
سَعِيدٍ يُقَالُ لَهُ مَصْقَلَةُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ضَرْبَةً عَلَى رَأْسِهِ ، وَاحْتَمَلَهُ إِبْرَاهِيمُ
ابْنُ عَرَبِيٍّ صَاحِبُ الدِّيْوَانِ فَأَدْخَلَهُ بَيْتَ الْقَرَاطِيسِ ، وَدَخَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ حِينَ
صَلَّى فَوَجَدَ عَمْرًا حَيًّا ، فَقَالَ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ : مَا مَنَعَكَ مِنْ أَنْ تَقْتُلَهُ ! قَالَ :

٧٩٠/٢

(١) يَنْدَحُ ف : « مَيَّ » .

(٢) ف : « ثَنِيَّتِهِ » .

(٤) ف : « أَرَى أَنْ ثَنِيَّتَكَ انْدَقَّتْ » .

(٣) ف : « أَنْ ثَنِيَّتُهُ انْدَقَّتْ » .

مَتَنَعِي أَنَّهُ نَاشِدُنِي اللَّهَ وَالرَّحِمَ فَرَقَقْتُ لَهُ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَخْرَجِي اللَّهَ أَمْلَكَ الْبَوَالِغَ عَلَى عَقِيبَيْهَا ، فَإِنَّكَ لَمْ تُشَبِّهْ غَيْرَهَا — وَأَمَّ عَبْدُ الْمَلِكِ عَاشِقَهُ بِنْتُ مَعَاوِيَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَكَانَتْ أُمُّ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَيْلَى ، وَذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ الرُّقَيْيَاتِ :

ذَلِكَ ابْنُ لَيْلَى عَبْدُ الْعَزِيزِ بِنَا بِلْيُونِ تَغْلُدُو جِفَانَهُ رُدْمًا^(١)

ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ قَالَ : يَا غَلَامَ ، اثْنَيْنِ بِالْحَرَبَةِ . فَأَتَاهُ بِالْحَرَبَةِ فَهَزَمَهَا ، ثُمَّ طَعَنَهُ بِهَا فَلَمْ تَجْزُ ، ثُمَّ ثَنَّنِي فَلَمْ تَجْزُ ، فَضْرَبَ يَدَهُ إِلَى عَصَدِ عَمْرُو ،
فَوَجَدَ مَسَّ الدَّرْعِ ، فَضَحِكَ ، ثُمَّ قَالَ : وَدَارِعٌ أَيْضًا يَا أَبَا أُمَيَّةَ ! إِنَّ
كَانْتَ لَمَعْدًا ! يَا غَلَامَ ، اثْنَيْنِ بِالصَّمَامَةِ ، فَأَتَاهُ بِسَيْفِهِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِعَمْرُو
فَصُزِعَ ، وَجَلَسَ عَلَى صَدْرِهِ فَذَبَحَهُ وَهُوَ يَقُولُ :

يَا عَمْرُو إِنَّ لَا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصِي أَضْرِبُكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةَ اسْقُرُونِي^(٢)

وَانْتَفَضَ عَبْدُ الْمَلِكِ رَعْدَةً — وَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ زَعَمُوا يُصِيبُهُ إِذَا قَتَلَ
ذَا قَرَابَةً لَهُ — فَحُمِلَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْ صَدْرِهِ فَوُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ ، فَقَالَ :
مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا قَطً ، قَتَلْتَهُ صَاحِبُ دُنْيَا وَلَا طَالِبُ آخِرَةٍ . وَدَخَلَ يَمْحِي
ابْنُ سَعِيدٍ وَمِنْ مَعَهُ عَلَى بَنِي مَرْوَانَ الدَّارَ فَجَرَحُوهُمْ وَمِنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ
مَوَالِيهِمْ ، فَقَاتَلُوا يَمْحِي وَأَصْحَابَهُ ، وَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ الْحَكَمِ
الشَّقَقِيُّ فَدَفَعَ إِلَيْهِ الرَّأْسَ ، فَأَلْقَاهُ إِلَى النَّاسِ ، وَقَامَ عَبْدُ الْعَزِيزُ بْنُ مَرْوَانَ
فَأَخَذَ الْمَالَ فِي الْبُحُورِ ، فَجَعَلَ يُلْقِيهَا إِلَى النَّاسِ ، فَلَمَّا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى
الْأَمْوَالِ وَرَأَوْا الرَّأْسَ انْتَهَبُوا الْأَمْوَالَ وَفَرَقُوا . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ
ابْنَ مَرْوَانَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ أَمَرَ غَلَامَهُ أَبَا الزُّعَيْرِ عَنَةَ بِقَتْلِ عَمْرُو ،
فَقَتَلَهُ وَأَلْقَى رَأْسَهُ إِلَى النَّاسِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ .

قَالَ هِشَامُ : قَالَ عَوَانَةُ : فَحَدَّثْتُ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ أَمَرَ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ
الَّتِي طُرِحَتْ إِلَى النَّاسِ فَجُبِّيتْ حَتَّى عَادَتْ كُلُّهَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ ، وَرُمِيَ
يَمْحِي بْنُ سَعِيدٍ يَوْمَئِذٍ فِي رَأْسِهِ بِصَخْرَةٍ ، وَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِسَرِيرِهِ فَأُبْرِزَ إِلَى

(١) ديوانه ١٥٢ . بقا : ملاه . وباليون : اسم لوضع القنطاط .

(٢) لدى الإصبع ، من المفضلية ٣١ .

المسجد ، وخرج فجلس عليه ، وقعد الوليد بن عبد الملك فجعل يقول :
 وَيَحْكُمُ ! أَيْنَ الْوَلِيدُ ؟ وَأَيُّهُمْ ! لَنْ كَانُوا قَتَلُوهُ لَقَدْ أَدْرَكُوا ثَأْرَهُمْ ، فَأَتَاهُ
 إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَرَبِيِّ الْكِنَانِيِّ فَقَالَ : هَذَا الْوَلِيدُ عِنْدِي ، قَدْ أَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ ،
 وَطَسَّ عَلَيْهِ بِأَسَى ، فَأَتَى عَبْدُ الْمَلِكِ بِيحَى بْنَ سَعِيدٍ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَقْتُلَ ،
 فَنَاقَمَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! أَتُرَاكَ
 قَاتِلًا بَنِي أُمَيَّةَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ! فَأَمَرَ بِيحَى فَحُبِسَ ، ثُمَّ أَتَى بَعْثَنَسَةَ بْنَ
 سَعِيدٍ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَقْتُلَ ، فَنَاقَمَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ فَقَالَ : أَذْكُرُكَ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 فِي اسْتِصْصَالِ بَنِي أُمَيَّةَ وَهَلَاكِهَا ! فَأَمَرَ بَعْثَنَسَةَ فَحُبِسَ ، ثُمَّ أَتَى بَعْثَنَسَةَ بْنَ سَعِيدٍ
 فَأَمَرَهُ أَنْ يَقْتُلَ ، فَنَاقَمَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ ، فَقَالَ : أَذْكُرُكَ اللَّهَ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي اسْتِصْصَالِ بَنِي أُمَيَّةَ وَهَلَاكِهَا ! فَأَمَرَ بَعْثَنَسَةَ فَحُبِسَ ، ثُمَّ
 أَتَى بِعَامِرِ بْنِ الْأَسَدِ الْكَلْبِيِّ فَضَرَبَ رَأْسَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بِقَضِيبٍ خَشِيرَانٍ كَانَ
 مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَتَقَاتِلُنِي مَعَ عَمْرٍو وَتَكُونُ مَعَهُ عَلِيٌّ ! قَالَ : نَعَمْ ، لِأَنْ
 عَمْرًا أَكْرَمَنِي وَأَهْنَأَنِي ، وَأَذْنَانِي وَأَقْصَيْتَنِي ، وَقُرْبَى وَأُبْعَدْتَنِي ، وَأَحْسَنَ إِلَيَّ
 وَأَسَاءْتَ إِلَيَّ ، فَكُنْتُ مَعَهُ عَلَيْكَ . فَأَمَرَ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ أَنْ يَقْتُلَ ، فَنَاقَمَ
 عَبْدُ الْعَزِيزِ فَقَالَ : أَذْكُرُكَ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي خَالِي ! فَوَيْتَهُ لَهُ . وَأَمَرَ
 بَنِي سَعِيدٍ فَحُبِسُوا ، وَمَكَثَ بِيحَى فِي الْحَبْسِ شَهْرًا أَوْ أَكْثَرَ . ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ
 صَعِدَ الْمَنِيرَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ اسْتَشَارَ النَّاسَ فِي قَتْلِهِ ، فَقَامَ
 بَعْضُ خُطْبَاءِ النَّاسِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَلْ تَلَدَ الْحَيَّةُ إِلَّا حَيَّةً ! نَرَى
 وَاللَّهِ أَنْ تَقْتُلَهُ فَإِنَّهُ مَنَافِقٌ عَدُوٌّ . ثُمَّ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودَةَ الْفَزَارِيُّ ،
 فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ بِيحَى ابْنَ عَمَلِكَ ، وَقَرَابَتُهُ مَا قَدْ عَلِمْتَ ،
 وَقَدْ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا ، وَصَنَعْتَ بِهِمْ مَا قَدْ صَنَعْتَ ، وَلَسْتُ لَهُمْ بِأَمِينٍ ،
 وَلَا أَرَى لَكَ قَتْلَهُمْ ، وَلَكِنْ سَيِّرْهُمْ إِلَى عَدُوِّكَ ، فَإِنْ هُمْ قَتَلُوا كُنْتَ قَدْ
 كَفَيْتَ أَمْرَهُمْ بِيَدِ غَيْرِكَ ، وَإِنْ هُمْ سَكَمُوا وَرَجَعُوا رَأَيْتَ فِيهِمْ رَأْيَكَ .
 فَأَخَذَ بَرَاءَةً ، وَأَخْرَجَ آلَ سَعِيدٍ فَالْحَقُّهُمْ بِمُصْعَبِ بْنِ الزَّيْرِ ، فَلَمَّا
 قَدِمُوا عَلَيْهِ دَخَلَ بِيحَى بْنُ سَعِيدٍ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزَّيْرِ : انْقَلَبْتَ
 وَانْجَحَصَ الذَّنْبُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنْ الذَّنْبَ لَيْسَ لَهُ بِي . ثُمَّ إِنَّ
 عَبْدَ الْمَلِكِ بَعَثَ إِلَى امْرَأَةِ عَمْرِو الْكَلْبِيَّةِ : ابْعَثِي إِلَيَّ بِالصَّلَاحِ الَّذِي كُنْتُ كَتَبْتُهُ

لعمرؤ ، فقالت لرسوله : ارجع إليه فأعلمه أني قد لففت ذلك الصلح معه في أكفانه ليخصمك به عند ربه ، وكان عمرو بن سعيد وعبد الملك يلتقيان في النسب إلى أمية ، وكانت أم عمرو أم البنين ابنة الحكم ابن أبي العاص عمه عبد الملك .

قال هشام : فحدثنا عوانة أن الذي كان بين عبد الملك وعمرو كان شراً قديماً ، وكان ابناً سعيد أمتهما أم البنين ، وكان عبد الملك ومعاوية ابني مروان ، فكانوا وهم غيلمان لا يزالون يأتون أم مروان بن الحكم الكنانية يتحدثون عندها ، فكان ينطلق مع عبد الملك ومعاوية غلام لهم أسود ، وكانت أم مروان إذا أتوها هيأت لهم طعاماً ، ثم تأتيهم به فتضع بين يدي كل رجل صحفة على حدة ، وكانت لا تزال تؤرش بين معاوية ابن مروان ومحمد بن سعيد ، وبين عبد الملك وعمرو بن سعيد ، فيقتلون ويتصارمون الحين ، لا يكلم بعضهم بعضاً ، وكانت تقول : إن لم يكن عند هذين عقل فعند هذين ، فكان ذلك دأبها كلما أتوها حتى أثبت الشحنة في صلورهم .

وذكر أن عبد الله بن يزيد القسري أبا خالد كان مع يحيى ابن سعيد حيث دخل المسجد فكسر باب المقصورة ، فقاتل بني مروان ، فلما قتل عمرو وأخرج رأسه إلى الناس ركب عبد الله وأخوه خالد فليحوا بالعراق ، فأقام مع ولد سعيد وهم مع مصعب حتى اجتمعت الجماعة على عبد الملك ، وقد كانت عين عبد الله بن يزيد فمشت يوم المرسج ، وكان مع ابن الزبير يقاتل بني أمية ، وأنه دخل على عبد الملك بعد الجماعة ، فقال : كيف أنتم آل يزيد ؟ فقال عبد الله : حرباء حرباء ، فقال عبد الملك : ذلك بما قدمت أيديكم ، وما الله بظلام للعبيد .

قال هشام عن عوانة : إن ولد عمرو بن سعيد دخلوا على عبد الملك بعد الجماعة وهم أربعة : أمية ، وسعيد ، وإسماعيل ، ومحمد ، فلما نظر إليهم عبد الملك قال لهم : إنكم أهل بيت لم تزالوا تروون لكم على جميع قومكم فضلاً لم يجعله الله لكم ، وإن الذي كان بيني وبين أيكم لم

يكن حديثاً ، بل كان قديماً في أنفُس أوكيكم على أولئنا في الجاهلية .
فأقطع بأمية بن عمرو - وكان أكبرهم - فلم يقدر أن يتكلم ، وكان أنبا لهم
وأعقلهم ، فقام سعيد بن عمرو وكان الأوسط فقال : يا أمير المؤمنين ،
ما تنعى علينا أمراً كان في الجاهلية ، وقد جاء الله بالإسلام فهتفتم ذلك ،
فوعدنا الجنة ، وحدوثنا ناراً ! وأما الذي كان بينك وبين عمرو فإن عمراً
ابن عمك ، وأنت أعلم بما صنعت ، وقد وصل عمرو إلى الله ، وكفى بالله
حسيباً ، ولمصرى لئن أخذتنا بما كان بينك وبينه لبطن الأرض خير لنا من
ظهورها . فرق لهم عبد الملك رقعة شديدة ، وقال : إن أياكم خيرني بين أن يقتلني
أو أقتله ، فاخترت قتله على قتل ، وأما أنتم فما أرغبني فيكم ، وأوصلني
لقرابتكم ، وأرعاني لحقكم ! فأحسن جائزتهم ، ووصلهم وقرتهم .

وذكر أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك ذات يوم : عجب
منك ومن عمرو بن سعيد ، كيف أصبت غيرته فقتلته ! فقال عبد الملك :

دَانِيَهُ مِنِّي لَيْسَ كَن رُّوعِهِ فَاصُولَ صَوْلَةٍ حَازِمٍ مُسْتَمَكِنٍ
عَضْباً وَمَحِيَةً لِّلْبَنِي إِنَّهُ لَيْسَ الْمُسِيءُ سَبِيلُهُ كَالْمُحْسِنِ

قال عروة : لقي رجل سعيد بن عمرو بن سعيد بمكة ، فقال له : ورب
هذه البنية ، ما كان في القوم مثل أبيك ، ولكنه نازع القوم ما في أيديهم
فعطب .

٧٩٦/٢

وكان الواقدي يقول : إنما كان في سنة تسع وستين بين عبد الملك
ابن مروان وعمرو بن سعيد الحصار ، وذلك أن عمرو بن سعيد تحصن
بدمشق فرجع عبد الملك إليه من بطنان حبيب ، فحاصره فيها ، وأما
قتله إياه فإنه كان في سنة سبعين .

• • •

وفي هذه السنة ^(١) حَكَّم محكم من الخوارج بالخيف من منى فقتل
عند الجحرة ، ذكر محمد بن عمر أن يحيى بن سعيد بن دينار حدثه عن

(١) قبلها في ١ : « قال أبو جعفر » .

أبيه، قال: وأيته عند الجمرة سَلَّ سيفه، وكانوا جماعةً فأَمَسَكَ اللهُ بِأَيْدِيهِمْ،
وَبَدَّرَ هو من بينهم، فحَكَمَ، قال الناسُ عليه فَقَتَلُوهُ .
وَأَقَامَ الْحَجَّ لِلنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزَّيْبِرِ .

وكان عامله فيها على المصرين : الكوفة والبصرة^(١) أخوه مصعب بن
الزَّيْبِرِ^(٢) . وكان على قضاء الكوفة شُرَيْح^(٣) وعلى قضاء البصرة هِشَامُ بْنُ
هُبَيْرَةَ ، وعلى خراسانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ خُزَّامٍ .

(١) ب ، ف : « البصرة والكوفة » .

(٢-٢) ب ، : « وعلى الكوفة شريح يتولى قضاها » .

ثم دخلت سنة سبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة ثارت الروم ، واستجاشوا على من بالشام من ذلك من المسلمين ، فصالح عبد الملك ملك الروم ، على أن يؤدي إليه في كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على المسلمين .

وفيه شخص - فيما ذكر^(١) محمد بن عمر - مصعب بن الزبير إلى مكة فقدمها بأموال عظيمة ، قسمها في قومه وغيرهم ، وقدم بدواب كثيرة وظهور وأقال ، فأرسل إلى عبد الله بن صقوان وجببر بن شيبه ، وعبد الله بن مطيع مالا كثيراً ، ونحر بدناً كثيرة .

٧٩٧/٢

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير .
وكان عماله على الأمصار في هذه السنة عماله في السنة التي قبلها على المعاون والقضاء .

(١) ب ، ف : و زعم .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك سيرُ عبد الملك بن مَرْوَانَ فيها إلى العراق لحرب مُصْعَب بن الزبير ، وكان عبد الملك - فيا قيل - لا يزال يقرب من مُصْعَب ، حتَّى يبلغ بَطْنان حَبِيب ، ويخرج مصعب إلى بَاجْمِيرا ، ثم تهجمُ الشتاء فيرجع كل واحد منهما إلى موضعه ، ثم يعودان ؛ فقال عليّ بن زيد بن عليّ بن الرِّقَاع العَمَلِيّ :

لعمري لقد أَصْحَرَتْ خَيْلُنَا	بِأَكْنَافٍ دِجْلَةَ الْمُصْعَبِ ^(١)
إِذَا مَا مُنَافِقُ أَهْلِ الْعِرَا	قِ عُوْنِبٍ ثُمَّتَ لَمْ يُعْتَبِ ^(٢)
دَلَفْنَا إِلَيْهِ بَنَى تُنْزِلًا	قَلِيلَ التَّقْفِدِ لِلْغَيْبِ ^(٣)
يَهْزُونُ كُلَّ طَوِيلِ الْقَنَا	وَمُلْتَنِمِ النَّصْلِ وَالْتَعْلَبِ ^(٤)
كَأَنَّ وَعَاهُمْ إِذَا مَا غَدَوْا	ضَجِيجُ قَطَا بَلَدٍ مُخْصَبِ
فَقَدَّمْنَا وَاضِحَ وَجْهِهِ	كَرِيمِ الضَّرَائِبِ وَالْمُنْصَبِ
أَعَيْنَ بِنَا وَنَصَرْنَا بِهِ	وَمَنْ يَنْصُرُ اللَّهَ لَمْ يُظْلَبِ ^(٥)

٧٩٨/٢

- (١) الأغاني ٩ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ .
 (٢) ذو تدرأ . مدافع ذو عز و شدة . وفي المصنوع : « لدى موقف » .
 (٣) الثعلب هنا : رأس الرمح .
 (٤) الأبيات برواية الأغاني :
 (٥) هذا البيت والذي يليه لم يرد في رواية الأغاني .

لعمري لقد أَصْحَرَتْ خَيْلُنَا	بِأَكْنَافٍ دِجْلَةَ الْمُصْعَبِ
يَهْزُونُ كُلَّ طَوِيلِ الْقَنَا	وَالَّذِينَ وَمُعْتَدِلِ الثَّعْلَبِ
فَدَاؤُكَ أُمِّي وَأَبْنَاؤُهَا	وَأِنْ شِئْتَ زَدْتَ عَلَيْهَا أَبِي
وَمَا قُلْتُهَا رَهْبَةً إِنَّمَا	يَحُلُّ الْعِقَابُ عَلَى الْمَذْنَبِ
إِذَا شِئْتُ نَازَلْتُ مُسْتَقْتَلًا	أَزَاحِمِ كَالْجَمَلِ الْأَجْرَبِ
فَمَنْ يَكُ مَنَا بَيْتَ آمَنًا	وَمَنْ يَكُ مِنْ غَيْرِنَا يَهْرَبُ

فحدثني عمرو بن شبة ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : أقبل عبد الملك من الشام يريد مصعباً - وذلك قبل هذه السنة ، في سنة سبعين - ومعه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال خالد لعبد الملك : إن وجهتني إلى البصرة وأتبعنني خيلاً يسيرة رجوت أن أغلب لك عليها . فوجهه عبد الملك ، فقدمها مستخفياً في مواليه وخاصته ، حتى نزل على عمرو بن أسمع الباهلي .

قال عمر : قال أبو الحسن : قال مسلمة بن محارب : أجاز عمرو بن أسمع خالداً ، وأرسل إلى عباد بن الحصين وهو على شرطة ابن معمر - وكان مصعب إذا شخص عن البصرة استخلف عليها عبيد الله بن عبيد الله بن معمر - ورجا عمرو بن أسمع أن يبايعه عباد بن الحصين - بأنني قد أجزت خالداً فأجبت أن تعلم ذلك لتكون لي ظهراً . فوافاه رسولُه حين نزل عن فرسه ، فقال له عباد : قل له : والله لا أضع ليد فرسي حتى آتيك في الخيل . فقال عمرو لخالد : إني لا أغرك ، هذا عباد يأتيك الساعة ، ولا والله ما أقدر على منعه ، ولكن عليك بالمالك بن مسمع .

قال أبو زيد : قال أبو الحسن : ويقال إنّه نزل على علي بن أسمع ، فبلغ ذلك عباداً^(١) فأرسل إليه عباد : إني سائر إليك .

٧٩٩/٢

حدثني عمر [بن شبة]^(٢) ، قال : حدثني علي بن محمد ، عن مسلمة وعوانة^(٣) أن خالداً خرج من عند ابن أسمع يركض ، عليه قميص قهوهي رقيق ، قد حسره عن فخذيه ، وأخرج رجله من الركابين ؛ حتى أتى مالكا ، فقال : إني قد اضطرت إليك ، فأجرتني ، قال : نعم ، وخرج هو وابنه ، وأرسل إلى بكر بن وائل والأزد ؛ فكانت أول راية أته راية بني يشكر . وأقبل عباد في الخيل ، فتواقفوا ، ولم يكن بينهم ، فلما كان من الغد غدوا إلى حُمرة نافع بن الحارث التي تسمت بعد إلى خالد ، ومع خالد رجال من بني تميم قد أتوه ؛ منهم صعبعة بن معاوية ، وعبد العزيز بن

(٢) من ب ، ف .

(١) ب ، ف : وقال .

(٣) ب ، ف : عن عوانة .

بشر، ومرة بن مِحْكَن، في عدد منهم؛ وكان أصحاب خالد جُفْرِيَّة ينسبون إلى الجُفْرَةِ، وأصحاب ابن معمر زُبَيْرِيَّة؛ فكان من الجُفْرَةِ عبيد الله بن أبي بَكْرَةَ وَحُسْرَانَ والمغيرة بن المهلب، ومن الزبيرية قيس بن الميهم السُلَمِي؛ وكان يستأجر الرجال يقاتلون معه، فتقاضاه رجل أجرة فقال: غداً أعطيكمها، فقال غَطَفَان بن أنيف، أحد بني كعب بن عمرو:

لَيْسَ مَا حَكَمْتَ يَا جَلْجَلُ النَّقْدُ دَيْنٌ وَالطَّعَانُ عَاجِلُ
• وَأَنْتَ بِالْبَابِ سَمِيرٌ آجِلُ •

وكان قيس يلقب^(١) في عتق فرسه جلجل، وكان على خيل بني حنظلة عمرو بن وبرة القحقي^(٢)؛ وكان له عبيد يؤاجرهم بثلاثين ثلاثين كل يوم، فيعطيه عشرة عشرة، قليل له:

لَيْسَ مَا حَكَمْتَ يَا بَنَ وَبَرَةَ تُعْطَى ثَلَاثِينَ وَتُعْطَى عَشْرَةَ
وَوَجْهَ الْمَصْعَبِ زَحْرَ بنِ قَيْسِ الْجُعْفِيِّ مَلْدًا لابنِ مَعْمَرٍ فِي أَلْفٍ،
وَوَجْهَ عَبْدِ الْمَلِكِ عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ زِيَادِ بنِ ظَبْيَانَ مَلْدًا لَخَالِدٍ، فَكَّرَهُ أَنْ
يُدْخَلَ الْبَصْرَةَ، وَأَرْسَلَ مَطَرَ بنَ التَّوَمِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَأَخْبِرَهُ بِتَفَرُّقِ النَّاسِ،
فَلَحَقَ بِعَبْدِ الْمَلِكِ.

قال أبو زيد: قال أبو الحسن: فحدثني شيخ من بني عرين، عن السكن بن قتادة، قال: أقتلوا أربعة عشر يوماً، وأصببت عين مالك، ففجبر من الحرب، ومشت السفراء، بينهم يوسف بن عبد الله بن عثمان بن أبي العاص، فصالحه، على أن يخرج خالدًا وهو آمن، فأخرج خالدًا من البصرة، وخاف ألا يجيز المصعب أمان عبيد الله، فلحق مالك بئاج، فقال الفرزدق يذكر مالكًا ولحق التميمية به وبخالد:

عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ تَمِيمٌ أَبْوَهُمْ وَهُمْ فِي بَنِي سَعْدٍ عِظَامُ الْمَبَارِكِ^(٣)

(١) كذا في أ، س، و، ط: يعلم.

(٢) ب: القحقي، س: السجقي.

(٣) ديوانه ٦٠٠.

وكانوا أعزَّ الناس قبل مسيرهم إلى الأزْد مُصَفِّراً لِحاحا ومالك
٨٠١/٢ فما ظنكم بابن الحَوَارِي مُصْعَبٍ إذا افتَر عن أنيابه غير ضاحك
ونحن نفينا مالكا عن بلادِهِ ونحن فقَّاناً عَيْنَهُ بالنيَّازِك

قال أبو زيد : «قال أبو الحسن : حدثني مسلمة^(١) أن المُصْعَبَ لَمَّا
انصَرَفَ عِندَ الْمَلِكِ إِلَى حِمَشَقْ لَمْ يَكُنْ^(٢) لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا الْبَصْرَةَ ، وَطَمَعَ أَنْ
يُدْرِكَ بِهَا خَالِدًا ، فَوَجَدَهُ هَذَخَاجًا ، وَأَمَّنَ ابْنَ مُعَمَّرِ النَّاسِ ، فَأَقَامَ
أَكْثَرَهُمْ ، وَخَافَ بِضَعْفِهِمْ مُصْعَبًا فَشَخَّصَ ، فَغَضِبَ مُصْعَبٌ عَلَى ابْنِ
مُعَمَّرٍ ، وَحَلَفَ إِلَّا يُوَلِّيه ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْجُفَرِيَّةِ فَنَسَبَهُمْ وَأَتَبَهُمْ .

قال أبو زيد : فزعم المذائقي وغيره من رِوَاةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ
فَأَتَيْتْ بِهِمْ ، فَأَقْبَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ ، قَالَ : يَا بَنِي مُسْرُوحٍ ، إِنَّمَا
أَنْتَ ابْنُ كُتَيْبَةَ تَعَاوَرُهَا الْكِلَابُ ، فَجَاءَتْ بِحُمْرٍ وَأَسْوَدَ وَأَصْفَرَ مِنْ كُلِّ
كَلْبٍ بِمَا يُشَبِّهُهُ ، وَإِنَّمَا كَانَ أَبُوكَ عَبْدًا نَزَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حِصْنِ الطَّائِفِ ، ثُمَّ أَقْسَمَ الْبَيْتَةَ تَدْعِيْنِ لِي أَبَا سُمَيْيَانَ
زَفَى بِأَمْكُمُ ، أَمَا وَاللَّهِ لَأَنْ بَقِيْتُ لَأَلْحَقَنَّكُمْ بِنَسَبِكُمْ . ثُمَّ دَعَا بِحُمْرَانَ
فَقَالَ : يَا بَنِي الْيَهُودِيَّةِ ، إِنَّمَا أَنْتَ عَلِيجُ نَبَطِي سُبَيْتٍ مِنْ عَيْنِ الثَّمَرِ .
ثُمَّ قَالَ لِلْحَكِيمِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ : يَا بَنِي الْخَيْثِ ، أَنْتَدِرِي مَنْ أَنْتَ
وَمِنْ الْجَارُودِ ! إِنَّمَا كَانَ الْجَارُودُ عَلِيجًا بِجَزِيرَةِ ابْنِ كَاوَانَ فَارِسِيًّا ، فَقَطَعَ إِلَى

٨٠٢/٢ ساحل البحر ، فانتضى إِلَى عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَلَا وَاللَّهِ مَا أَعْرَفَ حَيًّا أَكْثَرَ أَشْهَالًا
عَلَى سَوَاءٍ مِنْهُمْ . ثُمَّ أَنْكَحَ أُخْتَهُ الْمُكْتَبِرَ الْفَارِسِيَّ فَلَمْ يُصَبْ شَرَفًا قَطُّ
أَعْظَمَ مِنْهُ ، فَهَوَّلَاهُ وَلَدَهَا يَا بَنِي قُبَادِ . ثُمَّ أَتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنِ فَضَالَةَ الزَّهْرَانِيَّ
فَقَالَ : أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِ هَجَرَ ، ثُمَّ مِنْ أَهْلِ سَمَاهِيجٍ ! أَمَا وَاللَّهِ لَأُرْثِيَنَّكَ
إِلَى نَسَبِكَ . ثُمَّ أَتَى بَعْلَى بْنَ أَصْعَمَ ، فَقَالَ : أَعْبَدْتُ لِيْ نَجْمَ مَرَّةٍ وَعَزَيْتُ مِنْ
بَاهِلَةٍ ! ثُمَّ أَتَى عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ بَشَرَ بْنَ حَنَاطٍ فَقَالَ : يَا بَنِي الْمَشْتُورِ ، أَلَمْ
يَسْرِقْ عَمَلُكَ عِزًّا فِي عَهْدِ عَمْرٍ ؛ فَأَمَرَ بِهِ فَيَسَّرَ لِيَقْطَعَهُ ! أَمَا وَاللَّهِ مَا أَعْنَتْ إِلَّا

(١-١) ب ، ف : «عمر بن شبة عن أبي الحسن المذائقي عن مسلمة» .

(٢) ب ، ف : «لم تكن» .

من يَنْكح أَخِيكَ—وكانت أخته تحت مقاتل بن مِسمع— ثم أتى بأبي حاضر الأسدى فقال : يا بن الإصطخريّة ، ما أنت والأشراف ! وإنما أنت من أهل قطر دعيّ في بني أسد ، ليس لك فيهم قريب ولا نسيب . ثم أتى بزياد بن عمرو فقال : يا بن الكثرمانى ، إنما أنت عُلج من أهل كثرمان قطعت إلى فارس فصرت ملاحاً ، ما لك وللحرّ ! لأنّك بجرّ القنسل^(١) أخذت . ثم أتى بعبد الله بن عثمان بن أبي العاص فقال : أعلّى تُكثّر وأنت عُلج من أهل هجر ، لحق أبوك بالطائف وهم يضمّون من تأشّب إليهم بتعزّون به ! أما والله لأردنّك إلى أصلك . ثم أتى بشيخ بن النعمان فقال : يا بن الحبيث ، إنما أنت عُلج من أهل زند ورد ، هربت أمك وقُتل أبوك ، فتزوج أخته رجل من بني يشكر ، فجاءت بغلامين ، فالحقنّاك بنسبهما ، ثم ضربهم مائة مائة ، وحقّ رءوسهم ولحاهم ، وهلم دوزهم ، وصهرهم في الشّمس ثلاثاً ، وحملهم على طلاق نساءهم ، وجمر أولادهم في البُعث ، وطاف بهم في أقطار البصرة ، وأحلفهم ألا يَنْكحوا الحرّائر . وبعث مُصعب خدّاش بن يزيد^(٢) الأسدى في طلب من هرب من أصحاب خالد ، فأدرك ميرة بن مَحْكان فأخذه ، فقال مرة :

٨٠٣/٢

بني أسدٍ إن تَقْتلونى تُحاربوا نَمياً إذا الحرب العوانِ اشْمَلَتْ
بني أسد هل فيكم من هَوَادَةٍ فتَعْفُون إن كانت يى النعل زَلَتْ
فلا تَحْسِبِ الأعداءَ إذ غِبْتُ عَنْهُمْ وأُورِيتُ مَغْناً أن حربي كلّت
نَمْشَى خِدَاشَ في الأيسكة آمناً وقد نَهَلْتُ مِنّى الرّماحُ وعَلَتْ

فقربه خدّاش فقتله — وكان خدّاش على شُرطة مُصعب يومئذ —
وأمر مُصعب سنان بن ذهل أحد بني عمرو بن مَرثد بدار مالك بن

(١) القنسل : حبل غليظ من جبال السفن .

(٢) ب ، ف : « مرثد » .

مسمّع فهدمها ، وأخذ مصعب ما كان في دار مالك ، فكان فيها أخذ جارية ولدت له عمر بن مصعب . قال : وأقام مصعب بالبصرة حتى ^(١) شخص إلى الكوفة ، ثم لم ^(٢) يزل بالكوفة حتى خرج ^(٣) لحرب عبد الملك ، ونزل عبد الملك نسكن ، وكتب عبد الملك إلى مروان ^(٤) من أهل العراق ، فأجابته كلهم وشرطوا عليه ولاية أصبهان ، فأنعم بها لهم كلهم ، منهم حجّار ابن أبيجر ، والقنصيان بن القبعثري ، وعشّاب بن ورقاء ، وقطن بن عبد الله الحارثي ، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، وزحر بن قيس ، ومحمد ابن عُمير ، وعلى مقدّمته محمد بن مروان ، وعلى ميمته عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وعلى ميسرته خالد بن يزيد ، وصار إليه مصعب وقد خذله أهل الكوفة . قال عروة بن المغيرة بن شعبه : فخرج يسير متسكنا على مصرية دابته ، ثم تصفّح ^(٥) الناس عينا وشمالا فوقف عيشه على ، فقال : يا عروة ، إلى ، فلفنوت منه ، فقال : أخبرني عن الحسين بن علي ، كيف صنع بإيائه التزول على حكم ابن زياد وعزّمه على الحرب ؟ فقال :

إِنَّ الْأَكْلَ بِاللُّغِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأَمَّرُوا فَتَنَّاوُا فَكُرِّمَ النَّاسِيَا ^(٦)

قال : فعلمت أنه لا يرجم حتى يقتل ، وكان عبد الملك — فيما ذكر محمد بن عمر عن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي قرّة ، عن إسحاق ابن عبد الله بن أبي قرّة ، عن رجاء بن حيوة — قال : لما قتل عمرو بن سعيد وضع السيف فقتل من خالفه ، فلما أجمع بالمسير إلى مصعب وقد صفت له الشام وأهلها خطب الناس وأمرهم بالتهيؤ إلى مصعب ، فاختلف عليه رؤساء أهل الشام من غير خلاف لما يريد ، ولكنهم أحبوا أن يقيم ويقدم الجيوش ، فإن ظفروا فذاك ، وإن لم يظفروا أمدهم بالجيوش خشية على الناس إن أصيب في لقاءه مصعبا لم يكن وراءه ملك ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لو أقمت مكانك وبعثت على هؤلاء الجيوش رجلا من أهل بيتك ، ثم

(١) ب ، ف : « ثم » .

(٢) ب ، ف : « ولم » . (٣) ب ، ف : « شخص » .

(٤) ب ، ف : « يصح » .

(٥) الحسن (أسي) من غير نسبة ، وروايته : « التلصيا » .

مرّحتّه إلى مصعب ! فقال عبدُ الملك : إنّه لا يقوم بهذا الأمر إلّا قرشيّ له رأى ، ولعلّي أبعت من له شجاعة ولا رأى له ، وإني أجد في نفسي أنّ بصيرّ بالحرب ، شجاعٌ بالسيف إنّ الجيئتُ إلى ذلك ، ومصعب في بيت شجاعة ، أبوه أشجع قريش ، وهو شجاع ولا علم له بالحرب ، يُحبّ الخفض ، ومعه من يُخالفه ، ومعى من ينصح لى . فسار عبد الملك حتّى نزل مسكين ، وسار مصعب إلى باجسيّراً ، وكتب عبدُ الملك إلى شيعته من أهل العراق ، فأقبل إبراهيمُ بنُ الأشتر بكتاب عبد الملك غنوماً لم يقرأه ، فلدغه إلى مصعب ، فقال : ما فيه ؟ فقال : ما قرأته ، فقرأه مصعب فإذا هو يدعوه إلى نفسه ، ويجعل له ولاية العراق ، فقال لمصعب : إنّه والله ما كان من أحد آيس^(١) منه منى ، ولقد كتب إلى أصحابك كلّهم بمثل الذى كتب لى ، فأطعنى فيهم فاضرب أعناقهم . قال : إذا لا تُناصحتنا عشائركم . ٨٠٦/٢
قال : فأقرهم حديداً وأبعث بهم إلى أبيض كسرى فاجبستهم^(٢) هناك ، ووكل بهم من إن غلبت ضرب أعناقهم ، وإن غلبت متنت بهم على عشائركم . فقال : يا أبا النعمان ، إني لنى شغل عن ذلك ، يرحم الله أبا بَحْر ، إن كان ليحذرنى غدر أهل العراق ، كأنه كان ينتظر إلى ما نحن فيه !

حدثني عمر ، قال : حدثنا محمد بنُ سلام ، عن عبد القاهر بن السرى ، قال : هم أهلُ العراق بالغدر بمصعب ، فقال قيسُ بنُ الميم : ويحكمكم ! لا تدخلوا أهلَ الشام عليكم ، فواقه لئن تطعموا يعيشكم ليُصنّفين عليكم منازلكم ، والله لقد رأيتُ سيّدَ أهل الشام على باب الخليفة يفرح إن أرسلته في حاجة ، ولقد رأيتنا في الصوائف وأحدنا على ألف بعير ، وإن الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزاده خلكته .

قال : ولما تدانى العسكران بدّير الجاثليق من مسكين ، تقدّم إبراهيمُ بنُ الأشتر فحمّل على محمد بن مروان فأزاله عن موضعه ، فوجه عبدُ الملك بن مروان عبد الله بن يزيد بن معاوية ، فقرب من محمد بن

(١) ب ، ف : « آيس » . (٢) ب ، ف : « واجبستهم » .

مروان . والنقي القومُ فَقُتِلَ مُسْلِمُ بْنُ عَمْرِو الْبَاهِلِيِّ ، وَقَتِلَ يَحْيَى
ابن مَيْشَرٍ ، أَحَدُ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعَ ، وَقَتِلَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْثَرِ ، فَهَرَبَ عَتَّابُ
ابنُ وَرْقَاءَ - وَكَانَ عَلَى الْخَيْلِ مَعَ مُصْعَبٍ - فَقَالَ مُصْعَبُ لِقُطَيْنَ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيِّ : أبا عَثَانَ ، قَدْ تَمَّ خَيْلُكَ ، قَالَ : مَا أَرَى ذَلِكَ ، قَالَ : وَلِمَ ؟
قَالَ : أَكْرَهَ أَنْ تُعْتَكَلَ مَذْحِجٌ فِي غَيْرِ شَيْءٍ ، فَقَالَ لِحِجَّارَ بْنِ أَبِي جَرٍّ :
أبا أُسَيْدَ ، قَدْ تَمَّ رَايَتُكَ ، قَالَ : إِلَى هَذِهِ الْعَدْرَةِ ! قَالَ : مَا تَتَأَخَّرُ إِلَيْهِ
وَاللَّهِ أَتَنْتَنُ وَالْأَمَ ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ مِثْلَ
ذَلِكَ ، فَقَالَ : مَا أَرَى أَحَدًا فَعَمَلَكِ ذَلِكَ فَاغْلُظْ ، فَقَالَ مُصْعَبُ : يَا إِبْرَاهِيمَ
وَلَا لِإِبْرَاهِيمَ لِيَ الْيَوْمَ !

حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي
خَازِمُ بْنُ مَيْسَرٍ مُصْعَبُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : أَمَعَهُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مَعْمَرٍ ؟ قِيلَ : لَا ، اسْتَعْمَلَهُ عَلَى فَارِسَ ، قَالَ : أَمَعَهُ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ ؟
قِيلَ : لَا ، اسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْمَوْصِلِ ، قَالَ : أَمَعَهُ عَبَّادُ بْنُ الْحُصَيْنِ ؟ قِيلَ :
لَا ، اسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْبَصْرَةِ ، فَقَالَ : وَأَنَا بِخُرَّاسَانَ !

خُلِيْنِي فَجُرِيْنِي جَعَارٍ وَأَبِشْرِي بَلَحَمِ أَمْرِي لَمْ يَشْهَدْ الْيَوْمَ نَاصِرَةٌ
فَقَالَ مُصْعَبُ لِابْنِهِ عَيْسَى بْنِ مُصْعَبٍ : يَا بُنَيَّ ، ارْكَبْ أَنْتَ وَمَنْ
مَعَكَ إِلَى عَمَلِكَ بِمَكَّةَ فَأَخْبِرْهُ مَا صَنَعَ أَهْلُ الْعِرَاقِ ، وَدَعْنِي فَلَنْ مَقْتُولَ .
فَقَالَ ابْنُهُ : وَاللَّهِ لَا أَخْبِرُ قَرِيبًا عَنْكَ أَبَدًا ، وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ ذَلِكَ فَالْحَقْ
بِالْبَصْرَةِ فَهَمَّ عَلَى الْجَمَاعَةِ ، أَوِ الْحَقِّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ مُصْعَبُ : وَاللَّهِ
لَا تَتَحَدَّثْ قَرِيشَ أُنَى فَرَرْتَ بِمَا صَنَعْتَ رُبِعَةً مِنْ خِذْلَانَا حَتَّى أَذْخُلَ
الْحَرَمَ مُنْهَزِمًا ، وَلَكِنْ ^(١) أَقَاتِلْ ، فَلِنْ ^(٢) قُتِلْتَ فَلْعَمْرَى مَا السَّيْفُ بِهَارٍ ،
وَمَا الْقِرَارُ لِي بِعَادَةِ وَلَا خُلُوتٍ ، وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَرْجِعَ فَارْجِعْ فَقَاتِلْ . فَارْجِعْ
فَقَاتِلْ حَتَّى قَتَلَ .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ بْنِ أَبِي الْمُهَاجِرِ ، عَنْ أَبِيهِ

(١) ب ، ف : « وَلَكِنْ » . (٢) ب ، ف : « وَلَنْ » .

إن عبد الملك أرسل إلى مصعب مع أخيه محمد بن مروان : إن ابن عمك يعطيك الأمان ، فقال مصعب : إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالباً أو مغلوباً .

وقال الهيثم بن عدي : حدثنا عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، قال : إننا لو قوف مع عبد الملك بن مروان وهو يحارب مصعباً إذ دنا زياد بن عمرو ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن إسماعيل بن طلحة كان لي جاراً صدق ، قلتما أرادني مصعب بسوء إلا دفعه عني ، فإن رأيت أن تؤمنه على جرمه ! قال : هو آمن ، فضي زياد — وكان ضخمًا على ضخم — حتى صار بين الصفتين ، فصاح : أين أبو البختري إسماعيل بن طلحة ؟ فخرج إليه ، فقال : إني أريد أن أذكر لك شيئاً ، فدنا حتى اختلفت أعناق دوابهما — وكان الناس يتنطقون بالحواشي المشوة — فوضع زياد يده في منطقة إسماعيل ، ثم اقتلعه عن سرجه — وكان نحيفاً — فقال : أنشدك الله يا أبا المغيرة ، إن هذا ليس بالوفاء لمصعب ، فقال : هذا أحب إلي من أن أراك غداً مقتولاً .

ولما أتى مصعب قبول الأمان نادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب وقال له : يا بن أخي ، لا تقتل نفسك ، لك الأمان ، فقال له مصعب : قد آمنك عمك فامض إليه ، قال : لا تتحدث نساء قريش أتى أسلمتك للقتل ، قال : فتقدم بين يدي أحسبك ، فقاتل بين يديه حتى قتل ، وأئخن مصعب بالرمنى ، ونظر إليه زائدة بن قدامة فشده عليه قطعته ، وقال : يا لثارات المختار ! فصرعه ، ونزل إليه عبيد الله ابن زياد بن ظبيان ، فاحتز رأسه ، وقال : إنه قتل أخى التائب بن زياد . فأتى به عبد الملك بن مروان فأجابته ألف دينار ، فأبى أن يأخذها ، وقال : إني لم أقتله على طاعتك ، إنما قتلته على وتر صتمه لي ، ولا آخذ في حمل رأس مالا . فتركه عند عبد الملك .

وكان الوتر الذى ذكره عبيد الله بن زياد بن ظبيان أنه قتل عليه مصعباً أن مصعباً كان ولى في بعض ولايته شرطه مطرف بن سيدان الباهلى ثم أحدبني بجأوة .

فحدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني أبو الحسن المدائني ومخلد بن يحيى بن حاضر ، أن مطرفاً أتى بالنابى بن زياد بن ظبيان ورجل من بني نُمير قد قطعاً الطريق ، وقتل النابى ، وضرب النُميرى بالسياط فتركه ، فجمع له عبيدُ الله بنُ زياد بن ظبيان جميعاً بعد أن عزله مُصعب عن البصرة وولاه الأهواز ، فخرج يريدُه ، فالتقيَا فتواقفاً وبينهما نهر ، فعبر مطرف إليه النهر ، وعاجله ابنُ ظبيانَ فطعمته فقتله ، فبعث مُصعبُ مكرم بن مطرف في طلب ابن ظبيان ، فسار حتى بلغ عسكرَ مكرم ، فنسب إليه ، ولم يلقَ ابنَ ظبيان . ولحق ابن ظبيان بعد الملك لمّا قُتل أخوه ، فقال البعيثُ اليشكري بعد قتل مُصعب يدكر ذلك :

٨١٠/٢

ولما رأينا الأمرَ نكساً صُدورهُ وهمَ الهوادي أن تَكُنْ توالياً
صَبَرْنَا لأمرِ الله حتى يُقيمه ولم نَرَضْ إلّا مِنْ أُمِيَّةٍ واليا
ونحنُ قتلنا مُصعباً وابنَ مُصعبٍ أخا أسدٍ والنخعي البازيا
ومرتْ عَقَابُ الموتِ مِنّا بِمِلمٍ فَأَهْوَتْ له نَاباً فَأَصْبَحَ ثَاوياً
سَقَيْنَا ابنَ ميدانٍ بِكَأْسِ رُوِيَةٍ كَفَفْنَا ، وخيرُ الأمرِ ما كان كافياً
حدثني أبو زيد ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : مرَّ ابنُ ظبيانَ بابنة مطرف بالبصرة ، فقيل لها : هذا قاتلُ أبيك ، فقالت : في سبيلِ الله أُنَى ، فقال ابنُ ظبيان :

فلا في سبيلِ الله لاقى جِسامهُ أبوكُ ولكنْ في سبيلِ الدِّرامِ
فلما قُتل مُصعبُ دعا عبدُ الملك بن مروان أهلَ العراق إلى البيعة ، فبايعوه ، وكان مُصعبُ قُتل على نهر يقال له الدُّجَيْلُ عند دَيْرِ الجاثليقي فلما قُتل أمرَ به عبدُ الملك وبابنه عيسى فدُفِنَا .

٨١١/٢

ذكر الواقدي عن عثمان بن محمد ، عن أبي بكر بن عُمَرَ ، عن عروة

قال : قال عبدُ الملك حين قُتِل مُصعب : واروهُ فقد والله كانت الحرمة بيننا وبينه قديمةً ، ولكن هذا الملكُ عقيم .

قال أبو زيد : وحدثنى أبو نعيم ، قال : حدثني عبدُ الله بنُ الزبير أبو أبي أحمد ، عن عبد الله بن شريك العامري ، قال : إني لتواقفُ إلى جنب مصعب بن الزبير فأخرجتُ له كتاباً من قِبائي ، فقلتُ له : هذا كتابُ عبد الملك ، فقال : ما شئت ، قال : ثم جاء رجلٌ من أهل الشام فدخل عسكره ، فأخرجَ جارية فصاحت : وأذلاه ! فنظر إليها مُصعب ، ثم أعرض عنها .

قال : وأتى عبدُ الملك برأس مُصعب ، فنظر إليه فقال : متى تغدو قريشٌ مثلك ! وكانا يتحدثان إلى حُبى ، وهما بالمدينة ، فقيل لهما : قُتِل مصعب ، فقالت : تَعِسَ قَاتِلُهُ ! قيل : قتله عبدُ الملك بنُ مروان ، قالت : بأبي القاتل والمقتول !

قال : وحجَّ عبدُ الملك بعد ذلك ، فلعلتْ عليه حُبى ، فقالت : أقتلت أخاك مُصعباً ؟ فقال :

من يذوق الحربَ يجد طعمَهَا
وقال ابن قيس الرقيّات :

لقد أوزتِ المصريّ خزيًا وذلةً قتلُ بلنيز الجاثليقي مُقيم^(١)
فما نصحتُ الله بكرُ بنِ وائلٍ ولا صبرتُ عند اللقاء تميمُ
ولو كان بكرُياً تحطفتَ حوْلَهُ كتابُ يغلي حَمِيها ويُدومُ
ولكنه ضاعَ النعامُ ولم يكن بها مُضريّ يومَ ذاك كريم
جزى الله كوفيًا هناك ملامَةً ويضريهم إنَّ المليمَ مليم
وإن بني العَلاتِ أخطوا ظُهورنا ونحن صريح بينهم وصميم

٨١٣/٢

(١) لأبي قيس بن الأُست ، من المفضلية ٧٥ . والجماح : المحبس في المكان الخشن أو الضيق .
(٢) ديوانه ١٩٦ ، ويصده في رواية الديوان :

تولى قتال المارقين بنفسِهِ وقد أسلماه مُنقذٌ وحيمُ

فَإِنْ نَفَنَّا لَا يُبَقِّوْا وَلَا يَكُ بَعْدَنَا لِذِي حُرْمَةٍ فِي الْمُسْلِمِينَ حَرِيمٌ^(١)

قال أبو جعفر : وقد قيل : إنَّ ما ذكرتُ من مقتلِ مصعب والحرب التي جرتُ بينه وبين عبد الملك كانت في سنة اثنتين وستين ، وأنَّ أمر خالد ابن عبد الله بن خالد بن أسيد ومصيره إلى البصرة من قِبَلِ عبد الملك كان في سنة إحدى وسبعين ، وقُتِلَ مصعب في جُمَادَى الآخِرَةِ .

[ذكر الخبر عن دخول عبد الملك بن مروان الكوفة]

وفي هذه السنة دخل عبدُ الملك بنُ مروانَ الكوفةَ وفرقَ أعمالَ العراق والمصريين الكوفةَ والبصرةَ على عمَّاله في قول الواقدي ؛ وأما أبو الحسن فإنه ذكر أنَّ ذلك في سنة اثنتين وسبعين .

وحدثني عمرُ ، قال : حدثني عليُّ بن محمد ، قال : قُتِلَ مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جُمَادَى الأولى أو الآخرة سنة اثنتين وسبعين . ولما أتى عبدُ الملك الكوفةَ — فيها ذكر — نزلَ التَّخِيلَةَ ، ثمَّ دعا النَّاسَ إلى البيعة ، فجاءت قُضَاعَةُ ، فرأى قِلَّةَ ، فقال : يا معشر قُضَاعَةَ ، كيف سلِّمتم من مُضَرٍّ مع قِلَتكم ! فقال : عبدُ الله بنُ يعلى التَّهْلُفِيُّ : نحن أعزُّ منهم وأمنع ؛ قال : يَمَنُ ؟ قال : بمن مَعك منَّا يا أميرَ المؤمنين . ثمَّ جاءت مَدَجَجٌ وهَمْدَانٌ فقال : ما أرى لأحد مع هؤلاء بالكوفة شيئاً . ثمَّ جاءت جُعْفِيٌّ ، فلما نظر إليهم عبدُ الملك قال : يا معشر جعفي ، اشتلستم على ابن أخيتكم ، وواريتموه ؟ يعني يحيى بن سعيد بن العاص — قالوا : نعم ، قال : فهاتوه ؛ قالوا : وهو آمن ؟ قال : وتشرطون أيضاً ! فقال رجل منهم : إنا والله ما نشرط جتهلاً بحقِّك ، ولكنَّا نسحبُّ عليه تسحبُّ الولد على والده ، فقال : أما والله لننعمَ الحى أنتم ؛ إن كنتم لتُمرَّمانا في الجاهليَّة والإسلام ، هو آمِنٌ ، فجاءوا به وكان يُكنى أبا أيوب ، فلما نظر إليه عبدُ الملك قال أيا قبيح ، بأى وجهٍ تنظر إلى ربِّك وقد

٨١٤/٢

خلعتني ! قال : بالوجه الذي خلقه ، فباع ثم ولى فنظر عبدُ الملك في قفاه فقال : لله دَرَه ! أي ابن زَوْمَلَة هو ! يعنى غريبة .

وقال علي بنُ محمد : حدثني القاسم بنُ معن وغيره أن معبد بن خالد الجدي قال : ثم تقدمنا إليه معشرَ عدوان ، قال : فقد منا رجلا وسيا جميلا ، وتأخرت — وكان معبد دميما — فقال عبدُ الملك : من ؟ فقال الكاتب : عدوان ، فقال عبدُ الملك :

٨١٥/٢

عذيرَ الحي من عدوا نَ كانوا حَيَّةَ الأرض
بني بعضهم بعضاً فلم يَرعُوا على بعض
ومنهم كانت السادا ت والمؤن بالقرض
ثم أقبل على الجميل فقال : ليه ! فقال : لا أدري ، فقلت من خلفه :
ومنهم حكّم يقضي فلا ينقض ما يقضي
ومنهم من يجيز الحج بالسنة والقرض^(١)
وهم مذ ولدوا شيوا بسر النسب المحض

قال : فتركتني عبدُ الملك ، ثم أقبل على الجميل فقال : من هو ؟ قال : لا أدري ، فقلت من خلفه : ذو الإصبع ، قال : فأقبل على الجميل فقال : ولم يمتي ذا الإصبع ؟ فقال : لا أدري ، فقلت من خلفه : لأن حية عشت إصبعة فقطعتها ، فأقبل على الجميل فقال : ما كان اسمه ؟ فقال : لا أدري ، فقلت من خلفه : حرثان بن الحارث ، فأقبل على الجميل ، فقال : من أيكم كان ؟ قال : لا أدري ، فقلت من خلفه : من بني ناج ، فقال :

أبعد بني ناج وسعك بينهم^(٢) فلا تتعن عنيك ما كان هالكا

(١) قال أبو الفرج : « قوله : « ومنهم من يجيز الناس » فإن إجازة الحج كانت لخزاعة ، فأخذتها علوان ، فصار لربيل فيهم يقال له سياره . » الأغاني ٣ : ٨٩ (٢) رواية الأغاني :

« وأما بنو ناج فلا تذكركمهم » .

إِذَا قُلْتُ مَرْغُوفًا لِأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ يَقُولُ وَهَيْبٌ : لَا أَصَالِحُ ذَلِكَ
فَأُضْحِي كَقَطْرِ الْعَبْرِ جُبٌّ مَنَامُهُ تُطِيفُ بِهِ الْوِلْدَانُ أَحَدُ بَارَكَا

٨١٦/٢

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْجَمِيلِ ، فَقَالَ : كَمْ عَطَاؤُكَ ؟ قَالَ : سَبْعُمِائَةٍ ، فَقَالَ لِي :
فِي كَسَمٍ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : فِي ثَلَاثِمِائَةٍ ؛ فَأَقْبَلَ عَلَى الْكَاتِبَيْنِ ، فَقَالَ : حُطًّا
مِنْ عَطَاءِ هَذَا أَرْبَعُمِائَةٍ ، وَزَيْدَاهَا فِي عَطَاءِ هَذَا ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا فِي سَبْعِمِائَةٍ ،
وَهُوَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ . ثُمَّ جَاءَتْ كِنْدَةُ فَنَظَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْأَشْعَثِ ،
فَأَوْصَى بِهِ بِشَرٍّ أَخَاهُ ، وَقَالَ : اجْعَلْنِي فِي صَحَابَتِكَ . وَأَقْبَلَ دَاوُدُ بْنُ
قُحْدَمٍ فِي مَائَتَيْنِ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، عَلَيْهِمُ الْأَقْبِيَّةُ الدَّادِيَّةُ ، وَبِهِ
سُمِّيَتْ ، فَجَلَسَ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى سَرِيرِهِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ ، ثُمَّ
نَهَضَ وَنَهَضُوا مَعَهُ ، فَأَتَبَعَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ بِصَرِهِ ، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ الْفُسَّاقُ ، وَاللَّهِ
لَوْلَا أَنْ صَاحِبَهُمْ جَاءَنِي مَا أَعْطَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ طَاعَةً ^(١) .

ثُمَّ إِنَّهُ وَلَّى - فَمَا قِيلَ - قَطَنَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيُّ الْكُوفِيُّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا
ثُمَّ عَزَلَهُ ، وَلَّى بِشَرَ بْنَ مَرْوَانَ وَصَّعِدَ مَنِيرَ الْكُوفَةِ فَخُطِّبَ فَقَالَ :

إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّيْبِرِ لَوْ كَانَ خَلِيفَةً كَمَا يَزْعُمُ لَخَرَجَ قَاسِيًا بِنَفْسِهِ ، وَلَمْ
يَغْرُزْ ذَنْبَهُ فِي الْحَرَمِ . ثُمَّ قَالَ : إِنِّي قَدْ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ بِشَرَ بْنَ مَرْوَانَ ،
وَأَمَرْتُهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى أَهْلِ الطَّاعَةِ ، وَالشَّدَّةِ عَلَى أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ ، فَاسْمَعُوا لَهُ
وَأَطِيعُوا .

وَأَسْتَعْمَلَ مُحَمَّدَ بْنَ عُمَيْرٍ عَلَى هَمْدَانَ ، وَبَزِيدَ بْنَ رُوَيْمٍ عَلَى
الرَّيِّ ، وَفَرَّقَ الْعُمَالَ ، وَلَمْ يَفِ أَحَدٌ شَرْطَ ^(٢) عَلَيْهِ وَلَا يَةَ أَصْبَهَانَ ؛ ثُمَّ
قَالَ : عَلَى هَؤُلَاءِ الْفُسَّاقِ الَّذِينَ أَنْشَغَلُوا الشَّامَ ، وَأَفْسَدُوا الْعِرَاقَ ، فَقِيلَ :
قَدْ أَجَارَهُمْ رُؤَسَاءُ عَشَائِرِهِمْ ، فَقَالَ : وَهَلْ يَجِيرُ عَلَى أَحَدٍ ! وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
يَزِيدَ بْنِ أَسَدٍ بَلَخًا إِلَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَلِخًا إِلَيْهِ أَيْضًا
يُحْيَى بْنُ مَتْيُوفٍ الْهَمْدَانِيُّ ، وَلِخًا لِهَذَلِ بْنِ زُفَرٍ بْنِ الْحَارِثِ وَعَمْرُو بْنُ زَيْدٍ ^(٣)
الْحَكَمِيُّ إِلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، فَأَمَنَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَظَهَرُوا .

٨١٧/٢

(١) انظر الأغاني ، ٣ : ٩١ ، ٩٢ . (٢) ب ، ف : « يشترط » .

(٣) س ، أين الأخير : « يزيده » .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة تنازع الرياسة بالبصرة عبيد الله بن أبي بكرة وحُمران بن أبان ، فحدثني عمر بن شبة قال : حدثني علي بن محمد قال : لما قُتِلَ المُصعب وثب حُمران بن أبان وعبيد الله بن أبي بكرة فتنازعا في ولاية البصرة ، فقال ابن أبي بكرة : أنا أعظم غناء منك ، أنا كنت أفتق على أصحاب خالد يوم الجفرة . فقبل لحمران : إنك لا تقوى على ابن أبي بكرة ، فاستعين بعبد الله بن الأهم ، فإنه إن أعانك لم يقو عليك ابن أبي بكرة ، ففعل ، وغلب حُمران على البصرة وابن الأهم على شرطها .

وكان لحُمران منزلة عند بني أمية ، حدثني أبو زيد قال : حدثني أبو عاصم النبيل قال : أنجبرني رجل قال : قدِمَ شيخٌ أعرابي فرأى حُمران فقال : من هذا ؟ فقالوا : حُمران ، فقال : لقد رأيتُ هذا وقد مال رداؤه عن عاتقه فابتنره مروان وسعيد بن العاص أيهما يسويه . قال أبو زيد : قال أبو عاصم : فحدثتُ بذلك رجلاً من وكلاء عبد الله بن عامر ، فقال : حدثني أبي أن حُمران مدَّ رجله فابتنر معاوية وعبد الله بن عامر أيهما يَخْرِجُها .

[ذكر خبر ولاية خالد بن عبد الله على البصرة]

وفي هذه السنة بعث عبد الملك خالد بن عبد الله على البصرة والياً ، حدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : مكث حمران على البصرة يسيراً ، وخرج ابن أبي بكرة حتى قدِمَ على عبد الملك الكوفة بعد مقتل مُصعب ، فولّى عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة وأعمالها ، فوجه خالد عبيد الله بن أبي بكرة خليفته على البصرة ، فلما قدِمَ على حُمران ، قال : أقَدَ جنت لاجئت ! فكان ابن أبي بكرة على البصرة حتى قدِمَ خالد .

وفي هذه السنة رجع عبد الملك - فيما زعم الواقدي - إلى الشام .

قال : وفيها نَزَعَ ابنُ الزبير جابرَ بنَ الأسود بنِ عوف عن المدينة ، واستعمل عليها طلحة بن عبد الله بن عوف . قال : وهو آخر وال لابن الزبير على المدينة ، حتَّى قدم عليها طارقُ بنُ عَمْرٍو مولى عثمان ، فَهَرَبَ طلحة ، وأقام طارقُ بالمدينة حتَّى كتب إليه عبد الملك . وَحَجَّ بالناس في هذه السَّنة عبدُ الله بنُ الزبير في قول الواقدي .

[خطبة عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب]

وذكر أبو زيد عن أبي غَسَّانَ محمد بن يحيى ، قال : حدَّثني مصعب ابنُ عُثْمَانَ ، قال : لَمَّا انْتَهَى إلى عبد الله بنِ الزبير قتلُ مُصْعَب قام في الناس فقال :

الحمد لله الَّذِي له الخلق والأمر ، يؤقِي الملك من يشاء ، وَيَتَرَع الملكُ مَنْ يشاء ، وَيُعِزُّ من يشاء ، وَيُذِلُّ من يشاء . أَلَا وَإِنَّهُ لَمْ يُذِلَّ اللهُ مَنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ وَإِنْ كَانَ فَرْدًا ، وَلَمْ يُعِزَّزْ مَنْ كَانَ وَلِيَهُ الشَّيْطَانُ وَجِزْبُهُ وَإِنْ كَانَ^(١) مَعَهُ الْإِيمَانُ طَرًّا . أَلَا وَإِنَّهُ قَدْ أَتَانَا مِنَ الْعِرَاقِ خَيْرٌ حَزَنًا وَأَفْرَحَنَا ، أَتَانَا قَتْلُ مُصْعَب رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ ، فَأَمَّا الَّذِي أَفْرَحَنَا فَلَمَّا نَا أَن قَتَلَهُ لَهُ شَهَادَةٌ ، وَأَمَّا الَّذِي حَزَنَنَا فَإِنَّ لِعِرَاقِ الْحَمِيمِ لَوْعَةً يَسْجِدُهَا حَمِيمُهُ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ ، ثُمَّ يَرْعَوِي مِنْ بَعْدِهَا ذُو الرَأْيِ إِلَى جَمِيلِ الصَّبْرِ وَكَرِيمِ الْعِزَاءِ ، وَلَنْ أَصِيبَ بِمُصْعَبٍ لَقَدْ أَصِيبَ بِالزَّبِيرِ قَبْلَهُ ، وَمَا أَنَا مِنْ عُثْمَانَ بِخَلَوٍ مَصِيبَةٍ ، وَمَا مُصْعَبٌ إِلَّا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ اللهِ وَعِوْنٌ مِنْ أَعْوَانِي . أَلَا إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ أَهْلَ الْفَقْدِ وَالنَّفَاقِ ، أَسْلَمُوهُ وَيَاعُوهُ بِأَقْلِ الثَّمَنِ ، فَإِنْ يُقْتَلْ فَلِنَا وَاللهِ مَا نَمُوتُ عَلَى مَضَاجِعِنَا كَمَا مَاتَ بَنُو أَبِي الْعَاصِ ، وَاللهِ مَا قُتِلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ فِي زَحْفٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا الْإِسْلَامِ ، وَمَا نَمُوتُ إِلَّا قَحْصًا^(٢) بِالرِّمَاحِ ، وَمَوْتَنَا تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ . أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا عَارِيَّةٌ مِنَ الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَا يَزُولُ سُلْطَانُهُ ، وَلَا يَسِيدُ مُلْكُهُ ، فَإِنْ تَقَبَّلَ لَا أَخْطِئُهَا أَخْذًا لِأَشْرِ الْبَطْرِ ، وَإِنْ تَدَبَّرَ لَا أَبْئُكُ عَلَيْهَا بَكَاءَ الْحَرِيقِ الْمَهِينِ ؛ أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ .

• • •

وذكر أن عبد الملك لما قتل مصعباً ودخل الكوفة أمر بطعام كثير فصنع ، وأمر به إلى الخوارج ، وأذن إذناً عاماً ، فدخل الناس فأخذوا مجالسهم ، فدخل عمرو بن حرث الخزرجي فقال : ليلى وعلى سريري ، فأجلسه معه ، ثم قال : أى الطعام أكلت أحب إليك وأشهى عندك ؟ قال : عناق^(١) حمراء قد أجيد تمليحها ، وأحكيم نضجها ، قال : ما صنعت شيئاً ، فأين أنت من عمرو^(٢) راضع قد أجيد سطره ، وأحكيم نضجه ، اختلجت إليك رجلته ، فأنبعتها يده ، غذى بشريجين من لبن وعن . ثم جاءت الموائد فأكلوا ، فقال عبد الملك بن مروان : ما ألدت عيشنا لو أن شيئاً يدوم ! ولكننا كما قال الأول :

وكلٌ جليدٌ يأيمم إلى بلى وكل امرئ يوماً يصير إلى كان
فلما فرغ من الطعام طاف عبد الملك في القصر يقول لعمرو بن
حرث : ليمن هذا البيت ؟ ومن بنى هذا البيت ؟ وعمرو يخيره ،
فقال عبد الملك :

وكلٌ جليدٌ يأيمم إلى بلى وكل امرئ يوماً يصير إلى كان
ثم أتى مجلسه فاستلقى ، وقال :

اعمل على مهل فإنك ميتٌ واكذب لنفسك أيها الإنسان
فكان ما قد كان لم يك إذ مضى وكان ما هو كائن قد كان

* * *

وفي هذه السنة افتتح عبد الملك - في قول الواقدي - قيسارية .

(١) العناق : الأثني من أولاد الخزرج .

(٢) في المتن : « وفي حديث عبد الملك بن مروان : أين أنت من عمرو راضع ! عمرو

بالضم : الحروف أو الجدى إذا بلغ الطور » .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

قال أبو جعفر : فن ذلك ما كان من أمر الخوارج وأمر المهلب بن أبي صفرة وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف أن حصيرة بن عبد الله وأبا زهير العبسي حدثاه أن الأزارقة والمهلب بعدما اقتتلوا بسؤلاف ثمانية أشهر أشد القتال ، أتاهم أن مصعب بن الزبير قد قُتِل ، فبلغ ذلك الخوارج قبل أن يبلغ المهلب وأصحابه ، فناداهم الخوارج : ألا تُخبرونا ما قولكم في مصعب ؟ قالوا : إمام هُدًى ، قالوا : فهو وليكم في الدنيا والآخرة ؟ قالوا : نعم ، قالوا : وأنتم أولياؤه أحياء وأموات ؟ قالوا : ونحن أولياؤه أحياء وأموات ، قالوا : فما قولكم في عبد الملك بن مروان ؟ قالوا : ذلك ابن اللعين ، نحن إلى الله منه براء ، هو عندنا أحلُّ دماً منكم ، قالوا : فأنتم منه براء في الدنيا والآخرة ؟ قالوا : نعم كبراءتنا منكم ، قالوا : وأنتم له أعداء أحياء وأموات ؟ قالوا : نعم نحن له أعداء كعداوتنا لكم ، قالوا : فلن إمامكم مصعباً قد قُتِل عبد الملك بن مروان ، فزركم ستجعلون غداً عبد الملك إمامكم ، وأنتم الآن تتبرعون منه ، وتلعنون أباه ! قالوا : كذبتم يا أعداء الله . فلما كان من الغد تبين لهم قتل مصعب ، فبايع المهلب الناس لعبد الملك بن مروان فأنتهم الخوارج فقالوا : ما تقولون في مصعب ؟ قالوا : يا أعداء الله ، لا نخبركم ما قولنا فيه ، وكبرهوا أن يكذبوا أنفسهم عندهم ، قالوا : فقد أخبرعنوا أسراً أنه وليكم في الدنيا والآخرة ، وأنكم أولياؤه أحياء وأموات ، فأنخبرونا ما قولكم في عبد الملك ؟ قالوا : ذاك إمامنا وخطيفتنا — ولم يجدوا إذ يابعهو بدءاً من أن يقولوا هذا القول — قالت لهم الأزارقة : يا أعداء الله ، أنتم أسس تبرعون منه في الدنيا والآخرة ، وتزعمون أنكم له أعداء أحياء وأموات ، وهو اليوم إمامكم وخطيفتكم ، وقد قتل إمامكم الذي كنتم

تولّيه ! فأيهما الحقّ ، وأيهما المهتدي . وأيهما الضالّ ! قالوا لهم : يا أعداء الله ، رضىنا بذلك إذ كان وليّ^(١) أمورنا ، ونرضى بهذا كما رضىنا بذلك . قالوا : لا والله ! ولكنكم إخوان الشياطين ، وأولياء الظالمين ، وعبيد الدنيا . وبعث عبدُ الملك بن مروان بشر بن مروان على الكوفة ، وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة . فلما قتل خالد أثبت المهلب على خراج الأهواز وسعوتها ، وبعث عامر بن مسمع على سابور ، ومقاتيل بن مسمع على أردشير خنّره ، ومسمع بن مالك بن مسمع على فسّا ودرابجيرد ، والمغيرة بن المهلب على إصطخر .

ثمّ إنه بعث إلى مقاتيل فبعثه على جيش ، وألحقه بناحية عبد العزيز فخرج يطلب الأزارقة ، فأنحطوا عليه من قبيل كرمان حتى أتوا درآ بجيرد ، فسار نحوهم . وبعث قطريّ مع صالح بن مخراق تسعمائة فارس ، فأقبل ٨٢٣/٢ يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسير بالناس ليلا ، يجرون على غير نعية ، فهزم الناس ، ونزل مقاتيل بن مسمع فقاتل حتى قُتل ، وانهزم عبدُ العزيز بن عبد الله ، وأُخذت امرأته ابنة المنذر بن الجارود ، فأقيمت فيمن يزيد ، فبلغت مائة ألف — وكانت جميلة — ففار رجلٌ من قومها كان من رموس الخوارج يقال له : أبو الحديد الشنّى ، فقال : تنحوا هكذا ، ما أرى هذه المُشركة إلّا قد فتتكم ، فضرِب عُنقها . ثمّ زعموا أنه لحق بالبصرة ، فراه أكل مندر فقالوا : والله ما ندري أنحمدك أم نذمك ! فكان يقول : ما فعلته إلّا غيرة وحمية . وجاء عبدُ العزيز حتى انتهى إلى رامهرمز ، وأتى المهلب فأخبر به ، فبعث إليه شيخاً من أشياخ قومه كان أحد قُرّسائه ، فقال : اتته فإن كان منهزماً فعزّه وأخبره أنه لم يتعلّ شيكاً لم يتعلّك الناس قبله ، وأخبره أنّ الجنود تأتيه عاجلاً ، ثمّ يعزّه الله ويستصرّه . فأثابه ذلك الرجل ، فوجدوه نازلاً في نحو من ثلاثين رجلاً كثيراً حزينا ، فسلم عليه الأزديّ ، وأخبره أنه رسول المهلب ، وبلغه ما أمره به ، وعرض عليه أن يذكر له ما كانت له من حاجة . ثمّ انصرف إلى المهلب فأخبره الخبر ، فقال له المهلب : الحق الآن بخالد بالبصرة فأخبره الخبر ، ٨٢٤/٢

فقال: أنا أتبه أخبره أن أخاه هُزِمَ ! والله لا أتبه ، فقال المهلب^(١) : لا والله لا يأتيه غيرك ، أنت الذي عاينته ورأيت ، وأنت كنتَ رسولاً إليه ، قال : هو إذْ يَهْدِيكَ^(٢) يا مهلب أن ذهبَ إليه العام ، ثم خرج . قال المهلب : أما أنت والله فإنك لي آمن ، أما والله لو أنك مع غيري ، ثم أرسلتك على رجلِك خرجت تشتد ! قال له وأقبل عليه : كأنك إنما تمنّ علينا بحلمك ! فنحن والله نكافئك بل نزيد ، أما تعلم أنا نعرّض أنفسنا للقتل دونك ، ونحميك من عدوك ! ولو كنا والله مع من يسجّهل علينا ، وبسببنا في حاجاته على أرجلنا ، ثم احتاج إلى قتالنا ونصرتنا جعلناه بيننا وبين عدونا ، ووقينا به أنفسنا . قال له المهلب : صدقت صدقت . ثم دعا فتى من الأزد كان معه فسرّحه إلى خالد يخبره خبر أخيه ، فأثاه الفتى الأزدى وحوله الناس ، وعليه جبّة خضراء ومطرف أخضر ، فسلم عليه ، فردّ عليه ، فقال : ما جاء بك^(٣) ؟ قال : أصلحك الله ! أرسلني إليك المهلب لأخبرك خبر ما عاينته ، قال : وما عاينت ؟ قال : رأيت عبد العزيز برامه هُزِمَ مهزوماً ، قال : كذبت ، قال : لا ، والله ما كذبت ، وما قلت لك إلا الحق ، فإن كنت كاذباً فاضرب عُنُقِي ، وإن كنت صادقاً فأعطني أصلحك الله جبّتك ومطرفك . قال : ويحك ! ما أسرّ ما سألت ، ولقد رضيت مع^(٤) ٨٢٥/٢ الخطر العظيم إن كنت كاذباً بالخطر الصغير إن كنت صادقاً . فحبّسه وأمر بالإحسان إليه حتى تبيّن له هزيمة القوم ، فكشّبه إلى عبد الملك :

أما بعد ، فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمهم الله أني بعثت عبد العزيز بن عبد الله في طلب الخوارج ، وأنهم لقوه بفارس ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزم عبد العزيز لما انهزم عنه الناس ، وقتل مقاتل بن ميسم ، وقدم الفحل إلى الأهواز . أحببت أن أعلم أمير المؤمنين ذلك ليأتيني رأيه وأمره أنزل عنده إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله .

(١) أ ، ب ، ف : « قال : فقال له المهلب » . (٢) كذا في أ ، في ط ويهديك .

(٣) ب ، ف : « من » .

(٤) ب ، ف : « ما حاجتك » .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أما بعد، فقد قَدِمَ رَسُوكُ في كتابِكَ، تُعَلِّمُنِي فِيهِ بِحَشَتِكَ أَخَاكَ عَلَى قِتَالِ الْخَوَارِجِ، وَبِهَزِيمَةِ مَنْ هَزَمَ، وَقَتْلِ مَنْ قُتِلَ، وَسَأَلْتُ رَسُوكَ عَنْ مَكَانِ الْمُهَلَّبِ، فَحَدَّثَنِي أَنَّهُ عَامِلٌ لَكَ عَلَى الْأَهْوَازِ، فَقَبِّحَ اللَّهُ رَأْيَكَ حِينَ تَبِعْتَ أَخَاكَ أَعْرَابِيًّا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى الْقِتَالِ، وَتَدَعَّ الْمُهَلَّبَ إِلَى جَنْبِكَ يَسْجِي الْخِرَاجَ، وَهُوَ الْمُسَيَّمُونَ النَّقِيبَةُ، الْحَسَنُ السِّيَاسَةُ، «الْبَصِيرُ بِالْحَرْبِ، الْمُقَامِيُّ لَهَا»^(١)، ابْنُهَا وَابْنُ أَبْنَائِهَا! انْظُرْ أَنْ تَنْهَضَ بِالنَّاسِ حَتَّى تَسْتَقْبِلَهُمْ بِالْأَهْوَازِ وَمِنْ وَرَاءِ الْأَهْوَازِ. وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَى بِشْرِ أَنْ يُمَدِّكَ بِجَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَإِذَا أَنْتَ لَقِيتَ عَدُوَّكَ فَلَا تَعْمَلْ فِيهِمْ بِرَأْيٍ حَتَّى تُحْضِرَهُ الْمُهَلَّبَ، وَتَسْتَشِيرَهُ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

فَشَقَّ عَلَيْهِ أَنَّهُ فَيَّلَ رَأْيَهُ فِي بَعَثَةِ أَخِيهِ^(٢) وَتَرَكَ الْمُهَلَّبَ، وَفِي أَنَّهُ لَمْ يَرْضَ رَأْيَهُ خَالِصًا حَتَّى قَالَ: أَحْضَرَهُ الْمُهَلَّبَ وَاسْتَشَرَهُ فِيهِ.

٨٢٦/٢

وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ :

أما بعد، فَلَمَّا قَدْ كَتَبْتُ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَمْرُهُ بِالنَّهْضِ إِلَى الْخَوَارِجِ، فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ خَمْسَةَ آلَافِ رَجُلٍ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ قِبَلِكَ تَرْضَاهُ، فَإِذَا قَضَوْا غَزَاتِهِمْ تِلْكَ صَرَفْتَهُمْ إِلَى الرَّيِّ فَقَاتَلُوا عَدُوَّهُمْ، وَكَانُوا فِي مَسَاحِهِمْ، وَجَبَّوْا فِيهِمْ حَتَّى نَأَى أَيَّامَ عَقَبِهِمْ فَتَعَقَّبَهُمْ^(٣) وَبِعَثَ آخَرِينَ مَكَانَهُمْ.

فَقَطَعَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ خَمْسَةَ آلَافٍ، وَبِعَثَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْأَشْثَمِ، وَقَالَ: إِذَا قَضَيْتَ غَزَاتَكَ هَذِهِ فَانْصَرِفْ إِلَى الرَّيِّ. وَكُتِبَ لَهُ عَلَيْهَا عَهْدًا. وَخَرَجَ خَالِدٌ بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ حَتَّى قَدِمَ الْأَهْوَازَ، وَجَاءَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ يَبْعَثُ أَهْلَ الْكُوفَةِ حَتَّى وَافَاهُمْ بِالْأَهْوَازِ،

(١-١) ب، ف: «المقامي للحرب». (٢) ب، ف: «بعضه بأخيه».

(٣) س: «تتبعهم».

وجاءت الأزارقة حتى دنتوا من مدينة الأهواز ومن مُعسكر القوم ، وقال المهلب لخالد بن عبد الله : إني أرى هاهنا سُفناً كثيرة ، فضمتها إليك ، فوالله ما أظنّ القوم إلاّ مُحرقوها . فابلث إلاّ ساعة حتى ارتفعت خيل من خيلهم إليها فحرقتها . وبعث خالد بن عبد الله على ميمته المهلب ، وعلى ميسرته داود بن قحذم من بني قيس بن ثعلبة ، ومرت المهلب على عبد الرحمن بن محمد ولم يخندق ، فقال : يا بن أخي ، ما يمنحك من الخندق ! فقال : والله لهم أهونُ على من ضرطة الجمل^(١) ، قال : فلا ٢٧/٢ يهتونا عليك يا بن أخي ، فإنهم سباعُ العرب ، لا أبرح أو^(٢) تضرب عليك خندقاً ، ففعل .

وبلغ الخوارج قول عبد الرحمن بن محمد لهم : « أهونُ على من ضرطة الجمل » ، فقال شاعرهم :

يا طالب الحق لا تستهوا بالأمل فإن من دون ما تهوى مدى الأجل
وأعمل لربك وأسأله مثنوته فإن تقواه فأعلم أفضل العمل
واغز المخائيت في الماذي مقلمة^(٣) كما تصبح غنوا ضرطة الجمل

فأقاموا نحواً من عشرين ليلة . ثم إن خالداً زحف إليهم بالناس ، فأمرهم هلم من عند الناس وعدتهم ، فأخذوا يستحازون ، واجترأ عليهم الناس ، فكثر عليهم الخيل ، وزحف إليهم فانصرفوا كأنهم على حامية وهم مولون لا يرون لهم طاقة بقتال جماعة الناس ، وأتبعهم خالد بن عبد الله داود بن قحذم في جيش من أهل البصرة ، وانصرف خالد إلى البصرة ، وانصرف عبد الرحمن بن محمد إلى الرى وأقام المهلب بالأهواز ، فكتب خالد بن عبد الله إلى عبد الملك :

أماً بعد ، فإني أخبر أمير المؤمنين أصلحه الله أني خرجت إلى الأزارقة الذين مرقوا من الدين ، وخرجوا من ولاية المسلمين ، فالتفتنا بمدينة الأهواز

(١) الميقات ٢ : ٤٠٩ (٢) ب ، ف : هـ حتى .

(٣) ١ : وسلة .

فتناهضنا فاقتلنا كأشدّ قتال كان في الناس . ثمّ إنّ الله أنزلك نصره على المؤمنين والمسلمين ، وضرب الله وجوه أعدائه ، فاتبعهم المسلمون يقتلونهم ، ولا يمتنعون ولا يمتنعون ، وأفاء الله ما في عسكرهم على المسلمين ، ثمّ ٨٢٨/٢ أتبعهم داود بن قحّظم ، والله إن شاء مهلكهم ومستأصلهم ، والسلام عليك .

فلما قُتِلَ هذا الكتاب على عبد الملك كتب عبد الملك إلى بشر ابن مروان :

أما بعد ، فابعث من قبلك رجلا شجاعا بصيرا بالحرب في أربعة آلاف فارس ، فليسيروا إلى فارس في طلب المارقة ، فإنّ خالد أكتب إلى يخبرني أنّه قد بعث في طلبهم داود بن قحّظم ، فرّ صاحبك الذي تبعث ألا يخالف داود بن قحّظم إذا ما التقيا ، فإنّ اختلاف القوم بينهم عوّن لعدوهم عليهم . والسلام عليك .

فبعث بشر بن مروان عتّاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة ، فخرجوا حتّى التقوا هم وداود بن قحّظم بأرض فارس ، ثمّ اتبعوا القوم يطلبونهم حتّى نفقت خيول عامتهم ، وأصابهم الجهد والجوع ، ورجع عامة ذينك الجيشين مشاة إلى الأهواز ، فقال ابن قيس الرقيات - من بني مخزوم - في هزيمة عبد العزيز وفراره عن امرأته :

عبد العزيز فضحت جيشك كلّهم وتركهم صرعى بكلّ سبيل^(١)
من بين ذى عطش يجرّد بنفسه ولحّح بين الرجال قتيل^(٢)
هلا صبرت مع الشهيد مقاتلا إذ رخت منتكث القوى بأصيل
وتركت جيشك لا أمير عليهم فأرجع بعار في الحياة طويل^{٨٢٩/٢}
ونسيت عرسلك إذ تقاد سبيّة تبكى العين برئت وعويل

* * *

[خروج أبي قُدَيْك الخارِجِيّ وغلبته على البحرين]

وفي هذه السنة كان خروج أبي قُدَيْك الخارِجِيّ ، وهو من بني قَيْسِ ابنِ ثعلبة ، فغلب على البحرين ، وقتل نجدة بن عامر الحنَظَلِيّ ، فاجتمع على خالد بن عبد الله نزول قَطَرِيّ الأهواز وأمرُ أبي قُدَيْك ، فبعث أخاه أُمَيَّة بن عبد الله على جُنْد كثيف إلى أبي قُدَيْك ، فهزمه أبو قُدَيْك ، وأخذ جارية له فأتخذها لنفسه ، وصار أُمَيَّة على فرس له حتى دخل البَصْرَة في ثلاثة أيّام ، فكتب خالد إلى عبد الملك بحالِه وحال الأزارقة .

[خبر توجيه عبد الملك الحَجَّاج لقتال ابن الزبير]

وفي هذه السنة وجه عبدُ الملك الحَجَّاج بن يوسف إلى مكة لقتال عبد الله ابن الزبير ، وكان السبب في توجيهه الحَجَّاج إليه دينَ غيره — فيما ذُكر — أن عبد الملك لما أراد الرجوع إلى الشام ، قام إليه الحَجَّاج بن يوسف فقال : يا أمير المؤمنين ، إني رأيتُ في منامي أني أخذتُ عبدَ الله بن الزبير فسلختُه ، فأبعثني إليه ، وولّني قتالَه . فبعثه في جيش كثيف من أهل الشام ، فسار حتى قدِم مكة ، وقد كتب إليهم عبدُ الملك بالأمان إن دخلوا في طاعته . فحدثني الحارثُ ، قال : حدثني محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا مُصعب بن ثابت ، عن أبي الأسود ، عن عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال : بعث عبدُ الملك بن مروان حين قُتِل مُصعب ابن الزبير الحَجَّاج بن يوسف إلى ابن الزبير بمكة ، فخرج في ألفين من جُنْد أهل الشام في جُمادى من سنة اثنتين وسبعين ، فلم يَمْرُض للمدينة ، وسلك طريق العراق ، فنزل بالطائف ، فكان يبعثُ البُعوث إلى عَرَقة في الخيل^(١) ، ويبعث ابن الزبير بعضًا فيقتلون هنالك ، فكلّ ذلك تُهزَم خيل ابن الزبير وترجع خيلُ الحَجَّاج بالطَّعَم . ثم كتب الحَجَّاج إلى عبد الملك يستأذنه في حصار ابن الزبير ودخول الحرَم عليه ، ويُخبره أن

(١) كلما في ا ، ب ، ف وفي ط : « الخيل » .

شوكته قد كُتت، وتفرق عنه عامة أصحابه، ويسأله أن يمده برجال ، فجاءه كتابُ عبدِ الملك ، وكتب عبدُ الملك إلى طارق بنِ عمرو يأمره أن يكسحَ بمن معه من الجُند بالحجَّاج ، فصار في خمسة آلاف من أصحابه حتَّى لحق بالحجَّاج . وكان قدومُ الحجَّاج الطائف في شعبان سنة اثنتين وسبعين . فلما دخل ذو القعدة رحلَ الحجَّاج من الطائف حتَّى نزل بئر ميسون وحصر ابن الزبير .

حجَّ الحجَّاجُ بالناس في هذه السنة ، وابن الزبير محصور ، وكان قدومُ طارق مكَّةَ هلال ذى الحجة ، ولم يطفُ بالبيت ، ولم يصل إليه وهو مُحرم ، وكان يكسُ السلاح ، ولا يقرب النساء ولا الطيب إلى أن قُتل عبدُ الله بنُ الزبير . ونحَرَ ابنُ الزبير بُدْنًا بمكة يومَ النحر ، ولم يحجَّ ذلك العام ولا أصحابه لأنهم لم يَعِفُوا بعرفة .

قال محمد بنُ عمر : حدثني سعيد بنُ مسلم بن بابك ، عن أبيه ، قال : حججتُ في سنة اثنتين وسبعين فقدمنا مكة ، فدخلناها من أعلاها ، فنجدُ أصحابَ الحجَّاج وطارق فيما بين الحجون إلى بئر ميسون ، فطفنا بالبيت وبالصفاء والمرورة ، ثم حجَّ بالناس الحجَّاج ، فرأيناه واقفًا بالهضبات من عرفة على فرس ، وعليه الدرع والمخفر ، ثم صدرَ فرأيناه عندك إلى بئر ميسون ، ولم يطفُ بالبيت وأصحابه متسلحون ، ورأيتُ الطعامَ عندهم كثيرًا ، ورأيتُ العير تأتي من الشام تحملُ الطعام ، الكمك والسويق والدقيق ؛ رأيتُ أصحابَه مخاصيب ، ولقد ابتغنا من بعضهم كمكًا بلرهم ، فكفانا إلى أن بلغنا الجحفة وإنَّا لثلاثة نفر .

قال محمد بن عمر : حدثني مصعب بنُ ثابت ، عن نافع مولى بني أسد ، قال — وكان عالمًا بفتنة ابن الزبير — قال : حُصر ابنُ الزبير ليلة هلال ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين .

[أمر عبد الله بن خازم السلمي مع عبد الملك]

وفي هذه السنة كتب عبد الملك إلى عبد الله بن خازم السلمي يدعوه إلى بيعته ويطلبه خراسان سبع سنين ، فذكر علي بن محمد أن الفضل بن محمد ويحيى بن طفيل وزهير بن هنيذ حدثوه - قال : وفي خبر بعضهم زيادة على خبر بعض - أن مصعب بن الزبير قُتِل سنة اثنتين وسبعين وعبد الله بن خازم بأبرشهر يقاتل بحير بن ورقاء الصرمي صريم بن الحارث ؛ فكتب عبد الملك بن مروان إلى ابن خازم مع سورة بن أشيم التميمي : إن لك خراسان سبع سنين على أن تباع لي . فقال ابن خازم لسورة : لولا أن أضرب بين بني سليم وبني عامر لقتلتك ولكن كل هذه الصحيفة ، فأكلها .

قال : وقال أبو بكر بن محمد بن واسع : بل قدِم بعهد عبد الله بن خازم سودة بن عبيد الله التميمي .

وقال بعضهم : بعث عبد الملك إلى ابن خازم سينان بن مكمل الغنوي ، وكتب إليه : إن خراسان طعمة لك ، فقال له ابن خازم : إنما بعثك أبو الذبَّان^(١) لألك من غنني ، وقد علم أني لا أقتل رجلا من قيس ، ولكن كل كتابته .

قال : وكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح أحد بني عوف بن سعد - وكان خليفة ابن خازم على مرو - بعهد على خراسان وعده وثناءه ، فخلع بكير بن وشاح عبد الله بن الزبير ، ودعا إلى عبد الملك بن مروان ، فأجابه أهل مرو ، وبلغ ابن خازم فخاف أن يأتيه بكير بأهل مرو ، فيجتمع عليه أهل مرو وأهل أبرشهر ، فرك بحيرا ، وأقبل إلى مرو يريد أن يأتي ابنه بالترمد ، فأتيه بحير ، فلحقه بقرية يقال لها بالفارسية : شاهمغد ، بينها وبين مرو ثمانية فراسخ .

قال : فقاتله ابن خازم ، فقال مولى لبني ليث : كنت قريبا من معرك

القوم في منزل ، فلما طلعت الشمس نهّيج العسكران ، فجعلتُ أسمع وقع السيوف ، فلما ارتفع النهار خفيت الأصوات ، فقلتُ : هذا لارتفاع النهار ، ٨٣٣/٢ فلما صليت الظهر — أو قبل الظهر — خرجتُ ، فتلقتُني رجلٌ من بني تميم ، فقلتُ : ما الخبر ؟ قال : قتل عدو الله ابن خازم وما هو ذا ، وإذا هو محمول^(١) على بغل ، وقد شدوا في مذكاه حبلًا وحجرًا وعدلوه به على البغل .

قال : وكان الذي قتله وكيع بن عُميرة القريني وهو ابن الدؤيرة ، اعتور عليه بغير بن ورفاء وعمار بن عبد العزيز الجشمي وكيع ، فطعنوه فصرعوه ، فقام وكيع على صدره فقتله ، فقال بعض الولاة لو كيع : كيف قتل ابن خازم ؟ قال : غلبته بفضل القنا ، فلما صرع قعدت على صدره ، فحاول الليام فلم يقدر عليه ، وقلتُ : يا لثارات دؤيلة ! ودؤيلة أخ لو كيع لأمه ، قُتل قبل ذلك في غير تلك الأيام .

قال وكيع : فتختم في وجهي وقال : لعنك الله ! فقتل كيش مضرب ، بأخيك ، علق لابساى كفا من نوى — أو قال : من تراب — فما رأيت أحداً أكثر ريقاً منه على تلك الحال عند الموت .

قال : فذكر ابن هُبيرة يوماً هذا الحديث فقال : هذه واقعة البسالة . قال : وبعث بحير ساعة قتل ابن خازم رجلاً من بني غُدانة إلى عبد الملك ابن مروان يخبره بقتل ابن خازم ، ولم يبعث بالرأس ، وأقبل بكبير بن وشاح في أهل مرو فوافاهم حين قتل ابن خازم ، فأراد أخذ رأس ابن خازم ، فتمعه بحير ، فضربه بكبير بعمود ، وأخذ الرأس وقبده بحيراً وجسه ، وبعث بكبير ٨٣٤/٢ بالرأس إلى عبد الملك ، وكتب إليه يخبره أنه هو الذي قتله ، فلما قدم بالرأس على عبد الملك دعا الغُداني رسول بحير وقال : ما هذا ؟ قال : لا أدري ، وما فارت القوم حتى قُتل ، فقال رجل من بني سليم :

أَلَيْتَنَا بَنِي سَاهُورَ رُدِّي عَلَى الصَّبْحِ وَيَحْكُ أَوْ أَيْبِرِي
كُوا كِبَاهَا زَوَافٍ لَا غِيَاثُ كَانَ سَمَاعُهَا بِيَدِي مُدِيرِ

تَلَوُّمٌ عَلَى الْحَوَادِثِ أُمُّ زَيْدٍ وَهَلْ لِلثَّقِيفِ الْحَوَادِثُ مِنْ نَكِيرٍ !
 جَهْلُنْ كَرَامَتِي وَصَدَدَنْ عَنِّي إِلَى أَجَلٍ مِنَ الدُّنْيَا قَصِيرٍ
 فَلَوْ شَهِدَ الْقَوَارِيسُ مِنْ سُلَيْمٍ غَدَاةً يُطَافُ بِالْأَسَدِ الْعَقِيرِ
 لَنَازَلَ حَوْلَهُ قَوْمٌ كِرَامٍ فَخَزَّ الْوَتَرُ فِي طَلَبِ الْوُثُورِ
 فَقَدْ بَقِيَتْ كَلَابٌ نَابِحاتٌ وَمَا فِي الْأَرْضِ بِعَدْلِكَ مِنْ زَبِيرٍ
 فَوَيْلُ الْحَيِّجِ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ .

وكان العامل على المدينة طارق مولى عثمان من قبيل عبد الملك ، وعلى الكوفة
 بشر بن مروان ، وعلى قضائها عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود .
 وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى قضائها هشام
 ابن هبيرة . وعلى خراسان في قول بعضهم عبد الله بن خازم السلمي ،
 وفي قول بعض : بكير بن وشاح . وزعم من قال : كان على خراسان
 في سنة اثنتين وسبعين عبد الله بن خازم أن عبد الله بن خازم إنما قتل
 بعد ما قتل عبد الله بن الزبير ، وأن عبد الملك إنما كتب إلى عبد الله بن خازم
 يدعوه إلى الدخول في طاعته على أن يطعمه خراسان عشر سنين بعد ما قتل
 عبد الله بن الزبير ، وبعث برأسه إليه ، وأن عبد الله بن خازم حلف لـ
 ورد عليه رأس عبد الله بن الزبير ألا يعطيه طاعة أبدا ، وأنه دعا
 بطست ففسل رأس ابن الزبير ، وحشطه وكفنه ، وصلى عليه ، وبعث به
 إلى أهل عبد الله بن الزبير بالمدينة ، وأطعم الرسول الكتاب ، وقال : لولا أنك
 رسول لضربت عنقك . وقال بعضهم : قطع يديه ورجليه وضرب عنقه .

٨٣٥/٢

فصل نذكر فيه الكتاب من بده أمر الإسلام^(١)

روى هشام وغيره أن أول من كتب من العرب حرب بن أمية بن
 عبد شمس بالعريية ، وأن أول من كتب بالفارسية بيوراسب ، وكان في
 زمان إدريس . وكان أول من صنف طبقات الكتاب وبيّن منازلهم لهراسب
 ابن كاوغان بن كيموس .

وحكى أن أبرويز قال لكاتبه : إنما الكلام أربعة أقسام :
سؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ، وأمرك بالشيء ، ونهيك عن ٨٣٦/٢
الشيء ، فهذه دعائم المقالات إن التمس لها خامس لم يوجد ، وإن نقص
منها رابع لم تنم ، فإذا طلبت فأسجح ، وإذا سألت فأوضح ، وإذا أمرت
فأحسم ، وإذا أخبرت فحقت .
وقال أبو موسى الأشعري : أول من قال : أما بعد داود ، وهي فصل
الخطاب الذي ذكره الله عنه .
وقال الهيثم بن عدي : أول من قال : أما بعد قس بن ساعدة
الإيادي .

أسماء من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم
على بن أبي طالب عليه السلام وعثمان بن عفان ، كانا يكتبان الوحي ؛
فلن غابا كنه أبي بن كعب وزيد بن ثابت .
وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين
يديه في حوائجه .
وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يثوث والبلاء بن عتبة يكتبان بين
القوم في حوائجهم ، وكان عبد الله بن الأرقم ربما كتب إلى الملك عن النبي
صلى الله عليه وسلم .

[أسماء من كان يكتب للخلفاء والولاة]

وكتب لأبي بكر عثمان ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن الأرقم
وعبد الله بن خليف الخزاعي ، وحظلة بن الربيع .
وكتب لعمر بن الخطاب زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الأرقم ،
وعبد الله بن خليف الخزاعي أبو طلحة الطلحات على ديوان البصرة ،
وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبييرة بن الضحاك الأنصاري .
وقال عمر بن الخطاب لكتابه وعمله : إن القوة على العمل ألا .

تَوَخَّرُوا عَلَى الْيَوْمِ لَعَدَ ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُضِيَ ذَلِكَ تَذَاءَبْتُمْ^(١) عَلَيْكُمْ الْأَعْمَالُ ،
٨٣٧/٢ فَلَا تَدْرُونَ بِأَيِّهَا تَبْدَمُونَ ، وَأَيُّهَا تَأْخُذُونَ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دُونَ الدَّوَّالِيِّينَ
فِي الْمَرْبِ فِي الْإِسْلَامِ .

وكان يكتب لعثمان مروان بن الحَكَم ، وكان عبدُ الملك يكتب له
على ديوان المدينة ، وأبو جَبْرِ الأَنْصَارِيُّ على ديوان الكوفة ، وكان أبو غطفان
ابن عوف بن سعد بن دينار من بني دُهْمَانَ من قيس عَيْلَانَ يكتب له ،
وكان يكتب له أَيْبُ مَوْلَاهُ ، وَحِرَانُ^(٢) مَوْلَاهُ .

وكان يكتب لعلّٰى عليه السلام سعيد بن نُمَيْرَانَ المَعْدَانِيَّ ، ثُمَّ وَلِيَ
قَضَاءَ الْكُوفَةِ لَابِنَ الزَّيْرِ . وكان يكتب له عبد الله بن مسعود ، وَرَوَى أَنَّ
عبد الله بن جَبْرِ كَتَبَ لَهُ . وكان عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ أَبِي رَافِعٍ يكتب له . واختلف
في اسم أبي رافع ، ف قيل : اسمه إبراهيم ، وقيل : أسلم ، وقيل : سنان ، وقيل :
عبد الرحمن .

وكان يكتب لمعاوية على الرسائل عبيد^(٣) بن أَوْسِ الْغَسَّانِي .
وكان يكتب له على ديوان الْخُرَاجِ سَرْجُونُ بنُ مَنْصُورِ الرَّوِّي . وكتب له
عبدُ الرحمن بنُ دَرَّاجٍ ، وَهُوَ مَوْلَى مَعَاوِيَةَ ، وَكَتَبَ عَلَى بَعْضِ دَوَائِيهِ
عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ نَصْرِ بْنِ الْحِجَاجِ بْنِ عِلَاءِ السُّلَمِيِّ .

وكان يكتب لمعاوية بن يزيد الرِّيَّانُ بنُ مُسْلِمٍ ، وَيَكْتُبُ لَهُ عَلَى
الدِّيَّانِ سَرْجُونُ . وَيُرَوَّى أَنَّهُ كَتَبَ لَهُ أَبُو الزَّعِيرِزَّة .

وكتب لعبد الملك بن مروان قبيصة بن ذؤيب بن حَكَمَةَ الْخَزَاعِيِّ ،
وَيَكْتُبُ أَبَا إِسْحَاقَ . وَكَتَبَ عَلَى دِيَّانِ الرِّسَالِ أَبُو الزَّعِيرِزَّة^(٤) .
مَوْلَاهُ .

وكان يكتب للوليد الْقَعْقَاعُ بنُ خَالِدٍ - أَوْ خُلَيْدِ الْعَبْسِيِّ ، وَكَتَبَ لَهُ عَلَى
دِيَّانِ الْخُرَاجِ سَلِيحَانُ بنُ سَعْدِ الْخُسَيْسِيِّ ، وَعَلَى دِيَّانِ الْخَاتَمِ شُعْبُ

(١) تَذَابَتِ الْأَعْمَالُ : اجْتَمَعَتْ وَقَرَأَتْ .

(٢) ط : « حمران » ، وانظر الفهرس .

(٣) ط : « عبيد الله » ، وانظر الفهرس .

(٤) ب : « الزعيرزة » .

العُمَاسِيُّ مَوْلَاهُ ، وَعَلَى دِيوَانِ الرِّسَالِ جَنَاحُ مَوْلَاهُ ، وَعَلَى الْمُسْتَغَلَّاتِ نُفَيْجُ بْنُ دُرَّيْبٍ مَوْلَاهُ .
٨٣٨/٢

وكان يكتب لسليان سليانُ بنُ نعيم الحِمْيَرِيّ .

وكان يكتب لمسلمة جميع مولاة ، وعلى ديوان الرسائل الليث بن أبي ربيعة
مولى أمّ الحكم بنت أبي سفيان ، وعلى ديوان الخراج سليانُ بنُ سعد
الخُشَنَسِيّ ، وعلى ديوان الخاتم نعيمُ بنُ سلامة مولى لأهل اليمن من
فلسطين ؛ وقيل : بل رجاء بن حيوة كان يتقلد الخاتم .

وكان يكتب ليزيد بن المهلب المغيرة بن أبي فرقة .

وكان يكتب لعمر بن عبدالعزيز الليث بن أبي ربيعة^(١) مولى أمّ الحكم
بنت أبي سفيان ، ورجاء بن حيوة . وكتب له إسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير ،
وعلى ديوان الخراج سليانُ بنُ سعد الخُشَنَسِيّ ، وتقلد مكانه صالح بن
جبير الفسافي - وقيل : القدافي - وعدى بن الصباح بن المثنى ، ذكر
الميم بن عدى أنه كان من جيلة كتابه .

وكتب ليزيد بن عبد الملك قبل الخلافة رجل يقال له يزيد بن عبد الله ،
ثم استكتب أسامة بن زيد السُلَيْمِيّ .

وكتب هشام سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الكلبي الأبرش ،
ويكنى أبا مخاشع ، وكان نصر بن سيار يتقلد ديوان خراج خراسان
لهشام . وكان من كتابه بالرصافة شعيب بن دينار .

وكان يكتب للوليد بن يزيد بكير بن الشماخ : وعلى ديوان الرسائل سالم
مولى سعيد بن عبد الملك ، ومن كتابه عبد الله بن أبي عمرو ، ويقال :
عبد الأعلى بن أبي عمرو ، وكتب له علي الحضرة عمرو بن عتبة .
٨٣٩/٢

وكتب ليزيد بن الوليد الناقص عبد الله بن نعيم ، وكان عمرو
ابن الحارث مولى بني جُمَحٍ يتولى له ديوان الخاتم ، وكان يتقلد له ديوان

(١) ط : « ابن أبي فرقة » ، وانظر تصويبات ط .

الرسائل ثابت بن سليمان بن سعد الخثمي - ويقال الربيع بن عرعة الخثمي - وكان يتقلد له الخراج والديوان الذي للخاتم الصغير النضرب بن عمرو من أهل اليمن .

وكتب لإبراهيم بن الوليد ابن أبي جمعة ، وكان يتقلد له الديوان بفلسطين ، وبائع الناس لإبراهيم - أعني ابن الوليد - سوى أهل حمص ، فإنهم بايعوا مروان بن محمد الجعدي .

وكتب لمروان عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامري ، ومصعب بن الربيع الخثمي ، وزباد بن أبي الورد . وعلى ديوان الرسائل عثمان بن قيس مولى خالد القسري . وكان من كتابه مخلد بن محمد بن الحارث - ويكنى أبا هاشم - ومن كتابه مصعب بن الربيع الخثمي ، ويكنى أبا موسى . وكان عبد الحميد بن يحيى من البلاغة في مكان مسكين ، وما اختير له من الشعر :

تَرَحَّلَ مَا لَيْسَ بِالْقَافِلِ وَأَعْقَبَ مَا لَيْسَ بِالزَّائِلِ
فَلَهْفَى عَلَى الْخَلْفِ النَّازِلِ وَلَهْفَى عَلَى السَّلَفِ الرَّاحِلِ
أَبْكَيْ عَلَى ذَا وَأَبْكَيْ لَذَا بَكَاءَ مُؤَلِّهِ ثَاكِلِ
تُبْكِي مِنْ أَبْنِ لَهَا قَاطِعٍ وَتُبْكِي عَلَى أَبْنِ لَهَا وَاصِلِ
فَلَيْسَتْ تَفْتَرُ عَنْ عَبْرَةٍ لَهَا فِي الضَّمِيرِ وَمِنْ هَامِلِ
تَقَضَّتْ غَوَايَاتُ سُكْرِ الصَّبِيِّ وَرَدَّ الثُّقَى عَنَّا الْبَاطِلِ

٨٤٠/٢

وكتب لأبي العباس خالد بن برمك ، ودفع أبو العباس ابنه ربيعة إلى خالد بن برمك حتى أرضعتها زوجته أم خالد بنت يزيد بلبان بنت لخالد تدعى أم يحيى ، وأرضعت أم سلمة زوجة أبي العباس أم يحيى بنت خالد بلبان ابنتها ربيعة . وقلد ديوان الرسائل صالح بن المهيم مولى ربيعة بنت أبي العباس .

وَكَتَبَ لِأَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ حُمَيْدٍ مَوْلَى حَاتِمِ بْنِ
النُّعْمَانِ الْبَاهِلِيِّ مِنْ أَهْلِ خُرَّاسَانَ ، وَكَتَبَ لَهُ هَاشِمُ بْنُ سَعِيدِ الْجُمُعِيِّ
وَعَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ أَبِي طَلْحَةَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ بِوَسِيطَةٍ . وَرَوَى أَنَّ سَلِيمَانَ بْنَ
عُلْدَةَ كَانَ يَكْتُبُ لِأَبِي جَعْفَرٍ ، وَمِمَّا كَانَ يَتِمَثَّلُ بِهِ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورُ :

وَمَا إِنْ شَفَى نَفْسًا كَأَمْرِ صَرِيحَةٍ إِذَا حَاجَةً فِي النَّفْسِ طَالَ اعْتِرَاضُهَا
وَكَتَبَ لَهُ الرَّبِيعُ . وَكَانَ عُمَارَةُ بْنُ حُصَيْنَةَ مِنْ نُبَلَاءِ الرِّجَالِ ، وَلَهُ :
لَا تَشْكُونَ دَهْرًا صَحَحْتَ بِهِ إِنْ الْغَنَى فِي صِحَّةِ الْجَسْمِ
هَبَكَ الْإِمَامُ أَكُنْتَ مُنْتَفِعًا بِغَضَارَةِ الدُّنْيَا مَعَ السَّقَمِ !
وَكَانَ يَتِمَثَّلُ بِقَوْلِ عَبْدِ بَنِي الْحَسَنِاسِ :

أَيْنَ أُمِّيَّةٍ دَمْعُ الْعَيْنِ مَذْرُوفٌ لَوْ أَنَّ ذَا مِنْكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفٌ (١)
لَا تُبَكِّ عَيْنَكَ إِنْ الذَّهْرُ ذُو غَيْرٍ فِيهِ تَفَرَّقَ ذُو الْإِلْفِ وَمِائِلُ الْوُفِّ
وَكَتَبَ لِلْمُهْدِيِّ أَبُو عُبَيْدٍ اللَّهِ وَأَبَانُ بْنُ صَلْقَةَ عَلَى دِيْوَانِ رَسَائِلِهِ ،
وَعُمَدَةُ بْنُ حُسَيْنِ الْكَاتِبِ عَلَى دِيْوَانِ جُسْنُودِهِ وَيَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ ، وَكَانَ ٨٤١/٢
اتَّخَذَهُ عَلَى وَزَارَتِهِ وَأَمْرِهِ ، وَلَهُ :

عَجِبًا لِتَصْرِيفِ الْأُمُورِ مَجْبَةً وَكَرَاهِيَةً
وَالذَّهْرُ يَلْعَبُ بِالرُّجَا لَ لَهُ دَوَائِرُ جَارِيَةٍ
وَلابنه عبد الله بن يعقوب — وكان له عمدة ويعقوب ، كلامها
شاعرٌ مجيدٌ :

وَزَعِ الْمَشِيبُ شِرَاسَتِي وَغَرَايَ وَمَرَى الْجُفُونَ بِمُسْبَلٍ سَجَامِ

(١) ديوانه ٦٢ ، ٦٣ ؛ وهي أبيات ثلاثة روايتها هناك :

أَيْنَ سُمِيَّةٍ دَمْعُ الْعَيْنِ مَذْرُوفٌ لَوْ أَنَّ ذَا مِنْكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفٌ
الْمَالُ مَا لَكُمُ وَالْعَبْدُ عَبْدُكُمْ فَهَلْ عَذَابُكَ عَنَى الْيَوْمَ مَصْرُوفٌ !
كَأَنَّهَا يَوْمَ صَدَّتْ مَا تَكَلَّمْنَا ظَلِيَّ بَعْضُفَانِ سَاجِي الْطَرَفِ مَطْرُوفٌ

ولقد حَرَصْتُ بَأَن أُوَارِيَ شَخْصَهُ عَنْ مَقْلَى قُرُمْتُ غَيْرَ مَرَامٍ
وَصَبِغْتُ مَا صَبَغَ الزَّمَانُ فَلَمْ يَدُمْ صِبْغِي وَدَامَتْ صِبْغَةُ الْأَيَّامِ
لَا تَبْعِدُنْ شَبِيبَةً ذِيَالَةً فَارْقَنْتُهَا فِي سَالِفِ الْأَعْرَامِ
مَا كَانَ مَا اسْتَصَحَّيْتُ مِنْ أَيَّامِهَا إِلَّا كَبَعْضِ طَوَارِقِ الْأَحْلَامِ
وَلَا بِيَهُ :

طَلَّقَ الدُّنْيَا ثَلَاثًا وَاتَّخَذَ زَوْجًا سِوَاهَا
إِنَّهَا زَوْجَةٌ سَوَاءٌ لَا تُبَالِي مَنْ أَتَاهَا

واستوزر بعده الفَيْضُ بنَ أَبِي صَالِحٍ ، وَكَانَ جَوَادًا .

وكتب للهادي موسى عُبَيْدُ الله بن زياد بن أبي ليلى ومحمد بن حُمَيْدٍ .
وسأل المهديَّ يوماً أبا عُبَيْدٍ الله عن أشعار العرب ، فصنَّفَهَا لَهُ ، فَقَالَ :
أَحْكُمُهَا قَوْلُ طَرَفَةٍ بِنِ الْعَبْدِ : ٨٤٢/٢

أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدٍ^(١)
نَرَى جُثُوثَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا صِفَاتُحُ صُمٍّ مِنْ صَفِيحٍ مَصْمَدٍ^(٢)
أَرَى الْمَوْتَ يَغْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالٍ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ^(٣)
أَرَى الْعَيْشَ كَنْزًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلَةٍ وَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَالْدَّهْرُ يَنْفَدُ
لِعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَحْطَأَ الْفَتَى لِكَالطَّوْلِ الْمُرْخَى وَثِيْبَاهُ بِالْيَدِ^(٤)
وَقَوْلُهُ :

وَقَدْ أَرَانَا كِلَانَا هَمَّ صَاحِبِهِ لَوْ أَنَّ شَيْئًا إِذَا مَا فَاتَنَا رَجَعَا
وَكَانَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ فَفَرَّقَهُ دَهْرٌ يَكْرَهُ عَلَى تَفْرِيقِ مَا جَمَعَا

(١) دِيوَانُهُ ٥٢ : ٥٤ . (٢) الْجُثُوثَانُ ، مَثْنَى جُثُوءٍ ؛ وَهِيَ كِبَايَةُ التُّرَابِ .

(٣) يَتَامُ : يَخْتَارُ ؛ وَكَذَلِكَ يَصْطَفِي . وَعَقِيلَةُ كُلُّ شَيْءٍ : خِيَارُهُ .

(٤) الطَّوْلُ : الْحَبْلُ الَّذِي يَطْوَلُ لِدَايَةِ قَرْمِي بِهِ .

وقول لبید :

أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ مَاذَا يُحَاوِلُ أَنْخَبُ فَيَقْضَى أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ^(١)
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مُحَالَةَ زَائِلٌ
أَرَى النَّاسَ لَا يَدْرُونَ مَا قَدَرُوا أَمْرَهُمْ بَلَى كُلُّ ذِي رَأْيٍ إِلَى اللَّهِ وَائِلٌ

وكقول النابغة الجعدي :

وَقَدْ طَالَ عَهْدِي بِالشَّبَابِ وَأَهْلِهِ وَلَا قِيَتُ رُوعَاتِ تُشْيِبِ النَّوَاصِبِ^(٢)
فَلَمْ أَجِدِ الْإِخْوَانَ إِلَّا صَحَابَةً وَلَمْ أَجِدِ الْأَهْلِينَ إِلَّا مَثَاوِبَا
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ قَدْرُوتُ مُحَارِبًا فَمَا لَكَ مِنْهُ الْيَوْمَ شَيْءٌ وَلَا لِيَا
وَكَقَوْلِ هُدَيْبَةَ بْنِ خَشْرَمَ :

وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَفَنِي وَلَا أَجَازِعٍ مَنْ صَرَفَهُ التَّقَلُّبُ^(٣)
وَلَا أَبْتَنِي الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِي وَلَكِنْ مَتَى أَحْمَلُ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبِي^(٤) ٨٤٣/٢
وَمَا يَعْرِفُ الْأَقْوَامُ لِلدَّهْرِ حَقَّهُ وَمَا الدَّهْرُ مِمَّا يَكْرَهُونَ بِمُعْتَبِرِي
وَلِلدَّهْرِ فِي أَهْلِ الْفَتَى وَتِلَادِهِ نَصِيبٌ كَحَزْزِ الْجَاوِزِ الْمُشْتَبِرِي

وكقول زيادة بن زيد ؛ وتمثّل به عبدُ الملك بن مروان :

تَذَكَّرُ عَنْ شَحْطِ أُمَيْمَةَ فَارْعَوِي لَهَا بَعْدَ لِمَ كَثَارِ وَطُولِ نَحْبِي
وَلِنْ أَمْرًا قَدْ جَرَّبَ الدَّهْرُ لَمْ يَخَفْ تَقَلُّبَ عَصْرِهِ لَغَيْرِ لَبِي
هَلِ الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى رَزِيئَةُ مَالٍ أَوْ فِرَاقُ حَبِيبِي
وَكُلُّ الذِّي يَأْتِي فَأَنْتَ نَسِيَهُ وَلَسْتُ لَشَيْءٍ ذَاهِبٍ بِنَسِيِي

(١) ديوانه ٢٥٤ ، ٢٥٦ .

(٢) أبيات منها في الحملة - بشرح المزدق يرقى ٣٣٥ ، ٣٧٥ ، وأبيات منها أيضاً في

غزاة الأدب البغدادي ٢ : ١٢ ، ١٣ .

(٣) الكامل ٤ : ٨٦ ، مع اختلاف في الرواية . (٤) يده في الكامل :

وَحَرَبْنِي مَوْلَايَ حَتَّى غَشِيَتْهُ مَتَى مَا يَجْرِيكَ ابْنَ عَمِّكَ تَحْرَبُ

وليس بعيداً ما يحيى كمقيل ولا ما مضى من مُفروح بقربيه
وتقول ابن مقيل^(١) :

لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الثَّيَابِ بَكَتْ لَهُ وَالثَّيْبَ أَرَذَلُ هَذِهِ الْأَبْدَالِ
وَالنَّاسَ هَمُّهُمُ الْحَيَاةُ وَلَا أَرَى طَوْلَ الْحَيَاةِ يَزِيدُ غَيْرَ خَيَالِ
وَإِذَا انْفَقَرَتْ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

ووزر له يحيى بن خالد . ووَزَرَ للرَّشيد ابنه جعفر بن يحيى بن خالد ،
فمن مَلِيحِ كلامِهِ : الْخَطُّ سِمَةُ الْحِكْمَةِ ، بِهِ تَفْصَلُ شُدُورُهَا ، وَيُنْظَمُ
مَتَوَرُّهَا . قَالَ ثَمَامَةُ : قُلْتُ لَجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى : مَا الْبَيَانُ ؟ فَقَالَ : أَنْ يَكُونَ
الاسْمُ مُحِيطًا بِمَعْنَاكَ ، مُخْبِرًا عَنْ مَخْرَجِكَ ، مُخْرِجًا مِنَ الشَّرْكَ ، غَيْرِ
مُسْتَعَانَ عَلَيْهِ بِالْفِكْرَةِ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ يَقُولُ :
الدُّنْيَا دُوكٌ ، وَالْمَالُ عَارِيَّةٌ . وَلَنَا بَعْدَ قَبْلِنَا أَسْرَةٌ ، وَفِينَا لِمَنْ بَعْدُنَا عِيرَةٌ .
وَنَأْتِي بِتَسْمِيَةِ بَاقِي كِتَابِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَى الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ ؛ وَالْأَبْيَاتُ مِنْ قَصِيدَةٍ لِلْأَخْطَلِ فِي دِيْوَانِهِ ١٥٩ - ١٦٣ ، وَطَلَمَهَا :

لِمَنْ الدِّيَارُ بِجَابِلِي فَوْعَالٍ دَرَسَتْ وَغَيْرَهَا سِنُونُ خَوَالٍ
وَنَسَبَ الْمَبْرَدُ فِي الْكَامِلِ ٣ : ١٤ الْبَيْتَ الثَّالِثَ إِلَى الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

ذكر الكائن الذي كان فيها من الأمور الجليلة

[خبر مقتل عبد الله بن الزبير]

فمن ذلك مقتل عبد الله بن الزبير .

• ذكر الخبر عن صفة ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر . قال : حدثني إسحاق بن يحيى ، عن عبيد الله بن القبطية ، قال : كانت الحرب بين ابن الزبير والحجاج يبطن مكة سنة أشهر وسبع عشرة ليلة .

قال محمد بن عمر : وحدثني مصعب بن ثابت ، عن نافع مولى بني أسد — وكان عالماً بفتنة ابن الزبير — قال : حصر ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة سنة اثنين وسبعين وقتل لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، وكان حصر الحجاج لابن الزبير ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر : قال : حدثني إسحاق بن يحيى ، عن يوسف بن ماهك ، قال : رأيت المتجنق يرمى به ، فرعلت السماء وبرقت ، وعلا صوت الرعد والبرق على الحجارة ، فاشتمل عليها ، فأعظم ذلك أهل الشام ، فأمسكوا بأيديهم ، ٨٤٥/٢ فرفع الحجاج يرميهم قباؤه ففرزها في منطقتها ، ورفع حجر المتجنق فوضعه فيه ، ثم قال : ارموا ، ورمى معهم . قال : ثم أصبحوا ، فجاءت صاعقة تتبعها أخرى ، فقتلت من أصحابه اثنتي عشرة رجلاً ، فانكسر أهل الشام ، فقال الحجاج : يا أهل الشام ، لا تنكروا هذا فلان ابن تهمامة ، هذه صواعق تهمامة ، هذا القتح قد حضر فأبشروا ، إن القوم يصيبهم مثل ما أصابكم ، فصمكت من الغد . فأصيب من أصحاب ابن الزبير عدة ، فقال الحجاج : ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة ، وهم على خلاف

الطاعة ! فلم تزل الحرب بين ابن الزبير والحجاج حتى كان قبيل مقتله وقد تفرق عنه أصحابه ، وخرج عامة أهل مكة إلى الحجاج في الأمان .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني إسحاق بن عبد الله ^(١) . عن المنذر بن جهم الأسدي ، قال : رأيت ابن الزبير يوم قُتِل وقد تفرق عنه أصحابه ونحله من معه خذلاناً شديداً ، وجعلوا يخرجون إلى الحجاج حتى خرج إليه نحو من عشرة آلاف .

وذكر أنه كان ممن فارقه وخرج إلى الحجاج ابنه حمزة وخبيب ، فأخذاهما معه لأخيهما عائداً ، فدخل على أمه أسماء — كما ذكر محمد بن عمر عن أبي الزناد ، عن حمزة بن سليمان الوالي ، قال : دخل ابن الزبير على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم ، فقال : يا أمه ، خذكني الناس حتى ولدي وأهلي . فلم يبق معي إلا اليسير ممن ^(٢) ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة ، والقوم يعطوني ما أردت من الدنيا ، فما رأيك ؟ قالت : أنت والله يا بني أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له . فقد قُتِل عليه أصحابك ، ولا تُمكن من رقبك يتلعب بها غلمان أمية ، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت ! أهلكك نفسك ، وأهلكك من قُتِل معك . وإن قلت : كنت على حق فلماً وهن أصحابي ضعفت ، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين ، وكم خلودك في الدنيا ! القتل أحسن . فدنا ابن الزبير فقبل رأسها وقال : هذا والله رأيي ، والذي قمت به داعياً إلى بؤس هذا ما ركنت إلى الدنيا . ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمة . ولكنني أحببت أن أعلم رأيك ، فزدني ^(٣) بصيرة مع بصيرتي . فانظري يا أمه فإني مقتول من بؤس هذا ، فلا يشتد حزني ، وسكسي الأمر لله ، فإن ابنك لم يتعمد إتيان ^(٤) منكراً ، ولا عملاً بفاحشة ، ولم يجز في

(١) ط : « عيده » ، ورواه من أ . (٢) ب : « بين » ، أ ، ف : « من » .

(٣) ب ، ف : « فقد زدني » . (٤) ب ، ف : « لئلا » .

حكم الله ، ولم يقدر في أمان ، ولم يعتمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته ، ولم يكن شيء أكثر عندي^(١) من ٨٤٧/٢ رضا ربي . اللهم إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي ، أنت أعلم بي ، ولكن أقوله تعزية لأخي لتسلو عني . فقالت أمه : إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسنة إن تقدمتني ، وإن تقدمتني في نفسي ، أخرج حتى أنظر إلى ما يصير أهلك . قال : جزاك الله يا أمه خيرا ، فلا تدعي الدعاء لي قبل وبعد . فقالت : لا أدعه أبدا ، فن قتل على باطل فقد قُتِلت على حق . ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل ، وذلك التعب والظلمة في حواجر المدينة ومكة ، وبره بأبيه وبني . اللهم قد سلمته لأمرك فيه ، ورضيت بما قضيت ، فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين^(٢) .

قال مصعب بن ثابت : فامكث بعده إلا عشرا ، ويقال : خمسة أيام .

قال محمد بن عمر : حدثني موسى بن يعقوب بن عبد الله ، عن عمه قال : دخل ابن الزبير على أمه وعليه الدرع والمخفر ، فوقف فسلم ، ثم دنا فتناول يدها فقبلها^(٣) . فقالت : هذا وداع فلا تبعد ، قال ابن الزبير : جئت مودعا ، إني لأرى هذا آخر يوم من الدنيا يمر بي ، واعلمي^(٤) يا أمه أني إن قُتِلت فإنما أنا لحم لا يضرني ما صنع بي : قالت : صدقت يا بني ، أتمم على بصيرتك ، ولا تمكث ابن أبي عقیل منك ، وادن مني أودعك ، فلدنا منها فقبلها وعانقها ، وقالت حيث مسست الدرع : ما هذا ٨٤٨/٢ صنيع من يريد ما تريد ! قال : ما لبست هذا الدرع إلا لأشد منك ، قالت المجوز : فإنه لا يشد مني ، فتزعها ثم أدرج كميه ، وشد أسفل قميصه ، وجبة خز تحت القميص فأدخل أسفلها في المنطقة ، وأمه تقول : البس ثيابك مشمة . ثم انصرف ابن الزبير وهو يقول :

(١) ب ، ف : « عندي أكثر » . (٢) ب ، ف : « الشاكرين الصابرين » .

(٣) ف : « يدها فقبلها » . (٤) ب : « وأعلم » .

إِنِّي إِذَا أَعْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ
فسمعت المعجوزَ قوله، فقالت : تَصَبَّرْ واللهِ إِن شاء الله، أبوك أبو بكر
والزبير، وأمالك صفيّة بنتُ عبد المطلب .

حدثني الحارث، قال : حدثني ابنُ سعد، قال : أخبرني محمدُ بنُ
عمر، قال : أخبرنا ثورُ بنُ يزيدَ، عن شيخٍ من أهلِ حمصَ شهد
وقعة ابن الزبير مع أهل الشام، قال : رأيته يوم الثلاثاء وإِنَّا لنطلع عليه أهل
حمصَ خمسمائةَ خمسمائةَ من باب لنا نلخله ، لا يدخله غيرنا ، فيخرج
إلينا وحده في أثرنا ، ونحن منهزمون منه ، فما أنسى أرجوزةً له :

إِنِّي إِذَا أَعْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ يَوْمِيهِ الْحُرُّ
• إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ •

فأقول : أنتَ والله الحرُّ الشريف ، فلقد رأيته يقف في الأبطح ما يدنو
منه أحدٌ حتَّى ظننَّا أَنَّهُ لا يقتل .

حدثني الحارث، قال : حدثنا ابنُ سعد، قال : أخبرنا محمدُ بنُ
عمر، قال : حدثنا مصعب بن ثابت، عن نافع مولى بني أسد ، قال :
رأيتُ الأبوابَ قد سُحِنَتْ من أهل الشام يوم الثلاثاء ، وأسلم أصحابُ ابن
الزبير المحارس ، وكثرهم القومُ فأقاموا على كلِّ باب رجالاً وقائدًا وأهل بلد ،
فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة ، ولأهل دِسْتَق باب بني
شَيْبَةَ ، ولأهل الأَرْدُنَّ باب الصفا ، ولأهل فلسطين باب بني جُمَح ،
ولأهل قِنَسْرِينَ باب بني سَهْم ، وكان الحجاج طارِق بن عمرو جميعاً
في ناحية الأبطح إلى المروة ، فرّة يحمِل ابنُ الزبير في هذه الناحية ، ومرة
في هذه الناحية ، فلسكانه أسدٌ في أجمة ما يُقدِّم عليه الرجال ، فيعدون أثر
القوم وهم على الباب حتَّى يُخْرِجَتَهُمْ وهو يرتجز :

إِنِّي إِذَا أَعْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ يَوْمِيهِ الْحُرُّ
ثم يصيح : يَا أَبَا صَفْوَانَ^(١) ، ويلُ أمه فتحمًا لو كان له رجال !

(١) : هـ أباصفوان هـ وهو عبد الله بن صفوان وانظر ص ١٩٢ .

• لو كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَهَيْئَتِهِ ^(١) .

قال ابن صفوان : إى والله وألف .

حدثني الحارث، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بنُ عمر ، قال : فحدثني ابنُ أبي الزناد وأبو بكر بنُ عبد الله بنِ مصعب ، عن أبي المنذر ^(٢) . وحدثنا نافع مولى بنى أسد ، قال : لما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبعمائة من جماداتى الأولى سنة ثلاث وسبعين وقد أخذ الحجاجُ على ابن الزبير بالأبواب ، بات ابنُ الزبير يصلّى عامة الليل ، ثم احتبى بمحائل ^{٨٥٠/٢} سيفه فأغنى ، ثم اتبته بالفجر فقال : أذن يا سعد ، فأذن عند المقام ، وتوضأ ابنُ الزبير ، وركع ركعتي الفجر ، ثم تقدّم ، وأقام المؤذن فصلّى بأصحابه ، فقرأ ﴿ ن وَالْقَلَمِ ﴾ حرفاً حرفاً ، ثم سلم ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

اكشفوا وجوهكم حتى أنظر، وعليهم المغافر والعمائم، فكشفوا وجوههم فقال : يا آل الزبير ، لو طيستم لى أنفسكم عن أنفسكم كنّا أهل بيت من العرب اصطلمنا فى الله لم تصبنا زبائن بثة . أمّا بعد يا آل الزبير ، فلا يرعكم وقع السيوف ، فلانى لم أحضر موطننا قطّ إلا ارتشئت فيه من القتل ، وما أجد من أدواء جراحها أشدّ ممّا أجد من ألم وقعها . صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم ، لا أعلم امرأ كسّر سيفه ، واستبقى نفسه ، فإنّ الرّجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل ، غصوا أبصاركم عن البارقة ، وليستفعل كل امرئ قيرنه ، ولا يلهيكنم السؤال عنى ، ولا تقولن : أين عبدُ الله بنُ الزبير ؟ ألا من كان سائلاً عنى فلانى فى الرّعين الأول .

أبى لابن سلمى أنّه غيرُ خالدٍ مُلاقى المنايا أى صرف تيمماً ^(٣)
فلستُ بمتباعِ الحياة بسبّةٍ ولا مُرتقى من خشية الموت سلماً ^(٤)

(١) لدويد بن زيد ، وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ٢٨ .

(٢) ط : « ابن » وصوابه من ا ، وهو أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي .

(٣) الحسين بن الحمام المرى ، من المفضلة ١٢ . (٤) المفضليات : « ولا مبع » .

احملوا على بركة الله .

٨٠١/٢ ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون ، فرمى بأجرة فأصابه في وجهه فأرغش لها ، ودمى وجهه ، فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه ولحيته قال :

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ نَذَى كُلُّمْنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطَّرُ الدِّمَاءُ^(١)

وتعاونوا عليه .

قالا : وصاحت مولاة لنا مجنونة : وأمر المؤمنين ! قالوا : وقد رأته حيث هوى ، فأشارت لهم إليه ، فقتل وإن عليه ثياب خنز . وجاء الخبر إلى الحجاج ، فسجد وصار حتى وقف عليه وطارق بن عمرو ، فقال طارق : ما ولدت النساء أذكر من هذا ؟ فقال الحجاج : تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين ! قال : نعم ، هو أعذر لنا ، ولولا هذا ما كان لنا عذر ، إننا مُحاصرون وهو في غير خندق ولا حصن ولا منعة منذ سبعة أشهر ينتصف منّا ، بل يفضل علينا في كل ما اتفقنا نحن وهو ؛ فبلغ كلامهما عبد الملك ، فصوب طارقاً .

حدثنا عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن رجاله ، قال : كاني أنظر إلى الزبير وقد قتل غلاماً أسود ، ضرب به فرقه ، وهو يمر في حملته عليه ويقول : صبراً يا ابن حام ، في مثل هذه المواطن تصبر الكرام !

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني عبد الجبار بن عمار ، عن عبد الله بن أبي بكر ٨٠٢/٢ ابن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : بعث الحجاج برأس ابن الزبير ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عمار بن عمرو بن حزم إلى المدينة فنصب بها ، ثم ذهب بها إلى عبد الملك بن مروان ، ثم دخل الحجاج

(١) الحسين بن الحسام المزني ، ديوان الحسام - يشرح المروزي ١ : ١٩٢ ، وفي ط : « ولسنا » وأثبت ما في ب ، ف ، وهو يوافق ما في الحسام .

مكة ، فبايع ^(١) من بها من قريش لعبد الملك بن مروان .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة ولّى عبدُ الملك طارقاً مولى عثمانَ المدينة فولّيتها خمسة أشهر .

وفي هذه السنة توفّيَ بيشْرُ بنُ مروانَ في قول الواقدي ، وأمّا غيره فإنه قال : كانت وفاته في سنة أربع وسبعين .

وفيها أيضاً وجّه - فيما ذكر - عبد الملك بن مروان عمرَ بن عبيد الله بن معمرَ لقتال أبي فدّيك ، وأمره أن يتلبّ معه من أحبّ من أهل البَصْرين ، فقدم الكوفة فتلّب أهلها ، فانتلب معه عشرة آلاف ، ثمّ قدّم البصرة فتلّب أهلها ، فانتلب معه عشرة آلاف ، فأخرج لهم أرزاقهم وأعطيتهم ، فأعطوهم . ثمّ سار بهم عمرُ بنُ عبيد الله ، فجعل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة ، وجعل أهل البصرة على الميسرة وعليهم ابن أخيه عمر بن موسى بن عبيد الله ، وجعل خيلَه في القلب ، حتّى انتهوا إلى البحرين ، فصفت عمرُ بنُ عبيد الله أصحابه . وقدّم الرّجالة في أيديهم الرّماح قد ألزموها الأرض ، واستروا بالبراذع ، فحسّل أبو فدّيك وأصحابه حملة رجل واحد ، فكشفوا ميسرة عمرَ بن عبيد الله حتّى ٨٠٣/٢ ذهبوا في الأرض إلا المقيّة بن المهلب وسعّ بن المغيرة ومُجاعة بن عبد الرحمن وفرمان الناس فإنّهم مالوا إلى صفّ أهل الكوفة وهم ثابتون ، وارثتْ عمرُ بن موسى بن عبيد الله . فهو في القتل قد أثخن جراحة . فلما رأى أهل البصرة أهل الكوفة لم ينهزموا تذلّموا ورجعوا وقتلوا وما عليهم أمير حتّى مرّوا بعمر بن موسى بن عبيد الله جريحاً فحملوه حتّى أدخلوه عسكر الخوارج وفيه تبّين كثير فأحرقوه . ومالت عليهم الرّيح . وحمل أهل الكوفة وأهل البصرة حتّى استباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فدّيك . وحصّروهم في المشقّر ، فنزلوا على الحكم ، فقتل عمرُ بن عبيد الله منهم - فيما ذكر - نحواً من ستّة آلاف ، وأسّر ثمانمائة ، وأصابوا جارية أميّة بن عبد الله حبلى من أبي فدّيك وانصرفتوا إلى البصرة .

(١) ب : وبايعه ، ا ، س : وبايع جاء .

وفي هذه السنة عزّل عبدُ الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وولّاها أخاه بشر بن مروان ، فصارت ولايتها وولاية الكوفة إليه ، فمُخصَّ بِبشر لَمّا وُلّي مع الكوفة البصرة إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حرّث . وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة . فهزم الروم .

وقيل : لأنّه كان في هذه السنة وقعةُ عثمان بن الوليد بالروم في ناحية أرمينية وهو في أربعة آلاف والروم في ستين ألفاً ، فهزّمهم وأكثرَ القتلَ فيهم .

٨٥٤/٢ وأقام الحجّ في هذه السنة للناس الحجاج بن يوسف وهو على مكّة واليمن واليمامة ، وعلى الكوفة والبصرة - في قول الواقدي - بشر بن مروان ، وفي قول غيره على الكوفة بشر بن مروان . وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشامُ ابن هبيرة ، وعلى خراسان بكّير بن وشاح .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

[قال أبو جعفر :] فما كان فيها من ذلك عزّل عبد الملك طارق بن عمرو عن المدينة ، واستعماله عليها الحجّاج بن يوسف . فقدّمها - فيها ذكر - فأقام بها شهراً ثمّ خرج معتمراً .

وفيهما كان - فيما ذكر - تنقّض الحجّاج بن يوسف بنيان الكعبة الّذى كان ابن الزبير بناه ، وكان إذ بناه أدخل في الكعبة الحجر ، وجعل لها بابيّين ، فأعادها الحجّاج على بنائها الأوّل في هذه السنة . ثمّ انصرف إلى المدينة في صفر ، فأقام بها ثلاثة أشهر يتعبّث بأهل المدينة ويتعنّتهم ، ويبني بها مسجداً في بني سليمة ، فهو يُنسب إليه .

واستخفّ فيها بأصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فختّم في أعناقهم ، فذكر محمد بن عمران بن أبي ذئب . حدّثه عن رأي جابر بن عبد الله مخمّواً في يده .

وعن ابن أبي ذئب ، عن إسحاق بن يزيد ، أنه رأى أنس بن مالك مخمّواً ٨٠٠/٢ في عنقه ، يريد أن يذّله بذلك .

قال ابن عمر : حدّثني شريحيل بن أبي عون ، عن أبيه ، قال : رأيتُ الحجّاج أرسل إلى سهل بن سعد فدعاه ، فقال : ما منعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفّان ! قال : قد فعلت . قال : كذبت ، ثمّ أمر به فخنق في عنقه برصاص .

وفيهما استنقضى عبد الملك أبا إدريس الخولانيّ - فيما ذكر الواقديّ . وفي هذه السنة شخّص في قول بعضهم يشر بن مروان من الكوفة إلى البصرة والياً عليها .

• • •

[ذكر الخبر عن حرب المهلب للأزارقة]

وفي هذه السنة ولّى المهلب حرب الأزارقة من قبيل عبد الملك

• ذكر الخبر عن أمره وأمرهم فيها :

ولمّا صار يشرّ بالبصرة كتب عبدُ الملك إليه - فيها ذكرَ هشامٍ عن أبي مخنف ، عن يونسَ بن أبي إسحاق ، عن أبيه :

أمّا بعد ، فابعث المهلبَ في أهل مصره^(١) إلى الأزقة ، ولينتخب من أهلِ مصره وجوهم وفُرسانهم وأول الفضل والتجربة منهم^(٢) ، فإنّه أعرف بهم ، وخلفه ورأيه في الحرب ، فإنّي أوثقتُ شيء بتجربته ونصيحته للمسلمين . وابعث من أهل الكوفة بحثاً كثيفاً ، وابعث عليهم رجلاً معروفاً شريفاً ، حسيباً صليفاً ، يُعرف بالبأس والتجندة والتجربة للحرب ، ثمّ أنهض^(٣) إليهم أهلَ الميصرين فليتيحهم أيّ وجهٍ ما توجهوا حتّى يُبيدَهم الله^(٤) ويستأصلهم . والسلام عليك^(٥) . ٨٥٦/٢

فدعا يشرّ المهلبَ فأقرأه الكتاب ، وأمره أن ينتخب من شاء ، فبعث بجُديع بن سعيد بن قبيصة بن سراق الأزدي - وهو خالُ يزيد ابنه - فأمره أن يأتي الديوان فينتخب الناس ، وشقّ على يشرّ أن إمرة المهلبَ جاءت من قبيل عبد الملك ، فلا يستطيع أن يبعث غيره ، فأوغرت صدره عليه حتّى كأنّه كان له إليه ذنب . ودعا يشرّ بنُ مروانَ عبدَ الرحمن بنَ مخنف فبعثه على أهل الكوفة ، وأمره أن ينتخب فُرسانَ الناس وجوهم وأول الفضل منهم والتجندة .

قال أبو مخنف : فحدثني أشياخ الحمى ، عن عبد الرحمن بن مخنف قال : دعاني يشرّ بنُ مروانَ فقال لي : إنك قد عرفت منزلتك مني ، وأمرتك عندي ، وقد رأيتُ أن أولئك هذا الجيش للذي عرفت من جزئك ومقاتك وشرّيك وبأسك ، فكن عند أحسن ظني بك . انظر هذا الكنا كذا - يقع في المهلب - فاستبدّ عليه بالأمر ، ولا تقبلن له مشورة ولا رأياً ، وتنفّضه وقصره .

قال : فترك أن يُوصيني بالجُند ، وقاتل العدو ، والنظر لأهل

(١-١) ب ، ف : • وجوهم وفُرسانهم وأول الفضل والتجربة منهم إلى الأزقة وابتعث من أحب • . (٢) ب ، س : • يبرم • . (٣) بعلها في ف : • ورحة الله وبركاته • .

الإسلام ، وأقبل يُخْرِيقُ بَابِنَ عَمَى كَأَنِّي مِنَ الشَّفَاهِ أَوْ مِمَّنْ يُسْتَصْنَى
وَيُسْتَجْهَلُ ، مَا رَأَيْتُ شَيْخًا مِثْلِي فِي مِثْلِ هَيْئِي وَمَنْزَلَتِي طُمَحَ مِنْهُ فِي
مِثْلٍ مَا طُمَحَ فِيهِ هَذَا الْغُلَامُ مِثِّي ، شَبَّ عَمَرُو عَنْ الطُّوقِ .

قال : وَلَمَّا رَأَى أَنِّي لَسْتُ بِالنَّشِيطِ ^(١) إِلَى جَوَابِهِ قَالَ لِي : مَا لَكَ ؟ قُلْتُ : ٨٠٧/٢
أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! وَهَلْ يَسْعَى إِلَّا إِنْقَازُ أَمْرِكَ فِي كُلِّ مَا أَحْبَبْتَ وَكَرِهْتَ !
قال : امْضِ رَاشِدًا . قال : فَوَدَّعْتُهُ وَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ ، وَخَرَجَ الْمُهَلَّبُ
بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ حَتَّى نَزَلَ رَامَ مَهْرُ مَرْزُوقَتِي بِهَا الْخَوَارِجُ ، فَخَلَقَ عَلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُغْفٍ بِأَهْلِ الْكُوفَةِ عَلَى رِجْلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَعَهُ ^(٢) بِشْرِينَ
جَرِيرٍ ، وَعَلَى رِجْلِ تَمِيمٍ وَهَسْدَانِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ ،
وَعَلَى رِجْلِ كَيْثَنْدَةَ وَرَبِيعَةَ إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، وَعَلَى رِجْلِ مَدْحِجٍ
وَأَسَدُ زَحْرَ بْنِ قَيْسٍ . فَأَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَتَّى نَزَلَ مِنَ الْمُهَلَّبِ عَلَى
مَيْلٍ أَوْ مَيْلٍ وَنَصَفَ . حَيْثُ تَرَامَى الْعَسْكَرَانِ بِرَامَ مَهْرُ مَرْزُ ، فَلَمْ يَلْبِثْ
النَّاسُ إِلَّا عَشْرًا حَتَّى أَتَاهُمُ نَيْبُ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَتَوَفَّى بِالْبَصْرَةِ ، فَأَرَفَضُ
نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَأَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَاسْتَخَلَفَ بِشْرُ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنَ أُسَيْدٍ ، وَكَانَ خَلِيفَتُهُ عَلَى الْكُوفَةِ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ ، وَكَانَ الَّذِينَ انْصَرَفُوا
مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ زَحْرَ بْنَ قَيْسٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ وَمُحَمَّدُ بْنُ
ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ ، فَبَعَثَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنَهُ جَعْفَرًا
فِي أَكْثَرِهِمْ ، فَرَدَّ إِسْحَاقُ وَمُحَمَّدًا ، وَطَانَةَ زَحْرَ بْنَ قَيْسٍ ، فَجَبَّهْمَا يَوْمَئِذٍ ،
ثُمَّ أَخَذَ عَلَيْهِمَا إِلَّا بِفَارِقَاهُ ، فَلَمْ يَلْبِثَا إِلَّا يَوْمًا ^(٣) حَتَّى انْصَرَفَا ، فَأَخَذَا ^(٤) أُخَيْرَ
الطَّرِيقِ ، وَطَلَبَا فَلَمْ يَلْحَقَا ، وَأَقْبَلَا حَتَّى لَحَقَا زَحْرَ بْنَ قَيْسٍ بِالْأَهْوَازِ ،
فَاجْتَمَعَ بِهَا نَاسٌ كَثِيرٌ مِمَّنْ يَرِيدُ الْبَصْرَةَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، ٧٠٨/٢
فَكَتَبَ إِلَى النَّاسِ كِتَابًا ^(٥) وَبَعَثَ رَسُولًا يَضْرِبُ وَجْهَ النَّاسِ وَيُرِدُّهُمْ ، فَقَدِمَ
بِكِتَابِهِ مَوْلَى لَهُ ، فَقَرَأَ الْكِتَابَ عَلَى النَّاسِ ، وَقَدْ جُمِعُوا لَهُ :

(١) ب : ف : « نشيط » . (٢) ب : ف : « وسه » .

(٣) ب : ف : « يومين » . (٤) س : « انصرفوا فاعلوا » .

(٥-٥) ب : ف : « وبعث رسولاً يضرب وجوه الناس ويرددهم » .

بسم الله الرحمن الرحيم ، من خالد بن عبد الله ، إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين . سلامٌ عليكم ، فإنني أحمد الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فإن الله كتب على عباده الجهاد ، وفرض طاعة ولاة الأمر ، فمن جاهد فإنما يجاهد نفسه ، ومن ترك الجهاد في الله كان الله عنه أغنى ، ومن عصى ولاة الأمر والقروم بالحق أسخط الله عليه ، وكان قد استحق العقوبة في بشره ، وعرض نفسه لاستغاثة ماله وإلقاء عطائه ، والتسير إلى أبعد الأرض وشر البلدان . أيها المسلمون ، اعلموا^(١) على من اجترأتم ومن عصيتم ! إنَّه عبدُ الملك بن مروان أميرُ المؤمنين ، الذي ليست فيه غميمة ، ولا لأهل العصية عنده رخصة ، سوطه على من عصى ، وعلى من خالف سيفه ، فلا تجعلوا على أنفسكم سيلاً ، فإنني لم آلكم نصيحة . عباد الله ، ارجعوا إلى مكثيكم^(٢) وطاعة خليفتيكم ، ولا ترجعوا عاصين خالفين فيأتيكم ما تكرهون . أقسم بالله لا أكتف عاصياً بعد كتابي هذا إلا قتلته إن شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله .

وأخذت كلما قرأ عليهم سطراً أو سطرين قال له زحر : أوجز ، فيقول له مولى خالد : والله إنني لأسمع كلام رجل ما يريد أن يفهم ما يسمع . أشهد لا يعرج^(٣) ، بشىء مما في هذا الكتاب . فقال له : اقرأ أيها العبد الأحمر ما أمرت به ، ثم ارجع إلى أهلِكَ ، فإنك لا تدري ما في أنفسنا . ٨٠٩/٢

فلما فرغ من قراءته لم يلفظ الناس إلى ما في كتابه ، وأقبل زحر^(٤) وإسحاق بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن حتى نزلوا قرية لآل الأشعث إلى جانب الكوفة ، وكتبوا إلى عمرو بن حرث :

أما بعد ، فإن الناس لما بلغهم وفاة الأمير رحمة الله عليه تفرقوا فلم يبقَ معنا أحد ، فأقبلنا إلى الأمير وإلى مصرنا ، وأحببنا ألا نلتحل الكوفة إلا بإذن الأمير وعلمه .

(١) ب ، ف : « أتعلمون » . (٢) ب ، ف : « أمكنكم » .

(٣) لا يعرج : لا يكثر . ف ، ب : « لا تخرج فتة إلا كنت رأسها » .

(٤) بسماق ب ، ف : « وأصحاب » .

فكتب إليهم :

أما بعد ، فإنكم تركتم مكتبتكم ^(١) وأقبلتم عاصين مخالفين ، فليس لكم عندنا إذن ولا أمان .

فلما أتاهم ذلك انتظروا حتى إذا كان الليل دخلوا إلى رجالهم ، فلم يزلوا مقيمين حتى قدم الحجاج بن يوسف .

• • •

[عزل بكير بن وشاح عن خراسان وولاية أمية بن عبد الله عليها]
وفي هذه السنة عزل عبد الملك بكير بن وشاح عن خراسان وولاه أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

• ذكر الخبر عن سبب عزل بكير وولاية أمية :

وكانت ولاية بكير بن وشاح خراسان إلى حين قدم ^(٢) أمية عليها واليا ستين في قول أبي الحسن ، وذلك أن ابن خازم قيل سنة ثلاث وسبعين وقدم أمية سنة أربع وسبعين .

وكان سبب عزل بكير عن خراسان أن بحيرا - فيا ذكر على عن الفضل - حبسه بكير بن وشاح لما كان منه فيا ذكرت في رأس ابن خازم ٨٦٠/٧ حين قتله ، فلم يزل محبوبا عنده حتى استعمل عبد الملك أمية بن عبد الله ابن خالد بن أسيد ، فلما بلغ ذلك بكيرا أرسل إلى بحير ليصالحه ، فأبى عليه وقال : ظن بكير أن خراسان تبقى له في الجماعة ! فقتل السفراء بينهم ، فأبى بحير ، فدخل عليه ضرار بن حصين الضبي ، فقال : ألا أراك ما تقف ! يرسل إليك ابن عمك يستعذر إليك وأنت أميره ، والمتشرقي في يده - ولو قتلك ما حبستك فيك عنز - ولا تقبل منه ! ما أنت بموفق ^(٣) . فقبل الصلح ، وأخرج وأنت على أمرك . فقبل مشورته ، وصالح بكيرا ، فأرسل إليه بكير بأربعين ألفا ، وأخذ على بحير ألا يقاتله . وكانت تميم قد اختلفت بخراسان ، فصارت مقاعس والبطون يتعصبون له ، فخاف أهل خراسان أن يعمد الحرب وتفسد البلاد ، ويقهرهم عدوهم من المشركين ، فكتبوا إلى

(١) ب ، ف : ولكتكم . . . (٢) ب ، ف : عزم .

(٣) ب ، ف : بموفق .

عبد الملك بن مروان : إن خُرَّاسان لا تصلح بعد الفتنة إلا على رجل من قريش لا يحدونه ولا يتعصبون عليه ، فقال عبد الملك : خُرَّاسان تُغَرِّ المشرق ، وقد كان به من الشر ما كان ، وعليه هذا التسمي ، وقد تعصب الناس وخافوا أن يصيروا إلى ما كانوا عليه ، فبهِلك الثغر ومن فيه ، وقد سألوا أن أولي أمرهم رجلاً من قريش فيسمعوا له ويطيعوا ، فقال أمية بن عبد الله : يا أمير المؤمنين ، تماركهم برجل منك ، قال : لولا انخيازك عن أبي فُدَيْك كنت ذلك الرجل . قال : يا أمير المؤمنين ، والله ما انحزْتُ حتى لم أجد مقاتلاً ، وخذلتني الناس ، فرأيت أن انخيازني إلى فئة أفضل من تعريض عصبتي بقيت من المسلمين للهلكة ، وقد علم ذلك مَرَار بن عبد الرحمن بن أبي بكره ، وكتب إليك خالد بن عبد الله بما يكفه من عُدِّي - قال : وكان خالد كتب إليه بعذره ، ويخبره أن الناس قد خذلوه - فقال مَرَار : صدق أمية يا أمير المؤمنين ، لقد صبر حتى لم يجد مقاتلاً ، وخذله الناس . فوالله خُرَّاسان ، وكان عبدُ الملك يُحِبُّ أمية ، ويقول : نتيجني ، أي لِدِّي ، فقال الناس : ما رأينا أحداً حَوْض من هزيمة ما حَوْض أمية ، فر من أبي فُدَيْك فاستُحْمِل على خُرَّاسان ، فقال رجل من بكر بن وائل في مجلس بَكَيْر بن شاح :

اَتَتَكَ الْعِيسُ تَنْفَعُ فِي بُرَاهَا تَكْشَفُ عَنْ مَنَاكِهَا الْقَطُوعُ^(١)
كَانَ مَوَاقِعَ الْأَكْوَارِ مِنْهَا^(٢) حَمَامٌ كَنَائِسُ بُقْعٍ وَقُوعُ
بَلْبُيْضُ مِنْ أُمِيَّةٍ مُضَرَجِي كَانَ جَبِينُهُ سَيْفٌ صَنِيعُ^(٣)

ويصحب يومئذ بالسَّجَّ يسأل عن سير أمية ، فلما بلغه أنه قد قارب أبرش شهر قال لرجل من حشم أهل مرو يقال له رُزَيْن - أو زَرِير : دُلِّي

(١) الألفاظ : ١٣ : ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ونسب الشر لعبد الرحمن بن الحكم بن العباس ، وذكر البيت الأول ، ثم الثالث . العيس : الزنقة البيضاء يقال لها شقرة . والبري : جميعية ، وهي جلقة من قفصة أو صفر أو شعر تبطل في أفك البعير . والقطوع : بضم القاف : جمع قطع ، وهو الطعنة تحت الرجل من كثر البعير .

(٢) كلاً في (٢) ، يؤط : والأكوار :

(٣) للمصري : عبد الكرم . والصنيع : السيف الأبيض الملبس .

على طريق قريب لألقى الأمير قبل قدومه ، ولك كذا وكذا ، وأجزل لك العطية ؛ وكان عالماً بالطريق ، فخرج به فصار من السنج إلى أرض سرحس في ليلة ، ثم مضى به إلى نيسابور فواقى أمية حين قلم أبرشهر ، فلقبه فأخبره عن خراسان وما يصلح أهلها وتحسن به طاعتهم ، ويخف على الولي مؤنتهم ، ورفع عن^(١) بكير أموالاً أصابها ، وحذره غدرة .

قال : صار معه حتى قدم مرو ، وكان أمية سيداً كريماً ، فلم يعرض لبكير ولا لعماله ، وعرض عليه أن يوليّه شرطته ، فأبى بكير ، فولأها بسحير بن ورقاء ، فلام بكيراً رجالاً من قومه ، فقالوا : أبيت أن نلي ، فولئ بسحيراً وقد عرفت ما بينكما ! قال : كنت أمس والي خراسان تحمّل الحراب بين يدي ، فأصير اليوم على الشرطة أحمل الحرب !

وقال أمية لبكير : اختر ما شئت من عمل خراسان ، قال : طخارستان ، قال : هي لك . قال : فتجهز بكير وأتقى مالا كثيراً ، فقال بحير لأمية : إن أتى بكير طخارستان خطك ، فلم يزل يحذره حتى حذره ، فأمره بالمقام عنده .

• • •

وَجَّعَ بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف . وكان ولي قضاء المدينة عبد الله بن قيس بن مخزومة قبل شخصه إلى المدينة كذلك ، ذكر ذلك عن محمد بن عمر .

وكان على المدينة ومكة الحجاج بن يوسف ، وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان ، وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة ، ٨٦٢/٢ وقد ذكر أن عبد الملك بن مروان اعتمر في هذه السنة ، ولا تعلم صحة ذلك .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين

ذكرُ الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قيسل
مرعش .

وفي هذه السنة ولّى عبدُ الملك يحيى بن الحكم بن أبي العاص المدينة .

وفي هذه السنة ولّى عبدُ الملك الحجاج بن يوسف العراق دون خراسان
وسجستان .

[ولاية الحجاج على الكوفة وخطبته في أهلها]

وفيها قدّم الحجاج الكوفة . فحدثني أبو زيد ، قال : حدثني محمد
ابنُ يحيى أبو غسان ، عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار
ابن ياسر ، قال^(١) : خرج الحجاج بن يوسف من المدينة حين أتاه كتاب
عبد الملك بن مروان بولاية العراق بعد وفاة بشر بن مروان في اثني عشر
راكباً على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجاءه^(٢) ، وقد
كان بشر بعث المهلب إلى الحرورية ، فبدأ بالمسجد فدخلكه ، ثمّ صعد
المنبر وهو مثلثم بعمامة خزر حمراء ، فقال : على بالناس ، فحسبوه وأصحابه
خارجة^(٣) ، فهمّوا به ، حتى إذا اجتمع إليه الناس قام فكشف عن
وجهه وقال :

أنا ابنُ جَلّاءٍ وطلّاعُ الثّنايا متى أضعَ العِمامةَ تَعْرِفُونِي^(٤)

(١) الخبر مما اقتضت من غلبة الحجاج أورده الملاحظ في البيان والتبيين ٢ : ٣٠٧ - ٣١٠
هذا السند أيضاً ، والمخطبة أيضاً في الكامل ١ : ٣٨٠ - ٣٨٢ ، والمقد ٤ : ١١٩ ، وميزان الأخبار
٢ : ٢٤٢ .

(٢) البيان : « فجاءه » . (٣) البيان : « غوارج » .

(٤) من قصيدة لسميع بن وهيل الرياشي ، رواها الأصبغ في الأصبغيات ٧٣ . (ليبسك) .

أما والله إنني لأحمل^(١) الشر محمله ، وأحذوه بنعله ، وأجزيه بمثله ،
وإني لأرى رموساً قد أينعت وحان قطافها ، وإني لأنظر إلى الدماء بين
العمام واللعن .

• قد شمرت عن ساقها تشميراً^(٢) •

هذا أوان الشد فاشتد زيم قد لفتها الليل يسواق حطم^(٣)
ليس براعى لبيل ولا غنم ولا بجزائر على ظهر وهم^(٤)
قد لفتها الليل بعضلي^(٥) أزوع خراج من النوى
• مهاجر ليس بأعراق •

ليس أوان يكره الخلط جاءت به والقلم الأعلاط •

• تهور هوى سابت القطاط •

وإني والله يا أهل العراق ما غمر كتمان التين^(٦) ، ولا يفتح لي بالشان
ولقد فرت عن ذكاء^(٧) ، وجريت إلى الغاية القصوى^(٨) . إن أمير المؤمنين
عبد الملك نشر كتابته ثم عجم عبدانها فوجئني أمرها عوداً ، وأصلبها ٨٦٥/٢
منكسراً ، فوجهني إليكم ؛ فإنكم طالما أوضعتم^(٩) في الفتنة ، وسنتم سنن
الفي . أما والله لألحونكم لتحو العود ، ولأعصبنكم عصب السلة ،

(١-١) البيان : لأحمل الشر محمله •

(٢) البيان : وقشوا ، القد : وقشري •

(٣) الرزق لرويش بن ريش العبدي ؛ كما في حاشي الكامل واللسان (جلم) ؛ والأغاني
١٥ : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، قال : الشعر لرويش بن ريش العبدي يقول في الحطم ، وهو شريح بن عبيدة .
وكان شريح قد غزا ابن ، فقم وصي ، ثم أخذ حل طريق مقارعة فضل بهم دليلهم ثم هرب منهم ، وهلك
منهم ناس كثير بالطنش ، ويحل الحطم يسوق بأصحابه سوفاً صيفاً حتى نجا ووردها الماء ، قال فيه
رؤيد الرزق مادحاً ، فلقب الحطم بذلك الرزق • (٤) الوهم : كل ما طغ عليه العلم •

(٥) الرزق في اللسان (صلب) . والصلبي : الشديد التقادر على الشيء والصلب •

(٦) البيان : تتهاز التين •

(٧) فر الغاية : كشف عن أسنانه ليروى بذلك عمره . والذكاء : نهاية الشباب وقام السن •

(٨) الثانية : قصبة تنصب في الموضع الذي تكون المسابقة إليه ليأخذها السابق . وفي القند :

« وأجريت إلى الغاية القصوى • (٩) الإيضاع : شرب من السير •

ولأضربنكم ضرب غرائب^(١) الإبل . إني والله لا أعيد إلا وفيت ، ولا أنطق إلا فريت . فإبى وهذه الجماعات قبيلاً وقبلاً ، وما يقول^(٢) ، [و^(٣)] فم أنتم وذلك ؟ والله لتستقيمن على سبيل الحق أولاد عن لكل رجل منكم شغلاً في جسده . من وجئت بعد ثالثة من بعث المهلب سككت دمه ، وأنهت ماله .

ثم دخل منزله ولم يزد على ذلك .

قال : ويقال : إنه لما طال سكوته تناول محمد بن عُمير حصي فأراد أن يحصيه بها ، وقال : قاتله الله ! ما أعياه وأدته ! والله إني لأحسب خبره كرواه . فلما تكلم الحجاج جعل الحصى ينتثر من يده ولا يعقل به ، وأن الحجاج قال في خطبته :

شاهدت الوجه إن الله ضرب (مثلاً قرينة كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون^(٤)) ، وأنتم أولئك وأشباه أولئك ، فاستوقفوا واستقيموا . فوالله لأذيقنكم الهوان حتى تدروا^(٥) ، ولأعصبنكم عصب السلعة حتى تتقادوا ، أقسم بالله لتقبلن على الإنصاف ، ولتدعن الإرجاف ، وكان وكان ، وأخبرني فلان عن فلان ، والمببر وما المببر ! أو لأهبرنكم^(٦) بالسيف هباً يدع النساء أيامي ، والولدان ينامي ، وحتى تمشوا السهمي ، وتقلعوا عن هاهنا . إبى وهذه الزافات ، لا يركبن الرجل منكم إلا وحده . ألا إنه لو سلخ لأهل المصيبة معصيتهم ما جئني في ولا قوتل علو ، ولمعلت الثنور ، ولولا أنهم يهزون كرهاً ما غزوا طوعاً ، وقد بكفتي رقتكم المهلب ، وإقبالكم على مصركم عصاة خالفين ، وإني أقسم لكم بالله لا أجد أحداً بعد ثالثة إلا ضربت عنقه .

(١) الإبل إذا ودعت الماء ودخل فيها غريبة من غيرها ضربت وطردت .

(٢) البيان « ما يقولون » . (٣) من البيان .

(٤) سورة النحل : ١١٢ . (٥) ف : « تألموا الصبيان » .

(٦) ص : ف : « ولا هبرنكم » .

ثُمَّ دَعَا الْعُرَفَاءَ فَقَالَ : الْحَقُّوْا النَّاسَ بِالْمَسْئَلَةِ ، وَأَتُونِي بِالْإِبْرَاءَاتِ بِمَوَاقَاتِهِمْ وَلَا تُخَفِّضَنَّ أَبْوَابَ الْجَسْرِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا حَتَّى تَنْقَضِيَ هَذِهِ الْمُدَّةُ .

تفسير الخطبة : قوله : « أَنَا ابْنُ جَلَّالَةٍ » ، فابنُ جَلَّالِ الصُّبْحِ لِأَنَّهُ يَجْلُو الظُّلُمَةَ . وَالثَّنَابَا : مَا صَغُرَ مِنَ الْجِبَالِ وَنَتَأَ . وَأَيْنَعَ الشَّعْرُ : بَلَغَ إِدْرَاكَهُ . وَقَوْلُهُ : « فَاشْتَدَّ زَيْمٌ » ، فَهِيَ اسْمُ الْحَرْبِ . وَالْحَطَمُ : الَّذِي يَحْطِمُ كُلَّ شَيْءٍ بِسَرٍّ بِهِ . وَالْوَضَمُ : مَا وَقِيَ بِهِ اللَّحْمُ مِنَ الْأَرْضِ . وَالْمَصْلَبِيُّ : الشَّدِيدُ . وَالذَّوِيَّةُ : الْأَرْضُ الْفَضَاءُ الَّتِي يُسَمَّعُ فِيهَا دَوَى أَنْخَافِ الْإِبِلِ . وَالْأَعْلَاطُ : الْإِبِلُ الَّتِي لَا أَرْصَانٍ عَلَيْهَا . أَنْشَدَ أَبُو زَيْدُ الْأَصْمَعِيُّ :

وَأَعْرَوَزَتِ الطُّطُ الْمُرْضَى تَرْكُضُهُ أُمُّ الْفَوَارِسِ بِالْبَيْدَاءِ وَالرَّبِيعَةِ

وَالشَّنَانِ ، جَمَعَ شَنَنَةٌ : الْقِرْبَةُ الْبَالِيَّةُ الْيَابِسَةُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

كَأَنَّكَ مِنْ جِمَالِ بَنِي أَقْيَشٍ يُقَفِّعُ خَطَفَ رَجُلَيْهِ بِشَنٍّ

وقوله : « فَجَسَمَ عِيدَانَهَا » ، أَيْ عَضَّهَا ، وَالْمَجَسَمُ يَفْتَحُ الْجَمِيمَ : حَبَّ ٨١٧/٧ الزَّبِيبِ ، قَالَ الْأَعْمَشِيُّ :

• وَمَقَرَّوْظُهَا كَلْقَبُ الْعَجَمِ •

وقوله : « أَمَرَهَا عَوْدًا » ، أَيْ أَصْلَبَهَا ، يُقَالُ : حَبِلَ مُسَرَّرٌ ، إِذَا كَانَ شَدِيدَ الْفَتْلِ . وَقَوْلُهُ : « لِأَعْيُنِنَا عَصَبُ السَّكَمَةِ » ، فَالْعَصَبُ الْقَطْعُ ، وَالسَّكَمَةُ : شَجَرَةٌ مِنَ الْعِضَاءِ . وَقَوْلُهُ : « لَا أَنْحَلُ إِلَّا فَرِيَّتَ » ، فَالْحَلَقُ : التَّعْدِيرُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (مَنْ مُضَفَّةٌ مُخَلَّقَةٌ وَغَيْرُ مُخَلَّقَةٍ) ^(١) ، أَيْ مَقْدَرَةٌ وَغَيْرُ مَقْدَرَةٍ ، يَعْنِي مَا يَتِمُّ وَمَا يَكُونُ سِقْطًا ، قَالَ الْكُمَيْتُ يَصِفُ قَرِيْبَةً :

لَمْ تَجْنَمْ الْخَالَقَاتُ فَرِيَّتَهَا وَلَمْ يَغْفُضْ مِنْ نَطَاتِهَا السَّرْبُ

(١) سُورَةُ الْحَجَّةِ ، فِي الْأَسْوَدِ : « مِنْ نَفَقَةٍ » ، وَهِيَ غَلَا .

وإنما وصف حواصل الطير ، يقول : ليست كهذه . وصخرة خلكاء ،
أي مكساء ، قال الشاعر :

ويَهْوُ هَوَاءَ فَوْقَ مَوْرِكَائِهِ مِنْ الصَّخْرَةِ الْخَلَاءِ زُخْلُوقُ مَلْعَبٍ
ويقال : فَرِيتُ الأديم إذا أصلحته ، وأفرِيت ، بالالف إذا أنت
أفسدته . والسُّمَهَى : الباطل ، قال أبو عمرو والشَّيبَانِي : وأصله ما تُسميه
العامَّةُ مُحَاظَ الشَّيْطَانِ ، وهو لُحَابُ الشَّمْسِ عند الظُّهيرة ، قال أبو النجِّم
المجلى :

وَذَابَ لِلشَّمْسِ لُحَابٌ فَتَزَلَّ وَقَامَ مِيزَانُ الزَّمَانِ فَاعْتَدَلَ
والزَّوْاقَاتُ : الجماعات . تمّ التفسير .

٨٩٨/٢ قال أبو جعفر : قال عمر : فحدثني محمد بن يحيى ، عن عبد الله بن
أبي عبيدة ، قال : : فلما كان اليوم الثالث سمع تكبيراً في السوق ، فخرج
حتى جلس على المنبر ، فقال :

يا أهلَ العراق ، وأهلَ الشَّامِ والنِّفاق ، وسائرَ الأخلاق ، إني سمعتُ
تكبيراً ليس بالتكبير الذي يراءى الله به في التَّوْبَةِ ، ولكنه التكبير الذي
يُراد به التَّرهيب ، وقد عرفت أنها عِجَاجَةٌ تحتها قَصَفٌ . يا بني اللُّكْبَةِ
وعبيد العصا ، وأبناء الأيكامى ، ألا يَرِيعُ رجلٌ منكم على ظلمه ،
ويُحسنُ حقن دمه ، ويصبر موضع قلمه ! فأقسم بالله لأوشكُ أن أرفعَ
بكم رُفْعَةً تكون نكالا لما قبلها ، وأدباً لما بعدها .

قوله : «تحتها قَصَفٌ» ، فهو شدة الريح . واللُّكْبَاءُ : الرِّهَاءُ ، وهي
الحِمَقَاءُ مِنَ الإِماءِ . وَالظُّلْمُ : الضَّعْفُ وَالْوَهْنُ مِنْ شِدَّةِ السَّيْرِ . وقوله :
«تَهْوَى هَوَى سَابِقِ النُّطَاطِ» ، فالنُّطَاطُ بضم النون : ضربٌ من الطير .
قال الأصمعي : النُّطَاطُ بفتح النون : ضربٌ من الطير ، وأنشد لحسان
ابن ثابت (١) :

يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ الْغَطَاطِ الْمُقْبِلِ^(١)

بفتح الغين، قال : والغطاط بضم الغين : اختلاط الضوء بالظلمة من آخر ٨٦٩/٢ الليل ، قال الراجز :

قَامَ إِلَى أَذْمَاءَ فِي الْغَطَاطِ يَمْشِي بِمِثْلِي قَائِمَ الشُّطَاطِ
تم التفسير .

قال : فقام إليه عُمَيْرُ بْنُ ضَبَّانٍ التَّمِيمِيُّ ثُمَّ الْخَنْظَلِيُّ قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! أَنَا فِي هَذَا الْبَيْتِ ، وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ عَلِيلٌ ، وَهَذَا ابْنِي ، وَهُوَ أَشَبُّ مِنِّي ؛ قَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : عُمَيْرُ بْنُ ضَبَّانٍ التَّمِيمِيُّ ، قَالَ : أَصَحَّحْتَ كَلَامَنَا بِالْأَمْسِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَلَسْتَ الَّذِي غَزَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانَ ؟ قَالَ : بَلَى ؛ قَالَ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : كَانَ حَبَسَ ابْنِي ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا ، قَالَ : أَوَلَيْسَ يَقُولُ :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَبَرَّكْتُ عَلَى عُمَانَ تَبْكِي خَلَاتِلُهُ
إِنِّي لِأَحْسَبُ فِي قَتْلِكَ صَلَاحَ الْمِصْرَيْنِ ، قِمَ إِلَيْهِ يَا حَرَمَى فَاضْرِبْ عَقَبَهُ ؛ فقام إليه رجلٌ فَضَرَبَ عَقَبَهُ ، وَأَنْهَبَ^(٢) مَالَهُ .

ويقال : إِنَّ عَتَبَةَ بْنَ سَعِيدٍ قَالَ لِلْحِجَّاجِ : أَتَعْرِفُ هَذَا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : هَذَا أَحَدُ قَتَلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانَ ؛ فَقَالَ الْحِجَّاجُ : يَا عَلُوُّ اللَّهِ ، أَفَلَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَشْتٌ بَدِيلًا ! ثُمَّ أَمَرَ بِضَرْبِ عَقَبِهِ ، وَأَمَرَ مُنَادِيًا ٨٧٠/٢ فَنَادَى : أَلَا إِنَّ عُمَيْرَ بْنَ ضَبَّانٍ أَتَى بَعْدَ ثَالِثَةٍ ؛ وَقَدْ كَانَ سَمِعَ النَّبَأَ ، فَأَمَرْنَا بِقَتْلِهِ . أَلَا فَإِنَّ ذِمَّةَ اللَّهِ بِرِيَّتِهِ مِمَّنْ بَاتَ اللَّيْلَةَ مِنْ جُنْدِ الْمُهَلَّبِ . فَخَرَجَ النَّاسُ فَازْدَحَمُوا عَلَى الْجَيْسِرِ ، وَخَرَجَتِ الْعُرَقَاءُ إِلَى الْمُهَلَّبِ وَهُوَ بِرَأْسِهِمْ مُزْمَرٌ فَأَخْلَعُوا كَتَبَهُ بِالْمُؤَاوَاةِ ، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ : قَدِمَ الْعِرَاقَ الْيَوْمَ رَجُلٌ ذَكَرَ : الْيَوْمَ قُوَيْلَ الْعَدُوِّ .

قال ابن أبي عبيدة في حديثه : فَغَمِرَ الْجَيْسِرُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ مِنْ مَذْحِجٍ ؛ فَقَالَ الْمُهَلَّبُ : قَدِمَ الْعِرَاقَ رَجُلٌ ذَكَرَ .

(١) البيهقي : « البراءة المقبل » . (٢) أذهب ماله : جله نهباً لغيره .

قال عمر عن أبي الحسن ، قال : لَمَّا قرأ عليهم كتابَ عبد الملك قال القارئ : أَمَّا بعد ، سلامٌ عليكم فإني أحمدُ إليكم الله . فقال له : اقطع ، يا عبيد العصا ، أيسلم عليكم أميرُ المؤمنين فلا يردَّ رادُّ منكم السَّلام ! هذا أدبُ ابنِ نهية^(١) ، أما والله لأؤذبنكم غير هذا الأدب ، أبدأ بالكتاب ، فلَمَّا بلغ إلى قوله : « أما بعد ، سلامٌ عليكم » ، لم يبقَ منهم أحدٌ إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السَّلام ورحمة الله .

قال عمر : حدثني عبدُ الملك بنُ شيبان بن عبد الملك بن ميسع ، قال : حدثني عمرو بن سعيد ، قال : لَمَّا قدم الحجاجُ الكوفة خطبهم فقال : إنكم قد أخطأتم بعسكر المهلب ، فلا يُصيحنَ بعد ثالثة من جُنْدِه أحدٌ ، فلَمَّا كان بعد ثالثة أتى رجلٌ يستدني ، فقال : مَنْ بك ؟ قال : عمر بنُ ضابي البرجسي ، أمرته بالخروج إلى مُسكِّره فضريتُ - وكذَّبَ عليه . فأرسل الحجاجُ إلى عمير بن ضابي ، فأتني به شيخاً كبيراً ، فقال^(٢) له : ما خطفك عن مُسكِّرك ؟ قال : أنا شيخٌ كبيرٌ لا حراك بي ، فأرسلتُ ابني بدلاً فهو أجلد مني جُلْداً ، وأحدث مني سنّاً ، فسلِّ عما أقول لك ، فإن كنتُ صادقاً وإلا فعاقبني . قال : فقال عَنبِسة بنُ سعيد : هذا الذي أتى عَمان قتيلاً ، فلطم وجهه وثبَّ عليه فكسر ضلعين من أضلاعه ، فأمر به الحجاجُ فضربتُ عنقه . قال عمرو بنُ سعيد : فو الله إني لأسير بين الكوفة والحيرة إذ سمعتُ رجلاً مُضرباً ، فعدلتُ إليهم فقلت : ما الخبر ؟ فقالوا : قدَّم علينا رجلٌ من شرِّ أحياء العرب من هذا الحيِّ من ثمود ، أسقفُ الساقين^(٣) ، ممسوحُ الجاعريتين^(٤) ، أخفَشُ العينين^(٥) ، فقدَّم سيده الحيِّ عمير بن ضابي فضرَبَ عنقه .

(١) في زيادات الكامل ١ : ٣٨٢ : « زعم أبو العباس أن ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج » . (٢) ب ، ف : « قال » .

(٣) في اللسان : « والسقف : أن تميل الرجل على وحشيته ووحش الرجل : جانبا .

(٤) الجاعريتان : حرقا الوركين المشرفان على الفخذين ، وفي اللسان : « وفي كتاب عبد الملك

إلى الحجاج : قاتلك الله ، أسود الجاعريتين ! قيل : هما اللذان يبدئان الذنب .

(٥) الخفش : ضعف في البصر مع ضيق في العين .

ولا قُتِلَ الحجاجَ عيرَ بنَ ضابئٍ لقي إبراهيمُ بنَ عامرٍ أحدَ بني غاضرةَ
من بني أسدَ عبدَ الله بنِ الزَّيَّيرِ في السوقِ فسأله عن الخبرِ ، فقال ابنُ
الزَّيَّيرِ :

أَقُولُ لِإِبْرَاهِيمَ لَمَّا لَقِيْتُهُ أَرَى الْأَمْرَ أَتَمَّ مِنْصِباً مُتَشَعِباً^(١)
نَجَّهْزُ وَأَسْرِعُ وَالْحَقُّ الْجَيْشُ لَا أَرَى يَسُوَّى الْجَيْشُ إِلَّا فِي الْمَهَالِكِ مَذْهَباً
تَخَيَّرُ فَلَمَّا أَنْ تَزُورُ ابْنَ ضَابِئٍ عُمَيْرًا وَإِنَّمَا أَنْ تَزُورَ الْمَهْلَبَ
هَمَّا خَطَطْنَا كَرِهَ نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا^(٢) رُكُوبُكَ حَوْلِيَا مِنَ التَّلُجِ أَشْهَبَا^(٣) ٨٧٢/٢
فَحَالَ وَلَوْ كَانَتْ خُرَّاسَانُ دَوْهَ رَأَاهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبَا
فَكَائِنْ تَرَى مِنْ مُكْرِهِ الْعَدُوِّ مُتَمَنِّيًا^(٤) تَحْتَمُّ حِزْبُ السُّرُجِ حَتَّى تَحْتَبَا^(٥)

وكان قدومُ الحجاج الكوفةَ - فيما قيل - في شهر رمضانَ من هذه السنة ،
فوجهَ الحُكَمَاءُ بنُ أيوبَ التَّمَقُّصِيَّ عَلَى الْبَصْرَةِ أميرًا ، وأمره أن يشتدَّ عَلَى
خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فلما بلغ خالداً الخبرُ خرجَ مِنَ الْبَصْرَةِ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا
الْحُكَمَاءُ ، فنزلَ الْجَلَّاحَاءُ وَشِيعَةُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فلم يَبْرَحْ مُصَلِّاهُ حَتَّى
قَسَمَ فِيهِمْ أَلْفَ أَلْفٍ .

وَجِئْتُ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ ٨٧٢/٢
ابْنُ ثَابِتٍ عَنْ حَدَّثِهِ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمِيصٍ ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ . وَوَقَدْ
يَحْيَى بْنُ الْحَكَمِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى
عَمَلِهِ بِالْمَدِينَةِ أَبَانُ بْنُ عُمَانَ ، وَأَمْرُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَحْيَى بْنُ الْحَكَمِ أَنْ يَقْرَعَ عَلَى عَمَلِهِ عَلَى
مَا كَانَ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ . وَعَلَى الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ . وَعَلَى خُرَّاسَانَ

(١) الكامل ١ : ٢٨٣ مع اختلاف في الرواية .

(٢) الكامل : هَمَّا خَطَطْنَا خَفَّ .

(٣) الحول : المهر أتى عليه الحول . وقوله : « مِنْ التَّلُجِ أَشْهَبَا » ، يريد أن لونه أشدَّ شَبَهِةً مِنَ

التَّلُجِ . (٤) ١ : « وَكَائِنْ » . (٥) ١ : « يَحْصِمُ » .

أمية بن عبد الله . وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة زرارة ابن أوى .

وفي هذه السنة خرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة أبا يعفور عروة بن المغيرة بن شعبة ، فلم يزل عليها حتى رجع إليها بعد وقعة رُسْتَبَاد .

[ذكر الخبر عن ثورة الناس بالحجاج بالبصرة]

وفي هذه السنة ثار الناس بالحجاج بالبصرة .

• ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به :

ذكر هشام ، عن أبي مخنف ، عن أبي زهير العيصي ، قال : خرج الحجاج بن يوسف من الكوفة بعد ما قدمها ، وقتل ابن ضائب من فوره ذلك حتى قدم البصرة ، فقام فيها بخطبة مثل التي قام بها في أهل الكوفة ، وتوعدهم مثل وعيده لإيائهم ، فأتى برجل من بني يشكر قليل هذا عاصم ، فقال : إن بني فتقاً ، وقد رأه يشتر فمذرتي ، وهذا عطائي ٨٧٤/٢ مَرْدُود في بيت المال ، فلم يقبل منه وقته ، ففرغ لللك أهل البصرة ، فخرجوا حتى تلاحكوا^(١) على العارض بقنطرة راسهم رُمز ، فقال المهلب : جاء الناس رجل ذكر .

وخرج الحجاج حتى نزل رُسْتَبَاد في أول شعبان سنة خمس وسبعين فثار الناس بالحجاج ، عليهم عبد الله بن الجارود ، قتل عبد الله بن الجارود ، وبعت بيمانية عشر رأساً^(٢) فنصبت براسهم رُمز للناس ، فاشتدت ظهور المسلمين ، وساء ذلك الخوارج ، وقد كانوا رجوا أن يكون من الناس فرقة واختلاف ، فانصرف الحجاج إلى البصرة .

وكان سبب أمر عبد الله بن الجارود أن الحجاج لما ندب الناس إلى

(١) س : « تلاحكوا » ، ولما كان : التزام على المكان ، وفي : « تلاحكوا » ، وفي ط : « تلاحكوا » تصحيف .
(٢) ب ، ف : « وبعت الحجاج ثمانية » .

اللاحاق بالمهلب بالبصرة فشخصوا سار^(١) الحجاج حتى نزل وستباذ قريباً من دَمَسْتَوَى في آخر شعبان معه وجوه أهل البصرة ، وكان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فترسحاً ، فقام في الناس ، فقال : إن الزيادة التي زادكم ابن الزبير في أعطياتكم زيادة فاسق منافق ، ولست أجيزها . فقام إليه عبد الله بن الجارود العبدي فقال : إنها ليست بزيادة فاسق منافق ، ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أثبتتها لنا . فكذب به وتوعده ، فخرج ابن الجارود على الحجاج وتابعه وجوه الناس ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل ابن الجارود وجماعة من أصحابه ، وبعث برأسه ورموس عشرة من أصحابه إلى المهلب ، وانصرف إلى البصرة ، وكتب إلى المهلب وإلى عبد الرحمن ٨٧٥/٢ ابن مخنف : أما بعد ، إذا أتاكم كتابي هذا فانهضوا الخوارج ، والسلام .

• • •

[نفي المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز]

وفي هذه السنة نفي المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز .

• ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهم في هذه السنة :

ذكر هشام عن أبي مخنف ، عن أبي زهير العبيسي ، قال : ناهض المهلب وابن مخنف الأزارقة برامهرمز بكتاب الحجاج إليهما لعشر بقين من شعبان يوم الاثنين سنة خمس وسبعين ، فأجلوهم عن رامهرمز من غير قتال شديد ، ولكنهم زحفوا إليهم حتى أزالوهم ، وخرج القوم كأنهم على حامية ، حتى نزلوا سابور بأرض منها يقال لها كازرون ، وصار المهلب وعبد الرحمن بن مخنف حتى نزلوا بهم في أول رمضان ، فختلف للمهلب عليه ، فذكر أهل البصرة أن المهلب قال لعبد الرحمن بن مخنف : إن رأيت أن تختلف عليك فافعل ، وإن أصحاب عبد الرحمن أبوا عليه وقالوا : إنما خدعنا سيوفنا . وإن الخوارج زحفوا إلى المهلب ليلاً ليبيته ، فوجدوه قد أخذ حذره ، فقالوا نحو عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه لم يختلف ،

(١) ب ، ف : • شخصوا سار • .

فقاتلوه ، فانهزم عنه أصحابه ، فنزل مقاتل في أناس من أصحابه فقتل ، وقتلوا حوله ^(١) ، فقال شاعرهم :

لمن العسكرُ المكلَّلُ بالصَّرْ عى فهُم بين ميّت وقَتيل
فقتلهم تَسْقَى الرياحُ عليهم حاصِبَ الرَّمْلِ بَعْدَ جَرِّ الذُّبُولِ

٨٧٦/٢ وأما أهل الكوفة فإنهم ذكروا أن كتاب الحجاج بن يوسف أتى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف ، أن ناهضاً الخوارج حين يأتيكما كتابي . فناهضاهم يوم الأربعاء لعشر بقين من رمضان سنة خمس وسبعين واقتتلوا قتالاً شديداً لم يكن بينهم فيما مضى قتالٌ كان أشد منه ، وذلك بعد الظهر ، قالت الخوارج بعد ما على المهلب بن أبي صفرة فاضطروه إلى عسكره ، ففرح إلى عبد الرحمن رجلاً من صلحاء الناس ، فأتوه ، فقالوا : إن المهلب يقول لك : إنما عدونا واحد ، وقد ترى ما قد لى المسلمون ، فأمد إنخوانك يرحمك الله . فأخذ يمدّه بالخيـل بعد الخيل ، والرجال بعد الرجال ، فلما كان بعد العصر ورأت الخوارج ما يحيى من عسكر عبد الرحمن من الخيل والرجال إلى عسكر المهلب ظنوا أنه قد خفّ أصحابه ، فجمعوا خمس كتاب أو ستّاً تجاه عسكر المهلب ، وانصرفوا بمحذهم وجميعهم إلى عبد الرحمن بن مخنف : فلما رأهم قد صمدوا له نزل ونزل معه القراء ، عليهم أبو الأحوص صاحب عبد الله بن مسعود ، وخزيمة بن نصر أبو نصر ابن خزيمة العبسي الذي قتل مع زيد بن عليّ وُصِّلَ معه بالكوفة ، ونزل معه من خاصّة قومه أحدٌ وسبعون رجلاً ، وحملت عليهم الخوارج فقاتلتهم قتالاً شديداً . ثم إن الناس انكشفوا عنه ، فبقى في عصابة من أهل الصبر ثبوتاً معه ، وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه إلى المهلب ، فنادى في الناس ليتبعوه إلى أبيه ، فلم يتبعه إلا ناس ^(٢) قليل ، فجاء حتى إذا دفا من أبيه حالت الخوارج بينه وبين أبيه ، فقاتل حتى ارتثته الخوارج ، وقاتل عبد الرحمن بن مخنف ومن معه على تلٍّ مشرف حتى ذهب نحو من ثلثي الليل ، ثم قتل في تلك العصابة ، فلما أصبحوا جاء المهلب حتى

(١) بمعاق ب ، ف : هـ كلم . (٢) ب ، ف : هـ أناس .

أُتاه ، فدفعته وصلى عليه ، وكتب بمُصابه إلى الحجاج ، فكتب بذلك الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، فنعى عبد الرحمن يميني ، وضمَّ أهل الكوفة ، وبعث الحجاجُ على عسكر عبد الرحمن بن غنم عتَّاب بن ورقاء ، وأمره إذا ضمتَّهما الحرب أن يسمَح للمهلب ويطع ، فساء ذلك ، فلم يجد بُدًّا من طاعة الحجاج ولم يتقدَّر على مراجعته ، فجاء حتى أقام في ذلك المسكر ، وقاتل الخوارج وأمره إلى المهلب ، وهو في ذلك يَقْضِي أموره ، ولا يكاد يستشير المهلب في شيء . فلما رأى ذلك المهلب اصطنع رجلا من أهل الكوفة فيهم بسطامُ بن مَصْقِلَة بن هُبيرة ، فأغرامهم بعتَّاب .

قال أبو غنم عن يوسف بن يزيد : إن عتَّابا أتى المهلب بسأله أن يرزق أصحابه ، فأجلسه المهلب معه على مجلسه ، قال : سأله أن يرزق أصحابه سؤالا فيه غِلْظة وتجهُّم ، قال : فقال له المهلب : وإِنَّكَ لها هنا ^{٨٧٨/٢} بَابِنِ السَّخْنَاءِ ! فبنو نعيم يَزْعُمُونَ أَنَّهُ رَدَّ عَلَيْهِ ، وَأَمَّا يَوْسُفُ بْنُ يُزَيْدٍ وَغَيْرُهُ فَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّمَا لِمَعْمَةٍ مُخَوِّلَةٌ ، وَلَوْ دِدْتُ أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ . قال : فجري بينهما الكلام حتَّى ذهب المهلب ليرفع القضيْب عليه ، فوثب عليه ابنه المغيرة ، فقَبَضَ على القضيْب وقال : أصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! شَيْخٌ مِنْ أَشْيَاخِ الْعَرَبِ ، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ ، إِنْ سَمِعْتَ مِنْهُ بَعْضَ مَا تَسْكُرُهُ فَاحْتَمِلْهُ لَهُ ، فَإِنَّهُ لَلَّذِكْ مِنْكَ أَهْلٌ ، ففعل . وقام عتَّاب فرجع من عنده ، واستقبله بسطامُ بنُ مَصْقِلَة يشتمه ، ويقع فيه .

فلما رأى ذلك كَتَبَ إلى الحجاج يشكو إليه المهلب ويُخْبِرُهُ أَنَّهُ قَدْ أَغْرَى بِهِ سَفْهَاءَ أَهْلِ الْمَعْرِ ، ويسأله أن يضمَّه إليه ، فوافق^(١) ذلك من الحجاج حلجةً إليه فبَا لَى أَشْرَافَ الْكُوفَةِ مِنْ شَيْبٍ ، فبعث إليه أن اقدم وأترك أمر ذلك الجيش إلى المهلب ، فبعث المهلب عليه حبيب بن المهلب . وقال حُمَيْدُ بْنُ مُسْلِمٍ يَرَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنَمٍ :

إِنْ يَقْتُلُوكَ أَبَا حَكِيمٍ غُدُوَّةً فَلَقَدْ تَشَدُّ وَتَقْتُلُ الْأَيْطَالَ

سَمَحَ الْخَلِيقَ مَا جَدَا مِفْضَالًا
مَنْ كَانَ يَحْمِلُ عَنْهُمْ الْأَثْقَالَ
يَوْمًا إِذَا كَانَ الْقِتَالُ نِزَالًا ١
حَتَّى تَدْرَعُ مِنْ دَمٍ سِرْبَالًا
بِالْمَشْرِقِيَّةِ فِي الْأَكْفِ نِصَالًا
حِينَ اسْتَبَانُوا فِي السَّمَاءِ هِلَالًا
فَهُنَاكَ نَالَتْهُ الرَّمَا حُ فَمَالًا

أَوْ يُتَكَلَّمُونَ سِيدًا لِمُسَوِّدٍ
فَلْيَمِثِلْ قَتْلَكَ هَذَا قَوْمَكَ كُلَّهُمْ
مَنْ كَانَ يَكْشِفُ غُرْمَهُمْ وَقَتْلَهُمْ
أَقْسَمْتُ مَا نِيلْتُ مَقَاتِلُ نَفْسِهِ
٨٧٩/٢ وَتَنَاجَزَ الْأَبْطَالُ تَحْتَ لَوَائِهِ
يَوْمًا طَوِيلًا ثُمَّ آخَرَ لِيْلِهِمْ
وَتَكْشَفَتْ عَنْهُ الصُّفُوفُ وَخَيْلُهُ

وَقَالَ سُرَّاقَةُ بْنُ مُرْدَاسٍ الْبَارِقِيُّ :

وَكُنَّا كَوَاهِي شَنْتَةٍ مَعَ رَاكِبٍ (١)
فَنُوحًا لِعَيْشٍ بَعْدَ ذَلِكَ خَائِبٍ
عَوَانَتِي مَوْتٍ أَوْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
وَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا لِبَعْضِ الْمَذَاهِبِ
وَعَجَلُ فِي الشُّبَّانِ شَيْبُ الدَّوَائِبِ
وَحَرٌّ عَلَى خَدِّ كَرِيمٍ وَحَاجِبٍ
مِنْ الْأَزْدِ تَمْشِي بِالسَّيْفِ الْقَوَاضِبِ
إِلَى أَهْلِهِ إِنْ كَانَ لَيْسَ بِأَيِّبِ
وَفُرْسَانُ قَوِي قُصْرَةٍ وَأَقَارِبِي (٢)

أَعْيَنْتِي جُودًا بِالدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ
عَلَى الْأَزْدِ لَمَّا أَنْ أَمِيبَ سَرَاتِهِمْ
نُرْجِي الْخُلُودَ بِعِلْمِهِمْ وَتَعْرِفُنَا
وَكُنَّا بِخَيْرٍ قَبْلَ قَتْلِ أَبِي نَخْفٍ
أَمَارَ دُمُوعِ الشَّيْبِ مِنْ أَهْلِ مِصْرِهِ
وَقَاتِلَ حَتَّى مَاتَ أَكْرَمَ مِيتَةٍ
وَضَارِبَ عَنْهُ الْمَارِقِينَ عَصَابَةٍ
فَلَا وَلَدَتْ أَنْثَى وَلَا آتَبَ غَائِبٍ
٨٨٠/٢ فَيَا عَيْنُ بَنَى مِخْنَفًا وَأَبْنَى مِخْنَفٍ

وَقَالَ سُرَّاقَةُ أَيْضًا يَرَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْتَف :

نَوَى سَيْدُ الْأَزْدِينَ أَزْدَ شَنْوَعَةٍ
وَأَزْدَ عُمَانَ رَهْنِ رَمْسٍ بِكَازِرٍ (٣)
وَضَارِبَ حَتَّى مَاتَ أَكْرَمَ مِيتَةٍ
بِأَبْيَضِ صَافٍ كَالْعَمِيقَةِ بَاتِرٍ
وَصُرَّعَ حَوْلَ التَّلِّ تَحْتَ لَوَائِهِ
كَرَامُ الْمَسَاعِي مِنْ كِرَامِ الْمَعَاثِرِ

فَقَضَى نَحْبَهُ يَوْمَ الْقَاءِ ابْنَ مَخْنَفٍ وَأَدْبَرَ عَنْهُ كُلُّ الْوَثِّ ذَاكِرٌ
أَمْدٌ فَلَمْ يُعَدِّدْ فَرَاخَ مُشْتَرَاً إِلَى اللَّهِ لَمْ يَذْهَبْ بِأَثْوَابٍ غَادِرٍ
وَأَقَامَ الْمَهْلَبَ بِسَابُورٍ يَقَاتِلُهُمْ نَحْوًا مِنْ سَنَةٍ .
وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تَحَرَّكَ صَالِحُ بْنُ مُسَرَّحٍ أَحَدُ بَنِي أَمْرِئِ الْقَيْسِ ،
وَكَانَ يَرَى رَأْيَ الصُّفَرِيَّةِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ مِنَ الصُّفَرِيَّةِ .

ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ تَحَرُّكِ صَالِحٍ لِلْخُرُوجِ

وَمَا كَانَ مِنْهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ

ذَكَرَ أَنَّ صَالِحَ بْنَ مُسَرَّحٍ أَحَدَ بَنِي أَمْرِئِ الْقَيْسِ حَجَّ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ
وَمَعَهُ شَيْبُ بْنُ يُزَيْدٍ وَصَوَيْدٌ وَالبَطْنُ وَأَشْبَاهُهُمْ .
٨٨١/٢

وَحَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُرْوَانَ ، فَهَمَّ شَيْبٌ بِالْفَتْكِ بِهِ ،
وَبَلَغَهُ ذَرَّةٌ مِنْ خَبَرِهِمْ ، فَكَتَبَ إِلَى الْحِجَّاجِ بَعْدَ انْصِرَافِهِ بِأَمْرِهِ بِطَلَبِهِمْ ،
وَكَانَ صَالِحٌ بِأَثَى الْكُوفَةِ فَيَقِيمُ بِهَا الشَّهْرَ وَنَحْوَهُ فَيَلْقَى أَصْحَابَهُ لِيَعِدَّاهُمْ ،
فَنَبَتْ بِصَالِحٍ الْكُوفَةُ لَمَّا طَلَبَهُ الْحِجَّاجُ ، فَتَنَكَّبَهَا .

ثم دخلت سنة ست وسبعين

ذكر الكائن من الأحداث فيها

فمن ذلك خروج صالح بن مسرح .

ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرح

وعن سبب خروجه

وكان سببُ خروجه - فيما ذكر هشام ، عن أبي مخنف ، عن عبد الله ابن علقمة ، عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثمي - أن صالح بن مسرح التميمي كان رجلاً ناسكاً مخفياً مصغراً الوجه ، صاحب عبادة ، وأنه كان بداراً وأرض الموصل والخزيرة له أصحاب يُقرئهم القرآن ويفقههم ويقص عليهم ، فكان قبيصة بن عبد الرحمن حدث أصحابنا^(١) أن قصص صالح بن مسرح عنده ، وكان ممن يرى رأيهم ، فسألوه أن يبعث بالكتاب إليهم ، ففعل . ٨٨٢/١

وكان قصصه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْلِلُونَ ﴾^(٢) . اللهم إنا لا نعدل بك ، ولا نخفد إلا إليك ، ولا نعبد إلا إياك ، لك الخلق والأمر ، ومنك النفع والضر ، وإليك الصير . ونشهد أن محمدًا عبدك الذي اصطفتيه ، ورسولك الذي اخترته وارتضيت له لتبليغ رسالاتك ، ونصيحة عبادك ، ونشهد أنه قد بلغ الرسالة ، ونصح للأمة ، ودعا إلى الحق ، وقام بالقسط ، ونصر الدين ، وجاهد المشركين ، حتى توفاه الله صلى الله عليه وسلم . أوصيكم بتقوى الله والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، وكثرة ذكر الموت ، وفراق الفاسقين ، وحب المؤمنين^(٣) ، فإن الزهادة في الدنيا تُرغب العبد فيما

(١) ب ، ف : « يحدث أصحابه » . (٢) سورة الأنعام : ١٠١ .

(٣) ب ، ف : « وحب المؤمنين وفراق الفاسقين » .

عند الله ، وتُغْفَرُ بِلَدْنِهِ لِعَاطَاةِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَثُرَتْ ذِكْرُ الْمَوْتِ يُخَفِّفُ الْعَبْدَ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَسْجُرَ إِلَيْهِ ، وَيَسْتَكِينُ لَهُ ، وَإِنْ فَرَّقَ الْفَاسِقِينَ حَقًّا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَاتَّوَلَّوْا وَمَنْ قَائِمٌ ﴾ ^(١) .
 وَإِنْ حُبَّ الْمُؤْمِنِينَ لِلْسَّبَبِ ^(٢) الَّذِي تُنَالُ بِهِ كَرَامَةُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَجَنَّتُهُ ، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِذَا كُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ الصَّابِرِينَ . أَلَا إِنَّ مِنْ نِعْمَةِ ^(٣) اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُبْعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَعَلَّمَهُم الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَزَكَّاهُمْ وَطَهَّرَهُمْ ^{٨٨٢/٢} وَوَقَّعَهُمْ فِي دِينِهِمْ ، وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رِعَافًا رَحِيمًا ، حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ وَلَّى الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ التَّقِيُّ الصَّدِيقُ عَلَى الرَّضَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَاقْتَدَى بِهَدْيِهِ ، وَاسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ ، حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ — رَحِمَهُ اللَّهُ — وَاسْتَخْلَفَ عَمْرًا ، فَوَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَ هَذِهِ الرِّعْيَةِ ، فَعَمِلَ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَأَحْيَا سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلَمْ يُحْنَقْ فِي الْحَقِّ عَلَى بَجْرَتِهِ ^(٤) ، وَلَمْ يَخَفْ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَأَمٍّ ، حَتَّى لَحِقَ بِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَوَلَّى الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ عُمَانٌ ، فَاسْتَأْذَنَ بِالْفَتَى ، وَعَطَّلَ الْحُدُودَ ، وَجَارَ فِي الْحُكْمِ ، وَاسْتَدْرَكَ الْمُؤْمِنَ ، وَعَزَّزَ الْحَرِيمَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ قَتْلُوهُ ، فَبَرَأَ اللَّهُ مِنْهُ وَرَسُولُهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ^(٥) ، وَوَلَّى أَمْرَ النَّاسِ مِنْ بَعْدِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ حَكَمَ فِي أَمْرِ اللَّهِ الرَّجَالَ ، وَشَكَّ فِي أَهْلِ الضَّلَالِ ، وَرَكَنَ وَأَدْنَى ، فَخَفِنَ مِنْ عَلَى وَأَشْيَاعِهِ بِرَاءً ، فَتَبَسَّرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ لِحُجَّادِ هَذِهِ الْأَحْزَابِ الْمُتَحَزِّبَةِ ، وَأَيُّمَةِ الضَّلَالِ الظُّلْمَةِ وَلِلْخُرُوجِ مِنْ دَارِ الْقَتْلِ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ ، وَاللَّحَاقِ بِإِخْوَانِنَا الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤْمِنِينَ الْبَازِينَ بِأَعْوَالِ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ، وَأَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمُ الْهَاسَ رِضْوَانِ اللَّهِ فِي الْعَاقِبَةِ ، وَلَا تَجْرَعُوا مِنَ الْقَتْلِ فِي اللَّهِ ، فَإِنَّ الْقَتْلَ أَيْسَرُ مِنَ الْمَوْتِ ، وَالْمَوْتُ نَازِلٌ بِكُمْ غَيْرَ مَا تَرْجُمُ الظُّلْمُونَ ، فَمُفَرِّقُ بَيْنِكُمْ وَبَيْنَ آبَائِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ ، وَحَلَالِكُمْ ^{٨٨٤/٢} وَدُنْيَاكُمْ ، وَإِنْ اشْتَدَّ لَلْمَلِكِ كَرْهُكُمْ وَجَزَعُكُمْ . أَلَا فَيُحْيِئُوا اللَّهَ أَنْفُسَكُمْ

(١) سورة التوبة ٨٨ . (٢) ب ، ف : « السبب » .

(٣) ب ، ف : « نعم » . (٤) س : « بجرته » ، ب ، ف : « حربه » .

(٥) ف : « وصالح المؤمنين » .

طائعين وأموالكم تلخبطوا الجنة آمنين ، وتعاينوا الحُور العين ، جعلنا الله ولياً لكم من الشاكرين المداكرين ، الذين يَهْدُونَ بالحق وبه يعدلون .

قال أبو ميخنف: فحدثني عبدُ الله بنُ علقمة ، قال : بينا أصحابُ صالح يَخْتَلِفُونَ إليه إذْ قال لهم ذات يوم : ما أدرى ما تنتظرون ! حتى متى أنتم مقيمون ! هذا الجُور قد فشا ، وهذا العَدْلُ قد عفا ، ولا تزداد هذه الولاةُ على الناس إلا غُلُوراً وَهْشَواً ، وتباعدوا عن الحق ، وجُرأةً على الربِّ ، فاستعدوا وابتغوا إلى إخوانكم الذين يريدون مِن إنكار الباطل والدعاء إلى الحقِّ مثل الذي تريدون ، فيأتوكم فتلتقي وننظر فيما نحن صانعون ، وفي أي وقت إن خرجنا نحن خارجين .

قال : فتراسل أصحابُ صالح ، وتلاقوا في ذلك ، فبينما هم في ذلك إذْ قدِمَ عليهم المَحلَّل بن وائل البَشْكُريُّ بكتاب من شبيب إلى صالح بن مسرح :

أما بعد ، فقد علمتُ أنَّكَ كنت أردتَ الشَّخصي^(١) ، وقد كنت دعوتني إلى ذلك فاستجبتُ لك ، فإن كان ذلك اليوم من شأنك فأنت شيخُ المسلمين ، ولن نعدِّل بك من أحدٍ ، وإن أردت تأخير ذلك اليوم أعلمتني ؛ فإنَّ الأجل غادية ورائحة ، ولا آمن أن نخترسني المنيةُ ولما أجاهد الظالمين . ٨٨٥/٢
فيا لله غيبنا ، وبالله فضلاً مَرُوكاً جَعَلَنَا الله وإيَّاكَ ممن يريد بعمله الله^(٢) ورضوانه ، والنظر إلى وجهه ، ومرافقة الصالحين في دار السلام . والسلام عليك .

قال : فلما قدِمَ على صالح المَحلَّل بن وائل بذلك الكتاب من شبيب كتب إليه صالح :

أما بعد ، فقد كان كتابك وخبرك أبطلًا عني حتى أُمِيتُ ذلك ، ثم إنَّ امرأ من المسلمين نبأني بنيل مُخرجك ومقدِّمك ، فتحمَّد الله على قضاء ربنا . وقد قدِمَ على رسولك بكتابك ، فكل ما فيه قد فهمته ، ونحن

(١) ب ، ف : « الخروج والشخصي » .

(٢) ١ : « بسم الله » ، ويعني ب ، ف : « والله الآخرة » .

في جهاز واستعداد للخروج ، ولم يمنعني من الخروج إلا انتظارك ، فأقبل إلينا ، ثم أخرج بنا متى ما أحببت ، فإنك ممن لا يستغنى عن رأيه ، ولا تفتنى دونه الأمور . والسلام عليك .

فلما قدم على شبيب كتابه بعث إلى نفر من أصحابه فجمعهم إليه ؛ منهم أخوه مصاد بن يزيد بن نعيم ، والحل بن وائل البشكري ، والمقر بن حاتم من بني تميم بن شيبان ، وإبراهيم بن حجر أبو الصغير من بني مُحَكَّم ، والفضل بن عامر من بني ذهل بن شيبان ، ثم خرج حتى قدم على صالح بن مسرح بداراً ، فلما لقّبه قال : أخرج بنا رحمك الله ! فوالله ما تزداد السنة إلا دروساً ، ولا يزداد المحرمون إلا طغياناً . فبث صالح رسله في أصحابه ، وواعدهم الخروج في هلال صفر ليلة الأربعاء سنة ست وسبعين . فاجتمع بعضهم إلى بعض ، وهبوا ، وتيسروا للخروج في تلك الليلة ، واجتمعوا جميعاً عنده في تلك الليلة لبعاده .

٨٨٦/٢

قال أبو مخنف : فحدثني قروة بن لقيط الأزدي ، قال : والله إنّي لسمعت شبيب بالمتأثر إذ حدثنا عن خروجهم ، قال : لما هممنا بالخروج اجتمعنا إلى صالح بن مسرح ليلة خرج ، فكان رأيي استعراض الناس لِمَا رأيتُ من المنكر والمعدوان والفساد في الأرض ، فمضتُ إليه فقلت : يا أمير المؤمنين ، كيف تترى في السيرة في هؤلاء الظلمة؟ أقتلهم قبل الدّعاء ، أم ندعهم قبل القتال ؟ سأخبرك برأى فيهم قبل أن تُخبرني فيهم برأيك ، أما أنا فأرى أن نقتل كل من لا يرى رأينا قريباً كان أو بعيداً ، فلما أخرج على قوم غاوين طاغين باغين قد تركوا أمر الله ، واستحوذ عليهم الشيطان . فقال : لا بل ندعهم ، فلنصرى لا يجيبك إلا من يرى رأيك وليقاتلنك من يزري عليك ، والدّعاء أقطع لحجبتهم ، وأبلغ في الحجة عليهم . قال : فقلت له : فكيف ترى فيمن قاتلنا فظفروا به ؟ ما تقول في دمانهم وأموالهم ؟ فقال : إن قتلنا وغنمنا فلنا ، وإن تجاوزنا وخفونا فوسع علينا ولنا . قال : فأحسن القول وأصاب ، رحمة الله عليه وعلينا .

قال أبو مخنف : فحدثني رجل من بني محلم أن صالح بن مسرح

قال لأصحابه ليلة خرج : اتقوا الله عباد الله ، ولا تعجلوا إلى قتال أحد من الناس إلا أن يكونوا قوماً يريدونكم ، وينصبون لكم ، فإنكم إنمّا خرجتم غضباً لله حيث انتهكت محاربه ، وعصى في الأرض ، فسفكت الدماء بغير حِلِّها ، وأخذت الأموال بغير حقها ، فلا تضيُّوا على قوم أعمالاً ثم تعملوا بها ، فإن كل ما أنتم عاملون أنتم عنه مسئولون ، وإن عظمكم رجالة ، وهذه دواب لعمد بن مروان في هذا الرُّستاق ، فابدءوا بها ، فشدوا عليها ، فاحملوا أراجيلكم ^(١) ، وتقووا بها على عدوكم .

فخرجوا فأخذوا تلك اليلة الدواب فحسكوا رجالاتهم عليها ، وصارت رجالاتها فرساناً ، وأقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلة ، وتحصن منهم أهل دارا وأهل نصيبين وأهل سينجار ، وخرج صالح ليلة خرج في مائة وعشرين - وقيل في مائة وعشرة - قال : وبلغ خرجهم محمد بن مروان وهو يومئذ أمير الجزيرة ، فاستخف بأمرهم ، وبعث إليهم عدى بن عدى بن عُميرة من بني الحارث بن معاوية بن ثور في خمسمائة ، فقال له : أصليح الله الأمير ! أتبخني إلى رأس الخوارج منذ عشرين سنة ! قد خرج معي رجال من ربيعة قد سسموا لي ، كانوا يعازرنا ، الرجل منهم خير من مائة فارس في خمسمائة رجل . قال له : فإني أزيدك خمسمائة أخرى ، فسر إليهم في ألف ، فسار من حران في ألف رجل ، فكان أوك جيش سار إلى صالح وسار إليه عدى ، وكانما يساق إلى الموت ، وكان عدى رجلاً يتنسك ، فأقبل حتى إذا نزل دوخان نزل بالناس وسرح إلى صالح بن مسرح رجلاً دسه إليه من بني خالد من بني الورثة ، يقال له : زياد بن عبد الله ، فقال : إن عبداً بعشى إليك يسألك أن تخرج من هذا البلد وتأتي بلداً آخر فتقاتل أهلها ، فإن عبداً لقاتك كاره ، فقال له صالح : ارجع إليه ، قل له : إن كنت ترى رأيتنا ^(٢) فأرنا من ذلك ما نعرف ^(٣) ، ثم نحن مسلمون عنك من هذا البلد إلى غيره ، وإن كنت جلي رأى الجباة وأئمة السوء ^(٤) رأيتنا رأيتنا ، فإن شئت

(١) ط : « أراجيلكم » ، ونظر ابن الأثير . (٢) يعاقب ، ف : « قاتلتم » .

(٣) ب : ف : « ما نعرف » . (٤) ب : ف : « أئمة » .

بدأنا بك، وإن شئنا رحلنا إلى غيرك . فانهصرف إليه الرسول فأبلغه ما أرسل به ، فقال له : ارجع إليه قتل له : إني والله ما أنا على رأيك ، ولكني أكره قتالك وقاتل غيرك ، قاتل غيري ، فقال صالح لأصحابه : اركبوا ، فركبوا وحبس الرجل عنده حتى خرجوا ، ثم تركه وضى بأصحابه حتى أتى عدلى بن عدلى بن عميرة في سوق دوغان وهو قائم يصلي الضحى ، فلم يشعر إلا ولخيل طالعة عليهم ، فلما بصروها بها تنادوا ، وجعل صالح شبيهاً في كتيبة في مينة أصحابه ، وبعث سويد بن سليم المثلثي من بني شيان في كتيبة في ميسرة أصحابه ، ووقف هو في كتيبة في الثقب ، فلما دنا منهم رآهم على غير تعية ، وبعضهم يحمل في بعض ، فأمر شبيهاً فحمل عليهم ، ثم حمل سويد عليهم فكانت هزيمتهم ولم يقاوتوا ، وأتى عدلى بن عدلى بدابته وهو يصلي فركبها وضى على وجهه ، وجاء صالح ابن مسرح حتى نزل عسكره وحوى ما فيه ، وذهب فل عدلى وأوائل ٨٨٩/٢ أصحابه حتى دخلوا على عمدة بن مروان ، ففتقب ، ثم دعا خالد بن جزة السلمي فبعثه في ألف وخمسمائة ، ودعا الحارث بن جهمونة من بني ربيعة بن عامر بن صعصعة فبعثه في ألف وخمسمائة ، ودعاهما ، فقال : أخرجا إلى هذه الخارجة القليلة الخبيثة ، وجعلنا الخروج ، وأغذا السير ، فأيكما سبق فهو الأمير على صاحبه ، فخرجا من عنده فأغذا السير ، وجعلنا يسألان عن صالح بن مسرح فيقال لهما : إنه توجه نحو أمدة ، فأتبعاه حتى انتهيا إليه ، وقد نزل على أهل أمدة فتزلا ليلاً ، فتحندقا وانتهيا إليه وهما متساندان كل واحد منهما في أصحابه على حدة ، فوجه صالح شبيهاً إلى الحارث بن جهمونة العامري في شطر أصحابه ، وتوجه هو نحو خالد بن جزة السلمي .

قال أبو مخنف : فحدثني السحلمى ، قال : انتهوا إلينا في أول وقت العصر ، فصلى بنا صالح العصر ، ثم عبانا لهم فاقطننا كأنشد فقال اقتله قوم قتل ، وجعلنا والله نرى الظفر يحمل الرجل منا على العشرة منهم فيهمهم ، وعلى العشرين فكلنا ، وجعلت خيلهم لا تكبت لحيلنا .

فلما رأى أميراهم ذلك ترجلاً وأمرأ جُلَّ من معهما فرجل ، فعند ذلك جعلنا لا نقدّر منهم على الذي نريد ، إذا حَمَلْنَا عليهم استقبلتنا رَجَالُهُم بِالرَّماح ، ونَضَحَتَا رِمَاتُهُم بِالنَّبْلِ ، وخيلُهُم تُطَارِدُنَا فِي خِلَالِ ذَلِكَ ، فقاتلناهم إِلَى الْمَسَاءِ ^(١) حَتَّى حَالَ اللَّيْلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، وَقَدْ أَفْشَوْا فِينَا الْجِرَاحَةَ ، وَأَفْشَيْنَاهَا فِيهِمْ ، وَقَدْ قَتَلُوا مِنَّا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، وَقَتَلْنَا مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ ، وَوَاللَّهِ مَا أَسْبَيْنَا حَتَّى كَرِهْنَاهُمْ وَكَرِهُونَا ، فَوْقُنَا مُتَابِلُهُمْ مَا يَقْدُمُونَ عَلَيْنَا وَمَا قَدَّمُوا عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا أَسْوَأَ رَجَعُوا إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَرَجَعْنَا إِلَى عَسْكَرِنَا فَصَلَّيْنَا وَتَرَوَّحْنَا وَأَكَلْنَا مِنَ الْكَبْشَرِ .

ثُمَّ إِنَّ صَالِحًا دَعَا شَيْبَا وَرُومَسَ أَصْحَابِيهِ فَقَالَ : يَا أَخِلَاتِي ، مَاذَا تَرَوْنَ ؟ فَقَالَ شَيْبَاب : أَرَى أَنَا قَدْ لَقِينَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَقَاتَلْنَاهُمْ ، وَقَدْ اعْتَصَمُوا بِخَنَقِهِمْ ، فَلَا أَرَى أَنْ نَقِيمَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ صَالِحٌ : وَأَنَا أَرَى ذَلِكَ ، فَخَرَجُوا مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهِمْ سَائِرِينَ ، فَضَوْا حَتَّى قَطَعُوا أَرْضَ الْخَزِيرَةِ ، ثُمَّ دَخَلُوا أَرْضَ الْمَوْصِلِ فَسَارُوا فِيهَا حَتَّى قَطَعُوهَا وَمَضُوا حَتَّى قَطَعُوا الدَّسْكَرَةَ .

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْحِجَابَ سَرَحَ إِلَيْهِمُ الْحَارِثُ بْنُ عَمِيرَةَ بْنِ ذِي الْمَشَارِ الْهَمْلَانِيَّ فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، أَلْفٌ مِنَ الْقَاتِلَةِ الْأُولَى ، وَالْفَتَنِ مِنَ الْفَرَسِ الَّذِي فَرَضَ لَهُمُ الْحِجَابَ . فَسَارَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الدَّسْكَرَةِ خَرَجَ صَالِحُ بْنُ مَسْرَحَ نَحْوَ جُلُودَاءَ وَخَاتَمَيْنِ ، وَأَتْبَعَهُ الْحَارِثُ ابْنَ عَمِيرَةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا الْمَدْبِجُ مِنْ أَرْضِ الْمَوْصِلِ عَلَى تَخُومِ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَرْضِ جَبْخِي ، وَصَالِحٌ يَوْمُئِذٍ فِي تَسْعِينَ رَجُلًا ، فَفَقِيَ الْحَارِثُ ابْنَ عَمِيرَةَ يَوْمُئِذٍ أَصْحَابِيهِ ، وَجَعَلَ عَلَى مِيسَتِهِ أَبَا الرَّوَاحِ ^(٢) الشَّاكِرِيَّ ، وَحَلَى مِيسَرَتَهُ الزَّيْبَرَ بْنَ الْأَرْوَاحِ التَّمِيمِيَّ ، ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِمْ - وَذَلِكَ بَعْدَ الْعَصْرِ - وَقَدْ جَعَلَ أَصْحَابِيهِ ثَلَاثَةَ كَرَادِيسَ ، فَهُوَ فِي كَرْدُوسَ ، وَشَيْبَابُ فِي كَرْدُوسَ فِي مِيسَتِهِ ، وَسُوَيْلُ بْنُ سَلِيمَ فِي كَرْدُوسَ فِي الْمِيسَرَةِ ، فِي كُلِّ كَرْدُوسَ مِنْهُمْ ثَلَاثُونَ رَجُلًا . ٨٩١/٢

فَلَمَّا شَدَّ عَلَيْهِمُ الْحَارِثُ بْنُ عَمِيرَةَ فِي جَمَاعَةِ أَصْحَابِيهِ انْكَشَفَ سُؤْيِدُ

ابن سليم ، وثبت صالح بن مسرح قَتِيل ، وضارب شبيب حتى صرَّع ، فوقع في رجالة ، فشدَّ عليهم فانكشفوا ، فجاء حتى انتهى إلى موقف صالح ابن مسرح فأصابه قتيلا ، فنادى : إلى يا معشر المسلمين ، فلاذُّوا به ، فقال لأصحابه : ليمجِّل كل واحد منكم ظهره إلى ظهر صاحبه ، وليطاعن عدوه إذا أقدم عليه حتى تدخل هذا الحصن ، ونرى رأيًا ؛ ففعلوا ذلك حتى دخلوا الحصن وهم سبعون رجلا بشبيب ، وأحاط بهم الحارث بن عميرة مُسَيًّا ، وقال لأصحابه : احرقوا الباب ، فإذا صار جَمْرًا فدعوه فإنهم لا يقدرون على أن يخرجوا منه حتى نصبهم فقتلهم . ففعلوا ذلك بالباب ، ثم انصرفوا إلى عسكرهم ، فأشرف شبيب عليهم وطاقفة من أصحابه ، فقال بعض أولئك القترس : يا بني الزواني ، ألم يُخزركم الله ! فقالوا : يا فساق ، نعم فقاتلونا لقتالنا إياكم إذ أحاكمكم الله عن الحق الذي نحن عليه ، فاعذركم عند الله في القترى على أمهاتنا ! فقال لهم حُكَمَاؤُهم ^(١) : إننا هذا من قول شباب فينا سفهاء ، والله ما يُحجينا قولهم ولا نستحلّه . وقال شبيب لأصحابه : يا هؤلاء ، ما تستظفرون ! فوالله لئن صَبَّحكم هؤلاء غدوةً إنَّه ليهلككم ، فقالوا له : مرنا بأمرِك ، فقال لهم : إن الليل أنحق للويل ، يا معزى و من شتم ^(٢) منكم ، ثم اخرجوا ^(٣) بنا حتى نشدَّ عليهم في عسكرهم ، فإنهم لذلك منكم آمنون ، وأنا أرجو أن يتصرَّكم الله ^{٨٩٧/٢} عليهم . قالوا : قابض بلك فلنبايعك ، فبايعوه ، ثم جماعوا ليخرجوا ، وقد صار بابهم جمرًا ، فأتوا باللبود فبلَّوها بالماء ، ثم أقصروها على الجمر ، ثم قطعوا عليها ، فلم يشعر الحارث بن عميرة ولا أهلُ السكرك إلا وشبيب وأصحابه يضرُّونهم ^(٤) بالسيوف في جوف عسكرهم ^(٥) ، فضارب الحارث حتى صرَّع ، واحتملته أصحابه وانهمزوا ، وخطوا لهم السكرك وما فيه ، ووضوا حتى نزلوا اللدائن ، فكان ذلك الجيش أولَ جيش هزمت شبيب ، وأصيب صالح بن مسرح يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى من سنة .

(١) ب ، ف : « حُكَمَاؤُهم » . (٢-٢) ب ، ف : « من أصحابكم واخرجوا » .

(٣) ب ، ف : « يضرُّونهم » . (٤) ب ، ف : « السكرك » .

[خبر دخول شبيب الكوفة وما كان من أمره مع الحجاج]

وفي هذه السنة دخل شبيب الكوفة ومعه زوجته غزالة .

• ذكر الخبر عن دخوله الكوفة وما كان من أمره وأمر الحجاج بها والسبب الذي دعا شبيباً إلى ذلك :

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر هشام ، عن أبي مخنف ، عن عبد الله ابن علقمة ، عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمي - أن شبيباً لما قُتِل صالح بن مسرح بالمبج وباعه أصحاب صالح ، ارتفع إلى أرض الموصل فلقى سلامة بن سيّار بن المضاء التميمي تيم شيان ، فدعاه إلى الخروج معه ، وكان يعرفه قبل ذلك إذ كانا^(١) في الديوان والمغازي ، فاشترط عليه سلامة أن يستخب ثلاثين فارساً ، ثم لا يغيب عنه إلا ثلاث ليال عدداً . ففعل ، فانتخب ثلاثين فارساً ، فانطلق بهم نحو عنترة ، وإنما أرادهم ليشتي نفسه منهم لقتلهم أثناء فضالة ، وذلك أن فضالة كان خرج قبل ذلك في ثمانية عشر نفساً حتى نزل ماء يقال له الشجرة من أرض الجبال ، عليه أثلة عظيمة ، وعليه عنترة ، فلما رأته عنترة قال بعضهم لبعض : نقتلهم ثم نغلو بهم إلى الأمير فنعطى ونحجى ، فأجمعوا على ذلك ، فقال بنو نصر أخواله : لعمرك الله لا نساعدكم على قتل ولدنا . فنهضت عنترة إليهم فقاتلهم فقتلهم ، وأتوا برؤسهم عبد الملك بن مروان ، فلذلك أنزلهم بانيقيا ، وفرض لهم ، ولم تكن لهم فرائض قبل ذلك إلا قليلة ، فقال سلامة بن سيّار ، أخو فضالة يذكركم قتل أخيه وخذلان أخواله إياه :

وَمَا خِلْتُ أَخْوَالَ الْقَتْلِ يُسَلِّمُونَهُ لِيُوقَعَ السِّلَاحُ قَبْلَ مَا فَكَلْتُ نَصْرُ
قال : وكان خروج أخيه فضالة قبل خروج صالح بن مسرح وشبيب .

(١) كلا في ١ ، فوط : • كان • .

فلما بايع سلامةً شيباً اشترط عليه هذا الشرط ، فخرج في ثلاثين فارساً حتى انتهى إلى عترة ، فجعل يقتل المحلّة منهم بعد المحلّة حتى انتهى ٨٩٤/٢ إلى فريق منهم فيهم خاتله ، وقد أكبّت على ابن لها وهو غلام حين احتلم ، فقالت وأخرجت ثديها إليه : أنشدك برحمتك هذا يا سلامة ! فقال : لا والله ، ما رأيت فضالة مذ أناخ بمُمر الشجرة — يعني أخاه — لتقومين عنه ، أو لأجتمعن حافتك بالرمح ، فقامت عن ابنها عند ذلك فقبتله .

قال أبو مخنف : فحدثني المفضل بن بكر من بني تميم بن شيان أن شيباً أقبل في أصحابه نحو راذان ، فلما سمعت به طائفة من بني تميم ابن شيان خرجوا هرباً منه ، ومعهم ناس من غيرهم قليل ، فأقبلوا حتى نزلوا دير خرزاد إلى جنب حوّلأيا ، وهم نحو من ثلاثة آلاف ، وشبيب في نحو من سبعين رجلاً أو يزيدون قليلاً ، فنزل بهم ، فهاجوه وتحصنوا منه . ثم إن شيباً سرى في اثني عشر فارساً من أصحابه إلى أمه ، وكانت في سفح سائده ما نازلة في مظلة من مظال الأعراب : لآتين بأمي فلاجعلنها في عسكري فلا تفارقي أبداً حتى أموت أو تموت . وخرج رجلان من بني تميم بن شيان تخوفاً على أنفسهما فنزلا من الدّير ، فلحقا بجماعة من قومهما وهم نزول بالجلال منهم على مسيرة ساعة من النهار ، وخرج شبيب ، في أولئك الرّهط في أولهم وهم اثنا عشر ، يريد أمه بالسفح ، فإذا ٨٩٥/٢ هو بجماعة من بني تميم بن شيان غارين في أموالهم مقيمين ، لا يرون أن شيباً يمرّ بهم لمكانهم الذي هم به ، ولا يشعر بهم ، فحمل عليهم في فرسانه تلك ، فقتل منهم ثلاثين شيخاً ، فيهم حوثر بن أسد ووبر بن عاصم اللذان كانا نزلا من الدّير ، فلحقا بالجلال ، ومضى شبيب إلى أمه فحملها من السفح ، فأقبل بها ، وأشرف رجل من أصحاب الدّير من بكر بن وائل على أصحاب شبيب ، وقد استخلف شبيب أخاه على أصحابه مصاد بن يزيد ، ويقال لذلك الرجل الذي أشرف عليهم سلام بن حيان ، فقال لهم : يا قوم ، القرآن بيننا وبينكم ، ألم تسموا قول الله : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ .

قالوا : بلى ، قال لهم : فكفّوا عنا حتّى نُصبح ، ثمّ نخرج إليكم على أمان لنا منكم ، لكيلا تعرّضوا لنا بشيء نكرهه حتّى تعرّضوا علينا أمركم هذا ، فإن نحن قبلناه حرّمنا عليكم أموالنا ودمائنا ، وكنا لكم إخوانا ، وإن نحن لم نقبله رددتمونا إلى مأمّتنا ، ثمّ رأيتم رأيكم فيما بيننا وبينكم ؛ قالوا لهم : فهذا لكم . فلما أصبحوا خرجوا إليهم ، فعرض عليهم أصحاب شيب قولهم ، ووصفوا لهم أمرهم ، فقبلوا ذلك كلّهم ، وخالطوهم ، ونزلوا إليهم ، فدخل بعضهم إلى بعض ، وجاء شيب وقد اصطالحوا ،^{٨٩٦/٢} فأخبره أصحابه خبرهم ، فقال : أصبتم ووفّقم وأحسنتم .

ثمّ إن شيباً ارتحل فخرجت معه طائفة وأقامت طائفةً بجانبه ، وخرج يومئذ معه إبراهيم بن حجر الخلمي أبو الصّغير كان مع بني تميم بن شيان نازلاً فيهم ، ومضى شيب في أداني أرض الموصل وتحوّل أرض جوسجى ، ثمّ ارتفع نحو أذربيجان ، وأقبل سفيان بن أبي العالية الخثعمي في خيل قد كان أمر أن يلتحل بها طبرستان ، فأمر بالقول ، فأقبل راجعاً في نحو من ألف فارس ، فصالح صاحب طبرستان .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الله بن علقمة عن سفيان بن أبي العالية الخثعمي أنّ كتاب الحجّاج أتاها : أما بعد ، فسرّ حتّى تنزل الدّسكرة فيمن ملك ، ثمّ أقم حتّى يأتيك جيش الحارث بن عميرة الهمداني بن ذى المشعار ، وهو الذى قتل صالح بن مسرح وخيل المناظر ، ثمّ سير إلى شيب حتّى تنأجزه . فلما أتاها الكتاب أقبل حتّى نزل الدّسكرة ، ونوّدى في جيش الحارث بن عميرة بالكوفة والمدائن : أنّ برئت الدّمة من رجل من جيش الحارث بن عميرة لم يواف سفيان بن أبي العالية بالدّسكرة .

قال : فخرجوا حتّى أتوه ، وأتته خيل المناظر ، وكانوا خمسائة ، عليهم سورة بن أبجر التميمي من بني أبنان بن دارم ، فوافوه إلا نحواً من خمسين رجلاً تخلّفوا عنه ، وبعث إلى سفيان بن أبي العالية ألاّ تبرح المسكر حتّى آتيك . فمَجَل سفيان فارتحل في طلب شيب ، فلم يجده بخانيقين في سقّح جبل على ميمته خازم بن سفيان الخثعمي من بني

عرو بن شهران، وعلى ميسره على بن عميرة الشيباني، وأصحّر لهم شبيب، ثم ارتفع عنهم حتى كأنه يكره لقاءه، وقد أكن له أخاه مصاداً معه خمسون في هزم^(١) من الأرض.

فلما رأوه جمّع أصحابه ثم مضى في سفح الجبل مُشرقاً فقالوا: هرب عدو الله فاتبعوه، فقال لهم على بن عميرة الشيباني: أيها الناس، لا تعجلوا عليهم حتى تضرب في الأرض ونسير بها، فإن يكونوا قد أكنوا لنا كميناً كنا قد حدّ رثاه، وإلا فإن طلبهم لن يفوتنا. فلم يسمع منه الناس، وأسرعوا في آثارهم. فلما رأى شبيب أنهم قد جازوا الكمين عطف عليهم.

ولما رأى الكمين أن قد جاوزوهم خرجوا إليهم، فحمل عليهم شبيب من أمامهم، وصاح بهم الكمين من ورائهم، فلم يقاتلهم أحد، وكانت الهزيمة، فثبت ابن أبي العالية في نحو من مائتي رجل، فقاتلهم قتالاً شديداً حسناً، حتى ظن أنه انتصف من شبيب وأصحابه. فقال سويد بن سلم لأصحابه: أمينكم أحد يعرف أمير القوم ابن أبي العالية؟ فوالله لئن عرفتُهُ لأجهدن نفسي في قتله، فقال شبيب: أنا من أعرف الناس به، أما ترى صاحب الفرس الأغر الذي دونه المرامية! فإنه ذلك، فإن كنت تريدُه ٨٩٨/٢ فأمهله قليلاً. ثم قال: يا قعب، اخرج في عشرين فأنتهم من ورائهم، فخرج قعب في عشرين فارتفع عليهم.

فلما رأوه يريد أن يأتيهم من ورائهم جعلوا يتنقضون ويتسللون، وحمل سويد بن سلم على سفيان بن أبي العالية فطاعنه، فلم تصنع رُمحاهما شيئاً، ثم اضطربا يستقيهما ثم اعتنت كل منهما صاحبه، فوقعا إلى الأرض يعتركان، ثم تحاجزوا وحمل عليهم شبيب فانكشفوا، وأتى سفيان غلاماً له يقال له غزوان، فنزل عن برذونه، وقال: اركب يا مولاي، فركب سفيان، وأحاط به أصحاب شبيب، فقاتل دونه غزوان فقتل، وكانت معه رايته. وأقبل سفيان بن أبي العالية حتى انتهى إلى بابل مهزوداً،

(١) الهزم: ما طعن من الأرض.

فنزل بها ، وكتب إلى الحجاج :

أما بعد ، فإني أخير الأمير أصلحه الله أني اتبعت هذه المارقة حتى لحقتهم بخانقين قاتلتهم ، فضرَبَ الله وجوههم ، ونصرنا عليهم ، فبينما نحن كذلك إذ أتاهم قوم كانوا غيبًا عنهم ، فحملوا على الناس فهزموهم ، فنزلت في رجال من أهل الدين والصبر قاتلتهم ، حتى خربت بين القتلى ، فحملت مرتثًا ، فأني بي بابل مهروذ ، فهأنذا بها والجند الذين وجههم إلى الأمير وأقوا لإسورة بن أبيجر فإنه لم يأتني ولم يشهد معي حتى إذا ما نزلت بابل مهروذ أناني يقول ما لا أعرف^(١) ، ويعتذر بغير العذر . والسلام .

٨٩٩/٢ فلما قرأ الحجاج الكتاب قال : من صنع كما صنع هذا ، وأبلى كما أبلى فقد أحسن . ثم كتب إليه :

أما بعد ، فقد أحسنت البلاء ، وقضيت الذي عليك ، فإذا خفت عنك الرجوع فأقبل مأجورًا إلى أمك . والسلام .

وكتب إلى سيرة بن أبيجر :

أما بعد فإني أم سيرة ، ما كنت خليقًا أن تجترئ على ترك عهدي وخللان جندى ، فإذا أتاك كتابي فابعث رجلاً من معك صلياً إلى الخليل التي بالمدائن ، فلينتخب منهم خمسمائة رجل ، ثم ليُقدم بهم عليك ، ثم سير بهم حتى تلقى هذه المارقة . واحزم في أمرك ، وكذا عدوك ، فإن أفضل أمر الحرب حسن المكيلة . والسلام .

فلما أتى سيرة كتاب الحجاج بعث على بن عميرة إلى المدائن ، وكان بها ألف فارس ، فانتخب منهم خمسمائة ، ثم دخل على عبد الله بن أبي عصفير - وهو أمير المدائن في إمارته الأولى - فسلم عليه ، فأجازه بألف درهم ، وحمله على فرس ، وكساه أثواباً . ثم إنّه خرج من عنده ، فأقبل بأصحابه حتى قدم بهم على سيرة بن أبيجر ببابل مهروذ ، فخرج في طلب شبيب ، وشبيب^(٢)

(٢) : ١ « وخرج شبيب » .

(١) ب ، ف ، د : لمعه .

يَجُولُ فِي جُوحَى وَسَوْرَةٍ فِي طَلْبِهِ ، فَجَاءَ شَيْبٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَدَائِنِ ،
فَتَحَصَّنَ مِنْهُ أَهْلُ الْمَدَائِنِ وَتَحَرَّزُوا : وَهِيَ أَبْنِيَةُ الْمَدَائِنِ الْأُولَى ، فَدَخَلَ
الْمَدَائِنَ ، فَأَصَابَ بِهَا دَوَابٌّ جَنْدٌ كَثِيرَةٌ ^(١) ، فَقَتَلَ مَنْ ظَهَرَ لَهُ وَلَمْ يَسْخَطُوا الْيَبُوتَ ،
فَأَتَى قَبِيلَ لَهُ : هَذَا سَوْرَةٌ بْنُ أَيْمِرٍ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكَ : فَخَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ ٩٠٠/٧
حَتَّى انْتَهَى إِلَى النَّهْرَوَانِ ، فَتَزَلَّوْا بِهِ وَتَوَضَّعُوا وَصَلُّوا ، ثُمَّ أَتَوْا مَصَارِعَ إِخْوَانِهِمْ
الَّذِينَ قَتَلَهُمْ عَلَى بَنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَاسْتَغْفَرُوا لِإِخْوَانِهِمْ ،
وَتَبَرَّعُوا مِنْ عَلَى وَأَصْحَابِهِ ، وَبَكَوْا فَأَطَالُوا الْبُكَاءَ ، ثُمَّ خَرَجُوا فَقَطَعُوا جِسْرَ
النَّهْرَوَانِ ، فَتَزَلَّوْا مِنْ جَانِبِهِ الشَّرْقِيِّ ، وَجَاءَ سَوْرَةٌ حَتَّى نَزَلَ بِقَطْرَا ، وَجَاءَتْهُ
عُيُونُهُ فَأَخْبَرَتْهُ بِمَنْزِلِ شَيْبٍ بِالنَّهْرَوَانِ ، فَعَدَا رَمُوسَ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : إِنَّهُمْ
قَلَمَا يُلْقُونَ مُصْحَرِينَ أَوْ عَلَى ظَهْرٍ إِلَّا انْتَصَفُوا مِنْكُمْ ، وَظَهَرُوا عَلَيْكُمْ ،
وَقَدْ حَدَّثْتُ أَنَّكُمْ لَا يَزِيدُونَ عَلَى مِائَةِ رَجُلٍ إِلَّا قَلِيلًا ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُنْتَجِبَكُمْ
فَأَسِيرَ فِي ثَلَاثَةِ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِنْ أَقْوِيَانِكُمْ وَشُجْعَانِكُمْ فَأَتَيْهِمُ الْآنَ إِذْ هُمْ
آمِنُونَ لِبَيَاتِكُمْ ، فَوَاقَهُ إِلَى الْأَرْجُو أَنْ يَصْرَعَهُمُ اللَّهُ مَصَارِعَ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ
صَرَعُوا مِنْهُمْ بِالنَّهْرَوَانِ مِنْ قَبْلُ . فَقَالُوا : اصْنَعْ مَا أَحْبَبْتَ . فَاسْتَمَلَ عَلَى
عَسْكَرِهِ حَازِمُ بْنُ قُدَّامَةَ الْخُثَمِيِّ ، وَانْتَجَبَ مِنْ أَصْحَابِهِ ثَلَاثَةَ رَجُلٍ مِنْ
أَهْلِ الْقُوَّةِ وَالْمَجْلَدِ وَالشَّجَاعَةِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِمْ نَحْوَ النَّهْرَوَانِ ، وَبَاتَ شَيْبٌ
وَقَدْ أَذْكَى الْحَرَّ ، فَلَمَّا دَفَا أَصْحَابُ سَوْرَةٍ مِنْهُمْ نَذَرُوا بِهِمْ ، فَاسْتَوُوا
عَلَى خَيْلِهِمْ وَتَعَبَّوْا تَعْيِبَتَهُمْ .

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ سَوْرَةٌ وَأَصْحَابُهُ أَصَابَهُمْ قَدْ حَكَّرُوا وَاسْتَعَدَّوْا ، ٩٠١/٢
فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ سَوْرَةٌ وَأَصْحَابُهُ فَخَبَّتُوا لَهُمْ ، وَضَارَبُوهُمْ حَتَّى صَدَّتْ عَنْهُمْ سَوْرَةٌ
وَأَصْحَابُهُ ، ثُمَّ صَاحَ شَيْبٌ بِأَصْحَابِهِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى تَرَكَوْا لَهُ الْعَرَصَةَ ،
وَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ مَعَهُ ، وَجَعَلَ شَيْبٌ يَنْصُرُ وَيَقُولُ :

مَنْ يَنْزِلُ الْبَيْتَ يَنْزِلُ نَيْبًا كَا جَنْدَلَتَانِ اضْطَلَكْنَا أَصْطَلَكَا
فَرَجَعَ سَوْرَةٌ إِلَى عَسْكَرِهِ وَقَدْ هَزَمَ الْقُرْمَانُ وَأَهْلُ الْقُوَّةِ ، فَتَحَمَّلَ بِهِمْ
حَتَّى أَقْبَلَ بِهِمْ نَحْوَ الْمَدَائِنِ ، فَلَمَّحَ إِلَيْهِمْ وَقَدْ تَحَمَّلَ وَتَعَدَّى الطَّرِيقَ الَّذِي

(١) ١ : وَفُصِّلَ دَوَابٌّ مِنْ دَوَابِّ الْجَنَّةِ .

فيه شبيب ، واتبه شبيب وهو يرجو أن يكلفه فيصيب عسكره ، ويصيب بهزيمة أهل المسكر ، فأخذ السير في طلبهم ، فانتبهوا إلى المدائن فدخلوها ، وجاء شبيب حتى انتهى إلى بيوت المدائن ، فدخل إليهم وقد دخل الناس ، وخرج ابن أبي عصفير في أهل المدائن فرماهم الناس بالنبل ، ورموا من فوق البيوت بالحجارة ، فارتفع شبيب بأصحابه عن المدائن ، فر على كيلو إذا فأصاب بها دواب كثيرة للحجاج فأخذها ، ثم خرج يسير في أرض جوحى ، ثم مضى نحو تكريت ، فبينما ذلك التجند في المدائن إذ أرى الناس بينهم ، فقالوا : هذا شبيب قد دنأ ، وهو يريد أن يبيت أهل المدائن الليلة ، فارتحل عامة الجند . فلكحوا بالكوفة .

قال أبو مخنف : وحدثنى عبد الله بن علقمة الخثعمي ، قال : والله ٩٠٢/٢ لقد هربوا من المدائن وقالوا : نبيت الليلة ، وإن شيباً لبتكريت ، قال : ولما قدم القتل على الحجاج سرح الجزل بن سعيد بن شريحيل بن عمرو الكندي .

قال أبو مخنف : حدثنا النضر بن صالح المبسي وفصيل بن خديج الكندي أن الحجاج لما أتاه القتل قال : قبح الله سورة ضيع المسكر والجند ، وخرج يبيت الخوارج ، أمّا والله لأسوءه ، وكان بعد قد (١) حسسه ثم عفا عنه .

قال أبو مخنف : وحدثنى فضيل بن خديج أن الحجاج دعا الجزل — وهو عثمان بن سعيد — فقال له : تيسر الخروج إلى هذه المارقة ، فإذا لقيتهم فلا تعجل عجلة الخرق ، ولا تحجم إحجام الزاني الفرق ، هل فهمت ؟ الله أنت يا أخا بني عمرو بن معاوية ! فقال : نعم أصلح الله الأمير قد فهمت ، قال له : فأخرج فسكر بدير عبد الرحمن حتى يخرج إليك الناس ، فقال : أصلح الله الأمير ! لا تبعن معي أحداً من أهل هذا الجند المفلول المهزوم ، فإن الرب قد دخل قلوبهم ، وقد خشيت ألا ينفعك والمسلمين منهم أحد ، قال له : فإن ذلك لك ، ولا أراك إلا قد أحسنت الرأي ووقفت . ثم دعا أصحابه الدواوين فقال : اضربوا على

الناس البعث ، فأخرجوا أربعة آلاف من الناس ، من كل ربيع ألف رجل ، وعجلوا ذلك ، فجُمِعت العُرفاء ، وجلس أصحاب الدَّوليين ، وصَرَبوا البعث فأخرجوا أربعة آلاف ، فأمرهم بالسكر فمَسَكروا ، ثم نودي ٩٠٣/٢ فيهم بالترحيل ، ثم ارتحلوا وفادى منادى الحمَجَّاج : أن بَرِثَ الذِّمَّة من رجل أصبناه من هذا البعث متخلفاً ؛ قال : فمضى الجَزَل بنُ سعيد ، وقد قدم بين يديه عياض بن أبي لينة الكِنْدِي على مُقَدَّمته ، فخرج حتى أتى المدائن ، فأقام بها ثلاثاً ، وبعث إليه ابنُ أبي عَصِيْفِير بفرس وبرذون وبغلين وألئى درهم ، ووضع للناس من الجزر والعلف ما كفاهم ثلاثة أيام حتى ارتحلوا ، فأصاب الناس ما شاموا من تلك الجزر والعكف الذي وَضَعَ لهم ابنُ أبي عَصِيْفِير . ثم إنَّ الجَزَل بنَ سعيد خرج بالناس في أثر شبيب ، فطَلَبَه في أرض جَوْحَى ، فجعل شبيب يُريه الهبة ، فيُخرج من رُستاق إلى رُستاق ، ومن طَسُوج إلى طَسُوج ، ولا يقيم له إرادة أن يفرق الجَزَل أصحابه ، ويتعجَّل إليه فيلقاه في سير من الناس على غير تعبئة ، فجعل الجَزَل لا يسير إلا على تعبئة ، ولا ينزل إلا خندق على نفسه خنقاً ، فلما طال ذلك على شبيب أمر أصحابه ذات ليلة فسروا .

قال أبو غنم : فحدثني فروة بنُ لَقِيْط أنَّ شبيباً دعانا ونحن بدير يربما ستون ومائة رجل ، فجعل على كلِّ أربعين من أصحابه رجلاً ، وهو في أربعين ، وجعل أخاه مصاداً في أربعين ، وبعث سُؤيد بن سُلَيم في أربعين ، وبعث المَحَلَّل بن وائل في أربعين ، وقد أُنْتُه عيوته فأخبرته أنَّ الجَزَل بن ٩٠٤/٢ سعيد قد نزل دِيرَ بَزْدَجَرْد ، قال : فدعانا عند ذلك فعبأنا هذه التعبئة ، وأمرنا فطَلَقْنَا على دوابنا ، وقال لنا : تيسروا فإذا قَضَيْت دوابكم فاركبوا ، ولْيَسِر كلُّ امرئٍ منكم مع أميره الذي أمرناه عليه ، ولْيَنْظُر كلَّ امرئٍ منكم ما يأمره أميره فليَتَّبِعْهُ . ودعا أَمْرَانَا فقال لهم : إني أريد أن أبيتَ هنا العسكر اللَّيْلَةَ ، ثم قال لأخيه مصاد : إرتهم فارتفع من فوقهم حتى تأتيهم من ورائهم من قِبَل حُلُوان ، وسأتيهم أنا من أَمَامِي من قِبَل الكوفة ، وأتيهم أنت يا سُؤيد من قِبَل المشرق ، وأتيهم أنت يا مَحَلَّل من قِبَل المغرب ، ولْيَبْكِج

كلّ امرئ منكم على الجانب الذى يحمله عليه ، ولا تملحوا عنهم ،
تسجلون وتكرّون عليهم ، وتصيحون بهم حتى يأتيتكم امرئ . فلم نزل على
تلك التعمية ، وكنت أنا فى الأربعين الذين كانوا معه ، حتى إذا قفيمت
دوابنا - وذلك أول الليل أول ما هلأت العيون - خرجنا حتى انتهينا إلى ديار
الحرارة ، فإذا للقوم مسلحة ، عليهم عياض بن أبي لينة ، فما هو إلا
أن انتهينا إليهم ، فحمل عليهم مصاد أنور شبيب فى أربعين رجلاً ،
وكان أمام شبيب ، وقد كان أراد أن يسبق شبيباً حتى يرتفع عليهم ويأتيهم
من ورائهم كما أمره ، فلما لى هؤلاء قاتلهم فصبروا ماعة ، وقاتلوه . ثم
إننا دفعنا إليهم جميعاً ، فحملنا عليهم فهزمتهم ، وأخذوا الطريق
الأعظم ، وليس بينهم وبين عسكرهم بدير يزدد جرد إلا قريب من ميل .
٩٠٥/٧ فقال لنا شبيب : اركبوا معاصر المسلمين أكتافهم حتى تدخلوا معهم عسكرهم
إن استطعتم ، فاتبعناهم والله ملططين^(١) بهم ، ملحين عليهم ، ما نرفقه عنهم
وهم منهزمون ، ما لهم همة إلا عسكرهم ، فأتوها إلى عسكرهم ، ومنهم أصحابهم
أن يدخلوا عليهم ، ورشقونا بالنبل ، وكانت عيون لهم قد أمتهم فأخبرتهم
بمكاننا ، وكان الجرد قد خندق عليه ، وتحرز ووضع هذه المسلحة الذين
لقيناهم بدير الحرارة ، ووضع مسلحة أخرى مما يلى حلوان على الطريق ،
فلما أن دفعنا إلى هذه المسلحة التى كانت بدير الحرارة فالحقناهم بعسكر
جماعتهم ورجعت المسالح الأخر حتى اجتمعت ، منعها أهل العسكر دخول
العسكر وقالوا لهم : قاتلوا ، وانضحوا عنكم بالنبل .

قال أبو مخنف : وحدثنى جزيير بن الحسين الكندى ، قال : كان على
المسلحتين الأخريتين عاصم بن حجر على التى على حلوان ، وواصل
ابن الحارث السكوني على الأخرى . فلما أن اجتمعت المسالح جعل شبيب
يحمل عليها حتى اضطرها إلى الخندق ، ورشقهم أهل العسكر بالنبل
حتى ردوهم عنهم . فلما رأى شبيب أنه لا يصل إليهم قال لأصحابه :
سيروا ودعوهم ، فضى على الطريق نحو حلوان حتى إذا كان قريباً

(١) ملططين ، ينى ملين .

من موضع قياب حسين بن زُفر من بني بَدْر بن فزارة... وإنما كانت
 قِبابُ حُسَيْن بن زُفر بعد ذلك - قال : لأصحابه : انزلوا فاقضوا وأصلحوا ١٠٧/٢
 نَبْلَكُمْ وَتَرَوْحُوا وَصَلُّوا رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ ارْكَبُوا ؛ فَانْزَلُوا فَقَطَعُوا ذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّهُ
 أَقْبَلَ بِهِمْ رَاجِعًا إِلَى عَسْكَرِ أَهْلِ الْكُوفَةِ أَيْضًا ، وَقَالَ : سِيرُوا عَلَى تَعْيِيَتِكُمْ
 الَّتِي عَبَّاتُكُمْ عَلَيْهَا بِدِيرِ بَيْرِمْ أَوَّلَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ أَطِيفُوا بِعَسْكَرِهِمْ كَمَا
 أَمَرْتُكُمْ ، فَأَقْبَلُوا . قَالَ : فَأَقْبَلْنَا مَعَهُ وَقَدْ أَدْخَلَ أَهْلُ الْعَسْكَرِ مَسَالِحَهُمْ
 إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ آمَنُوا فَا شَعَرُوا حَتَّى سَمِعُوا وَقَعَ حَوَافِرُ خَيْلِنَا قَرِيبًا مِنْهُمْ ،
 فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ قُبَيْلَ الصَّبَاحِ فَاحْطَطْنَا بِعَسْكَرِهِمْ ، ثُمَّ صَبَّحْنَا^(١) بِهِمْ مِنْ
 كُلِّ جَانِبٍ ، فَلَإِذَا هُمْ يَقَاتِلُونَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَيُرْمُونَا بِالنَّبْلِ . ثُمَّ إِنَّ
 شَيْبِيًّا بَعَثَ إِلَى أُنْجِيهِ مَصَادَ وَهُوَ يَقَاتِلُهُمْ مِنْ نَحْوِ الْكُوفَةِ أَنْ أَقْبَلَ إِلَيْنَا
 وَخَلَّ لَهُمْ سَبِيلَ الطَّرِيقِ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ ، وَتَرَكَ ذَلِكَ الْوَجْهَ ،
 وَجَعَلْنَا نَقَاتِلُهُمْ مِنْ تِلْكَ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ ؛ حَتَّى أَصْبَحْنَا ، فَأَصْبَحْنَا لَمْ
 نَسْتَفِضْ مِنْهُمْ شَيْئًا ، فَسَرْنَا وَتَرَكْنَاهُمْ ، فَجَعَلُوا يَعْصِيحُونَ بِنَا : أَيْنَ يَا كَلَابَ
 النَّارِ ! أَيْنَ أَيْتَاهَا الْعِصَابَةُ الْمَارَّةُ ! أَصْبَحُوا نَخْرُجُ إِلَيْكُمْ ، فَارْتَفَعْنَا عَنْهُمْ
 نَحْوًا مِنْ مِيلٍ وَنِصْفٍ ، ثُمَّ نَزَلْنَا فَصَلَّيْنَا الْغَدَاةَ ، ثُمَّ أَخَذْنَا الطَّرِيقَ عَلَى
 بَرَاذِ الرُّوْثِ ، ثُمَّ مَضَيْنَا إِلَى جَرَجَرَايَا وَمَا يَلِيهَا ، فَأَقْبَلُوا فِي طَلْبِنَا .

قال أبو غنم : فحدثني مولى لنا يدعى غاضرة أو قيصر ، قال : كنت
 مع الناس تاجراً وهم في طلب الحرورية ، وعلينا الجترج بن سعيد ، فجعل ١٠٧/٢
 يتبعهم فلا يسير إلا على تعبئة ، ولا ينزل إلا على خندق ، وكان شبيب
 يمدحه ويضرب في أرض جوحى وغيرها يكسر الخراج ، وطال ذلك
 على الحجاج ، فكتب إليه كتاباً ، فقرأ على الناس :
 أما بعد ، فإنني بعثتكم في فرمان أهل المصر ووجوه الناس ، وأمرتكم
 باتباع هذه المارقة الضالة المضلة حتى تلقاها ، فلا تقلع عنها حتى
 تقتلها وتغنئها ، فوجدت التعريس في القرى والتخيم في الخنادق أهون
 عليكم من المضى لما أمرتكم به من مناهضتهم وناجرتهم . والسلام .
 فقرأ الكتاب علينا ونحن بقطرانا وذير أبي مرزيم ، فشق ذلك على

الجزل ، وأمر الناس بالسَّير ، فخرجوا في طلب الخوارج جادين ، وأرجعنا بأمرنا وقتلنا : يعزك .

قال أبو مخنف : فحدثني إسماعيل بن نعيم الهمداني ثم البرمعي أن الحجاج بعث سعيد بن المجالد على ذلك الجيش ، وعهد إليه إن لقيت المارقة فازحف إليهم ولا تناظرهم ولا تطاولهم وواقفهم واستعين بالله عليهم ، ولا تصنع صنيع الجزل ، واطلبهم طلب السبع ، وحيد عنهم ٩٠٨/٢ حيدان الضبع . وأقبل الجزل في طلب شبيب حتى انتهوا إلى النهروان فأدركوه فلزم عسكره ، وخنلق عليه . وجاء إليه سعيد بن المجالد حتى دخل عسكر أهل الكوفة أميرا ، فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أهل الكوفة ، إنكم قد عجزتم ووهنتم وأغضبتكم أميركم . أنتم في طلب هذه الأعراب العجف منذ شهرين ، وهم قد خربوا بلادكم ، وكسروا خراجكم ، وأنتم حاذرون في جوف هذه الخناد لا تزالونها إلا أن يلبسكم أنتم قد ارتحلوا عنكم ، ونزلوا بلاداً سوى بلدكم ، فخرجوا على اسم الله إليهم .

فخرج وأخرج الناس معه ، وجمع إليه خيول أهل العسكر ، فقال له الجزل : ما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد أن أقدم على شبيب في هذه الليل ، فقال له الجزل : أقم أنت في جماعة الجيش ، فارسيهم وراجلهم ، وأصحر له ، فوالله ليقمن عليك ، فلا تفرق أصحابك ، فإن ذلك شر لم وخير لك . فقال له : قف أنت في الصف ، فقال : يا سعيد بن مجالد ، ليس لي فيما صنعت رأي ، أنا برئ من رأيك هذا ، سمع الله ومن حضر من المسلمين . فقال : هو رأيي إن أصبت ، فالله وقفتي له ، وإن يكن غير صواب فأنتم منه بُراء ، قال : فوقف الجزل في صف أهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق ، وحمل على ميمتهم^(١) عياض بن أبي لينة الكِنْدِي ، وعلى ميسرهم عبد الرحمن بن عوف أبا حميد الرواسي ، ووقف الجزل في جماعتهم

(١) ب ، ف ، « كنعج » . (٢) ا : « ميمته » .

واستقدم سعيد بن مجالد ، فخرج وأخرج الناس معه ، وقد أخذ شبيب إلى ١٠٩/٢
 بركاز الروز ، فنزل قَطَطْنَا^(١) ، وأمر دَهْمَانَهَا أن يشتري لهم ما يصلحهم ،
 ويتخذ لهم غداءً ، ففعل ، ودخل مدينة قَطَطْنَا^(٢) وأمر بالباب فأغلق ، فلم
 يفرغ من الغداء حتى أتاه سعيد بن مجالد في أهل ذلك العسكر ، فصعد
 الدِهْقَان السور فنظر إلى الجُندِ مقبلين قد دنوا من حصنه ، فنزل وقد تغير
 لونه ، فقال له شبيب : ما لي أراك متغير اللون ! فقال له الدِهْقَان : قد
 جاءتك الجنود من كل ناحية ، قال : لا بأس ، هل أدرك غداؤنا ؟ قال :
 نعم ، قال : فقربه ، وقد أغلق الباب ، وأتى بالغداء ، فتعدى وتوضأ وصلبى
 ركعتين ، ثم دعا ببغل له فركبه .

ثم إنهم اجتمعوا على باب المدينة ، فأمر بالباب ففتح ، ثم خرج على
 بغله فحمل عليهم . وقال : لا حكم إلا للحكم الحكيم ، أنا أبو مدله ،
 اثبتوا إن شئتم . وجعل سعيد يجمع قومه وخيله ، ويرزقها^(٣) في أثره ، ويقول :
 ما هؤلاء ! إنما هم أكلة رأس ، فلما رآهم شبيب قد تقطعوا وانتشروا
 لفَّ خيله كلَّها ، ثم جمعها ، ثم قال^(٤) : استعرضهم استعراضاً ، وانظروا ١١٠/٢
 إلى أميرهم ، فوالله لأقتله أو يقتلني . وحمل عليهم مستعرضاً لهم ، فهزموهم
 وثبت سعيد بن المجالد ، ثم نادى أصحابه : إلى لي ، إلى لي ، أنا ابن ذى مران !
 وأخذ قكنسوته فوضعها على قريوس سترجه ، وحمل عليه شبيب فمسه
 بالسيف ، فخالط دماغه ، فخر ميتاً ، وانهزم ذلك الجيش ، وقتلوا كل
 قتلة ، حتى انتهوا إلى الجزل ، ونزل الجزل وفادى : أيها الناس ، إلى .
 وفاداهم عيباض بن أبي لينة : أيها الناس ، إن كان أميركم القادم قد
 هلك فأميركم الميمون النقيبة المبارك^(٥) حي لم يمت ، فقاتل الجزل قتالا
 شديداً حتى حمل من بين القتلى ، فحمل إلى المدائن مرتناً ، وقدم
 فل أهل ذلك العسكر الكوفة ، وكان من أشد الناس بلاء يومئذ خالد بن

(١) كذا في ابن أبي الحديد ٤ : ٢٤١ ، وهو الصواب ، وانظر مراد الاطلاع .

(٢) ا : يدلفها . (٣) ب ، ف : وقال .

(٤) ب ، ف : حتى وهو الأمير المبارك .

نَهَيْكَ مِنْ بَنِي ذُهْلَ بْنِ معاوية وعياض بن أبي لينة ، حتى استنقذاه وهو مرتثٌ . هذا حديثٌ طائفة من الناس ، والحديث الآخرُ قاتلم فيما بين دَيْرِ أَبِي مَرْيَمَ إِلَى بَرَّازِ الرَّوْزِ . ثُمَّ إِنَّ الْجَنْزَلَ كَتَبَ إِلَى الْحِجَاجِ .

قال : وَأَقْبَلَ شَيْبٌ حَتَّى قَطَعَ دَجْلَةَ عِنْدَ الْكَرْخِ ، وَبَعَثَ إِلَى سَوَاقِ بَغْدَادَ فَأَمَنَهُمْ ، وَذَلِكَ يَوْمَ سَوْقِهِمْ ، وَكَانَ بَلَغَهُ أَنََّّهُمْ يَخَافُونَهُ ، فَأَحَبَّ أَنْ يَوْمَنَهُمْ ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ يُرِيدُونَ أَنْ يَشْتَرُوا مِنَ السُّوقِ دَوَابَّ وَثِيَابًا وَأَشْيَاءَ لَيْسَ لَهم مِنْهَا بُدٌّ ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِمْ نَحْوَ الْكُوفَةِ ، وَسَارُوا أَوَّلَ اللَّيْلِ حَتَّى نَزَلُوا عَقْرَ الْمَمْلَكَةِ الَّتِي يَلِي قَصْرَ ابْنِ هُبَيْرَةَ . ثُمَّ أَغْدَى السَّيْرَ مِنَ الْغَدِ ، فَبَاتَ بَيْنَ حَمَامَ عَمْرِ بْنِ سَعْدٍ وَبَيْنَ قُبَيْنَ . فَلَمَّا بَلَغَ الْحِجَاجَ مَكَانَهُ ٩١١/٢ بَعَثَ إِلَى سُؤَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّمْعِيِّ ، فَبَعَثَهُ فِي الْفَيْ فَارِسَ نَقَاوَةَ ، وَقَالَ لَهُ : اخْرُجْ إِلَى شَيْبٍ فَالِقَهُ ، وَاجْعَلْ مِيمَةً وَمَيْسِرَةً ، ثُمَّ أَنْزِلْ إِلَيْهِ فِي الرَّجَالِ فَإِنْ اسْتَطَرَدَ ذَلِكَ فَدَعِهِ وَلَا تَتَّبِعْهُ . فَخَرَجَ فَمَسَكَرَ بِالسَّبَّخَةِ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ شَيْبًا قَدْ أَقْبَلَ ، فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ وَكَانَمَا يَسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ ، وَأَمَرَ الْحِجَاجُ عُمَانَ ابْنَ قَطْنٍ فَمَسَكَرَ بِالنَّاسِ بِالسَّبَّخَةِ^(١) ، فَنَادَى : أَلَا بَرَرْتُ الذِّمَّةَ مِنْ رَجُلٍ مِنْ هَذَا الْجَنْدِ بَاتَ اللَّيْلَةَ بِالْكُوفَةِ لَمْ يَخْرُجْ إِلَى عُمَانَ بْنِ قَطْنٍ بِالسَّبَّخَةِ ! وَأَمَرَ سُؤَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنْ يَسِيرَ فِي الْأَلْفَيْنِ الَّذِينَ مَعَهُ حَتَّى يَلْقَى شَيْبًا فَعَبَّرَ بِأَصْحَابِهِ إِلَى زُرَّارَةَ وَهُوَ يَعِيشُهُمْ وَيَعْرِضُهُمْ إِذْ قِيلَ لَهُ : قَدْ غَشِيَكَ شَيْبٌ ، فَتَزَلَّ وَنَزَلَ مَعَهُ جُلُ أَصْحَابِهِ ، وَقَدَّمَ رَأْيَتَهُ وَمَضَى إِلَى أَقْصَى زُرَّارَةَ ، فَأَخْبِرَ أَنَّ شَيْبًا قَدْ أَخْبِرَ بِمَكَانِكَ فَتَرَكَكَ ، وَوَجَدَ مَخَاضَةً فَعَبَّرَ الْقُرَاتَ وَهُوَ يُرِيدُ الْكُوفَةَ مِنْ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّتِي أَنْتَ بِهِ . ثُمَّ قِيلَ لَهُ : أَمَا تَرَاهُمْ ! فَنَادَى : فِي أَصْحَابِهِ ، فَتَرَكُوا فِي آثَارِهِمْ .

وَإِنَّ شَيْبًا أَتَى دَارَ الرَّزْقِ^(٢) ، فَتَرَكْنَا ، فَقِيلَ : إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ بِأَجْمَعِهِمْ مَعْسُكُونَ بِالسَّبَّخَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ مَكَانُ شَيْبٍ صَاحَ^(٣) : بَعْضُهُمْ بَعْضُ

(١) ب ، ف : « فِي السَّبَّخَةِ » :

(٢) ف : « الرِّزْقُ » .

(٣) أ : « صَاحَ » .

وجالوا ، وهمّوا أن يَدْخُلُوا الكوفةَ حتّى قيل لهم : إنّ سويد بن عبد الرحمن في آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم في الخيل .

قال هشام : وأخبرتني عمرُ بنُ يَشِيرٍ ، قال : لما نزل شبيب الدّير أمر ١١٢/٢
بفتح تهيأ له ، فصعد الدّ هقان ، ثمّ نزل وقد تغيّر لونه ، فقال : مالك !
قال : قد والله جامعٌ جمع كثير ، قال : أبلغ الشّواء بعد ؟ قال : لا ، قال : دعه .
قال : ثمّ أشرف إشرافاً أخرى ، فقال : قد والله أحاطوا بالجوّس ، قال :
هات شيواك ، فجعل يأكل غير مكترث لهم ، فلما فرغ توضأ وصلّى
بأصحابه الأولى ، ثمّ تقلّد سيفين بعدما لبس درعه ، وأخذ عمود حديد
ثمّ قال : أسرجوا لي البغلة ، فقال أخوه مصاد : أفي هذا اليوم تُسرج
بغلة ! قال : نعم أسرجوها ، فركبها . ثمّ قال : يا فلان ، أنت على الميمنة
وأنت يا فلان على الميسرة ، وقال لمصاد : أنت في القلب ، وأمر الدّ هقان
بفتح الباب في وجوهمهم . قال : فخرج إليهم وهو يحكم ، فجعل سعيد
وأصحابه يرجعون الصّهقري حتّى صار بينهم وبين الدّير نحو من ميل .
قال : وجعل سعيد يقول : يا معشر همدان ، أنا ابن ذى مرّان ، إلى إلى .
ووجه سرباً مع ابنه وقد أحسّ أنّها تكون عليه ، فنظر شبيب إلى مصاد
فقال : أنككتيك الله إنّ لم أتكله ولتده . قال : ثمّ علاه بالسّود ،
فسمّط ميتاً ، وانهزم أصحابه وما قُتل بينهم يومئذٍ إلّا قتيل واحد . قال :
وانكشف أصحاب سعيد بن جبال حتّى أتوا الجَزَلَ ، فناداهم الجَزَل : أيها
الناس ، إلى إلى . وناداهم عياض بن أبي لينة : أيها الناس ، إنّ يكن
أميركم هذا القادم قد هلك فهذا أميركم الميمون الثقفية ، أقبلوا إليه ، ١١٢/٢
وقاتلوا معه ، فنهزم من أقبل إليه ، ومنهم من ركب رأسه منهزماً ، وقاتل
الجَزَلَ قتالا شديداً حتّى صرّح ، وقاتل عنه خالد بن نهيك وعياض
ابن أبي لينة حتّى استسلماه وهو مرّتث ، وأقبل الناسُ منهزمين
حتّى دخلوا الكوفة ، فأتى بالجَزَلَ حتّى أدخل المداين ، وكُتب إلى
الحجّاج بن يوسف .

قال أبو مخنف : حدثني بذلك ثابتٌ مولى زهير :

أماً بعد ، فلما أخبر الأمير أصلحه الله أني خرجت فيمن قبلي من
الجنود الذي وجهني إلى عدوه ، وقد كنت حفظت عهد الأمير إلى فيهم
ورأيت ، فكنت أخرج إليهم إذا رأيت الفرصة ، وأجيس الناس عنهم إذا
خشيت الورطة ، فلم أزل^(١) كذلك ، ولقد أرادني العدو بكل ريدة^(٢) فلم
يُصيب مني غيرة ، حتى قدم على سعيد بن جالد رحمة الله عليه ، ولقد أمرته
بالثؤدة ، ونهيت عن العجلة ، وأمرته ألا يقاتلهم إلا في جماعة الناس
عامة فصاني ، وتعجل إليهم في الخيل ، فأشهدت عليه أهل المصيرين
أنني يرى من رأيه الذي رأى ، وأنني لا أهوى ما صنع . ففسي فأصيب تجاوز
الله عنه ، ودفع الناس إلى ، فنزلت ودعوتهم إلى ، ورفضت لهم رأيي ،
وقاتلت حتى صرعت ، فحملني أصحابي من بين القتلى ، فأققت إلا وأنا
على أيديهم على رأس ميل من المعركة ، فأنا اليوم بالمدائن في جراحة قد يموت
الرجل من دونها ويغافى من مثلها . فليسأل الأمير أصلحه الله عن نصيحي
له ولجنده ، وعن مكابتي عدوه ، وعن موقفي يوم البأس ، فإنه يستبين له
عند ذلك أني قد صدقته ونصحت له . والسلام .

فكتب إليه الحجاج :

أماً بعد ، فقد أتاني كتابك وقرأته ، وفهمت كل ما ذكرت فيه ، وقد
صدقتك في كل ما وصفت به نفسك من نصيحتك لأمرتك ، وحيث كنت
على أهل مصرك ، وشدتك على عدوك ، وقد فهمت ما ذكرت^(٣) من أمر
سعيد وعجلته إلى عدوه ، فقد رضيت عجزكته وتؤدتك ، فأما عجلته
فإنها أفضت به إلى الجنة ، وأما تؤدتك فإنها لم تندع الفرصة إذا أمكنت ،
وترك الفرصة إذا لم تمكن حزم ، وقد أصبت وأحسن البلاء ، وأجبرت^(٤) ،
وأنت عندى من أهل السمع والطاعة والنصيحة ، وقد أشخصت إليك حيآن

(١) ب ، ف : « فلما » .

(٢) أي بكل نوع من أنواع الإرادة . وفي طه : « إرادة » وأثبت ما في ١ .

(٣) ب ، ف : « ذكره » .

(٤) أجبرت ، أي لقيت الأجر .

ابن أبحر ليدأويك وبالعاج جراحتك ، وبعث إليك بألفي درهم فأنفقها في حاجتك^(١) وما ينورك . والسلام .

فقدِم عليه حيَّان بنُ أبحر الكناني من بني فراس - وهم بعلجين الكبي وغيره - فكان يدأويه ، وبعث إليه عبد الله بن أبي عَصَيْفِر بألف درهم ، وكان يعودُه ويتعاهدُه باللَّطَف والهدية . قال : وأقبل شبيب نحو الملائن ، فعلم أنه لا سبيل له إلى أهلها مع المدينة ، فأقبل حتَّى انتهى إلى الكَرْخ ، فعبد بجلة إليه ، وبعث إلى أهل سُوق بَغْدَاد وهو بالكَرْخ أن اثبتوا في سُوقكم فلا بأس عليكم - وكان ذلك يوم سوقهم - وقد كان بلغه أنهم يخافونه . ٩١٥/٢ قال : وبَخْرُج سُويد حتَّى جعل بيوت مَزِينة وبني سُلَيْم في ظهره وظهور أصحابه ، وحمل عليهم شبيب حملةً منكراً ، وذلك عند المساء ، فلم يقدر منهم على شيء ، فأخذ على بيوت الكوفة نحو الحيرة ، وأتبعه سُويد لا يفارقه . حتَّى قطع بيوت الكوفة كلّها إلى الحيرة ، وأتبعه سُويد حتَّى انتهى إلى الحيرة ، فيتجده قد قطع قنطرة الحيرة ذاهباً ، فتركه وأقام حتَّى أصبح . وبعث إليه الحجاج أن أتبعه فأتبعه ، ومضى شبيب حتَّى أغار في أسفل الفُرات على من وجد من قومه ، وارفع في البر من وراء خَمَّان في أرض يقال لها الغلظة^(٢) ، فصيب رجالاً من بني الورثة ، فتحمل عليهم ، فاضطروهم إلى جدد من الأرض ، فجعلوا يرمونه وأصحابه بالحجارة من حجارة الأرحاء كانت حولهم . فلما نفدت وصل إليهم فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً ، منهم حنظلة بن مالك ومالك بن حنظلة وحرمان بن مالك ؛ كلّهم من بني الورثة .

قال أبو مخنف : حدثني بذلك عطاء بنُ عَرْفَجة بن زياد بن عبد الله الوري . ومضى شبيب حتَّى يأتي بني أبيه على اللف (ماء لرَهْطه) وعلى ذلك الماء الفِرَزْر بنُ الأسود ، وهو أحد بني الصلت ، وهو الذي كان ينهي شبيباً عن رأيه ، وأن يفسد بني عمه وقومه ، فكان شبيب يقول : والله لئن ملكتُ سبعة أعنة لأغزوَنَ الفِرَزْر . فلما غشيهم شبيب ٩١٦/٢

(١) ب ، ف : « جراحك » .

(٢) ب ، ف : « الملة » .

في الخيل سأل عن الفِرَز فأتاه الفِرَز ، فخرج على فرس لا تجارَى من وراء البيوت ، فذهب عليها في الأرض ، وهرب منه الرجال ، ورجع وقد أخاف أهل البادية حتى أخذ على القططانة ؛ ثم على قصر مقاتيل ، ثم أخذ على شاطئ الفُرات حتى أخذ على الحصاصة ، ثم على الأنبار ، ثم مضى حتى دخل دقوقاء ، ثم ارتفع إلى أداني آذريبيجان . فتركه الحجّاج وخرج إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ، فاشعر الناس بنىء حتى جاء كتاب من ماذرواسب دهقان بابل مهزود وعظيمها إلى عروة بن المغيرة بن شعبه أن تاجرًا من تجار الأنبار من أهل بلادى أتانى فذكر أن شبيباً يريد أن يدخل الكوفة في أول هذا الشهر المقبل ، أحببت إعلامك ذلك لتري رأيك ، ثم لم ألبث إلا ساعة حتى جاعنى بجايبان من جبائى فحدثانى أنه قد نزل خانيجار . فأخذ عروة كتابه فأدركه وسرح به إلى الحجّاج بالبصرة ، فلما قرأ الحجّاج أقبل جواداً إلى الكوفة ، وأقبل شبيب يسير حتى انتهى إلى قرية يقال لها حرّبي على شاطئ دجلة فعبر منها ، فقال : ما اسم هذه القرية ؟ فقالوا : حرّبي ، فقال : حرب يصلى بها عدوكم ، وحرب تدخلونه بيوتهم ، إنّما تطير من ينفوف ويصيف ، ثم ضرب رايته وقال لأصحابه : سيروا ، فأقبل^(١) حتى نزل عتقرقوشا ، فقال له سويد بن سليم : يا أمير المؤمنين ، لو تحولت بنا من هذه القرية المشنومة الاسم ! قال : وقد تطيرت أيضاً ! والله لا أتحوك عنها حتى أسير إلى عدوى منها ، إنّما شوئها إن شاء الله على عدوكم تحمّلون عليهم فيها ، فالعقر لهم .

ثم قال لأصحابه : يا هؤلاء ، إنّ الحجّاج ليس بالكوفة ، وليس دون الكوفة إن شاء الله شيء ، فسيروا بنا . فخرج يبادر الحجّاج إلى الكوفة ، وكتب عروة إلى الحجّاج أن شبيباً قد أقبل مسرعاً يريد الكوفة ، فالعجل العجل . فطوى الحجّاج المنازل ، واستبقا إلى الكوفة ، ونزلها الحجّاج صلاة الظهر ، ونزل شبيب السبخة صلاة المغرب ، فصلّى المغرب والعشاء ، ثم أصاب هو وأصحابه من الطعام شيئاً يسيراً ، ثم ركبوا خيولهم فدخلوا الكوفة ، فجاء شبيب حتى انتهى إلى السوق ، ثم شدّ حتى ضرب باب القصر بعموده .

قال أبو المنذر: رأيت ضربة شيب باب القصر قد أثرت أثراً عظيماً،
ثم أقبل حتى وقف عند^(١) المصطبة، ثم قال:

وَكأَنَّ حَافِرَهَا بِكُلِّ حَيْلَةٍ كَيْلٌ يَكِيلُ بِهِ شَحِيجُ مُعَدِّمٍ
عَبْدُ دَعِيٍّ مِنْ عُودِ أَصْلِهِ لَا بَلْ يُقَالُ أَبُو أَبِيهِمْ يُقَدِّمُ

ثم اقتحموا المسجد الأعظم وكان كبيراً لا يفارقه قوم يصلون فيه،
فقتل عقيل بن مصعب الوادعي وعدى بن عمرو الشقي وأبا ليث بن أبي ١١٨/٢
سليم مولى عتبة بن أبي سفيان، وقتلوا أزهري بن عبد الله العامري، ومرو
بدار حوشب وهو على الشرط فوقفوا على بابه وقالوا: إن الأمير يدعو حوشباً،
فأخرج ميمون غلامه يرذون حوشب ليركبه حوشب، فكأنه أنكرهم
فظنوا أنه قد اتهمهم، فأراد أن يدخل، فقالوا له: كما أنت، حتى يخرج
صاحبك. فسمع حوشب الكلام، فأنكر القوم، فخرج إليهم، فلما رأى
جماعتهم أنكرهم، وذهب لينصرف، فمجلوا نحوه، ودخل وأغلق
الباب، وقتلوا غلاماً ميموناً، وأخذوا يرذونه ومنضوا حتى مروا بالبحاف
ابن نبيط الشيباني من رهط حوشب، فقال له سويد: انزل إلينا، فقال
له: ما تصنع؟ ينزول! قلنا له سويد: أقضيك ثمن البكرة التي كنت ابتعت
منك بالباوية، فقال له بالبحاف: بش ساعة القضاة هذه الساعة، وبش
قضاة الدين هذا المكان! أما ذكرت أمانتك إلا والليل مظلم، وأنت على
ظهر فرسك! قبح الله يا سويد ديناً لا يصلح ولا يتم إلا بقتل ذوى
القرابة وسفك دماء هذه الأمة.

قال: ثم مضوا فمروا بمسجد بني ذهل فلقوا ذهل بن الحارث، وكان
يصلى فى مسجد قومه فيطيل الصلاة، فصادفوه منصرفاً إلى منزله، فشدوا
عليه ليقنطروه، فقال: اللهم إني أشكو إليك هؤلاء وظلمتهم وجهلهم.
اللهم إني عنهم ضعيف، فانتصر لي منهم! فصر به حتى قتلوه، ثم مضوا ١١٩/٢
حتى خرجوا من الكوفة متوجهين نحو المردمة.

(١) ب، ف: «على متن».

قال هشام : قال أبو بكر بن عبيّاش : واستقبلته النّصر بن قحطّاع ابن شور الذّهليّ ، وأمّه ناجية بنت هانيّ بن قبيصة بن هانيّ الشيبانيّ فأبطرته حين نظر إليه — قال : يعنى بقوله : «أبطرته» أفزعه^(١) — فقال : السلام عليك أيّها الأمير ورحمة الله ؛ قال له^(٢) سويد مبادراً : أمير المؤمنين ، ويّلك ! فقال : أمير المؤمنين . حتّى خرجوا من الكوفة متوجّهين نحو المردمة ، وأمر الحجاج المادى فنادى : يا خيل الله اركبى وأبشرى ، وهو فوق باب القصر ، وثمّ مصباح مع غلام له قائم ، فكان أوّل من جاء إليه من الناس عثمان بن قطن بن عبد الله بن الحصين ذى الغصّة ، ومعه مواليه ، وناس من أهله ، فقال : أنا عثمان بن قطن ، أعلموا الأمير مكانى ، فليأمر^(٣) بأمره ، فقال له ذلك الغلام : قف مكانك حتّى يأتيك أمر الأمير ، وجاء الناس من كلّ جانب ، وبات عثمان فيمن اجتمع إليه من الناس حتّى أصبح .

ثمّ إن الحجاج بعث بسرّ بن غالب الأسديّ من بنى والبة في ألئى رجل ، وزائدة بن قدامة التقيّ في ألفتى رجل ، وأبا الضريس مولى بنى تميم في ألف من الموالى ، وأعيّين صاحب حمّام أعيّين مولى يشر بن مروان — في ألف رجل ، وكان عبد الملك بن مروان قد بعث عمّد بن موسى بن طلحة على سجستان ، وكتب له عليها عهد ، وكتب إلى الحجاج : أمّا بعد ، فإذا قدم عليك محمد بن موسى فجهّز معه ألفتى رجل إلى سجستان ، وعجّل سراحه . وأمر عبد الملك عمّد بن موسى بمكانة الحجاج ، فلمّا قدم عمّد ابن موسى جعل يتحبّس في الجهاز ، فقال له نصبحاؤه : تعجّل أيّها الأمير^(٤) إلى عمّتك ؛ فإنّك لا تدري ما يكون من أمر الحجاج ! وما يبلو له . فأقام على حاله ، وحدث من أمر شبيب ما حدث ، فقال الحجاج لعمّد ابن موسى بن طلحة بن عبيد الله : تلقى شبيباً وهذه الخارجة فتجاهدْهم ثمّ تمضي إلى عمّلك ، وبعث الحجاج مع هؤلاء الأمراء أيضاً عبد الأعلى بن

(١) ب ، ف : «أهله» .

(٢) ب ، ف : «فقال» .

(٣) ب ، ف : «مكاني فليأمر» .

(٤) ب ، ف : «الرجل» .

عبد الله بن عامر بن كُرَيْزِ القُرَشِيِّ وزِيَادُ بْنُ عَمْرِو العَشَكِيِّ ، وخرج شَيْبٌ حيث خرج من الكوفة ، فَأَتَى المُرْدَمَةَ وبها رجل من حَضْرَمَوْتٍ على العُشُور يقال له نَاجِيَةُ بْنُ مَرْثَدِ الحَضْرَمِيِّ ، فدخل الحَمَامَ ودخل عليه شَيْبٌ فاستخرجه فضرب عنقه ، واستقبل شَيْبٌ النَّضْرَ بْنَ الصَّمْعَقِ بْنِ شُورٍ - وكان مع الحِجَّاجِ حين أُقْبِلَ مِنَ البَصْرَةِ ، فَلَمَّا طَوَى الحِجَّاجُ المَنَازِلَ خَلَفَهُ ورائه - فلما رآه شَيْبٌ ومعه أصحابه عرفه ، فقال له شَيْبٌ : يا نَضْرُ بْنُ الصَّمْعَقِ ، لا حُكْمَ إِلَّا لله - وإنَّا أَرَادَ شَيْبٌ ^(١) بمقاتلته له تَلَقِّيْنَهُ ، فلم يفهم النَّضْرُ - فقال : ﴿ إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، فقال أصحاب شَيْبٍ : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَأَنَّكَ إِنَّمَا تَرِيدُ بِمَقَاتِلِكَ أَنْ تَلْقَنَهُ . فشدوا ٩٢١/٢ على نَضْرٍ فقتلوه .

قال : واجتمعت تلك الأمراء في أسفل الفرات ، فترك شَيْبٌ الوجهَ الذي فيه جماعةُ أولئك القَوَادِ ، وأخذ نحو القَادِمِيَّةِ ، ووجهَ الحِجَّاجِ زَحْرُ بْنُ قَيْسٍ في جَرِيدَةِ خَيْلٍ نَقَاوَةِ أَلْفٍ وثمانمائة فارس ، وقال له : أتبع شَيْبًا حتى تواقعته حينًا أدركتته ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُنْطَلِقًا ذَاهِبًا فَاتركه ما لم يعطف عليك أو ينزل فيقيم لك ، فلا تبرحْ إن هو أقام حتى تواقعته ، فخرج زَحْرُ حتى انتهى إلى السَّيْلَحِيِّينَ ، وبلغ شَيْبًا مَسِيرُهُ إِلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ نحوه فَالتَقِيَا ، فجعل زَحْرُ على مِمْنته عبد الله بن كَسَّازِ النَّهْدِيِّ ، وكان شجاعًا ، وعلى ميسرته عَدِيُّ بْنُ عَدِيِّ بْنِ عَمِيرَةَ الكَنْدِيِّ الشَّيْبَانِيَّ ، وجمع شَيْبٌ خِيَلَهُ كُلَّهَا كَسْبَكِيَّةً واحدةً ، ثُمَّ اعترض بها الصَّفَّ ، فوجف وجيفًا ، واضطرب حتى انتهى إلى زَحْرُ بْنُ قَيْسٍ ، فنزل زَحْرُ بْنُ قَيْسٍ ، فقاتل زَحْرُ حتى صرَّع ، وانهزم أصحابه ، وظنَّ القَوْمُ أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوهُ ، فلما كان في السَّحَرِ وَأَصَابَهُ البرد قام بتمشقه حتى دخل قريةً فبات بها ، وحُمِلَ منها إلى الكوفة وبوجْهه ورأسه بضع عشرة جراحة ما بين ضربة وطعنة ، فكث أَيْامًا ، ثُمَّ أَنَّى الحِجَّاجُ وعلى وجْهه وجراحه القُطْنُ ، فَأَجْلَسَهُ الحِجَّاجُ معه على السَّرِيرِ ، وقال لمن حوله : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ وَهُوَ ٩٢٢/٢

شهيد فليظنر إلى هنا . وقال أصحابُ شبيب لشبيب وهم يظنون أنهم قد قتلوا زحراً : قد هزمتنا لهم جنداً ، وقتلنا لهم أميراً من أمرائهم عظيمًا ، انصرف بنا الآن وافرين ، فقال لهم : إن قتلنا هذا الرجل ، وهزمتنا هذا الجند ، قد أُرعبت هذه الأمراء والجنود التي بُعثت في طلبكم ، فاقصدوا بنا قصدَهم ؛ فوالله لئن نحن قتلناهم ما دون الحجاج من شيء وأخذ الكوفة إن شاء الله . فقالوا : نحن لرأبك سمع تبع ، ونحن طوع يدبك .

قال : فاقصص بهم جواداً حتى يأتي نَجْران — وهي نَجْران الكوفة ناحية عين التمر — . ثم سأل عن جماعة القوم فخبّر باجتماعهم برؤسبار في أسفل الفرات في بهقباذ الأسفل ، على رأس أربعة وعشرين فرسخاً من الكوفة . فبلغ الحجاج مسيره إليهم ، فبعث إليهم عبد الرحمن بن الغرق مولى ابن أبي عقيل — وكان على الحجاج كرمياً — فقال له : الحق يجماعتهم — يعني جماعة الأمراء — فأعلمهم بمسير المارقة إليهم ، وقل لهم : إن جمعكم قتالٌ فأمرُ الناس زائدة بن قدامة ، فأتاهم ابن الغرق فأعلمهم ذلك ، وانصرف عنهم .

٩٢٣/٢ قال أبو مخنف : فحدثني عبد الرحمن بن جندب قال : انتهى إلينا شبيب وفيما سبعة أمراء على جماعتهم زائدة بن قدامة ، وقد عبي كل أمير أصحابه على حدة ، في ميمتنا زياد بن عمرو العتكي ، وفي ميسرتنا بشر بن غالب الأسدي ، وكل أمير واقف في أصحابه . فأقبل شبيب حتى وقف على تل ، فأشرف على الناس وهو على فرس له كُسميت أقر ، فنظر إلى تعبيتهم ، ثم رجع^(١) إلى أصحابه ، فأقبل في ثلاث كتاب يوحفون ، حتى إذا دنا من الناس مضت كتيبة فيها سويد بن سليم ، فتقف في ميمتنا ، ومضت كتيبة فيها مصاد أخو شبيب ، فوقفت على ميسرتنا ، وجاء شبيب في كتيبة حتى وقف مقابل القلب . قال : وخرج زائدة ابن قدامة يسير في الناس فيا بين ميمنتهم إلى ميسرتهم يحرض الناس ويقول :

(١) ب ، ف : « في » . (٢) ب ، ف : « ورجع » .

يا عباد الله ، أنتم الكثيرون الطيبون ، وقد نزل بكم القليلون الخبيثون ، فاصبروا - جعلت لكم الفداء - لكرتين أو ثلاث تكثرن عليهم ، ثم هو النصر ليس بينه حاجز ولا دونه شيء . ألا ترون إلههم والله ما يكونون مائتي رجل ، إنما هم أكلة رأس ، إنما هم السراق المراق ، إنما جاءوكم ليَهْرِيقوا دماءكم ، ويأخذوا فتيحكم ، فلا يكونوا على أخذهم أقوى منكم على منعه ، وهم قليل وأنتم كثير ، وهم أهل فرقة وأنتم أهل جماعة ، غصوا الأبصار ، واستقبلوهم بالأسيئة ، ولا تحملوا عليهم حتى آمركم ، ١٢١/٢ ثم انصرف إلى موقفه .

قال : ويَحْمِلُ سُوَيْدُ بْنُ سَلِيمٍ عَلَى زِيَادِ بْنِ عَمْرٍو ، فَاَنْكَشَفَ صَقْلَهُمْ ، وَثَبَّتَ زِيَادٌ فِي نَحْوِ مِنْ نِصْفِ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ ارْتَفَعَ عَنْهُمْ سُوَيْدٌ قَلِيلًا ، ثُمَّ كَرَّ عَلَيْهِمْ ثَانِيَةً ، ثُمَّ اطْعَمُوا سَاعَةً .

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط ، قال : أنا والله فيهم يومئذ ، قال : اطعمنا ساعة وصبروا لنا حتى ظننت أنهم لن يزولوا ، وقاتل زياد بن عمرو قتالا شديداً ، وجعل^(١) ينادى : يا خيلي ، ويشد بالسيف فيقاتل قتالا شديداً ، فلقد رأيت سويد بن سليم يومئذ وإنه لأشجع العرب وأشد قتالا ، وما يحرص له . قال : ثم إذا ارتفعنا عنهم أخيراً فإذا هم يتقوضون ، فقال له أصحابه : ألا تراه يتقوضون ! احمل عليهم ، فقال لهم شبيب : خلوهم حتى يخفوا ، فركوهم قليلاً ، ثم حمل عليهم الثالثة فانهزموا . فنظرت إلى زياد ابن عمرو وإنه ليضرب بالسيف^(٢) ، وما من سيف يضرب به إلا نبا عنه وهو مجفف ، ولقد رأيته اعتوره أكثر من عشرين سيفاً فما ضره من ذلك شيء . ثم إنه انهزم وقد جرح بجراحة يسيرة ، وذلك عند المساء . قال : ثم شددنا على عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فهزماه ، وما قاتلنا كثيراً ، وقد ضارب ساعة ، وقد بلغني أنه كان جرح ثم لحق بزياد بن عمرو ، فضينا منهزمين حتى انتهينا إلى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب ، فقاتلنا قتالا شديداً وصبر لنا .

(٢) ب ، ف : « بالسيف » .

(١) ب ، ف : « حمل » .

ذكر هشام عن أبي مخنف ، قال : حدثني عبد الرحمن بن جندب وفروة بن لقيط ، أن أبا شبيب مصاداً حمل على بشر بن غالب وهو في الميسرة ، فأبلى وكرّم والله وصبر ، فنزل ونزل معه رجال من أهل الصبر نحو من خمسين ، فصاروا بأسيا فهم حتى قتلوا عن آخرهم ، وكان فيهم عروة بن زهير بن ناجذ الأزدي ، وأمه زارة امرأة ولدت في الأزدي ، يقال لهم بنو زارة ، فلما قتلوه وانهزم أصحابه مالوا فشدوا على أبي الضريس مولى بني تميم ، وهو يلي بشر بن غالب ، فهزموه حتى انتهى إلى موقف أعين ، ثم شدوا عليه وعلى أعين جميعاً فهزموهما حتى انتهوا بهما إلى زائدة بن قدامة ، فلما انتهوا إليه نزل ونادى : يا أهل الإسلام ، الأرض الأرض ، إلى إلى ! لا يكونوا على كفرهم أصبر منكم على إيمانكم ، فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر . ثم إن شيباً شد عليه في جماعة من أصحابه فقتله وأصحابه وتركهم ربيعة حوله من أهل الحفاظ .

قال أبو مخنف : وحدثني عبد الرحمن بن جندب قال : سمعت زائدة ابن قدامة ليلتذد رافعاً صوته يقول : يا أيها الناس ، اصبروا وصابروا ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ . ٩٢٦/٢ ثم والله ما برح يقاتلهم مقبلاً غير مدبر حتى قتل .

قال أبو مخنف : وحدثني فروة بن لقيط أن أبا الصقير الشيباني ذكر أنه قتل زائدة بن قدامة ، وقد حاجته في ذلك آخر يقال له الفضل ابن عامر . قال : ولما قتل شبيب زائدة بن قدامة دخل أبو الضريس وأعين جوسقاً عظيماً ، وقال شبيب لأصحابه : ارفعوا السيف عن الناس وادعهم إلى البيعة ، فدعاهم إلى البيعة عند الفجر .

قال عبد الرحمن بن جندب : فكننت فيمن قدم إليه فبايعه وهو واقف على فارس وخيله واقفة دونه ، فكل من جاء لبايعه نزع سيفه عن عاتقه ، وأخذ سلاحه منه ، ثم يدنني من شبيب فيسلم عليه بإمرة المؤمنين ، ثم يخلني سبيله . قال : وإننا لذلك إذ انفجر الفجر وعمر بن

موسى بن طلحة بن عبيد الله في أقصى العسكر ، معه عصابة من أصحابه قد صبروا ، فلما انفجر الفجر أمر مؤذنه فأذن ، فلما سَمِعَ شبيب الأذان قال : ما هذا ؟ فقال : هذا محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله لم يَبْرَحْ ، فقال : قد ظننت أن حُمة وخيلاء مسيحه على هذا ؛ نَحُوا هؤلاء عَنَّا وانزلوا بنا فلنُصَلِّ . قال : فنزل فأذن هو ، ثم استقدم فصلى بأصحابه ، فقرأ : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ^(١) ، و ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالَّذِينِ﴾ ^(٢) ، ثم سلَّم ، ثم ركبوا فحَمَلَ عَلَيْهِم فأنكشفت طائفة من أصحابه ، وثبت طائفة . قال فروة : فما أنسى قوله وقد غَشِيَنَاهُ وهو يقاتل بسيفه وهو يقول : ﴿أَلَمْ أَحَسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ • وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَافِرِينَ﴾ ^(٣) . ٩٢٧/٢

قال : وضارب حتى قُتِل . قال : فسمعتُ أصحابي يقولون : إنَّ شبيباً هو الَّذي قتله . ثم إِنَّا نَزَلْنَا فَأَخَذْنَا مَا كَانَ فِي الْعِسْكَرِ مِنْ شَيْءٍ ، وَهَرَبَ الَّذِينَ كَانُوا بِأَيْمَانِ شَبِيبٍ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ .

* * *

وقد ذكر من أمر محمد بن موسى بن طلحة غير أبي مخنف أمراً غير الَّذي ذكرته عنه ، والَّذي ذكر من ذلك أن عبد الملك بن مروان كان ولي محمد بن موسى بن طلحة سجستان ، فكتب إليه الحجَّاج : إنك عامل كل بلد مرت به ، وهذا شبيب في طريقك . فعُدل إليه محمد ، فأرسل إليه شبيب : إنك امرؤ غُدُوع ، قد اتَّبَعْتُكَ الْحِجَّاجَ ، وَأَنْتَ جَارٌ لِّحَقٍّ ، فَاغْطَلِقْ لِمَا أَمَرْتُ بِهِ وَلَكَ اللَّهُ لَا آذَانُكَ ، فَأَبَى إِلَّا مَحَارَبَتَهُ ، فَوَاقَهُ شَبِيبٌ ، وَأَعَادَ إِلَيْهِ الرَّسُولَ ، فَأَبَى إِلَّا قِتَالَهُ ، فَعَادَا إِلَى الْبَرَازِ ، فَفَزَّ إِلَيْهِ الْبَطِينُ ثُمَّ قَعَبَ ثُمَّ سَوِيْدَ ، فَأَبَى إِلَّا شَبِيباً ، فَقَالُوا لِشَبِيبٍ : قَدْ رَغِبْنَا إِلَيْكَ ، قَالَ : فَمَا ظَنُّكُمْ هَذِهِ ^(٤) الْأَشْرَافُ ! فَفَزَّ إِلَيْهِ شَبِيبٌ ، وَقَالَ ^(٥) : إِنْ أَنْشَدُكَ اللَّهُ فِي دَمِكَ ، فَإِنَّ لَكَ جِوَاراً . فَأَبَى إِلَّا قِتَالَهُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ شَبِيبٌ فَضْرَبَهُ بِعَصَا حَدِيدٍ

(٢) سورة الماعون: ١ .

(١) سورة المدثر: ١ .

(٤) أ ، ب ، ف : وهام .

(٣) سورة التنبؤ: ١ - ٣ .

(٥) ب ، ف : وقال .

فيها اثنا عشر رطلا بالشأى ، فهشم بها بيضة عليه ورأسه فسقط ، ثم كَفَّته ودفنه ، وابتاع ما غنموا من عسكره ، فبعث به إلى أهله ، واعتذر إلى أصحابه ٩٢٨/٢ وقال : هو جارى بالكوفة ، ولئى أن أهَبَ ما غنمْتُ لأهل الرِّدة .

قال عمرُ بنُ شَبَّه : قال أبو عبيدة : كان محمدُ بنُ موسى مع عمر ابن عبيد الله بن معمر بفارس ، وشهد معه قتال أبي قُدَيْك وكان على ميمنته ، وشُهِر بالثَّجَلَة (١) وشدة البأس (٢) وزوجه عمر بن عبيد الله بن معمر ابنته أم عثمان وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان - فولاه سِجِسْتان ، فرَّ بالكوفة وبها (٣) الحِجَّاج بن يوسف ، فقبل للحِجَّاج : إن صار هذا إلى سِجِسْتان مع نجلته وصهره لعبد الملك فلجأ إليه أحدُهم تطلب ، مَتَمَك منه ، قال : فما الحيلة ؟ قيل : تأتبه وتسلم عليه ، وتذكر نجلته وبأسه وأن شيبباً فى طريقه ، وأنه قد أعياك ، وأنتك ترجو أن يريح الله منه على يده ، فيكون له ذكر ذلك وشهرته . ففعل ، فعدل إليه محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ، فواقه شيبب ، فقال له شيبب : إنى قد علمتُ خِدا ع الحِجَّاج ، وإنما اغتركت ووقى بك نفسه ، وكأنى بأصحابك لو قد التفتت حَلَقَتَا البطان قد أسلموك ، فصرعت مصرع أصحابك ، فأطمئنى وانطلق لشأنك ، فلانى أنفستُ بك عن الموت ، فأبى محمد بن موسى ، فبارزه شيبب فقتله .



رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . قال عبد الرحمن : لقد كان فيمن ٩٢٩/٢ بآبئة تلك الليلة أبو يردة بن أبى موسى الأشعرى ، فلما بآبئة قال له شيبب : أَلَسْتَ أبابردة ؟ قال : بلى ، قال شيبب لأصحابه : يا أخلاقى ، أبو هذا أحد الحكمين ، فقالوا : ألا تقتل هذا ؟ فقال : إن هذا لا ذنب له فيما صنع أبوه ، قالوا : أجل قال : وأصبح شيبب : فأنى مُقْبِلًا نحو القصر الذى فيه أبو الضريس وأعين

(٢) ب ، ف : « وليس » .

(١) ب : « وكان مشهوراً » .

(٣) ب ، ف : « وبها » .

فرموه بالنَّيْل ، وَتَحَصَّنَا مِنْهُ ، فَأَقَامَ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ شَخَّصَ عَنْهُمْ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : مَا دُونَ الْكُوفَةِ أَحَدٌ يَمْنَعُنَا ؛ فَنَظَرُوا إِذَا أَصْحَابُهُ قَدْ جَرُّوا^(١) ؛ فَقَالَ لَهُمْ : مَا عَلَيْكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا قَدْ فَعَلْتُمْ ، فَخَرَجَ بِهِمْ عَلَى نَيْفَرٍ ، ثُمَّ عَلَى الصَّوْرَةِ ، ثُمَّ عَلَى بَغْلَدَادَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى خَانِجِيَارٍ فَأَقَامَ بِهَا .

قال : وَلَمَّا بَلَغَ الْحِجَّاجُ أَنَّ شَيْبِيًّا قَدْ أَخَذَ نَحْوَ نَيْفَرٍ ظَنَّ أَنَّهُ يَرِيدُ الْمَدَائِنَ - وَهِيَ بَابُ الْكُوفَةِ ، وَمَنْ أَخَذَ الْمَدَائِنَ كَانَ مَا فِي يَدِهِ مِنْ أَرْضِ الْكُوفَةِ أَكْثَرَ - فَهَالِكُ ذَلِكَ الْحِجَّاجُ ، وَبَعَثَ إِلَى عُمَانَ بْنِ قُطَيْبٍ ، وَدَعَاهُ وَسَرَّحَهُ إِلَى الْمَدَائِنَ ، وَوَلَّاهُ مَنِيرَهَا وَالصَّلَاةَ وَمَعُونَةَ جُيُوشِ كُلِّهَا وَخِرَاجَ الْأَسْتَانَ . فَخَرَجَ مَسْرِعًا حَتَّى نَزَلَ الْمَدَائِنَ ، وَعَزَلَ الْحِجَّاجُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي عَصِيْفِيرٍ ؛ وَكَانَ بِهَا الْجَزَلُ مَقِيمًا أَشْهَرًا يُبْلَاوِي جِرَاحَتَهُ ، وَكَانَ ابْنُ أَبِي عَصِيْفِيرٍ يَعُودُهُ وَيَكْرِهُهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ عُمَانُ بْنُ قُطَيْبٍ الْمَدَائِنَ لَمْ يَعُدَّهُ ، وَلَمْ يَكُنْ يَتِمَاهُ ذَلِكَ وَلَا يُلَظِّفُهُ بِشَيْءٍ ، فَقَالَ الْبُحْزَلُ : اللَّهُمَّ زِدْ ابْنَ عَصِيْفِيرٍ جُودًا وَكِرَمًا وَفَضْلًا ، ١٣٠/٢ وَزِدْ عُمَانَ بْنَ قُطَيْبٍ ضَيْقًا وَبُخْلًا . قَالَ : ثُمَّ إِنَّ الْحِجَّاجَ دَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عُمَرَ بْنِ الْأَشْعَثِ فَقَالَ : ائْتِخِبِ النَّاسَ ، وَخَرُجْ فِي طَلَبِ هَذَا الْعَدُوِّ ، فَأَمَرَهُ بِتُخْبَةِ سِتَّةِ آلَافٍ ، فَاتَّخَبَ فُرْسَانُ النَّاسِ وَوُجُوهُهُمْ ، وَأُخْرِجَ مِنْ قَوْمِهِ سِتْمِائَةٌ مِنْ كَيْفَلَةٍ وَحَقْفَرَمُوتَ ، وَاسْتَحْتَتِ الْحِجَّاجُ بِالْعُسْكَرِ ، فَعَسَكَرَ بِدِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَلَمَّا أَرَادَ الْحِجَّاجُ إِشْخَاصَهُمْ كَتَبَ إِلَيْهِمْ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ اعْتَلْتُمْ عَادَةَ الْأَذْلَاءِ ، وَلَوْ لَقِمَ الدُّبُرَ يَوْمَ الْزَحْفِ ، وَذَلِكَ دَابُّ الْكَافِرِينَ ، وَإِنِّي قَدْ صَفَحْتُ عَنْكُمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَمَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ . وَإِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَمًا صَادِقًا لَنْ عَدِمَ لِنَاكَ لِأَوْقِنَ بِكُمْ إِيقَاعًا أَكُونُ أَشَدَّ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْعَدُوِّ الَّذِي تَهَرَّبُونَ مِنْهُ فِي بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَالشَّعَابِ ، وَتَسْتَتِرُونَ مِنْهُ بِأَنْثَاءِ الْأَنْهَارِ وَالْأَوَادِ^(٢) الْجِبَالِ ، فَخَافَ مِنْ لَهْ مَسْقُولٍ عَلَى نَفْسِهِ ، وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْهَا سَبِيلًا ، وَقَدْ أَعْدَرَ مِنْ أَنْذَرٍ وَقَدْ أَسْمَعَتْ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي^(٣)

(١) كَلَانَا ، وَفَط : « حَرَّجُوا » . (٢) لَوْ الْجِبَل : جَلَابِهِ .

(٣) لَعَسَوْا بَيْنَ مَدَى يَكْرِيبُ ، سَرَحَ الْعَيْنِ ٤٦٦ .

والسلام عليكم .

قال : ثم سرح ابن الأصم مؤذنته ، فأتى عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث عند طلوع الشمس ، فقال له : ارتحل الساعة ونادى في الناس : أن برئت الذمة من رجل من هذا البعث وجندناه متخلفاً . فخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في الناس حتى مرّ بالمدائن فنزل يوماً ليلة ، وتشترى أصحابه حوائجهم ، ثم نادى في الناس بالرحيل ، فارتحلوا ، ثم أقبلوا حتى دخل على عثمان بن قطن ، ثم أتى الجزل فسأله عن جراحته ، وسأله ساعة وحده . ثم إن الجزل قال له : يا بن عم : إنك تسير إلى فرسان العرب وأبناء الحرب ، وأحلاس الخيل ، والله لكانما خلّقوا من ضلوعها ، ثم بنوا على ظهورها ، ثم هم أسد الأجسم ، الفارس منهم أشد من مائة ، إن لم تبدأ به بدأ ، وإن مضجج أقدم ، فإني قد قاتلتهم وبلوتهم ، فإذا أصحرت لهم انتصفوا مني ، وكان لهم الفضل على ، وإذا خستقت على وقاتلتهم في مصيق نلت منهم بعض ما أحب ، وكان لي عليهم الظفر ، فلا تلقهم وأنت تستطيع إلا في تعبئة أو في خندق . ثم إنه ودّعه ، فقال له الجزل : هذه فرمى الفسيقياء ، خذها فإني لا تجارى . فأخذها ثم خرج بالناس نحو شبيب ، فلما دنا منه ارتفع عنه شبيب إلى دقوقاء وشهرزور ، فخرج عبد الرحمن في طلبه ، حتى إذا كان على النخوم أقام ، وقال : إنما هو في أرض الموصل ، فليقاتلوا عن بلادهم أو ليدعوه ، فكتب إليه الحجّاج بن يوسف :

أما بعد ، فاطلب شبيباً واسلك في أثره أين سلك حتى تدركه فتقتله أو تنفيه ، فإنما السلطان سلطان أمير المؤمنين والجنّد جندّه .
والسلام .

فخرج عبد الرحمن حين قرأ كتاب الحجّاج في طلب شبيب ، فكان شبيب يدّعه حتى إذا دنا منه بيته ، فيجده قد خندق على نفسه وحّدّر ، فيمضي ويدّعه ، فيتبعه عبد الرحمن ، فإذا بلغه أنّه قد تحمل وأنه يسير أقبل في الخيل ، فإذا انتهى إليه وجده قد صفّ الخيل والرجال وأدنى

المرامية ، فلا يصيبُ له غيرةٌ ولا له عيلةٌ ، فيمضي ويدعه .

قال : ولما رأى شبيب أنه لا يصيب لعبد الرحمن غيرةً ولا يصل إليه ، جعل يخرُج إذا دنا منه عبد الرحمن في خيله ، فينزل على مسيرة عشرين فرسخاً ، ثم يقيم في أرض غليظة حَزْنَةً^(١) ، فيجىء عبد الرحمن ، فإذا دنا من شبيب ارتحل شبيب فصار خمسة عشر أو عشرين فرسخاً ، فنزل منزلاً غليظاً خشناً ، ثم يقيم حتى يدنو عبد الرحمن .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الرحمن بن جندب أن شبيباً كان قد عذَّب ذلك العسكرَ وشقَّ عليهم ، وأحق دوابهم ، ولتقوا منه كلَّ بلاء ، فلم يزل عبد الرحمن يتبعه حتى مرَّ به على خانقين ثم على جلولاء ثم على تامراً ، ثم أقبل حتى نزل البت - قرية من قرى المتوصل على تخوم المتوصل ، ليس بينها وبين سواد الكوفة إلا نهر يسمى حولايا - قال : وجاء عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث حتى نزل في نهر حولايا وفي راذان^(٢) الأعلى من أرض جُوحى ، ونزل عواقل من النهر ، ونزلها عبد الرحمن حيث نزلها وهي تُعجبه ، يرى أنها مثل الخندق والحصى . قال : ٩٣٢/٢ وأرسل شبيب إلى عبد الرحمن : إن هذه الأيام أيام عيد لنا ولكم ، فإن رأيتم أن توادعونا حتى تمضي هذه الأيام فافعلوا . فقال له عبد الرحمن : نعم ، ولم يكن شيء أحب إلى عبد الرحمن من المطاولة والمواذعة . قال : وكتب عثمان بن قطن إلى الحجاج :

أما بعد ، فلاني أخير الأمير أصلحه الله أن عبد الرحمن بن محمد قد حفر جُوحى كلها خندقاً واحداً ، وخلق شبيباً وكسر خراجها وهو يأكل أهلها . والسلام .

فكتب إليه الحجاج :

أما بعد ، فقد فهمت ما ذكرت لي عن عبد الرحمن ، وقد لعمري فعل

(١) كلاً في ١ ، وفي ط : « جلية » . (٢) ب ، ف : « وهو في راذان » .

ما ذكرت ، فسير إلى الناس فأنت أميرهم ، وعاجل المارقة حتى تلقاهم .
فإن الله إن شاء الله ناصرهم عليهم . والسلام .

قال : وبعث الحجّاج إلى الملائن مطرف بن المغيرة بن شعبة ، وخرج
عثمان حتى قدّم على عبد الرحمن بن محمد ومنّ معه من أهل الكوفة وهم
مُعسكرون على نهر حوّلّايا قريباً من البتّ ، عشية الثلاثاء ، وذلك يوم
الثّروية ، فنادى الناس وهو على بغلة : أيّها الناس ، اخرجوا إلى عدوكم .
فوثب إليه الناس ، فقالوا : نُشْشِكُ اللهَ ، هذا المساء قد غُشِيَنا ، والناس
لم يُوطئوا أنفسهم على القتال ، فبت اللّيلة ثمّ اخرج بالناس على تعبئة .
فجعل يقول : لأنّجزكمهم ، ولتكوننّ الفرصة لي أو لهم . فأتاهم عبد الرحمن
فأخذ بمنان دابّته ، فاشدّه الله لمّا نزل ، وقال ^(١) له عَقِيلُ بْنُ شَدَادٍ اسْلُمُوا :
١٢٤/٢ إنّ الذي تريد من مُناجرتهم الساعة أنت فاعله ^(٢) غداً : وهو غداً أخير

لك والناس . إن هذه ساعة ربيع وغبرة ، وقد أُمِيتَ فانزل ، ثمّ أبكبرنا إليهم
غداةً . فنزل ، فسفت عليه الريح ، وشقّ عليه الغبار ، ودعا صاحب
الخراج المُكَلَّوجَ فَيَسَّرَ لَهُ قُبَّةً فَبَاتَ فِيهَا ، ثمّ أصبح يوم الأربعاء ، فجاء
أهل البتّ إلى شبيب - وكان قد نزل ببيعتهم - فقالوا : أصلحك الله أنت
ترحم الضّعفاء وأهل الجزية ، ويكلمك منّ تلى عليه ، ويشكون إليك ما نزل
بهم فتنظر لهم ، وتكفّ عنهم ، وإن هؤلاء القوم جبابرة لا يكلمون ولا
يقبلون العذر ، والله لئن بكفهم أنّك مقيم في بيعتنا ليقتلنّا إن قضى لك
أن تترحل عنّا ، فإن رأيتَ فانزل جانب القرية ولا تجعل لهم علينا مقلاً ،
قال : فإني أفعل ذلك بكم ، ثمّ خرج فنزل جانب القرية . قال : فبات
عثمان ليلته كلّها يحرّضهم ؛ فلمّا أصبح - ذلك يوم الأربعاء - خرج بالناس
فاستقبلتهم ريحٌ شديدة وغبرة ، فصاح الناس إليه ، فقالوا ^(٣) : نُشْشِكُ اللهَ
أن تخرج بنا في هذا اليوم ، فإنّ الريح علينا ! فأقام بهم ذلك اليوم ، وأراد
شبيب قتالهم ، وخرج أصحابه ، فلمّا رآهم لم يخرجوا إليه أقام ، فلمّا كان

(١) س : وقال . (٢) ب ، ف : وقد عذر عليه .

(٣) ب ، ف : وقالوا له .

ليلة الخميس خرج عثمانُ فعَقِيَ الناسَ على أرباعِهِمْ ، فجعل كلُّ رُبْعٍ في جانبِ العسْكَرِ ، وقال لهم : اخرجوا على هذه التعبئة ، وسألهم : من كان على ميمنتكم ؟ قالوا : خالدُ بنُ نُهَيْكٍ بنِ قيسِ الكِنْدِيِّ ، وكان على ١٣٥/٢
ميسرتنا عَقِيلُ بنُ شَدَّادِ السَّلُولِ ، فدعاهما فقال لهما : قفا مواضعكما التي كنتمَا بها ، فقد وليتكما المَجَنَّبَتَيْنِ ، فاثبتا ولا تَغَيَّرَا ، فوافقه لا أزل حتى يزول نَحْلُ راذانٍ عن أصوله . فقالا : ونحن والله الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ لا نَغَيَّرُ^(١) حتى نَظْفِرَ أو نُقَتَلَ^(٢) ، فقال لهما : جزاكا اللهُ خيرا . ثمَّ أَقامَ حتى صَلَّى بالناسِ الغداةَ ، ثمَّ خرج فجعل رُبْعَ أهلِ المدينةِ تيممَ وهَسَدانَ نحوَ نَهرِ حَوَلايا في الميسرة ، وجعل رُبْعَ كِنْدَةَ ورُبْعَةَ وَكُحَجٍ وأَسَدَ في الميمنة ، ونزل يَمْشِي في الرِّجَالِ ، وخرج شبيب وهو يومئذ في مائة وأحد وثمانين رجلا ، فقطع إليهم النَّهْرَ ، فكان هو في ميمنة أصحابه ، وجعل على ميسرته سُؤَيْدُ بنُ سُلَيْمٍ ، وجعل في القلبِ مِصَادُ بنُ يَزِيدَ أَخَاهُ ، وزحفوا وصما^(٣) بعضهم لبعض .

قال أبو مخنف : فحدثني النَّصْرُ بنُ صَالِحِ العَبْسِيُّ أَنَّ عُمَانَ كَانَ يَقُولُ فِيكَتَرُ : ﴿ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَمُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٤) . أين المحافظون على دينهم ، المحامون عن فيئهم ! فقال عَقِيلُ بنُ شَدَّادِ بنِ حُبَشَى السَّلُولِ : لعلني أن أكون أحدَهم ، قَتِلَ أُولَئِكَ يَوْمَ رَوْذِ بَار . ثم قال شبيب لأصحابه : إني حاملٌ على ميسرهم ممَّا بلى النَّهْرَ ، فإذا هزمتُها فليحمل صاحبُ ميسرتي على ميمنتهم ، ولا يبرح صاحب القلب ١٣٦/٢
حتى يأتيه أمرى . وحمل في ميمنة أصحابه ممَّا بلى النَّهْرَ على ميسرة عُثْمَانَ بنِ قُطَيْبٍ فانهمزوا ، ونزل عَقِيلُ بنُ شَدَّادٍ فقاتلَ حتى قُتِلَ ، وقُتِلَ يومئذ مالكُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ الهَمْدَانِيُّ ثمَّ المَرْهِيُّ^(٥) ، عمُّ عِيَّاشِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عِيَّاشِ المَسْنُوفِ ، وجعل يومئذ عَقِيلُ بنُ شَدَّادٍ يقول وهو يُجَالِدُهُمْ :
لَأَضْرِبَنَّ بِالْحِصَامِ الْبَاتِرَ ضَرْبَ غُلَامٍ مِنْ سَلُولٍ صَابِرٍ

(١) ب ، ف : لا نفرشك الله الذي لا إله إلا هو علينا بذلك .

(٢) ب ، ف : ونسى . (٣) سورة الأحزاب : ١٦ .

(٤) ب ف ، والمجزي .

ودخل شبيب عسكرهم ، وحمل سُويد بن سليم في ميسرة شبيب على
 ميمنة عُمَان بن قُطَن فهِزَمَهَا ، وعليها خالد بن نهيك بن قيس الكندي ،
 فنزل خالد فقاتل ^(١) قتالاً شديداً ، وحمل عليه شبيب من ورائه وهو على
 ربيع كينة وربيعة يومئذ ، وهو صاحب الميمنة ، فلم ينثن شبيب حتى علاه ^(٢)
 بالسيف فقتله ، ومضى عُمَان بن قُطَن وقد نزلت معه العرفاء وأشراف الناس
 والفُرسان نحو القلب ، وفيه أخو شبيب في نحو من ستين راجلاً ، فلماً دنا
 منهم عُمَانُ بن قُطَن شدَّ عليهم في الأشراف وأهل الصبر فضاربوهم حتى
 فرقوا بينهم ، وحمل شبيب بالخيـل من ورائهم ، فاشعروا إلا والرماح في
 أكافهم تكبيهم لوجوهم ، وعطف عليهم سُويد بن سليم أيضاً في
 خيـله ، ورجع مصاد وأصحابه ، وقد كان شبيب رجلاً ، فاضطربوا
 ساعة ، وقاتل عُمَان بن قُطَن فأحسن القتال . ثم إنهم شدوا عليهم فأحاطوا
 به ، وحمل عليه مصاد أخو شبيب فضربه ضربة بالسيف استدار لها ،
 ثم قال : **(وَكَانَ أَمْرُ الْيَمِّمْعُولَا)** ^(٣) . ثم إن الناس قتلوه ، وقتل يومئذ الأبرد بن
 ربيعة الكندي ، وكان على تل ، فألقى سلاحه إلى غلامه وأعطاه فرسه ،
 وقاتل حتى قُتل . ووقع عِدُ الرحمن فرأه ابن أبي سبرة الجعفي وهو على
 بغلة فعرفه ، فنزل إليه فناوله الرمح وقال له : اركب ، فقال عبد الرحمن
 ابن محمد : أينما الرديف ؟ قال ابن أبي سبرة : سبحان الله ! أنت الأمير
 تكون المقدّم ، فركب وقال لابن أبي سبرة : ناد في الناس : الحقوا بدبر
 أبي مريم ، فنادى ، ثم انطلقا ذاهبين ، ورأى واصل بن الحارث السكوني
 فرس عبد الرحمن الذي حمـله عليه الجَزَلُ يَجُولُ في العسكر ، فأخذها
 بعض أصحاب شبيب ، فظنَّ أنه قد هلك ، فطلبه في القتل فلم يجده ،
 وسأل عنه فقيل له : قد رأيـنا رجلاً قد نزل عن دابته فحمـله عليها ، فأخطفه
 أن يكون إياه ، وقد أخذ هاهنا آنفاً . فأتبعه واصل بن الحارث على
 بَرْدُونِه ومع واصل غلامه على بقتل ، فلماً دنوا منها قال محمد بن
 أبي سبرة لعبد الرحمن : قد والله لحق بنا فارسان ، فقال عِدُ الرحمن : فهل

(٢) ب ، ف : عطف .

(١) ب ، ف : وقاتل .

(٣) الأحزاب : ٣٧ .

غيرُ اثنين ؟ فقال : لا ، فقال عبد الرحمن : فلا يعجز اثنان عن اثنين . قال : وجعل يحدث ابن أبي سبيرة كأنه لا يكثرُ بهما ، حتى لَحِقَهُمَا الرجلان ، فقال له ابنُ أبي سبيرة : رحمك الله ! قد لحقنَا الرجلان ، فقال له : فانزل بنا ، فنزلَا فانتضيا سيفيهما ، ثم مضيا إليهما ، فلما رأهما واصل عرقهما ، فقال ^(١) لهما : إنكما قد تركتما النزول في موضعه ، فلا تنزلا الآن ، ثم حَسَرَ العمامةَ عن وجهه ، فعرفاه فرحبا به ، وقال لابن الأشعث : إني لَمَّا رَأَيْتُ فِرْسَكَ يحولُ في المعسكر ظننتُك راجلا ، فأتيتُك بِسِرْدَوْنِي هذا لِرَكْبَتِهِ ، فترك لابن أبي سبيرة بغلته ، وركب البِرْدَوْنَ ، وانطلق عبدُ الرحمنُ بنُ الأشعث حتى نزل دَيْرَ اليعار ، وأمر شبيبُ أصحابه فرفعوا عن الناس السيف ، ودعاهم إلى البيعة ، فأثاه من بقى من الرِّجَالَةِ فبايعوه ، وقال له أبو الصَّقِير ^(٢) المخلصي : قتلنا من الكوفيِّين سبعةً في جوف النهر كان آخرهم رجلا تعلّق بثوبى وصاح ، ورهبنى حتى رهبنته ، ثم إني أقدمت عليه فقتلته . وقُتِل من كندة مائة وعشرون يومئذ وألفٌ من سائر الناس أو ستمائة ، وقُتِل عَظُمُ العُرَفاء يومئذ .

قال أبو مخنف : حدثني قدامة بن حازم بن سُفْيَان الخثعمي أنه قَتَلَ منهم يومئذ جماعة ، وبات عبد الرحمن بنُ محمد تلك الليلة بدَيْرِ اليعار ، فأثاه فارسان فصعدا إليه فوقَ البيت ، وقام آخرُ قريبا منهما فحالا أحدهما بعبد الرحمن طويلا يناجيه ، ثم نزل هو وأصحابه ، وقد كان الناس يتحدّثون أن ذلك كان شبيبا ، وأنه قد كان كاتبه ، ثم خرج عبد الرحمن آخر الليل فسار حتى أتى دَيْرَ أبي مرجم ، فإذا هو بأصحاب الخيل قد وُضِع لهم محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبيرة صُبْرَ الشعير والقت بعضه على بعض كأنه القصور ، ونحر لهم من الجزر ^(٣) ما شاءوا ، فأكلوا يومئذ ، وعكفوا دوابهم ، واجتمع الناس إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقالوا له : إن سمع شبيبُ بمكانك أنماك وكنت له غنيمة ، قد ذهب الناس وتفرقوا وقُتِل خيارهم فالحقُ أيها الرجل بالكوفة . فخرج إلى الكوفة ورجع الناس أيضا ، وجاء

(١) ب ، ف : وقال . (٢) ط : « الصفر » . (٣) ا : « الجزر » .

فاختبأ من الحجّاج حتّى أخذ الأمان بعد ذلك .

* * *

[نقش الدنانير والدراهم بأمر عبد الملك بن مروان]

وفي هذه السنّة أمر عبد الملك بن مروان بنقش الدنانير والدراهم .
ذكر الواقدي : أن سعد بن راشد حدثه عن صالح بن كيسان بملك .
قال : وحدثني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، أن عبد الملك ضرب
الدراهم والدنانير عامئذ ، وهو أول من أحدث ضربها .

قال : وحدثني خالد بن أبي ربيعة ، عن أبي هلال ، عن أبيه ،
قال : كانت مثاقيل الجاهلية التي ضرب عليها عبد الملك اثنين وعشرين
قيراطاً إلا حبة ، وكان العشرة وزن سبعة .

قال : وحدثني عبد الرحمن بن جرير السبيعي عن هلال بن أسامة قال :
سألت سعيد بن المسيّب في كمّ تجب الزكاة من الدنانير ؟ قال : في كل
٩٤٠/٢ عشرين مثقالاً بالشأى نصف مثقال ، قلت : ما بال الشأى من المصرى ؟
قال : هو الذي تضرب عليه الدنانير . وكان ذلك وزن الدنانير قبل أن تضرب
الدنانير ، كانت^(١) اثنين وعشرين قيراطاً إلا حبة ، قال سعيد . قد عرفته ،
قد أرسلت بدنانير إلى دمشق فضربت على ذلك .

* * *

وفي هذه السنّة : وفد يحيى بن الحَكَم على عبد الملك بن مروان
ووليّ أبان بن عثمان المدينة في رجب .

وفيها استقضى أبان بن نوفل بن مساحق بن عمرو بن خديش من
بنى عامر بن لؤي .

وفيها وليد مروان بن محمد بن مروان .

وأقام الحجّ للناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير على المدينة ،
حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ،
عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقدي .

وكان على الكوفة والبصرة الحجّاج بن يوسف ، وعلى خراسان أمية بن
عبد الله بن خالد ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة زرارعة بن أوفى .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين

[معاربة شبيب عتاب بن ورقاء وزهرة بن حوية وقتلها]
 في هذه السنة قتل شبيب عتّاب بن ورقاء الرياحي وزهرة بن حوية
 * ذكر الخبر عن سبب مقتلهما :

وكان سبب ذلك فيما ذكر هشام^(١) عن أبي مخنف ، عن عبد الرحمن
 ابن جندب وفرّوة بن لعيط ، أن شبيباً لما هزم الجيش الذي كان
 الحجّاج وجهه^(٢) مع عبد الرحمن بن عمّاد بن الأشعث إليه ، وقتل عثمان
 ابن قطن ، وذلك في صيفٍ حارٍّ شديد ، اشتدّ الحرّ عليه وعلى أصحابه ،
 فأتت ماه بهزّاذان فتصيّف بها ثلاثة أشهر ، وأناه ناسٌ كثيرٌ ممّن يطلب
 الدنيا فليحقّقوا به : وناسٌ ممّن كان الحجّاج يطلبهم بمالٍ أو تباعات ؛
 كان منهم رجلٌ من الحميّ يقال له الحرّ بن عبد الله بن عوف ، وكان
 دهنقاناً من أهل نهر درّقيط قد أساء إليه وضيّقاً عليه ، فشددّ عليها
 فقستّكهما ، ثمّ لحق بشبيب فكان معه بماء ، وشهد معه موطنه حتّى
 قُتل ، فلمّا آمن الحجّاج كلٌّ ممّن كان خرّح إلى شبيب من أصحاب
 المال والتباعات - وذلك بعد يوم السبخة - خرج إليه الحرّ فيمن خرج ،
 فجاء أهل الدهقانين يستعدّون عليه الحجّاج ، فأتى به فدخل ، وقد
 أوصى ويثس من نفسه ، فقال له الحجّاج : يا عدوّ الله ، قتلت رجّلين
 من أهل الحراج ! فقال له : قد كان أصلحك الله ما هو أعظم من هذا ، فقال :
 وما هو ؟ قال : خروجي من الطاعة وفراق الجماعة ، ثمّ آمنت كلٌّ من
 خرج إليك ، فهذا أمانى وكتابك لى . فقال له الحجّاج : أولى لك ! قد
 لعسرى فعلتُ ، وختلّى سبيلهُ .

قال : ولمّا انفسخ الحرّ عن شبيب خرج من ماء في نحو من ثمانمائة
 رجل ، فأقبل نحو المدائن وعليها مطّرف بن المغيرة بن شعبة ، فجاء

(١) ب ، ف ، بعلما : « بن محمد » . (٢) ب ، ف : « وجهه الحجّاج » .

حتى نزل قناطر حذيفة بن اليمان، فكتب ما ذروا سب عظيم بابل مهروز إلى الحجّاج :

أمّا بعد : فإني أخير الأمير أصلحه الله أن شيباً قد أقبل حتى نزل قناطر حذيفة ، ولا أدري أين يريد !

فلما قرأ الحجّاج كتابه قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، والله لتقاتلن عن بلادكم وعن فيئكم أو لأبعثن إلى قوم هم أطوع وأسمع وأصبر على اللأواء والغيط منكم ، فيقاتلون عدوكم ، ويأكلون فيئكم .

فقام إليه الناس من كل جانب ، فقالوا : نحن نقاتلهم ونعيب الأمير ، فليندبنا الأمير إليهم فلاناً حيث سرّه . وقام إليه زهرة بن حوية وهو شيخ كبير لا يستم قائماً حتى يؤخذ بيده . فقال له : أصلح الله الأمير ! إنك إنما تبعث إليهم الناس متقطّعين ، فاستنصر الناس إليهم كافة فليستفروا إليهم كافة^(١) ، وابعث عليهم رجلاً تبتأشجاعاً مجرباً للحرب ممن يرى الفرار هضماً وعاراً والصبر مجدداً وكرماً . فقال الحجّاج : فانت ذاك فاخرج ، فقال : أصلح الله الأمير ! إنما يصلح للناس في^(٢) هذا رجل

٩٤٢/٢

يحمّل الرمح والدرع ، ويهزّ السيف ، ويثبت على من القوس ، وأنا لا أطيق من هذا شيئاً ، وقد ضعف بصري وضعفت ، ولكن أخرجني في الناس مع الأمير ، فإني إنما أثبت على الراحلة^(٣) فأكون مع الأمير في عسكره وأشير عليه برأيي . فقال له الحجّاج : جزاك الله عن الإسلام وأهله في أول الإسلام خيراً ، وجزاك الله عن الإسلام في آخر الإسلام خيراً ، فقد نصحت وصدقت ، أنا مخرجُ الناس كافة . ألا فسيروا أيها الناس . فانصرف الناس فجعلوا يسرون وليس يسرون من أميرهم !

وكتب الحجّاج إلى عبد الملك بن مروان :

أمّا بعد ، فإني أخير أمير المؤمنين أكرمه الله أن شيباً قد شارف المدائن وإنما يريد الكوفة ، وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة ، في

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « فليفر إليهم » (٢) ١ ، س : « الناس في هذا » .

(٣) س : « الراحلة » .

كلها يقتلُ أمراءهم . ويقتلُ جنودهم ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إلى أهل الشام فيقاتلوا^(١) عدوهم ويأكلوا بلادهم فليقتل ، والسلام .

فلما أتى عبد الملك كتابه بعث إليه سفيان بن الأبرد في أربعة آلاف ،

وبعث إليه حبيب بن عبد الرحمن الحنكسي^(٢) من مَذْحِج في ألفين ، فسرَّحهم ٩٤٤/٢ حين أتاه الكتاب إلى الحجَّاج ، وجعل أهل الكوفة يتجهزون إلى شبيب ولا يدرون من أمرهم ! وهم يقولون : يبعث فلاناً أو فلاناً ، وقد بعث الحجَّاج إلى عتَّاب بن ورقاء ليأتيه وهو على خيَل الكوفة مع المهلب ، وقد كان ذلك الجيش من أهل الكوفة هم الذين كان يبشر بن مروان بعث عبد الرحمن بن مخنف عليهم إلى قطري ، فلم يلبث عبد الرحمن بن مخنف إلا نحواً من شهرين حتى قدم الحجَّاج على العراق ، فلم يلبث عليهم عبد الرحمن بن مخنف بعد قدوم الحجَّاج إلا رَجَب وشعبان ، وقتل قطري عبد الرحمن في آخر رمضان ، فبعث الحجَّاج عتَّاب بن ورقاء على ذلك الجيش من أهل الكوفة الذين أصيب فيهم عبد الرحمن ابن مخنف ، وأمر الحجَّاج عتَّاباً بطاعة المهلب ، فكان ذلك قد كبر على عتَّاب ، ووقع بينه وبين المهلب شر ، حتى كتب عتَّاب إلى الحجَّاج يستغفبه من ذلك الجيش ويضمه إليه ، فلما أن جاءه كتاب الحجَّاج بإتيانه سرَّ بذلك .

قال : ودعا الحجَّاج أشراف أهل الكوفة ؛ فيهم زُهْرَةُ بن حَوِيَّة السعدي من بني الأعرَج ، وقبيصة بن واثق التَّغْلَبِي ، فقال لهم : من ترون أن أبعث على هذا الجيش ؟ فقالوا : رأيتك أيها الأمير أفضل ؛ قال : فإني قد بعثت إلى عتَّاب بن ورقاء ، وهو قادم عليكم الليلة أو القابلة ، ٩٤٥/٢ فيكون هو الذي يسير في الناس^(٣) ؛ قال زُهْرَةُ بن حَوِيَّة : أصليح الله الأمير ! رميتهم بحجرهم ، لا والله لا يرجع إليك حتى يظفر أو يقتل . وقال له قبيصة بن واثق : إني مشير عليك برأى ، فإن يكن خطأ فبعد

(١) ب ، ف : « فليقاتلوا » . (٢) بمعاقب ، ف : « من حكم سعد العشرة » .

(٣) ب ، ف : « بالناس » .

اجتهادى فى النصيحة للأمير المؤمنين وللأمير ولعامة المسلمين ، وإن يك صواباً فاقه مدّنى له ؛ إنّنا قد تحدّثنا وتحدّث الناس أن جيشاً قد فصل إليك من قبيل الشام ، وأن أهل الكوفة قد هزّموا وقتلوا واستخفّوا بالصبر ، وهان عليهم عارُ القرار ، فقلوبهم كأنّها ليست فيهم ، كأنّما هم فى قوم آخرين ، فإن رأيت أن تبعث إلى جيشك الذى أمدّدت به من أهل الشام . فإخذوا حذرهم ، ولا يبيتوا إلّا وهم يرون أنّهم مبيتون فقلت ، فإنك تُحارب حولاً قلباً ، ظمئاً رَحَلاً ، وقد جهّزت إليه أهل الكوفة ولست واثقاً بهم كل الثقة ، وإنما إخوانهم هؤلاء القوم الذين بعثوا إليك من الشام . إن شبيباً بينا هو فى أرض إذ هو فى أخرى ، ولا آمن أن يأتيهم وهم غارون فإن يهلكوا نهلك ويهلك العراق . فقال : لله أنت ! ما أحسن ما رأيت ! وما أحسن ما أشرت به على !

قال : فبعث عبد الرحمن بن الغرق مولى عَقِيل إلى مَنْ أَقْبَلَ من أهل الشام ، فأثامهم وقد نزلوا هَيْتَ بكتاب من الحِجَّاج :

أما بعد ، فإذا حاذَيْتُمْ هَيْتَ^(١) فدعُوا طريقَ القُرَات والأَبَار ، وخذوا على عين التَّحَرُّ حَتَّى تَقْدَمُوا الكوفة إن شاء الله ، وخذوا حذرَكُمْ ، وعجلُوا السَّيْر . والسلام .

٩٤٦/٢

فأقبل القومُ سِراعاً . قال : وقدم عتاب بنُ رِفَاء فى اللَّيْلَةِ الَّتِى قال الحِجَّاج إِنَّهُ قادم عليكم فيها : فأمرَهُ الحِجَّاج فخرج بالناس فمسكر بهم بحَسَامٍ أَعْيَنَ ، وأقبل شبيب حتى انتهى إلى كَلْوَادٍ فقطع منها دَجَلَةً ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ مَدِينَةَ بَهْرَسِير الدَّيَا . فصار بينه وبين مطرَف بن المغيرة ابن شُعْبَةَ جِسْرٍ دَجَلَةٍ .

فلَمَّا نَزَلَ شبيب مدينةَ بَهْرَسِيرِ قَطَعَ مطرَفُ الجِسْرَ ، وبعث إلى شبيب : أن أبعثْ إلى رجالا من وجوه أصحابك أدارسهم القرآن ، وأنظر فيما تدعو إليه . فبعث إليه شبيب رجالاً من وجوه أصحابه ، فيهم قَعْنَبٌ وَسُوَيْدٌ والحِطَّل . فلَمَّا أَرَادُوا أن يَتَرَلُّوا فى السفينة بعث إليهم شبيب ألا

(١) : « فإذا حاذَيْتُمْ هَيْتَ » .

تدخلوا السفينة حتى يرجع إلى رسول من عند مطرف ، فرجع الرسول .
وبعث إلى مطرف أن ابعث إلى من أصحابك بعدد أصحابي يكونوا
رهناً في يدي حتى ترد علي أصحابي . فقال مطرف لرسوله : إقمه وقل
له : كيف آمنتك أنا على أصحابي إذا أنا بعثتهم الآن إليك ، وأنت
لا تأمنني على أصحابك ! فرجع الرسول إلى شبيب فأبلغه ، فأرسل إليه
شبيب : إنك قد علمت أننا لا نستحل الغدر في ديننا ، وأنت تفعلونه
وتستحلونه ، فبعث إليه مطرف الربيع بن يزيد الأسدي وصليان بن
حذيفة بن هلال بن مالك المزني ويزيد بن أبي زياد مولاة وصاحب حرمة ،
فلما صاروا في يدي^(١) شبيب سرح إليه أصحابه ، فاتوا مطرفاً فكنوا أربعة
أيام يراسلون ، ثم لم يتفقوا على شيء ، فلما تبين لشبيب أن مطرفاً غير
تابعه ولا داخل معه نهياً للمسير إلى عتّاب بن ورقاء وإلى أهل الشام .

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط أن شبيباً دعا رجوس
أصحابه فقال لهم : إنّه لم يبسطني على رأي قد كنت رأيته إلا هذا التقي
منذ أربعة أيام ، قد كنت حدثت نفسي أن أخرج في جريدة خيل حتى
ألقى هذا الجيش المقتيل من الشام رجاء أن أصادف غرتهم أو يحذروا
فلا أبالي كنت ألقاهم منقطعين من الميصر ، ليس عليهم أمير كالحنجّاج
يستندون إليه ولا ميصر كالكوكة يعتصمون به ؛ وقد جاءني عيونني اليوم
فخبروني أن أوائلهم قد دخلوا عين التمر ، فهم الآن قد شارفوا الكوفة ،
وجاءني عيونني من نحو عتّاب بن ورقاء فحدثوني أنه قد نزل بجماعة أهل
الكوفة الصرة ، فأقرب ما بيننا وبينهم ! فتيسروا بنا للمسير إلى عتّاب بن ورقاء .

قال : وخاف مطرف أن يبلغ خبره وما كان من إرساله إلى شبيب
الحنجّاج ، فخرج نحو الجبال ، وقد كان أراد أن يقيم حتى ينظر ما يكون
بين شبيب وعتّاب ، فأرسل إليه شبيب : أمّا إذ لم تبأيني فقد نذت إليك
على سواء ، فقال مطرف لأصحابه : انخرجوا بنا وافرّين فإنّ الحنّجّاج
سيقاتلنا ، فيقاتلنا وينا قوة أمثل . فخرج ونزل المدائن ، فعمد شبيب الجيسر ،

وبعث إلى ^(١) المدائن أخاه مصداً ، وأقبل إليه عتّاب حتى نزل بسوق حكمة ، وقد أخرج الحجّاج جماعة أهل الكوفة مقاتلتهم ، ومن نشط إلى الخروج ^(٢) من شباههم ^(٣) ، وكانت مقاتلتهم أربعين ألفاً سوى الشباب ، ووافى مع عتّاب يومئذ أربعون ألفاً من المقاتلة وعشرة آلاف من الشباب بسوق حكمة ، فكانوا خمسين ألفاً ، ولم يدع الحجّاج قرشياً ولا رجلاً من بيوتات العرب إلّا أخرجه .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الرحمن بن بجنْدَب قال : سمعتُ الحجّاج وهو على المنبر حين وجه عتّاباً إلى شبيب في الناس وهو يقول : يا أهل الكوفة ، اخرجوا مع عتّاب بن ورقاء بأجمعكم ، لا أرخص لأحد من الناس في الإقامة إلّا رجلاً قد وليّناه من أعمالنا : إلّا إن للصّابر المجاهد الكرامة والأثرة ، ألا وإنّ لناكل الهارب ^(٤) الهوان والجبن . والَّذِي لا إله غيره لن نعظم في هذا الوطن كفضلكم في المواطن التي كانت لأوليتكم كنفاً خشناً ، ولا عرُكنكم بكلّكل ثقيل . ثم نزل ، وتوافى الناس مع عتّاب بسوق حكمة .

٩٤٩/٢ قال أبو مخنف : فحدثني فَرَوُّ بنُ لقيط ، قال : عرضنا شبيباً بالمدائن فكنتا ألف رجل ، فقام فينا فحميد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر المسلمين ، إنّ الله قد كان ينصركم عليهم وأنتم مائة ومائتان وأكثر من ذلك قليلاً ، وأنقص منه قليلاً ، فأنتم اليوم مثنون ومثنون ، ألا إني مصلّ الظهر ثم سائر بكم . فصلّى الظهر ثم نودى في الناس : يا خيل الله اركبي وأبشيري ، فخرج في أصحابه ، فأخذوا يتخلّفون ويتأخّرون ، فلمّا جاوزنا ساباطاً ونزلنا معه قصّ علينا وذكرنا بأبّام الله ، وزهدنا في الدنيا ، ورغبنا في الآخرة ساعة طويلة ، ثم أمر مؤذنه فأذن ، ثم تقدّم فصلّى بنا العصر ، ثم أقبل حتى أشرف بنا على عتّاب بن ورقاء وأصحابه ، فلما أن رأهم من ساعته نزل وأمر مؤذنه فأذن ، ثم تقدّم فصلّى بنا المغرب .

(١) : « أهل المدائن » . (٢) : « ب » ، « ف » ، « الخروج » . (٣) : « ب » ، « ف » ، « من شباههم » .

(٤) : « ب » ، « ف » : « لناكل للهارب » : « لناكل للهرب » .

وكان مؤذنه سلام بن مسيار الشيباني ، وكانت عين عتاب بن ورقاء قد
 جاعوه فأخبروه أنه قد أقبل إليه ، فخرج بالناس كلهم فبعيهم ، وكان
 قد خندق أول يوم نزل ، وكان يظهر كل يوم أنه يريد أن يسير^(١) إلى
 شبيب بالمدائن^(٢) ، فبلغ ذلك شبيباً ، فقال : أسيرُ إليه أحبُّ إليَّ من أن
 يسيرَ إليَّ ، فأتاه ، فلما صفَّ عتاب الناس بعث على ميخته محمد بن
 عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، وقال : يا بن أخي ، إنك شريف
 فاصبر وصابر ، فقال : أما أنا فوالله لأقاتلن ما ثبتت معي لإنسان. وقال
 لقبيصة بن وقاص - وكان يومئذ على ثلث بني تغلب : اكفيني الميسرة ،
 فقال : أنا شيخ كبير ، كثير مني أن أثبت^(٣) تحت رايي ، قد انبت مني^(٤) القيام ،
 ما أستطيع القيام إلا أن أقام ؛ ولكن هذا عبيد الله بن الحليس ونعيم بن
 عليم التغلبيان - وكان كل واحد منهما على ثلث من أ ثلاث تغلب -
 فقال : ابعث أيتهما أحببت ، فأيتهما بعثت فلتبعن ذا حزم وعزم^(٥) وغناء .
 فبعث نعيم بن عليم على ميسرته ، وبعث حنظلة بن الحارث البربوعي - وهو
 ابن عم عتاب شيخ أهل بيته - على الرجال ، وصفهم ثلاثة صفوف :
 صف فيهم الرجال معهم السيوف ، وصف وهم^(٦) أصحاب الرماح ، وصف
 فيه المرامية ، ثم سار فيها بين المينة إلى الميسرة يمر بأهل راية راية ؛
 فيحثهم على تقوى الله ، ويأمرهم بالصبر ويقص عليهم .

قال أبو مخنف : فحدثني حصيرة بن عبد الله أن نعيم بن الحارث
 الأزدي قال : وقف علينا فقص علينا قصصاً كثيراً ، كان مما حفظت
 منه ثلاث كلمات ؛ قال : يا أهل الإسلام ، إن أعظم الناس نصيباً في الجنة
 الشهداء ، وليس الله لأحد من خلقه بأحمد منه للصابرين ، ألا ترون
 أنه يقول : ﴿ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٧) ! فنحمد الله فعله فأعظم

(١ - ١) ب ، ف : « يلقى شبيباً بالمدائن وأن يسير إليه » .

(٢) ١ : « أثبت » . (٣) ب ، ف : « قد انبت » .

(٤) ١ : « وحده » . (٥) ب ، ف : « قبلهم » . (٦) سورة الأنفال : ٤٦ .

درجته ، وليس الله لأحد أمقت منه لأهل البغى ؛ ألا ترون أن عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه ، لا يرون إلا أن ذلك لهم قرينة عند الله ! فهم شرار أهل الأرض وكلاب أهل النار ، أين القصاص ؟ قال ذلك فلم يجبه والله أحد منّا ؛ فلما رأى ذلك ، قال : أين من يروى شعر عنترة ؟ قال : فلا والله مارّد عليه إنسان كلمة . فقال : إنّا لله ! كافي بكم قد فررتم عن عتّاب بن ورقاء وتركتموه تسبى في استه الرياح .

ثم أقبل حتى جلس في القلب معه زُهيرة بن حويّة بجالس وعبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث وأبو بكر بن محمد بن أبي جهنم المدنى . وأقبل شبيب وهو في ستمائة وقد تخلّف عنه من الناس أربعمائة ، فقال : لقد تخلّف عنا من لا أحب أن يرمى فينا . فبعث سويد بن سليم في مائتين إلى الميسرة ، وبعث المثل بن وائل في مائتين إلى القلب ، ومضى هو في مائتين إلى الميسرة بين المغرب والعشاء الآخرة حين أضاء القمر ، فناداهم : لِمَ هذه الرايات ؟ قالوا : رايات ربيعة . فقال : شبيب : رايات طالمنا نصرت الحق ، وطالمنا نصرت الباطل ، لها في كل نصيب ، والله لأجاهدنكم محسباً للخير في جهادكم ، أنتم ربيعة وأنا شبيب ، أنا أبو المدلة ، لا حكم إلا للحكم ، اثبتوا إن شئتم . ثم حمل عليهم وهو على^(١) مسنّة أمام الخندق فقصّهم ، فثبت أصحاب رايات قبضة بن وائل وعبيد بن الحليس ونعيم بن عليم ، فقتلوا ، وانهزم الميسرة كلها وتنادى أناس من بني تغلب : قُتل قبضة بن وائل . فقال شبيب : قتل قبضة بن وائل التغلبي يا معشر المسلمين ! قال الله :

٩٥٢/٢

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾^(٢) ، هذا مثل ابن عمكم قبضة بن وائل ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، ثم جاء بقاتلكم مع الكافرين ! ثم وقف عليه فقال : ويحك ! لو ثبت على إسلامك الأول سعدت ، ثم حمل من الميسرة على عتّاب بن ورقاء ، وحمل سويد بن سليم على المينة وعليها محمد بن عبد الرحمن ،

فقاتل في الميمنة في رجال من بني عجم وهمدان ، فأحسنوا القتال ، فما زالوا كذلك حتى أتوا قليل لهم : قُتِلَ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ ، فانتَفَضُوا ، ولم يزل عَتَّابُ جالساً على طينفيسة في القليب وزهرة بن حويّة معه ، إذ غشيهم شيب ، فقال له عَتَّابُ : يا زهرة بن حويّة ، هذا يوم كُثِرَ فيه العدد ، وقُلَّ فيه الغناء ، والمضى على خمسمائة فارس من نحو رجال عجم معي من جميع الناس ! ألا صابِرٌ لعدوّه ! ألا مُؤَاسِرٌ بِنَفْسِهِ ! فانتَفَضُوا عنه وتركوه ، فقال له زهرة : أحسنت يا عَتَّابُ ، فعلتَ فعلَ مثلك ، والله والله لو منحتهم كَسَفَكَ ما كان بقاؤك إلا قليلاً ، أبشر فإنّي أرجو أن يكون الله قد أهدى إلينا الشهادة عند فناء أعمارنا ، فقال له : جِزَاكَ اللهُ خيراً ما جِزَتِي أَمْراً (١) بمعروف وحاتّاً على تَقْوَى .

فلما دنا منه شيب وثب في عصابة صبرت معه قليلة ، وقد ذهب الناسُ يميناً وشمالاً ، فقال له عَمَّارُ بْنُ يُزَيْدٍ الْكَلْبِيُّ من بني المدينة : أصلحك الله ! إنَّ عبد الرحمن بن محمد قد هرب عنك فانصق (٢) معه أناسٌ كثير ، فقال له : قد فرّ قبل اليوم ، وما رأيتُ ذلك الفتي يُبَالِي ما صنع ، ثم قاتلهم ساعة وهو يقول : ما رأيتُ كالיום قطّ موطناً لم أبشَلْ بمثلِه قطّ أقلّ مقاتلاً ولا أكثرَ هارباً خاذلاً ؛ فرآه رجلٌ من بني تغلب من أصحاب شيب من بني زيد بن عمرو يقال له عامر بن عمرو بن عبد عمرو ، وكان قد أصاب دماً في قومه ، فلاحق بشيب ، وكان من القُرسان ، فقال لشيب : والله إني لأظنّ هذا المتكلم عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ ! فحمل عليه فطعنّه ، فوقّع فكان هو وليّ قتلته . ووطشت الخيلُ زهرة بن حويّة ، فأخذ يندب بسيفه وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يقوم ، فجاء الفضلُ بْنُ عامر الشيباني فماتله ، فانتهى إليه شيب فوجده صريعاً فعرّقه ، فقال : مَنْ قَتَلَ هذا ؟ فقال الفضل : أنا قتلته ، فقال شيب : هذا زهرة حويّة ، أما والله لن كنت قُتِلَ على ضلالة لربّ يوم من أيام المسلمين قد حسنَ فيه بلاؤك ، وعظم فيه غتاؤك ! ولربّ خيل للمشرّكين قد هزمتها ، وسريّة لهم قد

٩٥٤/٢

(١) كذا في ١ ، و ٥ ط : « أمر المعروف » . (٢) ب ، ف : « وانصق عنك » .

ذعرتها^(١) وقرية من قراهم جَمَّ^(٢) أهلها قد افتتحتها ، ثم كان في عِلِم الله
أن تُقتل ناصراً للظَّالِمين !

قال أبو مِخْنَف : فحدثني فَرْوة بنُ لَقِيط قال : رأيتُ والله توجَّعَ
له ، فقال رجل من شُبَّان بكر بنِ وائل : والله إنَّ أمير المؤمنين منذ اللَّيلة
ليتوجَّعَ لرجل من الكافرين ! قال : إنَّكَ لستَ بأعرف بضلالتهم مني ،
ولكني أعرف من قديم أمرهم ما لا تعرف ؛ ما لو ثبتوا عليه كانوا إخواننا . وقُتِل
في المعركة عَمَّار بن يزيد الكلبِي ، وقُتِل أبو خَيْثَمَة بن عبد الله يومئذ ،
واستمكن شبيبٌ من أهل العسكر والناس ، فقال : ارفعوا عنهم السيف ،
ودعوا إلى البيعة ، فبايعه الناس من ساعتهم ، وهربوا من تحت
ليلتهم ، وأخذ شبيب يُبايعهم ، ويقول : إلى ساعة يَهْرُبُونَ . وحوى شبيب
على ما في العسكر ، وبعث إلى أخيه ، فأثابه من المدائن ، فلما وافاه بالعسكر
أقبل إلى الكوفة وقد أقام بعسكره ببيت قرّة يومين ، ثم توجه نحو وجه
أهل الكوفة ، وقد دخل سُفَيان بنُ الأبرد الكلبِي وحبيب بن عبد الرحمن
الحكمي من مدَنِجج فيمن معهما من أهل الشام الكوفة ، فشَدَّوا للحجَّاج
ظهره ، فاستغنى بهما عن أهل الكوفة ، فقام على منبر الكوفة فحمد الله
وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد يا أهل الكوفة ، فلا أعزَّ اللهُ من أراد بكم
العِزَّ ، ولا نصَّر من أراد بكم النَّصْر ، اخرجوا عنّا ، ولا تشهدوا معنا
قتال عدونا ، الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ، ولا تقاتلوا معنا إلا
من كان لنا عاملاً ، ومن لم يكن شهيداً قتالَ عَتَّاب بنِ وَرْقَاء .

٩٠٥/٢

قال أبو مِخْنَف : فحدثني فَرْوة بن لقيط ، قال : والله لَخَرَجْنَا نَتَّبِع
آثَارَ النَّاسِ ، فأنتهى إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ومحمد بن
عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الممَّنْدَانِي ، وهما يَمَشِيَان كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَأْسِ
عبد الرحمن قد امتلأ طِينًا ، فصَدَّتْ عَنْهُمَا ، وكَرِهَتْ أَنْ أَذْعَرَ هُمَا ، ولو أُنِي
أَوْذِنَ بِهِمَا أَصْحَابُ شَبِيبَ لَقُتِلَا مَكَانَهُمَا ، وقلت في نفسي : لئن سَقُتُ إِلَى
مِثْلِكُمَا من قَوِي الْقَتْلِ مَا أَنَا بِرَشِيدِ الرَّأْيِ ؛ وَأَقْبَلَ شَبِيبٌ حَتَّى نَزَلَ الصَّرَاةَ .

(١) كَلَا فِي ١ ، نِط : « أَغْرَبَهَا » ، وَفِي ب ، ف : « فَلَّهَا » . (٢) ١ : « جَمَّ أَهْلَهَا » .

قال أبو مخنف : فحدثني موسى بن سوار أن شيبياً خرج يريد الكوفة ، فأتته إلى سورا ، فندب الناس ، فقال : أيكم يأتيني برأس عامل سورا ؟ فانتسب له بطين وقحنب وسويد ورجلان من أصحابه ، فساروا مغلذين حتى انتهوا إلى دار الخراج والمعامل في سمرجة^(١) فقالوا : أمير خرج من قبيل الحجاج يريد هذا القاسق شيبياً ، فاعتر بذلك العامل منهم . ثم إنهم شتهروا السيوف وحكموا حين وصلوا إليه فضربوا عنقه ، وقبضوا ٩٠٦/٢ على ما كان من مال ، ولحقوا بشيب ، فلما انتهوا إليه قال : ما الذي أتيتونا به ؟ قالوا : جئتكم برأس القاسق وما وجئنا من مال^(٢) ، والمال على دابة في بدوره ، فقال شيب : أتيتونا بفتنة للمسلمين ، هلم الحرب يا غلام ، فخرق بها البلور ، وأمر فتخس بالدابة والمال فتأثر من بدوره حتى وردت الصرّة ، فقال : إن كان بقي شيء فاقلقه في الماء . ثم خرج إليه سفيان بن الأبرد مع الحجاج ، وكان أتاه قبل خروجه معه ، فقال : ابعتني أستقبله قبل أن يأتيتك ، فقال : ما أحب أن تفرق حتى ألقاه في جماعتكم والكوفة في ظهورنا والحصن في أيدينا .

* * *

[ذكر الخبر عن دخول شيب الكوفة مرة ثانية]

وفي^(٣) هذه السنة دخل شيب الكوفة دخلته الثانية .

• ذكر الخبر عن ذلك وما كان من حربه بها الحجاج :

قال هشام : حدثني أبو مخنف ، عن موسى بن سوار ، قال : قدّم سيرة بن عبد الرحمن بن مخنف من الدسكرة الكوفة بعد ما قدم جيش الشام الكوفة ، وكان مطرف بن المغيرة كتب إلى الحجاج : إن شيباً قد أطل على ، فابعت إلى المدائن بعثاً . فبعث إليه سيرة بن عبد الرحمن ابن مخنف في مائتي فارس ، فلما خرج مطرف يريد الجبل خرج بأصحابه

(١) في السان : « السرج يوم جاية الخراج » . (٢) ب ، ف : « أماله » .

(٣) قبلها في أ : « قال محمد بن جرير » .

٩٥٧/٢ معه وقد أعلمهم ما يريد ، وكتم ذلك سيرة ، فلما انتهى إلى دسكرة الملك دعا سيرة فأعلمه ما يريد ، ودعاه إلى أمره ، فقال له : نعم أنا معك ، فلما خرج من عنده بعث إلى أصحابه فجمعهم ، وأقبل بهم فصادف^(١) عتّاب ابنَ رزقاء قد قُتِلَ وشبيهاً قد مضى إلى الكوفة ، فأقبل حتى انتهى إلى قرية يقال لها بيطرى . وقد نزل شبيب حِمَامَ عُمَر ، فخرج سيرة حتى عبر الفرات في مبر قرية شاهی ، ثم أخذ الظهر حتى قدم على الحجّاج ، فوجد أهل الكوفة مسخوطاً عليهم ، فدخل على سُفیان بن الأبرد ، فقَصَّ قصته عليه^(٢) وأخبره بطاعته وفراقه مطرّقاً ، وأنه لم يشهد عتّاباً ولم يشهد هزيمة في موطن من موطن أهل الكوفة ، ولم أزل للأمر عاملاً ، وبهي مائتا رجل لم يشهدوا معي هزيمة قط ، وهم على طاعتهم^(٣) ولم يدخلوا في فتنة . فدخل سُفیان إلى الحجّاج فخبّره بخبر^(٤) ما قصّ عليه سيرة بن عبد الرحمن ، فقال : صدقَ وبراً قل له : فليشهد معنا لقاء عدونا ، فخرج إليه فأعلمه ذلك . وأقبل شبيب حتى نزل موضع حِمَامَ أعين ، ودعا الحجّاج الحارث بن معاوية بن أبي زرعة بن مسعود الثقفي فوجهه في ناس من الشرط لم يكونوا شهدوا يوم عتّاب ، ورجالا كانوا عمّالاً في نحو من مائتي رجل^(٥) من أهل الشام ، فخرج في نحو من ألف ، فنزل زُرارة ، وبلغ ذلك شبيهاً ، فتعجّل إليه في أصحابه ، فلما انتهى إليه حمل عليه فقتلته ، وهزّم أصحابه ، وجاءت المنهزمة فدخلوا الكوفة . وجاء شبيب حتى قطع الجسر ، وعسكر دونه إلى الكوفة ، وأقام شبيب في عسكره ثلاثة أيام ، فلم يكن في أول يوم إلّا قتل الحارث بن معاوية ، فلما كان في اليوم الثاني أخرج الحجّاج موالیه وغلماؤه عليهم السلاح ، فأخذوا^(٦) بأفواه السكك ممّا إلى الكوفة ، وخرج أهل الكوفة فأخذوا بأفواه سيككهم ، وخشوا إن لم يخرجوا مَوْجِلَةَ الحجّاج وعبد الملك بن مروان . وجاء شبيب

٩٥٨/٢

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « فيصادف » . (٢) ب ، ف : « قصص عليه قصته » .

(٣) ف : « طاعته » . (٤) ب ، ف : « فأخبره بخبر هؤلاء وخبير ما قص عليه » .

(٥) ب ، ف : « قارس » . (٦) ب ، ف : « وأخذوا » .

حتى ابنتي مسجداً في أقصى السَّبْخَةِ مما يلي موقف أصحاب القَتِّ عند الإيوان ، وهو قائمٌ حتَّى الساعة ، فلَمَّا كان اليوم الثالث أخرجَ الحِجَّاجَ أبا الوَرْدَ مولًى له عليه تَجَنُّفٌ ، وأخرجَ جَفَنَةً كثيرةً وغِلْمَانًا له ، وقالوا : هذا الحِجَّاجُ ، فَحَسَمَ عليه شَيْبٌ قَتَلَهُ ، وقال : إن كان هذا الحِجَّاجُ فقد أَرَحْنُكُمْ منه .

ثم إن الحِجَّاجَ أخرج له غلامه طُهمانَ في مِثْلِ تلك العُدَّة على مثل تلك الهيئة ، فَحَسَمَ عليه شَيْبٌ قَتَلَهُ ، وقال : إن كان هذا الحِجَّاجُ فقد أَرَحْنُكُمْ منه .

ثم إن الحِجَّاجَ خرج ارتفاعَ النهار من القَصْرِ فقال : اتنوني ببِغْلٍ أركبهُ ما بَيْتِي وبين السَّبْخَةِ ، فَأَيَّ بَيْغْلٍ مَحْجَلٌ ، فقيل له : إنَّ الأعاجِمَ أصلحك الله تَطْيِرُ^(١) أن تتركبَ في مثل هذا اليوم مثلَ هذا البِغْلِ ، فقال : أدنوهُ مِنِّي ، فإنَّ اليومَ يومٌ أغرَّ مَحْجَلٌ ، فركبه ثم خرج في أهل الشام حتَّى أَتَى في سَكَةِ البريد ، ثم خرج في أعلى السَّبْخَةِ ، فلَمَّا نظر الحِجَّاجَ إلى شَيْبٍ^(٢) وأصحابه نزل ، وكان شَيْبٌ في مِثْلَةِ فارس ، فلما رأى الحِجَّاجُ قد خرج إليه أقبل بأصحابه ، وجاء سَبْرَةُ بن عبد الرحمن إلى الحِجَّاجِ فقال : أين يأمرني الأمير أن أقف ؟ فقال : قِفْ على أفواه السككِ . فإن جاءوكم فكان فيكم قتالٌ فقاتلوا ، فأنطَلَقَ حتَّى وَقَفَ في جماعة الناس ، ودعا الحِجَّاجُ بكرمى له فقَعَدَ عليه ، ثم نادى : يا أهل الشام . أنتم أهلُ السَّمْعِ والطاعة والصَّبْرِ واليَقِينِ . لا يغلبنَ باطلُ هؤلاء الأرجاسِ حقكم ، غضوا الأبصار ، واجشوا على الرِّكَبِ ، واستقبلوا القومَ بأطرافِ الأسنَّةِ . فجشوا على الركب ، وأشرعوا الرِّمَاحَ ، وكأَنَّهُمْ حَرَّةٌ سوداء . وأقبلَ إليهم شَيْبٌ حتَّى إذا دنا منهم عَيَّى أصحابه ثلاثةَ كَرَادِيسَ ، كَتَبَةٍ معه . وكتيبة مع سُوَيْدِ بن سُلَيم ، وكتيبة مع الحَلَّلِ بن وائل ، فقال لسويد . احمل عليهم في خيلِكَ ، فَحَسَمَ عليهم : فقتلوا له ، حتَّى إذا غَشِيَ أطرافِ الأسنَّةِ وكبوا في وجهه ووجوه أصحابه ، فطعنوهم^(٣) قُدُمًا حتَّى انصرفت ،

(١) : « تطير » . (٢) ب ، ف : « فلما رأى الحِجَّاجَ شَيْبًا » . (٣) ب ، ف : « فطعنوه » .

وصاحَ الحَجَّاجُ : يا أَهْلَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ ، هَكُنَا فافعلُوا . قَدَّمْ كُرْسَى يا غلام ، وأمر شبيبَ المَظَلِّ فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ ، ففعلُوا بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلُوا بِسُوَيْدٍ ، فناداهُمُ الحَجَّاجُ : يا أَهْلَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ ؛ هَكُنَا فافعلُوا ، قَدَّمْ كُرْسَى يا غلام ^(١) .

ثُمَّ لَمَّا كَانَ شَبِيبًا حَمَلَ عَلَيْهِمْ فِي كَثِيرَةٍ فَتَبَتُوا لَهُ ، حَتَّى إِذَا غَشَى أَطْرَافَ الرِّمَاحِ وَكَبُوا فِي وَجْهِهِ ، فَقَاتَلَهُمْ طَوِيلًا . ثُمَّ لَمَّا كَانَ أَهْلُ الشَّامِ طَعَنُوهُ قُدُمًا حَتَّى أَلْحَقُوهُ بِأَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا رَأَى صَبْرَهُمْ نَادَى : يا سُوَيْدُ ، اِحْمِلْ فِي خَيْلِكَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ السَّكَةِ - يَعْنِي سِكَّةَ لِحَامٍ جَرِيرٍ - لَعَلَّكَ تَزِيلُ أَهْلَهَا عَنْهَا ، فَتَأْتِي الحَجَّاجَ مِنْ وَرَائِهِ ، وَنَحْمِلُ نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ أَمَامِهِ . فافترسَ سُوَيْدُ بْنُ سُلَيْمٍ فَحَمَلَ عَلَى أَهْلِ تِلْكَ السَّكَةِ ؛ فَرَى مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ وَأَفْوَاهِ السَّكِكِ ، فَانْصَرَفَ ، وَقَدْ كَانَ الحَجَّاجُ جَعَلَ عُرْوَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ فِي نَحْوِ مِنْ ثَلَاثَةِ رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ رَدَّاهُ لَهُ وَلَأَصْحَابِهِ لثَلَاثَ يَوْمَاتٍ مِنْ وَرَائِهِ ^(٢) .

قال أبو مخنف : فحدثني قُتَيْبَةُ بْنُ لَقِيطٍ : إِنَّ شَبِيبًا قَالَ لَنَا يَوْمَئِذٍ : يا أَهْلَ الإِسْلَامِ إِنَّمَا شَرِينَا اللَّهَ ، وَمَنْ شَرَى اللَّهَ لَمْ يَكْبِرْ ^(٣) عَلَيْهِ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْأَذَى وَالْأَلَمِ فِي جَنَّةِ اللَّهِ . الصَّبْرُ الصَّبْرُ ؛ شِدَّةُ كَشْدَاتِكُمْ فِي مَوَاطِنِكُمُ الْكَرِيمَةِ . ثُمَّ جَمَعَ أَصْحَابَهُ ، فَلَمَّا ظَنَّ الحَجَّاجُ أَنَّهُ حَامِلٌ عَلَيْهِمْ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : يا أَهْلَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ ؛ اصْبِرُوا لِهَذِهِ الشَّدَّةِ الْوَاحِدَةِ ، ثُمَّ وَرَبِّ السَّمَاءِ مَا شَيْءٌ دُونَ الْفَتْحِ . فَجَسَّتُوا عَلَى الرُّكَبِ . وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ شَبِيبٌ بِجَمِيعِ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا غَشِيَهُمْ نَادَى الحَجَّاجُ بِجَمَاعَةِ النَّاسِ ، فَوَثُوا فِي وَجْهِهِ ، فَمَا زَالُوا يَطْمَعُونَ وَيَضْرِبُونَ قُدُمًا وَيَلْقَعُونَ شَبِيبًا وَأَصْحَابَهُ وَهُوَ يَقَاتِلُهُمْ حَتَّى بَلَغُوا مَوْضِعَ بُسْتَانَ زَائِدَةَ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمَكَانَ نَادَى شَبِيبٌ أَصْحَابَهُ : يا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ ، الْأَرْضَ الْأَرْضَ ، ثُمَّ نَزَلَ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَنَزَلَ نَصْفُهُمْ وَتَرَكَ نَصْفَهُمْ مَعَ سُوَيْدِ بْنِ سُلَيْمٍ ، وَجَاءَ الحَجَّاجُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَسْجِدِ شَبِثٍ ، ثُمَّ قَالَ : يا أَهْلَ الشَّامِ ، يا أَهْلَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ ، هَذَا

(١) ساقطة من م . (٢) ب ، ف : « ورائهم » . (٣) ١ : « لم يكبر » .

أَوَّلَ الْفَتْحِ وَالَّذِي نَفَسَ الْحَجَّاجُ بَيْتَهُ ! وَصَعِدَ الْمَسْجِدَ مَعَهُ نَحْوُ مِنْ عَشْرِينَ رَجُلًا مَعَهُمُ النَّبِيلُ ، فَقَالَ : إِنْ دَخَلْنَا مِنْهُ فَاَرْشُقُوهُ ، فَاقْتُلُوا عَامَّةَ النَّهَارِ مِنْ أَشَدِّ قِتَالٍ فِي الْأَرْضِ ، حَتَّى أَقْرَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ لِمَصَاحِبِهِ . ثُمَّ إِنَّ خَالِدَ بْنَ عَتَّابٍ قَالَ لِلْحَجَّاجِ : ائْذَنْ لِي فِي قِتَالِهِمْ فَإِنِّي مُؤْتَوِّرٌ ، وَأَنَا مَجْمَعٌ لَا يُشْتَمُّ فِي نَصِيحَةٍ^(١) ، قَالَ : فَإِنِّي قَدْ أَذْنَتُ لَكَ ، قَالَ : فَإِنِّي أَتِيهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ حَتَّى أُغِيرَ عَلَى عَسْكَرِهِمْ ؛ فَقَالَ لَهُ : أَفْعَلْ مَا بَدَأَ لَكَ ، قَالَ : فَخَرَجَ مَعَهُ بِعَصَابَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ حَتَّى دَخَلَ عَسْكَرَهُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَقَتَلَ مَصَادًا أَخَا شَبِيبٍ ، وَقَتَلَ غَزَالَةَ امْرَأَتِهِ ، قَتَلَهَا فَرَوْهُ بْنُ الدَّقَانِ الْكَلْبِيُّ ، وَحَرَّقَ فِي عَسْكَرِهِ ، وَأَتَى ذَلِكَ الْخَبِيرُ الْحَجَّاجَ وَشَبِيبًا ، فَأَمَّا الْحَجَّاجُ وَأَصْحَابُهُ فَكَبُرُوا تَكْبِيرًا وَاحِدَةً ، وَأَمَّا شَبِيبٌ فَوُثِبَ هُوَ وَكُلُّ رَاغِلٍ مَعَهُ عَلَى خِيُولِهِمْ ، وَقَالَ الْحَجَّاجُ لِأَهْلِ الشَّامِ : شُدُّوا عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ مَا أَرْعَبَ قُلُوبَهُمْ . فَشُدُّوا عَلَيْهِمْ فَهَزَمُوهُمْ ، وَتَخَلَّفَ شَبِيبٌ فِي حَامِيَةِ النَّاسِ .

قَالَ هِشَامُ : فَحَدَّثَنِي أَصْفَرُ الْخَارِجِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ كَانَ مَعَ شَبِيبٍ قَالَ : لَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ فَخَرَجَ مِنَ الْجِسْرِ تَبِعَهُ^(٢) خَيْلُ الْحَجَّاجِ ، قَالَ : فَجَعَلَ يَخْفِقُ بِرَأْسِهِ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، التَّيَقَّتْ فَاَنْظُرْ مَنْ يَخْلُفُكَ ؛ قَالَ : فَالْتَفَتَ غَيْرَ مَكْرُوثٍ ، ثُمَّ أَكْبَأَ يَخْفِقُ بِرَأْسِهِ ؛ قَالَ : وَذَنَبُوا مِنَّا ؛ فَقُلْنَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ دَنَوْا مِنْكَ ، قَالَ : فَالْتَفَتَ وَاللَّهِ غَيْرَ مَكْرُوثٍ ، ثُمَّ جَعَلَ يَخْفِقُ بِرَأْسِهِ . قَالَ : فَبَعَثَ الْحَجَّاجُ إِلَى خِيَلِهِ أَنْ دَعَوْهُ فِي حَرْقِ اللَّهِ وَنَارِهِ ، فَتَرْكُوهُ وَرَجِعُوا .

قَالَ هِشَامُ : قَالَ أَبُو مِيخْنَفٍ : حَدَّثَنِي أَبُو عَمْرٍو الْعَدْرِيُّ^(٣) ، قَالَ : ٩٦٢/٢ قَطَعَ شَبِيبُ الْجَيْشِ حِينَ عَبَّرَ . قَالَ : وَقَالَ لِي فَرَوْهُ : كُنْتُ مَعَهُ حِينَ انْهَزَمْنَا فَمَا حَرَّكَ الْجَيْسَ ، وَلَا اتَّبَعُونَا حَتَّى قَطَعْنَا الْجَيْسَ . وَدَخَلَ الْحَجَّاجُ الْكُوفَةَ ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ مَا قُوِّلَ شَبِيبٌ

(١) ب ، ف : « نصيحتة » . (٢) ف ، ف : « الجيش تبعته » .

(٣) ب : « العدوي » .

قَبْلَهَا ، وَلَكِي وَاللَّهِ هَارِبًا ، وَتَرَكَ امْرَأَتَهُ يُكْسِرُ فِي أَسْنَنِهَا الْقَصَبَ .

وَقَدْ قُبِلَ فِي قِتَالِ الْحِجَّاجِ شَيْبًا بِالْكُوفَةِ مَا ذَكَرَهُ عُمَرُ بْنُ شُبَّانَةَ
 قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَغْرَةِ بْنِ عَطِيَّةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنَا
 مَزَاهِمُ بْنُ زُفَرٍ بْنِ جَسَّاسِ التَّيْمِيِّ ، قَالَ : لَمَّا فَتَسَّ شَيْبٌ كُتَّابَ الْحِجَّاجِ
 أَذِنَ لَنَا فَنَخْطُنَا عَلَيْهِ فِي مَسْجِدِهِ الَّذِي بَيْتَ فِيهِ وَهُوَ عَلَى سَرِيرٍ عَلَيْهِ لِحَافٌ ،
 فَقَالَ : إِنِّي دَعَوْتُكُمْ لِأَمْرِ فِيهِ أَمَانٌ وَنَظَرٌ ، فَأَشِيرُوا عَلَيَّ ؛ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ
 تَبَحَّشَ بِخُبْرِ حَسَنِكُمْ . وَدَخَلَ حَرَمَكُمْ ، وَقَتَلَ مَقَاتِلَكُمْ ، فَأَشِيرُوا
 عَلَيَّ ؛ فَأَطْرَقُوا . وَفَصَلَ رَجُلٌ مِنَ الصَّفِّ بِكَرْسِيهِ فَقَالَ : إِنَّ أَذِنَ لِي
 الْأَمِيرُ تَكَلَّمْتُ ، فَقَالَ : تَكَلَّمْ ، فَقَالَ : إِنَّ الْأَمِيرَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ اللَّهَ ، وَلَا
 حَقِيقَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَلَا نَصَحَ لِلرَّعِيَّةِ ، ثُمَّ جَلَسَ بِكَرْسِيهِ فِي الصَّفِّ .
 قَالَ : وَإِذَا هُوَ قُتِيْبَةٌ ، قَالَ : فَغَضِبَ الْحِجَّاجُ وَالْقَتْلَى الْإِخْوَانُ ، وَدَلَّى
 قَدَمَيْهِ مِنَ السَّرِيرِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمَا ؛ فَقَالَ : مَنِ الْمُتَكَلِّمُ ؟ قَالَ : فَخَرَجَ
 قُتَيْبَةُ بِكَرْسِيهِ مِنَ الصَّفِّ فَأَعَادَ الْكَلَامَ ، قَالَ : فَمَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ : أَنْ
 تَخْرُجَ إِلَيْهِ فَتُحَاكِمَهُ ؛ قَالَ : فَارْتَدَّ لِي مُعْسِكِرًا ثُمَّ أَغْدُ إِلَى . قَالَ :
 فَخَرَجْنَا نَلْعَنُ عَنِّيْبَةَ بْنَ سَعِيدٍ . وَكَانَ كَلَّمَ الْحِجَّاجُ فِي قُتَيْبَةٍ . فَجَعَلَهُ
 مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا وَقَدْ أَوْصَيْنَا جَمِيعًا ، غَدَوْنَا فِي السَّلَاحِ ،
 فَصَلَّى الْحِجَّاجُ الصُّبْحَ ثُمَّ دَخَلَ ، فَجَعَلَ رَسُولُهُ يَخْرُجُ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ فَيَقُولُ :
 أَجَاءَ بَعْدُ ؟ أَجَاءَ بَعْدُ ؟ وَلَا نَدْرِي مَنْ يَرِيدُ ! وَقَدْ أَفْعَمَتِ الْمُقْصُورَةُ بِالنَّاسِ .
 فَخَرَجَ الرَّسُولُ فَقَالَ : أَجَاءَ بَعْدُ ؟ وَإِذَا قُتَيْبَةُ يَمْشِي فِي الْمَسْجِدِ عَلَيْهِ قَبَاءُ
 هَرَوِيٍّ أَصْفَرٍ ، وَعِمَامَةٌ خَزَّ أَحْمَرٌ ، مُتَقَلِّدًا سَيْفًا عَرِيفًا قَصِيرَ الْحِمَائِلِ
 كَأَنَّهُ فِي إِبْطِهِ . قَدْ أَدْخَلَ بِرُمُكَةِ قَبَائِهِ فِي مَنَظِقَتِهِ ، وَالذَّرْعَ يَصْفُقُ سَاقِيَتَهُ
 فَفَتَحَ لَهُ الْبَابَ فَدَخَلَ وَلَمْ يُحْجَبْ ، فَلَكَيْتَ طَوِيلًا ثُمَّ خَرَجَ ، وَأَخْرَجَ
 مَعَهُ لِيَوَاءَ مَنْشُورًا ، فَصَلَّى الْحِجَّاجُ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَامَ فَتَكَلَّمَ ، وَأَخْرَجَ اللِّوَاءَ
 مِنْ بَابِ الْقَيْلِ ، وَخَرَجَ الْحِجَّاجُ يَتْبَعُهُ ، فَإِذَا بِالْبَابِ بَغْلَةً شَقْرَاءُ غَرَاءُ
 مَحْبَلَةٌ فَرَكِبَهَا ، وَعَارَضَهُ الْوُصَفَاءُ بِالْذَوَابِّ ، فَأَبَى غَيْرَهَا . وَرَكِبَ النَّاسُ .

وركب قُتَيْبَةَ فرساً أغرَّ محجلاً كُمنيتاً كأنَّه في سَرَجِه رُمتانهُ من عَظْمِ السَّرَجِ ، فأنْخِذَ في طَرِيقِ دَارِ السَّقَايَةِ حَتَّى خَرَجَ إِلَى السَّبْخَةِ وَبِهَا عَسْكَرُ شَيْبٍ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، فَتَوَاقَعُوا ، ثُمَّ غَدَوْا يَوْمَ الْخَمِيسِ لِلْقِتَالِ ، ثُمَّ غَادَوْهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الصَّلَاةِ انْهَزَمَتِ الْخَوَارِجُ .

* * *

قال أبو زيد: حدثني خلاد بن يزيد . قال : حدثنا الحجَّاج بن قتيبة ، قال : جاء شبيبٌ وقد بعث إليه الحجَّاجُ أميراً فقتله ، ثم آخر^(١) أفضله . أحدهما أعينٌ صاحبُ حِمَامٍ أعينٍ ، قال : فجاء حتى دخل الكوفة ومعه غزالة ، وقد كانت نذرت أن تُصلَّى في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران . قال : ففعلت . قال : واتخذ شبيب في عسكره أخصاصاً ، فقام الحجَّاج فقال : لا أراكم تناصحون^(٢) في قتال هؤلاء القوم يا أهلَ العراق ! وأنا كاتبٌ إلى أمير المؤمنين ليُعيدني بأهل الشام . قال : فقام قُتَيْبَةُ فقال : إنَّك لم تنصحَ لله ولا لأمر المؤمنين في قتالهم .

قال عمر بن شُبَّة : قال خلاد : فحدثني محمد بنُ حفص بن موسى ابن عبيد الله بنِ معمر بن عثمان التميمي أن الحجَّاجَ خَسَنَ قُتَيْبَةَ بِعِمَامَتِهِ خَسَنًا شَدِيدًا .

* * *

ثم رَجَعَ الحديثُ إلى حديثِ الحجَّاجِ وقُتَيْبَةَ . قال : فقال : وكيف ذاك ؟ قال : تبعَ الرجلَ الشريفَ وتبعَ معه رَعَاةً من الناس فينهزمون عنه ، ويستسحي فيقاتل حتى يُقتل ؛ قال : فما الرأي ؟ قال : أن تخرجَ بنفسك ويخرج معك نظرائك فيؤاسؤنك بأنفسهم . قال : فلعنه مَنْ ثُمَّ . وقال الحجَّاج : والله لأُبرزنَّ له غداً ؛ فلَمَّا كَانَ الْغَدُ حَضَرَ النَّاسُ . فقال قُتَيْبَةُ : اذكرْ يمينَكَ أصلحَ الله الأمير ! فلعنوه أيضاً ، وقال الحجَّاجُ : اخرج فازنِدْ لي مُعْسَكَرًا ، فذهب وتبَّهًا هو وأصحابه فخرجوا ، فأثى على موضع فيه بعضُ القُدَرِ : موضعُ كُثَامَةِ .

(٢) ب ، ف : « تناصحون » .

(١) ب ، ف : « ليرأى » .

فقال : ألقوا لي هاهنا . فقيل : إنَّ الموضع قدِّر ، فقال : ما تدعوني إليه أقدر ، الأرض تحته طيبة ، والسماء فوقه طيبة . قال : فنزل وصف الناس وخالد بن عتَّاب بن ورقاء مسخوط عليه فليس في القوم ، وجاء شبيب وأصحابه فقرَّبوا دوابَّهم ، وخرجوا يمشون ، فقال لهم شبيب : الهوا عن رميكم ، ودبُّوا تحت تراسيكم ، حتَّى إذا كانت أسنتهم ^(١) فوقها ، فأزلقوها صعداً ، ثمَّ ادخلوا ^(٢) تحتها لتستقلوا فتقطعوا أقدامهم ، وهي المزيمة بإذن الله . فأقبلوا يدبُّون إليهم . وجاء خالد بن عتَّاب في شاكريته ، فدار من وراء عسكريهم ، فأصرم أخصاصهم بالنار ، فلماً رأوا ضوء النار وسمعوا معصمتها التفتوا فرأوها في ^(٣) بيوتهم ، فولَّوا ^(٤) إلى خيلهم وتبَّهم الناس ، وكانت المزيمة . ورزى الحجاج عن خالد ، وعقده له على قتالهم .

٩٦٥/٢

قال : ولما قتل شبيب عتَّاباً أراد دخول الكوفة ثانية ، فأقبل حتَّى شاركتها فوجّه إليه الحجاج سيف بن هاني ورجلاً معه لياتياه بخبر شبيب ، فأبى عسكريه ، فقطع بهما ، فقتل الرجل ، وأفلت سيف ، وتبَّه رجل من الخوارج ، فأوثب سيف فرسه ساقية ، ثمَّ سأل الرجل الأمان على أن يُصدقه ، فأمنه ، فأخبره أن الحجاج بعثه وصاحبه لياتياه بخبر شبيب .

قال : فأخبره أنا نأيه يوم الاثنين . فأبى سيف الحجاج فأخبره ، فقال :

كذب وماق ، فلماً كان يوم الاثنين توجهوا يريدون الكوفة ، فوجّه إليهم الحجاج الحارث بن معاوية الثَّقَفِيّ ، فلقبه شبيب بزُرة فقتله ، وهزم أصحابه ودنا من الكوفة فبعث البَطِين في عشرة فوارس يرتاد له مَبْرَلاً على شاطئ الفرات في دار الرِّزْق ، فأقبل البَطِين وقد وجّه الحجاج حَوْشَب بن يزيد في جمع من أهل الكوفة ، فأخذوا بأفواه السُّكَّك ، فقتلهم البَطِين فلم يبقَ عليهم ، فبعث إلى شبيب فأمدّه بفوارس ، فعصروا فرس حَوْشَب وهزموه ونجا ، ومضى البَطِين إلى دار الرِّزْق ، وعسكر على شاطئ الفرات ، وأقبل شبيب فنزل دون الجِسر ، فلم يوجّه إليه الحجاج أحداً ، ففضى فنزل

٩٦٦/٢

(١) ب ، ف : « استكم » . (٢) ب ، س : « ادخلوا » .

(٣) ب ، ف : « فرأوا ما في بيوتهم » . (٤) ب ، ف : « ولوا » .

السَّبْحَةِ بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالْفُرَاتِ ، فَأَقَامَ ثَلَاثًا لَا يَبُوحُهُ إِلَيْهِ الْحِجَّاجُ أَحَدًا ،
فَأَشِيرَ عَلَى الْحِجَّاجِ أَنْ يَخْرُجَ بِنَفْسِهِ ، فَوَجَّهَ قَتِيبَةَ بْنِ مَسْلَمٍ ، فَهَجَّأَ لَهُ عَسْكَرًا ثُمَّ
رَجَعَ ، فَقَالَ : وَجَدْتُ الْمَأْتَى سَهْلًا ، فَسَرَّ عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ ، فَتَادَى
فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ فَخَرَجُوا ، وَخَرَجَ مَعَهُ الرَّجُلُ حَتَّى نَزَلُوا فِي ذَلِكَ الْعَسْكَرِ (١)
وَتَوَاقَفُوا ، وَعَلَى مَيْمَنَةِ شَيْبِ الْبَطِينِ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ قَعْنَبُ مَوْلَى بَنِي
أَبِي رَيْبَعَةَ بْنِ ذَهْلٍ ، وَهُوَ فِي زُهَاءِ مَائَتَيْنِ ، وَجَمَلَ الْحِجَّاجُ عَلَى مَيْمَنَتِهِ مَطَرُ بْنُ
نَاجِيَةَ الرَّيَّاحِيِّ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ خَالِدُ بْنُ عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءِ الرَّيَّاحِيِّ فِي زُهَاءِ
أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، وَقِيلَ لَهُ : لَا تُعْرِفُهُ مَوْضِعُكَ ، فَتَنْكُرُ وَأَنْخِي مَكَانَهُ ،
وَشَبَّهَ لَهُ أَبَا الْوَرْدِ مَوْلَاهُ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ شَيْبٌ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ ، فَضْرَبَهُ بِعِمْدٍ وَزَنَّهُ
خَمْسَةَ عَشَرَ رِطْلًا فَفَتَكَهُ ، وَشَبَّهَ لَهُ أَعْيَنَ صَاحِبَ حِمَامٍ أَعْيَنَ بِالْكُوفَةِ ،
وَهُوَ مَوْلَى لَبَكْرٍ (٢) بْنِ وَائِلٍ فَفَتَكَهُ ، فَركبَ الْحِجَّاجُ بَغْلَةً غَرَاءَ مَحْجَلَةً ،
وَقَالَ : إِنْ الدَّيْنُ أَغْرُ مَحْجَلٌ ، وَقَالَ لِأَبِي كَعْبٍ : قَدِمْ لَوَاعُكُ ، أَنَا ابْنُ
أَبِي عَقِيلٍ . وَحَمَلَ شَيْبٌ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَتَّابٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَلَبَعَ بِهِمُ الرَّجَبَةَ ،
وَحَمَلُوا عَلَى مَطَرِ بْنِ نَاجِيَةَ فَكَشَفُوهُ ، فَنَزَلَ عِنْدَ ذَلِكَ الْحِجَّاجُ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ
فَنَزَلُوا ، فَجَلَسَ عَلَى عِبَادَةٍ وَمَعَهُ عَنَبْسَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، فَإِنَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ تَنَاولَ
مَصْقَلَةً مِنْ مُهْلَهْلِ الضَّبِيِّ لِلْحَامِ شَيْبٍ ، فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي صَالِحٍ مِنْ
مُسْرَحٍ ؟ وَبِمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : أَعْلَى هَذِهِ الْحَالِ ، وَفِي هَذِهِ الْحَزَّةِ (٣) !
وَالْحِجَّاجُ يَنْظُرُ ، قَالَ : فَبَرَى مِنْ صَالِحٍ ، فَقَالَ مَصْقَلَةُ : بَرَى اللَّهُ مِنْكَ .
وَفَارَقُوهُ إِلَّا أَرْبَعِينَ فَارِسًا هُمْ أَشَدُّ أَصْحَابِهِ ، وَانْحَازَ الْآخَرُونَ إِلَى دَارِ
الرَّزْقِ ، وَقَالَ الْحِجَّاجُ : قَدْ اخْتَلَفُوا ، وَأَرْسَلَ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَتَّابٍ فَأَتَاهُمْ
فَقَاتَلَهُمْ ، فَفَتَكَتْ غَزَالَةً ، وَمَرَّ بِرَأْسِهَا إِلَى الْحِجَّاجِ فَارِسٌ فَعَرَفَهُ شَيْبٌ ،
فَأَمَرَ عُلُوكَانَ فَشَدَّ عَلَى الْفَارِسِ فَفَتَكَتْهُ وَجَاءَ بِالرَّأْسِ ، فَأَمَرَ بِهِ فُقِّلَ وَدْفَنَهُ
وَقَالَ : هِيَ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ رُحْمًا - يَعْنِي غَزَالَةً .

ومضى القومُ على حَامِيَّتِهِمْ ، وَرَجَعَ خَالِدٌ إِلَى الْحِجَّاجِ فَأَخْبَرَهُ بِانْصِرَافِ

(١) ب ، ف : « المسكر » . (٢) ف : « البكير » .

(٣) الحزّة : الشدة .

القوم ، فأمره أن يحمل على شبيب فحمل عليهم ، وأتبعه ثمانية ، منهم قنبر والبطين وعبدوان وعيسى والمهذب وابن عويمر وسنان ، حتى بلغوا به الرجة ، وأتى شبيب في موقفه بخوطين عمير السدوسي ، فقال له شبيب : يا خوطين ، لا حكم إلا لله . فقال : لا حكم إلا لله ، فقال شبيب : خوطين من أصحابكم . ولكنه كان يخاف ، فأطلقه . وأتى بعُمير بن الصقاع ، فقال له : لا حكم إلا لله يا عمير ، فجعل لا يفقه عنه ، ويقول : ٩٦٨/٢ في ميل الله شابي ، فردد عليه شبيب : لا حكم إلا لله ، ليتخلصه ^(١) ، فلم يفقه . فأمر بقتله ، وقتل مصاد أخو شبيب ، وجعل شبيب ينتظر النفر الذين تبعوا خالدًا فأبطوا . ونعى شبيب فأيقظه حبيب بن خدره ، وجعل أصحاب الحجاج لا يقدمون عليه هبة له ، وصار إلى دار الرزق ، فجمع رثة ^(٢) من قتل من أصحابه ، وأقبل الثمانية إلى موضع شبيب فلم يجدوه ، فظنوا أنهم قتلوه ، ورجع مطرٌ وخالدٌ إلى الحجاج فأمرهما فأتبعاه الرهط الثمانية . وأتبع الرهط شبيبا . فضوا جميعاً حتى قطعوا جسر المدائن ، فدخلوا ديراً هنالك وخالد يقفهم . فحصرهم في الدير ، فخرجوا عليه فهزموه نحواً من فرسخين حتى ألحقوا أنفسهم في دجلة بخيلهم ، وألقى خالد نفسه بفرسه فمر به ولواؤه في يده ، فقال شبيب : قاتله الله فارساً وفرساً ! هذا أشد الناس ، وفرسه أقرى فرس في الأرض : فقيل له : هذا خالد بن عتّاب ، فقال : معرق له في الشجاعة ؛ والله لو علمت لأفحمت خطفه ولو دخل النار .

* * *

٩٦٩/٢ رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . عن أبي عمرو العذري ، أن الحجاج دخل الكوفة حين انهزم شبيب ، ثم صعد المنبر ، فقال : والله ما قُوتل شبيب قط قبلها مثلها ، وكفى والله هارباً ، وترك امرأته يكسر في أستها القصب . ثم دعا حبيب بن

(٢) الرثة : المتاع .

(١) ف : ليخلصه .

عبد الرحمن الحكيم فيبعثه في أثره في ثلاثة آلاف من أهل الشام ، فقال له الحجّاج : احذر بيّاته ، وحيثما لقيته فنازله ، فإن الله قد فلك حذّه ، وقصم قابله . فخرج حبيب بن عبد الرحمن في أثر شبيب حتى نزل الأنبار ، وبعث الحجّاج إلى العمال أن دُسُّوا إلى أصحاب شبيب أن من جاءنا منهم فهو آمين ؛ فكان كل من ليست له تلك البصيرة ممن قد هذه القتال يميء فيؤمن ، وقبل ذلك ما قد نادى فيهم الحجّاج يوم هُزِموا : إن من جاءنا منكم فهو آمن ، ففترق عنه ناس كثير من أصحابه ، وبلغ شبيباً مشرك حبيب بن عبد الرحمن الأنبار ، فأقبل بأصحابه حتى إذا دنا من عسكرهم نزل فصلّى بهم المغرب .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : أنا والله في أهل الشام ليلة جاءنا شبيب فييئتنا . قال : فلما أمستنا جتمعنا حبيب بن عبد الرحمن فجعلنا أرباعاً . وقال لكل رُبْع منا : لبُجْزِي كل رُبْع منكم جانبه ، فإن قاتل هذا الرّبْع فلا يُغْنِهم ^(١) هذا الرّبْع الآخر ، فإنه قد بلغني أن هذه الخوارج منّا قريب ، فوطئوا أنفسهم على أنكم مببئون ومقاتلون ؛ فما زلنا على تعيبتنا حتى جاءنا شبيب فييئتنا ، فشدّ على رُبْع منّا ، عليهم عثمان بن سعيد العذري فصار بهم طويلاً ، فما زالت قدمُ إنسان منهم ، ثم تركهم وأقبل على الرّبْع الآخر . وقد جعل عليهم سعد بن بجل العامري فقاتلهم ، فما زالت قدم إنسان منهم . ثم تركهم وأقبل على الرّبْع ^(٢) الآخر وعليهم النعمان بن سعيد الحميري فما قدر منهم على شيء ، ثم أقبل على الرّبْع الآخر وعليهم ابن أقيصر الخثعمي فقاتلهم طويلاً ، فلم يظفر بشيء ، ثم أطاف بنا يحمل علينا حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل ، وألزق بنا حتى قلنا ، لا يُفارِقنا ، ثم نازلنا واجلاً طويلاً ، فسقطت بيننا وبينهم الأيدي ، وفُتئت الأعين ، وكثرت القتلى ، قتلنا منهم نحواً من ثلاثين ، وقتلوا منّا نحواً من مائة ، والله لو كانوا فيما نرى يزيدون على مائة رجل لأهلكونا ، وإيم الله على ذلك ما فارّقونا حتى ملكناهم وملّونا ، وكريهونا وكرهناهم .

(١) س : « يغنهم » ، ف : « ينهم » . (٢) ف : « الرابع » .

ولقد رأيت الرجل منّا يضرب بسيفه الرجل منهم فإضرته شيء من الإعياء والضعف ، ولقد رأيت الرجل منّا يقاتل جالساً يتفّتح بسيفه ما يستطيع أن يقوم من الإعياء^(١) ، فلماً يشؤا منّا ركب شبيب ثم قال لمن كان نزل من أصحابه : اركبوا ، فلماً استووا على متون خيولهم وجه^(٢) منصرفاً عنّا .

٩٧١/٢

قال أبو مخنف : حدثني فروة بن لقيط ، عن شبيب ، قال : لماً انصرفنا عنهم وبنا كآبة شديدة ، وجراحة ظاهرة ، قال لنا : ما أشدّ هذا الذي بنا لو كنّا إنّما نطلب الدنيا ! وما أيسرّ هذا في ثواب الله ! فقال أصحابه : صدقت يا أمير المؤمنين ، قال : فما أنسى منه لإقباله على سويد بن سليم ولا مقالته له : قتلتم منهم أمس رجلين : أحدهما أشجع الناس ، والآخر أجسب الناس ، خرجت عشيرة أمس طليعة لكم فلقيت منهم ثلاثة نفر دخلوا قرية يشرون منها حوائجهم ، فاشترى أحدهم حاجته ، ثم خرج قبل أصحابه وغربت معه ، فقال : كأنك لم تشتري علكماً ، فقلت : إنّ لي رفقاء قد كفّرتني ذلك ، فقلت له : أين ترى عدونا هذا نزل ؟ قال : بلغني أنّه قد نزل منّا قريباً ، وإيم الله لو ددت أنّي قد لقيت شبيبهم هنا ، قلت : فحبّ ذلك ؟ قال : نعم ، قلت : فخذ حذرَكَ ، فأنا والله شبيب وانتصبت سبتي ، فخرّ والله ميتاً ، فقلت له : ارفع ويحك^(٣) ! وذهبت أنظر فإذا هو قد مات ، فانصرفت راجعاً ، فاستقبل الآخر خارجاً من القرية ، فقال : أين تذهب هذه الساعة ؟ وإنّما يرجع الناس إلى عسكرهم ! فلم أكلّمه ، ومضيت يقرب بي فرسي ، وأتبعني حتى لحقني ، فقطعت عليه فقلت له : ما لك ؟ فقال : أنت والله من عدونا ؟ فقلت : أجل والله ، فقال : والله لا تبرح حتى تقتلني أو أقتلك ، فحملت عليه وحمل عليّ ، فاضطربنا بسيفينا ساعة ، فوالله ما فضلتني في شدة نفس ولا إقدام إلا أن سبقني كان أقطع من سيفه ، فقستكته ، قال : فضينا حتى قطعنا دجلة ، ثم أخذنا في أرض جوحى حتى قطعنا دجلة مرة أخرى من

٩٧٢/٢

(١) ب ، ف : « من الإعياء والضعف » .

(٢) ب : « وجه » .

(٣) ب ، ف : « ارفع ويحك رأسك » .

عند واسط ، ثم أخذنا إلى الأهواز ثم إلى فارس ، ثم ارتفعنا إلى كَرْمَانَ .

[ذكر الخير عن مهلك شبيب]

وفي هذه السنة هلك شبيب في قول هشام بن محمد ، وفي قول غيره كان هلاكه سنة ثمان وسبعين .

• ذكر سبب هلاكه :

قال هشام ، عن أبي مخنف : قال : حدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : أقمنا الحجاج إليه - يعني إلى شبيب - فقسم فينا مالا عظيماً ، وأعطى كل جريح منا وكل ذى بلاء ، ثم أمر سفيان بن الأبرد أن يسير إلى شبيب ، فتجهز سفيان ، فشق ذلك على حبيب بن عبد الرحمن الحكمي ، وقال : تبعث سفيان إلى رجل قد فلتته وقتلت فرسان أصحابه ! فأمضى سفيان بعد شهرين ، وأقام شبيب بكرمان ، حتى إذا انجبر واستراش هو وأصحابه أقبل راجعاً ، فيستقبله سفيان بجسر دجيل الأهواز ، وقد كان الحجاج كتب إلى الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل ، وهو زوج ابنة الحجاج وعامله على البصرة .

٩٧٣/٢

أما بعد ، فابعث رجلاً شجاعاً شريفاً من أهل البصرة في أربعة آلاف إلى شبيب ، ومعه فليكنحق بسفيان بن الأبرد ، وليسمع له وليطع .

فبعث إليه زياد بن عمرو العتكي في أربعة آلاف ، فلم يته إلى سفيان حتى التقى سفيان وشبيب ، ولمّا أن التقيا بجسر دجيل عبر شبيب إلى سفيان فوجد سفيان قد نزل في الرجال ، وبعث مهاجرين^(١) بن صفى العذري على الخيل ، وبعث على ميمنته يشر بن حسان الفهري ، وبعث على يسرته عمر بن هبيرة الفزاري ، فأقبل شبيب في ثلاثة كراديس من أصحابه ، هو في كتيبة وسويد في كتيبة ، وقعنّب الموحلي في كتيبة ، وخلف المثلث بن وائل في عسكره . قال : فلما حمل سويد وهو في ميمنته

على ميسرة سُفَيَّانَ ، وقَعَبٌ وهو في ميسرته على ميمته حَمَلٌ هو على سُفَيَّانَ ،
فاضطَرَّ بنا طويلا من النهار ، حتَّى انحازوا فرجعوا إلى المكان الَّذي كانوا
فيه ، فكَرَّ علينا هو وأصحابه أَكْثَرَ من ثلاثين كَرَّةً ، كلَّ ذلك لا نزول
من صَفَتَنَا . وقال لنا سُفَيَّانُ بنُ الأبرد: لا تنفروا ، ولكن ليرتحف الرجالُ
إليهم زحفاً ، فوالله ما زلنا نطاعنُهُم وفضاربُهُم حتَّى اضطَرَّناهم إلى
الجِسر ، فلمَّا انتهى شبيب إلى الجِسر نزل ونزل معه نحو مائة رجل ،
فقاتلناهم حتى المساء أشدَّ قتال قاتله قومٌ قطَّ ، فما هو إلا أن نزلوا
فأوقعوا لنا من الطَّعن والضَّرب شيئاً ما رأينا مثله من قوم قطَّ . فلمَّا رأى
سفَيَّانُ أَنَّهُ لا يقدِّر عليهم ، ولا يأمن مع ذلك ظفرهم ، دعا الرِّمَّةَ فقال :
ارشقوهم بالنَّبل ، وذلك عند المساء ، وكان التقاؤهم نصفَ النهار . فوامهم
أصحابُ النَّبل بالنَّبل عند المساء ، وقد صَفَّهم سُفَيَّانُ بنُ الأبرد على حِدَّةٍ ،
وبعث على المُرَّامِيَّة رجلا ، فلمَّا رشقوهم بالنَّبل ساعةً شدَّوا عليهم ،
فلمَّا شدَّوا على رُمَاتنا شدَّوا عليهم ، فشقَّناهم عنهم ، فلما رموا بالنَّبل
ساعةً ركب شبيب وأصحابه ثم كَرَّوا على أصحاب النَّبل كَرَّةً صُرِعَ منهم
أَكْثَرُ من ثلاثين رجلا ، ثمَّ عطف بخيَّله علينا ، فشى عامداً نحونا ، فطاعناه
حتَّى اختلط الظلام . ثمَّ انصَرَفَ عنا : فقال سُفَيَّانُ لأصحابه :
أيُّها الناس ، دَعُوهم لا تتبعوهم حتَّى نُصبِّحهم غُدوةً . قال : فكفَّمتنا
عنهم وليس شيء أحبَّ إلينا من أن ينصرفوا عنا .

قال أبو مخنف : فحدثني فَرْوة بنُ لَقِيظ ، قال : فما هو إلا أن
انتهينا إلى الجِسر ، فقال : اعبروا معاشرَ المسلمين ، فإذا أصبحنا
باكراً ناهم إن شاء الله ، فعبَرنا أمامه ، وتخلَّف في آخرنا ، فأقبل على
فرسه ، وكانت بين يديه فرس أنثى ماذيَّانة ، فنزأ فرسه عليها وهو على الجِسر
فاضطربت الماذيَّانة ، ونزل حافرُ رجل فرس شبيب على حرف السَّفينة ،
فَسَقَطَ في الماء ، فلمَّا سَقَطَ قال : ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ .
فارتعس^(١) في الماء ، ثمَّ ارتفع فقال : ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ .

(١) ارتعس في الماء . إذا انفس فيه حتى يغيب رأسه وجميع جسده فيه .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يزيد السكسكي بهذا الحديث— وكان ممن يقاتله من أهل الشام، وحدثني فروة بن لقيط ، وكان ممن شهد مواعظته— فأما رجل من ربهطه من بني مرة بن همام فإنه حدثني أنه كان معه قوم يقاتلون من عشيرته ، ولم يكن لهم تلك البصيرة النافذة ، وكان قد قتل من عشائهم رجالا كثيرا ، فكان ذلك قد أوجع قلوبهم ، وأوغر صدورهم ؛ وكان رجل يقال له مقاتل من بني تميم بن شيبان من أصحاب شبيب ، فلما قتل شبيب رجالا من بني تميم بن شيبان أغار هو على بني مرة بن همام فأصاب منهم رجلا ، فقال له شبيب : ما حملك على قتلهم بغير أمرى ! فقال له : أصلحك الله ! قتل كفار قوى ، وقتلت كفار قومك ، قال : وأنت انوالى على حتى تقطع الأمور دُونى ! فقال : أصلحك الله ! أليس من ديننا قتل من كان على غير رأينا، متا كان أو من غيرنا ! قال : بلى ، قال : فإنما فعلت ما كان ينبغي ، ولا والله يا أمير المؤمنين ما أصبت من ربهطك عشر ما أصبت من ربهطى ، وما يحل لك يا أمير المؤمنين أن تجد من قتل الكافرين ؛ قال : إني لا أجيد من ذلك . وكان معه رجال كثير قد أصاب من عشائهم ، فزعموا أنه لما تخلف في أخريات أصحابه قال بعضهم لبعض : هل لكم أن تقطع به الجسر فندرك ثأركا الساعة ! فقطعوا الجسر ، قالت السفن ، فتزع القوس ونفر ، وقع في الماء فغرق .

٩٧٦/٢

قال أبو مخنف : فحدثني ذلك المرسي بهذا الحديث ، وناس من ربهط شبيب يتذكرون هذا أيضا ؛ وأما حديث العامة فالحديث الأول .

قال أبو مخنف : وحدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : إنا واقف لنتهيّا للانصراف إذ جاء صاحب الجسر فقال : أين أميركم ؟ قلنا : هو هذا ، فجاءه فقال : أصلحك الله ! إن رجلا منهم وقع في الماء ، فتنادوا بينهم : غرق أمير المؤمنين ! ثم إنهم انصرفوا راجعين ، وتركوا عسكريهم ليس فيه أحد ، فكبر سفيان وكبرنا ، ثم أقبل حتى انتهى إلى الجسر ، وبعث مهاضر بن صتيق فغير إلى عسكريهم ، فإذا ليس فيه منهم صافير

ولا أثر^(١)، فترل فيه، فإذا أكثر عسكر خلق الله خيراً، وأصبحنا فطلبنا شيئاً حتى استخرجناه وعليه الدرع، فسمعت الناس يزعمون أنه شق بطنه فأخرج قلبه، فكان مجتمعا صلباً كأنه صخرة، وإنه كان يضرب به الأرض فيثب قائمة إنسان؛ فقال صفيان: احملوا الله الذي أعانكم فأصبح عسكرهم في أيدينا.

قال أبو زيد عمر بن شبة: حدثني خلافة بن يزيد الأرقط، قال: كان شيب ينعى لأمه فيقال: قتل فلا تقبل قال: فقبل لها: إنه غريق، فقيلت، وقالت: إني رأيت حين ولدته أنه خرج مني شهاب نار، فحكمت أنه لا يطغى إلا الماء.

٩٧٧/٢ قال هشام عن أبي مخنف: حدثني فرقة بن لقيط الأزدي ثم العامري أن يزيد بن نعيم أبا شيب كان ممن دخل في جيش سلمان بن ربيعة إذ بعث به وبمن معه^(٢) الوليد بن عقبة عن أمر عثمان إياه بذلك مدداً لأهل الشام أرض الروم، فلما قفل المسلمون أقيم السبي للبيع، فرأى يزيد ابن نعيم أبو شيب جارية حمراء، لا شهلاء ولا زرقاء طويلة جميلة تأخذها العين، فابتاعها ثم أقبل بها، وذلك سنة خمس وعشرين أول السنة، فلما أدخلها الكوفة قال: أسلمي، فأبت عليه، فضربها فلم ترد إلا عصياناً، فلما رأى ذلك أمر بها فأصليحت، ثم دعا بها فأدخلت عليه، فلما تغشأها تلقت منه بحمل فولدت شيباً، وذلك سنة خمس وعشرين في ذي الحجة في يوم النحر يوم السبت. وأحببت مولاهما حباً شديداً - وكانت حنونة^(٣) - وقالت: إن شئت أجبتك إلى ما سألتني من الإسلام، فقال لها: شئت، فأسلمت، وولدت شيباً وهي مسلمة، وقالت: إني رأيت فبا يرمى النائم أنه خرج من قبلي شهاب فتقب يسطع حتى بلغ السماء وبلغ الآفاق كلها، فيينا هو كذلك إذ وقع في ماء كثير جار فخبأ، وقد ولدته في يومكم هذا الذي تهريقون فيه الدماء، وإني

(١) يقال: ما في الدار من صائر، أي أحد يصفر، وهو مثل.

(٢) ١: «سعد الوليد بن عقبة». (٣) كلنا في ١، وفي ط: «تحننه».

قد أولتُ رؤيَا هذه أنى أرى وليدى هذا غلاماً ، أراه سيكون صاحب دماء
يُهرِّقها ، وإنى أرى أمره سيعلو ويعظم سريعاً . قال : فكان أبوه يختلف ١٧٨/٢
به وبأُمته إلى البادية إلى أرضٍ قومه على ماء يدعى اللِّصَف .

قال أبو ميخنف : وحدثنى موسى بن أبي سويد بن رادى أن
جُنْدَ أهل الشام الذين جاؤا حملوا معهم الحَجَر فقالوا : لا نفر من
شبيب حتى يفر هذا الحجر ؛ فبلغ شبيباً أمرهم ، فأراد أن يكيدهم ، فدعا
بأفراس أربعة . فربط في أذنانها ترسة في ذنب كل فرس ثُرسين ، ثم
نذب معه ثمانية نفر من أصحابه ، ومعه غلام له يقال له حيّان ، وأمره
أن يحمل معه إداوة من ماء ، ثم سار حتى يأتى ناحية من العسكر ،
فأمر أصحابه أن يكونوا في نواحي العسكر ، وأن يجعلوا مع كل رجلين فرساً ،
ثم يمسسوها الحديد حتى تجد حره ويخلوها في العسكر ، وواعدهم ثلثة
قريبة من العسكر ، فقال : من نجا منكم فإن موعدة هذه الثلثة ؛ وكره
أصحابه الإقدام على ما أمرهم به ، فترل حيث رأى ذلك منهم حتى صنع
بالخيل مثل الذى أمرهم ، ثم وغلّت في العسكر ، ودخل يتلوها مُحْكَمًا
فضرب الناس بعضهم بعضاً ، فقام صاحبهم الذى كان عليهم ، وهو
حبيب بن عبد الرحمن الحَكَمى ، فنادى : أيها الناس ، إن هذه مكيدة ،
فالزموا الأرض حتى يتيين لكم الأمر ، ففعلوا وبقى شبيب في عسكرهم ،
فلزم الأرض حيث رآهم قد سكتوا ، وقد أصابته ضربة عمود أوهنته ،
فلما أن هذا الناسُ ورجعوا إلى أبينتهم خرج في غمارهم حتى أتى الثلثة ، ١٧٩/٢
فلذا هو بحيّان ، فقال : أفرغ يا حيّان على رأسى من الماء ، فلما مد رأسه
ليصب عليه من الماء همّ حيّان أن يضرب عنقه ، فقال لنفسه : لا أجد
لى مكرمة ولا ذكراً أرفع من قلبي هذا ، وهو أمانى عند الحجاج ، فاستقبلته
الرعدة حيث همّ بما همّ به ، فلما أبطل يحلّ الإداوة قال : ما يبطنك
بحكمتها ! فتناول السكين من موزجه^(١) فخرقها به ، ثم ناولها إياه ،
فأفرغ عليه من الماء . فقال حيّان : منعتى والله الجبن وما أخذتني من

(١) الموزج : الخف ، فارسى عرب . الحواشي ٣١١ .

الرعدة أن أضرب عنقه بعد ما هممتُ به . ثم لحق شبيب بأصحابه في
عسكره .

[خروج مطرف بن المغيرة على الحجاج وعبد الملك]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة خرج مُطَرَفُ بن المغيرة بن شعبة
على الحجاج ، وخلع عبد الملك بن مروان وخلق بالجلال فقتل .
ذكر السبب الذي كان عند خروجه وخلعه عبد الملك بن مروان :

قال هشام عن أبي مخنف ، قال : حدثني يوسف بن يزيد بن بكر
الأزدى أن بني المغيرة بن شعبة كانوا صلحاء نبلاء ، أشرافاً بأبدانهم سوى
شرف أبيهم ومزلتهم^(١) في قومهم . قال : فلما قدم الحجاج فلقوه وشافهم
علم أنهم رجال قومه وبنو أبيه ، فاستعمل عروة بن المغيرة على
الكوفة ، ومطرف بن المغيرة على المدائن ، وحزمة بن المغيرة على همدان .

قال أبو مخنف : فحدثني الحصين بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نضيل
الأزدى ، قال : قدّم علينا مطرف بن المغيرة بن شعبة المدائن فصعد
المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إن الأمير الحجاج
أصلحه الله قد ولاني عليكم ، وأمرني بالحكم بالحق ، والعدل في السيرة ، فإن
علمت بما أمرني به فأنا أعدل الناس ، وإن لم أفعل فنفسي أوبقت ، وحظ
نفسي ضيقت ، ألا^(٢) إني جالس لكم العصرين ، فارفعوا إلى حوائجكم^(٣) ،
وأشيروا علي بما يصلحكم ويصلح بلادكم ، فإني لن آلوكم خيراً
ما استطعت . ثم نزل .

وكان بالمدائن إذ ذاك رجال من أشراف أهل المصروبيوتات الناس ، وبها
مقاتلة لا تسعها عدة ، إن كان كوث بأرض جوثى أو بأرض الأثبار . فأقبل
مطرف حين نزل حتى جلس للناس في الإيوان ، وجاء حكم بن الحارث
الأزدى يمشي نحوه ، وكان من وجوه الأزد وأشرافهم ، وكان الحجاج قد

(١) : « ويزلتهم » .

(٢-٣) ب ، ف : « ارفعوا إلى حوائجكم فإني جالس لكم العصرين » .

استعمله بعد ذلك على بيت المال - فقال له: أصلحك الله ! إني كنتُ منك
 نائياً حين تكلّمتُ ، وإني أقبلتُ نحوكَ لأجيبكَ ، فوافقتُ ذلك نزلوك ،
 إنّا قد فهمنا ما ذكرتُ لنا ، أنّه عهدُ إليك ، فأرشد اللهُ العاهدَ والمعهودَ إليه ،
 وقد منّيتُ من نفسك العدلَ ، وسألتُ المعوطة على الحقِّ ، فأعانك الله على ٩٨١/٢
 ما نويتُ ، إنَّكَ تُشبه أباك في سيرته برضا الله والناس - فقال له مطرفُ :
 ها هنا إلىّ ؛ فأوسع له فجلس إلى جنبه .

قال أبو غنم : فحدثني الحُصَيْن بن يزيد أنّه كان من خير عامل
 قدم عليهم قط ، أقمعه لمُريب ، وأشدّه إنكاراً للظلم - فقدم عليه بشر بن
 الأجدع الهمداني ، ثم الثوري ، وكان شاعراً فقال :

إني كلفتُ بحدود غير فاحشةٍ غراءَ وهَنانَةٍ حُسانَةٍ الجِدِّ
 كأنها الشمس يوم الدجى إذ برزتُ تمشي مع الأنيس الهيف الأماليدِ
 سلّ الهوى بعلندةٍ مُذكّرةٍ عنها إلى المُجتدي ذى العُرف والجودِ
 إلى الفنى الماجد الفياض نعرفه في الناس ساعة يُحلى كلُّ مردودِ
 من الأكارم أنساباً إذا نسيبوا والحایل الثقل يوم المغرم الصيِّدِ
 إني أعيذك بالرحمن من نفرٍ حمر السبال كأشد الغابة السودِ
 فرسان شيبان لم نسمع بمثلهم أبناء كلِّ كريم النجلِ صنديدِ ٩٨٢/٢
 شدوا على ابنِ حُصَيْن في كَيْبَبَتِهِ فغادروه صريعاً ليلة العيدِ
 وابنُ المجاليدِ أزدته رماحهم كأنما زلَّ عن خوصاء صيخودِ
 وكلُّ جمعٍ بروذا بار كان لهم قد قُصَّ بالطعن بين النخل والبيدِ
 فقال له : ويحك ! ما جئتُ إلا لرغبنا . وقد كان شبيب أقبل من سائديما ،
 فكتب مطرف إلى الحجاج :

أمّا بعد ، فإني أخير الأميرَ أكرمه الله أن شيباً قد أقبل نحونا ،
 فإن رأى الأميرُ أن يُمدّني برجال أضبط بهم المدائن فعلى ، فإن المدائن
 باب الكوفة وحصنها .

فبعث إليه الحجاجُ بنُ يوسفَ سبيرةَ بن عبد الرحمن بن مخنف في مائتين وعبد الله بن كنفاز في مائتين ، وجاء شبيب فأقبل حتى نزل قناطرَ حُدَيْفَةَ ، ثم جاء حتى انتهى إلى كَلَوَاذَا ، فعبرَ منها دِجْلَةَ ، ثم أقبل حتى نزل مدينةَ بَهْرَسِيرَ ومطرفَ بن المغيرة في المدينة العتيقة التي فيها منزل كسرى ٩٨٣/٢ والقصر الأبيض ، فلما نزل شبيب بَهْرَسِيرَ قطعَ مطرفَ الجسرَ فيما بينه وبين شبيب ، وبعث إلى شبيب أن ابعث إلى رجالا من صلحاء أصحابك أدارسهم القرآن ، وأنظر ما تدعون إليه ، فبعث إليه رجالا ، منهم سويد بن سليم وقعنُب والحلّل بن وائل ، فلما أدنى منهم السعير وأرادوا أن يتزّلوا فيه أرسل إليهم شبيب ألا تدخلوا السفينة حتى يرجع إلى رسولى من عند مطرف ، وبعث إلى مطرف : أن ابعث إلى بَعْدَةَ من أصحابك حتى تردّ على أصحابى ، فقال لرسوله : القه فقل له : فكيف آمنك على أصحابى إذا بعثتهم الآن إليك ، وأنت لا تأمنى على أصحابك ! فأرسل إليه شبيب : إنك قد علمت أننا لا نستحلّ في ديننا الفدر ، وأنتم تفعلونه وتهوتونه . فسرّح إليه مطرفَ الربيع بن يزيدَ الأسدى ، وسليان بن حُدَيْفَةَ بن هلال بن مالك المزنى ، ويزيد بن أبى زياد مولى المغيرة - وكان على حرس مطرف - فلما وقعوا في يديه بعث أصحابه إليه .

قال أبو مخنف :

حدثني النضر بن صالح ، قال : كنت عند مطرف بن المغيرة ابن شعبة فما أدرى أقال : إني كنت في الجنسد الذين كانوا معه ، أو قال : كنت يلزاه حيث دخلت عليه رسلُ شبيب ! وكان لى ولأخى ٩٨٤/٢ ودّ أمكروما ، ولم يكن ليستر منّا شيئا ، فدخلوا عليه وما عنده أحد من الناس غيرى وغير أخى حلام بن صالح ، وهم ستة ونحن ثلاثة ، وهم شاكون في السلاح ، ونحن ليس علينا إلا سيفنا ، فلما دنوا قال سويد : السلام على من خاف مقام ربه وعرف الهدى وأهله ، فقال له مطرف : أجل ، فسلم الله على أولئك ، ثم جلس القوم ، فقال لهم

مطرف: قُصُوا عَلَى أَمْرِكُمْ ، وَخَبِّرُونِي مَا الَّذِي تَطْلُبُونَ ؟ وَالْأَمَّ تَدْعُونِ ؟
فَحَمِدَ اللَّهُ سُؤيدَ بْنَ سُلَيْمٍ وَأَتَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الَّذِي
تَدْعُونِي إِلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّ الَّذِي نَقَمْنَا عَلَى
قَوْمِنَا الْإِسْتِثَارَ بِالْفِتْنَةِ وَتَعْطِيلَ الْحُلُودِ وَالتَّسَلُّطَ بِالْجَبَرِيَّةِ . قَالَ لَهُمْ
مَطْرَفٌ : مَا دَعَوْتُمْ إِلَّا إِلَى حَقٍّ ، وَلَا نَقَمْتُمْ إِلَّا جَوْرًا ظَاهِرًا ، أَنَا لَكُمْ
عَلَى هَذَا مُتَابِعٌ ، فَتَابِعُونِي إِلَى مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ لِيَجْتَمَعَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ ،
وَتَكُونَ يَدِي وَأَيْدِيكُمْ وَاحِدَةً ، فَقَالُوا : هَاتِ ، أَذْكَرُ مَا تَرِيدُ أَنْ تَذْكَرَ ،
فَإِنْ يَكُنْ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ حَقًّا نُجِيبُكَ ، قَالَ : فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى أَنْ تَقَاتِلَ
هَؤُلَاءِ الظَّالِمَةَ الْعَاصِينَ عَلَى إِحْدَانِهِمُ الَّذِي أَحْدَثُوا ^(١) ، وَأَنْ نَدْعُوهُمْ إِلَى
كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، وَأَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَمْرُ شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، يُشِيرُونَ
عَلَيْهِمْ مَنْ يَرْضَوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ عَلَى مِثْلِ الْحَالِ الَّتِي تَرَكَهُمْ عَلَيْهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ،
فَإِنَّ الْعَرَبَ إِذَا عَلِمَتْ أَنَّ مَا يَرَادُ بِالشُّورَى الرِّضَا مِنْ قَرِيشٍ رَضُوا ،
وَكَثُرَ تَبِعُكُمْ مِنْهُمْ وَأَعْوَانُكُمْ عَلَى عُلُوكُمْ ، وَتَمَّ لَكُمْ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي
تُرِيدُونَ .

قال : فَوَثِّبُوا مِنِّي عِنْدَهُ ، وَقَالُوا : هَذَا مَا لَا نَجِيبُكَ إِلَيْهِ أَبَدًا ، فَلَمَّا ٩٨٥/٢
مَضَوْا فَكَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ صُفَّةِ الْبَيْتِ التَّفْتِ إِلَى سُؤيدَ بْنَ سُلَيْمٍ ، فَقَالَ :
يَا بَنِي الْمَغِيرَةِ ، لَوْ كَانَ الْقَوْمُ عُدَاةً غَدْرًا كُنْتُ قَدْ أَمَكْتُهُمْ مِنْ نَفْسِكَ ،
فَفَرَّعَ لَهَا مَطْرَفٌ ، وَقَالَ : صَدَقَتْ وَإِلَهُ مُوسَى وَعِيسَى .

قال : وَرَجِعُوا إِلَى شَيْبٍ فَأَخْبِرُوهُ بِمَقَالَتِهِ ، فَطَمَعَ فِيهِ ، وَقَالَ لَهُمْ :
إِنْ أَصْبَحْتُمْ فَلْيَأْتِيهِ أَحَدُكُمْ ؛ فَلَمَّا أَصْبَحُوا بَعَثَ إِلَيْهِ سُؤيدًا وَأَمَرَهُ بِأَمْرِهِ ،
فَجَاءَ سُؤيدَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَابِ مَطْرَفٍ ، فَكُنْتُ أَنَا الْمُسْتَأْذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ
وَجَلَسَ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَرِفَ ، فَقَالَ لِي مَطْرَفٌ : اجْلِسْ فَلَيْسَ دُونَكَ سِرٌّ ؛
فَجَلَسْتُ وَأَنَا يَوْمُئِذٍ شَابٌّ أَغْيَدٌ ، فَقَالَ لَهُ سُؤيدٌ : مَنْ هَذَا الَّذِي لَيْسَ لَكَ
دُونَهُ سِرٌّ ؟ فَقَالَ لَهُ : هَذَا الشَّرِيفُ الْحَسِيبُ ، هَذَا ابْنُ مَالِكِ بْنِ
زُهَيْرِ بْنِ جَدِيْمَةَ ، فَقَالَ لَهُ : بَخٍّ أَكْرَمْتَ فَارْتَبِطْ ، إِنْ كَانَ دِينُهُ عَلَى

(١) ا ، س : « عُلِّ أَحْدَانُهُمُ الَّتِي أَحْدَثُوا » .

قدّر حسبه فهو الكامل ، ثم أقبل عليه فقال : إنّنا لقينا أمير المؤمنين بالذي ذكرت لنا ، فقال لنا : القوّه فقولوا له : ألسنت تعلم أنّ اختيار المسلمين منهم خيرهم لهم فيما يرون رأي رشيد ! فقد مضت به السنة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإذا قال لكم : نعم ، فقولوا له : فإنّا قد اخترنا لأنفسنا أرضاًنا فينا ، وأشدّنا اضطلاعاً لِمَا حُمِلَ ، فلم يغيّر ولم يبدل فهو وليّ أمرنا . وقال لنا : قولوا له فيما ذكرت لنا من الشورى حين قلت : إنّ العرب إذا علمت أنّكم إنّما تريدون بهذا الأمر قريشاً^(١) كان أكثر لتبعمكم منهم ؛ فإنّ أهل الحق لا يتقصّهم عند الله أن يقلّوا ، ولا يزيد الظالمين خيراً أن يكثرُوا ، وإن تركنا حقّاً الذي خرجنا له ، ودخلنا فيما دعوتنا إليه من الشورى خطيئة وعجز ورخصة إلى نصر الظالمين ووَهْن ، لأنّا لا نرى أنّ قريشاً أحقّ بهذا الأمر من غيرها من العرب . وقال^(٢) : فإن زعم أنّهم أحقّ بهذا الأمر من غيرها من العرب فقولوا له : ولم ذاك ؟ فإن قال : لقرابة محمد صلى الله عليه وسلم بهم فقولوا^(٣) له : فوالله ما كان ينبغي إذا لأسلافنا الصالحين من المهاجرين الأوّلين أن يتولّوا على أسرة محمد ، ولا على ولد أبي لهب لو لم يبق غيرهم ؛ ولولا أنّهم علموا أنّ خير الناس عند الله اتقاهم ، وأنّ أولاهم بهذا الأمر اتقاهم وأفضلهم فيهم ، وأشدّهم اضطلاعاً بحمّل أمورهم ما تولّوا أمور الناس ؛ ونحن أوّل من أنكر الظلم وغير الجور وقاتل الأحزاب ، فإن اتّبعتنا فله ما لنا وعليه ما علينا ، وهو رجل من المسلمين ، وإلا يفعل فهو كبعض من نعادى وتقاتل من المشركين .

فقال له مطرف : قد فهمت ما ذكرت ، ارجع يومك هذا حتّى تنظر في أمرنا .

فرجع ، ودعا مطرف رجالاته من أهل ثقافته وأهل نصائحه ؛ منهم سليمان بن حذيفة المزني ، والربيع بن يزيد الأسدي . قال النضر بن صالح : وكنت أنا ويزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبه قائمين على

(١) ب : « قريشاً » . (٢) ط : « فقال له » . (٣) ط : « فقل » .

رأسه بالسيف ، وكان على حرّمه ، فقال لهم مطرفٌ : يا هؤلاء ، إنكم نُصَحائي وأهلُ مودتي ومن أتي بصلاحه وحسن رأيه ، والله ما زلتُ لأعمال هؤلاء الظلمة كارهاً ، أنكرها بقلبي ، وأغيرها ما استطعتُ بفعلٍ وأمرى ، فلماً عظمتُ خطيئتهم ، ومرّ بي هؤلاء القومُ يحاهدونهم ، لم أرَ أَنَّهُ يسعني إلا مناهضتهم وخيلاً فهِمُ إن وجدتُ أعواناً عليهم ، وإني دعوتُ هؤلاء القومَ فقلتُ لهم كَيْتَ وكَيْتَ ، وقالوا لي كَيْتَ وكَيْتَ ، فليستُ أرى القتالَ معهم ، ولو تابعتُني على رأيي وعلى ما وصفتُ لهم لخلعتُ عبدَ الملك والحجّاجَ ، ولسرتُ إليهم أجاheidهم . فقال له المزني : إنهم لن يُتايَعوكَ ، وإنك لن تُتايَعهم فأخفَ هذا الكلامَ ولا تُظهره لأحد ، وقال له الأسدَيّ مثل ذلك ، فجسّاً مولا ابن أبي زياد على ركبتيه ثم قال : والله لا يحضني ممّا كان بينك وبينهم على الحجّاج كلمة واحدة ، وليزادَنَّ على كلِّ كلمة عشرة أمثالها ، والله أن لو كنتُ في السحاب هارباً من الحجّاج ليلتمسن أن يصل إليك حتّى يهْلِكك^(١) أنت ومن معك ؛ فالنّجاء النّجاء من مكانك هذا ، فإنّ أهلَ المدائن من هذا الجانب ومن ذاك الجانب ، وأهلُ عسكر شيب يتحدّون بما كان بينك وبين شيب ، ولا تمس من يومك هذا حتّى يبلّغ الخبرُ الحجّاجَ ، فاطلبُ داراً غيرَ المدائن . فقال له صاحبه : ما نرى الرأى إلا ٩٨٨/٢ كما ذكرلك^(٢) ، قال لهما مطرفٌ : فاعندكما ؟ قال : الإجابة إلى ما دعوتنا إليه والمؤاساة لك بأنفسنا على الحجّاج وغيره . قال : ثمّ نظر إلى ، فقال : ما عندك ؟ فقلت : قتال عدوك ، والهربُ معك ما صبرت ، فقال لي : ذاك الظنُّ بك .

قال : ومكث حتّى إذا كان في اليوم الثالث أتاه قنص فقال له : إن تابعتنا فانت منّا ، وإن أبيت فقد تابذناك ، فقال : لا تعجلوا اليوم فلانّا ننظر .

قال : وبعث إلى أصحابه أن ارحلوا اللّيلة من جند أخيركم حتّى توفوا الدّسكرة معي لحدّث حدث هنالك .

(١) ب ، ف : هلك .

(٢) ب ، ف ، ما قال .

ثم أدلجَ وخرج أصحابه معه حتى مرَّ بدينيرِزْ دَجِرْدَ فترَّله ، فلقبه قَيْصَمَةُ بنُ عبد الرحمن القحافي من خَشَعَم ، فدعاه إلى صُحْبته ، فصَحِبَه فكسَّاه وحمَّكه ، وأمرَ له بنققة ، ثم سار حتى نزل الدَّسْكَرة ، فلمَّا أراد أن يرتحل منها لم يجد بداً من أن يُعلم أصحابه ما يريد ، فجمع إليه رموسَ أصحابه ، فذكر الله بما هو أهله وصلَّى على رسوله ، ثم قال لهم : أمَّا بعد ، فإنَّ الله كتب الجهاد على خلقه ، وأمر بالعدل والإحسان ، وقال فيها أنترك علينا : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَلِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ^(١) وإني أشهد الله أني قد خلعت عبدَ الملك بن مروانَ والحجَّاجَ بن يوسف ، فمن أحب منكم صُحْبتي وكان على مثل رأئي فليُتابعني ، فإن له الأسوة وحُسن الصَّحبة ، ومن أبى فليذهب حيث شاء ، فإنني لست أحب أن يتبعني من ليست له نيَّةٌ في جهادِ أهل الجور ، أَدْعُوكُم إلى كتابِ الله وسنَّةِ نبيِّه وإلى قتال الظَّلمة ، فإذا جمع الله لنا أمرًا كان هذا الأمرُ شُورَى بين المسلمين يرتضون لأنفسهم من أحبوا .

قال : فوثب إليه أصحابه فبايعوه ، ثم إنَّه دخل رحلَه وبعث إلى مسَبْرَةَ بن عبد الرحمن بن مِخْنَف وإلى عبد الله بن كَنَاز النُّهْدِي فاستخلاهما ، ودعاهما إلى مثل ما دعا إليه عامَّةُ أصحابه ، فأعطياه الرِّضَا ، فلمَّا ارتحل انصرفا بمن معه من أصحابه حتى أتياَ الحجَّاجَ فوجداه قد نازل شيبًا ، فشهدا معه وقعة شيب . قال : وخرج مطرُف بأصحابه من الدَّسْكَرة موجهًا نحو حُلُوان ، وقد كان الحجَّاجَ بعث في تلك السنة سُويد بن عبد الرحمن السَّعْدِي على حُلُوان وماسبذان ، فلمَّا بلغه أن مطرُف بن المغيرة قد أقبل نحو أرضه عَرَفَ أنَّه إن رَفَقَ في أمره أو داهن لا يقبل ذلك منه الحجَّاجَ ، فجمع له سُويد أهلَ البلد والأكراد ، فأما الأكراد فأخذوا عليه ثِيَابَ حُلُوان ، وخرج إليه سُويد وهو يحب أن يسلم من قتاله ، وأن يُعافى من الحجَّاجَ ، فكان خروجه كالتعدير .

قال أبو مِخْنَف : فحدثني عبدُ الله بنُ علقمة الخثعمي أن

الحجّاج بن جارية الخثعمي حين سمع بخروج مطرف من المدائن نحو الجبل أتبعه في نحو من ثلاثين رجلاً من قومه وغيرهم . قال : وكنت فيهم فليحفظاه بحدوثنا ، فكنا ممن شهد معه قتال سويد بن عبد الرحمن . ٩٩٠/٢
قال أبو مخنف : وحدثني بذلك أيضاً النضر .

قال أبو مخنف : وحدثني عبد الله بن علقمة . قال : ما هو إلا أن قدّمنا على مطرف بن المغيرة ، فُسّرَ بمقدّمنا عليه ، وأجلس الحجّاج ابن جارية معه على مجلسه .

قال أبو مخنف : وحدثني النضر بن صالح ، وعبد الله بن علقمة ، أن سويداً لمّا خرج إليهم بمن معه وقف في الرجال ولم يخرج بهم من البيوت ، وقدّم ابنه القعقاع في الخيل ، وما خيله يومئذ بكثير .

قال أبو مخنف : قال النضر بن صالح : أراهم كانوا مائتين ، وقال ابن علقمة : أراهم كانوا يتقصّون عن^(١) الثلاثه . قال : فدعا مطرف الحجّاج بن جارية فسّره إليهم في نحو من عديتهم^(٢) ، فأقبلوا نحو القعقاع وهم جادّون في قتاله ، وهم فرسان متعالمون ، فلما رآهم سويد قد تيسروا^(٣) نحو ابنه أرسل إليهم غلاماً له يقال له رُسَم - قُتل معه بعد ذلك بدّير الجمّاجم - وفي يده راية بني سعد ، فانطلق غلامه حتّى انتهى إلى الحجّاج بن جارية ، فأسرّ إليه : إن كنتم تريدون الخروج من بلادنا هذه إلى غيرها فاخرجوا عنّا ، فإنّا لا نريد قتالكم ، وإن كنتم إيانا تريدون فلا بدّ من مننّ ما في أيدينا . فلما جاءه بذلك قال له الحجّاج بن جارية : ائت أميرنا فاذكر له ما ذكرت لي ، فخرج حتّى أتى مطرفاً فذكر له مثل الذي ذكر للحجّاج بن جارية ، فقال له مطرف : ما أريدكم ولا بلادكم ، فقال له : فالزم هذا الطريق حتّى تخرج من بلادنا ، فإنّا لا نجد بداً من أن يَرى الناس وتسمع بذلك أنّا قد خرجنا إليك . قال : فبعث مطرف إلى الحجّاج فأثابه ، ولزموا الطريق حتّى مروا بالثنية فإذا الأكراد بها ، فقتل مطرف ونزل معه عامّة أصحابه

(١) كذا في ١ ، وفي ط : «من» . (٢) : «عديتهم» . (٣) : «س» : «سلاوا» .

وصعد إليهم في الجانب الأيمن الحجَّاجُ بنُ جارية، وفي الجانب^(١) الأيسر سليمانُ بنُ حذيفة، فهزَمَهم^(٢) وقتلَهم، وسَلِمَ مطرَف وأصحابه ففَضُّوا حتَّى دَنَوْا من هَمْدَانَ، ففَتَكَّهَا وأَخَذَ ذاتَ اليسار إلى ماه دينار، وكان أخوه حمزة بن المغيرة على هَمْدَانَ، ففَكَرَهُ أَنْ يَدْخُلَهَا ففَتَّهَمَ أخوه عند الحجَّاج، فلَمَّا دَخَلَ مطرَف أرضَ ماه دينار كتب إلى أخيه حمزة :

أماً بعد، فإنَّ التَّفَقُّة قد كَثُرَتْ والمؤنَّة قد اشْتَدَّتْ، فأُمِدِدْ أخاك بما قَدَّرْتَ عليه من مال وسلاح.

وبعث إليه يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة، فجاء حتَّى دخل على حمزة بكتاب مطرَف ليلاً، فلَمَّا رآه قال له : ثكلتك أمك ! أنت قتلت مطرَفًا ؟ فقال له : ما أنا قتلته جُعِلْتُ فداك ! ولكنَّ مطرَفًا قتل نفسه وقتلتني، وليتَّه لا يقتلك، فقال له : وَيَحْك ! مَنْ سَوَّلَ له هذا الأمر ! فقال : نفسه سَوَّلَتْ هذا^(٣) له. ثمَّ جلس إليه فقصَّ عليه القصص، وأخبره بالخبر، ودفع كتابَ مطرَف إليه، فقرأه ثمَّ قال : نعم، وأنا باعثٌ إليه بمال وسلاح، ولكنَّ أخبرني تَرَى ذلك يَسْخَفُنِي لِي ؟ قال : ما أظنَّ أن يخفى، فقال له حمزة : فوالله لئن أنا خذلتَه في أنْفَع النَّصْرَيْنِ له نصر العلانية، لا أخذلُهُ في أيسر النَّصْرَيْنِ نصر السَّريَّة. قال : فسَرَّحَ إليه مع يزيد بن أبي زياد بمال وسلاح، فأقبل به حتَّى أتى مطرَفًا ونحن نزولٌ في رُستاق من رَسَاتيق ماه دينار، يقال له : سامان مُتَآخِمِ أرضِ أصيهان، وهو رُستاق كانت الحمراءُ تَتَرَّلُه.

قال أبو مخنف : فحدثني النَّصْرُ بنُ صالح، قال : والله ما هو إلا أن مضى يزيد بن أبي زياد، فسمعتُ أهلَ العسكر يتحدَّثون أنَّ الأميرَ بعث إلى أخيه يسأله التَّفَقُّة والسلاح، فأَتَيْتُ مطرَفًا فحدثته بذلك، فضرب بيده على جبهته ثمَّ قال : سبحان الله ! قال الأوَّلُ : ما يخفى إلا ما لا يكون^(٤)،

(١) ب : ف : في الجانب . (٢) س : « هزموهم » .

(٣) ب : س : « له هذا » . (٤) كذا في أ، ودر الصواب : وفي ط : « قال » .

قال : وما هو إلا أن قدم يزيدُ بن أبي زياد علينا . فسار مطرفٌ بأصحابه حتى نزل قمٌ وقاشان وأصبتهان .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الله بن علقمة أن مطرفاً حين نزل قمٌ وقاشان وإطمأن ، دعا الحجاج بن جارية فقال له : حدثني عن هزيمة شبيب يوم السبخة أكانت وأنت شاهدتها ، أم كنت خرجت قبل الوقعة ؟ قال : لا ، بل شهدتُها^(١) ، قال : فحدثني حديثهم كيف كان ؟ فحدثته ، فقال : إني كنت أحب أن ينظر شبيب وإن كان ضالاً فيقتل ضالاً . قال : فظننت أنه غنى ذلك لأنه كان يرجو أن يتم له الذي يطلب لو هلك الحجاج . قال : ثم إن مطرفاً بعث عماله .

قال أبو مخنف : فحدثني التضرُّ بن صالح أن مطرفاً عمل عملاً ٩٩٣/٢ حازماً لولا أن الأعداء غالبه . قال : كتب^(٢) مع الربيع بن يزيد إلى سويد ابن مريحان الثقفي ، وإلى بكير بن هارون البجلي :

أما بعد . فلإنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه . وإلى جهاد من عند الحق ، واستأثر بالقيء . وترك حكم الكتاب . فلذا ظهر الحق ودُمِغ الباطل ، وكانت كلمة الله هي العليا ، جعلنا هذا الأمر شورى بين الأمة يرضى المسلمون لأنفسهم الرضا ، فمن قَبِل هذا منا كان أخانا في ديننا . وولينا في محيانا ومماننا ، ومن رد ذلك علينا جاهدناه وامتصرتنا الله عليه فكفمت بنا عليه حجة ، وكفى بتركه الجهاد في سبيل الله غيباً ، وبمُداهنة الظالمين في أمر الله وهماً ! إن الله كتب القتال على المسلمين ومما كرهها ، ولن يسأل رضوان الله إلا بالصبر على أمر الله ، وجهاد أعداء الله ، فأجيبوا رحمكم الله إلى الحق ، وادعوا إليه من ترجون إجابته ، وعرفوه ما لا يعترفه ، وليقبيل إلى كل من رأى رأينا ، وأجاب دعوتنا ، ورأى عدوه عدونا . أرشدنا الله وإياكم ، وتاب علينا وعليكم ، إنه هو التواب الرحيم . والسلام .

(١) ب ، ف : « شاهدها » .

(٢) ب ، ف : « وكتب » .

فلما قدِم الكتابُ على ذَيْنَكَ الرجلين دَبَّاً في رجالٍ من أهل الرِّيّ ودَعَوْا من تابعيهما ، ثمَّ خرجا في نحو من مائة من أهل الرِّيّ سرّاً لا يُقَطَّنُ^(١) بهم ، ففجاءوا حتى وافوا مطرفاً . وكتب البراءُ بنُ قبيصة ، وهو عامل الحِجَاجِ على أصبَهانَ :

أما بعد ، فإن كان للأُمير أصلحه الله حاجةٌ في أصبَهانَ فليبعث إلى مطرفٍ جيشاً كثيفاً يستأصله ومن معه ، فإنه لا تزال عصابة قد انتضحت له من بلدة من البلدان حتى تُوافيه^(٢) بمكانه الذي هو به ، فإنه قد استكشف وكثُرَ تبعه ، والسلام .
فكتب إليه الحِجَاجُ :

أما بعد ، إذا أتاك رسولُ^(٣) فعسكرْ بمن معك ، فإذا مرَّ بك عديّ ابن وثاد فاخرج معه في أصحابك ، واسمع له وأطيع . والسلام .
فلما قرأ كتابه خرج فعسكر ، وجعل الحِجَاجُ بن يوسف يَسْرُحُ إلى البراء بن قبيصة الرجلَ على دوابِّ البريد^(٤) عشرين عشرين ، وخمسة عشر خمسة عشر ، وعشرة عشرة ، حتى سرحَ إليه نحواً من خمسمائة ، وكان في ألفين . وكان الأُمودُ بن سعد الهمداني^(٥) أتى الرِّيّ في فتح الله على الحِجَاجِ يومَ لُقى شيبياً بالسَّبْعَةِ ، فرَّ بهِمَكْدانَ والجبال ، ودخل على حمزة فاعتذر إليه ، فقال الأسود : فأبلغت الحِجَاجَ عن حمزة ، فقال : قد بلغني ذاك ، وأراد عزله ، فخشى أن يَمْكُرَ به ، وأن يمتنع منه ، فبعث إلى قيس بن سعد العِجَلِيّ — وهو يومئذ على شُرطة^(٦) حمزة بن المغيرة وليّ عِجَلٍ وريعة عددٌ بهِمَكْدانَ — فبعث إلى قيس بن سعد بعثته على هَمَكْدانَ ، وكتب إليه أن أوثق حمزة . ابن المغيرة في الحديد^(٧) : وأجسته قَيْلَكَ حتى يأتيك أمرى .

فلما أتاه عهده وأمره أقبل ومعه ناس من عشيرته كثير ، فلما دخل المسجدوافق الإقامة للصلاة العصر ، فصلى حمزة^(٨) ، فلما انصرف حمزة انصرف معه

(١) ب ، ف : « قطن » . (٢) ب : « يوافيه » .

(٣) ب : ف : « كتابي ورسولي » . (٤) ب : « البرد » .

(٥) « كذا في أ ، و في ط : « الهمداني » . (٦) ب ، ف : « شرط » .

(٧) ب ، ف : « بالحديد » . (٨) أ : « وصل مع حمزة » .

قيس بن سعد العجليّ صاحب شُرطه ، فأقرأه كتابَ الحجّاج إليه ، وأراه عهدَه ، فقال حمزة . سمعاً وطاعة ؛ فأوثقه وجبسه في السجن ، وتولى أمر هَمْدَانَ ، وبعث عماله عليها ، وجعل عماله كلهم من قومه ؛ وكتب إلى الحجّاج :

أما بعد ، فإنّي أخير الأمير أصلحه الله ، أني قد شددتُ حمزةَ بنَ المغيرة في الحديد ، وحبستُه في السجن ، وبعثتُ عمالي على الخراج ، ووضعتُ يدي في الجباية ، فإن رأى الأميرُ أبقاه الله أن يأذن لي في المسير إلى مطرف أذن لي حتى أجاهدَه في قومي ، ومن أطاعني من أهل بلادى ؛ فإنّي أرجو أن يكون الجهادُ أعظمَ أجراً من جباية الخراج . والسلام .

فلما قرأ الحجّاج كتابَه ضحك ثم قال : هذا جانب آثراً ما قد أمناه . وقد كان حمزة بهمدان أثقل ما خلق الله على الحجّاج مخافة أن يمدّ أخاه بالسلاح والمال ، ولا يدرى لعله يبدو له فيعتق ، فلم يزل يكيده حتى عزله . فاطمان وقصد قصد مطرف .

قال أبو ميخنف : فحدثني مطرف بن عامر بن واثله أن الحجّاج لما قرأ كتابَ قيس بن سعد العجليّ وسمع قوله : إن أحبَّ الأميرُ سرت إليه حتى أجاهدَه في قومي ، قال : ما أبغض إليّ أن تكثر العربُ في أرض الخراج . قال : فقال لي ابن الفرق : ما هو إلا أن سمعتها من الحجّاج فعلت أنه لو ٩٩٦/٢ قد فرّغ له قد عزّله .

قال : وحدثني النضر بن صالح أن الحجّاج كتب إلى عدى بن وثاد الإباضى وهو على الرى يأمره بالمسير إلى مطرف بن المغيرة وبالممر على البراء ابن قبيصة ، فإذا اجتمعوا فهو أمير الناس .

قال أبو ميخنف : وحدثني أبي عن عبد الله بن زهير ، عن عبد الله بن سليم الأزدي ، قال : إنّي لجالسٌ مع عدى بن وثاد على مجلسه بالرى إذ أتاه كتاب الحجّاج ، فقرأه ثم دفعه إليّ ، فقرأته فإذا فيه :

أما بعد ، فإذا قرأت كتابي هنا فانهض بثلاثة أرباع من معك من أهل الرى ، ثم أقبل حتى تمرّ بالبراء بن قبيصة بجيى ، ثم سيراً جميعاً ، فإذا

لقيتهما فأنتَ أمير الناس حتى يقتل الله مطرقاً ، فإذا كَفَى الله المؤمنين مؤنتَه فانصرف إلى عَمَلِك في كَسَف من الله وكَلَامِهِ وَسِرِهِ . فلما قرأته قَالَ لِي : قُمْ وَتَجَهَّزْ .

قال : وخرج فمسكر ، ودعا الكتاب فضرَبوا البعث على ثلاثة أرباع الناس ، فما مضت جُمُعة حتى سرنا فانتهيَنا إلى جَنَى ، ويُوَافينا بها قببِصة القحطاني في تِسعمائة من أهل الشام ، فيهم عُمر بن هُبيرة ، قال : ولم نلبث بِجَمَى إلا يومين حتى نهض عدى بن وُثاد بمن أطاعه من الناس ومعه ثلاثة آلاف مُقاتِل من أهل الرِّى وألف مُقاتِل مع البراء بن قبيصة بعثهم إليه ٩١٧/٢ الحجاج من الكوفة ، وسبعمائة من أهل الشام ، ونحو ألف رجل من أهل أصبَهان والأكراد ، فكان في قريب من ستة آلاف مُقاتِل ، ثم أقبل حتى دخل على مطرف بن المغيرة .

قال أبو مخنف : فحدثني النضر بن صالح ، عن عبد الله بن حلقة ، أن مطرقاً لما بلغه مسيرهم إليه خندق على أصحابه خندقاً ، فلم يزالوا فيه حتى قدموا عليه .

قال أبو مخنف : وحدثني يزيد بن مولى عبد الله بن زهير ، قال : كنتُ مع مولاى إذ ذاك ؛ قال : خرج عدى بن وُثاد فعبى الناس ، فجعل على ميمنته عبد الله بن زهير ، ثم قال للبراء بن قبيصة : قُمْ في الميسرة ، ففصب البراء ، وقال : تأمرني بالوقوف في الميسرة وأنا أمير مثلك ! تلك خبيل في الميسرة ، وقد بعث عليها فارس مُضَر الطُّفيل بن عامر بن وائلة ؛ قال : فأنهى ذلك إلى عدى بن وُثاد ، فقال لابن أقيصر الخثعمي : انطلق فأنت على الخيل ، وانطلق إلى البراء بن قبيصة فقل له : إنك قد أمرت بطاعتي ، ولست من الميمنة والميسرة والخيل والرجالة في شيء ، إنما عليك أن تؤمر فتطيع ، ولا تعرض لى في شيء أكرهه فأنتكر لك — وقد كان له مكرماً .

ثم إنَّ عدياً بعث على الميسرة عمر بن هُبيرة ، وبعثه في مائة من أهل الشام ، فجاء حتى وقف بَرايته ، فقال رجل من أصحابه للطُّفيل بن عامر :

خَلَّ رَابِتَكَ وَتَسَّحَّ عَنَا، فَلَمَّا نَحْنُ أَصْحَابُ هَذَا الْمَوْقِفِ ، فَقَالَ الطُّشَيْلُ :
إِنِّي لَا أَخَاصِمُكُمْ ، إِنَّمَا عَقَدَ لِي هَذِهِ الرَّايَةَ الْبَرَاءَ بْنَ قَبِيصَةَ ، وَهُوَ أَمِيرُنَا ،
وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ صَاحِبَكُمْ عَلَى جَمَاعَةِ النَّاسِ ، فَإِنْ كَانَ قَدْ عَقَّدَ لَصَاحِبِكُمْ
هَذَا فَيَارَكَ اللَّهُ لَهُ ، مَا أَسْمَعْنَا وَأَطَوَعْنَا ! فَقَالَ لَمْ عَمْرُ بْنُ هُبَيْرَةَ : مَهْلًا ، كُفُّوا
عَنْ أَنْحِيكُمْ وَابْنِ عَمِّكُمْ ، رَابِتْنَا وَرَابِتَكَ ، فَإِنْ شِئْتَ آثَرْنَاكَ بِهَا . قَالَ : فَا
رَابِتَا رَجُلَيْنِ كَانَا أَحْلَمَ مِنْهُمَا فِي مَوْضِعِهِمَا ذَلِكَ . قَالَ : وَنَزَلَ عَلَيَّ بَنُ وَتَادِثُ
زَحَفَ نَحْوَ مَطَرَفَ .

قَالَ أَبُو مِيخْنَفَ : فَحَدَّثَنِي النَّضَرُ بْنُ صَالِحٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُقْلَمَةَ أَنَّ
مَطَرَفًا بَعَثَ عَلَى مِيْمَتِهِ الْحِجَّاجَ بْنَ جَارِيَةَ ، وَعَلَى مَيْسَرَةَ الرَّبِيعِ بْنِ يَزِيدَ
الْأَسَدِيَّ ، وَعَلَى الْحَامِيَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ صَخْرَةَ الْمُرِّيَّ^(١) ، وَنَزَلَ هُوَ يَمْشِي فِي الرِّجَالِ ،
وَرَأَيْتُهُ مَعَ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ مَوْلَى أَبِيهِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ . قَالَ : فَلَمَّا زَحَفَ
الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَتَدَانَوْا قَالَ لَبِكَرِ بْنِ هَارُونَ الْبَجَلِيُّ : اخْرُجْ
إِلَيْهِمْ فَادْعُهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، وَبَيِّضْهُمْ بِأَعْلَامِ الْخَبِيثَةِ . فَخَرَجَ
إِلَيْهِمْ بِكَرِ بْنِ هَارُونَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ أَدْهَمَ أَقْرَحَ ذُنُوبٍ عَلَيْهِ الدَّرْعُ وَالْمُخَضَّرُ
وَالسَّاعِدَانِ ، فِي يَدِهِ الرِّمَحُ ، وَقَدْ شَدَّ دَرْعَهُ بِعَصَابَةِ حِمْرَاءَ مِنْ حَوَاشِي الْبُرُودِ ،
فَنَادَى بِصَوْتٍ لَهُ عَالٍ رَفِيعٌ : يَا أَهْلَ قَبِيلَتِنَا ، وَأَهْلَ مِلَّتِنَا ، وَأَهْلَ دَعْوَتِنَا ،
إِنَّا نَسْأَلُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي عَلَّمَهُ بِمَا تُسْرُونَ مِثْلَ عِلْمِهِ بِمَا تُعْلَنُونَ
لَمَّا أَنْصَفْتُمُونَا وَصَدَقْتُمُونَا ، وَكَانَتْ نَصِيحَتُكُمْ لِلَّهِ لَا تَخْلُقُهُ ، وَكُنْتُمْ شُهَدَاءَ
لِلَّهِ عَلَى عِبَادِهِ بِمَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ . خَبَرُونِي عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ .
وَعَنِ الْحِجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، أَلَسَمَ تَعْلُمُونَهُمَا جِبَارَيْنِ مَسْتَأْذِنَيْنِ يَتَّبِعَانِ الْهَوَى ،
فَيَأْخُذَانِ بِالظُّنَّةِ ، وَيَقْتُلَانِ عَلَى الْغَضَبِ . قَالَ : فَتَنَادَوْا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ :
يَاعَدُوْا اللَّهَ كَذِبَتَ ، لَيْسَا كَذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ : وَيْلَكُمْ ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
فَيُصْحِحَكُمْ بَعْدَ آبٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾^(٢) ، وَيْلَكُمْ ، أَوْ تَعْلَمُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ ،
إِنِّي قَدْ اسْتَشْهَدْتُكُمْ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي الشَّهَادَةِ : ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾^(٣) .

(١) : « الْمُرِّي » . (٢) : سُورَةُ طه : ٦١ . (٣) : سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ٢٨٣ .

فخرج إليه صارمٌ مولىً عدى بن وثاذ وصاحب رايته، فحمل على بكير ابن هارون البجليّ، فاضطربا بسيفيهما، فلم تعمل ضربةٌ مولىً عدى شيئاً، وضربه بكير بالسيف فقتله، ثم استقدم، قال: فارس لفارس، فلم يخرج إليه أحدٌ، فجعل يقول:

صَارِمُ قَدْ لَا قَيْتَ سَيْفًا صَارِمًا وَأَمْدًا ذَا لَيْدَةٍ ضَبَارِمًا^(١)

قال: ثم إن الحجاج بن جارية حمل وهو في الميمنة على عمر بن هبيرة وهو في الميسرة، وفيها الطفيل بن عامر بن وائلة، فالتقى هو والطفيل - وكانا صديقين متواخيين - فتعارفا، وقد رفع كل واحد منهما السيف على صاحبه، فكفأ أيديهما، واقتتلا طويلا. ثم إن ميسرة عدى بن وثاذ زالت غير بعيد، وانصرف الحجاج بن جارية إلى موقعه. ثم إن الربيع بن يزيد حمل على عبد الله بن زهير، فاقتتلا طويلا، ثم إن جماعة الناس حملت على الأسدى فقتلته، وانكشفت ميسرة مطرف ابن المغيرة حتى انتهت إليه. ثم إن عمر بن هبيرة حمل على الحجاج بن جارية وأصحابه فقاتلته قتالا طويلا، ثم إنه حذره حتى انتهى إلى مطرف، وحمل ابن أقيصر الخثعمي في الخيل على سليمان بن صخر المزني فقتله، وانكشفت خيلهم، حتى انتهى إلى مطرف، فثم اقتتل الفرسان أشد قتال رآه الناس قط، ثم إنه وصل إلى مطرف.

قال أبو مخنف: فحدثني النضر بن صالح أنه جعل يناديهم يومئذ:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

قال: ولم يزل يقاتل حتى قُتل، واحتز رأسه عمر بن هبيرة، وذكر أنه قتله، وقد كان أسرع إليه غير واحد، غير أن ابن هبيرة احتز رأسه وأوفده

(٢) سورة آل عمران: ٦٤.

(١) الضمير: الشديد الملق من الأسد.

إلى عدى بن وثاد وحظى به ، وقاتل عُمر بن هبيرة يومئذ وأبلى بلاءً حسناً .

قال أبو مخنف : وقد حدثني حكيم بن أبي سفیان الأزدي أنه قتل يزيد بن زياد مولى المغيرة بن شعبة ، وكان صاحب راية مطرف . قال : ودخلوا عسكر مطرف ، وكان مطرف قد جعل على عسكره عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الأزدي ، فقتل ، وكان صالحاً ناسكاً عفيفاً .

أبو مخنف : حدثني زيد مولاهم أنه رأى رأسه مع ابن أقيصر الخثعمي ، فما ملكت نفسي أن قلت له : أما والله لقد قتلته من المصلين العابدين الذاكرين الله كثيراً . قال : فأقبل نحوي وقال : من أنت ؟ فقال له مولاى : هذا غلامى ١٠٠١/٢ ما له ؟ قال : فأخبره بمقاتلي ، فقال : إنه ضعيف العقل ، قال : ثم انصرفنا إلى الرى مع عدى بن وثاد . قال : وبعث رجالاً من أهل البلاء إلى الحجاج ، فأكرمهم وأحسن إليهم . قال : ولما رجع إلى الرى جاءت بجيلة إلى عدى بن وثاد فطلبوا لبكير بن هارون الأمان فآمنه ، وطلبت قتيبة لسويد بن سرحان التقي الأمان فآمنه ، وطلبت في كل رجل كان مع مطرف عشيرته ، فآمنهم وأحسن في ذلك ، وقد كان رجال من أصحاب مطرف أحبط بهم في عسكر مطرف ، فنادوا : يا برءاء ، خذكنا الأمان ، يا براء ، اشفع لنا . فشفع لهم ، ففركوا ، وأسّر عدى ناساً كثيراً فخلت عنهم .

قال أبو مخنف : وحدثني الثفري بن صالح أنه أقبل حتى قدم على سويد بن عبد الرحمن بجلوان ، فأكرمه وأحسن إليه ، ثم إنه انصرف بعد ذلك إلى الكوفة .

قال أبو مخنف : وحدثني عبد الله بن علقمة أن الحجاج بن جارية الخثعمي أتى الرى وكان مكتئباً بها ، فطلب إلى عدى فيه ، فقال : هذا رجل مشهور قد شهّر مع صاحبه ، وهذا كتاب الحجاج إلى فيه .

قال أبو مخنف : فحدثني أبي عن عبد الله بن زهير ، قال : كنت فيمن كلمه في الحجاج بن جارية ، فأخرج إلينا كتاب الحجاج بن يوسف :

أما بعد: فإن كان الله قتلَ الحجاجَ بنَ جارية فبعداً له . فذاك ما أحوى وأحب ، وإن كان حياً فاطلبه قبلك حتى تؤيقه ، ثم سرح به إلى إن شاء الله . والسلام .

١٠٠٢/٢

قال : فقال لنا : قد كتب إلى فيه ، ولا بد من السمع والطاعة ، ولو لم يكتب إلى فيه آمنته لكم ، وكففت عنه فلم أطلبه . وقمنا من عنده . قال : فلم يزل الحجاج بن جارية خاطفاً حتى عزل عدي بن وثاد ، وقدم خالد ابن عتاب بن وراق ، فشيئت إليه فيه ، فكلتته فأمنه . وقال حبيب بن خديرة مولى لبني هلال بن عامر :

هل أتى فائد عن أيسارنا إذ خشيئنا من عدو خرقا
إذ أتانا الخوف من ما مينا فطوينا في سواد أفقا
وسلي هنية يوماً هل رأنا بشراً أكرم منا خلقا !
وسليها أعلى العهد لنا أو يصرون علينا حنقا !
ولكم من خلّة من قبلها قد صرنا حبلها فانطلقا
قد أصبنا العيش عيشاً ناعماً وأصبنا العيش عيشاً رنقا
وأصبنا الدهر دهرًا أشتى طبقاً منه وألوى طبقاً
وشهدت الخيل في ملمومة ما ترى منهن إلا الحدقا
يتساقون بأطراف القنا من نجيع الموت كاساً دهقا
فطراد الخيل قد يؤيقني ويردّ اللهو عني الأنقا
بمسيح البيض حتى يتركوا لسيف الهند فيها طرقا
فكأنني من غدر وافقتها مثل ما وافق شنّ طبقاً

١٠٠٢/٢

[ذكر الخبر عن وقوع الخلاف بين الأزارقة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الأزارقة أصحاب

(١) : « هل أتانا الخوف » ، ومقط البيت الأول .

قَطْرَى بن القُبْجَاءَة ، فخالقه بعضهم واعتزله ، وباع عبد ربّه ^(١) الكبير ، وأقام بعضهم على بيعة قطرى .

* ذكر الخبر عن ذلك ، وعن السبب الذى من أجله حدث الاختلاف بينهم حتى صار أمرهم إلى الهلاك :

ذكر هشام عن أبى مخنف ، عن يوسف بن يزيد ، أن المهلب أقام بسابور فقاتل قَطْرِيًّا وأصحابه من الأزارقة بعد ما صرف الحجاج عتاب بن وَرْقَاء عن عسكره نحواً من سنة . ثم إنه زاحقهم يوم البُستان فقاتلهم قتالاً شديداً ، وكانت كِرْمَانُ فى أيدي الخوارج ، وفارس فى يد المهلب . فكان قد ضاق عليهم مكانهم الذى هم به ، لا يأتيهم من فارس مادة . وبَعْدَتْ ^(١) ديارهم عنهم ، فخرجوا حتى أتوا كِرْمَانَ وتبعهم المهلب حتى نزل بيجيرقت - وجيرفت مدينة كِرْمَانَ فقاتلهم بها أكثر من سنة قتالاً شديداً ، وحازم عن فارس كلها ، فلما صارت فارس كلها فى يدى المهلب بعث الحجاج عليها عماله وأخذها من المهلب ، فبلغ ذلك عبد الملك ، فكتب إلى الحجاج :

أما بعد ، فدع بيئت المهلب بخراج جبال فارس ، فإنه لا بد للجيش من قوة ، ولصاحب الجيش من معونة ، ودع له كُورَة فسأودركمجرّد . وكورةٍ إصطخّر .

فركبها للمهلب ، فبعث المهلب عليها عماله ، فكانت له قوة على عدوه وما يصلحه ، ففى ذلك يقول شاعر الأزد وهو يعاتب المهلب :

نَقَاتِلُ عَنْ قُصُورِ دَرَابْجِرِدٍ وَنَجْبِي لِلْمُعِيرَةِ وَالرُّقَادِ

وكان الرُّقَاد بنُ زِيَاد بن هَمَام - رجل من العتيك - كريماً على المهلب ، وبعث الحجاج إلى المهلب البراء بن قبيصة ، وكتب إلى المهلب :

أما بعد ، فإنك واقف لو شئت فما أرى لقد اصطلمت هذه الخارجة المارقة ، ولكنك تحب طول بقائهم لتأكل الأرض حولك ، وقد بعثت إليك البراء بن

(١) كذا فى ١ ، وفى ط : « عبد رب » . (٢) ١ ، ط ، « بعد » ، وأثبت ما فى ب ، ف .

قبضة لينهضك إليهم ، فانهض إليهم إذا قدّم عليك بجميع المسلمين ،
ثم جاهدكم أشدّ الجهاد ، وإيّاك والعِللَ والأباطيلَ ، والأُمُورَ التي ليست
لك عندي بسائفة ولا جائزة ، والسلام .

فأخرج المهلب بنه ؛ كلّ ابن له في كتيبة، وأخرج الناس على راياتهم
١٠٠٥/٢ وصافهم وأخماسهم ، وجاء البراء بن قبيصة فوقف على تل قريب منهم
حيث يراهم . فأخذت الكتائب تحمل على الكتائب ، والرجال على الرجال ،
فيقتلون أشدّ (١) قتال رآه الناس من صلاة الغداة إلى انتصاف النهار ، ثم انصرفوا .
فجاء البراء بن قبيصة إلى المهلب فقال له : لا والله ما رأيت كبتيك فرساناً
قطّ ، ولا كهرسانك من العرب فرساناً قطّ ، ولا رأيت مثل قوم يقاتلونك
قطّ أصبر ولا أبأس ، أنت والله العذور . فرجع بالناس المهلب ، حتى إذا كان
عند العصر خرج إليهم بالناس وبنيه في كتابهم ، فقاتلوه كقتالهم في أول مرة .

قال أبو مخنف : وجدني أبو المغلس الكتاني ، عن عمه أبي طلحة ،
قال : خرجت كتيبة من كتابهم لكتيبة من كتابنا ، فاشتدّ بينهما القتال ،
فأخذت كل واحدة منهما لا تصدّ عن الأخرى ، فاقتلتا حتى حجز الليل
بينهما ، فقالت إحدهما للأخرى : ممن أنتم ؟ فقال هؤلاء : نحن من بني تميم ؛
وقال هؤلاء : نحن من بني تميم ؛ فانصرفوا عند المساء ، قال المهلب للبراء :
كيف رأيت ؟ قال : رأيت قوماً والله ما بعينك عليهم إلاّ الله . فأحسن إلى
البراء بن قبيصة وأجازه ، وحمله وكساه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم
انصرف إلى الحجاج فأثاه بعلم المهلب ، وأخبره بما رأى ، وكتب المهلب إلى
الحجاج :

أما بعد ، فقد أتاني كتاب الأمير أصلحه الله ، واتهامه إيّاي في هذه الخارجة
١٠٠٦/٢ المارقة ، وأمرني الأمير بالنهوض إليهم ، وإشهاد رسوله ذلك ، وقد فعلت ؛
فليسألني عماري ، فأما أنا فوالله لو كنت أقدر على استصالحهم وإزالة همهم
مكانهم ثم أمسكت عن ذلك لقد غششت المسلمين ، وما وقيت

(١) بمعاني ب ، ف : « وأظم » .

لأمير المؤمنين، ولا نصحتُ للأمير^(١) - أصلحه الله - فعاذ الله أن يكون هذا من رأي، ولا مما أدين الله به، والسلام.

ثم إن المهلب قاتلهم بها ثمانية عشر شهراً لا يستقل منهم شيئاً، ولا يرى في موطن يستقعون له ولن معه من أهل العراق من الطعن والضرب ما يترد عونهن به ويكفونهم عنهم.

ثم إن رجلاً منهم كان عاملاً لقطري على ناحية من كيرمان خرج في سرية لم يدعى المقططر من بني ضبة، فقتل رجلاً كان ذا بأس من الخوارج، ودخل منهم في ولاية، فقتله المقططر، فوثبت الخوارج إلى قطري، فذكروا له ذلك، وقالوا: أمكننا من الضبي فقتله بصاحبنا، فقال لم: ما أرى أن أفعل، رجل تأول فأخطأ في التأويل ما أرى أن تقتلوه، وهو من ذوى الفضل منكم، والسابقة فيكم، قالوا: يل؛ قال لم: لا، فوقع الاختلاف بينهم، فولوا عبد ربّه الكبير، وخلعوا قطرياً، وبايع قطرياً منهم عصابة نحواً من ربهم أو خمسهم، فقاتلهم نحواً من شهر غدوة وعشية. فكتب بذلك المهلب إلى الحجاج:

أما بعد، فإن الله قد ألقى بأس الخوارج بينهم، فخلع عظمهم قطرياً وبايعوا عبد ربّه، وبقيت عصابة منهم مع قطري، فهم يقاتلون بعضهم بعضاً غدواً وعشيّاً، وقد رجوت أن يكون ذلك من أمرهم سبب هلاكهم إن شاء الله، والسلام.

فكتب إليه:

أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه اختلاف الخوارج بينها، فإذا أتاك كتابي هذا فنامهضهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجمعوا، فتكون مشؤنتهم عليك أشد، والسلام.

فكتب إليه:

أما بعد، فقد بلغني كتاب الأمير، وكل ما فيه قد فهمت، ولست أرى أن أقاتلهم ما داموا يقتل بعضهم بعضاً، وينقص بعضهم عند بعض، فإن تموا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم، وإن اجتمعوا لم

(١) : ١ : الأمير .

يَجْتَمِعُوا إِلَّا وَقَدْ رَقَّتْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَأَنَاهِضُهُمْ عَلَى نَفِيثَةٍ ^(١) ذَلِكَ ، وَهُمْ أَهْوَنَ مَا كَانُوا وَأَضْعَفُهُ شَوْكَةً ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ .

فَكَفَّ عَنْهُ الْحِجَاجَ ، وَتَرَكَهُمْ الْمَهْلَبَ يَقْتَتِلُونَ شَهْرًا لَا يَحْرُكُهُمْ .

ثُمَّ إِنْ قَطَرِيًّا خَرَجَ مِنْ أَتْبَعِهِ نَحْوَ طَبَرِ سَتَانَ ، وَبَايَعَ عَامَتَهُمْ عَبْدَ رَبِّهِ الْكَبِيرَ ، فَهَضَّ لِلْهَيْمِ الْمَهْلَبَ ، فَقَاتَلُوهُ قِتَالًا شَدِيدًا . ثُمَّ إِنْ اللَّهُ قَتَلَهُمْ فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ، وَأَخَذَ عَسَاكِرَهُمْ وَمَا فِيهِ وَسَبَّوْا ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْبُونَ الْمُسْلِمِينَ . وَقَالَ كَعْبُ الْأَشْجَرِيِّ - وَالْأَشْجَرُ بَطْنٌ مِنَ الْأَزْدِ - يَذْكُرُ يَوْمَ وَامَهْرُمُزْ ، وَأَيَّامَ سَابُورَ ، وَأَيَّامَ جَيْرَقَتَ ^(٢) :

يَا حَفْصَ إِنْ عَدَاكَ عَنْكُمْ السَّفَرُ	وَقَدْ أَرِقْتُ فَأَذَى عَيْنِي السَّهَرُ ^(٣)	١٠٠٨/٢
عُلِقْتَ يَا كَعْبُ بَعْدَ الشَّيْبِ غَانِيَةً	وَالشَّيْبُ فِيهِ عَنِ الْأَهْوَاءِ مَزْدَجَرُ	
أَمْسَلْتُ أَنْتَ عَنْهَا بِالَّذِي عَهَدْتَ	أَمْ حَبَلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مُنْبَتِرُ	
عُلِقْتُ خَوْدًا بِأَعْلَى الطُّفِّ مَنْزِلُهَا	فِي غُرْفَةٍ دُونِ الْأَبْوَابِ وَالْحَجَرِ ^(٤)	
دُرْمًا مَنَاقِبُهَا رِيًّا مَا كَمُهَا	تَكَادَ إِذْ نَهَضْتُ لِلْمَشَى تَنْبَتِرُ	
وَقَدْ تَرَكْتُ بِسَطَ الزَّابِئِينَ لَهَا	دَارًا بِهَا يَسْعَدُ الْبَادُونَ وَالْحَصَرُ	
وَاخْتَرْتُ دَارًا بِهَا حَيٌّ أَسْرُ بِهِمْ	مَا زَالَ فِيهِمْ لِمَنْ نَخَارُهُمْ خَيْرُ	
لَمَّا نَبَتْ بِي بِلَادِي سِرْتُ مُنْتَجِعًا	وَطَالِبُ الْخَيْرِ مُرْنَادُ وَمُنْتَظَرُ	
أَبَا سَعِيدٍ فَإِنِّي جِئْتُ مُنْتَجِعًا	أَرْجُو نَوَالِكَ لَمَّا مَسْنَى الضَّرَرُ	١٠٠٩/٢
لَوْلَا الْمَهْلَبُ مَا زُرْنَا بِلَادَهُمْ	مَا دَامَتْ الْأَرْضُ فِيهَا الْمَاءُ وَالشَّجَرُ	
فَمَا مِنَ النَّاسِ مِنْ حَيٍّ عَلِمْتُهُمْ	إِلَّا يُرَى فِيهِمْ مِنْ سَبَبِكُمْ أَثَرُ	
أَحْيَيْتُهُمْ بِسَجَالٍ مِنْ نَدَاكَ كَمَا	تَحْيَا الْبِلَادُ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ	

(١) لَى يَدُ ذَلِكَ . (٢) يَمْلِكُ فِي ب ، ف : « قَصِيَّة » .

(٣) مَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ فِي الْكَامِلِ ٣ : ٤٠٣ ، وَأَيَّامَاتُهَا فِي الْأَغَانِي ١٤ : ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

وَقِي الْكَامِلِ : « وَقَدْ سَهَرْتُ فَأَذَى عَيْنِي السَّهَرُ » . وَطَلَقَ : صَرْفِي وَشَلَقِي .

(٤) فِي الْأَغَانِي : « ذَكَرْتُ خَوْدًا » .

إِنِّي لِأَرْجُو إِذَا مَا فَاقَهُ نَزَلَتْ
فَاجِبِرْ أَخَاكَ أَوْهَى الْفَقْرِ قُوَّتَهُ
جَعَا ذَوُو نَسَبِي عَنِّي وَأَخْلَفَنِي
يَا وَاهِبَ الْقَبِيْنَةِ الْحَسَنَاءِ سُنَّتُهَا
وَمَا تَزَالُ بُدُوْرُ مِنْكَ رَاحَةَ
نَمَّاكَ لِلْمَجْدِ أَمْلَاكُ وَرِثَتَهُمْ
ثَارُوا بِقَتْلِي وَأَوْتَارُ تَعُدُّهَا
وَاسْتَسْلَمَ النَّاسُ إِذْ حَلَّ الْعَدُوُّ بِهِمْ
وَمَا تَجَاوَزَ بَابَ الْجِسْرِ مِنْ أَحَدٍ
وَأَدْخَلَ الْخَوْفَ أَجْوَافَ الْبُيُوتِ عَلَى
وَاشْتَدَّتْ الْحَرْبُ وَالْبَلَوَى وَحَلَّ بَنَّا
نَظْلٌ مِنْ دُونِ خَفَضِ مُعْصِمِينَ بِهِمْ
كَتْنَا نَهَوْنُ قَبْلَ الْيَوْمِ شَأْنَهُمْ
لَمَّا وَهَنَّا وَقَدْ حَلُّوا بِسَاحَتِنَا
نَادَى أَمْرُو لَا خِلَافَ فِي عَشِيرَتِهِ
أَفْشَى هَنَالِكَ مِمَّا كَانَ مَذْ عَصَرُوا
تَلَبَّسُوا لِقِرَاعِ الْحَرْبِ بَزَّتْهَا
سَارُوا بِالْوَيْةِ لِلْمَجْدِ قَدْ رُقِعَتْ
حَتَّى إِذَا خَلَفُوا الْأَهْوَازَ وَاجْتَمَعُوا
نَعْيُ يَشْرِى فِجَالِ الْقَوْمِ وَانْصَدَعُوا
ثُمَّ اسْتَمَرَّ بَنَّا رَاضِي بَبِيْعَتِهِ

فَضْلًا مِنْ اللَّهِ فِي كَفَيْكَ يَنْتَلِي
لَعْلَهُ بَعْدَ وَهَى الْعَظَمِ يَنْجِبُرُ
ظَلَى فَلَلَهُ دَرَى كَيْفَ آتَمِرُ
كَالشَّمْسِ هِرْكَوْلَةً فِي طَرْفِهَا قَتْرًا (١)
وَأَخْرُونَ لَهُمْ مِنْ سَيْبِكَ الْغُرُ
ثُمَّ الْعَرَانِيْنَ فِي أَخْلَاقِهِمْ يَسْرُ
فِي حِينٍ لَا حَدَثَ فِي الْحَرْبِ يَنْثُرُ ١٠١٠/٢
فَمَا لِأَمْرِهِمْ وَدَّ وَلَا صَدْرُ
وَعَصَّتِ الْحَرْبُ أَهْلَ الْمَصْرِ فَانْجَحَرُوا
مِثْلِي التَّسَاءِ رِجَالٌ مَا بِهِمْ غَيْرُ
أَمْرُ تُشَمَّرُ فِي أَمْثَالِهِ الْأَزْرُ
فَشَمَّرَ الشَّيْخُ لَمَّا أَعْظَمَ الْخَطَرُ
حَتَّى تَفَاقَمَ أَمْرُ كَانَ يُحْتَقَرُ
وَاسْتَنْفَرَ النَّاسُ تَارَاتٍ فَمَا نَفَرُوا
عَنْهُ وَلَيْسَ بِهِ فِي مِثْلِهِ قِصَرُ
فِيهِمْ صَنَائِعُ مِمَّا كَانَ يُدْخَسُرُ ١٠١١/٢
فَأَصْبَحُوا مِنْ وَرَاءِ الْجِسْرِ قَدْ غَبَرُوا
وَنَحْتَهُنَّ لُبُوثٌ فِي الْوَعَى وَقُصِرُ
بِرَامَهُرْمَزَ وَافَاظَمَ هِيَ الْخَبِرُ
إِلَّا بَقَايَا إِذَا مَا ذُكِّرُوا ذَكِّرُوا
يَنْوِي الْوَفَاءَ وَلَمْ نَغْلِرْ كَمَا غَلَرُوا

حقى اجتمعنا بسابور الجنود وقد
 نلقى مساعير أبطالا كأنهم
 نسقى ونسقيهم سما على حتى
 قتل هنالك لا عقل ولا قود
 حتى تنحوا لنا عنها تسوقهم
 لم يخن عنهم غداة التل كيدهم
 ياتت كتابتنا ترى مومة
 هناك ولوا جزائنا بعد ما قرحوا
 عيوا جنودهم بالسفح إذ نزلوا
 وقد لقوا مضلعا منا بمنزلة
 بدتت بارين يوم الشغب إذ لحت
 لا قوا كتاب لا يخلون ثغرهم
 المقدمين إذ ما خيلهم وردت
 وفي جبيرين إذ صفوا بزحفهم
 والله ما نزلوا يوما بساحتنا
 ننفيهم بالقنا عن كل منزلة
 ولوا حذارا وقد هزوا أسنتنا
 صلت الجبين طويل الباع ذو فرح
 مجرب الحرب ميمون نقيته
 وفي ثلاث سنين يستديم بنا

١٠١٢/٢

١٠١٣/٢

١٠١٤/٢

ثبت لنا ولهم نار لها شر
 جن نقارهم ما مثلهم بشر
 مستأقني الليل حتى أسفر السحر
 منا ومنهم دعاء سفيها هسلر
 منا ليوت إذا ما أقدموا جسروا
 عند الطمان ولا المكرو الذي مكروا
 حول المهلب حتى تور القصر
 وحال دونهم الأهار والجلر
 بكازرون فما عزوا ولا ظفروا^(١)
 ظنوا بأن ينصروا فيها فما نصروا
 أسد بسفك دماء الناس قد زبروا
 فيهم على من يقامى حربهم صحر
 والعاظنين إذا ما ضيع الدبر
 ولوا خرايا وقد فلوا وقد قهروا
 إلا أصابهم من حربنا ظفر
 تروح منا مساعير وتبتكر
 نحر الحروب فما نجاهم العنر
 ضخم الدسيمة لا وان ولا غمر^(٢)
 لا يستخف ولا من رأي البطر
 يقارع الحرب أطوارا ويأتمر

(١) الأغاني : « وما نصروا » .

(٢) الدسيمة : مجمع الكتفين ، يقال ذلك للرجل الجواد .

يقولُ إِنَّ غَدًا مُبْدٍ لَنَاظِرٍ
 دعوا التَّائِبَ وَالْإِسْرَاعَ وَارْتَقِبُوا
 حَتَّى آتَتْهُ أُمُورٌ عِنْدَهَا فَرْجٌ
 لَمَّا زَوَّاهُمْ إِلَى كَرَمَانَ وَانْصَدَعُوا
 سَرْنَا إِلَيْهِمْ بِمِثْلِ الْمَوْجِ وَازْدَلَعُوا
 وَزَادَنَا حَقًّا قَسَلَى نَذَرُهَا
 إِذَا ذَكَّرْنَا جُرُوزًا وَاللَّيْنِ بِهَا
 تَأْتَى عَلَيْنَا حَزَازَاتُ النَّفُوسِ فَمَا
 وَلَا يُقِيلُونَنَا فِي الْحَرْبِ عَشْرَتَنَا
 لَا عُدْرٌ يُعْبَلُ مِنَّا دُونَ أَنْفُسِنَا
 صَفَانِ بِالْقِتَاعِ كَالْعُلُودَيْنِ بَيْنَهُمَا
 عَلَى بَصَائِرٍ كُلٌّ غَيْرُ تَارِكِهَا
 يَمْشُونَ فِي الْبَيْضِ وَالْأَبْدَانِ إِذْ وَرَدُوا
 وَشِخْنَا حَوْلَهُ مِنَّا مُلْمَلَمَةٌ
 فِي مَوَاطِنٍ يَقْطَعُ الْأَبْطَالُ مَنْظَرَهُ
 مَا زَالِ مِنَّا رِجَالٌ ثُمَّ نَفَرِيَهُمْ
 وَبَادَ كُلُّ سِلَاحٍ يُسْتَعَانُ بِهِ
 نَدُّهُمْ بِعَنَاجِيحٍ مُجَفَّفَةٍ
 يَغْشِيَنَ قَتْلَى وَعَقَرَى مَا بَهَا رَمَقٌ
 قَتْلَى بِقَتْلَى قِصَاصٌ يُسْتَقَادُ بِهَا

فِي اللَّيَالِي فِي الْأَيَّامِ مُعْتَبِرٌ
 إِنَّ الْمُحَارِبَ يَسْتَأْنِي وَيَنْتَظِرُ
 وَقَدْ تَبَيَّنَ مَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُ
 وَقَدْ تَقَارَبَتِ الْأَجَالُ وَالْقَدَرُ
 وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَتْ بَيْنَنَا مِثْرٌ^(١)
 لَا تَسْتَفِيقُ عَيْنٌ كُلَّمَا ذُكِرُوا
 قَتْلَى مَضَى لَهُمْ حَوْلَانِ مَا قُبِرُوا
 نُبْقِي عَلَيْهِمْ وَمَا يَبْقُونَ إِنْ قَلَدُوا ١٠١٥/٢
 وَلَا نَقِيلُهُمْ يَوْمًا إِذَا عَثَرُوا
 وَلَا لَهُمْ عُدْنَا عُدْرٌ لَوْ اعْتَدَرُوا
 كَالْبَرْقِ يَلْمَعُ حَتَّى يَشْخَصَ الْبَصَرُ
 كَلَّا الْفَرِيقَيْنِ تُتْلَى فِيهِمُ السُّورُ
 مَشَى الزَّوَامِلُ تَهْدِي صَفَّهُمْ زُمُرُ^(٢)
 حَتَّى مِنْ الْأَزْدِ فِيهَا نَابَهُمْ صَبْرٌ
 تُشَاطُ فِيهِ نَفُوسٌ حِينَ تَبْتَكِرُ
 بِالْمَشْرِقِ وَنَارُ الْحَرْبِ تَسْتَعِيرُ
 فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ إِلَّا الصَّارِمُ الذَّاكِرُ ١٠١٦/٢
 وَبَيْنَنَا ثُمَّ مِنْ صُمِّ الْقَنَا كِسْرُ
 كَأَنَّمَا فِيهَا الْجَادِيُّ يُعْتَصِرُ
 تَشْفَى صُدُورُ رِجَالٍ طَالَمَا وَتَرُوا

(١) المثر : جمع مثرة ؛ وهي الذل والعلوية .

(٢) الزوامل : جمع زاملة ؛ وهو البعير يحمل الطعام والمتاع .

مُجَاوِرِينَ بِهَا خَيْلاً مُعَمَّرَةً لِلطَّيْرِ فِيهَا وَفِي أَجْسَادِهِمْ جَزْرٌ
فِي مَعْرَكَةٍ تَحْسِبُ الْقَتْلَى بِسَاحَتِهِ أَعْجَازَ نَخْلِ زَفْتُهُ الرِّيحُ يَنْقَرُ
وَفِي مَوَاطِنَ قَبْلَ الْيَوْمِ قَدْ سَلَقَتْ قَدْ كَانَ لِلْأَزْدِ فِيهَا الْحَمْدُ وَالظَّفَرُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ تَلَاقِي الْأَزْدُ مُفْطَلَعَةً يَشِيبُ فِي سَاعَةٍ مِنْ هَوْلِهَا الشَّعْرُ
وَالْأَزْدُ قَوَى خِيَارَ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمُوا إِذَا قُرُومُهُمْ يَوْمَ الْوُغَى خَطَرُوا
فِيهِمْ مَعَاوِلٌ مِنْ عِزٍّ يَلَاذُ بِهَا يَوْمًا إِذَا شَمَرَتْ حَرْبٌ لَهَا دِرْزُ
حَتَّى بِأَسْيَافِهِمْ يَبْغُونَ مَجْدَهُمْ إِنَّ الْمَكَارِمَ فِي الْمَكْرُورِ تُبْتَدَرُ
لَوْلَا الْمُهْلَبُ لِلْجَيْشِ الَّذِي وَرَدُوا أَنَهَارَ كَرَمَانَ بَعْدَ اللَّهِ مَا صَدَرُوا
إِنَّا اعْتَصَمْنَا بِحَبْلِ اللَّهِ إِذْ جَعَلُوا بِالْمُحْكَمَاتِ وَلَمْ نَكْفُرْ كَمَا كَفَرُوا
جَارُوا عَنِ الْقَصْدِ وَالْإِسْلَامِ وَاتَّبَعُوا دِينًا يُخَالِفُ مَا جَاءَتْ بِهِ التَّلْكَرُ
وَقَالَ الطَّقِيلُ بْنُ عَامِرٍ وَثَلَّةٌ وَهُوَ يَذْكُرُ قَتْلَ عَبْدِ رَبِّهِ^(١) الْكَبِيرِ وَأَصْحَابِهِ،
وَذَهَابَ قَطْرِي فِي الْأَرْضِ وَاتَّبَاعَهُمْ إِيَّاهُ وَمِرَاوَعَتَهُ إِيَّاهُمْ :

لَقَدْ مَسَّ مِنْهُ عَبْدَ رَبِّ وَجَنَدُهُ عِقَابٌ فَأَمْسَى سَبِيهُهُمْ فِي الْمَقَاسِمِ
سَمَا لَهُمْ بِالْجَيْشِ حَتَّى أَرَاخَهُمْ بِكَرْمَانَ عَنْ مَثْوَى مِنَ الْأَرْضِ نَاعِمِ
وَمَا قَطْرِي الْكُفْرُ إِلَّا نَعَامَةٌ طَرِيدٌ يَدْوِي لَيْلَهُ غَيْرِ نَائِمِ
إِذَا فَرَّ مِنْهَا هَارِبًا كَانَ وَجْهُهُ طَرِيقًا سَوَى قَصْدِ الْهُدَى وَالْمَعَالِمِ
فَلَيْسَ بِمَنْجِيهِ الْفِرَارُ وَإِنْ جَرَتْ بِهِ الْفُلُكُ فِي لُجٍّ مِنَ الْبَحْرِ دَائِمِ

* * *

[ذَكَرَ الْخَبِيرُ عَنْ هَلَاكِ قَطْرِي وَأَصْحَابِهِ]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كانت هَلَكَةُ قَطْرِي وَعَبِيدَةَ بْنِ هَلَالٍ
وعبد ربِّ الكبير ومن كان معهم من الأزارقة .

١٠١٨/٢

(١) كَلَّا فِي م ، وَفِي ط : «عبد رب» .

• ذكر سبب مهلكهم ^(١) :

وكان سبب ذلك أن أمر ^(٢) الذين ذكرنا خبرهم من الأزارقة لما تشتت بالاختلاف الذى حدث بينهم بكرمان فصار بعضهم مع عبد ربه الكبير وبعضهم مع قطرى وهى أمر قطرى ، توجه يريد طبرستان ، وبلغ أمره الحجاج ، فتوجه - فيما ذكر هشام - عن أبى مخنف ، عن يونس بن يزيد - سفيان بن الأبرد ، توجه معه جيشاً من أهل الشام عظيم ^(٣) فى طلب قطرى ، فأقبل سفيان حتى أتى الرى ثم أتبعهم . وكتب الحجاج إلى إسحاق بن محمد ابن الأشعث وهو على جيش لأهل الكوفة بطبرستان ، أن اسمع وأطيع لسفيان . فأقبل إلى سفيان فصار معه فى طلب قطرى حتى لحقوه فى شعب من شعاب طبرستان ، فقاتلوه ، فتفرق عنه أصحابه ، ووقع عن دابته فى أسفل الشعب فتدهى ^(٤) حتى خر إلى أسفله ، فقال معاوية بن محصن الكندى : رأيته حيث هوى ولم أعرفه ، ونظرت إلى خمس عشرة امرأة عربية هن فى الجمال والبراعة وحسن الهيئة كما شاء ربك ، ما عدا عجوزاً فيهن ، فحملت عليهن فصرقتهن إلى سفيان بن الأبرد .

فلما دونت بهن منه انتحت لى يسفها ^(٥) العجوز فتضرب به عنق ، ١٠١٩/٢
فقطعت المغفر ، وقطعت جلدة من حلقى ، وأختلج السيف فأضرب به وجهها ، فأصاب قحف رأسها ، فوقعت ميتة . وأقبلت بالفتيات حتى دفعتهن إلى سفيان وإنه ليضحك من العجوز . وقال : ما أردت ^(٦) إلى قتل هذه أخزاه الله - فقلت : أو ما رأيته أصلحك الله ضربتها إيتى ! والله إن كادت لتقتلنى ؛ قال : قد رأيته . فوالله ما ألوئك على فعلك ، أبعدها الله . ويأتى قطرياً حيث تدهى من الشعب عليج من أهل البلد ، فقال له قطرى : اسقني من الماء - وقد كان اشتد عطشه - فقال : أعطى شيئاً حتى أسقيك ، فقال : ويحك ؛ والله ما معى إلا ما ترى من سلاحي . فأنا مؤتيك إذا

(١) ا : «هلكهم» ، ب ، ف : «هلاكم» .

(٢) ف : «الأمر» .

(٣) ب ، ف : «عظيماً من أهل الشام» .

(٤) ب ، ف : «فتدهى» ، ا ، س : «فخذه» .

(٥) س : «سفها» . (٦) ب : «أردت» .

أَتَيْتَنِي بِمَا ، قال : لا ، بل أعطنيه الآن ، قال : لا ، ولكن ائْتِنِي بِمَا قَبْلُ ، فانطلق العِلْجُ حتى أَشْرَفَ عَلَى قَطْرِي ، ثُمَّ حَدَرَ عَلَيْهِ حَجَرًا عَظِيمًا مِنْ فَوْقِهِ دَهْدَاهُ عَلَيْهِ ، فَأَصَابَ إِحْدَى وَرَكَيْهِ فَأَوْهَتْهُ ، وَصَاحَ بِالنَّاسِ ، فَأَقْبَلُوا نَحْوَهُ . وَالْعِلْجُ حِينَئِذٍ لَا يَعْرِفُ قَطْرِيًّا ، غَيْرَ أَنَّهُ يَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ أَشْرَافِهِمْ لِحَسَنِ هَيْئَتِهِ ، وَكَمَالِ سِلَاحِهِ ؛ فَلَدَغَ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَأَتَسَرَّوْهُ فَقَتَلُوهُ ، مِنْهُمْ سُرُورَةُ بْنُ أَبِيهِرِ التَّمِيمِيُّ ، وَجَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْضَفٍ ، وَالصَّبَاحُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ ؛ وَبِإِذَا ذَامَ مَوْلَى بَنِي الْأَشْعَثِ ، وَعُمَرُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ بْنِ كِنَانَةَ مَوْلَى بَنِي نَصْرِ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَهُوَ مِنَ الدَّهَاقِينَ ، فَكُلْ هَؤُلَاءِ ادَّعَوْا قَتْلَهُ . فَلَدَغَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْجَهْمُ بْنُ كِنَانَةَ الْكَلْبِيُّ - وَكُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتَلَهُ - فَقَالَ لَهُمْ : ادْفَعُوهُ إِلَىَّ حَتَّى تَصْطَلِحُوا ، فَدَفَعُوهُ إِلَيْهِ .

١٠٢٠/٢

فَأَقْبَلَ بِهِ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ - وَهُوَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ - وَلَمْ يَأْتِهِ جَعْفَرُ لثِيءٌ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ قَبْلَ ذَلِكَ - وَكَانَ لَا يَكْلِمُهُ ، وَكَانَ جَعْفَرُ مَعَ سَفْيَانَ بْنِ الْأَبْرَدِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِسْحَاقُ ؛ وَكَانَ جَعْفَرُ عَلَى رِجْلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْبَارِي ، فَلَمَّا مَرَّ سَفْيَانُ بِأَهْلِ الرَّيِّ انْتَخَبَ فِرْسَانَهُمْ بِأَمْرِ الْحِجَاجِ ، فَسَارَ بِهِمْ مَعَهُ ، فَلَمَّا أَتَى الْقَوْمَ بِالرَّأْسِ فَاسْتَخَصِمُوا فِيهِ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي يَدَيْ^(١) أَبِي الْجَهْمِ^(٢) - بَنِي كِنَانَةَ الْكَلْبِيِّ ، قَالَ لَهُ : امْضِ بِهِ أَنْتَ ؛ وَدَعْ هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ ، فَخَرَجَ بِرَأْسِ قَطْرِي حَتَّى قَدِمَ بِهِ عَلَى الْحِجَاجِ ، ثُمَّ أَتَى بِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ ، فَأَلْحَقَ فِي أَفْنِينَ ، وَأَعْطَى فُطْلَمًا^(٣) - يَعْنِي أَنَّهُ يَفْرَضُ لِلصَّغَارِ فِي الدِّيَّوَانِ - وَجَاءَ جَعْفَرُ إِلَى سَفْيَانَ فَقَالَ لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! إِنْ قَطْرِيًّا كَانَ أَصَابَ وَالَّذِي فَلَمْ يَكُنْ لِي هَمٌّ غَيْرُهُ ، فَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ادَّعَوْا قَتْلَهُ ، فَسَلِّمْهُمْ ، لَمْ أَكُنْ أُمَامَهُمْ حَتَّى يَدْرُسَهُمْ فَضْرِبَتُهُ ضَرْبَةً فَضَرَعَتْهُ ، ثُمَّ جَاءُونِي بَعْدَ ، فَأَقْبَلُوا يَضْرِبُونَهُ بِأَسْيَافِهِمْ ! فَإِنْ أَقْرَأُوا لِي بِهَذَا فَقَدْ صَدَّقُوا ، وَإِنْ أَبَيَا فَأَنَا أَحْلَفُ بِاللَّهِ أَنِّي صَاحِبُهُ ، وَإِلَّا فَلْيَحْلِفُوا بِاللَّهِ أَنَّهُمْ أَصْحَابُهُ الَّذِينَ قَتَلُوهُ ، وَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مَا أَقُولُ ، وَلَا حَقَّ لِي فِيهِ . قَالَ : جِئْتَ الْآنَ وَقَدْ سَرَحْنَا بِالرَّأْسِ . فَانْصَرَفَ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : أَمَا وَاللَّهِ إِنَّكَ لِأَخْطَى الْقَوْمِ أَنْ تَكُونَ صَاحِبَهُ .

(١) ب ، ف : « يَدِ » .

(٢) س : « جَهْم » .

ثم إن سفيان بن الأبرد أقبل منصوراً إلى عسكر عبيدة بن هلال ،
وقد تحصن في قصر بقوميس ، فحاصروه فقاتلته أياماً . ثم إن سفيان بن ١٠٢١/٢
الأبرد سار بنا إليهم حتى أحاطنا بهم ، ثم أمر متكفيه فنادى فيهم : أيما
رجل قتل صاحبه ثم خرج إلينا فهو آمن ؛ فقاتل عبيدة بن هلال :

لعمري لقد قام الأصم بخطبة لئلى الشك منها فى الصدور غليل
لعمري لئن أعطيت سفيان بيعى وفارقت دينى إننى لجهول
إلى الله أشكو ما ترى بجيافنا تساوك هزلى مخون قليل^(١)
تعاورها القذائف من كل جانب بقوميس حتى صغيهن ذلول
فلئن يك أفتانها الحصار قريباً تشحط فيما بينهن قتيل
وقد كن مما إن يقدن على الوجى لهن بأبواب القياب صهيل
فحاصرهم حتى جهلوا ، وأكلوا دوابهم . ثم إنهم خرجوا إليه فقاتلوه ،
فقتلهم وبعث برؤسهم إلى الحجاج ، ثم دخل إلى ديباوكد وطبرستان ،
فكان هنالك حتى عزله الحجاج قبل الحماجم .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد]
قال أبو جعفر : وفى هذه السنة قتل بكير بن وشاح السعدى أمية بن ١٠٢٢/٢
عبد الله بن خالد بن أسيد :

• ذكر سبب قتله إياه .

وكان سبب ذلك — فيما ذكر على بن محمد ، عن الفضل بن محمد — أن
أمية بن عبد الله وهو عامل عبد الملك بن مروان على خراسان ، ولحق بكيراً
غزواً وراء النهر ، وقد كان ولاه قبل ذلك طخارستان ، فتجهز للخروج
إليها ، وأنفق نفقة كثيرة ، فوشى به إليه بغيرين وقرأ الصرمى على ما بينت
قبل ، فأمره أمية بالمقام .

(١) التساوك : السير الضيق ، واليئ في اللان (موك) ينسب إلى عبيد الله بن الحر

الجنى .

فلما ولّاه غزو ما وراء النهر تجهّز وتكلف الخيل والسلاح، وادّان من رجال السغد وتجارهم، فقال بحير لأمية: إن صار بينك وبينه النهر ولقي الملك خلع الخليفة ودعا إلى نفسه، فأرسل إليه أمية: أقم لعل أغزو فتكون معي، فغضب بكير وقال: كأنه يضارتي. وكان عتاب اللقوة الغداني استدان ليخرج مع بكير، فلما أقام أخذه غوماؤه، فحبس فأدى عنه بكير وخرج، ثم أجمع أمية على الغزو. قال: فأمر بالجهاز ليغزو بخارى، ثم يأتي موسى بن عبد الله بن خازم بالترمذ، فاستعد الناس وتجهّزوا، واستخلف على خراسان ابنه زياداً، وصار معه بكير فعسكر بكشمهاتن، فأقام أياماً، ثم أمر بالرحيل، فقال له بحير: إني لا آمن أن يتخلف الناس فقل لبكير: فلتكن في الساقة ولتحشر الناس. قال: فأمره أمية فكان على الساقة حتى أتى النهر، فقال له أمية: اقطع يا بكير؛ فقال عتاب اللقوة الغداني: أصلح الله الأمير! اعبر ثم يعبر الناس بعدك. فعبّر ثم عبّر الناس، فقال أمية لبكير: قد خضت ألا يضبط ابني عمله وهو غلام حدث، فارجع إلى مرو فأخبرنيها فقد وليتكمها، فزيّن ابني وقم بأمره. فانتخب بكير فرساناً من فرسان خراسان قد كان عرفهم ووثق بهم وعبر، ومضى أمية إلى بخارى وعلى مقدمته أبو خالد ثابت مولى خزاعة. فقال عتاب اللقوة لبكير لما عبر وقد مضى أمية: إنا قتلنا أنفستنا وعشائرنا حتى ضبطنا خراسان، ثم طلبنا أميراً من قریش يجمع أمرنا، فجاءنا أمير يلعّب بنا يحولنا من سجن إلى سجن، قال: فما ترى؟ قال: أحرق^(١) هذه السفن، وامض إلى مرو فأخلع أمية، وتقيم بمرو تأكلها إلى يوم ما؛ قال: فقال الأحنف بن عبد الله العنبري: الرأي ما رأى عتاب، فقال بكير: إني أخاف أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي، فقال: أتخاف علم الرجال! أنا آتيك من أهل مرو بما شئت إن هلك من هؤلاء الذين معك، قال: يهلك المسلمون؛ قال: إنما يكفيك أن ينادى مناد: من أسلم رفعنا عنه الخراج فبأتيتك خمسون ألفاً من المصلين أجمع لك من هؤلاء وأطوع؛ قال: فيها لك أمية ومن معه؛ قال: ولم يهلكون ولم عدّة وعدّة وتسجّلة وسلاح ظاهر وأداة كاملة، ليقاتلوا عن

١٠٢٣/٢

١٠٢٤/٢

أنفسهم حتى يبلغوا الصين ! فأحرق بكير السفن ، ورجع إلى مرو ، فأخذ ابن أمية فحبسه ، ودعا الناس إلى خلع أمية فأجابوه ، وبلغ أمية ، فصالح أهل بخارى على فدية قليلة ، ورجع فأمر باتخاذ السفن ، فأتخذت له وجمعت ، وقال لمن معه من وجوه تميم : ألا تعجبون من بكير ! إني قلدتُ خراسانَ فحدّثته ، ورفّع عليه وشكى منه ، وذكروا أموالاً أصابها ، فأعرضت عن ذلك كله ، ثم لم أفتشه عن شيء ولا أحدًا من عمّاله ، ثم عرضت عليه شرطتي فأبى ، فأعفيتّه ، ثم وليته فحدّثته ، فأمرته بالمقام وما كان ذلك إلا نظرًا له ، ثم رددته إلى مرو ، وولّيته الأمر ، فكفر ذلك كله ، وكافأني بما ترون . فقال له قوم : أيها الأمير ، لم يكن هذا من شأنه ، إنما أشار عليه بإحراق السفن عتابُ اللقوة ، فقال : وما عتاب ! وهل ^(١) عتاب إلا دجاجة ١٠٢٥/٢ حاضنة ، فبلغ قوله ^(٢) عتابًا ، فقال عتاب في ذلك :

إِنَّ الْحَوَاصِينَ تَلْقَاهَا مَجْفُفَةً غُلِبَ الرُّقَابُ عَلَى الْمَسْجُوفَةِ النُّجُبِ
تَرَكْتَ أَمْرَكَ مِنْ جُبَيْنٍ وَمِنْ خَوَرٍ وَجِئْتَنَا حُمُقًا يَا أَلَمَّ الْعَرَبِ
لَا رَأَيْتَ جِبَالَ السُّفُلِ مُعْرُضَةً وَلَيْتَ مُوسَى وَنُوحًا عُنْكَوَةَ الذَّنْبِ
وَجِئْتَ ذَبْحًا مُفِئدًا مَا تَكَلَّمْنَا وَطَرْتُ مِنْ سَعَفِ الْبَحْرَيْنِ كَالْخَرَبِ
أَوْعِدْ وَعَيْدَكَ إِنِّي سَوْفَ تَعْرِفُنِي تَحْتَ الْخَوَافِقِ دُونَ الْعَارِضِ الْمَجْبِ
يَحْبُبُ بِي مَشْرُوفٌ عَارِ نَوَاقِصِهِ يَغْشَى الْكُتَيْبَةَ بَيْنَ الْعَدُوِّ وَالْحَبِيبِ

قال : فلما تهيأت السفن ، عبرَ أمية وأقبل إلى مرو ، وترك موسى بن عبد الله ، وقال : اللهم إني أحسنت إلى بكير ، فكفّر إحساني ، وصنع ما صنع ، اللهم اكفني .

فقال شماس بن دثار - وكان رجع من سجستان بعد قتل ابن خازم ، ١٠٢٦/٢ فزما مع أمية : أيها الأمير ، أنا أكفيك إن شاء الله . فقدّمه أمية في ثمانمائة ، فأقبل حتى نزل بامان وهي لبني نصر ، وصار إليه بكيرٌ ومعه مئذنة بن أنيف وأبيه

(١) ب ، ف : وما .

(٢) ف : ذلك .

مع شماس ، فقال : أما كان في تميم أحدٌ يحاربني غيرك ! ولامة . فأرسل إليه شماس : أنت ألوم وأسوأ صنيعاً مني ، لم تَفِ لأمية ولم تشكر له صنيعه بك ، قدّم فأكرمك ولم يعرض لك ولا لأحد من عمالك .

قال : فيبته بكير ففرق جمعه وقال : لا تقتلوا منهم أحداً ، وخذوا سلاحهم ، فكانوا إذا أخذوا رجلاً سلبوه وخذلوا عنه ، ففترقوا ، ونزل شماس في قرية لطيفة يقال لها : بؤيته ، وقدم أمية فنزل كسبها من ، ورجع إليه شماس بن دثار فقدم أمية ثابت بن قطبة مولى خزاعة ، فلقبه بكير فأمر ثابتاً بفرق جمعه ، وخذل بكير سبيل ثابت ليبد كانت له عنده . قال : فرجع إلى أمية ، فأقبل أمية في الناس ، فقاتله بكير وحل شربة بكير أبو رستم الخليل بن أوس العبشمي ، فأبلى يومئذ ، فناده : يا صاحب شرطة عارمة - وعارمة جارئة بكير - فأحجم ، فقال له بكير : لا أبالك ، لا يهدك نداء هؤلاء القوم ، فإن للعارمة فتحلاً بمنعها ، فقدم لواءك ، فقاتلوا حتى انحاز بكير فدخل الحائط ، فنزل^(١) السوق العتيقة ، ونزل أمية بأسكان فكانوا يلتقون في ميدان يزيد ، فأنكشفوا يوماً ، فحماهم بكير ، ثم التقوا يوماً آخر في الميدان ، ففرض رجل من بني تميم على رجله فجعل يمسحها ، وهريم يحميه ، فقال الرجل : اللهم أيدنا فأمدنا بالملائكة ، فقال له هريم : أيها الرجل ، قاتل عن نفسك ، فإن الملائكة في شغل عنك ، فتحامل ثم أعاد قوله : اللهم أمدنا بالملائكة ، فقال هريم : لتكفن عني أو لأدعنك والملائكة ، وحماه حتى ألحقه بالناس . قال : ونادى رجل من بني تميم : يا أمية ، يا فاضح قريش ، قال أمية إن ظنير به أن يذبحه ، فظنير به فذبحه بين شرفتين من المدينة ، ثم التقوا يوماً آخر ، ففرض بكير بن وشاح ثابت بن قطبة على رأسه وانتمى : أنا ابن وشاح ، فحمل حريث بن قطبة أخو ثابت على بكير ، فانحاز بكير ، وانكشف أصحابه ، وأتبع حريث بكيراً حتى بلغ القنطرة ، فناده : أين يا بكير ؟ ففكر عليه ، ففرضه حريث على رأسه ، فقطع المغفر ، وعص

١٠٢٧/٢

السيف برأسه ، فصرع ، فاحتملكه أصحابه ، فأدخلوه المدينة .
قال : فكانوا على ذلك يقاتلونهم ، وكان أصحابُ بكير يخذون متفضلين
في ثياب مصبقة ، وملاحفَ وأزرَ صُفُرَ وحُشُرَ ، فيجلسون على نواحي
المدينة يمتدُّون ، وينادى مناد : مَنْ رَمَى رَمِينًا إِلَيَّ بِرَأْسِ رَجُلٍ مِنْ
وَلَدِي وَأَهْلِي ، فَلَا يَرْمِيهِمْ أَحَدٌ .

قال : فأشفق بكير ، وخاف إن طال الحصار أن يخذله الناس ، فطلب
الصُلحَ ، وأحبَّ ذلك أيضًا أصحابُ أمية لِمَا كَانَ عِيَالَتَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ، فقالوا
لأمية : صالحه - وكان أمية يحبُّ العافية - فصالحه على أن يقضى عنه
أربعمائة ألف ، ويصل أصحابه ويوليه أيضًا أَىْ كُورَ خُرَّاسَانَ شاء ،
ولا يسمع قولَ بَحِيرٍ فِيهِ ، وإن رآه منه رَيْبٌ فَهُوَ آمِنٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا حَتَّى ١٠٢٨/٧
يُخْرَجَ عَنْ مَرَوْ ، فَأَخَذَ الْأَمَانُ لِبَكِيرٍ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا عَلَى
بَابِ سِنِّجَانٍ (١) ، وَدَخَلَ أُمِيَّةُ الْمَدِينَةَ .

قال : وقوم يقولون : لم يخرج بكير مع أمية غازيًا ، ولكن أمية لما غزا
استخلفه على مَرَوْ فخلعه ، فرجع أمية فقاتله ، ثم صالحه ودخل مَرَوْ
ووفى أمية لبكير : وعاد إلى ما كان عليه من الإكرام وحُسنِ الإِذْنِ ، وأرسل
إلى عتَّابِ اللُّقْوَةِ ، فقال : أنت صاحبُ المشورة ؛ فقال : نعم أصلح الله
الأمير ! قال : ولِمَ ؟ قال : خفَّ ما كان في يدي ، وكثُرَ دَيْتِي ،
وأعدت على غرماي ، قال : وَيَحْكُ ! فضربت بين المسلمين ، وأحرقت السفن
والمسلمون في بلاد العدو ، وما خفت الله ! قال : قد كان ذلك ، فأستغفر
الله ، قال : كم دينك ؟ قال : عشرون ألفًا ؛ قال : تكفَّ عن غِيْشِ
المسلمين وأقضي دينك ؟ قال : نعم ، جعلني الله فداك ! قال : فضحك
أمية وقال : إن ظني بك غير ما تقول ، سأقضي عنك . فأدَّى عنه عشرين
ألفًا ، وكان أمية سهلاً ليتأسخياً ، لم يُعط أحدٌ من عُمالِ خُرَّاسَانَ بِهَا مِثْلَ
عَطَايَاهُ ؛ قال : وكان مع ذلك ثقيلاً عليهم ، كان فيه زَهْوٌ شَدِيدٌ ، وكان
يقول : مَا أَكْتَفِي بِخُرَّاسَانَ (٢) وَسِجِسْتَانَ لِمَطْبُخِي . وعزَّل أمية بَحِيرًا

(١) ا ، ب ، ف : « سنجار » . (٢) ب ، ف : « كلب » .

عن شرطته ، ولأَها عطاءَ بن أبي السائب ، وكتب إلى عبد الملك بما كان من أمر بكير وصفحه عنه ، فضرب عبدُ الملكَ بَعَثًا إلى أميةَ بخُرَاسانَ ، فَتَجَاعَلَ الناسَ ، فأعطى شقيق بن سليل الأسدَى جَعَالَته رجُلًا من جَرَمٍ ، وأخذ أمية الناسَ بالخراج ، واشتدَّ عليهم فيه ، فجلس بكير يومًا في المسجد وعنده ناسٌ من بني تميم ، فذكروا شِدَّةَ أمية على الناس ، فذَمُّوه ، وقالوا : سلط علينا الذَّهَاقين في الحِجَابِ وبَحِيرٍ وضِرَارٍ بنِ حُصَيْنٍ وعبد العزيز بن جارية ابن قدامة في المسجد ، فنقل بِحِيرٌ ذلك إلى أمية فكَذَّبَهُ فَأَدْعَى شَهَادَةَ هؤلاء ، وأدعى شهادة مُزَاحِمٍ بن أبي المُجَشَّرِ السلمي ، فدعا أمية مُزَاحِمًا فسأله فقال : إنما كان يَمْزَحُ ، فأعرض عنه أمية ، ثم أَنَاهُ بِحِيرٌ فقال : أَصْلَحَ الله الأمير ! إنَّ بُكَيْرًا والله قد دعاني إلى خَلْعِكَ ، وقال : لولا مَسْكَانُكَ لَقَتَلْتُ هذا القرشي وأَكَلْتُ خُرَاسانَ ؛ فقال أمية : ما أَصْدَقَ بهذا وقد فعل ما فعل ؛ فَأَمَنَتْهُ وَوَصَلَتْهُ .

قال : فَأَنَاهُ بِضِرَارٍ بنِ حُصَيْنٍ وعبد العزيز بن جارية فشهدا أَنَّ بُكَيْرًا قال لهما : لو أَطَعْتُمَانِي لَقَتَلْتُ هذا القرشيَ الْخَنَثَ ، وقد دعانا إلى الْفَتَنِكَ بِكَ . فقال أمية : أَنتم أعلمُ وما شَهِدْتُمْ ، وما أَظُنُّ هذا به وإن تركه ، وقد شَهِدْتُمْ بما شَهِدْتُمْ عَجَزٌ ؛ وقال لَحَاجِبُهُ عبيدة ولصاحبِ حَرَسِهِ عطاء بن أبي السائب : إِذَا دَخَلَ بِكِيرٌ ، وبِلْدٍ وشَمْرَدِلِ ابْنَا أَخِيهِ : فَهَضَمْتُ فُخْذُومِي .

وَجَاءَ بِكِيرٌ وَابْنَا أَخِيهِ ، فَلَمَّا جَلَسُوا قَامَ أُمِيَّةٌ عَنْ سَرِيرِهِ فَدَخَلَ ، وَخَرَجَ النَّاسُ وَخَرَجَ بِكِيرٌ . فَحَبَسُوهُ وَابْنَى أَخِيهِ ، فدعا أمية ببكير فقال : أَنتَ الْقَافِلُ كَذَا وَكَذَا ؟ قال : نَشِبْتُ أَصْلَحَكَ اللهُ وَلَا تَسْمَعَنَّ قَوْلَ ابْنِ الْخَلْقِ ! فَحَبَسَهُ ؛ وَأَخَذَ جَارِيَتَهُ الْعَامِرَةَ فَحَبَسَهَا ، وَحَبَسَ الْأَخْنَفَ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْعَنْبَرِيَّ ، وقال : أَنتَ مِمَّنْ أَشَارَ عَلَى بُكَيْرٍ بِالْخَلْعِ .

فلما كان من الغد أخرج بُكَيْرًا فشَهِدَ عَلَيْهِ بِحِيرٌ وَضِرَارٌ وعبد العزيز بن جارية أَنَّهُ دَعَاهُمْ إِلَى خَلْعِهِ وَالْفَتَنِكَ بِهِ . فقال : أَصْلَحَكَ اللهُ ! تَشَبَّهْتُ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَعْدَائِي ، فقال أمية لِزِيَادِ بنِ عَمْبَةَ — وَهُوَ رَأْسُ أَهْلِ الْعَالِيَةِ — وَابْنِ وَالَانَ الْعُلُوِيَّ — وَهُوَ يَوْمُئِذٍ مِنْ رُؤَسَاءِ بَنِي تَمِيمٍ — لِيَعْقُوبَ بْنَ خَالِدِ الذَّهَلِيَّ :

أَتَقْتُلُونَهُ ؟ فلم يجيبوه ؛ فقال لَبَحِيرُ : أَتَقْتُلُهُ ؟ قال : نعم ، فدفعه إليه ، فنهض يعقوب بن الصّحْفَاعِ الأعْلَمُ الأَزْدِيّ من مجلسه — وكان صديقاً لبُكَيْرٍ — فاحتَضَنَ أُمَيَّةَ ، وقال : أَذَكَرَكَ اللهُ أَيُّهَا الأميرُ في بُكَيْرٍ ، فقد أعطيتَه ما أعطيتَه من نفسك ، قال : يا يعقوب ما يقتله إلا قومه ، شهدوا عليه ، فقال عطاءُ بنُ أبي السائب اللبّيّ وهو على حَرَسِ أُمَيَّةَ : خلّ عن الأمير ؛ قال : لا ، فَضَرَبَهُ عطاءُ بِقَامِ السيفِ ، فأصاب أنْفَهُ فأدماه ، فخرج ، ثمّ قال لبَحِيرُ : يا بحير ، إنَّ الناسَ أعطوا بِكَيْرًا ذَمَّتْهُمْ في صلحه ، وأنتَ منهم ، فلا تخفّر ذَمَّتْكَ ؛ قال : يا يعقوب ، ما أعطيتَه ذمّةً . ثمّ أخذ بحير سيفَ بُكَيْرِ الموصول الذي كان أخذه من أسوار الرّجّمان تَرَجِّمان ابن خازم ، فقال له بُكَيْرُ : يا بحير ، إنك تُفَرِّقُ أمرَ بني سعد إن قتلتني ، فدعَ هذا القرشيّ بلى مني ما يريد ؛ فقال بحير : لا واللهِ يابن الإصبهانية لا تصلح ١٠٣١/٢ بنو سعد ما دُمْنَا حَيِّينَ ، قال : فشأنك يابن المخلوقة ، فقتلته ، وذلك يوم جمعة .

وقتل أُمَيَّةُ ابني أخى بُكَيْرٍ ، ووهب جارية بِكَيْرِ العامرة لبَحِيرٍ ، وكَلَّمَ أُمَيَّةُ في الأحنف بن عبد الله العنبريّ ، فدعا به من السجن ، فقال : وأنتَ ممن أشار على بُكَيْرٍ ، وشَتَمَهُ ، وقال : قد وهبتُكَ لهؤلاء . قال : ثمّ وجّه أُمَيَّةُ رَيْبِلًا من خُرَازَةِ إلى موسى بن عبد الله بن خازم ، فقتلته عمرو بن خالد بن حصين^(١) الكلابيّ غيلةً ؛ فنفرق جيشُه : فاستأمن طائفةٌ منهم موسى ، فصاروا معه ، ورجع بعضهم إلى أُمَيَّةَ .

وفي هذه السنة عبر النهرَ ، نَهَرَ بَلَخُ أُمَيَّةَ للغزو ، فحُوصِرَ حتى جُهِدَ هو وأصحابه ، ثمّ نجوا بعد ما أشرَفوا على الهلاك ؛ فانصرف والذين معه من الجُندِ إلى مرو . وقال عبد الرحمن بنُ خالدِ بنِ العاصِ بنِ هشامِ بن المغيرة يهجو أُمَيَّةَ :

أَلَا أَبْلَغُ أُمَيَّةَ أَنْ سِيْجَزَى ثَوَابَ الشَّرِّ إِنَّ لَهُ ثَوَابَا
وَمَنْ يَنْظُرُ عَتَابَكَ أَوْ يَرِدُهُ فَلَسْتُ بِنَاظِرٍ مِنْكَ الْعِتَابَا

محا المعروف منك خلالُ سوء مُنحتَ صَنِيعَهَا باباً فباباً
وَمِنْ مَمَّاكَ إِذْ قَسَمَ الْأَسَامِي أُمِّيَّةٌ إِذْ وُلِدَتْ فَقَدْ أَصَابَا

قال أبو جعفر : وحجَّ بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان ، وهو أميرٌ على
المدينة ، وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف ، وعلى خراسان أمية ١٠٣٢/٢
ابن عبد الله بن خالد بن أسيد .

وحدثني أحمد بن ثابت ، عن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن
أبي معشر ، قال : حجَّ أبان بن عثمان وهو على المدينة بالناس حجَّتين سنة
ست وسبعين سنة سبع وسبعين .

وقد قيل : إنَّ هلاكَ شبيب كان في سنة ثمان وسبعين ، وكذلك قيل في
هلاك قطري وعيلة بن هلال وعبد ربه ^(١) الكبير .

* * *

وغزَا في هذه السنة الصائفة الوليدُ .

(١) كذا في ١ ، وقد : « عبد ربه » .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

ذكر الخبر عن الكائن في هذه السنة من الأحداث الجليلة
فن ذلك عزّلُ عبد الملك بن مروان أميّة بن عبد الله عن خُرَاسان
وضمّه خُرَاسان وسجستان إلى الحجاج بن يوسف . فلما ضمّ ذلك إليه فرّق
فيه عماله ^(١) .

* * *

ذكر الخبر عن العمال الذين ولّاهم الحجاج خُرَاسان وسجستان
وذكر السبب في توليته من ولّاه ذلك وشيئاً منه

ذكر أن الحجاج لما فرغ من شبيب ومطرف شخّص من الكوفة إلى
البصرة ، واستخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل - وقد
قيل : إنه استخلف عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي ، ثم عزّله ،
وجعل مكانه المغيرة بن عبد الله - فقدم عليه المهلب بها ، وقد فرغ من ١٠٣٣/٢
[أمر] ^(٢) الأزارقة .

فقال هشام : حدثني أبو مخنف عن أبي المخارق الراسبي ، أن
المهلب بن أبي صفرة لما فرغ من الأزارقة قدّم على الحجاج - وذلك سنة
ثمان وسبعين - فأجلسه معه ، ودعا بأصحاب البلاء من أصحاب المهلب ،
فأخذ الحجاج لا يتذكر له المهلب رجلاً من أصحابه بلاء حسن إلا
صدقة الحجاج بذلك ، فحملتهم الحجاج وأحسن عظامهم ، وزاد في
أعطياتهم ، ثم قال : هؤلاء أصحاب الفِعال ، وأحقّ بالأموال ، هؤلاء
حُمّة الثغور ، وغيظ الأعداء .

قال هشام عن أبي مخنف : قال يونس بن أبي إسحاق : وقد كان
الحجاج ولي المهلب سجستان مع خُرَاسان ، فقال له المهلب : ألا أدلك على
رجل هو أعلم بسجستان مني ، وقد كان ولي كابل وزابل ، وجبّاهم

(١) « عماله فيها » . (٢) من ١

وقَاتَلَهُمْ وَصَالَحَهُمْ ؟ قال له : بلى ، فمن هو ؟ قال عبيد الله بن أبي بَكْرَةَ .
ثم إنه بعث المهلب على خُرَّاسان وعبيد الله بن أبي بَكْرَةَ على سِجِسْتان ،
وكان العامل هناك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ،
وكان عاملاً لعبد الملك بن مَرْوَانَ ، لم يكن للحجاج شيءٌ من أمره حين بُعث
على العراق حتى كانت تلك السنة ، فغزاه عبدُ الملك وجمع سلطانه للحجاج ،
ففضى المهلب إلى خُرَّاسانَ ، وعبيد الله بن أبي بكرة إلى سِجِسْتان ، فكث
عبيد الله بن أبي بَكْرَةَ بقية سنته .

فهذه رواية أبي مخنف عن أبي المخارق ، وأما علي بن محمد فإنه ذكر
عن المفضل بن محمد أن خُرَّاسان وسِجِسْتانَ جُمِعَتَا للحجاج مع العراق في ١٠٣٤/٧
أول سنة ثمان وسبعين بعد ما قتل الخوارج ، فاستعمل عبيد الله بن أبي بَكْرَةَ
على خراسان ، والمهلب بن أبي صفرة على سِجِسْتان ، فكره المهلب سِجِسْتان ،
فلحق عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبَّسِيُّ — وكان على شُرطة الحجاج —
فقال : إنَّ الأمير ولأني سِجِسْتان ، وولي ابن أبي بَكْرَةَ خُرَّاسان ، وأنا
أعرَفُ بخراسانَ منه ، قد عرفتُها أيام الحَكَم بن عمرو الغِفَارِيِّ ، وابنُ
أبي بَكْرَةَ أقوى على سِجِسْتانَ مِنِّي ، فكلَّم الأميرَ يحوِّلني إلى خُرَّاسان ، وابن
أبي بَكْرَةَ إلى سِجِسْتان ؟ قال : نعم ، وكلَّم زاذانَ قَرْوُخَ يُعِينُنِي ؛ فكلَّمه ،
فقال : نعم ، فقال عبد الرحمن بن عبيد للحجاج : وليتَ المهلب سِجِسْتان
وابن أبي بَكْرَةَ أقوى عليها منه ، فقال زاذان قَرْوُخَ : صدق ، قال : إننا
قد كتبنا عهدَه ؛ قال زاذان فروخ : ما أهوَنَ تحويلَ عهدِه ! فحوَّل ابن
أبي بكرة إلى سِجِسْتانَ ، والمهلب إلى خُرَّاسان ، وأخذ المهلب بألف ألف
من خراج الأهواز ، وكان ولاها لِيثاء خالد بن عبد الله ، فقال المهلب لابنه
المغيرة : إنَّ خالدًا ولأني الأهواز ، ولألك إصْطِخْرَ ، وقد أخذني الحجاج
بألف ألف ، فنصف على ونصف عليك ، ولم يكن عند المهلب مالٌ ، كان
إذا عزل استقرض ؛ قال : فكلَّم أبا مَويَّةَ مولى عبد الله بن عامر — وكان
أبو مَويَّةَ على بيت مال عبد الله بن عامر — فأسلف المهلب ثلثمائة ألف ^(١) ،

قَالَتْ خَيْرَةُ الْقُشَيْرِيَةِ امْرَأَةُ الْمُهَلَّبِ : هَذَا لَا يَنْبَغِي (١) بِمَا عَلَيْكَ ؛ فَبَاعَتْ حُلِيَّهَا وَمَتَاعًا ، فَأَكْمَلَتْ خَمْسَمِائَةَ أَلْفَ ، وَحَمَلَتْ الْمَغِيرَةَ إِلَى أَبِيهِ خَمْسَمِائَةَ أَلْفَ (٢) ، فَحَمَلَهَا إِلَى الْحِجَّاجِ ، وَوَجَّهَ الْمُهَلَّبُ ابْنَهُ حَبِيبًا عَلَى مَقْدَمَتِهِ ، فَأَتَى الْحِجَّاجُ فَوَدَّعَهُ ، فَأَمَرَ الْحِجَّاجُ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ وَبَغْلَةٍ خَضْرَاءَ ، قَالَ : فَسَارَ حَبِيبٌ عَلَى تِلْكَ الْبَغْلَةِ حَتَّى قَدِمَ خُرَّاسَانَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْبَرِيدِ ، فَسَارَ عَشْرِينَ يَوْمًا ، فَتَلَقَّاهُمْ حِينَ دَخَلُوا حِمْلُ حَطَبٍ ، فَتَنَفَّرَتِ الْبَغْلَةُ فَتَمَجَّجُوا مِنْهَا وَمِنْ نِفَارِهَا بَعْدَ ذَلِكَ التَّعَبِ وَشِدَّةِ السَّيْرِ . فَلَمْ يَعْزُضْ لَأُمِّيَّةٍ وَلَا لِعَمَالِهِ ، وَأَقَامَ عَشْرَةَ أَشْهُرٍ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ الْمُهَلَّبُ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ .

• • •

وَجَّحَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ ذِكْرِهِ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ .
وَكَانَ أَمِيرَ الْمَدِينَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ ، وَأَمِيرَ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَخُرَّاسَانَ وَسَجِسْتَانَ وَكِرْمَانَ الْحِجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ ، وَخَلِيفَتَهُ بِخُرَّاسَانَ الْمُهَلَّبُ ، وَبِسَجِسْتَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ ، وَعَلَى قِضَاءِ الْكُوفَةِ شُرَيْحٌ ، وَعَلَى قِضَاءِ الْبَصْرَةِ - فِيمَا قِيلَ - مُوسَى بْنُ أَنَسٍ .

• • •

وَأَغْزَى عَبْدُ الْمَلِكِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ يَحْيَى بْنَ الْحَكَمِ .

(٢) ب ، ف : و ألف ألف .

(١) ب ، ف : و لا يَنْبَغِي .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجلية

فمن ذلك ما أصاب أهل الشام في هذه السنة من الطاعون حتى كادوا
يفتنون من شدته ، فلم يغز في تلك السنة أحدٌ - فيما قيل - للطاعون الذي
كان بها ، وكثرة الموت .

وفيها - فيما قيل - : أصابت الرومُ أهل أنطاكية .

* * *

[ذكر الخبر عن غزو عبيد الله بن أبي بكره رُئييل]

وفيها غزا عبيد الله بن أبي بكره رُئييل .

ذكر الخبر عن غزوته إياه :

قال هشام : حدثني أبو ميخنف ، عن أبي المخارق الراسي ، قال :
لما ولي الحجاج المهلب خراسان ، وعبيد الله بن أبي بكره سجستان ، مضى
المهلب إلى خراسان وعبيد الله بن أبي بكره إلى سجستان ، وذلك في سنة
ثمان وسبعين ، فكث عبيد الله بن أبي بكره ببقية سنته . ثم إنه غزا رُئييل
وقد كان مصالحاً ، وقد^(١) كانت العرب قبل ذلك تأخذ منه خراجاً ، وربما
امتنع فلم يفعل ، فبعث الحجاج إلى عبيد الله بن أبي بكره أن تاجزه بمن
معك من المسلمين فلا ترجع حتى تستبيح أرضه ، وتهدم قلاعته ، وتقتل
مقاتلته ، وتسبي ذريته . فخرج بمن معه من المسلمين من أهل الكوفة وأهل
البصرة ، وكان على أهل الكوفة شريح بن عاتق الحارثي ثم الضبابي ، وكان
من أصحاب علي ، وكان عبيد الله على أهل البصرة ، وهو أمير الجماعة ،
فضى حتى وغل في بلاد رُئييل ، فأصاب من البقر والغنم والأموال ما شاء
وهدم قلاعاً وحصوناً ، وغلب على أرض من أرضهم كثيرة ، وأصحاب^(٢)
رُئييل من الترك يظنون لهم عن أرض بعد أرض ، حتى أمعنوا في بلادهم

(١) ساقطة من أ . (٢) ب ، ف : « وأصاب » .

ودنوا من مدينتهم ، وكانوا منها ثمانية عشر فرسخا ، فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب ، وخطبهم والرساتيق ، فسقط في أيدي المسلمين ، وظنوا أن قد هلكوا ، فبعث ابن أبي بكره إلى شريح بن هانئ : إني مصالح القوم على أن أعطيهم مالا ، ويخطوا بيني وبين الخروج ، فأرسل إليهم فصالحهم على سبعمائة ألف درهم ، فلقية شريح فقال : إنك لا تصالح على شيء إلا حسبه السلطان عليكم في أعطيائكم ، قال : لو منعنا العطاء ما حبسينا كان أهون علينا من هلاكنا ، قال شريح : والله لقد بلغت سينا ، وقد هلكت ليداتي ، ما تأتي على ساعة من ليل أو نهار فأظننها تمضي حتى أموت ، ولقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان ، ولئن فاتني اليوم ما إخالني مدركها حتى أموت ، وقال : يا أهل الإسلام ، تعاونوا على عدوكم ، فقال له ابن أبي بكره : إنك شيخ قد خرفت ، فقال شريح : إنما حسبك أن يقال : بستان ابن أبي بكره وحمام ابن أبي بكره ، يا أهل الإسلام ، من أراد منكم الشهادة فليأت . فاتبعه ناس من المتطوعة غير كثير ، وطرسان الناس وأهل الحفاظ ، فقاتلوا حتى أصيبوا إلا قليلا ، فجعل شريح يرتجز يومئذ ويقول :

أصبحتُ ذا بئس أقامي الكبيراً قد عشتُ بين المشركين أعصراً
ثم أدركتُ النبي المُنلرا ويعده صديقهُ وعمراً
ويومَ مهرانَ ويومَ تُسترا والجمعَ في صيفيهِم والنهراً
وباجبِيراتٍ مع المُشَقرا هيهاتَ ما أطولَ هذا عُمرأ
فقاتلَ حتى قُتِلَ في ناسٍ من أصحابه ، ونجا من نجا ، فخرجوا من بلاد رُبَيْل حتى خرجوا منها ، فاستقبلهم من خرجوا إليهم من المسلمين بالأطعمة ، فإذا أكلَ أحدُهم وشيع مات ، فلما رأى ذلك الناسُ حذروا يطعمونهم ، ثم جعلوا يطعمونهم السمَّ قليلا قليلا ، حتى استمروا . وبلغ ذلك الحجاج ، فأخذ ما تقدَّم وما تأخَّر ، وبلغ ذلك منه كل مبلغ ، وكتب إلى عبد الملك :

أما بعد ، فإنَّ جُنْدَ أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم

يَسْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلَ ، وَقَدْ اجْتَرَأَ الْعَدُوُّ بِالَّذِي أَصَابَهُ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ
فَدَخَلُوا بِلَادَهُمْ ، وَغَلَبُوا عَلَى حَصُونِهِمْ وَقُصُورِهِمْ ، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أُوَجِّهَ إِلَيْهِمْ
جُنْدًا كَثِيفًا مِنْ أَهْلِ الْمِصْرَيْنِ ، فَأُحْبِثُ أَنْ أُسْتَطْلَعَ رَأْيُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي
ذَلِكَ ، فَلَمَّا رَأَى لِي بَعَثَهُ ذَلِكَ الْجُنْدَ أَمْضِيَتْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَسِرْ ذَلِكَ فَلَمَّا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَى بِجُنْدِهِ ، مَعَ أَنِّي أَتَخَوَّفُ إِنْ لَمْ يَأْتِ رُتَيْبِلَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ
الْمَشْرُكِينَ جُنْدٌ كَثِيفٌ عَاجِلًا أَنْ يَسْتَوَلُوا عَلَى ذَلِكَ الْقَرْجِ كُلِّهِ .

١٠٣٩/٢

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَ الْمُهَلَّبُ خُرَّاسَانَ أَمِيرًا ، وَانصَرَفَ عَنْهَا أُمِيَّةُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ ، وَقِيلَ اسْتَعْفَى شَرِيحَ الْقَاضِي مِنَ الْقَضَاءِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَأَشَارَ
بِأَبِي بَرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، فَأَعْفَاهُ الْحِجَااجَ وَوَلَّى أَبَا بَرْدَةَ .

* * *

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - فِيمَا حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ ذِكْرِهِ ، عَنْ
إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ - أَبَانَ بْنِ عُمَانَ ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْوَاقِدِيُّ
وغيرُهُ مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ .

وَكَانَ أَبَانَ هَذِهِ السَّنَةِ أَمِيرًا عَلَى الْمَدِينَةِ مِنْ قِبَلِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ
وَعَلَى الْعِرَاقِ وَالْمَشْرِقِ كُلِّهِ الْحِجَااجَ بْنِ يَوْسُفَ .

وَكَانَ عَلَى خُرَّاسَانَ الْمُهَلَّبُ مِنْ قِبَلِ الْحِجَااجِ .

وَقِيلَ : إِنَّ الْمُهَلَّبَ كَانَ عَلَى حَرْبِهَا ، وَابْنَهُ الْمَغِيرَةَ عَلَى خَرَجِهَا ، وَعَلَى
قَضَاءِ الْكُوفَةِ أَبُو بَرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى ، وَعَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ ^(١) .

ثم دخلت سنة ثمانين

ذكر الأحداث الجلية التي كانت في هذه السنة

« وفي هذه السنة جاء^(١) - فيما حدثت عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر الواقدي - سيل بمكة ذهب بالحججاج ، ففترقت بيوت مكة فسمي ذلك العام عام الجحاف ، لأن ذلك السيل جحف كل شيء مر به . ١٠٤٠/٢ »

قال محمد بن عمر : حدثني محمد بن رفاعه بن ثعلبة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : جاء السيل حتى ذهب بالحججاج ببطن مكة ، فسمي لذلك عام الجحاف ، ولقد رأيت الإبل عليها الحمولة والرجال والنساء تسم بهم مالا أحد فيهم حيلة ، وإنى لأنظر إلى الماء قد بلغ الركن وجاوزه .

وفي هذه السنة كان بالبصرة طاعون الجوارف ، فيما زعم الواقدي .

[ذكر خبر غزو المهلب ما وراء النهر]

وفي هذه السنة قطع المهلب نهر بسخ فتزل على كيس ، فذكر على بن محمد ، عن الفضل بن محمد وغيره أنه كان على مقدمة المهلب حين نزل على كيس أبو الأدهم زياد بن عمرو الزماني في ثلاثة آلاف وهم خمسة آلاف إلا أن أبا الأدهم كان يفضي غناء ألفين في اليأس والتدبير والنصيحة . قال : فأتى المهلب وهو نازل على كيس ابن عم ملك الختل ، فدعاه إلى غزو الختل ، فوجه معه ابنه يزيد ، فتزل في عسكره ، ونزل ابن عم الملك - وكان الملك يومئذ اسمه السبل^(٢) - في عسكره على ناحية ، فبيت السبل ابن عمه ، فكبر في عسكره ، فظن ابن عم السبل أن العرب قد غدروا به ، وأنهم خافوه . حل الغدر حين اعتزل عسكرهم ، فأمره السبل ، فأتى به قلعة فقتله . قال : فأطاف يزيد بن المهلب بقلعة السبل ، فصالحوه على فدية حكموها إليه ، ورجع^(٣) إلى المهلب فأرسلت أم الذي قتل السبل إلى أم السبل : كيف ترجين

(١-١) ب ، ف ، هـ . وفيها في ١ : « قال أبو جعفر » .

(٢) ط : « كس » ، صوابه من ١ . (٣) ابن الأثير : « رجع » .

بقاء السبيل بعد قتل ابن عمه ، وله سبعة إخوة قد وتَّرم ! وأنت أمّ واحد فأرسلت إليها : إن الأسدَ تنقِلْ أولادُها ، وإنَّنا نسير كثير أولادها .

ووجه المهلب ابنه حبيباً إلى رُبَيْنَجْن^(١) فوافى صاحب بخارى في أربعين ألفاً ، قدما رجلٌ من المشركين إلى المبارزة ، فبرز له جبيلة غلام حبيب ، فقتل المشرك ، وحمل على جمعهم ، فقتل منهم ثلاثة نفر ، ثم رجع ورجع الصكر ، ورجع العدو إلى بلادهم ، ونزلت جماعة من العدو قرية ، فسار إليهم حبيب في أربعة آلاف ، فقاتلهم فظفر بهم ، فأحرقها ، ورجع إلى أبيه فسميت المحترقة . ويقال إن الذي أحرقها جبيلة غلام حبيب .

قال : فكث المهلب مستين مقيماً بكس^١ ، فقيل له : لو تقدّمت إلى السغد وما وراء ذلك ! قال : ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذه الجند ، حتى يرجعوا إلى مَرَوَ ساليين .

قال : وخرج رجلٌ من العدو يوماً ، فسأله البراز ، فبرز إليه هرم بن عدى ، أبو خالد بن هرم وعليه عمامة قد شدّها فوق البيضة ، فأنهى إلى جدّوك ، فجاوَلَه المشرك ساعة فقتله هُرم وأخذ سكينه ، فلامه المهلب ، وقال : لو أصبت ثم أمددتُ بألف فارس ما عدّكوك عندي ، واتهم المهلب وهو بكس قوماً من مضر فحبسهم بها ، فلما قتل وصار صلح خلّاهم ، فكتب إليه الحجاج : إن كنت أصبت بحبسهم فقد أخطأت في تخليتهم ؛ وإن كنت أصبت بتخليتهم فقد ظلمتهم إذ حبستهم . فقال المهلب : خفّتهم فحبستهم ، فلما أمنتُ خلتهم .

وكان فيمن حبس عبد الملك بن أبي شيخ القشيري . ثم صالح المهلب أهل كس على فدية ، فأقام ليقبضها ، وأتاه كتاب ابن الأشعث بخلع الحجاج ويدعوه إلى مساعدته على خلعهم ، فبعث بكتاب ابن الأشعث إلى الحجاج .

[تسيير الجنود مع ابن الأشعث لحرب رُبَيْل]

وفي هذه السنة وجّه الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى سجستان لحرب رُبَيْل صاحب الترك ؛ وقد اختلف أهل السير في سبب

توجيهه إياه إليها، وأين كان عبد الرحمن يوم ولّاه الحجاج سجستان وحرب
رُثَيْل؛ فأما يونس بن أبي إسحاق - فيما حدث هشام، عن أبي مِخْنَفٍ
عن صفوان - ذكر أن عبد الملك لما ورد عليه كتاب الحجاج بن يوسف بخبر الجيش
الذي كان مع عبيد الله بن أبي بكر في بلاد رُثَيْل وما لَقُوا بها كتب إليه :

أما بعد ، فقد أتاني كتابك تذكر فيه مصاب المسلمين بسجستان ،
وأولئك قوم " كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مصاحيهم ، وعلى الله ثوابهم .
وأما ما أردت أن يأتيك فيه رأي من توجيه الجنود وإمضائها إلى (١) ذلك الفرج
الذي أصيب فيه المسلمون أو كفها ، فإن رأي في ذلك أن تمضي رأيك
راشداً موقفاً .

وكان الحجاج وليس بالعراق رجل أبغض إليه من عبد الرحمن بن محمد
ابن الأشعث ، وكان يقول : ما رأيته قط إلا أردت قتله .

قال أبو مِخْنَفٍ : فحدثني نعيم بن وعلة الحمدي ، ثم اليناعي ،
عن الشعبي ، قال : كنت عند الحجاج جالساً حين دخل عليه عبد الرحمن بن
محمد بن الأشعث ، فلما رآه الحجاج قال : انظر إلى مشيتيه ، والله كهمت
أن أضرب عنقه . قال : فلما خرج عبد الرحمن خرجت فسبقته وانتظرت على
باب سعيد بن قيس السبيعي ، فلما انتهى إلى قلت : ادخل بنا الباب ،
إني أريد أن أحدثك حديثاً هو عندك بأمانة الله أن تذكره ما عاش الحجاج .
فقال : نعم ، فأخبرته بمقالة الحجاج له ؛ فقال : وأنا كما زعم الحجاج إن لم
أحاول أن أزيله عن سلطانه ، فأجهد الجهد إذ طال بي وبه بقاء .

ثم إن الحجاج أخذ في جهاز عشرين ألف رجل من أهل الكوفة ،
وعشرين ألف رجل من أهل البصرة ، وجد في ذلك وشم ، وأعطى الناس
أعطياتهم كملاً (٢) ، وأخذهم بالخيول الروائع ، والسلاح الكامل ، وأخذ في
عرض الناس ، ولا يرى رجلاً تذكر منه شجاعة إلا أحسن معونته ، فمر
عبيد الله بن أبي مخنف الثقفي على عباد بن الحصين السبيعي ، وهو مع
الحجاج يريد عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي ، وهو يعرض الناس ، فقال
(١) ١ : ه في ذلك الفرج . . . (٢) ٢ : يقال : أصلاه المال كلا ، أي كماله .

عباد: ما رأيتُ فرساً أرْوَعَ ولا أحسنَ من هذا^(١) ، وإنَّ الفرسَ قوَّةٌ وسلاحٌ وإنَّ هذه البغلةَ عكَّنداءٌ ، فزاده الحجاجُ خمسينَ وخمسمائةَ درهمٍ ، ومَرَّ به عطيةُ العنبريُّ ، فقال له الحجاجُ ؛ يا عبدَ الرحمنَ ، أحسنَ إلى هذا . فلما استتبَّ له أمرُ ذَيْنِكَ الجنديينَ ، بعثَ الحجاجُ عطاردَ بنَ عَمْرِ التميميَّ فمَسَّكَرَ بالأهوازَ ، ثُمَّ بعثَ عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ حَجَرٍ بنَ ذِي الجوشنِ العامريَّ من بني كلاب . ثُمَّ بدأ له ، فبعثَ عليهم عبدَ الرحمنَ بنَ محمدَ بنَ الأشعثِ وعزلَ عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ حجرٍ ، فَأَتَى الحجاجُ عُمَهُ إِسْمَاعِيلَ بنَ الأشعثِ ، فقال له : لا تبعثه فإني أخافُ خلافةَ ، والله ما جازَ جِيسَرَ القراتِ قطَّ فرأى لوالٍ من الولاءِ عليه طاعةَ وسلطاناً . فقال الحجاجُ : ليس هناك ، هُوَ أهيَبُ وفِي أرْغَبٍ من أن يخالِفَ أُمري ، أو يخرجَ من طاعتي ؛ فأَمْضاهُ على ذلك الجليشِ ، فخرجَ بهم حتى قَدِمَ سِجِسْتَانَ سنة ثمانينَ ؛ فجمعَ أهلها حينَ قَدِمَ مَها .

قال أبو مِخْنَفٍ : فحدَّثني أبو الزَّيْبَرِ الأرحبِيُّ - رجلٌ من هَمْدَانٍ كان معه - أنه صعدَ منبرَها فحمدَ اللهَ وأَثْنَى عليه ثُمَّ قال : أيها الناسَ ، إنَّ الأميرَ الحجاجَ ولَّاني ثغرَكم ، وأمَرَنِي بِجِهَادِ عَدُوِّكم الذي استباحَ بلادَكم وأبادَ خيارَكم ، فإياكم أن يتخلفَ منكم رجلٌ فيُحِلَّ بِنَفْسِهِ العُقوبةَ ، اخرجوا إلى معسكرِكم فمَسَّكروا به مع الناسَ . فمَسَّكَرَ الناسُ كُلَّهُمْ في معسكرِهم ووَضِعَتِ لَهمُ الأسواقُ ، وأخذَ الناسُ بِالْجِهازِ والهِبَةِ بآلةِ الحربِ ، فبلغَ ذلك رُثَيْلَ ، فكَتَبَ إلى عبدِ الرحمنَ بنِ محمدَ يعتذرُ إليه من مُصَابِ المسلمينَ ويخبره أنه كان لَئِلكَ كارهاً ، وأنهم ألجئوه إلى قتالِهم ، ويسأله الصلحَ ويعرضُ عليه أن يقبلَ منه الخراجَ ، فلم يُجِبْهِ ، وَلَمْ يَقْبَلْ منه . ولم يتشَبَّ عبدُ الرحمنَ أن سارَ في الجنودِ إليه حتى دخلَ أوَّلَ بلاده ، وأنجزَ رُثَيْلَ يَضمُ إليه جندهَ ، ويدعُ له الأرضَ رُسْتاقاً ورُسْتاقاً ، وحصناً حصناً ، وطفنقَ ابنَ الأشعثِ كلما حوى بلدًا بعثَ إليه عاملاً ، وبعثَ معه أعواناً ، ووضعَ

١٠٤٥/٢

(١) ١ : من ذا .

(٢) الطنطة : النليظة .

البرُدَ فيها بين كلِّ بلد وبلد، وجعل الأرصادَ على العقاب والشعاب، ووضع
المسالح بكلِّ مكانٍ مخوفٍ، حتى إذا جاز من أرضه أرضاً عظيمةً، وملأ
يديه من البقر والغنم والغنائم العظيمة، حبس الناسَ عن الوُغول في أرض رُئييل
وقال: نكتفي بما أصبناه العام من بلادهم حتى نجيبها ونعرفها، وتجرئ
المسلمون على طرُقها، ثم نتعاطى في العام المقبل ما وراءها، ثم لم نزل نتنقصهم
في كلِّ عام طائفةً من أرضهم حتى تقاتلهم آخر ذلك على كتوزهم وذرايعهم،
وفي أقصى بلادهم، وممنع حصونهم، ثم لا نزال بلادهم حتى يهلكهم الله.
ثم كتب إلى الحجاج بما فتح الله عليه من بلاد العدو، وبما صنع الله
للمسلمين، وبهذا الرأي الذي رآه لهم.

وأما غيرُ يونسَ بن أبي إسحاق وغيرُ من ذكرت الرواية عنه في أمر ابن
الأشعث فإنه قال في سبب ولايته سجستانَ ومسيره إلى بلاد رُئييل غير الذي
رويت عن أبي مخنف، وزعم أن السبب في ذلك كان أن الحجاج وجه
هميان بن عدى المدوسى إلى كرمان، مسلحةً لها ليمد عاملَ
سجستانَ والسند إلى مدد، فعصى هميانُ ومن معه، فوجه
الحجاج ابن الأشعث في محاربه، فهزمه، وأقام بموضعه.

ومات عبيد الله بن أبي بكر، وكان عاملاً على سجستان، فكتب
الحجاج عهداً لابن الأشعث عليها، وجهز إليها جيشاً أنفق عليهم ألفى
سوى أعطياتهم، كان يدعى جيشَ الطواويس، وأمره بالإقدام على
رُئييل.



وحجَّ بالناس في هذه السنة أبان بن عُثمان، كذلك حدثني أحمد بن
ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال
محمد بن عمر الواقدي.

وقال بعضهم: الذي حجَّ بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك.
وكان على المدينة في هذه السنة أبان بن عُثمان، وعلى العراق والمشرق كله.

الحجاجُ بن يوسف ، وعلى خراسانَ المهلب بن أبي صفرة من قبيل الحجاج ،
وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس .

• • •

وأغزى عبدُ الملك في هذه السنة ابنه الوليد .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة كان فتح قاليقلا، حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: أغزى عبد الملك سنة إحدى وثمانين ابنه عبيد الله بن عبد الملك، ففتح قاليقلا.

[ذكر الخبر عن مقتل بجير بن ورقاء بخراسان]

وفي هذه السنة قُتل بجير بن ورقاء الصرمي بخراسان.

ذكر الخبر عن مقتله :

وكان سبب قتله أن بجيرا كان هو الذي تولى قتل بكير بن وشاح أمير أمية بن عبد الله إياه بذلك، فقال عثمان بن رجاء بن جابر بن شداد أحد بني عوف بن سعد من الأبناء بمحض رجلا من الأبناء من آل بكير بالوتر: لعمرى لقد أغضبت عينا على القدي وبيت بطينا من رجيتي مروقي وخليت ثارا طلل واخترت نومة ومن شرب الصهباء بالوتر يسبق^(١) فلو كنت من عوف بن سعد ذوابة تركت بجيرا في دم متروقي بعرف فعرف أهل شاة حبلي^(٢) دغ الضان يوما قد سبقتم بوتركم وهبوا فلو أمسى بكير كنهله وقال أيضا :

فلو كان بكر بارزا في أداتيه وذى العرش لم يُقلم عليه بجير

(١) ابن الأثير : « ومن يشرب » . (٢) الحلي : « صفار الفم » .

(٣) في اللسان : « كنية جاره » : بيتة الجاني، وهي التي يطوها لون السواد لكثرة الدروع .

ففي الدهر إن أبقائي الدهر مطلبٌ وفي الله طلبٌ بذاك جديرٌ
ويبلغ بحيراً أن الأبناء يتوعلونه ، فقال :

توعدني الأبناء جهلاً كأنما يرون فيناي مُقفرًا من بني كعب
رفعتُ له كفى بحدٍّ مَهْدٌ^(١) حُسام كلون الملح ذي روثي عَضْبٍ^(٢)

١٠٤٩/٢

فذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد ، أن سبعة عشر رجلاً من
بني عوف بن كعب بن سعد تعاقدوا على الطلب بدم بكبير ، فخرج فتى
منهم يقال له الشمر ذك من البادية حتى قدم خراسان ، فنظر إلى بحير
واقفاً ، فشدّ عليه فطعنه فصرعه ، فظن أنه قد قتله ، وقال الناس : خارجي ،
فراكضتهم ، فعثر فرسه فتدثر عنه فقتل .

ثم خرج صمصة بن حرب العوفي ، ثم أحد بني جندب ، من البادية
وقد باع غنيمات له ، واشترى حماراً ، ومضى إلى سجستان فجاور
قربة لبحير هناك ولاطقتهم ، وقال : أنا رجل من بني حنيفة من أهل
اليامة ، فلم يزل يأتيهم ويخالسهم حتى أنسوا به ، فقال لهم : إن لي بخراسان
ميراثاً قد غلبت عليه ، وبلغني أن بحيراً عظيم القدر بخراسان ، فاكتبوا
لي إليه كتاباً يعينني على طلب حتى ، فكتبوا إليه ، فخرج فقدم مرو
والمهلب غاز . قال : فلقى قوماً من بني عوف ، فأخبرهم أمره ، فقام^(٣) إليه
مولي لي كبير صيقل^(٤) ، فقبل رأسه ، فقال له صمصة : اتخذ لي خنجرًا ، فعمل له
خنجرًا وأحماء وغنمته في لبس أنانٍ مراراً ، ثم شخص من مرو فقطع النهر
حتى أتى عسكر المهلب وهو بأخرون يومئذ ، فلقى بحيراً بالكتاب ، وقال :
إني رجل من بني حنيفة ، كنت من أصحاب ابن أبي بكر ، وقد ذهب
مالي بسجستان ، ولي ميراث بمرو ، فقد مت لأبيعه ، وأرجع إلى اليامة .
قال : فأمر له بنفقة وأنزله معه ، وقال له : استعن بي على ما أحببت ،
قال : أقيم عندك حتى يقفل الناس ، فأقام شهراً أو نحواً من شهر يحضر

١٠٥٠/٢

(١) ب ، ف : « يضب » . (٢) ابن الأثير : « كلون التلج » .

(٣) ب ، ف : « فقل » . (٤) المقتل : شاذ السيوف ويلاها .

معه باب المهلب ومجلسه حتى عرف به . قال : وكان بحير يخاف الفتك به ، ولا يأمن أحداً ، فلما قدم صمصعة بكتاب أصحابه قال : هو رجل من بكر بن وائل ، فأمته ، فجاء يوماً وبحير جالس في مجلس المهلب ، عليه قميص ورداء ونعلان ، فقعده خلفه ، ثم دنا منه ، فأكب عليه كأنه يكلمه ، فوجاه بخنجره في خاصرته ، فغيبه في جوفه ، فقال الناس : خارجي ! ، فنادى : يا ثارات بكير ، أنا ثائر بكير ! فأخذه أبو العجفاء بن أبي الحرقاء ، وهو يومئذ على شرط المهلب ، فأتى به المهلب فقال له : يؤسف لك ! ما أدركت بئارك ، وقتلت نفسك ، وما على بحير بأس ، فقال : لقد طعنته طعنة لو قُسمت بين الناس لما تروا ، ولقد وجدت ربح بطني في يدي ، فحبسه فلحل عليه السجن قوم من الأبناء فقبلوا رأسه . قال : ومات بحير من غد عند ارتفاع النهار ، فليل لصمصعة : مات بحير ، فقال : اصنعوا بي الآن ما شئتم ، وما بدا لكم ، أليس قد حلت نذور نساء بني عوف ، وأدركت بئاري ! لا أبالي ما لقيت ، أما والله لقد أمكنني ما صنعت خالياً غير مرة ، فكرهت أن أقتله سراً ؛ فقال المهلب : ما رأيت رجلاً أسخى نفساً بالموت صبراً من هذا ؛ وأمر بقتله أبا سريقة ابن عم لبحير ، فقال له أنس بن طلق : ١٠٥١/٢ ويحك ! قتل بحير فلا تقتلوا هذا ، فأبى وقتله ، فشتمه أنس .

وقال آخرون : بعث به المهلب إلى بحير قبل أن يموت ، فقال له أنس ابن طلحة العنسي : يا بحير ، إنك قتلت بكيراً ، فاستحي هذا ، فقال بحير : أدنوه مني ، لا والله لا أموت وأنت حي ، فأدنوه منه ، فوضع رأسه بين رجليه وقال : اصبر عفاق ، إنه شرّ باق ، فقال ابن طلحة لبحير : لعنك الله ! أكلحك فيه وتقتله بين يدي ! فطعنه بحير بسيفه حتى قتله ومات بحير ، فقال المهلب : إنا لله وإنا إليه راجعون ، غزوة أصيب فيها بحير ، فغضب عوف بن كعب والأبناء وقالوا : علام قتل صاحبنا ، وإنما طلب بئاره ! فتازعهم مقاعس والبطنون حتى خاف الناس أن يعظم البأس ، فقال أهل الحجى : احملوا دم صمصعة ، واجعلوا دم بحير بواءً ببكير

فَوَدَّوْا صَعَصَعَةً ، قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْإِنْبَاءِ يَمْدَحُ صَعَصَعَةً :
 اللَّهُ ذَرُّ فَنَّى تَجَاوَزَ هَمُّهُ دُونَ الْعِرَاقِ مَقَاوِزًا وَبُحُورًا
 مَا زَالَ يَذَّابُ نَفْسُهُ وَيَكْذِبُهَا حَتَّى تَنَاقَلَ فِي خَرُونٍ بَحِيرًا
 قَالَ : وَخَرَجَ عَبْدُ رَبِّهِ الْكَبِيرُ أَبُو وَكَيْعٍ ، وَهُوَ مِنْ رَهْطِ صَعَصَعَةٍ إِلَى
 الْبَادِيَةِ ، فَقَالَ لِرَهْطِ بَكَيْرٍ : قُتِلَ صَعَصَعَةٌ بِطَلْبِهِ بِلَمِ صَاحِبِكُمْ ،
 فَوَدَّوْهُ ، فَأَخَذَ لَصَعَصَعَةٍ دَيْتَيْنِ .

[ذكر الخبر عن خلاف ابن الأشعث على الحجّاج]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث
 الحجّاجَ ومن معه من جنود العراق ، وأقبلوا إليه لحربه في قول أبي مخنف ،
 وروايته لذلك عن أبي المخارق الراسبي ، وأما الواقدي فإنه زعم أن ذلك كان
 في سنة اثنتين وثمانين .

• ذكر الخبر عن السبب الذي دعا عبد الرحمن بن محمد إلى ما فعل
 من ذلك وما كان من صنيعه بعد خلافة الحجّاج في هذه السنة :
 قد ذكرنا فيما مضى قبل ما كان من عبد الرحمن بن محمد في بلاد رُتْبِيلَ ،
 وكتابه إلى الحجّاج بما كان منه ^(١) هناك ، وبما عُرِضَ ^(٢) عليه من الرأي فيما
 يستقبل من أيامه في سنة ثمانين ^(٣) ، ونذكر الآن ما كان من أمره في سنة إحدى
 وثمانين في رواية أبي مخنف ، عن أبي المخارق .

ذكر هشام عن أبي مخنف قال : قال أبو المخارق الراسبي : كتب
 الحجّاج إلى عبد الرحمن بن محمد جواب كتابه :

أما بعد ، فإن كتابك أثناني ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وكتابك كتاب
 امرئ يحب الهدنة ، ويستريح إلى المواجهة ، قد صانع عدواً قليلاً قليلاً ، قد
 أصابوا من المسلمين جنوداً كان بلاؤهم حسنةً ، وغنائمهم في الإسلام عظيمةً .
 لعمرك يا ابن أم عبد الرحمن ؛ إنك حيث تكف عن ذلك العدو يُجْنِدِي وَحْدَتِي

١٠٠٣/٢

لسخى النفس عمن أصيب من المسلمين . إلى لم أعد رأيتك الذى زعمت أنك رأيتك رأى مكيلة ، ولكنى رأيت أنه لم يملكك عليه إلا ضحكك ، والنيات رأيتك ، فامضى لما أمرتك به من الغول فى أرضهم ، والهدم لحصونهم ، وقتل مقاتلتهم ، وسبى قذاريهم .

ثم أردفه كتاباً فيه :

أما بعد ، فمر من قبلك من المسلمين فليحرثوا وليقيموا ، فإنها دارهم حتى يفتحها الله عليهم .

ثم أردفه كتاباً آخر فيه :

أما بعد ، فامضى لما أمرتك به من الغول فى أرضهم ، وإلا فإن إسحاق ابن محمد أخاك أمير الناس ، فخله وما وليته .

فقال حين قرأ كتابه : أنا أحمل ثقل إسحاق ، فمرص له ، فقال : لا تمقل ، فقال : ورب هذا - يعنى المصحف - لئن ذكرته لأحد لأكلتلك . فظن أنه يريد السيف ، فوضع يده على قائم السيف ، ثم دعا الناس إليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إلى لكم ناصح ، ولصالحكم محبوب ، ولكم فى كل ما يحيط بكم نفعه ناظر ، وقد كان من رأيي فيما بينكم وبين عدوكم رأى استشرت فيه ذوى أحلامكم ، وأولى التجربة للحرب^(١) منكم ، فرضوه لكم رأياً ، ورأوه لكم فى العاجل والآجل صلاحاً ، وقد كتبت^(٢) إلى أميركم الحاجاج ، فجاءني منه كتاب يعجزني ويضعني ، ويأمرني بتعجيل الغول بكم فى أرض العدو ، وهى البلاد التى هلك إخوانكم فيها^(٣) بالأمس ، ولما أنا رجل منكم أمضى إذا مضيت ، وآبى إذا أبيت . فثار إليه الناس فقالوا : لا ، بل نأبى على عدو الله ، ولا نسمع له ولا نطيع .

١٠٠٤/٢

قال أبو مخنف : فحدثني مطرف بن عامر بن وائلة الكنانى أن أباه كان أول متكلم يومئذ ، وكان شاعراً خطيباً ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أما بعد ، فإن الحاجاج والله ما يترى بكم إلا ما رأى القاتل الأول إذ قال

(١) ب ، ف : « منكم الحرب » . (٢) ب ، ف : « بطلت » .

(٣) ب ، ف : « فيها إخوانكم » .

لأخيه : احمِلْ عبدك على الفرس ، فإن هلك هلك ، وإن نجا فلك . إن الحجاج والله ما يبالي أن يخاطر بكم فيقحمكم بلاداً كثيرة اللُهب والهُبوب^(١) ، فإن ظفرت فغنم أكمل البلاد وحاز المال ، وكان ذلك زيادة في سلطانه ، وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعلاء البغضاء الذي لا يبالي عنهم ، ولا يبق عليهم ، انقطعوا عدو الله الحجاج وبايعوا عبد الرحمن ، فلما شهدكم أني أول خالع . فنادى الناس من كل جانب ، فعلنا فعلنا ، قد خلعتنا عدو الله ، وقام عبد المؤمن بن شبيب بن ربيعة التميمي ثانياً — وكان على شريطة حين أقبل — فقال : عباد الله ، إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم ، وجحمتكم تجمير فرعون الجنود ، فإنه بلغني أنه أول من جمر البعوث ، ولن تعانوا الأحبة^(٢) فيها أرى أو يموت أكثركم^(٣) . بايعوا أميركم ، وانصرفوا إلى عدوكم فاقفوه عن بلادكم ، فوثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه ، فقال : تبايعوني على خلع الحجاج عدو الله وعلى النصر لي وجهاده معي حتى ينفيته الله من أرض العراق . فبايعه الناس ، ولم يذكر خلع عبد الملك إذ ذاك بشيء .

١٠٥٥/٢

قال أبو مخنف : حدثني عمر بن ذر القاصي أن أباه كان معه هناك ، وأن ابن محمد كان ضربه وجسه لاقطاعه كان إلى أخيه القاسم بن محمد ، فلما كان من أمره الذي كان من الخلاف دعاه فحمله وكساه وأعطاه ، فأقبل معه فيمن أقبل ، وكان قاصداً خطيباً .

قال أبو مخنف : حدثني سيف بن بشر العجلي ، عن المنخل بن حابس العبدي أن ابن محمد لما أقبل من سجستان أمر على بسط عياض ابن هيمان البكري ، من بني سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ، وعلى زرتج عبد الله بن عامر التميمي ثم الدارمي ، ثم بعث إلى رثيل ، فصالحه على أن ابن الأشعث إن ظهر فلا خراج عليه أبداً ما بقي ، وإن هزم فأراده الجلاء عنده .

(١) اللهب : جمع لهب ، وهو وجه من الجبل لا يمكن ارتقاؤه ، والهبوب : جمع هبوب ، وهو مضيق البردي .

(٢-٣) ب ، ف : « فيها أرى أو يموت أكثركم » .

قال أبو ميخنف : حدثني خُثَيْبَةُ بْنُ الْوَلِيدِ الْعَمِّيَّ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ لَمَّا خَرَجَ مِنْ سِجِسْتَانَ مَقْبِلًا إِلَى الْعِرَاقِ سَارِيَيْنَ يَدِيهِ الْأَعَشَى عَلَى فَرَسٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

شَطَطْتُ نَوَى مِنْ دَارِهِ بِالْإِيوَانِ إِيوَانِ كِسْرَى ذِي الْقُرَى وَالرَّيْحَانِ^(١) ١٠٥٦/٢
مِنْ عَاشِقٍ أَمْسَى بِزَابُلِسْتَانَ إِنَّ ثَقِيفًا مِنْهُمْ الْكَذَّابَانِ
كَذَّابُهَا الْمَاضِي وَكَذَّابُ ثَانٍ أَمْكَنَ رَبِّي مِنْ ثَقِيفٍ هَمْدَانِ
يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ يُسَمِّلِي مَا كَانَ إِنَّا سَمَوْنَا لِلْكَفُورِ الْفَتَّانِ
حِينَ طَعَنِي فِي الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِالسَّيِّدِ الْفَطْرِيفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
سَارَ بِجَمْعٍ كَالدَّهْبِيِّ مِنْ فَحْطَانِ^(٢) وَمِنْ مَعَدٍّ قَدْ أَتَى أَبْنِ عَدْنَانَ
بِجَحْظَلٍ جَمٍّ شَدِيدِ الْإِرْنَانَ^(٣) فَقُلْ لِحِجَّاجٍ وَلِيَّ الشَّيْطَانِ
يُثْبِتُ لَجَمْعٍ مَنُحْجِرٍ وَهَمْدَانِ فَلِإِنِّهِمْ سَاقُوهُ كَأَسَى الذَّيْفَانِ

• وَلِحِجَّوُهُ بَقَرَى ابْنِ مَرْوَانَ •

١٠٥٧/٢

قال : وَبَعَثَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ عَطِيَّةَ بْنِ عَمْرٍو الْعَنْبَرِيَّ ، وَبَعَثَ الْحِجَّاجَ إِلَيْهِ الْخَلِيلَ ، فَجَعَلَ لَا يَلْقَى خِيَلًا إِلَّا هَزَمَهَا ، فَقَالَ الْحِجَّاجُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ لَهُ : عَطِيَّةٌ ، فَذَلِكَ قَوْلُ الْأَعَشَى :

فَإِذَا جَعَلْتَ ثُرُوبًا فَارِسَ خَلْفَهُمْ دُرْبًا فَدَرَبًا^(١)
فَابْعَثْ عَطِيَّةً فِي الْخِيُو لِي يُكَبِّهَنَّ عَلَيْكَ كَبًّا
ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَقْبَلَ يَسِيرُ بِالنَّاسِ ، فَسَأَلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّيِّمِيِّ ، وَكَانَ قَدْ كَتَبَهُ فِي أَصْحَابِهِ ، وَكَانَ يَقُولُ : أَنْتَ خَالِي ، فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَأْتِيهِ فَقَدْ سَأَلَ عَنْكَ ! فَكَرِهَ أَنْ يَأْتِيَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى مَرَّ بِكَرْمَانَ فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ خُمْرَةً ابْنُ عَمْرٍو التَّمِيمِيُّ ، وَنَزَلَ أَبُو إِسْحَاقَ بِهَا ، فَلَمْ يَدْخُلْ فِي فِتْنَتِهِ حَتَّى كَانَتْ

(١) هُوَ أَحْسَنُ هَمْدَانَ ، وَانْظُرِ الْأَخْفَى ٦ : ٥٩ ، ٦٠ ، فَهَذَا رَوَايَةٌ مُخَالَفَةٌ .

(٢) الدَّهْبِيُّ : الْجَرَادُ ، وَذَلِكَ الْأَخْفَى : « كَالْقَطَا » .

(٣) الْإِرْنَانُ : الْفَرْسُ وَالْجَلْبَةُ .

الجمام ، ولما دخل الناس فارس اجتمع الناس بعضهم إلى بعض ، وقالوا :
إنا إذا خلعتنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعتنا عبد الملك ، فاجتمعوا إلى
عبد الرحمن ، فكان أول الناس .

قال أبو مخنف فيما حدثني أبو الصلت التيمي : خلع عبد الملك بن
مروان تيحان بن أبيجر من بني تيم الله بن ثعلبة ، فقام فقال : أيها الناس ،
إني خلعت أبا ذبيان^(١) كخلعتي قميصي ، فخلعه الناس إلا قليلا منهم ،
ووثبوا إلى ابن محمد فبايعوه ، وكانت بيعته : ثبايعون على كتاب الله سنة
نبيه وخلع أئمة الضلالة^(٢) وجهاد المخلفين ، فإذا قالوا : نعم بايع . فلما
بلغ الحجاج خلعه كتب إلى عبد الملك يخبره خبر عبد الرحمن بن محمد بن
الأشعث ، ويسأله أن يعجل بعثة الجنود إليه ، وبعث كتابه إلى عبد الملك
يتمثل في آخره بهذه الأبيات ، وهي للحارث بن وعلّة :

١٠٥٨/٢

سَائِلٌ مُجَاوِرَ جَزْمٍ هَلْ جَنَيْتُ لَهُمْ حَرْبًا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَبَرَةِ الْخُلُطِ^(٣)
وَهَلْ سَمَوْتُ بِجَرَّارٍ لَهُ لَجِبٌ^(٤) جَمَّ الصَّوَاهِلُ بَيْنَ الْجَمِّ وَالْفَرْطِ^(٥)
وَهَلْ تَرَكْتُ نِسَاءَ الْحَيِّ ضَاحِيَةً فِي سَاحَةِ الدَّارِ يَسْتَوْقِدُنَ بِالْغُبُطِ^(٦)
وجاء حتى نزل البصرة . وقد كان بلغ المهلب شقاق عبد الرحمن وهو
بسيجستان ، فكتب إليه :

١٠٥٩/٢

أما بعد ، فإنك وضعت رجلك يا بن محمد في غرر طويل النخى على أمة
محمد صلى الله عليه وسلم . الله الله فانظر^(٧) لنفسك لا تهلكها ، ودماء
المسلمين فلا تسفكها ، وإجماعة فلا تفرقها ، والبيعة فلا تنكسها ،
فإن قلت : أخاف الناس على نفسي فالله أحق أن تخافه عليها من الناس ،
فلا تعرضها لله في ستمك دم ، ولا استحلل حرم والسلام عليك .

(١) أبو ذبيان ، كنيته عبد الملك بن مروان ، وكان يئز بها . وانظر ثمار القلوب ٢٤٦

(٢) ب ، ف : « وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم » .

(٣) الأغاني ١٩ : ١٤٠ . (٤) الأغاني : « أم هل علوت » .

(٥) الأغاني : « ينشئ المخارم بين السهل والفرط » .

(٦) الأغاني : « حتى تركت » . (٧) ب ، ف : « انظر » .

وكتب المهلب إلى الحجاج :

أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك وهم مثل السيل المنحدر من عل ، وليس شيء يردّه حتى ينتهي إلى قراره ، وإن لأهل العراق شيرة في أول مخرجهم ، وصباية إلى أبنائهم ونسائهم ، فليس شيء يردّهم حتى يسقطوا إلى أهلهم ، ويشموا أولادهم ، ثم واقفهم عندها ، فإن الله ناصرٌ عليهم إن شاء الله .

فلما قرأ كتابه قال : فعّل الله به وفعل ، لا والله ما لي نظّر . ولكن لابن عمّه نصّح . لما وقع كتاب الحجاج إلى عبد الملك هاله ثم نزل عن سريره وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، ودعاه فأقرأه الكتاب ، ورأى ما به من الجزع ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كان هذا الحدث من قبيل سجستان ، فلا تخفه ، وإن كان من قبيل خراسان تخوّفته . قال : فخرج إلى الناس فقام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

١٠٦٠/٢

إن أهل العراق طال عليهم عمري فاستعجّلوا قدري . اللهم سلط عليهم سيوف أهل الشام حتى يبلغوا رضاك ، فإذا بلغوا رضاك لم يعاوزوا إلى سخطك . ثم نزل .

وأقام الحجاج بالبصرة وتجهّز ليكفي ابن عمّه ، وترك رأى المهلب وفرسان^(١) الشام يسقطون إلى الحجاج ، في كلّ يوم مائة وخمسون وعشرة وأقلّ على البرد من قبيل عبد الملك ، وهو في كلّ يوم تسقط إلى عبد الملك كتبه ورسله بخبر ابن محمد أي كورة نزل ، ومن أي كورة يرتحل ، وأي الناس إليه أسرع .

قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج أن مكتبه كان بكرمان ، وكان بها أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة وأهل البصرة ، فلما مرّ بهم ابن محمد بن الأشعث ، انجملوا معه ، وعزم الحجاج رأيه على استقبال ابن الأشعث ، فصار بأهل الشام حتى نزل تستر ، وقلم بين يديه مطهر بن حرّ العكيّ — أو الجندائي — وعبد الله بن رميثة الطائي ، ومطهر على الفريقين ، فجاءوا حتى انتهوا إلى دجيل ، وقد قطع عبد الرحمن بن محمد خيلا له ،

عليها عبد الله بن أبان الحارثي في ثلثة فارس - وكانت مسلحة له ولالجند - فلما انتهى إليه مطهر بن حرّ أمر عبد الله بن رُمَيْثَةَ الطائي فأقدم عليهم ، فهزمت خيل عبد الله حتى انتهت إليه ، وجرح أصحابه .

١٠٦١/٢

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الزبير الهمداني ، قال : كنت في أصحاب ابن محمد إذ دعا الناس وجمعهم إليه . ثم قال : اعبروا إليه من هذا المكان ، فأقم الناس خيولهم دجيل من ذلك المكان الذي أمرهم به ، فوالله ما كان بأسرع من أن عبّر عظم خيولنا ، فما تكاملت حتى حملنا على مطهر بن حرّ والطائي فهزمتاهما يوم الأضحى في ستة إحدى وثمانين وقتلناهم قتلاً ذريعاً ، وأصبنا عسكرهم ، وأتت الحجاج الهزيمة وهو يخطب ، فصعد إليه أبو كعب بن عبيد بن سرجيس فأخبره بهزيمة الناس ، فقال : أيتها الناس ، ارتحلوا إلى البصرة إلى معسكر ومقاتل وطعام ومادة ، فإن هذا المكان الذي نحن به لا يحمل الجند . ثم انصرف راجعاً وبعثه خيول أهل العراق ، فكلما أدركوا منهم شاذاً قتلوه ، وأصابوا ثقيلاً حووه ، وبضى الحجاج لا يتكوى على شيء حتى نزل الزاوية ، وبعث إلى طعام التجار بالكلاء ^(١) فأخذه فحمله إليه ، ونحى البصرة لأهل العراق . وكان عامله عليها الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي . وجاء أهل العراق حتى دخلوا البصرة . وقد كان الحجاج حين صدم تلك الصلعة وأقبل راجعاً دعا بكتاب المهلب ، فقرأه ثم قال : لله أبوه ! أي صاحب حرب هو ! أشار علينا بالرأى ، ولكننا لم نقبل .

* * *

وقال غير أبي مخنف : كان عامل البصرة يومئذ الحكم بن أيوب على الصلاة والصدقة ، وعبد الله بن عامر بن مسمع على الشرط ، فسار الحجاج في جيشه حتى نزل رُسْتَمْبَاز وهي من دَسْتَوَى من كور الأهواز ، فمسكرها ، وأقبل ابن الأشعث فقتل تسّر ، وبينهما نهر ، فوجه الحجاج مطهر ابن حرّ العسكي في ألني رجل ، فأوقعوا بمسلحة لابن الأشعث ، وسار ابن

١٠٦٢/٢

(١) الكلاء : سوق بالبصرة .

الأشعث مبادراً، فواقعتهم، وهي عشية عرفة من سنة إحدى، وثمانين فيقال :
لأنهم قتلوا من أهل الشام ألفاً وخمسمائة ، وجاءه الياقون منهزمين ، ومعه
يومئذ مائة وخمسون ألف ألف، ففرقها في قوادسه، وضمتهم لياها، وأقبل
منهزماً إلى البصرة. وخطب ابن الأشعث أصحابه فقال : أما الحجاج فليس
بشيء ، ولكننا نريد غزو عبد الملك ، وبلغ أهل البصرة هزيمة الحجاج ،
فأراد عبد الله بن عامر بن مسمع أن يقطع الجسر دونه ، فرشاه الحكيم
ابن أيوب مائة ألف ، فكف عنه . ودخل الحجاج البصرة ، فأرسل إلى
ابن عامر فانتزع المائة الألف منه .

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف عن أبي الزبير المصنف .
فلما دخل عبد الرحمن بن محمد البصرة بايعه على حرب الحجاج ،
وخطع عبد الملك جميع أهلها من قرأتها وكهولها ، وكان رجل من الأزديين
الجهاضيم يقال له عتبة بن عبد الغافر له صحابة ، فتزايغ^(١) عبد الرحمن
مستصراً في قتال الحجاج ، وحنث الحجاج عليه ، وحنث عبد الرحمن
على البصرة . وكان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة من سنة
إحدى وثمانين .

وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك ، كنا حدثني أحمد
ابن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك
قال الواقدي ، وقال : في هذه السنة وليد ابن أبي ذئب .

وكان العامل في هذه السنة على المدينة أبان بن عثمان ، وعلى العراق
والمشرق الحجاج بن يوسف ، وعلى حرب خراسان المهلب ، وعلى خراسانها
المغيرة بن مهلب من قبيل الحجاج ، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن
أبي موسى ، وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين

ذكر الخبر عن الكائن من الأحداث فيها

* * *

[خبر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث بالزاوية]

فمن ذلك ما كان بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد من الحروب بالزاوية. ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو الزبير المصنف قال: ١٠٦٤/٢ كان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة، واقتتلوا في المحرم من سنة اثنتين وثمانين، فزاحفوا ذات يوم، فاشتد قتالهم. ثم إن أهل العراق هزمهم حتى انتهوا إلى الحجاج، وحتى قاتلهم على خنادقهم، وانهمزت عامة قريش وثقيف، حتى قال عبيد بن موهب مولى الحجاج وكتابه:

فر البراء وابن عمه مضعب وفرت قريش غير آل سعيد
ثم إنهم تزاحفوا في المحرم في آخره في اليوم الذي هزم فيه أهل العراق
أهل الشام، فنكصت ميمنتهم وميسرتهم، واضطربت رماحهم، وتفرقت
صفهم، حتى دنوا منّا، فلما رأى الحجاج^(١) ذلك جثا على ركبتيه، وانشقى نحواً
من شبر من سيفه، وقال: لله در مضعب! ما كان أكرمه حين نزل به
ما نزل! فعلت أنه والله لا يريد أن يفر. قال: ففغزيت أبي بعيني ليأذن
لي فيه فأضربه بسيفي، ففغزيت غمزة شديدة، فسكنت^(٢)، وحانت مني
التفاته، فإذا سفيان بن الأبرد الكلبي قد حمل عليهم فهزتهم من قبيل
الميمنة، فقلت: أبشر أيها الأمير، فإن الله قد هزم العدو. فقال لي: قم
فانظر، قال: فقم فنظرت؛ فقلت: قد هزمهم الله، قال: قم يا زياد
فانظر، قال: فقام فنظر فقال: الحق أصلحك الله يقيناً^(٣) قد هزموا،
فخر ساجداً، فلما رجعت شتمني أبي وقال: أردت أن تهلكني وأهل بيتي.

١٠٦٥/٢

(١) ب، ف: «فلما رأى ذلك الحجاج». (٢) س: «سكنت».

(٣-٢) ب، ف: «أيها الأمير أصلحك الله».

وقتل في المعركة عبد الرحمن بن عَوْصَجَة أَبُو سُفْيَانِ التَّهْمِيّ ، وقَتَلَ عَقِبَةَ
ابن عبد الغافر الْأَزْدِيّ ثُمَّ الْجَهْضَمِيّ ، في أولئك القراء في رِبْضَةِ^(١) وَاحِدَةٍ ،
وقَتَلَ عبد الله بن رِزَامَ الْحَارِثِيّ ، وقَتَلَ الْمُنْذِرُ بنُ الْجَارُودِ ، وقَتَلَ عبد الله
ابن عامر بن مِسْمَعٍ ، وأَتَى الْحِجَاجُ بِرَأْسِهِ ، فقال : مَا كُنْتُ أَرَى هَذَا فَارَقَنِي
حَتَّى جِئَنِي الْآنَ بِرَأْسِهِ ؛ وَبَارَزَ سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ رَجُلًا
يُومِئِدُ فَقَتَلَتْهُ ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ مَوْلَى الْفَضْلِ^(٢) بْنِ عَبَّاسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ
ابن عبد المطلب ، كَانَ شَجَاعًا يُدْعَى نُصَيْرًا ، فَلَمَّا رَأَى مِشِيَّتَهُ بَيْنَ
الصَّفَيْنِ ، وَكَانَ يُلُومُهُ عَلَى مِشِيَّتِهِ قَالَ : لَا أَلُومُهُ عَلَى هَذِهِ الْمِشْيَةِ أَبَدًا .

وقَتَلَ الطَّفِيلُ بْنُ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ ، وَقَدْ كَانَ قَالَ وَهُوَ بِفَارَسَ يَقْبَلُ مَعَ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنْ كَرَمَانَ إِلَى الْحِجَاجِ :

أَلَا طَرَقْتَنَا بِالْغَرِيضِ بَعْدَمَا كَلَلْنَا عَلَى شَحَطِ الْمَزَارِ جُنُوبُ
أَتَوْكَ يَقْدُودُونَ الْمَنَابِا وَإِنَّمَا هَلَّتْهَا بِأَوَّلَاتِنَا إِلَيْكَ ذُنُوبُ
وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ اللَّهِ فِي دَارِ الْقَرَارِ نَصِيبُ
أَلَا أَبْلِغِ الْحِجَاجَ أَنَّ قَدْ أَظْلَمَ عَذَابُ بَائِلِدَى الْمُؤْمِنِينَ مُصِيبُ
مَنْ نَهَبَ الْمَصْرِينَ يَهْرُبُ مُحَمَّدٌ وَلَيْسَ بِمُنْجَى ابْنِ اللَّعِينِ هُرُوبُ
قَالَ : مَنِيتُنَا أَمْرًا كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّكَ أَوْلَى بِهِ ، فَعَجَّلْ لَكَ فِي الدُّنْيَا ،
وَهُوَ مَعَذِبُكَ فِي الْآخِرَةِ . وَانْهَزَمَ النَّاسُ ، فَأَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ نَحْوَ الْكُوفَةِ وَتَبِعَهُ
مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَتَبِعَهُ أَهْلُ الْقُوَّةِ مِنْ أَصْحَابِ الْخَيْلِ مِنْ
أَهْلِ الْبَصْرَةِ .

ولَمَّا مَضَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ نَحْوَ الْكُوفَةِ وَتَبَّ أَهْلُ الْبَصْرَةِ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبإيعاده ، فقاتل بهم خمس
ليالٍ الحِجَاجَ أَشَدَّ قِتَالٍ رَأَى النَّاسُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَلَحَقَ بِابْنِ الْأَشْعَثِ ،
وَتَبِعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَلَحِقُوا بِهِ ، وَخَرَجَ الْخَرِيشُ بْنُ هَلَالِ السَّعْدِيِّ
وَهُوَ مِنْ بَنِي أَنْفِ النَّاقَةِ — وَكَانَ جَرِيحًا — إِلَى سَقَوَانَ فَاتَّ مِنْ جِرَاحَتِهِ ،

(١) الرِبْضَةُ بِكَسْرِ الرَّاءِ وَسُكُونِ الْيَاءِ ؛ مَقْتَلُ كُلِّ قَوْمٍ قَتَلُوا فِي بَقْعَةٍ وَاحِدَةٍ .

(٢) ط : « الْفَضْل » ، تَصْغِيرٌ .

وَقُتِلَ فِي الْمَرْكَهَ زِيَادُ بْنُ مُقَاتِلِ بْنِ مِسْمَعٍ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَقَامَتْ حَمِيلَةُ ابْنَتُهُ تَسْلِيَهُ ، وَكَانَ عَلَى خُمْسِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَعَلَى الرَّجَالِ ، فَقَالَتْ :

وَحَامَى زِيَادٌ عَلَى رَأَيْتِهِ^(١) وَفَرَّ جُدَىُّ بْنُ الْعَنْبَرِ
فَجَاءَ الْبَلْتَعُ السَّعْدِيُّ فَسَمِعَهَا وَهِيَ تَسْدُبُ أَبَاهَا ، وَتَعِيبُ التَّمِيمِيَّ ، فَجَاءَ
وَكَانَ يَبِيعُ سَمْنًا بِالْمِيرْبَدِ ، فَتَرَكَ سَمْنَهُ عِنْدَ أَصْحَابِهِ ، وَجَاءَ حَتَّى قَامَ تَحْتَهَا
فَقَالَ :

عَلَامٌ تَلْوِمِينَ مَنْ لَمْ يَلِمَ تَطَاوُلَ لَيْلُكَ مِنْ مُقْصِرٍ !
فَإِنْ كَانَ أَرْدَى أَبَاكَ السَّنَانُ فَقَدْ تَلَحَّقَ الْخَيْلُ بِالْمَنْبَرِ
وَقَدْ تَنْطَحُ الْخَيْلُ تَحْتَ الْعَجَا جَ غَيْرَ الْبَرِّ وَلَا الْمُعْلِرِ
وَنَحْنُ مَعَنَا لَوَاءَ الْحَرِيشِ وَطَاحَ لَوَاءُ بَنِي جَحْدِرِ

فَقَالَ عَامِرُ بْنُ وَائِلَةَ يَرَى ابْنَهُ طُفَيْلًا :

خَلَى طُفَيْلٌ عَلَى الْهَمِّ فَانْشَعَبَا وَهَذَا ذَلِكَ رُكْنِي هَذِهِ عَجَبَا^(٢)
وَإِنِّي سُمِيَّةٌ لَا أَنْسَاهُمَا أَبَدًا فِيمَنْ نَسِيتُ وَكُلَّ كَانَ لِي نَصَبَا^(٣)
وَأَخْطَأَتْنِي الْمَنَايَا لَا تَطَالَعُنِي حَتَّى كَبُرْتُ وَلَمْ يَتْرُكْنِي لِي نَشَبَا
وَكُنْتُ بَعْدَ طُفَيْلٍ كَالَّذِي نَقَبْتُ عَنْهُ الْمَيَّاهُ وَفَاضَ الْمَاءُ فَانْقَضَبَا
فَلَا بَعِيرَ لَهُ فِي الْأَرْضِ يَرْكَبُهُ وَإِنْ سَعَى لَئِنْ مَنْ قَدْ فَاتَهُ لَغَبَا
وَسَارَ مِنْ أَرْضِ خَاقَانَ الَّتِي غَلَبَتْ أَبْنَاءَ فَارِسٍ فِي أَرْبَائِهَا غَلَبَا
وَمِنْ مَجِسْتَانَ أَسْبَابُ تُزَيَّنَهَا لَكَ الْمَيَّةُ حَيْنًا كَانَ مُجْتَلَبَا
حَتَّى وَرَدَتْ حِيَاضُ الْمَوْتِ فَانْكَشَفَتْ عَنْكَ الْكَتَائِبُ لَا تَخْفَى لَهَا عَقَبَا
وَعَاثَرْتُكَ صَرِيحًا رَهْنِ مَعْرَكَةٍ تُرَى التُّسُورُ عَلَى الْقَتْلِ بِهَا عُصَبَا

(١) ط : « حامى » . (٢) الأغاني ١٥ : ١٥٣ ، مع اختلاف في الرواية .

(٣) الأغاني : « نصبا » .

تَعَاهَدُوا ثُمَّ لَمْ يُؤْفُوا بِمَا عَاهَدُوا وَأَسْلَمُوا لِلْعَدُوِّ السَّبْيَ وَالسَّلْبَا
يَا سَوْعَةَ الْقَوْمِ إِذْ تُسَبَّى نِسَاؤُهُمْ وَهُمْ كَثِيرٌ يَرَوْنَ الْخَزْيَ وَالْحَرْبَا

قال أبو مخنف : فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل
الثقفي أن الحجاج أقام بقيّة المحرم وأول صفر، ثم استعمل على البصرة أيوب
ابن الحكم بن أبي عقيل، ومضى ابن الأشعث إلى الكوفة، وقد كان الحجاج
خلف عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي، حليف حرب
ابن أمية على الكوفة .

قال أبو مخنف— كما حدثني يونس بن أبي إسحاق : إنه كان على أربعة
آلاف من أهل الشام .

قال أبو مخنف : فحدثني سهم بن عبد الرحمن الجهمي أنهم كانوا
ألفين ، وكان حنظلة بن الوارد من بني رياح بن يربوع التميمي وابن عتاب
ابن ورقاء على المدائن ، وكان مطر بن ناجية من بني يربوع على المعوية ،
فلما بلغه ما كان من أمر ابن الأشعث أقبل حتى دنا من الكوفة ، فتحصن
منه ابن الحضرمي في القصر ، ووثب أهل الكوفة مع مطر بن ناجية باين
الحضرمي ومن معه من أهل الشام فحاصروهم ، فصالحوه على أن يخرجوا ويخلّوه
والقصر ، فصالحهم .

قال أبو مخنف : فحدثني يونس بن أبي إسحاق أنه رأى يترلون من
القصر على المسجل، وفتح باب القصر لمطر^(١) بن ناجية، فآذ حتم الناس على
باب القصر، فزحم مطر على باب القصر، فاخترط سيفه، فضرب به جحفلته
بغل من بغال أهل الشام وهم يخرجون من القصر ، فألقى جحفلته ودخل
القصر ، واجتمع الناس عليه فأعطاهم مائتي درهم . قال يونس : وأنا رأيته
تقسم بينهم، وكان أبو السرفين أعطيها . وأقبل ابن الأشعث منهزمًا إلى
الكوفة ، وتبعه الناس إليها .

(١) ب ، ف : « لمطر » .

[وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث]

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة كانت وقعة دِيرِ الجَمَامِج بين الحجاج وابن الأشعث في قول بعضهم. قال الواقدي: كانت وقعة دِيرِ الجَمَامِج في شعبان من هذه السنة، وفي قول بعضهم: كانت في سنة ثلاث وثمانين. ذكر الخبر عن ذلك وعن سيب مصيب ابن الأشعث إلى دِيرِ الجَمَامِج وذكر ما جرى بينه وبين الحجاج بها:

ذكر هشام عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو الزبير المَسْدَانِيُّ ثُمَّ الأَرَجِيُّ، قال: كُنْتُ قد أَصَابْتُ جِرَاحَةً، وخرج أهل الكوفة يستقبلون ابن الأشعث حين أَقْبَلَ، فاستقبلوه بعد ما جازَ قنطرةَ زبارا^(١)، فلما دنا منها قال لي: إن رأيتَ أن تعدلَ عن الطريق — فلا يرى الناسُ جراحَتَكَ فلني لا أحبُّ أن يستقبلهم الجرحى — فافعل. فعدلتُ ودخلُ الناسُ، فلما دخل الكوفة مالَ إليهِ أهلُ الكوفة كلهم، وسبقتُ همدانَ إليهِ، فحضتُ به عند دارِ عمرو بنِ حُرَيْثٍ إلا طائفةً من نِعمَ لَيْسُوا بالكثيرِ قد أَتَوْا مطرَ بنَ ناجية، فأرادوا أن يقاتلوا دونَه، فلم يُطِيقُوا قتالَ الناسِ. فدعا عبد الرحمن بالسلامة والعجل، فوَضَعْتُ لِيَصْعَدَ الناسُ القَصْرَ، فصعدَ الناسُ القصرَ فَأَخَذُوهُ، فَأَتَى بِهِ عبد الرحمن بنُ عمدة، فقال له: استبقني فلني أَفْضَلُ فُرْسانِكَ وأَعْظَمُهُمْ عُنْكَ غَنَاءً؛ فَأَمَرَ بِهِ فَحُبِسَ، ثُمَّ دَعَا بِهِ بعد ذلك فعفا عنه. وبأبعه مطرٌ، ودخلَ الناسُ إليهِ فبايعوه، وسقطَ إليهِ أهلُ البصرة، وتَصَوَّصَتْ إليهِ المَسَالِحُ والثغور، وجاءه فيمن جاءه من أهل البصرة عبد الرحمن ابنُ العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وعرفَ بذلك، وكان قد قاتل الحجاج بالبصرة بعد خروج ابن الأشعث ثلاثاً، فبلغ ذلك عبد الملك ابنُ مروان، فقال: قاتل الله عدِيَّ الرَّحْمَنِ، إنه قد فرَّ! وقاتل غلماناً من غلمان قريش بعده ثلاثاً. وأقبل الحجاج من البصرة فسار في البرِّ حتى مرَّ بين القادسية والعُدَيْب، ومنَعُوهُ من نزول القادسية، وبعثَ إليهِ عبد الرحمن بنُ محمد بن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من خيل المصريين

(١) ب: «زبارا» ، س: «ديارا» .

فنعوه من نزول القادسية ، ثم سايروه حتى ارتفعوا على وادى السباع ، ثم تسايروا حتى نزل الحجاج دبّر قُرّة ، ونزل عبد الرحمن بن العباس دبّر الجماج ، ثم جاء ابن الأشعث فنزل دبّر الجماج والحجاج بدبّر قُرّة ، فكان الحجاج بعد ذلك يقول : أما كان عبد الرحمن يزجر الطير حيث رأى نزلت دبّر قُرّة ، ونزل دبّر الجماج !

واجتمع أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الثغور والمسالخ بدبّر الجماج والقرءاء من أهل المصرين ، فاجتمعوا جميعاً على حرب الحجاج ، وجمعتهم عليه بغضهم والكراهية له ، وهم إذ ذاك مائة ألف مقاتل عن يأخذ العطاء ، ومعهم مثلهم من مواليتهم . وجاءت الحجاج أيضاً أمداده^(١) من قبيل عبد الملك من قبل أن ينزل دبّر قُرّة ، وقد كان الحجاج أراد قبل أن ينزل دبّر قُرّة أن يرتفع إلى هيت وفاحية الجزيرة لإرادة أن يقرب من الشام والجزيرة فيأتيه المدد من الشام من قريب ، ويقرب من رقاغة سحر الجزيرة ، فلما مر بدبّر قُرّة قال : ما بهذا المنزل بعد من أمير المؤمنين ، وإن القلايج وعين الثمر إلى جنبنا . فنزل فكان في عسكره مخند قما وابن محمد في عسكره مخند قما ، والناس يخرجون في كل يوم فيقتلون ، فلا يزال أحدهما يلدني خنلقه نحو صاحبه ، فإذا رآه الآخر خنلق أيضاً ، وأدنى خنلقه من صاحبه . واشتد القتال بينهم . فلما بلغ ذلك رموس قریش وأهل الشام قبيل عبد الملك ومواليه قالوا : إن كان إنما يرخصي أهل العراق أن يتزع عنهم الحجاج ، فإن نزع الحجاج أيسر من حرب أهل العراق ، فانزع عنهم تخلص لك طاعتهم ، وتحقق به دماءنا ودماءهم . فبعث ابنه عبد الله بن عبد الملك ، وبعث إلى أخيه محمد بن مروان بأرض الموصل يأمره بالقدوم عليه ، فاجتمعا جميعاً عنده ؛ كلاهما في جنبهما ، فأمرهما أن يعرضا على أهل العراق نزع الحجاج عنهم ، وأن يجري عليهم أعطياتهم كما تجرى على أهل الشام ، وأن ينزل ابن محمد أي بلد من عراق شاء ، يكون عليه والياً ما دام حيّاً ، وكان عبد الملك والياً ؛ فإن هم قبلوا ذلك عزل عنهم الحجاج ، وكان محمد بن مروان

أمير العراق ، وإن أبوا أن يقبلوا فالحجّاج أمير جماعة أهل الشام وولى القتال ، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته . فلم يأت الحجّاج أمر قط كان أشد عليه ولا أغيظ له ولا أوجع لقلبه منه مخافة أن يقبلوا فيحزّل عنهم ، فكتب إلى عبد الملك :

يا أمير المؤمنين ، والله لئن أعطيت أهل العراق نزعى لا يلبثون إلا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدكم ذلك إلا سبأً عليك ، ألم تر وتسمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر على ابن عفّان ، فلما سألهم ما يريدون قالوا : نزع سعيد بن العاص ، فلما نزع لم تتم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه ! إن الحديد بالحديد يفتلح . خار الله لك فيما ارتأيت . والسلام عليك . ١٠٧٤/٢

فأتى عبد الملك لآ عرض هذه الخصال على أهل العراق إرادة العافية من الحرب . فلما اجتمعوا مع الحجّاج خرج عبد الله بن عبد الملك فقال : يا أهل العراق ، أنا عبد الله بن أمير المؤمنين ، وهو يعطيكم كذا وكذا ، فذكر هذه الخصال التي ذكرنا . وقال محمد بن مروان : أنا رسول أمير المؤمنين إليكم ، وهو يعرض عليكم كذا وكذا ، فذكر هذه الخصال . قالوا : نرجع العشية ، فرجعوا فاجتمعوا عند ابن الأشعث ، فلم يبق قائد ولا رأس قوم ولا فارس إلا أنه ، فحمد الله ابن الأشعث وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد ، فقد أعطينكم أمراً انتهزكم اليوم إياه فرصة ، ولا آمن أن يكون على ذي الرأي غداً حسرة ، وإنكم اليوم على النصف وإن كانوا اعتدوا بالزاوية فأنتم تعتدون عليهم بيوم تستر ، فاقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزاء أفوياء ، والقوم لكم هائبون وأنتم لم تنتصيون^(١) . فلا والله^(٢) لا زلتم عليهم جرأاً ، ولا زلتم عندهم أعزاء ، إن أنتم قبلتم أبداً ما بقيتم . ١٠٧٥/٢

فوثب الناس من كل جانب ، فقالوا : إن الله قد أهلكهم ، فأصبحوا في

(١) ب : « منتصيون » .

(٢) ب ، ف : « فوالله » .

الأزَل والفضنك والمجاعة والقلة واللذة ، ونحن ذوو العدد الكثير ، والسعر الرخيص^(١) ، وللمادة القريبة ، لا والله لا تقبل .

فأعادوا خطمه ثانية . وكان عبد الله بن ذؤيب السلمي وعمير بن تبحان أول من قام بخلعه في الجماع ، وكان اجتماعهم على خطمه بالجماع^(٢) أجمع من خلعه إياه بفارس .

فرجع محمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك إلى الحجاج فقالا : شأنتك بعسكرك وجندك فاعمل برأيك ، فإننا قد أمرنا أن نسمح لك ونطيع ، فقال : قد قلت لكما : إنه لا يراد بهذا الأمر غيركما ، ثم قال : إنما أقاتل لكما . وإنما سلطاني سلطانكما ، فكانا إذا لقياه مسلما عليه بالإمرة ، وقد زعم أبو يزيد السكسكي أنه إنما كان أيضا يسلم عليهما بالإمرة إذا لقيتهما ، وخطياه والحرب فتولاها .

قال أبو مخنف : فحدثني الكلبي محمد بن السائب أن الناس لما اجتمعوا بالجماع سمعت عبد الرحمن بن محمد وهو يقول : ألا إن بني مروان يعمرون بالزرقاء ، والله ما لم نسب أصح منه إلا أن بني أبي العاص أعلج من أهل صفورية ، فإن يكن هذا الأمر في قريش فعني ففئت بيضة قريش ، وإن يك في العرب فأنا ابن الأشعث بن قيس — ومد بها صوته يسمع الناس — وبرزوا للقتال ، فجعل الحجاج على ميمته عبد الرحمن ابن سليم الكلبي ، وعلى ميسرته حمارة بن تميم الأحمي ، وعلى خيله سفيان ابن الأبرد الكلبي ، وعلى رجاله عبد الرحمن^(٣) بن حبيب^(٤) الحكمي ، وجعل ابن الأشعث على ميمته الحجاج بن جارية الخثمي ، وعلى ميسرته الأبرد بن قرّة التميمي ، وعلى خيله عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث الهاشمي ، وعلى رجاله محمد بن سعد بن أبي وقاص ، وعلى محففته^(٥) عبد الله بن رزام الحارثي ، وجعل على القراء جبيلة بن زحر بن قيس الجهمي ،

(١) السعر الرخيص : السهل . (٢) ب ، ف : « يدبر الجماع » .

(٣) ب ، ف : « الله » . (٤) ابن الأثير : « حبيب » .

(٥) الخيل المحففة : التي عليها التجفاف ، وهو ما جلل به من سلاح .

وكان معه خمسة عشر رجلاً من قریش ، وكان فيهم عامر الشعبي ، وسعيد ابن جبیر ، وأبو البخترى الطائي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى .

ثم إنهم أخذوا يتزاحفون في كل يوم ويقتلون ، وأهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة ومن سوادها فيا شاموا من خيصبيهم ، وإنخوانهم من أهل البصرة وأهل الشام في ضيق شديد ، قد غلت عليهم الأسعار ، وكلّ عندهم ، الطعام ، وفقدوا اللحم ، وكانوا كأنهم في حصار ، وهم على ذلك يُغادون أهل العراق ويرأو حوّنهم ، فيقتلون أشد القتال ، وكان الحجاج يُلنى خنقه مرة وهؤلاء أخرى ، حتى كان اليوم الذي أصيب فيه جبيلة بن زحر . ثم إنه بعث إلى كميل بن زياد النخعي وكان رجلاً ركيناً وقوراً عند الحرب ، له بأس وصوت في الناس ، وكانت كتيبته تدعى كتيبة القراء ، يُحمل عليهم فلا يكادون يبرحون ، ويحملون فلا يكذبون ، فكانوا قد عرفوا بذلك ، فخرجوا ذات يوم كما كانوا يخرجون ، وخرج الناس ، فعبى الحجاج أصحابه ، ثم زحف في صفوفه ، وخرج ابن محمد في سبعة صفوف بعضها على أثر بعض ، وعبى الحجاج لكتيبة القراء التي مع جبيلة بن زحر ثلاث كتائب ، وبعث عليها الجراح بن عبد الله الحكسي ، فأقبلوا نحوهم . ١٠٧٧/٢

قال أبو مخنف : حدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : أنا والله في الخيل التي عبّيت لجلبة بن زحر ، قال : حملنا عليه وعلى أصحابه ثلاث حملات ، كل كتيبة تحمل حملة ، فلا والله ما استنقصنا منهم شيئاً .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة المغيرة بن المهلب]

وفي هذه السنة توفى المغيرة بن المهلب بخراسان .

ذكر علي بن محمد ، عن الفضل بن محمد ، قال : كان المغيرة بن المهلب خطبة أبيه بمرو على تمكله كله ، فأت في رجب سنة اثنتين وثمانين ، فأق الخبر يزيد ، وعلمه أهل المسكر فلم يُخبروا المهلب ، وأحب يزيد أن يبلغه ، فأمر النساء فصرحن ، فقال المهلب : ما هذا ؟ فقيل : مات المغيرة ،

فاسترجع ، وجترع حتى ظهر جزعه عليه ، فلا مة بعض خاصته ، فدعا يزيد فوجهته إلى مرو ، فجعل يوصيه بما يعمل ودموعه تتحدّر على لحيته . وكتب الحجاج إلى المهلب يعزّيه عن المغيرة ، وكان سيّداً ، وكان ١٠٧٨/٢ المهلب يوم مات المغيرة مقبلاً بكيس وراء النهر لحرب أهلها .

قال : فسار يزيد في ستين فارساً - ويقال : سبعين - فيهم مجاعة بن عبد الرحمن العتكي ، وعبد الله بن معمر بن سمير اليشكري ، ودينار السجستاني ، وأهيم بن المنخل الجرموزي ، وغزوان الإسكاف صاحب زم - وكان أسلم على يد المهلب - وأبو محمد الزمي ، وعطية - مولى لعتيك - فلقيتهم خمسمائة من الترك في مقبرة نسف ، فقالوا : ما أنتم ؟ قالوا : تجار ، قالوا : فأين الأتقال ؟ قالوا : قد منها ؛ قالوا : فأعطونا شيئاً ، فأبى يزيد ، فأعطاهم جماعة ثوباً وكرابيس وقوساً ، فأنصرفوا ثم غدرُوا وعادوا إليهم ، فقال يزيد : أنا كنت أعلم بهم فقاتلهم ، فاشتد القتال بينهم ، ويزيد على فرس قريب من الأرض ، ومعه رجل من الخوارج كان يزيد أخذه ، فقال : استبقي ، فن عليه ، فقال له : ما عندك ؟ فحمل عليهم حتى خالطهم وصار من ورائهم وقد قتل رجلاً ، ثم كرّ فخالطهم حتى قتلهم وقتل رجلاً ثم رجع^(١) إلى يزيد . وقتل يزيد عظيمًا من عظمائهم . ورى يزيد في ساقه ، واشتدت شوكتهم ، وهرب أبو محمد الزمي ، وصبر لم يزيد حتى حاجزوه ، وقالوا : قد غدرنا ، ولكن لا ننصرف حتى نموت جميعاً أو نموتوا أو تعطونا شيئاً ، فحلف يزيد لا يعطيهم شيئاً ، فقال مجاعة : أدرك الله ، قد هلك المغيرة ، وقد رأيت ما دخل على المهلب من مصابه ، فأشكلك الله أن تصاب اليوم !

قال : إن المغيرة لم يعد أجلبه ، ولست أعلو أجلى . فرى إليهم جماعة يعمامة صفراء فأخذوها وأنصرفوا ، وجاء أبو محمد الزمي بفوارس وطعام ، فقال له يزيد : أسلمتنا يا أبا محمد ؛ فقال : إنما ذهبت لأجيئكم بمدّ وطعام ، فقال الراجز :

يزيدُ يا سيفَ أبي سعيدٍ قد علمَ الأقوامُ والجنودُ
والجمعُ يومَ المجمعِ المشهودِ أنك يومَ التركِ صلبُ العودِ
وقال الأشقرى :

والتركُ تعلمُ إذ لاقى جُموعَهُمُ أنَ قد لقوهُ شهاباً يَفْرَجُ الظُّلَمَا
بِفِتْيَةٍ كَأَسْوَدِ الغابِ لم يَجِدُوا غيرَ التَّاسِي وغيرَ الصَّبْرِ مُعْتَصِمَا
نرى سُرَاجَ تَغَشَى القومَ من علقِ وما أرى نبوةً منهم ولا كَرَمَا
وتحتَهُمُ قَرَحٌ يَرْكَبُنَ ما رَكِبُوا من الكَرِيهَةِ حتى يَنْتَلِعِنَ دَمَا
في حَازَةِ المَوْتِ حتى جَنُّ لَيْلُهُمُ كِلَا الفَرِيقَيْنِ ما وَلَّى ولا انْهَزَمَا

وفي هذه السنة صالح المهلب أهل كس^(١) على فِدْيَةٍ، ورحل عنها يريد مرواً .

ذكر الخبر عن سبب انصراف المهلب عن كس

ذكر علي بن محمد ، عن الفضل بن محمد ، أن المهلب اتهم قوماً من مضر فحبسهم وقتل من كس وخلفهم ، وخلف حرث بن قطبة مولى خزاعة ، وقال : إذا استوفيت الفدية فرد عليهم الرهن . وقطع النهر فلما صار ببلخ أقام بها وكتب إلى حرث : إني لست آمن إن رددت عليهم الرهن أن يغيروا عليك ، فإذا قبضت الفدية فلا تخلي الرهن حتى تقدم أرض بلخ . فقال حرث للملك كس : إن المهلب كتب إلى أن احبس الرهن حتى أقدم أرض بلخ ، فإن عجلت لي ما عليك سلمت إليك رهائتك ، وسرت فأخبرته أن كتابه ورد ، وقد استوفيت ما عليكم ، ورددت عليكم الرهن ، فعجل لهم صلحتهم ، ورد عليهم من كان في أيديهم منهم . وأقبل فعرض لهم الترك ، فقالوا : أفد نفسك ومن معك ، فقد لقينا

(١) ط : « كس » ، وكس مدينة تقارب مروند .

يزيد بن المهلب قدّسَ قسّه. فقال حرّيث: ولدتني إذا أمّ يزيد! وقَاتَلْتَهُمْ قَتَلْتَهُمْ، وأَمَرَ مِنْهُمْ أَسْرَى قَتَلُوهُمْ، فَنَ تَ عَلَيْهِمْ وَخَلَّاهُمْ، وَرَدَّ عَلَيْهِمُ الْقِيَاءَ. وَبَلَغَ الْمُهَلَّبَ قَوْلُهُ: وَلِدْتَنِي أُمُّ يَزِيدَ إِذَا، فَقَالَ: يَا نَفَّ الْعَبْدُ أَنْ تَكْلَهُ رَحِمَهُ! وَغَضِبَ.

فلما قدم عليه بَلَخَ قَالَ له: أَيْنَ الرَّهْنُ؟ قَالَ: قَبِضْتُ مَا عَلَيْهِمْ وَخَلَّيْتُهُمْ، قَالَ: أَلَمْ أَكُتِّبْ إِلَيْكَ أَلَّا تَخْلِيَهُمْ! قَالَ: أَنَا نِي كِتَابُكَ وَقَدْ خَلَّيْتُهُمْ، وَقَدْ كَفَيْتُ مَا خَفْتُ، قَالَ: كَذِبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَقَرَّبْتَ إِلَيْهِمْ وَإِلَى مَلَكَهِمْ فَأَطْلَعْتَهُ عَلَى كِتَابِي إِلَيْكَ. وَأَمَرَ بِتَجْرِيدِهِ، فَجَنَزَعَ مِنَ التَّجْرِيدِ حَتَّى ظَنَّ الْمُهَلَّبُ أَنَّ بِهِ بَرَصًا، فَجَرَّدَهُ وَضَرَبَهُ ثَلَاثِينَ سَوْطًا. فَقَالَ حُرَيْثٌ: وَدِدْتُ أَنَّهُ ضَرَبَنِي ثَلَاثَةَ سَوْطٍ وَلَمْ يَمِزْ دَنِي، أَنَفَاءً وَاسْتِحْيَاءً مِنَ التَّجْرِيدِ، وَحَلَفَ لِيَقْتُلَنِي الْمُهَلَّبُ.

فَرَكِبَ الْمُهَلَّبُ يَوْمًا وَرَكِبَ حُرَيْثٌ، فَأَمَرَ غُلَامَيْنِ لَهُ وَهُوَ يَسِيرُ خَلْفَ الْمُهَلَّبِ أَنْ يَضْرِبَاهُ، فَأَبَى أَحَدُهُمَا وَتَرَكَهُ وَانْصَرَفَ، وَلَمْ يَمِزْهُ الْآخَرُ لَمَّا صَارَ وَحْدَهُ أَنْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ لَغُلَامِهِ: مَا مَنَعَكَ مِنْهُ؟ قَالَ: الْإِشْفَاقُ وَاللَّهُ عَلَيْكَ، وَاللَّهِ مَا جَزَعْتُ عَلَى نَفْسِي، وَعَلِمْتُ أَنَا إِنَّ قَتْلَانَهُ أَنْكَ سَتَقْتُلُ وَتَقْتُلُ، وَلَكِنْ كَانَ نَظَرِي لَكَ، وَلَوْ كُنْتُ أَهْلِمُ أَنْكَ تَسْلَمُ مِنْ الْقَتْلِ لَقَتَلْتُهُ.

قَالَ: فَفَرَّكَ حُرَيْثٌ إِيَّانَ الْمُهَلَّبِ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ وَجِعٌ، وَبَلَغَ الْمُهَلَّبَ ١٠٨٢/٢ أَنَّهُ تَمَارَضَ وَأَنَّهُ يَرِيدُ الْقَتْلَ بِهِ، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ لِثَابِتِ بْنِ قَطْلَةَ: جَنِّ بِأَخِيكَ، فَإِنَّمَا هُوَ كِبَاحُ وَلَدِي عِنْدِي، وَمَا كَانَ مَا كَانَ مَعِيَ إِلَيْهِ إِلَّا نَظَرًا لَهُ وَأَدَبًا، وَلَوْ بَمَا ضَرِبْتُ بَعْضَ وَلَدِي أَوْدَهُ بِهِ. فَأَنَّى ثَابِتُ أَخَاهُ فَنَاشَدَهُ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَرْكَبَ إِلَى الْمُهَلَّبِ، فَأَبَى وَخَافَهُ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَجِيئُهُ بَعْدَ مَا صَنَعَ بِي مَا صَنَعَ، وَلَا أَمْسُهُ وَلَا يَأْمُسُنِي. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَخُوهُ ثَابِتُ قَالَ لَهُ: أَمَا إِنَّكَ كَانَ هَذَا رَأْيُكَ فَأَخْرَجَ بَنِي إِلَى مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَازِمٍ، وَخَافَ ثَابِتُ أَنْ يَقْتُلَ حُرَيْثٌ بِالْمُهَلَّبِ فَيَقْتُلُوا جَمِيعًا، فَخَرَجَا فِي ثَلَاثَةِ نَفْسَيْنِ شَاكِرَتَهُمَا وَالْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِمَا مِنَ الْعَرَبِ.

[خبر وفاة المهلب بن أبي صفرة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة توفي المهلب بن أبي صفرة .

• ذكر الخبر عن سبب موته ومكان وفاته :

قال علي بن محمد : حدثني المفضل ، قال : مضى المهلب منصرفاً من كسّ يريد مرواً ، فلما كان بزاعول من مرو الرّوذ أصابته الشّوصة — وقوم يقولون : الشّوكة^(١) — قلداً حبيباً ومن حنّضه من ولده ، ودعا بسهام فحنّضت ، وقال : أترونكم كاسريها مجتمعة ؟ قالوا : لا ، قال : أفرونكم كاسريها متفرقة ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فهكنا الجماعة ، فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرّحيم ، فإن صلة الرّحيم تنسي في الأجل ، وتشرى المال ، وتكثر العدة ؛ وأنهم عن القطيعة ، فإن القطيعة تُعقب النار ، وتورث الذلّة والقلّة ، فتحابوا وتواصلوا ، وأجمعوا أمرهم ولا تختلفوا ، وتباروا بتجتمع أموركم ؛ إن بني الأم يختلفون ، فكيف بيني والعلات ! عليكم بالطاعة والجماعة ، وليكن فعالكم أفضل من قولكم ، فإنّي أحبّ للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه ، واتفقوا الجواب وزلّة اللسان ، فإنّ الرجل تزلّ قلمه فيتعش من زلّته ، ويزلّ لسانه فيهلك . اعرفوا لمن يفتاكم حقّه ، فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له ، وآثروا الجود على البخل ، وأحيوا العرب واصطنعوا العرف ، فإنّ الرجل من العرب تعدّه العدة فيموت دونك ، فكيف الصنعة عنده ! عليكم في الحرب بالأنانة والمكيلة ، فإنها أفزع في الحرب من الشجاعة ، وإذا كان اللقاء نزل القضاء ، فإنّ أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوه قيل : أتى الأمر من وجهه ، ثمّ ظفر فحمّد ، وإن لم يتظفر بعد الأنانة قيل : ما فرط ولا ضيغ ، ولكنّ القضاء غالب . وعليكم بقراءة القرآن ، وتعليم السنن ، وأدب الصّالحين ، وإياكم والخيفة وكثرة الكلام في مجالسكم ، وقد استخلفت عليكم يزيد ، وجعلت حبيباً على الجند حتى يتقدم بهم على يزيد ، فلا تحالفوا يزيد ، فقال له المفضل : لو لم تقدّمه لقدّمناه .

(١) في اللسان : الشّوصة : ريح تأخذ الإنسان في لحمه تجول مرة هنا ومرة هنا ، ومرة في الجنب ومرة في الظهر ومرة في الحواشي . وفيه أيضاً : « الشّوكة داء كالطاعون » .

ومات المهلب وأوصى إلى حبيب، فصلّى عليه حبيب، ثم سار إلى مرو.
 وكتب يزيد إلى عبد الملك ب وفاة المهلب واستخلافه إياه، فأقره الحجاج^(١).
 ويقال: إنه قال عند موته ووصيته: لو كان الأمر إلىّ لوليتُ سيد ولدِي
 حبيباً. قال: وتوفّي في ذى الحجة سنة الثنتين وثمانين. فقال نهار بن
 تميم التميمي:

أَلَا ذَهَبَ الْغَزْوُ الْمُقَرَّبُ لِلْفَتَى ومات الندى والجودُ بعد المهلب^(٢)
 أَقَامَا بِمَرْوِ الرُّؤْيُ رَهْنَى ضَرْبِهِ وقد غُيِّبَا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
 إِذَا قِيلَ أَيْ النَّاسِ أُولَى بِنِعْمَةٍ عَلَى النَّاسِ؟ قَلْنَاهُ وَلَمْ نَنْتَهِيْ
 أَبَاحَ لَنَا سَهْلَ الْبِلَادِ وَحَزَنَهَا بِخَيْلٍ كَأَسَالِ الْقَطَا الْمُتَمَرِّبِ
 يُعْرِضُهَا لِلطَّعْنِ حَتَّى كَانَمَا يُجَلِّلُهَا بِالْأَرْجَوَانِ الْمُخَضَّبِ
 تُطِيفُ بِهِ قَحْطَانٌ قَدْ عَصَبَتْ بِهِ وَأَحْلَافُهَا مِنْ حَيٍّ بِكَرٍ وَتَغْلِيْ
 وَحَيًّا مَعْدٌ عَوْدٌ يَلْوَاهُ يُقْدُونَهُ بِالنَّفْسِ وَالْأُمِّ وَالْأَبِ

* * *

وفي هذه السنة ولي الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب خراسان بعد
 موت المهلب.

وفيها عزل عبد الملك أبان بن عثمان عن المدينة؛ قال الواقدي: عزله
 عنها ثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة.

قال: وفيها ولي عبد الملك هشام بن إسماعيل المخزومي المدينة. وعزل
 هشام بن إسماعيل عن قضاء المدينة لما وليها نوفل بن مساحق العامري، وكان
 يحيى بن الحكم هو الذي استقصاه على المدينة، فلما عزل يحيى وولّيتها أبان
 ابن عثمان أقره على قضائها؛ وكانت ولاية أبان المدينة سبع سنين وثلاثة
 أشهر وثلاث عشرة ليلة، فلما عزل هشام بن إسماعيل نوفل بن مساحق
 عن القضاء ولى مكانه عمرو بن خالد الزبرقي.

(١) ابن الأثير: «فلما توفّي كتب ابنه يزيد إلى الحجاج يطلبه بفقته، فآقر يزيد على خراسان».

(٢) البيت الأول والثاني في كتاب المصنوعين ٤٤٣.

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبانُ بنُ عثمان ، كذلك حدثني أحمدُ بنُ ثابت عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
 وكان على الكوفة والبصرة والمشرق الحجاجُ ، وعلى خراسان يزيدُ بنُ المهلب من قبل الحجاج .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

[خبر هزيمة ابن الأشعث بدير الجماجم]

فما كان فيها من ذلك هزيمة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بدير الجماجم ١٠٨٦/٧

• ذكر الخبر عن سبب انهزامه :

ذكر هشام بن محمد، عن أبي غنّف، قال: حدثني أبو الزبير الميماني، قال: كنت في خيبل بجيلة بن زحل، فلما حَمَلَ عليه أهل الشام مرة بعد مرة، نادانا^(١) عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه فقال: يا معشر القراء، إن الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم، إني سمعتُ علياً^(٢) - رفع الله درجته في الصالحين، وأثابه^(٣) أحسن ثواب الشهداء والصدّيقين^(٤) - يقول يوم لقينا أهل الشام: أيها المؤمنون، إنه من رأى عدواناً يُعْمَلُ به، ومُنْكَرًا يُنْعَى إليه، فأنكره بفكّيه فقد سلم وبسّره، ومن أنكر بلسانه فقد أُجِر، وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليّة وكلمة الظالمين السفليّة، فذلك الذي أصاب مَبِيلَ المهدي، ونور في قلبه اليقين^(٥). فقاتلوا هؤلاء المُحِلِّين المُحْدِثِينَ المبتدعين الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفونه، وعملوا بالعدوان فليس يُنْكَرُونَهُ.

وقال أبو البختري: أيها الناس، قاتلوه على دينكم ودنياكم، فوالله لن تظهروا عليكم لِئُفْسِدُنْ عليكم دينكم، وليَغْلِبَنَّ على دنياكم.

وقال الشعبي: يا أهل الإسلام، قاتلوه ولا يأخذكم حرج من قتالهم،

(١) ب: «نادى يا»، ابن الأثير: «نادى جيلة يا».

(٢) ب: «علي بن أبي طالب». (٣-٢) ب: «ثواب الصديقين وشهداء».

(٤) نهج البلاغة ٢: ٢٢٤.

فوالله ما أعلم قوماً على بَسِيطِ الأرض أَعْمَلَ بِظُلْمٍ ، ولا أَجَوَرَ مِنْهُمْ في الْحُكْمِ^(١) ، فليكن بهم البدار . ١٠٨٧/٢

وقال سعيد بن جُبَيْر : قَاتِلُوهم وَلَا تَأْتُوا مِنْ قِتَالِهِمْ بَنِيَّةً وَيَقِينٌ ، وَعَلَى آثَامِهِمْ قَاتِلُوهم عَلَى جَوَرِهِمْ فِي الْحُكْمِ ، وَتَجْبِرْهُمْ فِي الدِّينِ ، وَاسْتَدْلَالِهِمُ الضُّعْفَاءَ ، وَإِمَاتَتِهِمُ الصَّلَاةَ .

قال أبو مخنف ، قال أبو الزبير : فَتَهَيَّأْنَا لِلْحَمَلَةِ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَنَا جَبَلَةٌ : إِذَا حَمَلْتُمْ عَلَيْهِمْ فَاحْمِلُوا حِمْلَةً صَادِقَةً ، وَلَا تَرُدُّوا وُجُوهَكُمْ عَنْهُمْ حَتَّى تُرَاقِعُوا صَفْهَهُمْ . قال : فَحَمَلْنَا عَلَيْهِمْ حِمْلَةً يَمْدُ مِنْهَا فِي قِتَالِهِمْ ، وَقُوَّةٌ مِنْهُمْ ، فَضْرِبْنَا الْكَتَائِبَ الثَّلَاثَ حَتَّى اشْفَرَّتْ^(٢) ، ثُمَّ مَضَيْنَا حَتَّى وَاقَعْنَا صَفْهَهُمْ فَضْرِبْنَاهُمْ حَتَّى أَزَلْنَاهُمْ عَنْهُ ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا فَرَرْنَا بِجَبَلَةٍ صَرِيحًا لَا تَدْرِي كَيْفَ قُتِلَ .

قال : فَهَدَّأْنَا ذَلِكَ وَجَبْنًا فَوَقَعْنَا مَوْقِعَنَا الَّذِي كُنَّا بِهِ ، وَإِنْ قُرَأْنَا لِمُتَوَفَّرِينَ ، وَنَحْنُ نَتَنَاصَى جَبَلَةَ بْنِ زَحَرٍ بَيْنَنَا ، كَأَنَّمَا فَقَدْ بِهِ كُلٌّ وَاحِدٌ مِنْ أَبَاهُ أَوْ أُنْجَاهُ ، بَلْ هُوَ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ كَانَ أَشَدَّ عَلَيْنَا فَقَدْ أَدَّ . فقال لنا أَبُو الْبَخْتَرِيِّ الطَّائِي : لَا يَسْتَيْبِنَنَّ فِيكُمْ قَتْلُ جَبَلَةَ بْنِ زَحَرٍ ، فَإِنَّمَا كَانَ كَرَجُلٍ مِنْكُمْ أَنْتُمْ مَنِيتُهُ لِيَوْمِهَا ، فَلَمْ يَكُنْ لِيَتَقَدَّمَ يَوْمُهُ وَلَا لِيَتَأَخَّرَ عَنْهُ ، وَكُلَّكُمْ ذَائِقُ مَا ذَاقَ ، وَمَدْعُوٌّ فَجِيبٌ . قال : فَانْظَرْتُ إِلَى^(٣) وَجْهِ الْقُرَاءِ فَلِذَا الْكَأَبَةَ عَلَى وُجُوهِهِمْ بَيِّنَةٌ ، وَإِذَا أَلْسِنَتُهُمْ مَنْقُطِيَّةٌ ، وَإِذَا الْقَسَلُ فِيهِمْ قَدْ ظَهَرَ ، وَإِذَا أَهْلُ الشَّامِ قَدْ سَرُّوا وَجَدُوا ، فَتَادُوا^(٤) : يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ ، قَدْ هَلَكْتُمْ ، وَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ طَاغُوتَكُمْ^(٥) . ١٠٨٨/٢

قال أبو مخنف : فَحَدَّثَنِي أَبُو يَزِيدَ السَّكْسَكِيُّ أَنَّ جَبَلَةَ حِينَ حَمَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ عَلَيْنَا انْكَشَفْنَا ، وَتَبِعُونَا ، وَافْتَرَقَتْ مِنْهُ فِرْقَةٌ فَكَانَتْ^(٦) نَاحِيَةً ، فَانْظَرْنَا فَلِذَا أَصْحَابَهُ يَتَّبِعُونَ أَصْحَابَنَا ، وَقَدْ وَقَفَ لِأَصْحَابِهِ لِيَرْجِعُوا إِلَيْهِ عَلَى

(١) ب : بِحُكْمٍ . (٢) اشْفَرَّتْ : افترقت . (٣) ب : وَفِي . (٤) ب : ف : وَفَنَادُونَا . (٥) ب : ف : وَطَائِفَتِكُمْ . (٦) ب : ف : وَقَالَتْ .

رأس رهوة ، فقال بعضنا ، هذا والله جبيلة بن زحر ، احملاوا عليه ما دام أصحابه مشاغلي بالقتال عنه لعلكم تصيرونه . قال : فحملنا عليه ، فأشهد ما وكى ، ولكن حمل علينا بالسيف . فلما هبط من الرهوة^(١) شجرتنا بالرماح فأذرتنا عن فرسه فوقع قتلا ، ورجع أصحابه ، فلما رأيناهم مقبلين تنحيتم عنهم ، فلما رأوه قتلا رأينا من استرجاعهم وجزعهم ما قررت به أعيننا ، قال : فتبيننا ذلك في قتالهم إيانا وخرجهم إلينا .

* * *

قال أبو مخنف : حدثني مهم بن عبد الرحمن الجهشي ، قال : لما أصيب جبيلة هذ الناس مقتله ، حتى قدم علينا بسطام بن مصقلة بن هيرة الشيباني ، فشجع الناس مقدمه ، وقالوا : هذا يقوم مقام جبيلة ، فسمع هذا القول من بعضهم أبو البخري ، فقال : قُبْحَم ! إن قتل منكم رجل^(٢) واحد ظننتم أن قد أحيط بكم ، فإن قُتل الآن ابن مصقلة ألقستم بأيديكم إلى التهلكة ، وقلم : لم يبق أحد يقاتل معه ! ما أحلكم أن يختلف رجائنا فيكم ! وكان مقدم بسطام بن الرزي ، فالتقى هو وقتية في الطريق ، فدعاه فتبىة إلى الحججاج وأهل الشام ، ودعاه بسطام إلى عبد الرحمن وأهل العراق ، فكلاهما أبي على صاحبه ، وقال بسطام : لأن أموت مع أهل العراق أحب إلي من أن أعيش مع أهل الشام ، وكان قد نزل ماسبكان ؛ فلما قدم قال لابن محمد : أمرتني على خيل ربيعة ؛ ففعل ، فقال لهم : يا معشر ربيعة ، إن في شرسفة عند الحرب فاحتملوا لي - وكان شجاعا - فخرج الناس ذات يوم ليقتلوا ، فحمل في خيل ربيعة حتى دخل عسكرهم ، فأصابوا فيهم نوحا من ثلاثين امرأة من بين أمة وسرية ، فأقبل بهن حتى إذا دنا من عسكره ردتهن ، فجئن ودخلن عسكر الحججاج ، فقال : أولي لم ! منع القوم نساءهم ، أما لولم يردوهن كسيت نساؤهم غدا إذا ظهرت . ثم اقتتلوا يوما آخر بعد ذلك ، فحمل عبد الله بن مليل المسملي في خيل له حتى دخل

(١) ب ، ف : « الرهو » ، والرو : ما اطلن من الأرض وارتفع ماحوله .

(٢) ب ، ف : « رجل واحد منكم » .

عسكرهم فبنا ثمانى عشرة امرأة ، وكان معه طارق بن عبد الله الأسدي - وكان رامياً - فخرج شيخ من أهل الشام من فسطاطه ، فالتحق الأسدي يقول لبعض أصحابه : استر منى ^(١) هذا الشيخ لعلنى أرميه أو أحمل عليه فأطعته ، فإذا الشيخ يقول رافعاً صوته : اللهم لئمتنا وإياهم بعافية ؛ فقال الأسدي : ما أحب أن أقتل مثل هذا ، فتركه ، وأقبل ابن مليل بالنساء غير بعيد ، ثم خطى سبيلهن أيضاً ، فقال الحجاج مثل مقالته الأولى .

١٠٩٠/٢

قال هشام : قال أبي : أقبل الوليد بن نحيث الكلبي من بني عامر في كنية إلى جبيلة بن زحر ، فانحط عليه الوليد من رابية - وكان جسماً ، وكان جبيلة رجلاً ربعة - فالتقيا ، فضربه على رأسه فسقط ، وانهرم أصحابه وجيء برأسه .

قال هشام : فحدثني بهذا الحديث أبو مخنف وصيانة الكلبي ، قال : لما جىء برأس جبلة بن زحر إلى الحجاج حسكه على رعين ثم قال : يا أهل الشام ، أبشروا ، هذا أول الفتح ، لا والله ما كانت فتنة قط فخبث حتى يقتل فيها عظيم من عظماء أهل اليمس ، وهذا من عظمائهم . ثم خرجوا ذات يوم فخرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة ، فخرج إليه الحجاج ابن بجارية ، فحمل عليه ، فطعنه فأذراه ، وحمل أصحابه فاستنقذوه ، فإذا هو رجل من خشمم يقال له أبو الدرداء ، فقال الحجاج بن بجارية : أما إنى لم أعرفه حتى وقع ، ولو عرفته ما بارزته ، ما أحب أن يصاب من قوى مثله . وخرج عبد الرحمن بن عوف الرقاسي أبو حميد فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه ابن عم له من أهل الشام ، فاضطربا بسيفيهما ، فقال كل واحد منهما : أنا الغلام الكلبي ، فقال بكل واحد منهما لصاحبه : من أنت ؟ فلما تساءلا تحاجزاً . وخرج عبد الله بن رزام الحارثي إلى كتيبة الحجاج ، فقال : اخرجوا إلى رجلا رجلاً ، فأخرج إليه رجل ، فقتله ثم فعل ذلك ثلاثة أيام ، يقتل كل يوم رجلاً ، حتى إذا كان اليوم الرابع

١٠٩١/٢

أقبل ، فقالوا : قد جاء لا جاء الله به ! فدعا إلى المبارزة ، فقال الحجاج للجرّاح : اخرج إليّ ، فخرج إليه ، فقال له عبد الله بن رزام وكان له صديقاً : ويحك يا جرّاح ! ما أخرجك إليّ ! قال : قد ابتليت بك ، قال : فهل لك في خير ؟ قال : ما هو ؟ قال : أنهزم لك فترجع إلى الحجاج وقد أحسنت عنده وحيدك ، وأما أنا فإني أحتمل مقالة الناس في انهزامي عنك حباً لسلامتك ، فإني لا أحب أن أقتل من قومي مثلك ، قال : فافعل ، فحمل عليه فأخذ يستطرد له — وكان الحارثي قد قطعت ثلثته ، وكان يعضّش كثيراً ، وكان معه غلام له معه إداوة من ماء ، فكلّما عطش سقاه الغلام فاطّرد له الحارثي ، وحمل عليه الجرّاح حملةً يجدّ لا يريد ألا قتله ، فصاح به غلامه : إن الرجل جاد في قتلك ! فعطّف عليه فصر به بالعمود على رأسه فصرعه ، فقال لغلامه : انضج على وجهه من ماء الإداوة ، واسقه ، ففعل ذلك به ، فقال : يا جرّاح ، بشمّا ما جزيتني ، أردت بك العافية وأردت أن تزيروني المنيّة ! فقال : لم أرد ذلك ، فقال : انطليق فقد تركتك للقرابة والعشيرة .

قال محمد بن عمر الواقدي : حدثني ابن أبي سبرة ، عن صالح بن كيسان ، قال : قال سعيد الخرساني : أنا في صف القتال يومئذ إذ خرج رجل من أهل العراق ، يقال له : قدامة بن الحريش التميمي ، فوقف بين الصّفيين ، فقال : يا معشر جرّامقة أهل الشام ، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فإن أبيتم فليخرج إليّ رجل ، فخرج إليه رجل من أهل الشام فقتله ، حتى قتل أربعة ، فلما رأى ذلك الحجاج أمر نادياً فنادى : لا يخرج إلى هذا الكلب أحد ، قال : فكفّ الناس . قال سعيد الخرساني : فدنوت من الحجاج فقلت : أصليح الله الأمير ! إنك رأيت ألا يخرج إلى هنا الكلب أحد ، وإنما هلك من هلك من هؤلاء النفر بأجلهم ، ولهذا الرجل أجل ، وأرجو أن يكون قد حضر ، فأذن لأصحابي الذين قد مروا معي فليخرج إليّ رجل منهم ، فقال الحجاج : إن هذا الكلب لم يزل هذا^(١) له عادة

(١) بضماء في ب ، ف : « الدعاء » .

وقد أربب الناس ، وقد أذنت لأصحابك ، فمن أحب أن يقوم فليقم .
 فرجع سعيد الحارثي إلى أصحابه فأعلمهم ، فلما نادى ذلك الرجل بالبراز برز
 إليه رجل من أصحاب الحارثي ، فقتله قدامه ، فشق ذلك على سعيد ، وثقل
 عليه لكلامه الحجاج ، ثم نادى قدامة : من يبارز ؟ فلما سعيد من الحجاج ،
 فقال : أصالح الله الأمير ! ائذن لي في الخروج إلى هذا الكلب ، فقال :
 وعندك ذلك ؟ قال سعيد : نعم ، أنا كما تحب^(١) ، فقال الحجاج : أرى
 سيفك ، فأعطاه إياه ، فقال الحجاج : معي سيف أثقل من هذا ، فأمر
 له بالسيف^(٢) ، فأعطاه إياه ، فقال الحجاج - ونظر إلى سعيد فقال : ما أجود
 درعك وأقوى فرسك ! ولا أدرى كيف تكون مع هذا الكلب ! قال سعيد :
 أرجو أن يظفرني الله به ، قال الحجاج : انخرج على بركة الله . قال سعيد :
 فخرجت إليه ، فلما دنوت منه ، قال : قف يا عدو الله ، فوقفت ، فسرتني
 ذلك منه ، فقال : اختر إما أن تمكيني فأضربك ثلاثاً ، وإما أن أمكنك
 فتضربني ثلاثاً ، ثم تمكيني . قلت : أمكيني ، فوضع صدره على قربيوسه
 ثم قال : اضرب ، فجمعت يدي على سيق ، ثم ضربت على المغفر
 متمكناً ، فلم يصنع شيئاً ، فساعني ذلك من سيق ومن ضربتي ، ثم أجمع
 رأي أن أضربه على أصل العاتق ، فإذا أن أقطع وإما أن أوهن يده عن ضربته ،
 فضربته فلم أصنع شيئاً ؛ فساعني ذلك ومن غاب عني ممن هو في ناحية العسكر
 حين بلغه ما فعلت ، والثالثة كذلك . ثم اخترط سيفاً ثم قال : أمكيني ،
 فأمكنته ، فضربني ضربة صرعى منها ، ثم نزل عن فرسه وجلس على
 صدرى ، وانتزع من خفيته خنجرأ أو سكيناً فوضعها على حلقى يريد
 ذبحي ، فقلت له : أنشدك الله ! فإنك لست مصيباً من قتل الشرف
 والذكر مثل ما أنت مصيب من ترسكي ، قال : ومن أنت ؟ قلت : سعيد
 الحارثي ، قال : أولي يا عدو الله ! فأنطليق فأعلم صاحبك^(٣) ما لقيت .
 قال سعيد : فأنطلقت أسعى حتى انتهيت إلى الحجاج ، فقال : كيف

١٠٩٣/٢

١٠٩٤/٢

(٢) ب ، ف : « سيف » .

(١) ب ، ف : « كما يحب الأمير » .

(٣) ب ، ف : « أصحابك » .

رَأَيْتَ ! فَقُلْتُ : الْأَمِيرُ كَانَ أَعْلَمَ بِالْأَمْرِ ^(١) .

• • •

رجع الحديث إلى حديث أَبِي غَنْخَفٍ ، عَنْ أَبِي يَزِيدَ ^(٢) ، قَالَ : وَكَانَ أَبُو الْبَحْتَرِيِّ الطَّائِي وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ يَقُولَانِ : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُوَجَّلًا...﴾ ^(٣) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، ثُمَّ يَحْمِلَانِ حَتَّى يُوَاقِعَا الصَّفَّ .
قَالَ أَبُو الْمُخَارِقِ : قَاتَلْتَاهُمْ مِائَةَ يَوْمٍ سَوَاءَ أَعَدَّهَا عَدًّا . قَالَ : نَزَلْنَا دِيرَ الْجَسَاجِمِ مَعَ ابْنِ مُحَمَّدٍ غَدَاةَ الثَّلَاثَاءِ لِلَّيْلَةِ مُضَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سِتَّةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ ، وَهَزَمْنَا يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ مُضَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ عِنْدَ امْتِدَادِ الضُّحَى وَتَشَوَّعِ النَّهَارِ ، وَمَا كُنَّا قَطْرَ أَجْرٍ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ أَهْوَنَ عَلَيْنَا مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .

قَالَ : خَرَجْنَا إِلَيْهِمْ وَخَرَجُوا إِلَيْنَا يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ مُضَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، فَقَاتَلْتَاهُمْ عَامَّةَ النَّهَارِ أَحْسَنَ قِتَالٍ قَاتَلْنَا هُمُوهُ قَطْرَ ، وَنَحْنُ آمِنُونَ مِنَ الْهَزِيمَةِ ، عَالُونَ لِلْقَوْمِ ، إِذْ خَرَجَ سَفْيَانُ بْنُ الْأَبَرْدِ الْكَلْبِيُّ فِي الْخَيْلِ مِنْ قِبَلِ مِيمَنَةِ أَصْحَابِهِ ، حَتَّى دَنَا مِنَ الْأَبَرْدِ بْنِ قُرَّةِ التَّمِيمِيِّ ، وَهُوَ عَلَى مَيْسَرَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، فَوَاللَّهِ مَا قَاتَلَتْهُ كَبِيرُ قِتَالٍ حَتَّى انْهَزَمَ ، فَأَنْكَرَهَا النَّاسُ مِنْهُ ، وَكَانَ شَجَاعًا ، وَلَمْ يَكُنِ الْفِرَارُ لَهُ بِعَادَةٍ ، فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ قَدْ كَانَ أَوْسَمَ ، وَصُولِحَ عَلَى أَنْ يَنْهَزَمَ بِالنَّاسِ ، فَلَمَّا فَعَلَهَا ١٠٩٥/٢ تَقَوَّضَتِ الصَّفُوفُ مِنْ نَحْوِهِ ، وَرَكِبَ النَّاسُ وَجُوهَهُمْ ^(٤) وَأَخَذُوا فِي كُلِّ وَجْهِ ، وَصَعِدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُنَبِّرَ ، فَأَخَذَ ^(٥) يُنَادِي النَّاسَ : عِبَادَ اللَّهِ ، إِلَيَّ أَنَا ابْنُ مُحَمَّدٍ ؛ فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رِزَامٍ الْخَارَتِيُّ ، فَوَقَفَ تَحْتَ مَنْبَرِهِ ، وَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذُوَابِ السُّلَمِيِّ فِي خَيْلٍ لَهُ ^(٦) ، فَوَقَفَ مِنْهُ قَرِيبًا ، وَثَبَتَ حَتَّى دَنَا مِنْهُ أَهْلُ الشَّامِ ، فَأَخَذَتْ نَبْلُهُمْ تَحْوِزُهُ ، فَقَالَ : يَا بَنَ رِزَامَ ، احْمِلْ عَلَى هَذِهِ الرِّجَالِ وَالْخَيْلِ ، فَحْمِلْ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَمْعَنُوا . ثُمَّ جَاءَتْ

(١) بِمَعْنَى ب ، ف : « وَهُوَ » . (٢) قَوْلُ الْحَدِيثِ ص ٣٥٨ .

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : ١٤٥ . (٤) ب ، ف : « وَجُوهَهُمْ » .

(٥) ب ، ف : « وَأَخَذَ » . (٦) ب ، ف : « لَمْ يَخِلْ » .

خيل لم أخرى ورجالة ، فقال : احمل عليهم يا بن دُؤاب ، فحمل عليهم حتى أمعنوا ، وثبت لا يروح منبره ، ودخل أهل الشام العسكر ، فكثروا^(١) ، فصعد إليه عبد الله بن يزيد بن المغفل الأزدي - وكانت مليكة ابنة أخيه امرأة عبد الرحمن - فقال : انزل ، فأبى أخاف عليك إن لم تنزل أن تؤسر ، ولعلك إن انصرفت أن تجمع لهم جمعاً يهلكهم الله به بعد اليوم . فقتل وخلى أهل العراق العسكر ، وانهزموا لا يلوون على شيء ، ومضى عبد الرحمن بن محمد مع ابن جعدة بن هبيرة معه أناس من أهل بيته ، حتى إذا حاذوا قرية بني جعدة بالفلوجة دعوا بمعبر ، فعبروا فيه ، فأنهى إليهم بسطام بن مصقلة ، فقال : هل في السفينة عبد الرحمن بن محمد ؟ فلم يكتسوه ، وظن أنه فيهم ، فقال :

• لا وآلت نفس عليها تُحافِر •

١٠٩٦/٢ ضَرَمَ قَيْسٌ عَلَى الْبِلَاءِ دَحَى إِذَا اضْطَرَمَتْ أَجْلَمًا^(١)

ثم جاء حتى انتهى إلى بيته وعليه السلاح ، وهو على فرسه لم يتزل عنه ، فخرجت إليه ابنته فالتزما ، وخرج إليه أهله يبكون ، فأوصاهم بوصية وقال : لا تبكوا ، أرايت إن لم أترككم ، كم عسيت أن أبقي معكم حتى أموت ! وإن أنا مت فإن الذي رزقكم الآن حتى لا يموت ، وسيرزقكم بعد وفاتي كما رزقكم في حياتي ، ثم ودع أهله وخرج من الكوفة .

قال أبو مخنف : فحدثني الكلبي محمد بن السائب ، أنهم لما هزموا ارتفاع النهار حين امتد وفتح ، قال : جئت أشد معي الرمح والسيف والثرس حتى بلغت أهل من بوى ، ما ألفت شيئاً من سلاحي ، فقال الحاجاج : اتركوهم فليبتدوا ولا تبصروهم ، وفادى المنادي : من رجع فهو أمين . ورجع محمد بن مروان إلى الموصل ، وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام بعد الواقعة ، وخطب الحاجاج والعراق ، وجاء الحاجاج حتى دخل الكوفة ، وأجلس مصقلة ابن كرب بن رقة العبدى إلى جنبه ، وكان خطيباً ، فقال : اشم كل

(١) س : «كثروا» . (٢) من أبيات الربيع بن زياد دعيان الحماة بشرح التبريزي ٦١ : ٢ .

امري بما فيه بمن كُنّا أحسنًا إليه، فاشتبه بقلّة شكره، ولؤم عهده؛ ومن علمت منه عيباً فعبه بما فيه، وصغّر إليه نفسه. وكان لا يبايعه أحدٌ إلا قال له: أشهد أنك قد كفرت؟ فإذا قال: نعم، يابسه وإلا قتلته، فجاء إليه رجل ١٠٩٧/٢ من خشعهم قد كان معتزلاً للناس جميعاً من وراء القُرات، فسأله عن حاله فقال: ما زلت معتزلاً وراء هذه التطفة، منتظراً أمر الناس حتى ظهرت، فأثبتك لأبايعك مع الناس؛ قال: أمربص! أشهد أنك كافر؟ قال: بش الرجل أنا إن كنتُ عبدتُ الله ثمانين سنة ثمّ أشهد على نفسي بالكفر؛ قال: إذا أقتلكت؟ قال: وإن قتلتنى فوالله ما يبق من عمري إلاّ ظيمٌ حمار، وإني لأنتظر الموت صباح مساء، قال: اضربوا عنقه، ففُصرت عنقه، فزعموا أنه لم يبق حوله قرشي ولا شامي ولا أحد من الخزبيين إلاّ رحمه ورث له من القتل.

ودعاً بكميل بن زياد النخعي قال له: أنت المقتص من عثمان أمير المؤمنين؟ قد كنت أحب أن أجد عليك ميلاً، فقال: والله ما أدرى على أينما أنت أشدّ غضباً؟ عليه حين أقاد من نفسه، أم على حين عفو عنه؟ ثمّ قال: أيها الرجل من ثقيف، لا تصرف على أنيابك، ولا تهدم على تهدم الكشيبي، ولا تكثير كثران الذئب، والله ما يبق من عمري إلاّ ظيم الحمار، فإنه يشرب غدوة ويموت عشية، ويشرب عشية ويموت غدوة، اقصر ما أنت قاص، فإن الموحد الله، وبعد القتل الحساب. قال الحجاج: فإن الحجبة عليك، قال: ذلك إن كان القضاء إليك، قال: بلى، كنت فيمن قتل عثمان، وخطمت أمير المؤمنين، اقتلوه. ١٠٩٨/٢ فقدّم قتل، قتلته أبو الجهم بن كنانة الكلبي من بني عامر بن عوف، ابن عم منصور بن جمهور.

وأنى بآخر من بعده، فقال الحجاج: إني أرى رجلاً ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر، فقال: أخادعي عن نفسي! أنا أكفر أهل الأرض، وأكفر من فرعون ذي الأوتاد، فضحك الحجاج وخطى سبيله. وأقام بالكوفة شهراً، وعزّل أهل الشام عن بيوت أهل الكوفة.

[هزيمة ابن الأشعث وأصحابه في وقعة مسكن]

وفي هذه السنة كانت الوقعة بمسكن بين الحجاج وابن الأشعث بعدما انهزم من دير الجماجم .

• ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة وعن صفتها :

قال هشام : حدثني أبو مخنف ، عن أبي يزيد السكسكي ، قال : خرج محمد بن سعد بن أبي وقاص بعد وقعة الجماجم حتى نزل المدائن ، واجتمع إليه ناسٌ كثير ، وخرج عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن جبيب بن عبد شمس القرشي حتى أتى البصرة وبها أيوب بن الحكم بن أبي عقيل ، ابن عم الحجاج ، فأخذها ، وخرج عبد الرحمن بن محمد حتى قدم البصرة وهو بها ، فاجتمع الناس إلى عبد الرحمن . ونزل ، فأقبل عبيد الله حينئذ إلى ابن محمد بن الأشعث ، وقال له : إني لم أريد فراقك ، وإنما أخذتها لك . وخرج الحجاج فبدأ بالمدائن ، فأقام عليها خمسة حتى هيا الرجال في المعابر ، فلما بلغ محمد بن سعد عبورهم إليهم خرجوا حتى لحقوا بابن الأشعث جميعاً . وأقبل نحوهم الحجاج ، فخرج الناس معه إلى مسكن على دجيل ، وأتاه أهل الكوفة والفلول من الأطراف ، وتكاثروا الناس على القرار ، وباع أكثرهم بسطام بن مصلكة على الموت ، وتخذل عبد الرحمن على أصحابه ، وبشق الماء من جانب ، فجعل القتال من وجه واحد ، وقدم عليه خالد بن جرير بن عبد الله القسري من خراسان في ناس من بعث الكوفة ، فاقتتلوا خمس عشرة ليلة^(١) من شعبان أشد القتال حتى قُتل زياد بن غنيم القتيبي ، وكان على مساليح الحجاج ، فهذه ذاك وأصحابه^(٢) هداً شديداً .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جهمهم الأزدي ، قال : بات الحجاج ليلة كلفه يسير فينا يقول لنا : إنكم أهل الطاعة ، وهم أهل المعصية ، وأنتم تسعون في رضوان الله ، وهم يسعون في سخط الله ، وعادة الله عنكم فيهم

(١) ب : « خمسة عشر يوماً » .

(٢) ب : « بعد أصحابه » .

حَسَنَةً ، مَا صَلَدْتُمُوهُمْ فِي مَوْطِنٍ قَطُّ وَلَا صَبِرْتُمْ لَمْ إِلَّا أَعْقَبَكُمْ اللَّهُ النَّصْرَ عَلَيْهِمْ وَالظَّفَرَ بِهِمْ ، فَأَصْبَحُوا إِلَيْهِمْ عَادِينَ جَادِينَ ، فَإِنِّي لَسْتُ أَشْكُ فِي النَّصْرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

١١٠٠/٢ قال : فَأَصْبَحْنَا^(١) ، وَقَدْ عَيَّانَا فِي السَّحَرِ ، فَبَاكَرْنَا^(٢) فَقَاتَلْنَا^(٣) هُمْ أَشَدَّ قِتَالٍ قَاتَلْنَا هُمُوهُ قَطُّ ، وَقَدْ جَاءَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْمُهَلَّبِ مَجْفَقًا ، وَقَدْ كَشَفَتْ خَيْلُ سُفْيَانَ بْنِ الْأَبَرْدِ ، فَقَالَ لَهُ الْحِجَااجُ : ضَمِّ إِلَيْكَ يَا عَبْدَ الْمَلِكِ هَذَا النَّشْرَ^(٤) لَعَلَّ أَحْمِلَ عَلَيْهِمْ ، فَفَعَلَ ، وَحَمَلَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَانْهَزَمَ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَيْضًا ، وَقَتِلَ أَبُو الْبَحْتَرِيِّ الطَّائِيُّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى ، وَقَالَا قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ : إِنَّ الْقِرَارَ كُلَّ سَاعَةٍ بِنَا لَتَقْبِيحٍ . فَأَصْبَحَا . قال : وَشَى بِسَطَامِ بْنِ مَصْقَلَةَ الشَّيْبَانِيِّ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الْحِصَافِ مِنْ أَهْلِ الْمَصْرَيْنِ ، فَكَسَّرُوا جِفُونَ السَّيُوفِ ، وَقَالَ لَمْ ابْنُ مَصْقَلَةَ : لَوْ كُنَّا إِذَا فَرَرْنَا بِأَنْفُسِنَا مِنَ الْمَوْتِ نَجَوْنَا مِنْهُ قَرَرْنَا ، وَلَكِنَّا^(٥) قَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ نَازِلُ بَنِي عَمَّا قَلِيلٍ ، فَأَيْنَ الْمَسْجِدِ عَمَّا لَا بَدَّ مِنْهُ ! يَاقَوْمُ إِنَّكُمْ مُخَيَّبُونَ ، فَقَاتَلُوا عَلَى الْحَقِّ ، وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَكُونُوا عَلَى الْحَقِّ لَكَانَ مَوْتٌ فِي عَزٍّ خَيْرًا مِنْ حَيَاةٍ فِي ذُلٍّ . فَقَاتَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ قِتَالًا شَدِيدًا كَشَفُوا فِيهِ أَهْلَ الشَّامِ مَرَارًا ، حَتَّى قَالَ الْحِجَااجُ : عَلَى بِالرَّمَاةِ لَا يِقَاتِلُهُمْ غَيْرُهُمْ ، فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ الرَّمَاةُ وَأَحَاطَ بِهِمُ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ قُتِلُوا إِلَّا قَلِيلًا ، وَأُخِذَ بِكَبِيرِ بْنِ رُبَيْعَةَ بْنِ ثَرْوَانَ^(٦) الضُّبِّيِّ أَسِيرًا ، فَأَتِيَ بِهِ الْحِجَااجُ فَقَتَلَهُ .

قال أَبُو غَنْفٍ : فَحَدَّثَنِي أَبُو الْجَهَنَّمِ ، قَالَ : جِثَّ بِأَسِيرِ كَانَ الْحِجَااجُ يَعْرِفُهُ بِالْأَسِ ، فَقَالَ الْحِجَااجُ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، إِنَّهُ مِنْ سُنْعِ اللَّهِ لَكُمْ أَنَّ هَذَا غَلَامٌ مِنَ الْغِلْمَانِ جَاءَ بِفَارِسِ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَسِيرًا ، أَضْرِبْ عَنْقَهُ ، فَقَتَلَهُ .

قال : وَضَى ابْنُ الْأَشْعَثِ وَالْقَلْبَلُ مِنَ الْمُنْهَزَمِينَ مَعَهُ نَحْوَ سِجِسْتَانَ فَأَتَبَعَهُمُ الْحِجَااجُ عَمَارَةَ بْنَ تَيْمِ اللُّخْمِيِّ وَمَعَهُ ابْنَةُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحِجَااجِ وَهَمَارَةُ أُمِيرُ

(١) بَصَحَا فِي ب : « إِلَيْهِمْ » . (٢) ب : « وَبَاكَرْنَا » .

(٣) النَّشْرُ : الْقَوْمُ الْمُتَفَرِّقُونَ لَا يَجْمَعُهُمْ رَئِيسٌ . وَقِي ب : « الْبَشَرُ » .

(٤) ب : « لَكِنَّا » . (٥) ط : « لَوْ كُنَّا نَجَوْنَا مِنْهُ » ، وَالصَّوَابُ مَا أَتَتْهُ .

على القوم؛ فسار عمارة بن تميم إلى عبد الرحمن فأدركه بالسوس، فقاتلته ساعة من نهار، ثم إنه انهزم هو وأصحابه فضوا حتى أتوا سابور، واجتمعت إلى عبد الرحمن بن محمد الأكراد مع من كان معه من الفُلول، فقاتلهم عمارة بن تميم قتالا شديداً على العقبة حتى جرح عمارة وكثير من أصحابه، ثم انهزم عمارة وأصحابه وخلوا لهم عن العقبة، ومضى عبد الرحمن حتى مر بكربمان.

قال الواقدي: كانت وقعة الزاوية بالبصرة في المحرم سنة ثلاث وثمانين.

قال أبو مخنف: حدثني سيف بن يشر العجلي، عن المنخل بن حابس العبدى، قال: لما دخل عبد الرحمن بن محمد كربمان تلقاه عمرو بن لقيط العبدى - وكان عامله عليها - فهياً له نزلًا فنزل، فقال له شيخ من عبد القيس يقال له مَحْقِل: والله لقد بكسنا عنك يابن الأشعث أن قد كنت جبانتاً، فقال عبد الرحمن: والله ما جبنتُ، والله لقد دلقتُ الرجال بالرجال، ولفقتُ الخيلَ بالخيل، ولقد قاتلتُ فارساً، وقاتلتُ راجلاً، وما انهزمتُ، ولا تركتُ العرصة للقوم في موطن حتى لا أُجِد مُقاتلاً ولا أرى معي مُقاتلاً، ولكني زاولتُ ملكاً مؤجلاً. ثم إنه مضى بمن معه حتى فوز في مفازة كربمان.

قال أبو مخنف: فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي حَقِيل الثقفي، قال: لما مضى ابن محمد في مفازة كربمان وأتبعه أهل الشام دخل بعض أهل الشام قصرًا في المفازة، فإذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر أبي جلدة البشكري، وهي قصيدة طويلة:

أَيَا لَهُمَّا وَيَا حَزَنًا جَمِيعًا وَيَا حَرَّ الْفَوَادِ لِمَا لَقِينَا !
تَرَكْنَا الدِّينَ وَالْدُنْيَا جَمِيعًا وَأَسْلَمْنَا الْحِلَالَ وَالْبَيْنَا
فَمَا كُنَّا أَنَا سَاءَ أَهْلَ دِينٍ فَتَنْصَبِرَ فِي الْبَلَاءِ إِذَا ابْتَلَيْنَا
وَمَا كُنَّا أَنَا سَاءَ أَهْلَ دُنْيَا فَتَمْنَعَهَا وَلَوْ لَمْ نَرْجُ دِينَا

تركنا دُورنا لَطَعَامِ عَكْ وَأَنْبَاطِ الْقُرَى وَالْأَشْعَرِينَا^(١)

ثمَّ إنَّ ابنَ محمد مَضَى حَتَّى خَرَجَ عَلَى زَرْتَجِ مَدِينَةِ سِجِسْتَانَ ، وَفِيهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ قَدْ كَانَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا ، يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ الْبَعَارِ مِنْ بَنِي مُجَاشَعِ بْنِ دَارِمٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ ١١٠٣/٢ مِنْهَازًا أَغْلَقَتْ بَابَ الْمَدِينَةِ دُونَهُ ، وَمَنْعَهُ دُخُولَهَا ، فَأَقَامَ عَلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيَّامًا رِجَاءً افْتِتَاحَهَا وَدُخُولَهَا . فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا خَرَجَ حَتَّى أَتَى بُسْتَ ، وَكَانَ اسْتَعْمَلُ عَلَيْهَا رَجُلًا مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ يُقَالُ لَهُ عِيَاضُ بْنُ هَمِيَّانٍ أَبُو هِشَامٍ مِنْ عِيَاضِ السُّدُوسِيِّ ، فَاسْتَقْبَلَهُ ، وَقَالَ لَهُ : انْزِلْ ، فَجَاءَ حَتَّى نَزَلَ بِهِ ، وَانْتَظَرَ حَتَّى إِذَا غَفَلَ أَصْحَابُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ وَثَبَّ عَلَيْهِ فَأَوْثَقَهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَأْمَنَ بِهَا عِنْدَ الْحِجَابِ ، وَيَتَخَذَ بِهَا عِنْدَهُ مَكَانًا . وَكَانَ رُتْبِيلُ سَمِعَ بِمَقْدَمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ ، فَاسْتَقْبَلَهُ فِي جَنْوَدِهِ ، فَجَاءَ رُتْبِيلُ حَتَّى أَحَاطَ بِبُسْتِ ، ثُمَّ نَزَلَ وَبَعَثَ إِلَى الْبَكْرِىَ : وَاقِهِ لَنْ آذِيْتَهُ بِمَا يُغْذِي عَيْنَهُ ، أَوْ ضَرَرْتَهُ بِبَعْضِ الْمَضَرَّةِ ، أَوْ رَزَأْتَهُ حَبَلًا مِنْ شَعَرٍ لَا أُبْرِحُ الْعَرِصَةَ حَتَّى اسْتَنْزِلَكَ فَأَقْتُلَكَ وَجَمِيعَ مَنْ مَعَكَ ، ثُمَّ أَسْبَى ذُرَارِيَكُمْ ، وَأَقْسَمَ بَيْنَ الْجُنْدِ أَمْوَالَكُمْ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْبَكْرِىَ أَنْ أَعْطَانَا أَمَانًا عَلَى أَنْفُسِنَا وَأَمْوَالِنَا ، وَنَحْنُ نَدْفَعُهُ إِلَيْكَ سَالِمًا ، وَمَا كَانَ لَهُ مِنْ مَالٍ مَوْفُورًا . فَصَالَحَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَآمَنَهُمْ ، فَفَتَحُوا لِابْنِ الْأَشْعَثِ الْبَابَ وَنَحَلُوا سَبِيلَهُ ، فَأَتَى رُتْبِيلُ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ هَذَا كَانَ عَامِلًا عَلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ ، وَكُنْتُ حَيْثُ وَلِيَّتُهُ وَائْتَقَاهُ ، مَطْمَئِنًّا إِلَيْهِ ، فَغَدَرَ بِي وَرَكِبَ مَعِيَ مَا قَدْ رَأَيْتَ ، فَأَذَنْ لِي فِي قَتْلِهِ ، قَالَ : قَدْ آتَيْتُهُ وَأَكْرَهَ أَنْ أَغْلِبَ بِهِ ، قَالَ : فَأَذَنْ لِي فِي دَفْعِهِ وَلَهْرِهِ^(٢) ، وَالتَّصْغِيرِ ١١٠٤/٢ بِهِ ، قَالَ : أَمَّا هَذَا فَتَمِّمْ . فَفَعَلَ بِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى دَخَلَ مَعَ رُتْبِيلٍ بِلَادَهُ ، فَأَنْزَلَهُ رُتْبِيلُ عِنْدَهُ وَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ ، وَكَانَ مَعَهُ نَاسٌ مِنْ الْفُكَلِ كَثِيرٌ .

ثمَّ إنَّ عَظْمَ الْفُكُلِ وَجَمَاعَةَ أَصْحَابِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَمَنْ كَانَ لَا يَرْجُو

(٢) الهز : الضرب .

(١) انظر : الأغاني ١١ : ٣١٢ ، ٣١٣ .

الأمان، من الرعوس والقادة الذين نصبوا للحجاج في كل موطن مع ابن الأشعث، ولم يتبكبوا أمان الحجاج في أول مرة، وجهدوا عليه الجهد كله، أقبلوا في أثر ابن الأشعث وفي طلبه حتى سقطوا بسجستان، فكان بها منهم ومن تبعهم من أهل سجستان وأهل البلد نحو من مئتين ألفاً، ونزلوا على عبد الله بن عامر البعار فحصروه، وكتبوا إلى عبد الرحمن يخبرونه بقلوبهم وعقدهم وجماعتهم، وهو عند رتبيل. وكان يصلي بهم عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فكتبوا إليه: أن أقبل إلينا لعلنا نسير إلى خراسان، فإن بها منا جنداً عظيماً، فلعلهم يبايعونا على قتال أهل الشام، وهي بلاد واسعة عريضة، وبها الرجال والخصون. فخرج إليهم عبد الرحمن بن محمد بن معه، فحصروا عبد الله بن عامر البعار حتى استزكوه، فأمر به عبد الرحمن فضرب وعذب وحبس. وأقبل نحوهم عمارة بن نجيم في أهل الشام، فقال أصحاب عبد الرحمن بن محمد لعبد الرحمن: اخرج بنا عن سجستان فلندعها^(١) له وفأق خراسان، فقال عبد الرحمن بن محمد: على خراسان يزيد بن المهلب، وهو شاب شجاع صارم، وليس بتارك لكم سلطانته، ولو دخلتموها وجدتموه إليكم سريعاً، ولن يدع أهل الشام اتباعكم، فأكره أن يجتمع عليكم أهل خراسان وأهل الشام، وأخاف ألا تنالوا ما تطلبون^(٢)، فقالوا: إنما أهل خراسان منا، ونحن نرجو أن لو قد دخلناها أن يكون من تبعنا منهم أكثر ممن يقاتلنا، وهي أرض طويلة عريضة نتجى^(٣) فيها حيث شئنا، ونمكث حتى يهلك الله الحجاج أو عبد الملك، أو نرى من رأينا. فقال لهم عبد الرحمن: سيروا على اسم الله.

فساروا حتى بلغوا هراة، فلم يشعروا بشيء حتى خرج من عسكره عبید الله بن عبد الرحمن بن سمرة القرشي في ألفين، ففارقته، فأخذ طريقاً سوى طريقهم، فلما أصبح ابن محمد قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، فإنني قد شهدكم في هذه المواطن، وليس فيها مشهد

(١) ب : « ولندعها ». (٢) ب : « ألا تنالوا ما تطلبونه ». (٣) ب : « نتجى ».

إِلَّا أَصْبِرْ لَكُمْ فِيهِ قَسِي حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ فِيهِ أَحَدٌ ، فَلَمَّا رَأَيْتُمْ أَنْكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ ، وَلَا تَصْبِرُونَ ، أَتَيْتُمْ مُلْجَأً وَمَأْمَنًا فَكُنْتُ فِيهِ ، فَجَاءَنِي كَتِيبُكُمْ بِأَنْ أَقْبِلَ إِلَيْنَا ، فَإِنَّا قَدْ اجْتَمَعْنَا وَأَمَرْنَا وَاحِدًا ، لَعَلَّنَا نَقَاتِلَ عَدُوَّنَا ، فَأَتَيْتُكُمْ فَرَأَيْتُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى خُرَّاسَانَ وَزَعَمْتُمْ أَنْكُمْ يَجْتَمِعُونَ لِي ، وَأَنْكُمْ لَنْ تَفَرُّقُوا عَنِّي . ثُمَّ هَذَا عَبِيدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَدْ صَنَعَ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ ، فَحَسْبِي مِنْكُمْ يَوْمَ هَذَا فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ ، أَمَا أَنَا فَانْصَرَفْتُ إِلَى صَاحِبِي الَّذِي أَتَيْتُكُمْ مِنْ قَبْلِهِ ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّبِعَنِي فَلْيَتَّبِعْنِي ، وَمَنْ كَرِهَ ذَلِكَ فَلْيَنْهَبْ حَيْثُ أَحَبَّ فِي عِيَادِ مِنْ اللَّهِ .

فَفُتِحَتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ، وَزُلْتُ مَعَهُ طَائِفَةٌ^(١) ، وَبَقِيَ عَظْمُ الْعَسْكَرِ ، فَوُتِبُوا إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعَبَّاسِ لَمَّا انْصَرَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، فَبَايَعُوهُ . ثُمَّ مَضَى ابْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى رُبَيْلٍ وَمَضَوْا هَمَّ إِلَى خُرَّاسَانَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى هَرَّاءَ ، فَلَقُوا بِهَا الرَّقَادَ الْأَرْدِيَّ مِنَ الْعَتِكَ ، فَقَتَلُوهُ ، وَصَارَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ . وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيُّ فَلَمَّا ذَكَرَ عَنِ الْمُفْضِلِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ لَمَّا انْهَزَمَ مِنْ مَسْكِينٍ مَضَى إِلَى كَابُلَ ، وَأَنَّ عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ أَتَى هَرَّاءَ ، فَذَمَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ وَعَابَهُ بِفِرَارِهِ ، وَأَتَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبَّاسٍ سَجِسْتَانَ فَانْضَمَّ إِلَيْهِ فَكَلَّمَ ابْنَ الْأَشْعَثِ ، فَسَارَ إِلَى خُرَّاسَانَ فِي جَمْعٍ يُقَالُ فِي^(٢) عَشْرِينَ أَلْفًا ، فَتَزَلَّ هَرَّاءَ وَلَقُوا الرَّقَادَ بْنَ عَبِيدِ الْعَتِكَ فَقَتَلُوهُ ، وَكَانَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمُنْتَرِبِ بْنِ الْجَارُودِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ : قَدْ كَانَ لَكَ فِي الْبِلَادِ مَتَسَعٌ ، وَمَنْ هُوَ أَكَلَ مِنْهُ حَذًّا وَأَهْوَنُ شُرُوكَةٍ ، فَارْتَحِلْ إِلَى بِلَدٍ لَيْسَ فِيهِ سُلْطَانٌ ، فَإِنِّي أَكْرَهُ قِتَالَكَ ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ أَمُدَّكَ بِمَالٍ لِسَفَرِكَ أَعْتَدْتُكَ بِهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ : مَا نَزَلْنَا هَذِهِ الْبِلَادَ لِحَارِبَةٍ وَلَا لِمَقَامٍ ، وَلَكِنَّا أَرَدْنَا أَنْ نَرِيحَ ، ثُمَّ نَشْخَصَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَلَيْسَتْ بِنَا حَاجَةٌ إِلَى مَا عَرَضْتَ . فَانْصَرَفَ رَسُولُ يَزِيدَ إِلَيْهِ ، ١١٠٧/٢ وَأَقْبَلَ الْمَاشِمِيُّ عَلَى الْجَبَايَةِ ، وَبَلَغَ يَزِيدُ ، فَقَالَ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يُرِيحَ ثُمَّ يَحْتَازَ لَمْ يَجِبِ الْخُرَاجَ ، فَقَدَّمَ الْمُفْضِلُ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ - وَيُقَالُ فِي سِتَّةِ آلَافٍ -

(١) ب : طائفة معه . (٢) كذا في ب .

ثم أتبعه في أربعة آلاف ، ووزن يزيد نفسه بسلاحه ، فكان أربعمائة رطل ، فقال : ما أراي إلا قد ثقّلت عن الحرب ، أي فرس يحملني ! ثم دعا بفرسه الكامل فركبه ، واستخلف على مروّ خاله جندب بن يزيد ، وصبر طريقته على مروّ الرّوذ ، فأقى قبر أبيه فأقام عنده ثلاثة أيام ، وأعطى من معه مائة درهم مائة درهم ، ثم أتى هراة فأرسل إلى الهاشمي : قد أرحت وأمنحت وجيبت ، فلك ما جيتت ، وإن أردت زيادة زدنك ، فأخرج فوالله ما أحب أن أقاتلك . قال : فأبى إلا القتال معه عبید الله بن عبد الرحمن بن سمرة ، ودس الهاشمي إلى جندب يزيد يمنهم ويلعوم إلى نفسه ، فأخبر بعضهم يزيد ، فقال : بجل الأمر عن العتاب ، أنفذي بهذا قبل أن يتعنّى بي ، فسار إليه حتى تدانى العسكران ، وتأهبوا للقتال ، وألحق ليزيد كرمي فقعده عليه ، ولحق الحرب أخاه المفضل ، فأقبل رجل من أصحاب الهاشمي - يقال له خلّيد عيّنين من عبد القيس - على ظهر فرسه ، فرفع صوته فقال (١) :

دَعَتْ يَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ دَعْوَةً لَهَا جَزَعٌ ثُمَّ اسْتَهْلَتْ عِيُونُهَا
وَلَوْ يُسْمِعُ (٢) الدَّاعِيَ النَّدَاءَ (٣) أَجَابُهَا بِصُمِّ الْقَنَا وَالْبَيْضِ تُلْقَى جُفُونُهَا
وَقَدْ قَرَأَ أَشْرَافُ الْعِرَاقِ وَغَادَرُوا بِهَا بَقْرًا لِلْحَيْنِ جُمًّا قُرُونُهَا (٤)

وأراد أن يحضّ يزيد ، فسكت يزيد طويلا حتى ظنّ الناس أن الشعر قد حرّكه ، ثم قال لرجل : نادِ وأسمعهم ، جشتموم ذلك ، فقال خلّيد :
لبس المنادي والنوّه باسمه تُناديه أبكارُ العراقِ وعُونُهَا
يزيد إذا يدعى ليوم حَظِيظَةٍ وَلَا يَمْنَعُ السَّوَاتِ إِلَّا حُصُونُهَا
فلما أراه عن قليل بنفسه يُدانُ كما قد كان قَبْلَ يَدِينُهَا
فلا حُرّة تبكيه لكن نَوَاحٍ تُبكي عليه البُقْعُ منها وجُونُهَا

(٢) ر : « تسع » .

(١) ب : « وقال » .

(٤) ب : « ما قرء » .

(٣) ب : « يزيد » .

فقال يزيدُ المفضل: قدّم خيلك ، فتقدّم بها ، وهابجوا فلم يكن بينهم كبيرُ قتال حتى تفرّق الناس عن عبد الرحمن ، وصبر وصبرت معه طائفةٌ من أهل الحفاظ ، وصبر معه العبدِيُّون ، وحمل سعد بن نجد القُرْدُوسِيَّ على حُلَيْسٍ^(١) الشيباني وهو أمام عبد الرحمن ، فطعنته حُلَيْسٌ فأذواه عن فرسه ، وحماه أصحابه ، وكثرهم الناس فانكشفوا ، فأمر يزيدُ بالكفّ عن اتباعهم ، وأخذوا ما كان في عسكرهم ، وأسروا منهم أَسْرَى ، فولى يزيدُ عطاءَ بنِ أبي السائب العسكر ، وأمره بضمّ ما كان فيه ، فأصابوا ثلاثَ عشرة امرأةً ، فأتوا بهنَّ يزيدَ ، فدفعهن إلى مرةَ بن عطاء بن أبي السائب ، فحملهنَّ إلى الطَّبَسِيِّين ، ثمَّ حملهنَّ إلى العراق . وقال يزيد لسعد بن نجد : من طعنك ؟ قال : حليس الشيباني ، وأنا والله راجلا أشدَّ منه وهو فارس . قال : فبلغ حُلَيْسًا ، فقال : كذب والله ، لأنّا أشدُّ منه فارسًا وراجلاً . وهرب عبد الرحمن بنُ منذر بن بشر بن حارثة فصار إلى موسى بن عبد الله بن خازم . قال : فكان في الأسرى محمد بن سعد بن أبي وقاص ، وعمرو بن موسى بن عبيد الله بن معمر ، وعيَّاش بن الأسود بن عوف الزهري والمُلقام بن نُحَيْم بن التَّعْقِاق بن مُعَد بن زُرارة ، وفَيْرُوز حصين ، وأبو العِلْج مولَى عُبَيْدِ اللهِ بن معمر ، ورجل من آل أبي عَقِيل ، وسَوَّار بن مروان ، ١١١٠/٢ وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خَلَف ، وعبد الله بن فضالة الزهراني . ولحق الهاشمي بالسند ، وأتى ابنُ مَسْمُرة مرو ، ثمَّ انصرف يزيدُ إلى مرو وبعث بالأسرى إلى الحجاج مع سَبْرَةَ بن نَخَف بن أبي صُفْرة ، وخلي عن ابن طلحة وعبد الله بن فضالة ، وسعى قومٌ بعبيد الله بن عبد الرحمن بن مَسْمُرة ، فأخذه يزيدُ فحبسه .

وأما هشام فإنه ذكر أنه حدثه القاسم بن محمد الحضرمي ، عن حفص ابن عمرو بن قبيصة ، عن رجل من بني حنيفة يقال له جابر بن عمارة ، أن يزيدَ بن المهلب حبس عنده عبدَ الرحمن بن طلحة وآمنته ، وكان الطلحي قد آتَى على عَمِينَ الْأَيْمَرِي يزيدَ بن المهلب في موقفٍ إلا أنه حتى يقبل يده شكرًا لما أبلاه . قال : وقال محمد بن سعد بن أبي وقاص ليزيد : أسألك

(١) ب : ه : حليس .

بدعوة أبي لأبيك ! فخلني سبيته . ولقول محمد بن سعد يزيد : « أسألك بدعوة أبي لأبيك » حديث فيه بعض الطول .

قال هشام : حدثني أبو مخنف ، قال : حدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي ، قال : بعث يزيد بن المهلب ببقية الأسرى إلى الحجاج بن يوسف ، بعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر ، فقال : أنت صاحب شرطة عبد الرحمن ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! كانت فتنة شملت البر والفاجر ، فدخلنا فيها ، فقد أمكنك الله منا ، فإن عفوت ^(١) فيحلمك وفضلك ^(٢) ، وإن عاقبت عاقبت ظلمة مذنيين ، فقال ^(٣) الحجاج : أما قولك : « إنها شملت البر والفاجر » فكذبت ، ولكنها شملت الصغار ، وعوفى منها الأبرار ، وأما اعترافك بذنبك فعمى أن يتفعل . فعزل ، ورجا الناس له العافية حتى قدم بالهلقام بن نعيم ، فقال له الحجاج : أخبرتني عنك ، ما رجوت من إتياع عبد الرحمن بن محمد ؟ أرجوت أن يكون خليفة ؟ قال : نعم ، رجوت ذلك ، وطمعت ^(٤) أن ينزلي منزلك من عبد الملك ، قال : فغضب الحجاج وقال : اضربوا عنقه ، فقتل . قال : ونظر إلى موسى بن عمر بن عبيد الله بن معمر وقد نُحى عنه فقال : اضربوا عنقه ، وقتل بقيتهم . وقد كان آمن عمرو بن أبي قرّة الكندي ثم الحجري وهو شريف وله بيت قديم ، فقال : يا عمرو ، كنت تفضي إلى وتحدثني أنك ترغب عن ابن الأشعث وعن الأشعث قبله ، ثم تبع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، والله ما بك عن اتباعهم رغبة ، ولا نعمة عين لك ولا كرامة .

قال : وقد كان الحجاج حين هزم الناس بالجمام نادى مناديه : من لحق بقتيبة بن مسلم بالرّى فهو أمانه ، فلحق ناس كثير بقتيبة ^(٥) ، وكان ^(٥) فيمن لحق به عامر الشعبي ، فذكر الحجاج الشعبي يوماً فقال : أين هو ؟ وما فعل ؟ فقال له يزيد بن أبي مسلم : بلغني أنها الأمير أنه لحق بقتيبة بن مسلم بالرّى ، قال : فابعث إليه فلنؤت ^(٦) به ،

(١-١) ب : « فيفضلك وسلك » . (٢) بمعاقب ب : « له » .

(٣) ب : « طمعت فيه » . (٤) ب : « بأرض تنية » .

(٥) ب : « فكان » . (٦) ج : « فليؤت » .

فَكَتَبَ الْحِجَاجَ إِلَى قَتِيبة: أما بعد ، فابعث إلى بالشعبي حين تَنْظُرُ في كتابي هذا ؛ والسلام عليك ؛ فُسِّرَحَ إِلَيْهِ .

قال أبو غنَاف: فحدثني السريّ بن إسماعيل عن الشعبي، قال: كنت لابن أبي مسلم صديقاً ، فلما قُدِمَ بي ^(١) على الحجاج لقيتُ ابن أبي مسلم فقلتُ: أشير عليّ ؛ قال: ما أدري ما أشيرُ به عليك ^(٢) غير أن أعتذر ما استطعت من عذر ^(٣) ! وأشار بمثل ذلك على نَصْحائِي وإخواني ، فلما دخلتُ عليه رأيتُ والله غيرَ ما رأوا لي ، فسلمت عليه بالإمرة ^(٤) ثم قلت: أيها الأمير ، إن الناس قد أَمَرُونِي أن أعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق ، وأيمُ الله لا أقول في هذا المقام إلّا حقّاً ، قد والله سوّدتنا ^(٥) عليك ، وحرّضنا وجهنا عليك كلَّ الجهد ، فما آلونا ^(٦) ، فما كنا بالأقوياء الفُجيرة ، ولا الأتقياء ^(٧) البررة ، ولقد نصرَك الله علينا ، وأظفَرَكَ بنا ، فإن سطوتَ فِئدِ ثوبنا وما جَرَّتْ إليه أيدينا ، وإن عفوتَ عنا فبحلمك ، وبعد الحجة ^(٨) لك علينا ، فقال له الحجاج: أنت والله أحبُّ إلىّ قولاً ممن يدخل علينا يتقطر سيفُه من دمائنا ثم يقول: ما فعلتُ ولا شهدتُ ؛ قد أَمِنْتُ عندينا يا شعبي ، فانصريفُ . قال: فانصرفتُ ، فلما مَشَيْتُ قليلاً قال: هلمَّ يا شعبي ؛ قال: فوجِلْ لملك قلبي ، ثم ذَكَرْتُ قولَه: «قد أَمِنْتُ يا شعبي» ، فاطمأنت نفسي ، قال: كيف وجدتَ الناس يا شعبي بعدنا ؟ قال - وكان لي مكرماً : فقلتُ: أصلَحَ اللهُ الأمير ! اكتملتُ والله بعدك السَّهَرُ ، واستوعرتُ الجَنابَ ، واستحلستُ الخوفَ ، وفقدتُ صالحَ الإخوان ، ولم أجِدْ من الأمير خَلَقاً . قال: انصريف يا شعبي ، فانصرفتُ .

قال أبو غنَاف: قال خالد بن قَطَنَ الحارثي: أتيتُ الحجاجُ بالأعشى ، أعشى هَمْدانَ ، فقال: إِيهِ يَاعَدُوْا الله ! أنشدني قولك: «بين الأشجَّ وبين

(١) ب: «قلت» . (٢) ب: «عليك به» . (٣) ب: «بعد» .

(٤) ر: «فلما دخلت عليه سلمت» . (٥) ب: «تمردنا» . (٦) ب: «وما آلونا» .

(٧) ب: «ولا بالأتقياء» .

(٨) ب: «فالحجة» .

قيس ، أنشد بيتك ، قال : بل أنشدك ما قلت لك ، قال : بل أنشدني هذه ، فأنشده :

أبى الله إلا أن يتم نوره
ويظهر أهل الحق في كل موطن
ويُنزل ذلاً بالعراق وأهله ١١٤/٢
وما أخذوا من بدعة وعظيمة (١)
وما نكثوا من بيعة بعد بيعة
وجبناً حساه ربهم في قلوبهم
فلا صدق في قول ولا صبر عندهم
فكيف رأيت الله فرق جمعهم
فقتلهم قتلى ضلال وفتنة
ولما زحطنا لابن يوسف غنوة (٢)
قطعنا إليه الخندقين وإنما ١١٥/٢
فكافحنا الحجاج دون صفوفنا (٣)
بصف كان البرق في حجراته
دلفنا إليه في صفوف كأنها
فما لبث الحجاج أن مل سيفه
وما زاحف الحجاج إلا رأته

ويطغى نور الفاسقين فيخمد (١)
ويعدل وقع السيوف من كان أصيداً
لما تقصوا العهد الوثيق المؤكداً (٢)
من القول لم تصعد إلى الله مصعداً (٣)
إذا ضيموها اليوم خاسوا بها غداً
فما يقربون الناس إلا تهدداً
ولكن فخرأ فيهم وتزيذاً
ومزقهم عرض البلاد وشرذاً !
وحيمهم أسمى ذليلاً مطرداً (٤)
وأبرق منا العارضان وأرعداً
قطعنا وأفضينا إلى الموت مرصداً (٥)
كفاحاً ولم يضرب لذلك موعداً
إذا ما تجلى بينه وتوقداً
جبال شروزي لوتعان فتنها
علينا فولى جمعنا وتبدداً
معاناً ملقى للفتوح موعداً

(١) الأغاني : ٦ - ٥٩ - ٦١ ، المسمى : ٣ : ١٦٢

(٢) الأغاني : « كما تقصوا » . (٣) المسمى : « وضلة » .

(٤) ابن الأثير : « لم يصد » . (٥) ابن الأثير : « وجيهم أسمى » .

(٦) الأغاني : « ضلة » . (٧) مرصداً : متوقفاً .

(٨) الأغاني : « فصادفنا الحجاج » .

وإنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَقِيَ مَرْجَنَةَ
فَمَا شَرَعُوا رُحْمًا وَلَا جَرَدًا لَهُ
وَكُرَّتْ عَلَيْنَا خَيْلُ سُفْيَانَ كَرَّةً
وَسُفْيَانُ يَهْدِيهَا كَأَنَّ لَوَاءَهُ
كَهَوْلٌ وَمُرْدٌ مِنْ قَضَاعَةَ حَوْلَهُ
إِذَا قَالَ شُدُّوا شِدَّةَ حَمَلُوا مَعًا
جُنُودُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَيْلُهُ
فِيهِنَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ظُهُورُهُ
نَزَوًا يَشْتَكُونَ الْبَغْيَ مِنْ أَمْرَائِهِمْ
وَجَدْنَا بَنِي مروَانَ خَيْرَ أُنْمَةٍ
وَحَيْرَ قُرَيْشٍ فِي قُرَيْشِ أَرْوَمَةٍ
إِذَا مَا تَلَبَّزْنَا عَوَاقِبَ أَمْرِهِ
سَيُغْلِبُ قَوْمٌ غَالِبُوا اللَّهَ جَهْرَةً^(١)
كَذَلِكَ يَفِضُّ اللَّهُ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ
فَقَدَّرَكُوا الْأَهْلِيْنَ وَالْمَالِ خَلْفَهُمْ
يُنَادِيْنَهُمْ مُسْتَعْبِرَاتٍ إِلَيْهِمْ
فَلَا تُتَاوَلُهُنَّ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ
أَنْكُثًا وَعِصْيَانًا وَغَدْرًا وَذِلَّةً
لَقَدْ شَامَ الْمِصْرَيْنِ فَرْخُ مُحَمَّدٍ

نُشِبْهَا قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ أَسْوَدًا
أَلَا رُبَّمَا لَقِيَ الْجَبَانَ فُجْرًا ١١١٦/٢
بِفُرْسَانِهَا وَالسَّمْعَرِيِّ مُقْصِدًا
مِنَ الطَّعْنِ سِنْدُ بَاتٍ بِالصَّبْغِ مُجَسَّدًا
مَسَاعِيرُ أَبْطَالٍ إِذَا التَّكْسُ عَرْدًا
فَأَنْهَلَ خِرْصَانَ الرِّمَاحِ وَأَوْرَدًا
وَسُلْطَانُهُ أَمْسَى عَزِيزًا مَوْثِدًا
عَلَى أُمَّةٍ كَانُوا بَغَاةً وَحَسَدًا
وَكَانُوا هُمْ أَبْغَى الْبَغَاةِ وَأَعْنَدًا
وَأَفْضَلَ هَذِي النَّاسِ جِلْمًا وَسُودَدًا
وَأَكْرَمَهُمْ إِلَّا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ١١١٧/٢
وَجَدْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُسَدَّدًا
وَإِنْ كَانِدُوهُ كَانَ أَقْوَى وَأَكِيدًا
مَرِيضًا وَمَنْ وَالَى النِّفَاقَ وَالْحَدَا
وَبَيْضًا عَلَيْهِنَّ الْجَلَابِيبُ خُرْدًا
وَيُثْرِينَ دَمْعًا فِي الْخُثُوبِ وَإِثْمَلًا
يَكُنْ مَسِيًّا وَالْبُعُولَةُ أَعْبَدًا
أَهَانَ الْإِلَهَ مِنْ أَهَانَ وَأَبْعَدًا
بِحَقِّ وَمَا لَقِيَ مِنَ الطَّيْرِ أَسْعَدًا^(٢)

(١) الأغاني : « يغلب قوما » .

(٢) رواية الأغاني :

فَطَلُّوا وَمَا لَاقُوا مِنَ الطَّيْرِ أَسْعَدًا

لَقَدْ شِمَّتْ يَابِثُ الْأَشْعَثِ الْعَامَ مِصْرَنَا

١١١٨/٢ كما شأَمَ اللهُ النَّجِيرَ وَأَهْلَهُ بِجَدُّ لَهُ قَدْ كَانَ أَشَقَى وَأَنْكَدَا

فقال أهل الشام: أحسن، أصلح الله الأمير! فقال الحجاج: لا، لم يحسن، إنكم لا تدرون ما أراد بها، ثم قال: يا عدو الله، إنا لست نحمدك على هذا القول، إنما قلت: تأسف ألا يكون ظهري وظفيري، وتحريضاً لأصحابك علينا، وليس عن هذا سألناك، أفقد لنا قولك:

• يَبْنِي الْأَشَجَّ وَيَبْنِي قَيْسَ بَادِخٌ • (١)

فأنفكدها، فلما قال:

• بَخَّ يَخْ لَوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُودِ •

قال الحجاج: لا والله لا تبخين بعدها لأحد أبداً، فقد تمه فضرب عنقه.

وقد ذكر من أمر هؤلاء الأسرى الذين أسرهم يزيد بن المهلب وجنهم إلى الحجاج ومن قتلوا ابن الأشعث الذين انهزموا يوم مسكين أمر غير ما ذكره أبو مخنف عن أصحابه. والذي ذكر عنهم من ذلك أنه لما انهزم ابن الأشعث مضى هؤلاء مع سائر الفكل إلى الرى، وقد غلب عليها عمر بن أبي الصلت بن كتارا مولى بنى نصر بن معاوية، وكان من أفرس الناس، فانضموا إليه، فأقبل قتيبة بن مسلم إلى الرى من قبيل الحجاج وقد ولّاه عليها. فقال النفر الذين (٢) ذكرت أن يزيد بن المهلب وجنهم إلى الحجاج مقبدين وسائر قتل ابن الأشعث الذين صاروا إلى الرى لعمر بن أبي الصلت: نوليك أمرنا وتحارب بنا قتيبة، فشاور عمر أباه أبا الصلت، فقال له أبوه: والله يا بني ما كنت أبالي إذا سار هؤلاء تحت لوائك أن تقتل من غد. فمعد لواءه، وسار قهزهم وهزهم أصحابه، وانكشفوا إلى سجستان، واجتمعت بها القتل، وكتبوا إلى عبد الرحمن بن محمد وهو عند رتييل، ثم كان من أمرهم وأمير يزيد بن المهلب ما قد ذكرت.

(١) المسوى ٣: ١٦٣.

(٢) ب: «اللى».

وذكر أبو عبيدة أن يزيد لما أراد أن يوجه الأسرى إلى الحجاج قال له أخوه حبيب : بأى وجه تنتظر إلى البانية وقد بعث ابن طلحة ! فقال يزيد : هو الحجاج ، ولا يتعرض له ! وقال : وطن نفسك على العزل ، ولا ترسل به ، فإن له عندنا بلاء ، قال : وما بلاءه ؟ قال لنرم المهلب في مسجد الجماعة بمائى ألف ، فأدأها طلحة عنه . فأطلقه ، وأرسل بالباقيين ، فقال الفرزدق :
وجَدَ ابنُ طلحةَ يومَ لاقى قومه قحطانَ يومَ هراةَ خيرَ العشرِ

وقيل : إن الحجاج لما أتى بهؤلاء الأسرى من عند يزيد بن المهلب قال لحاجبه : إذا دعوتك بسيدهم فأتني بفتيروز ، فأبرز سريره - وهو حينئذ ١١٢٠/٢ بواسط القصب قبل أن تبني مدينة واسط - ثم قال لحاجبه : جئني بسيدهم ، فقال لفتيروز : قم ، فقال له الحجاج : أبا عثان ، ما أخرجك مع هؤلاء ؟ فوالله ما لحمتك من لحومهم ، ولا دمك من دماهم ! قال : فنتة عمت الناس ، فكتنا فيها ، قال : اكتب لي أموالك ، قال : ثم ماذا ؟ قال : اكتبها أول ، قال : ثم أنا أمين على دى ؟ قال : اكتبها ، ثم أنظر ، قال : اكتب يا غلام ، ألف ألف ألقى ألف ، فذكر مالا كثيرا ، فقال الحجاج : أين هذه الأموال ؟ قال : عندي ، قال : فأدأها ، قال : وأنا أمين على دى ؟ قال : والله لتؤدبنيها ثم لأقتلك ، قال : والله لا تجمع مالى ودى ، فقال الحجاج للحاجب : نحه ، فنهاه .

ثم قال : اتنى بمحمد بن سعد بن أبى وقاص ، فدعاه ، فقال له الحجاج : لها يا ظليل الشيطان أعظم الناس تيهًا وكبرًا ، تأتي بيعة يزيد بن معاوية ، وتشبه بحسين وابن عمر ، ثم صرت مؤذنا لابن كنار^(١) عبد بنى نصر - يعنى عمر بن أبى الصلت - وجعل يضرب بعود في يده رأسه حتى أدماه ، فقال له محمد : أيها الرجل ، ملكك فأسج ! فكف يده ، فقال : إن رأيت أن تكتب إلى أمير المؤمنين فإن جاءك عفو كنت شريكًا في ذلك محمودًا ، وإن جئتك غير ذلك كنت قد أعدرت . فأطرق مكبًا ثم قال : اضرب عنقه ، فضربت عنقه .

(١) ط : « كنز » ، وانظر التصويبات .

ثم دعا جمر بن موسى فقال : يا عبد المرأة ، أقوم بالسود على رأس ابن الحائك^(١) ، وشرب معه الشرب في حمام فارس ، وتقول المقالة التي قلت ! أين القزدقي ؟ ثم فأنشده ما قلت فيه ، فأنشده :

وَحَضَبْتَ أَيْدِيكَ لِلزَّناةِ وَلَمْ تَكُنْ يَوْمَ الْهِجَابِ لِتَحْضِبِ الْأَبْطَالَ
فَقَالَ : أما والله لقد رفعتني عن عقائل نساءك ، ثم أمر بضرب عنقه .
ثم دعا ابن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة ، فإذا غلام حدث ، فقال :
أصلح الله الأمير ! ما لي ذنب ، إنما كنت غلاماً صغيراً مع أبي وأمي لا أمر لي ولا نهى ، وكنت معهما حيث كانا ، فقال : وكانت أمك مع أبيك في هذه الغنم كلها ؟ قال : نعم ، قال : على أبيك لعنة الله .

ثم دعا بالمهلقام بن نعيم فقال : اجعل ابن الأشعث طلب ما طلب ، ما الذي أملت أنت معه ؟ قال : أملت أن يملك فيوليني العراق كما ولاك عبد الملك . قال : ثم يا حوشب فاضرب عنقه ، فقام إليه ، فقال له المهلقام : يا بن لقيطة^(٢) ، أتتكتأ القرح ! فضرب عنقه .

ثم أتى بعبد الله بن عامر ، فلما قام بين يديه قال : لا رأيت عينك يا حجاج الجنة إن أقلت ابن المهلب بما صنع . قال : وما صنع ؟ قال :

لأنه كاس في إطلاق أسركه وقاد نحوك في أغلالها مضراً
ونقى بقومك ورد الموت أسركه وكان قومك أدنى عنده خطراً
فأطرق الحجاج ملكياً ووقرت في قلبه ، وقال : وما أنت وذاك ! اضرب عنقه . فضربت عنقه . ولم تزل في نفس الحجاج حتى عزل يزيد عن خراسان وحبس .

ثم أمر بفيروز فعدب ، فكان فيما عدب به أن كان يشد عليه القصب القارسي المشقوق ، ثم يجر عليه حتى يخرق جسده ، ثم ينضع عليه الخمل والملح ، فلما أحس بالموت قال لصاحب العذاب : إن الناس لا يشكون أني قد قُلت ، ولي ودائع وأموال عند الناس ، لا تؤدّي

(١) ابن الحائك ، هو محمد بن الأشعث ، وكان يبيع بلك .

(٢) كلما في ب ، س ، وفي ط : « لطيفة » .

إليكم أبدأ ، فأظهورني للناس ليعلموا أني حيّ فيؤدّوا المال . فأعلم
الحجاج ، فقال : أظهره ، فأخرج إلى باب المدينة ، فصاح في الناس : من
عرفني فقد عرفني ، ومن أنكرني فأنا فيروزُ حصين ؛ إن لي عند أقوام
مالاً ، فمن كان لي عنده شيء فهو له ، وهو منه في حيل ، فلا يؤدّين
منه أحد درهمًا ، ليبلغ الشاهد الغائب . فأمر به الحجاج فقتل . وكان ذلك
مما روى الوليدُ بنُ هشام بن قحطم ، عن أبي بكر الهذلي .

وذكر ضمرة بن ربيعة ، عن أبي شؤذب ، أن عمّال الحجاج كتبوا إليه :
إن الخراج قد انكسر ، وإن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار ،
فكتب إلى البصرة وغيرها أن من كان له أصل في قرية فليخرج إليها .
فخرج الناس فمسكروا ، فجعلوا يبكون ويتأدّون : يا محمداه يا محمداه !
وجعلوا لا يرون أين يذهبون ! فجعل قرأه أهل البصرة يخرجون إليهم متنعين
فيبكون لما يسمعون منهم ويرّون . قال : فقدم ابنُ الأشعث على ١١٢٣/٢
ثمينة ذلك ، واستبصر قرأه أهل البصرة في قتال الحجاج مع عبد الرحمن
ابن محمد بن الأشعث .

وذكر عن ضمرة بن ربيعة عن الشيباني ، قال : قتل الحجاج يوم
الزاوية أحد عشر ألفًا ، ما استحي منهم إلا واحدًا ، كان ابنه في كتاب
الحجاج ، فقال له : أتحب أن ننفو لك عن أبيك ؟ قال : نعم ، فركبه
لابنه ؛ وإنما خلعهم بالأمان ، أمرناديًا فنادى عند المزيمة : ألا لا أمان
لفلان ولا فلان ، فسعى رجالا من أولئك الأشراف ، ولم يقبل : الناس آمنون ،
فقال العامة : قد آمن الناس كلهم إلا هؤلاء النفر ، فأقبلوا إلى حُجْرته
فلما اجتمعوا أمرهم بوضع أسلحتهم . ثم قال : لأمرن بكم اليوم رجالا
ليس بينكم وبينه قرابة ، فأمر بهم عمارة بن عجم اللخمي فقتلهم .

وروى عن النضر بن شميل ، عن هشام بن حسان ، أنه قال : بلغ

ما قَتَلَ الحِجَّاجُ صَبْرًا مائةً وعشرين ، أو مائةً وثلاثين ألفًا .

وقد ذُكِرَ في هزيمة ابن الأشعث بِمَسْكِين قولٌ غيرُ الذي ذكره أبو حنيفة ، والذي ذُكِرَ من ذلك أن ابن الأشعث والحِجَّاج اجتمعَا بِمَسْكِين من أرض أربقباد ، فكان عسكرُ ابن الأشعث على نهر يُدعى خلدش مؤخرَ النهر ، نهر تيرى ، ونزل الحِجَّاج على نهر أفريد والمسكران جميعًا بين دجلة والسيب والكرخ ، فاقتتلوا شهرًا - وقيل : دون ذلك - ولم يكن الحِجَّاج يَعْرِفُ إليهم طريقًا إلا الطريق الذي يَلْتَقُونَ فيه ، فأَتَى بِشَيْخٍ كان راعيًا يُدعى زورقًا ، فدلّه على طريق من وراء الكرخ طولُه ستة فراسخ ، في أجمة وضحضاح من الماء ، فانتخب أربعة آلاف من جلة أهل الشام ، وقال لقائدهم : ليكن هذا المِلْجُ أمامك ، وهذه أربعة آلاف درهم معك ، فإن أقامك على عسكرهم فادفع المَالَ إليه ، وإن كان كَذِبًا فاضرب عنقه ، فإن رأيتهم فاحملْ عليهم فيمن معك ، وليكن شعاركم : يا حِجَّاج يا حِجَّاج . فانطلق القائدُ صلاةَ العصر ، والتقى عسكرُ الحِجَّاج وعسكرُ ابن الأشعث حين فصل القائدُ بمن معه ، وذلك مع صلاة العصر ، فاقتتلوا إلى الليل ، فانكشف الحِجَّاجُ حتى عبر السبب - وكان قد عقده - ودخل ابنُ الأشعث عسكره فانتهب ما فيه ، فقيل له : لو اتبعته ؟ فقال : قد تعينا ونصبتنا ، فترجّع إلى عسكره فألقى أصحابه السلاح ، وباتوا آمينين في أنفسهم لم الظفر . وهجم القومُ عليهم نصفَ الليل يصيحون بشعارهم ، فجعل الرجلُ من أصحاب ابن الأشعث لا يدرى أين يتوجّه ! دَجِبِلَ عن يساره ودجلة أمامه ، ولما جُرفَ منكّر ، فكان من غرق أكثر ممن قُتِل . ومع الحِجَّاج الصوتُ فعبر السبب إلى عسكره ، ثم وجه خيله إلى القوم فالتقى المسكران على عسكر ابن الأشعث ، وانحاز في ثلاثمائة ، فضى على شاطئ دجلة حتى أتى دَجِيلًا فعبّره في السفن ، وعقّروا دوابهم ، وانحدروا في السفن إلى البصرة ، ودخل الحِجَّاج عسكره فانتهب ما فيه ، وجعل يقتل من وجد حتى قتل أربعة آلاف ، فيقال : إن فيمن قُتِل عبد الله

١١٢٤/٢

١١٢٥/٢

ابن شداد بن الهاد ، وقتل فيهم بسطام بن مَصْفَلَةَ بن هُبيرة ، وعمر (١) ابن ضُبَيْعَةَ الرَقَاشِيَّ ، وبشر بن المنذر بن الجارود والحكم بن نَحْرمة العبدِيِّينَ ، وبُكَيْر بن ربيعة بن ثَرْوَان الضَّبِّيَّ ؛ فَأَتَى الْحِجَاجُ بِرُؤسِهِمْ عَلَى ثَرْس ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى رَأْسِ بَسْطَامَ وَيَتَمَثَّلُ :

إِذَا مَرَرْتَ بِوَادِي حَيَّةٍ ذَكَرٍ فَاذْهَبْ وَدَعْنِي أَقَاسِي حَيَّةَ الْوَادِي
ثُمَّ نَظَرَ إِلَى رَأْسِ بُكَيْرٍ ، فَقَالَ : مَا أَلَى هَذَا الشَّقِّ مَعَ هَؤُلَاءِ . خُذْ بِأَذْنِهِ
يَا غِلَامَ فَأَلْقِهِ عَنْهُمْ . ثُمَّ قَالَ : ضَعْ هَذَا التَّرْسَ بَيْنَ يَدَيَّ مَسْمَعُ بْنُ مَالِكٍ
ابْنِ مَسْمَعٍ ، فَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَبَكَى ، فَقَالَ لَهُ الْحِجَاجُ : مَا أَبْكَاكَ ؟ أَحْزَنَّا
عَلَيْهِمْ ؟ قَالَ : بَلْ جَنَزَعَا لَهُمُ مِنَ النَّارِ .

* * *

[ذكر خبر بناء مدينة واسط]

وفي هذه السنة : بَنَى الْحِجَاجُ وَاسْطًا ، وَكَانَ سَبَبُ بِنَائِهِ ذَلِكَ — فَمَا ذُكِرَ —
أَنَّ الْحِجَاجَ ضَرِبَ الْبَعْثَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَى خُرَّاسَانَ ، فَعَسَكُوا بِحِمَامٍ
عُمَرَ . وَكَانَ فَيُّ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُورَسِ بَابَةِ
عَمِّ لَهُ ، انْصَرَفَ مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَى ابْنَةِ عَمِّهِ لَيْلًا ، فَطَرَقَ الْبَابَ طَارِقًا وَدَقَّه دَقًّا
شَدِيدًا ، فَإِذَا سَكْرَانٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَالَتْ لِلرَّجُلِ ابْنَةُ عَمِّهِ : لَقَدْ لَقِينَا
مِنْ هَذَا الشَّأْمِيِّ شَرًّا ، يَفْعَلُ بِنَا كُلَّ لَيْلَةٍ مَا تَتَرَى ، يَرِيدُ الْمَكْرُوهَ ، وَقَدْ
شَكَوْتُهُ إِلَى مَشِيخَةِ أَصْحَابِهِ ، وَعَرَفُوا ذَلِكَ (٢) ، فَقَالَ : انْذَرُوا لَهُ ، فَفَعَلُوا ،
فَأَغْلَقَ الْبَابَ ، وَقَدْ كَانَتْ الْمَرْأَةُ نَجَدَتْ مِنْهَا وَطَبِئَتْهُ ، فَقَالَ الشَّامِيُّ :
قَدْ آتَى لَكُمْ ، فَاسْتَقْنَاهُ الْأَسَدِيُّ ، فَأَنْدَرَ رَأْسَهُ (٣) ، فَلَمَّا أُذِّنَ بِالْفَتْحِ
خَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى الْعَسْكَرِ وَقَالَ لَامْرَأَتِهِ : إِذَا صَلَّيْتَ الْفَجْرَ فَاذْهَبِي إِلَى الشَّامِيِّينَ
أَنْ أُخْرِجُوا صَاحِبَكُمْ ، فَمَيَّانُونَ بِكَ الْحِجَاجُ ، فَاصْطَدَّقِي الْخَبَرَ عَلَى وَجْهِهِ ؛

(١) ابن الأثير : « عمرو » .

(٢-٣) ابن الأثير : « فقال لها زوجها : ائلفي له ، فأذنت له ، فقتله زوجها » . وفي

السان : « أقتلت الرجل : حملته على القتل » .

فعلت ، ورُفِعَ القَتيلُ إلى الحجاج ، وأدخلت المرأة عليه وعنده عُبَيْسَةُ ابن سعيد على سريه ، فقال لها : ما خطبُك ؟ فأخبرته ، فقال : صدقتين . ثم قال لولاء الشامي : ادفنوا صاحبكم فإنه قتلُ الله إلى النار ، لا قودَ له ولا عَقْل ، ثم نادى مناديه : لا يترن أحدٌ على أحد ، واخرجوا فمسكروا . وبعث رُؤاداً يرتادون له مَتَزِلًا ، وأمن^(١) حتى نزل أطراف كَسَكْر ، فبينما هو في موضع واسط إذا راهبٌ قد أقبل على حمار له وعبر دجلة ، فلما كان في موضع واسط تفاجت الأتان فالت ، فترل الراهب ، فاحتفر ذلك البول ، ثم احتملته فرمى به في دجلة ، وذلك بعين الحجاج ، فقال : على به ، فأتمى به ، فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : نجد في كُفْنِنا أنه يُبْنَى في هذا الموضع مسجدٌ يُعبد الله فيه ما دام في الأرض أحدٌ يوحدّه . فاخبط الحجاج مدينة واسط ، وبني المسجد في ذلك الموضع .

• • •

وفي هذه السنة عزلَ عبدُ الملك - فيما قال الواقدي - عن المدينة أبانَ بنَ صُهَّان ، واستعملَ عليها هشامُ بنُ إسماعيلَ المخزومي . ١١٢٧/٢

وحجَّ بالناس في هذه السنة هشامُ بنُ إسماعيلَ ، حدثني بذلك أحمدُ ابن ثابت ، عن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

وكان العمال في هذه السنة على الأمصار سوى المدينة هم العمال الذين كانوا عليها في السنة التي قبلها ، وأما المدينة فقد ذكرنا من كان عليها فيها^(٢) .

(١) ب : « فأمن » .

(٢) ب : « فيها عليها » س : « عليها في السنة التي قبلها » .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوةُ عبد الله بن عبد الملك بن مروانَ الروم ، ففتَحَ فيها المصيصَة ، كذلك ذَكَرَ الواقدي .

[خبر قتل الحجاجُ أيوبَ بنَ القُريّةِ]

وفيها قَتَلَ الحجاجُ أيوبَ بنَ القُريّةِ ، وكان ممن كان مع ابن الأشعث ، وكان سبب قتله إياه غيماً ذُكِرَ - أنه كان يدخل على حَوْشِب بن يزيد بعد انصرافه من دَيْرِ الحِمَاجم - وحَوْشِب على الكوفة عامل للحجاج^(١) - فيقول حَوْشِب : انظروا إلى هذا الواقف معي ، وغداً أو بعد غد يأتي^(٢) كتاب من الأمير لا أستطيع إلا نفاذه ، فبينما هو ذات يوم واقف إذ أتاه كتاب من الحجاج : أما بعد ، فإنك قد صرت كنهماً لمتأفقي أهل العراق وسأوي ، فإذا نظرت في كتابي هذا فابعث إلى^(٣) بابن القُريّة مشدودة يده إلى عنقه ، مع ثقتي من قبلك .

فلما قرأ حَوْشِب الكتاب رَمَى به إليه ، فقرأه فقال : سمعاً وطاعة ؛ فبعث به إلى الحجاج مؤثقاً ، فلما دخل الحجاج قال له : يا ابن القُريّة ، ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : أصلح الله الأمير ! ثلاثة حروف كأنهن رُكْبٌ ومُوف ، دنيا ، وآخرة ، ومعروف . قال : اخرج مما قلت ، قال : أفعل ، أما الدنيا فال حاضر ، يأكل منه البرّ والفاجر ، وأما الآخرة فيزان عادل ، ومشهد ليس فيه باطل ، وأما المعروف فلإن كان عليّ اعترفت ، وإن كان لي اعترفت . قال : إما لا فاعترف بالسيف إذا وقع بك . قال : أصلح الله الأمير ! أقبلتني عشرتي ، وأسغى^(٤) ربي ؛ فإنه ليس بجواد إلا له

(٢) ب : « يأتي » .

(١) ب : « الحجاج » .

(٣) ط : « واسغى » .

كَبَيَّةٌ ، وَلَا شَجَاعٌ إِلَّا لَهُ هَبَيَّةٌ ^(١) . قَالَ الْحِجَّاجُ : كَلَّا وَاللَّهِ لَا رَيْنَكَ ^(٢) جَهَنَّمَ ، قَالَ : فَأَرِحْنِي فُلَانٌ أَجَدَ حَرًّا هَا ، قَالَ : قَدَمَهُ يَا حَرَسِي فَأَضْرِبْ عُنُقَهُ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ الْحِجَّاجُ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ قَالَ : لَوْ كُنَّا تَرَكْنَا ابْنَ الْقُرَيْبَةِ حَتَّى نَسْمَعَ مِنْ كَلَامِهِ ! ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ فَرُمِي بِهِ .

قَالَ هِشَامُ : قَالَ عَوَاةٌ : حِينَ مَنَعَ الْحِجَّاجُ مِنَ الْكَلَامِ ابْنَ الْقُرَيْبَةِ ، قَالَ لَهُ ابْنُ الْقُرَيْبَةِ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ أَنَا وَأَنْتَ عَلَى السَّوَاءِ لَسَكُنَا جَمِيعًا ، أَوْ لَأَلْقَيْتُ مَنِيْعًا .

١١٢٩/٢

* * *

[فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بباذغيس]

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ فَتَحَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ قَلْعَةَ نِيزَكِ بِبَاذَغَيْسٍ .

* ذَكَرَ سَبَبَ فَتْحِهِ إِيَّاهَا :

ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : كَانَ نِيزَكُ يَتَزَلَّ بِقَلْعَةٍ بِبَاذَغَيْسٍ ، فَتَحِينَ يَزِيدُ غَزْوَهُ ، وَوَضَعَ عَلَيْهِ الْعِيُونَ ، فَبَلَغَهُ خُرُوجُهُ ، فَخَالَفَهُ يَزِيدُ إِلَيْهَا ، وَبَلَغَ نِيزَكُ فَرَجَ ، فَصَالَحَهُ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ مَا فِي الْقَلْعَةِ مِنَ الْخَزَائِنِ ، وَيَرْتَحِلَ عَنْهَا بِعِيَالِهِ ، فَقَالَ كَعْبُ بْنُ مُعَدَّانَ الْأَشْقَرِيُّ :

وَبَاذَغَيْسُ الَّتِي مَنَ حُلَّ ذُرُوتِهَا	عَزَّ الْمُلُوكُ فَإِنْ شَاءَ جَارٌ أَوْ ظَلَمَا
مَنِيْعَةٌ لَمْ يَكُنْهَا قَبْلَهُ مَلِكٌ	إِلَّا إِذَا وَاجَهَتْ جَيْشًا لَهُ وَجَمَا
تَخَالُ نِيرَانُهَا مِنْ بُعْدٍ مَنَظَرُهَا	بَعْضَ النُّجُومِ إِذَا مَالِيْهَا عَمَّا
لَمَّا أَطَافَ بِهَا ضَاقَتْ صَدُورُهُمْ	حَتَّى أَقْرَأُوا لَهُ بِالْحُكْمِ فَاحْتَكَمَا
فَذَلَّ سَاكِنُهَا مِنْ بَعْدِ عِزَّتِهِ	يُعْطَى الْجِزْيَ عَارِفًا بِالذَّلِّ مُهْتَضِمًا
وَبَعْدَ ذَلِكَ أَيَّامًا نَعْدَدُهَا	وَقَبْلَهَا مَا كَشَفَتْ الْكَرْبِ وَالظَّلْمَا
أَعْطَاكَ ذَاكَ وَلِيُّ الرِّزْقِ يَقْسِمُهُ	بَيْنَ الْخَلَائِقِ وَالْمَحْرُومِ مِنْ حُرْمَا

١٢٣٠/٢

(١) البيان والتبيين ١ : ١١٢ ، ٣٥٠ .

(٢) ابن الأثير : « لأرينك » .

يداك إحداهما تُسقى العدو بها
فهل كَتِيبَ يزيدَ أَوْ كَتِيبَ
ليسا بأجود منه حينَ مَدَّهما
وقال :

ثُنَانِي عَلَى حَيِّ الْعَتِيكَ بِأَنَّهُا
إِذَا عَقَلُوا لِلجَارِ حَلَّ بِنَجْوَةٍ
نَفَى نِيزَكَ عَنْ بَادِغَيْسٍ وَنِيزَكَ
مُحَلِّقَةٍ دُونَ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا
وَلَا يَبْلُغُ الْأَرْضَى شَارِيحَهَا الْعَلَا
وَمَا خَوْفَتْ بِالذَّبِّ وَلِدَانُ أَهْلِهَا
تَمَيَّنْتُ أَنْ أَلْقَى الْعَتِيكَ ذَوِي النَّهْيِ
كَمَا يَتَمَنَّى صَاحِبُ الْحَرْثِ أَعْطَشَتْ
فَأَسْقَى بَعْدَ الْيَأْسِ حَتَّى تَحْيِرَتْ
لَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ النَّوَى وَتَشَعَّبَتْ
قَالَ : وَكَانَ نِيزَكَ يُعْظَمُ الْقَلْعَةَ إِذَا رَأَاهَا مَسْجِدًا لَهَا . وَكَتَبَ يَزِيدُ بْنُ
الْمُهَلَّبِ إِلَى الْحِجَاجِ بِالْفَتْحِ ، وَكَانَتْ كُتُبُ يَزِيدَ إِلَى الْحِجَاجِ يَكْتُبُهَا
يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ الْمَدَوَانِي ، وَكَانَ حَلِيفًا لَهُذِيلُ ، فَكُتِبَ : إِنَّا لَقَيْنَا الْعَدُوَّ
فَنَحْنُ اللَّهُ أَكْثَرُهُمْ ، فَقَتَلْنَا طَائِفَةً ، وَأَسْرَيْنَا طَائِفَةً ، وَلَحَقَتْ طَائِفَةٌ بِرُعُوسِ
الْجِبَالِ وَعَرَاغِرِ الْأَوْدِيَةِ ، وَأَهْضَامِ الْغَيْطَانِ وَأَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ^(١)؛ فَقَالَ الْحِجَاجُ :
مَنْ يَكْتُبُ لِيَزِيدَ ؟ فَقِيلَ : يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ ، فَكُتِبَ إِلَى يَزِيدَ فَحَمَلَهُ عَلَى
الْبَرِيدِ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ أَفْصَحُ النَّاسِ ، فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ وَلَيْتَ ؟ قَالَ : بِالْأَهْوَازِ ؛
قَالَ : فَهَذِهِ الْقَصَاحَةُ ؟ قَالَ : حَفِظْتُ كَلَامَ أَبِيي وَكَانَ فَصِيحًا^(٢) . قَالَ : مِينَ

(١) البررة قلة الجبل ، وجسمها عراعر ، والأهضام : أخضار الأودية وأسلالها .

(٢) التفائق ٢ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

هناك فأخبرني هل يُلحَن عنبسة بن سعيد؟ قال : نَعَمْ كثيراً ، قال : ففُلان ؟
 قال : نعم ، قال : فأخبرني عَنَى أَلْحَن ؟ قال : نعم تلحَن لحنا خفياً ؛
 تزيد حرفاً وتُنقص حرفاً ، وتجعل أن في موضع إن ، وإن في موضع أن .
 قال : قد أجدك ثلاثاً ، فإن أجدك بعد ثلاث بأرض العراق قتلتك .
 فَرَجَعَ إلى خُرَاسان .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة هشامُ بنُ إسماعيلَ المخزومي ، كذلك حدثني
 أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
 وكانت عمَّال الأمصار في هذه السنة عمَّالها الذين سميتُ قبلُ في سنة
 ثلاث وثمانين .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ذكر ما كان فيها من الأحداث

• • •

[خبر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث]

ففيها كان هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث .

• ذكر السبب الذي به هلك ، وكيف كان :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي غنثف ، قال : لما انصرف ابن الأشعث من هجرة راجعاً إلى رُبَيْل^(١) كان معه رجلٌ من أود يقال له علقمة بن عمرو ، فقال له : ما أريد أن أدخل معك ، فقال له عبد الرحمن : لم ؟ قال : لأنني^(٢) أنخوف عليك وعلى من معك ، والله لكأني بكتاب الحجاج قد جاء ، فوقع إلى رُبَيْل يرُغِبُه ويرُهِبُه ، فإذا هو قد بعث بك مسلماً أو قتلهم . ولكن ها هنا خمسمائة قد تباعنا على أن ندخل مدينة فتتحصن^(٣) فيها ، ونقاتل حتى نعطى أماناً أو نموت كراماً . فقال^(٤) له عبد الرحمن : أما لو دخلت معي لأسيئتك^(٥) وأكرمك ، فأبى عليه علقمة ، ودخل عبد الرحمن بن محمد إلى رُبَيْل . وخرج هؤلاء الخمسمائة فبعثوا عليهم مودوداً النضري ، وأقاموا حتى قدم عليهم عمارة بن تميم اللخمي فحاصروهم ، فقاتلوه وامتنعوا منه حتى آمنهم ، فخرجوا إليه فوفى لهم .

قال : وتباعت كتائب الحجاج إلى رُبَيْل في عبد الرحمن بن محمد أن ابعت به إلى ، وإلا فوالذي لا إله إلا هو لأوطئ أرضك ألف ألف مقاتل . وكان عند رُبَيْل رجلٌ من بني تميم ثم من بني يربوع يقال له عبيد بن أبي سبيع ، فقال لرُبَيْل : أنا آخذ لك من الحجاج عهداً ليكنن الخراج

(١) بهما في ب : « ملك الترك » . (٢) س : « إلى » .

(٣) ب : « تحصن » . (٤) ب : « قال » .

(٥) ب : « لاسئك » .

عن أرضك سبع سنين على أن تدفع إليه عبد الرحمن بن محمد ، قال رُئبيل لعبيد : فإن فعلت فإن لك عندي ما سألت .

فكتب إلى الحجاج يُخبره أن رُئبيل لا يعصيه ، وأنه لن يدع رُئبيل حتى يبعث إليه بعبد الرحمن بن محمد ، فأعطاه الحجاج على ذلك مالا وأخذ من رُئبيل عليه مالا ، وبعث رُئبيل برأس عبد الرحمن بن محمد إلى الحجاج ، وترك له الصلح الذي كان يأخذه منه سبع سنين . وكان ^(١) الحجاج يقول : بعث إلى رُئبيل بعدو الله . فالتقى نفسه من فوق إجتار فأت . ^(٢) قال أبو مخنف : حدثني سليمان بن أبي راشد . أنه سمع مُليكة ابنة يزيد تقول : والله كُلمت عبد الرحمن وإن رأسه لهل فخذى ، كان السل قد أصابه . فلما مات وأرادوا دفنه بعث إليه رُئبيل فتحز رأسه ، فبعث به إلى الحجاج ، وأخذ ثمانية عشر رجلا من آل الأشعث فحبسهم عنده ، وترك جميع من كان معه من أصحابه . وكتب إلى الحجاج بأخذه الثمانية عشر رجلا من أهل بيت عبد الرحمن ، فكتب إليه : أن اضرب رقابهم ، وابعث إلى برعوسهم ، وكره أن يؤتى بهم إليه أحياء فيطلب فيهم إلى عبد الملك ، فترك منهم أحدا .

وقد قيل في أمر بن أبي سبيع وابن الأشعث غير ما ذكرت عن أبي مخنف ، وذلك ما ذكر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنه كان يقول : زعم أن عُمارة بن نعيم خرج من كَرَمَان فأتى سجستان وعليها رجل من بني العنبر يدعى مودودا ، فحصره ثم آمنه ، ثم استولى على سجستان ، وأرسل إلى رُئبيل . وكتب إليه الحجاج : أما بعد ، فإن قد بعث إليك عُمارة بن نعيم في ثلاثين ألفا من أهل الشام لم يخالفوا طاعة ، ولم يخلعوا خليفة ، ولم يتبعوا إمام ضلالة ، يُجرى على كل رجل منهم في كل شهر مائة درهم ، يستطيعون الحرب استطاعا ، يَطْلُبُون ابن الأشعث . فأبى رُئبيل أن يسلمه . وكان مع ابن الأشعث عبيد بن أبي سبيع التميمي قد خص به ،

(١) ب : « فكان » .

(٢) كذا في ط ، وانظر الصفحة التالية . والإجاز : مطع المنزل .

وكان رسوله إلى رُتَيْبِل ، فخصَّ رُتَيْبِلَ أيضاً ، وخفَّ عليه . فقال القاسم ابن محمد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن : إني لا آمن غلرَ التميمي ، فاقتله ، فهسَمَ به ، وبلغ ابن أبي سفيان ، فخافه فوثق به إلى رُتَيْبِل ، وخوفه الحجاج ، ودعاه إلى الغدُرَ بابن الأشعث فأجابه ، فخرج سراً إلى عُمارة بن نعيم ، فاستعجل في ابن الأشعث ، فجعل له ألفَ ألف ، فأقام عنده ، وكتبَ بذلك عُمارة إلى الحجاج ، فكتب إليه أن أعطَ عبيداً ورُتَيْبِلَ ما سألاك واشترط^(١) ، فاشترط رُتَيْبِلُ ألا تغزى بلاده عشر سنين ، وأن يؤدَّى بعد العشر سنين في كل سنة تسعمائة ألف ، فأعطى رُتَيْبِلَ وعبيداً^(٢) ما سألا ، وأرسل رُتَيْبِلَ إلى ابن الأشعث فأحضره وثلاثين من أهل بيته ، وقد أعدَّ لهم الجوامع والقيود ، فألقى في عنقه جماعة ، وفي عنق القاسم جماعة ، وأرسل بهم جميعاً إلى أدنى مسالح عمارة منه ، وقال لجماعة من كان مع ابن الأشعث من الناس : تفرقوا إلى حيث شئتم ، ولما قرب ابن الأشعث من عمارة ألقى نفسه من فوق قصر فات ، فاحتزَّ رأسه ، فأتى به وبالأسرى عمارة ، فضرب أعناقهم ، وأرسل برأس ابن الأشعث وبرموس أهله وبامراته إلى الحجاج ، فقال في ذلك بعض الشعراء :

هيئات موضعُ جُثَّةٍ من رأسها رأسٌ بمصرَ وجُثَّةُ بالرخيخ^(٣) ١١٢٦/٢

وكان الحجاج أرسل به إلى عبد الملك ، فأرسل^(٤) به عبد الملك إلى عبد العزيز وهو يومئذ على مصر .

وذكر عمر بن شبة أن ابن عائشة حدثه قال : أخبرني سعد بن عبيد الله قال : لما أتني عبد الملك برأس ابن الأشعث أرسل به مع خصي إلى امرأة منهم كانت تحت رجل من قريش ، فلما وُضع بين يديها قالت : مرحباً بزازر لا يتكلم ؛ ملكك من الملوك طلب ما هو أهله فأبت المقادير . فذهب الحصي يأخذ الرأس فاجتذبه من يده ، قالت : لا والله حتى أبلغ

(١) كلما في ب ، وفي ط : « فاشترط » . (٢) ر : « وعبيد الله » .

(٣) ر : « بالرخيخ » ، س : « بالرخيخ » . (٤) ب : « وأرسل » .

حاجتي ، ثم دعت بخطمي ففصلته وغلغلته ثم قالت : شأنك به الآن .
فأخذه ، ثم أخبر عبد الملك ، فلما دخل عليه زوجها ، قال : إن استطعت
أن تصيب منها سخلة .

وذكر أن ابن الأشعث نظر إلى رجل من أصحابه وهو هارب إلى بلاد
رتبيل فتمثل :

يطرده الخوف فهو تائه^(١) كذاك من يكره حر الجلاذ
منخرق الخفين يشكو الوجا تنكبه أطراف مرو حداد
قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد

فالتفت إليه فقال : يا حية ، هلا ثبت في موطن من المواطن فتموت
بين يديك ، فكان خيراً لك مما صرت إليه !

قال هشام : قال أبو مخنف : خرج الحجاج في أيامه تلك يسير ومعه
حميد الأرقط وهو يقول :

١١٣٧/٢

ما زال يبنى خندقاً ويهدمه^(٢) عن عسكر يقوده فيسلمه
حتى يصير في يديك مقسمة هيات من مصفه منهزمة .
• إن أخا الكفاظ من لا يسأله •

فقال الحجاج : هذا أصدق من قول الفاسق أعشى همدان :

نبئت أن بئى يو سف خر من زلق فتبأ

قد تبين له من زلق وتب وخص فانكب ، وخاف وخاب ، وشك
وارتاب ، ورفع صوته فما بقى أحد إلا فزع لغضبه ، وسكت الأرقط ، فقال
له الحجاج : عد فيما كنت فيه ، ما لك يا أرقط ! قال : إني جعلت
فذاك أيها الأمير وسلطان الله عزيز ، ما هو إلا أن رأيتك غضبت فأرعدت
خصائلي ، واحزألت مفاصلي ، وأظلم بصري ، ودارت بي الأرض . قال له

(١) ب : طرده الخوف . (٢) د : ويهدمه .

الحجاج : أجل ، إن سلطان الله عزيز ، عدّ فيما كنت فيه ، ففعل .
 وقال الحجاج وهو ذات يوم يسير ومعه زياد بن جبرير بن عبد الله البجليّ
 وهو أعور ، فقال الحجاج للأريقط : كيف قلت لابن سمرة ؟ قال : قلت :
 يا أعور العين فليئت العوراً^(١) كنت حبست الخنثى المحضورا
 يرُدُّ عنك القدر المفسدورا ودائرات السوء أن تلورا
 وقد قيل : إن مهلك عبد الرحمن بن محمد كان في سنة أربع وثمانين . ١١٣٨/٢

* * *

[عزل يزيد بن المهلب عن خراسان]

وفي هذه السنة عزل الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب عن خراسان
 وولاهما المفضل بن المهلب أخا يزيد .

* ذكر السبب الذي من أجله عزله الحجاج عن خراسان واستعمل المفضل :
 ذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد ، أن الحجاج وقتد إلى
 عبد الملك ، فرأى منصرفه بدير فتزكّه ، فقيل له : إن في هذا الدّير
 شيخاً من أهل الكتّاب عالم ، فدعا به فقال : يا شيخ ، هل تجدون في
 كتبكم ما أنتم فيه ونحن ؟ قال : نعم ، نجد ما مضى من أمركم وما أنتم فيه
 وما هو كائن ، قال : أفسسى أم موصوفاً ؟ قال : كل ذلك ، موصوف بغير
 اسم ، واسم بغير صفة ، قال : فما تجدون صفة أمير المؤمنين ؟ قال : نجده
 في زماننا الذي نحن فيه ؛ ملك أفرع ، من يقيم لسبيله يصرع ، قال : ثم
 من ؟ قال : اسم رجل يقال له الوليد ، قال : ثم ماذا ؟ قال : رجل اسمه
 اسم نبيّ يفتح به على الناس ، قال : أتعرفني ؟ قال : قد أخبرت بك .
 قال : أتعلم ما ألي ؟ قال : نعم ، قال : فمن يليه بحدى ؟ قال : رجل
 يقال له يزيد ، قال : في حياتي أم بعد موتي ؟ قال : لا أدري ، قال : أتعرف
 صفته ؟ قال : يغلو غلوة ، لا أعرف غير هذا .

١١٣٩/٢

قال : فوقَعَ في نفسه يزيدُ بنُ المهلب ، وارتحل فسار سَبْعًا وهو وَجِلٌ من قولِ الشيخ ؛ وَقَدِمَ فَكَتَبَ إلى عبد الملكِ يَسْتَغْفِيهِ من العراق ، فَكَبَّ إليه : يا بنَ أُمِّ الحِجَّاجِ ، قد علمتُ الذي تغزو ، وأنتَ تريدُ أن تَعْلَمَ رأيي فيكَ ، وَلَحَسْرَى لِي لَأَرَى مكانَ نافعِ بنِ عِثْمَةَ ، قاله عن هذا حتى بَاقَى الله بما هوَ آتٍ ؛ فقال الفرزدقُ يَلْكَرُ مسيرَه :

لو أَنَّ طَيْرًا كَلَّفْتُ مِثْلَ سِيرِهِ إلى واسطٍ من إيلياء لَمَكَّتْ^(١)
سَرَى بالمَهَارَى من فِلَسْطِينَ بعدما دنا اللَّيْلُ من شمسِ النهارِ فَوَلَّتْ^(٢)
فما عاد ذاكَ اليومُ حتى أَنَاخَهَا بِمَيْسَانٍ قَدْ مَلَتْ سُرَاهَا وَكَلَّتْ^(٣)
كَأَنَّ قُطَامِيًّا عَلَى الرُّحْلِ طَاوِيًّا إِذَا غَمَرَةُ الظُّلَمَاءِ عَنْهُ تَجَلَّتْ^(٤)

قال فيينا^(٥) الحِجَّاجُ يومًا خَالَ^(٦) إِذْ دَعَا عبيد^(٧) بنَ مَوْهَبٍ ، فدخل وهو يَسْكُتُ في الأَرْضِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فقال : وَيَحْكَ يا عُبَيْدُ ! إن أهلَ الكُلبِ يَلْكَرُونَ أَنَّ ماتحت يَدِي يليه رجلٌ يُقالُ له يزيدُ ، وقد تَذَكَّرْتُ يزيدَ بنَ أَبِي كَبْشَةَ ، ويزيدَ بنَ حُصَيْنٍ بنِ مُثَمِرٍ ، ويزيدَ بنَ دينارٍ ، فليسوا هناك ، وما هوَ إن كانَ إلا يزيدُ بنُ المهلبِ ؛ فقال عبيدُ : لقد شَرَفْتَهُمْ وَأَعْظَمْتَ^(٨) ، وَإِنْ لَمْ لَعَدَدًا وَجَلَدًا ، وَطَاعَةَ وَحُظًا ، فَأَخْلَقَ بِهِ . فَأَجْمَعَ على عَزْلِ يزيدِ فلم يَجِدْ لَهُ شَيْئًا حتى قدمَ الحِيارُ بنَ أَبِي سَبْرَةَ بنِ ذُؤَيْبِ بنِ عَرْفَجَةَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ سَفْيَانَ بنِ مُجَاشِعٍ — وَكَانَ من فُرْسَانَ المهلبِ — وَكَانَ مع يزيدٍ — فقال له الحِجَّاجُ : أَخْبَرْتَنِي عن يزيدٍ ، قال : حَسَنَ الطَّاعَةِ ، لَيْسَ السَّيْرَةُ ، قال : كَذِبْتَ ، أَصْدَقَنِي عَنْهُ ، قال : اللهُ أَجْلٌ وَأَعْظَمُ ، قد أَسْرَجَ ولم يَلْجِمِ ، قال : صَدَقْتَ ، واستعملَ الحِيارَ على عُثْمَانَ بعد ذلك .

١١٤٠/٢

(١) ديوانه ١٣٧ . (٢) الديوان : « ذَا النِّبْيِ » .

(٣) الديوان : « قد حلت عراها وملت » . (٤) بعده في الديوان :

وقَدِّ علمَ الأَقْوَامِ أَنَّ ابنَ يَوْسُفٍ قَطُوبٌ إِذَا ما المَشْرِفِيَةُ سُلِّتِ

(٥) ب : « فيينا » . (٦) ب : « غاليا » .

(٧) ب : « عبيد » . (٨) ب : « وعظمت » .

قال : ثم كتّبت إلى عبد الملك ينمّ يزيد وآل المهلب بالزبيرة ، فكتب إليه عبدُ الملك : إني لا أرى نقصاً بآل المهلب طاعتهم لآل الزبير ، بل أراه وفاء منهم لهم ، وإنّ وقاهم لم يدعهم إلى الوفاء لي . فكتّبت إليه الحجاج يخوفه غدراً لم أخبره به الشيخ . فكتب إليه عبدُ الملك : قد أكثرت في يزيد وآل المهلب ، فسمّ لي رجلاً يصلح لخراسان ؛ فسمّى له جماعة بن سمر السعدى ، فكتب إليه عبدُ الملك : إنّ رأيك الذى دعاك إلى استفساد آل المهلب هو الذى دعاك إلى جماعة بن سمر ، فانظر لي رجلاً صارماً ، ١١٤١/٢ ماضياً لأمرى ، فسمّى قتيبة بن مسلم ، فكتب إليه : ولّه . وبلغ يزيد أن الحجاج عزّله ، فقال لأهل بيته : من ترؤن الحجاج يولى خراسان ؟ قالوا : رجلاً من ثقيف ، قال : كلاً ، ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعهدّه ، فإذا قمّت عليه عزله وولى رجلاً من قيس ، وأخلق بقتيبة ! قال : فلما أذن عبد الملك للحجاج فى عزله يزيد كره أن يكتب إليه بعزله ، فكتب إليه أن استخلف المفضل وأقبل . فاستشار يزيدُ حصّينَ بن المنذر ، فقال له : أمّ واعتلّ ، فإنّ أمير المؤمنين حسنَ الرأى فيك ، وإنما أتيت من الحجاج ، فإن أقمّت ولم تجعل رجوت أن يكتب إليه أن يقرّ يزيد ، قال : إنّنا أهل بيت بُورك لنا فى الطاعة ، وأنا أكره المعصية والخلاف ، فأخذ فى الجهاز ، وأبطل ذلك على الحجاج ، فكتب إلى المفضل : إني قد وليتُك خراسان ، فجعل المفضل يستحيّ يزيد ، فقال له يزيد : إنّ الحجاج لا يقرّك بعدى ، وإنما دعاه إلى ما صنّع مخافة أن أمتنع عليه ، قال : بل حسدتنى ، قال يزيد : يا بن بهله ، أنا أحسدك ! ستعلم . وخرج يزيد فى ربيع الآخر سنة خمس وثمانين . فعزل الحجاج المفضل ، فقال الشاعر للمفضل وعبد الملك وهو أخوه لأمّه :

يا بُنى بهله إنّما أخسركما ربّى غداةَ غداَ الهَمَامُ الأزهرُ
أخسرتُم لأخيكم فوقم فى قعرٍ مظلمةٍ أخسوها المَعُورُ
جودوا بتوبةٍ مُخلصينَ فإنما يابى ويأنف أن يتوبَ الأَخسرُ

وقال حُصَيْن ليزيد :

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني فأصبحتَ مَسْلُوبَ الإمارةِ نادِماً
فما أنا بالباكي عليك صَبَابَةً وما أنا بالداعي لترجعَ سَالِماً

فلما قدم قتيبة خراسان قال لحصين : كيف قلت ليزيد ؟ قال : قلت :

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني فنفسك أولو اللوم إن كنتَ لائماً
فلإن يبلغَ الحجاجُ أن قد عصيتُ فلإنك تلقى أمره متفاقماً

قال : فإذا أمرته به فعصاك ؟ قال : أمرته ألا يدعَ صفراءَ ولا
بيضاءَ إلا حملها إلى الأمير ، فقال رجل لميائض بنِ حصين : أما أبوك
فوجدته قتيبة حين فرّه قارحاً بقوله : « أمرته ألا يدعَ صفراءَ ولا بيضاءَ
إلا حملها إلى الأمير » .

قال عليّ : وحدّثنا كُتَيْب بن خَلْف ، قال : كتب الحجاج إلى يزيد
أن اغزُ خوارزم ، فكتب إليه : أيها الأمير ، إنها قليلة السلب ، شديدةُ
الكتِّب . فكتب إليه الحجاج : استخلف وأقدم ، فكتب إليه : إني
أريد أن اغزو خوارزم . فكتب إليه : لا تغزها فإنها كما وصفت ، فغزا
ولم يُعطيه ، فصالحه أهلُ خوارزم ، وأصاب سبيّاً ممّا صالحوه ، وقتل
في الشتاء ، فاشتدّ عليهم البردُ ، فأخذ الناس ثيابَ الأُمرى فلبسوها ، فأت
ذلك السي من البرد . قال : ونزل يزيدُ بلسانة ، وأصاب أهلُ مرو
الروذ طاعونٌ ذلك العام ، فكتب إليه الحجاج : أن أقدم ، فقدم ، فلم يمر
بلد إلا فرسوا له الرّياحين . وكان يزيدُ ولي سنة اثنتين وثمانين ، وعزل سنة خمس
وثمانين ، وخرج من خراسان في ربيع الآخر سنة خمس وثمانين ، وولى قتيبة .

١١٤٣/٢

وأما هشام بن محمد ، فإنه ذكر عن أبي عَنَتَف في عزل الحجاج يزيد عن
خراسان سبباً غير الذي ذكره عليّ بن محمد ، والذي ذكر من ذلك عن
أبي عَنَتَف أن أبا المُخارق الراسبي وغيره حدّثوه أن الحجاج لم يكن له حين
فرّح من عبد الرحمن بن محمد هم إلا يزيد بن المهلب وأهل بيته - وقد

كان الحجاج أذلّ أهل العراق كلهم إلا يزيد وأهل بيته ومن معهم من أهل
المصّرّين بخراسان ، ولم يكن يتخوف بعد عبد الرحمن بن محمد بالعراق
غير يزيد بن المهلب - فأخذ الحجاج في مواربة يزيد ليستخرجّه من خراسان ،
فكان يبعث إليه لياتيه . فيعتلّ عليه بالعدو وحرب خراسان ، فكث
بذلك^(١) حتى كان آخر سلطان عبد الملك . ثم إن الحجاج كتب إلى عبد الملك
يشير عليه بعزل يزيد بن المهلب ، ويخبره بطاعة آل المهلب لابن الزبير ،
وأنا له وفاة لهم ، فكثب إليه عبد الملك : إني لا أرى تقصيراً يؤكّد المهلب
طاعتهم لآل الزبير ووفاءهم لهم ، فإن طاعتهم ووفاءهم لهم ، هو دعاهم إلى
طاعتي والوفاء لي .

ثم ذكر بقية الخبر نحو الذي ذكره علي بن محمد .

[غزو المفضل باذغيس وآخرين]

وفي هذه السنة غزا المفضل باذغيس ففتحها .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد ، قال : عزل الحجاج
يزيد ، وكتب إلى المفضل بولايته على خراسان سنة خمس وثمانين ، فوليها
تسعة أشهر ، فغزا باذغيس ففتحها وأصاب مغاناً ، فقسّمه بين الناس ،
فأصاب كل رجل منهم ثمانمائة درهم ، ثم غزا آخرون وشومان ، فظفر
وغنم ، وقسم ما أصاب بين الناس ، ولم يكن المفضل بيت مال ، كان
يُعطي الناس كلما جاءه شيء ، وإن غنم شيئاً قسّمه بينهم ، فقال كعب
الأشقرى يمدح المفضل :

تري ذا الغنى والفقر من كل معشر^(٢) عصائب شتى ينتوون المفضلاً
فمن زائر يرجو فواضل سببه وآخر يقضي حاجه قد ترحل^(٣)

(٢) ب : « ترى ذا الغنى » .

(١) ب : « كلك » .

(٣) ب : « ترحل » .

إذا ما انتويننا غير أرضك لم نجد
إذا ما عَدَدْنَا الأكرمين ذوى النهى
لعمري لقد صال الفضل صولة ١١٤٥/٢
ويوم ابن عباس تناولت مثلها
صفت لك أخلاق المهلب كلها
أبوك الذى لم ينع ساع كسبه

بها منتوى خيرا ولا متعللا
وقد قدموا من صالح كنت أولا
أباحث بشومان المناهل والكللا
فكانت لنا بين الفريقين فيصلا
وسريلت من مسعاه ما تسريلا
فاورث مجدا لم يكن متنعلا^(١)

* * *

[خبر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم بالترمز]

وفي هذه السنة قُتِلَ موسى بن عبد الله بن خازم السُّلَمِيّ بالترميز .
* ذكر سبب قتله ومصيره إلى الترمذ حتى قُتِلَ بها :

ذكر أن سبب مصيره إلى الترمذ كان أن أباه عبد الله بن خازم لما قُتِلَ
من قُتِلَ من بني تميم بفرقتنا - وقد مضى ذكرى خبر قتله إياهم - نفرق
عنه عظم من كان يقي معه منهم ، فخرج إلى نيسابور وخاف بني تميم على
ثقله بمرو ، فقال لابنته موسى : حوّل ثقلك عن مرو ، واقطع نهر بلخ حتى
تلبأ إلى بعض الملوك أو إلى^(٢) حصن تميم^(٣) فيه . فشخص موسى من
مرو في عشرين ومائتي فارس ، فأقْبَلَ آمِلٌ وقد ضوى إليه قوم من الصعاليك ،
فصار في أربعمائة ، وانضم إليه رجال من بني سليم ، منهم زُرْعَةُ بن علقمة ،
فأقْبَلَ زَمٌّ قاتلوه ، فظفر بهم وأصاب^(٤) مالا ، وقطع النهر ، فأقْبَلَ بِخَارَى
فسأل صاحبها أن يلبأ إليه ، فأبى وخافه ، وقال : رجل فانك ، وأصحابه
مثله أصحاب حرب وشر ، فلا آمنه . وبعث إليه بصلة عين ودواب
وكسوة ، ونزل على عظيم من عظماء أهل بخارى في نوقان ، فقال له : إنه

(٢) ب : « وملك » .

(١) ب : « متنعلا » .

(٣) ابن الأثير : « تقوم » .

(٤) ب : « فأصاب » .

لا خيرة في المقام في هذه البلاد ، وقد هابك القوم وهم لا يأمنونك . فأقام عند دهمقان نوقان أشهراً ، ثم خرج يلتمس ملكاً يلجأ إليه أو حصناً ، فلم يأت بلداً إلا كثرها مقامه فيهم ، وسألوه أن يخرج عنهم .

قال علي بن محمد : فأتى سمرقند فأقام بها ، وأكرمه طرخون ملكها ، وأذن له في المقام ، فأقام ما شاء الله ، ولأهل الصغد مائدة يوضع عليها لحم ودك^(١) ، وخببز وإيريق شراب ، وذلك في كل عام يوماً ، يجعل ذلك لفارس الصغد فلا يقربه أحد غيره ، هو طعامه في ذلك اليوم ، فإن أكل منه أحد غيره بارزه فأيهما قتل صاحبه فالمائدة له ، فقال رجل من أصحاب موسى : ما هذه المائدة ؟ فأخبر عنها ، فسكت ، فقال صاحب موسى : لا تكن ما على هذه المائدة ، ولأبارزن فارس الصغد ، فإن قتلته كنت فارسهم . فجلس فأكل ما عليها ، وقيل لصاحب المائدة ، فجاء مغضباً ، فقال : يا عربى ، بارزنى ، قال : نعم ، وهل أريد إلا المبارزة ! فبارزه فقتله صاحب موسى ، فقال ملك الصغد : أنزلتكم وأكرمتمكم فقتلتم فارس الصغد ! لولا أنى أعطيتك وأصحابك الأمان لقتلتكم ، اخرجوا عن بلدى ، ووصله .

٧/٢ :

فخرج موسى فأتى كس فكتب صاحب كس إلى طرخون يستنصره ، فأثاه ، فخرج إليه موسى في سبع مائة فقاتلهم حتى أمسوا ، وتجاوزوا وبأصحاب موسى جراح كثيرة ، فلما أصبح أمرهم موسى فطلقوا رؤوسهم كما يصنع^(٢) الخوارج ، وقطعوا صفينات أخيبتهم كما يصنع العجم إذا استأثوا . وقال موسى لزرعة بن علقمة : انطلق إلى طرخون فاحتل له . فأثاه ،

فقال له طرخون : ليم صنع أصحابك ما صنعوا ؟ قال : استقتلوا فاجتلك إلى أن تقتل أيها الملك موسى وتقتل ! فإنك لا تصل إليه حتى يقتل مثل عدتهم منك ، ولو قتلته وإياهم جميعاً ما نلت حظاً ، لأن له قدراً في العرب ، فلا يلى أحد خراسان إلا طالبك بدمه ، فإن سلمت من واحد لم تسلم من آخر ، قال : ليس إلى ترك كس في يده سبيل ، قال : فكف عنه حتى

(١) لحم دك : فيه دم .

(٢) ب : « تصنع » .

بَرْتَحِل ، فكفَّتْ وَأَتَى مُوسَى التَّرْمِذَ وبها حصن يُشْرِفُ على النهر إلى جانب منه ، فَنَزَلَ مُوسَى على بعض دُهَاقِينَ التَّرْمِذَ خَارِجًا مِنَ الْحِصْنِ وَالِدُهُ قَان مُجَانِبَ لِرِمْنِ شَاه ، فَقَالَ لِمُوسَى : إِنَّ صَاحِبَ التَّرْمِذِ مُتَكَرِّمٌ شَدِيدُ الْحَيَاءِ ، فَإِنْ أَلْفَقْتَهُ ^(١) وَأَهْلَيْتَ إِلَيْهِ أَدْخَلَكَ حِصْنَهُ ، فَإِنَّهُ ضَعِيفٌ ، قَالَ : كَلَّا ، وَلَكِنِّي أَسْأَلُهُ أَنْ يُدْخِلَنِي حِصْنَهُ ، فَسَأَلَهُ فَأَتَى ، فَكَرَّهُهُ مُوسَى وَأَهْدَى لَهُ ^(٢) وَالْطَّمْعَةَ ، حَتَّى لَطَفَ الَّذِي بَيْنَهُمَا ، وَخَرَجَ فَتَصَيَّدَ مَعَهُ ، وَكَثُرَ الْإِطَافُ مُوسَى لَهُ ، فَصَنَعَ صَاحِبُ التَّرْمِذِ طَعَامًا وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ : إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَكْرِمَكَ ، فَتَعَدَّ عِنْدِي ، وَاتَّئِنِّي فِي مَائَةِ مِنْ أَصْحَابِكَ . فَأَتَقَبَّحَ مُوسَى مِنْ أَصْحَابِهِ مَائَةً ، فَدَخَلُوا عَلَى خُيُولِهِمْ ، فَلَمَّا صَارَتْ فِي الْمَدِينَةِ تَصَاهَكَتْ ، فَطَطِيرَ أَهْلُ التَّرْمِذِ وَقَالُوا لَهُمْ : انْزِلُوا ، فَتَزَلُّوا ، فَأَدْخَلُوا بَيْتًا ، خَمْسِينَ فِي خَمْسِينَ ، وَغَدَوْهُمْ .

١١٤٨/٢

فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنَ الْغَدَاةِ اضْطَجَعَ مُوسَى ، فَقَالُوا لَهُ : اخْرُجْ ، قَالَ : لَا أَصِيبُ مَتَرًا مِثْلَ هَذَا ، فَلَسْتُ بِخَارِجٍ مِنْهُ حَتَّى يَكُونَ بَقِيَ أَوْ قَبْرِي . وَقَاتَلُوهُمْ فِي الْمَدِينَةِ ، فَقُتِلَ مِنْ أَهْلِ التَّرْمِذِ عِدَّةٌ ، وَهَرَبَ الْآخَرُونَ فَدَخَلُوا مَتَازِلَهُمْ ، وَغَلَبَ مُوسَى عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَقَالَ لِرِمْنِ شَاه : اخْرُجْ ، فَإِنِّي لَسْتُ أَعْرِضُ لَكَ وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ . فَخَرَجَ التَّمْلِكُ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ فَأَتُوا التَّرْكَ يَسْتَنْصِرُونَهُمْ ، فَقَالُوا : دَخَلَ إِلَيْكُمْ مَائَةُ رَجُلٍ فَأَخْرَجُوكُمْ عَنْ بِلَادِكُمْ ، وَقَدْ قَاتَلْنَاكُمْ بِكَيْسٍ ، فَنَحْنُ لَا نَقَاتِلُ هَؤُلَاءِ . فَأَقَامَ ابْنُ خَازِمٍ بِالتَّرْمِذِ ، وَدَخَلَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، وَكَانُوا سَبْعِمِائَةً ، فَأَقَامَ ، فَلَمَّا قُتِلَ أَبُوهُ انْضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِيهِ أَرْبَعِمِائَةً فَارِسَ ، فَقَوَّى ، فَكَانَ يَخْرُجُ فَيُغِيرُ عَلَى مَنْ حَوْلَهُ . قَالَ : فَأَرْسَلَ التَّرْكَ قَوْمًا إِلَى أَصْحَابِ مُوسَى لِيَعْلَمُوا عِلْمَهُ ، فَلَمَّا قَدِمُوا قَالَ مُوسَى لِأَصْحَابِهِ : لَا يَدُ مِنْ مَكِيدَةِ هَؤُلَاءِ - قَالَ : وَذَلِكَ فِي أَشَدِّ الْحَرِّ - فَأَمَرَ بِنَارٍ فَأُجْجَتْ ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَنَلِسُوا ثِيَابَ الشِّتَاءِ ، وَلَبَسُوا فُرُوقَهَا لِبُودًا ، وَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهُمْ يَصْطَلُّونَ . وَأَذِنَ مُوسَى لِلتَّرْكَ فَدَخَلُوا ، فَفَرَّعُوا مِمَّا رَأَوْا ، وَقَالُوا :

١١٤٩/٢

(١) ب : « لَفَقْتَهُ » .

(٢) ب : « إِلَيْهِ » .

لِمَ صَنَعْتُمْ هَذَا ؟ قَالُوا : نَجِدُ الْبَرْدَ فِي هَذَا الْوَقْتُ ، وَنَجِدُ الْحَرَّ فِي الشِّتَاءِ ، فَرَجِعُوا وَقَالُوا : جِئْنَا لَا نَفْعًا لِهِمْ . قَالَ : وَأَرَادَ صَاحِبُ التُّرْكِ أَنْ يَغْزُو مُوسَى ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ رُسُلًا ، وَبَعَثَ بِسَمٍ وَنُشَابٍ فِي مَسَكٍ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِالسَّمِ أَنْ حَرِبَهُمْ شَدِيدَةً ، وَالنُّشَابُ الْحَرْبُ ، وَالْمَسَكُ السَّلْمُ ، فَاخْتَارَ الْحَرْبَ أَوْ السَّلْمَ ، فَأَحْرَقَ السَّمُ ، وَكَسَرَ النُّشَابُ ، وَنَثَرَ الْمَسَكُ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : لَمْ يَرِيدُوا الصَّلَاحَ ، وَأَخْبِرَ أَنَّ حَرْبَهُمْ مِثْلُ النَّارِ ، وَإِنَّهُ يَكْسِرُنَا ، فَلَمْ يَنْغْزِهِمْ .

قال : فَوَلَّى بُكَيْرُ بْنُ وَشَّاحٍ خُرَّاسَانَ فَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ ، وَلَمْ يُوَجِّهْ إِلَيْهِ أَحَدًا ، ثُمَّ قَدِمَ أُمِيَّةٌ ^(١) فَسَارَ بِنَفْسِهِ يَرِيدُهُ ، فَخَالَفَهُ بِكَيْرٌ ، وَخَطَعَ ، فَرَجَعَ إِلَى مَرَوْ ، فَلَمَّا صَالَحَ أُمِيَّةٌ بِكَيْرًا أَقَامَ عَامَتَهُ ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي قَابِلٍ وَجَّهَ إِلَى مُوسَى رَجُلًا مِنْ خُرَّاعَةٍ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَعَادَ أَهْلَ التُّرْمَذِ إِلَى التُّرْكِ فَاسْتَنْصَرَهُمْ فَأَبَوْا ، فَقَالُوا لَهُمْ : قَدْ غَزَاهُمْ قَوْمٌ مِنْهُمْ وَحَصَرُوهُمْ ، فَإِنْ أَعْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ ظَفِيرُنَا بِهِمْ . فَسَارَتِ التُّرْكُ مَعَ أَهْلِ التُّرْمَذِ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَأَطَافَ بِمُوسَى التُّرْكُ وَالْخُرَّاعِيُّ ، فَكَانَ يُقَاتِلُ الْخُرَّاعِيَّ أَوَّلَ النَّهَارِ وَالتُّرْكُ آخِرَ النَّهَارِ ، فَفَاتَكَلَهُمْ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ ، فَقَالَ مُوسَى لِعَمْرُو بْنِ خَالِدِ بْنِ حَصِينٍ ^(٢)

الْخُرَّاعِيُّ - وَكَانَ فَارِسًا - قَدْ طَالَ أَمْرُنَا وَأَمْرُهُمْ هَؤُلَاءِ ، وَقَدْ أَجْمَعْتُ أَنْ أُيَسِّرَ عَسْكَرَ الْخُرَّاعِيَّ ، فَإِنَّهُمْ لِلْيَبِاتِ آمِنُونَ ، فَا تَرَى ؟ قَالَ : الْيَبِاتُ نِعْمًا هُوَ ، وَلِيَكُنْ ذَلِكَ بِالْعَجَمِ ، فَإِنَّ الْعَرَبَ أَشَدَّ حَذَرًا ، وَأَمْرَعُ فَرَزَعًا ، وَأَجْرًا عَلَى اللَّيْلِ مِنَ الْعَجَمِ ، فَبَيَّسْتُهُمْ فَلَئِنْ أَرَجَوُ أَنْ يَنْصَرِنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ نَفَرَدَ لِقِتَالِ الْخُرَّاعِيَّ فَنَحْنُ فِي حَصْنٍ وَهُمْ بِالْعَرَاءِ ، وَلَيْسُوا بِأَوْلَى بِالْصَبْرِ ، وَلَا أَعْلَمُ بِالْحَرْبِ مِنَّا . قَالَ : فَاجْمَعْ مُوسَى عَلَى يَبِاتِ التُّرْكِ ، فَلَمَّا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثُهُ خَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَالَ لِعَمْرُو بْنِ خَالِدٍ : اخْرُجُوا بَعْدَنَا وَكُونُوا مِنَّا قَرِيبًا ؛ فَإِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا فَكَبِّرُوا ، وَأَخْذَ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ حَتَّى ارْتَفَعَ فَوْقَ الْعَسْكَرِ ، ثُمَّ أَخَذَ مِنْ نَاحِيَةِ كَفْتَانٍ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْ عَسْكَرِهِمْ جَعَلَ أَصْحَابُهُ أَرْبَاعًا ، ثُمَّ قَالَ : أَطِيفُوا بِعَسْكَرِهِمْ ؛ فَإِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا فَكَبِّرُوا ، وَأَقْبَلَ

(١) هُوَ أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ .

(٢) ب ، ر : « حَصِين » .

وقدّم عمرًا بين يديه ومشّوا خلفه ، فلما رأته أصحاب الأرصاد قالوا : من أنتم ؟ قالوا : عابري سبيل .

قال : فلما جازوا الرّصد تفرّقوا وأطافوا بالعسكر وكبروا ، فلم يشعر الترك إلا بوقوع السيوف ، فثاروا يقتل بعضهم بعضاً وولّوا ، وأصيب من المسلمين ستة عشر رجلاً ، وحوّوا عسكرهم وأصابوا سلاحاً ومالاً ، وأصبح الخِزاعيّ وأصحابه قد كسروهم ذلك^(١) ، وخافوا مثلها من البيّات ، فتحذّروا^(٢) .

فقال لموسى عمرو بن خالد : إنك لا تتظفر^(٣) إلا بمكيكة^(٤) ، ولم أمداد وهم يكرّون ، فدعنى آتتهم لعلّى أصيب من صاحبهم فرصة ؛ إني^(٥) إن خلوتُ به قتلته ، فتناوكتي بضرب ، قال : تتعجل الضرب وتعرض للقتل ! قال : أما تعرض للقتل فأنا كلّ يوم متعرض له ، وأما الضرب فما أيسره في جنب ما أريد . فتناوله بضرب ، ضربه خمسين سوطاً ، فخرج من عسكر موسى فأتى عسكر الخِزاعيّ مستأمناً وقال : أنا رجل من أهل اليمن كنتُ مع عبد الله بن خازم ، فلما قُتِل أُنيتُ ابنه فلم أزل معه ، وكنتُ أوّل من أتاه ، فلما قلمت أتهمني ، وتعصب عليّ ، وتكرّ لي وقال لي : قد تعصبت لعدونا ، فأنت عين له ، فضربني ، ولم آمن القتل ، وقُلْتُ : ليس بعد الضرب إلا القتل ، فهربت منه ، فأمنه الخِزاعيّ وأقام معه .

قال : فلخل يوماً وهو خالٍ ولم يترّ عنده سلاحاً ، فقال كأنه يتصّح له : أصلحك الله ! إنّ مثلك في مثل حالك لا ينبغي أن يكون في حال من أحواله بغير سلاح ، فقال : إنّ معي سلاحاً ، فرفع صدره فراه فإذا سيفٌ متّضح ، فتناوله عمرو فضربه فقتله ، وخرج فركب فرسه ، ونكروا به بعد ما أمعن ، فطلبوه ففاتتهم ، فأتى موسى وتفرّق ذلك الجيش ، فقطع بعضهم النهر ، وأتى بعضهم موسى مستأمناً ، فأمنه ، فلم يوجّه إليه أميةٌ أحدًا . قال : وعزّل أمية ، وقدّم المهلب أميراً ، فلم يعرض لابن خازم ،

(١) ب : « ذاك » . (٢) ب : « فحذروا » .

(٣) ب : « إنكم لا تتظفرون » . (٤) ب : « لمكيكة » .

(٥) ب : « فإني » .

وقال لبنيه : إياكم وموسى ، فإنكم لا تزالون ولادة هذا النفر ما أقام هذا الشط^(١) ١١٥٢/٢
بمكانه ، فإن قُتل كان أول طالع عليكم أميراً على خراسان رجل من
قيس . فمات المهلب ولم يوجه إليه أحداً ، ثم تولى^(٢) يزيد بن المهلب فلم
يُعرض له . وكان المهلب ضرب حرث بن قطيبة الخزاعي ، فخرج هو
وأخوه ثابت إلى موسى ، فلما ولي يزيد بن المهلب أخذ أموالهما وحرمتهما
وقُتل أخاهما لأمهما ، الحارث بن مُقَيْد ، وقُتل صهرهما لما كانت عنده
أم حفص ابنة ثابت ، فبلغهما ما صنع يزيد .

قال : فخرج ثابت إلى طرخون فشكا إليه ما صنع به - وكان ثابت
محبياً في العجم ، بعيد الصوت ، يعظمونه ويثقون به ، فكان الرجل منهم
إذا أعطى عهداً يريد الوفاء به حلف بحياة ثابت فلا يتغير - فغضب له
طرخون وجمع له نيزك والسبل وأهل بخارى والصغانيان ، فقدموا مع
ثابت إلى موسى بن عبد الله ، وقد سقط إلى موسى قبل عبد الرحمن بن العباس
من هرة ، وقل ابن الأشعث من العراق ومن ناحية كابل ، وقوم من بني
تميم ممن كان يقاتل ابن خازم في الفتنة من أهل خراسان ، فاجتمع إلى موسى
ثمانية آلاف من تميم وقيس وربيعة واليمن ، فقال له ثابت وحرث : سر
تقطع النهر فتخرج يزيد بن المهلب عن خراسان ، ونوليك ، فإن طرخون
ونيزك والسبل وأهل بخارى معك ، فهم أن يفعل ، فقال له أصحابه :
١١٥٣/٢ إن ثابتاً وأخاه خائفان ليزيد ، وإن^(٣) أخرجت يزيد عن خراسان وأميناً تولياً
الأمر وغلباك على خراسان ، فأقم مكانك . فقبل رأيهم ، وأقام بالرمذ .
وقال لثابت : إن أخرجنا يزيد قدِم عامل لعبد الملك ، ولكننا نخرج عمال
يزيد من وراء النهر مما يلينا ، وتكون هذه الناحية لنا نأكلها . فرضى ثابت
بذلك ، وأخرج من كان من عمال يزيد من وراء النهر ، وحملت إليهم
الأموال ، وقرى أمرهم وأمر موسى ، وانصرف طرخون ونيزك وأهل بخارى والسبل
إلى بلادهم ، وتدير الأمر لحرث وثابت ، والأمير موسى ليس له غير الاسم ،

(١) الشط : التقليل البطن ، أو الكوج الذي عرى وجهه من الشعر .

(٢) ب : « فذل » .

(٣) ر : « ط » ، س : « نزل » .

فقال لموسى أصحابه : لستأ ترى من الأمر فى يديك شيئاً أكثر من اسم
الإمارة ، فأما التدبير فليحرث وثابت ، فاقتلها وتول الأمر . فأبى وقال :
ما كنت لأغدر بهما وقد قوياً أمرى ، فحسدوهما وألحوا على موسى فى
أمرهما حتى أفسدوا قلبه ، وخوفوه غدرهما ، وهم بمنابعتهم على الوثوب
بثابت وحرث . واضطرب أمرهم ؛ فإنهم لى ذلك إذ خرجت عليهم الهياطلة
والثببت والتشرك ، فأقبلوا فى سبعين ألفاً لا يعدون الحاسر ولا صاحب بيضة
جماء ، ولا يعلون إلا صاحب بيضة ذات قوتس . قال : فخرج ابن
خازم إلى ربض المدينة فى ثلثائة راجل وثلاثين مجففاً ، وألقى له كرسى
فقعده عليه . قال : فأمر طرخون أن يئلم ^(١) حائط الربض ، فقال موسى :
دعوه ، فهدموا ودخل أوائلهم ، فقال : دعوهم يكثرون ، وجعل يقلب
طبرزيناً بيده ، فلما كثروا قال : الآن امنعوهم ، فركب وحمل ^(٢) عليهم
فقاتلهم حتى أخرجهم عن الثلثة ، ثم رجع فجلس على الكرسي وذمر
الملك أصحابه ليعودوا ، فأبوا ، فقال لفرسانه : هذا الشيطان ، من مسره أن
ينظر إلى رسم فلينظر إلى صاحب الكرسي ، فن أبى فليقدم عليه . ثم
تحوّلت الأحاجم إلى رستاق كفتان . قال : فأغاروا على سرح موسى ، فاغتم
ولم يطم ، وجعل يبعث بلحيته ، فسار ليلاً على نهر فى حافتيه ^(٣)
نبات لم يكن فيه ماء ، وهو يفضى إلى خند قهم ، فى سبعائة ، فأصبحوا عند
عسكرهم ، وخرج السرح فأغار عليه فاستاقه ، وأتبعه قوم منهم ، فعطف
عليه سوار ، مولى لموسى ، فطعن رجلاً منهم فصرعه ، فرجعوا عنهم وسلم
موسى بالسرح . قال : وغاداهم العجم القتال ، فوقف ملكهم على تل فى
عشرة آلاف فى أكمل عدة ، فقال موسى : إن أزلتم هؤلاء فليس الباقون
بشيء . فقصدهم حرث بن قطبة فقاتلهم صدر النهار ، وألح عليهم حتى
أزالهم عن التل ، ورعى يومئذ حرث بشابة فى جبهته ، فتحاجزوا ، فبستهم
موسى ، وحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم حتى وصل إلى شعبة ملكهم ،

١١٥٤/٢

(٢) ب : «وركب فصل» .

(١) ب : «يئلم» .

(٣) ب : «ناحيته» .

فوجاً رجلاً منهم بقبيصة^(١) سيفه ، فطعن فرسه ، فاحتلمه فألقاه في نهر
بئس ففترق ، وعليه درعان ، فقتل العجم قتيلاً ذريعاً ، ونجا منهم من
نجا بشراً ، ومات حرث بن قطبة بعد يومين ، فدُفن في قبته .

١١٥٥/٢

قال : وارتحل موسى ، وحملوا الرءوس إلى الترمذ ، فبنوا من تلك الرءوس
جسوسين ، وجعلوا الرءوس يقابل بعضها بعضاً . وبلغ الحجاج خبر الوقعة ،
فقال : الحمد لله الذي نصر المتأقين على الكافرين ، فقال أصحاب موسى :
قد كُفينا أمر حرث ، فأرحنا من ثابت ، فأبى وقال : لا . وبلغ ثابتاً بعض
ما يخوضون فيه ، فلمس محمد بن عبد الله بن مرثد الخزاعي ، حمم نصر بن
عبد الحميد عامل أبي مسلم على الرى - وكان في خلمة موسى بن عبد الله - وقال
له : إياك أن تتكلم بالعربية ، وإن سألتك من أين أنت ! فقل : من سبى
البايعان^(٢) ، فكان يخذم موسى وينقل إلى ثابت خيرهم ، فقال له :
تحفظ ما يقولون . وحذر ثابت فكان لا ينام حتى يرجع الغلام ، وأمر قوماً
من شاكريته يحرسونه ويبستون عنده في داره ، ومعهم قوم من العرب ،
وألح القوم على موسى فأصجره ، فقال لم ليلة : قد أكثرتم على ، وفيهم تريدون
هلاككم ، وقد أبرمتموني ! فعلى أى وجه تفتكون به ، وأنا لا أغدير به ! فقال
نوح بن عبد الله أخو موسى : خلكنا وإياه ، فإذا غدا إليك غلوة عدلنا به
إلى بعض الدور ، فضربنا عنقه فيها قبل أن يصل إليك ، قال : أما والله
إنه لهلاككم ، وأنتم أعلم - والغلام يسمع - فأتى ثابتاً فأخبره ، فخرج من
ليلته في عشرين فارساً ، ففضى وأصبحوا وقد ذهب فلم يدروا من أين أوتوا ،
وفتقدوا الغلام ، فعلموا أنه كان عيئاً له عليهم ، ولحق ثابت بمشورا فنزل
المدينة ، وخرج إليه قوم كثير من العرب والعجم ، فقال موسى لأصحابه :
قد فتحتم على أنفسكم باباً فسدوه ، وارب إلى موسى^(٣) ، فخرج إليه ثابت
في جمع كثير فقاتلهم ، فأمر موسى بإحراق السور ، وقتلهم حتى أجتوا
ثابتاً وأصحابه إلى المدينة ، وقتلهم عن المدينة .

١١٥٦/٢

(١) القبيصة : ما يكون على طرف مقيس السيف ، تكون من فضة أو حديد .

(٢) ر : « البايان » .

(٣) ب : « موسى إليه » .

فأقبل رقية بن الحر العنبري حتى اقتحم النار^(١)، فانتهى إلى باب المدينة ورجل من أصحاب ثابت واقف يحكي أصحابه، فقتله، ثم رجع فخاص النار وهي تلتهب، وقد أخذت بجواب تخط عليه، فرمى به عنه ووقف، وتحصن ثابت في المدينة، وأقام موسى في الربض، وكان ثابت حين شحش إلى حشورا أرسل إلى طرخون، فأقبل طرخون معينا له، وبلغ موسى مجيء طرخون، فرجع إلى الترمذ، وأعانه أهل كيس ونسف وبخاري، فصار ثابت في ثمانين ألفا، فحصروا موسى وقطعوا عنه المادة حتى جهدوا.

قال : وكان أصحاب ثابت يعبرون نهرا إلى موسى بالنهار—ثم يرجعون بالليل إلى عسكرهم، فخرج يوما رقية— وكان صديقا لثابت، وقد كان ينهى أصحاب موسى عما صنعوا— فنادى ثابتا، فبرز له— وعلى رقية قباء خنز— فقال له : كيف حالك يا رقية ؟ فقال : ما تسأل عن رجل عليه جبة خنز في حمار القسيط ! وشكا إليه حالهم، فقال : أنتم صنعتم هذا بأنفسكم، فقال : أما والله ما دخلت في أمرهم، ولقد كرهت ما أرادوا، فقال ثابت : أين تكون حتى يأتيك ما قدرك ؟ قال : أنا عند المحل الطفاوي— رجل من قيس من يعصّر— وكان المحل شيخا صاحب شراب— فنزل رقية عنده.

١١٥٧/٢

قال : فبعث ثابت إلى رقية بخمسمائة درهم مع علي بن المهاجر الخزاعي، وقال : إن لنا تجارا قد خرجوا من بلخ، فإذا بلغك أنهم قد قدّموا فأرسل إلى تأنيك حاجتكم. فأتى علي باب المحل، فلخل فإذا رقية والمحل جالسان بينهما جفنة فيها شراب، وحيوان عليه دجاج وأرغفة، ورقية شعث الرأس، متوشح بملحفة حمراء، فلنفع إليه الكيس، وأبلغه الرسالة وما كلمه، وتناول الكيس وقال له بيده، اخرج، ولم يكلمه. قال : وكان رقية جسيما كبيرا، غائر العينين، نائي الوجنتين، بفلج، بين كل سنتين له موضع من، كأن وجهه ترس.

قال : فلما أضاق أصحابُ موسى واشتدَّ عليهم الحصارُ قال يزيدُ بنُ هزِيل : إنما مقامُ هؤلاء مع ثابتٍ والقَتْلُ أحسنُ من الموتِ جوعاً ، والله لأقتلَنَّ بَنَاتِهُ أو لأموتنَّ . فخرج إلى ثابتٍ فاستأمنته ، فقال له ظهير : أنا أعرفُ بهذا منك ، إن هُنا لم يأتِكَ رغبةٌ فيكَ ولا جَزَعاً لك ، ولقد جاءكَ بَعْدَرَةٌ ، فاحذَرهُ وخَلِّقْ ولِيَا ، فقال : ما كنتُ لأقدمُ على رَجُلٍ أَتَانِي ، لا أدرى أَكذلكُ هو أم لا . قال : فدَعَيْتُ أَرْهَنَ مِنْهُ رَهْناً ، فأرسل ثابتٌ إلى يزيدٍ فقال : أما أنا فلم أَكنْ أَظنُّ رجلاً يَتَقَدَّرُ بعد ما يَسْأَلُ الأمان ، وابنُ عَمِّكَ أَعْلَمُ بِكَ مِنِّي ، فانظر ما يُعَامِلُكَ عليه ، فقال يزيد لظهير : أبيتُ يا أبا سعيد إلا حَسَدًا ! قال : أما يكفِيكَ ما تَرَى من الذَّلِّ ! تشردتُ عن العِراقِ وعن أهلي ، وصرتُ بخُرَّامانٍ فيما ترى ، أَفأنا تَعَطَّفُكَ الرَّحْمُ ! فقال له ظهير : أما والله لو تَرُكْتُ ورَأَيْتُ فيكَ لما كانَ هذا ، ولكن أَرَهِنَا ابْنَيْكَ قِدَامَةَ والضَّحَّاك . فدفعهما ^(١) إليهم ، فكانا في يَدَي ظهير .

١١٥٨/٢

قال : وأقام يزيدُ يَلْتَمِسُ غِرَّةَ ثابتٍ ، لا يَتَقَدَّرُ مِنْهُ على ما يريد ، حتى مات ابنُ لُزَيْدٍ القصير الخَزَاعِي ، أتى أباهُ نَعْبَهُ مِنْ مَرَوْ ، فخرج متفضلاً إلى زيادٍ ليعزِيه ، ومعه ظهير ورَهْطٌ من أصحابه ، وفيهم يزيدُ بنُ هُزَيْل ، وقد غابت الشمس ، فلما صار على نهر الصَّغَانِيَّان تأخَّرَ يزيدُ بنُ هُزَيْل ورجلان معه ، وقد تقدم ظهير وأصحابه ، فدنا يزيدُ من ثابتٍ فضربه فعضَّ السيفُ برأسه ، فوصل إلى الدماغ . قال : وروى يزيدُ وصاحبه بأنفسهم في نَهْرِ الصَّغَانِيَّان ، فرمَوْهُم ، فنجَّا يزيدُ سباحةً وقَتَلَ صاحبه ، وحُمِلَ ثابتٌ إلى منزله ، فلما أصبح طَرَحُونُ أُرْسِلَ إلى ظهير : اثْنِ بَابَتِي يزيدُ ، فَأَتَاهُ بهما ، فقدم ظهيرُ الضَّحَّاك بنَ يزيدٍ فقتله ، وروى به وبرأسه في النهر ، وقدم قِدَامَةُ لِيَقْتُلَهُ ، فالتفت فوقَّعَ السيفُ في صدره ، ولم يَبْسُنْ ، فَأَلْقَاهُ في النهرِ حَيًّا ففَرَّقَ ، فقال طَرَحُونُ : أبوهما قتلها وغدره . فقال يزيدُ بنُ هُزَيْل : لأقتلَنَّ يابنِي كُلَّ خَزَاعِيٍّ بِالْمَدِينَةِ ، فقال له عبدُ اللَّهِ بنُ بُدَيْل بنِ عبدِ اللَّهِ بنُ بُدَيْل بنِ وَرْقَاءَ — وكان مِنْ أَقْبَى مَوَاسِيٍّ مِنْ قُلَّةِ ابْنِ الْأَشْعَثِ :

لو رُمَتْ ذَاكَ مِنْ خُرَاعَةٍ لَصَعَبَ عَلَيْكَ . وعاش ثابت سبعة أيام ثم مات . وكان يزيدُ بن هزيل سخيًّا شجاعًا شاعرًا ، ولَى أَيْثَامَ ابْنِ زِيَادَ جزيرةَ ابنِ كَاوَانَ ، فقال :

١١٥٩/٢

قَدْ كُنْتُ أَدْعُو اللَّهَ فِي السَّرِّ مُخْلِصًا لِيُثَمِّكُنِي مِنْ جَزِيرَةٍ وَرِجَالِ^(١)
فَاتَرُكْ فِيهَا ذِكْرَ طَلْحَةَ خَامِلًا وَيُحَمَّدُ فِيهَا نَائِلِي وَفِعَالِي

قال : فقام بأمرِ العَجَمِ بعد موتِ ثابتِ طَرْخُونِ ، وقام ظُهُيرُ بأمرِ أصحابِ ثابتِ ، فقاما قيامًا ضعيفًا ، وانتَشَرَ أمرُهُم ، فأَجْمَعَ موسى على بَيَانِهِمْ ، فجاء رجلٌ فأخبرَ طَرْخُونَ ، فَضَحِكَ وقال : موسى يَعْجِزُ أَنْ يَدْخُلَ مَتَوَضَّاهُ ، فكيف يَبِيتُنَا ! لقد طَارَ قَلْبُكَ ، لَا يَحْرَمُنَ اللَّيْلَةَ أَحَدُ الْعَسْكَرِ . فلما ذهب من الليل ثلثه خرج موسى في ثمانمائةٍ قد عَيَّاهُمْ من النهار ، وصَبَّرَهُمْ^(٢) أَرْبَاعًا . قال : فصَيَّرَ على رُبْعِ رَقَبَةِ بنِ الْحَرِّ وعلى رُبْعِ أخاهِ نُوحِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ خَازِمٍ ، وعلى رُبْعِ يَزِيدَ بنِ هَزِيلٍ ، وصَارَ هُوَ فِي رِيعٍ ، وقال لهم : إِذَا دَخَلْتُمْ^(٣) عَسْكَرَهُمْ فَتَفَرَّقُوا ، وَلَا يَمُرَّنَ أَحَدُكُمْ مِنْكُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا ضَرَبَهُ ، فَدَخَلُوا عَسْكَرَهُمْ مِنْ أَرْبَعِ نَوَاحٍ لَا يَمُرُّونَ بِدَابَّةٍ وَلَا رَجُلٍ وَلَا خَيْبَاءٍ وَلَا جَوَالِقٍ إِلَّا ضَرَبَوْهُ . وَسمعَ الرَّجُلَةُ نَيْزَكَ فلبَسَ سِلَاحَهُ ، وَوَقَفَ فِي لَيْلَةٍ مَظْلَمَةٍ ، وقال لَعَلَّ بَنِي الْمُهَاجِرِ الْخُرَاعِي : انْطَلِقْ إِلَى طَرْخُونٍ فَأَعْلِمِهِ مَوَاقِفِي ، وَقُلْ لَهُ : مَا تَرَى أَعْمَلَ بِهِ ، فَأَتَى طَرْخُونَ ، فَإِذَا هُوَ فِي فَازَةٍ^(٤) قَاعَدٌ عَلَى كَرْمِيٍّ وَشَاكِرِيَّتِهِ قَدْ أَوْقَدُوا النَّيْرَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَبْلَغَهُ رِسَالَةَ نَيْزِكَ ، فَقَالَ : اجْلِسْ ، وَهُوَ طَامَحٌ بِبَصَرِهِ نَحْوَ الْعَسْكَرِ وَالصَّوْتِ ، إِذَا أَقْبَلَ تَحْمِيَّةُ السَّلَاسِي وَهُوَ يَقُولُ : «حُمَّ لَا يُنْصَبِرُونَ» ، فَتَفَرَّقَ فِي الشَّاكِرِيَّةِ ، وَدَخَلَ تَحْمِيَّةَ الْفَازَةِ ، وَقَامَ إِلَيْهِ طَرْخُونُ فَبَدَّرَهُ فَضْرَبَهُ ، فَلَمْ يَبْخُنْ شَيْئًا ، قَالَ : وَطَعَنَهُ طَرْخُونُ بِذِيَابِ السَّيْفِ فِي صَدْرِهِ فَضَرَعَهُ ، وَرَجَعَ إِلَى الْكَرْمِيِّ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ، وَخَرَجَ تَحْمِيَّةٌ يَبْعُدُو .

١١٦٠/٢

(١) ب : ر : « حربه وحلائي » . (٢) ب : « ويصيرهم » .

(٣) ب : « ادخلوا » . (٤) الفازة : مظلة تعد بمسود .

قال : ورجعت الشاكريّة ، فقال لهم طرّخون : قرّرتُم من رجل ! أرايتُم لو كان نارًا هل كانت تحرق منكم أكثر من واحد ! فما فرّغ من كلامه حتى دخل لجواريه الفازة ، وخرّج الشاكريّة هربًا ، فقال للجواري : اجلسن ، وقال لعلّ بن المهاجر : فمّ ، قال : فخرجنا فلذا نوح بن عبد الله ابن خازم في السُرادق ، فتجاوَلَا ساعة ، واخذلّنا ضربتين ، فلم يصنّعا شيئًا ، وولّى نوح وأتبعه طرّخون ، فطعن فرس نوح في خاصرته فشسب ، فسقط نوح والفرس في نهر الصفّانيان ، ورجع طرّخون وسيفه يقطر دمًا ، حتى دخل السرادق وعلىّ بن المهاجر معه ، ثمّ دخل الفازة .

وقال طرّخون للجواري : ارجعن ، فرجعن إلى السرادق ، وأرسل طرّخون إلى موسى : كُفّ أصحابك ؟ فإننا نرتحل إذا أصبحنا ، فرجع موسى إلى عسكره ، فلما أصبحوا ارتحل طرّخون والعجم جميعًا ، فأتى كل قوم بلادهم . قال : وكان أهل خُراسان يقولون : ما رأينا مثل موسى ابن عبد الله بن خازم ، ولا سمعنا به ، قاتل مع أبيه ستين ، ثمّ خرج يسير في بلاد خُراسان حتى أتى ملكًا فكتبه على مدينته وأخرجته منها ، ثمّ سارت إليه الجنود من العرب والترك فكان يُقاتل العرب أول النهار والعجم آخر النهار ، وأقام في حصنه خمس عشرة سنة ، وصار ما وراء النهر لموسى ، لا يُعازّيه فيه أحد .

١١٦١/٢

قال : وكان بقوميس رجل يُقال له عبد الله ، يجمع إليه فتیان يتنادون عنده في مؤنثه ونفقتّه ، فلزمه دين ، فأتى موسى بن عبد الله ، فأعطاه أربعة آلاف ، فأتى بها أصحابه ، فقال الشاعر يُعاتب رجلا يُقال له موسى :

فما أنتَ موسى إذ يُناجي الهه
ولا واهب القينات موسى بن خازم
قال : فلما عزل يزيد وولّى المفضل خُراسان أراد أن يحظى عند الحجاج بقتال موسى بن عبد الله ، فأخرج عثمان بن مسعود — وكان يزيد حبسه — فقال : إني أريد أن أوجهك إلى موسى بن عبد الله ، فقال : والله لقد وترّيت ، وإني لثائر بابن عمي ^(١) ثابت وبالحزاعي ، وما يد أيبك

وأخيك عندي وعند أهل بيتي بالحسنة ، لقد جئتموني وشردتُم بني عمي ، واصطفيتُم أموالي . فقال له المفضل : دَع هذا عنك ، وسِرْ فأدركَ بئارك ، فوجهه في ثلاثة آلاف ، وقال له : مَرُّ منادياً فليناد : مَنْ لَحِقَ بنا فله دِيوان ، فنادى بذلك في السوق ، فسارعَ إليه الناس . وكتب المفضل إلى مُدْرِك وهو يَبْلُغُ أن يسيرَ معه ، فخرج ، فلما كان يبلُغُ خرج ليلة يطوف في العسكر ، فسمِعَ رجلاً يقول : قتلته والله ، فرَجَعَ إلى أصحابه ، فقال : قتلْتُ موسى وربَّ الكعبة !

١١٦٢/٢

قال : فأصبحَ فسارَ مِنْ بَلْخُ وخرجَ مدركَ معه مُتَاقِلًا ، فقطعَ النهرَ فنَزَلَ جزيرةً بالترميمِذ يقال لها اليومَ جزيرة عُثمان — لنزول عُثمانَ بها في خمسة عشر ألفاً — وكتب إلى السَّيْلِ وإلى طَرُخُونٍ فَقَدِمُوا عليه ، فحَصَرُوا موسى ، فاضْبَعُوا عليه وعلى أصحابه ، فخرجَ موسى ليلاً فأتى كفتان ، فامتار منها ، ثم رجع فكشَّ شهرين في ضيق ، وقد خَشِدَ عُثمان وحذرَ البَيَّات ، فلم يقدِرَ موسى منه على غيرة ، فقال لأصحابه : حتى متى ! اخرجُوا بنا فاجعلوا يومكم ، إما ظفَرَمَ وإما قُتَيْلِمَ . وقال لهم : اقصدوا للصَّغْدَ والترك ، فخرج وخلفَ الضَّحْرَ بنَ سَليمان بن عبد الله بن خازم في المدينة ، وقال له : إن قُتِلْتُ فلا تدفننِ المدينةَ إلى عُثمان ، وادفعنَّها إلى مُدْرِك بن المهلب . وخرج فصيرَ ثلثَ أصحابه بلزاء عُثمان وقال : لا تهاجموه إلا أن يقاتلكم ، وقصدَ لَطَرُخُونَ وأصحابه ، فصَلَقُوهم ، فانهزم طَرُخُونُ والترك ، وأخذوا عسكرهم فجعلوا يَنْقُلُونَهُ ، ونظر معاويةُ بن خالد بن أبي بَرْزَةَ إلى عُثمان وهو على بَرْزَةَ ونَ خالد بن أبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيَّ ، فقال : انزلْ أيها الأمير ، فقال خالد : لا تنزلْ فإنَّ معاويةَ مشثوم . وكَرَّتِ الصَّغْدُ والترك (١) راجعةً ، فحالوا بين موسى وبين الحصن ، فقَاتَلَهُم ، فَعُقِرَ به فسَقَطَ ، فقال لمولى له : احملني ، فقال : الموتُ كَرِيه ، ولكن ارتدِف ، فإنَّ نَجُونًا نَجُونًا جميعاً ، وإن هلكنا هلكنا جميعاً . قال : فارتدَفَ ، فنظر إليه عُثمان حين وُتِبَ فقال : وُتِبَ موسى وربَّ الكعبة ! وعليه ميخَرٌ له موشى بخزٍ أحمر

١١٦٢/٢

في أعلاه^(١) يا قوتة اسما نجونية، فخرج من الخندق فكشفوا أصحاب موسى .
فقصد لموسى ، وعثرت دابة موسى فسقط هو ومولاه ، فابتدروا فانطروا
عليه فقتلوه ، ونادى نادى عثمان : لا تقتلوا أحداً ، من لقيتموه فخلوه
أسيراً .

قال : ففترق أصحاب موسى ، وأسروهم قوم ، فمروا على عثمان ،
فكان إذا أتى بأسير من العرب قال : دماؤنا لكم حلال ، ودماؤكم علينا
حرام ! ويأمر بقتله ، وإذا أتى بأسير من الموالي شتمه ، وقال : هذه العرب
تقاتلنى ، فهلك غضبت لى ! فيأمر به فيشدخ . وكان قطعاً غليظاً ، فلم
يسلم عليه يومئذ أسير إلا عبد الله بن بديل بن عبد الله بن بديل بن
ورقاء ، فإنه كان مولاه ، فلما نظر إليه أعرض عنه وأشار بيده أن يخلوا عنه ،
ورقية بن الحر لما أتى به نظرت إليه وقال : ما كان من هذا إلينا كبير ذنب ،
وكان صديقاً لنا ، وكان مع قوم فتوى لهم ، والعجب كيف أسروهم !
قالوا : طعن فرسه فسقط عنه في هذه فأسير ، فأطلقه وحمله ، وقال
لخالد بن أبى برزة : ليكن عندك . قال : وكان الذى أجهز على موسى
ابن عبد الله واصل بن عيسى العنبري .

ونظر يومئذ عثمان إلى زُرعة بن علقمة السلمي والحجاج بن مروان
وسنان الأعرابي ناحية فقال : لكم الأمان ، فظن الناس أنه لم يؤمنهم حتى كاتبوه .
قال : وبقيت المدينة في يدى النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم ، فقال :
لا أدفعها إلى عثمان ، ولكنى أدفعها إلى مديرك ، فدفعها إليه وأمنه ، فدفعها
مديرك إلى عثمان . وكتب المفضل بالفتح إلى الحجاج ، فقال الحجاج : العجب
من ابن بهلة أمره بقتل ابن سمرة فيكتب إلى أنه لأمه ويكتب إلى : إنه
قتل موسى بن عبد الله بن خازم ، قال : وقتل موسى سنة خمس وثمانين ،
فكرت البحرى أن متغراء بن المغيرة بن أبى صفرة قتل موسى فقال :

وقد عركت بالترمد الخيل خازماً ونوحاً وموسى عركة بالكلال

(١) ب : « في أعلاه » .

قال: فضرب رجل من الجند ساق موسى ، فلما ولّى قتيبة أخبر عنه فقال :
ما دعاك إلى ما صنعتَ بفتى العرب بعد موته ! قال : كان قَتَلَ أخى ،
فأمَرَ به قَتِيبة فقتل بين يديه .

* * *

[عزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبد العزيز]

وفى هذه السنة أراد عبدُ الملك بنُ مروانَ خلعَ أخيه عبدِ العزيز بنِ
مروان .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهما فيه :

ذكر الواقدي أن عبد الملك هم بذلك ، فتهاه عنه قبيصة بن ذؤيب ،
وقال : لا تفعل هذا ، فإنك باعثٌ على نفسك صوتَ نَعَارٍ ، ولعلَّ الموتَ
يأتيه فتستريح منه ! فكفَّ عبدُ الملك عن ذلك ونفسه تُنازعه إلى أن يحلّطه .
ودخل عليه رَوْح بن زُنْبَاع الجُلثامى - وكان أبلج الناس عند عبد الملك -
فقال : يا أمير المؤمنين ، لو خلعت ما انتطح فيه عثران ، فقال : ترى
ذلك يا أبا زُرْعَة ؟ قال : إى والله ، وأنا أولُ من يُجيبك إلى ذلك ، فقال :
نصيح^(١) ، إن شاء الله . قال : فبينما هو على ذلك وقد نامَ عبدُ الملك ورَوْح
ابنُ زُنْبَاع إذ دخل عليهما قبيصة بن ذؤيب طروقاً ، وكان عبدُ الملك قد
تقدّم إلى حجّابه فقال : لا يُحجب حتى قبيصة أى ساعة جاء من ليل أو نهار ،
إذا كنت خالياً أو عندى رجل واحد ، وإن كنت عند النساء أدخل المجلسَ
وأعلمتُ بمكانه فلتدخل ، وكان الخاتمُ إليه ، وكانت السكّة إليه ، تأتيه الأخبارُ
قبل عبد الملك ، ويقرأ الكتب قبله ، ويأتى بالكتاب إلى عبد الملك مستشوراً
فيقرؤه ، إعظاماً لقبيلة - فدخل عليه فسلم عليه وقال : أجرك الله يا أمير المؤمنين
في أخيك عبد العزيز ! قال : وهل تُوفى ؟ قال : نعم ، فاسترجع .
عبدُ الملك ، ثم أقبل على رَوْح فقال : كفانا الله أبا زُرْعَة ما كنا نريد
وما أجمعتنا عليه ، وكان ذلك مخالفاً لك يا أبا إسحاق ، فقال قبيصة :
ما هو ؟ فأخبره بما كان ، فقال قبيصة : يا أمير المؤمنين ، إن رأى كله

١١٦٠/٢

(١) ابن الأثير : « حله » . (٢) ابن الأثير : « نصيح » .

في الأناة، والعجلة فيها ما فيها ، فقال عبدُ الملك : ربما كان في العَجَلَة خيرٌ كثير ، وأُتِيَ أمرُ عمرو بنِ سعيد ، ألم تكن العَجَلَة فيه خيراً من التأنّي !

* * *

[خير موت عبد العزيز بن مروان]

وفي هذه السنة تُوفّيَ عبدُ العزيز بنُ مروان بمصر في جمادى الأولى ، ضمَّ عبد الملك عَمَلَه إلى ابنه عبد الله بن عبد الملك ، وولاه مصر .
وأما المدائني فإنه قال في ذلك ما حدثنا به أبو زيد عنه ، أن الحجاج كتَّاب إلى عبد الملك يزيِّن له بيعَةَ الوليد ، وأوفدَ وفدًا في ذلك عليهم عمران بن عيصم العنزي ، فقام عمران خطيبًا ، فتكلَّم وتكلَّم الوفد وحسوا بدَّ الملك ، وسألوه ذلك ، فقال عمران بنُ عيصم :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ نُهْدِي	عَلَى النَّاسِ التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَ ^(١)
أَجِبْنِي فِي بَنِيكَ يَكُنْ جَوَابِي	لَهُمْ عَادِيَّةٌ وَلَنَا قِيَامَا
فَلَوْ أَنَّ الْوَلِيدَ أَطَاعَ فِيهِ	جَعَلْتَ لَهُ الْخِلَافَةَ وَالذِّمَامَا ^(٢)
شَبِيهَكَ حَوْلَ قُبَّتِهِ قَرِيشُ	بِهِ يَسْتَمْطِرُ النَّاسُ النِّعَامَا
وَمِثْلَكَ فِي التَّقَى لَمْ يَعْصُ يَوْمًا	لَدُنْ خَلَعَ الْقَلَائِدَ وَالنُّعَامَا
فَلَمَّا تُجِرْ أَخَاكَ بِهَا فَلَمَّا	وَجَدَكَ لَا نَطِيقُ لَهَا اتِّهَامَا
وَلَكِنَّا نَحَازِرُ مِنْ بَنِيهِ	بَنَى الْعَلَاتِ مَائِرَةً سَمَامَا
وَنَخْشَى إِنْ جَعَلْتَ الْمُلْكَ فِيهِمْ	سَحَابًا أَنْ تَعْرِدَ لَهُمْ جَهَامَا
فَلَا يَكُ مَا حَلَبْتَ غَدًا لَقِيمًا	وَبَعْدَ غَدٍ بَنُوكَ هُمُ الْبِيَامَا
فَأَقْسِمُ لَوْ تَخَطَّلَى عِصَامُ	بِذَلِكَ مَا عَنَرْتُ بِهِ عِصَامَا
وَلَوْ أُنِّي حَبَوْتُ أَخَا بِفَضْلٍ	أُرِيدُ بِهِ الْمَقَالَةَ وَالنُّعَامَا

(١) الأغاني ١٦ : ٨٨ (مأني) وفيه : « على الشط » .

(٢) الأغاني : « جعلت له الإمامة » .

١١٦٧/٢

لَعَبَّ فِي بَنِي عَلَى بَنِي كَذَلِكَ أَوْ لَرُمْتُ لَهُ مَرَامًا^(١)
فَمَنْ يَكُ فِي أَقَارِبِهِ صُدُوعٌ فَصَدْعُ الْمَلِكِ أَبْطُوهُ الثَّمَامَا
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : يَا عِمْرَانُ ، إِنَّهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، قَالَ : احْتَسِلْ لَهُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ عَلَى : أَرَادَ عَبْدُ الْمَلِكِ بَيْعَةَ الْوَلِيدِ قَبْلَ أَمْرِ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، لِأَنَّ
الْحِجَاجَ بَعَثَ فِي ذَلِكَ عِمْرَانَ بْنَ عَصَامٍ ، فَلَمَّا أَبَى عَبْدُ الْعَزِيزِ أَعْرَضَ عَبْدُ الْمَلِكِ
عَمَّا أَرَادَ حَتَّى مَاتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَسْخُلَعَ أَخَاهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ وَيُبَايِعَ
لَابَنَهُ الْوَلِيدَ كَتَبَ إِلَى أَخِيهِ : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَصِيرَ هَذَا الْأَمْرَ لَابْنِ أَخِيكَ ! فَأَبَى ،
فَكَتَبَ إِلَيْهِ : فَاجْعَلْهَا لِي مِنْ بَعْدِكَ ، فَإِنَّهُ أَعَزَّ الْخَلْقِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَكَتَبَ
إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ : إِنْ أَرَى فِي أَبِي بَكْرٍ بَنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا تَرَى فِي الْوَلِيدِ ،
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : اللَّهُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ قَطَعَنِي فَاقْطَعْنِي . فَكَتَبَ إِلَيْهِ
عَبْدُ الْمَلِكِ : احْمِلْ خَرَجَ مِصْرَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ
وَلَيْتَكَ قَدْ بَلَغْنَا سِنًا لَمْ يَبْلُغْهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ إِلَّا كَانَ بَقَاؤُهُ قَلِيلًا ،
وَلَيْتَ لَا أَدْرِي وَلَا تَدْرِي^(٢) أَبْنَا يَأْتِيهِ الْمَوْتُ أَوْ لَا ! فَإِنْ رَأَيْتَ أَلَّا تَنْفُتَ^(٣) عَلَى
بَقِيَّةِ عَمْرِي فَافْعَلْ .

١١٦٨/٢

فَرَفَّقَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ : لَتَعْمُرَنِي لَا أَغْثُ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ عُمرِهِ ، وَقَالَ
لَابَنِيهِ : إِنْ يُرَدُّ اللَّهُ أَنْ يُعْطِيَكُمْوهَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ الْعِبَادِ عَلَى رَدِّ ذَلِكَ .
وَقَالَ لَابَنِيهِ : الْوَلِيدُ وَسْلِيَانٌ هَلْ قَارَفْتُمَا حَرَامًا قَطُّ ؟ قَالَا : لَا وَاقِهِ ،
قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، نِلْتُمَاهَا وَرَبَّ الْكُفَّةِ !

قَالَ : فَلَمَّا أَبَى عَبْدُ الْعَزِيزِ أَنْ يُجِيبَ عَبْدَ الْمَلِكِ إِلَى مَا أَرَادَ ، قَالَ
عَبْدُ الْمَلِكِ : اللَّهُمَّ قَدْ قَطَعَنِي فَاقْطَعْنِي ، فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ قَالَ أَهْلُ
الشَّامِ : رَدَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَهُ ، فَدَعَا عَلَيْهِ ، فَاسْتَجِيبَ لَهُ .

قَالَ : وَكَتَبَ الْحِجَاجَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَشِيرُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَكْتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ
الْأَنْصَارِيَّ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنْ أَرَدْتَ رَجُلًا مَأْمُونًا فَاضْلَعْ عَاقِلًا وَدَيْعًا مُسْلِمًا

(١) ب : « أَوْ لَرُمْتُ » . (٢) ب : « وَلَا أَدْرِي » . (٣) لَا تَنْفُتُ عَلَى ، أَيْ لَا تَفْسِدُ .

كثوفاً تتخذُه لنفسك، وتَضَعُ عنده مِرْكاً، وما لا تحب أن يَظْهَرَ، فَاتَّخِذْ محمد بن يزيد . فكتب إليه عبدُ الملك: أحمله إلى . فحمله ، فاتَّخذه عبدُ الملك كاتباً . قال محمد : فلم يكن يأتيه كتابٌ إلا دفعه إلى ، ولا يَسْرُ شيئاً إلا أُنْجِبرَني به وكَتَمَه الناس ، ولا يكتبُ إلى عامل من عماله إلا أعلَمَنيهِ ، فإني بالأسبوعِ نِصفَ النهار إذا بيَّريد قد قَدِم من مصر ، فقال : الإذن على أمير المؤمنين . قلتُ : ليست هذه ساعة إذن ، فأعلمني ما قد قَدِمْتَ له ، قال : لا . قلتُ : فإن كان معك كتاب فادفعه إلى . قال : لا ، قال : فأبلغ بعضُ من حضرتي أمير المؤمنين ، فخرج فقال : ما هذا ؟ قلتُ : رسولُ قَدِم من مصر ، قال : فخذ الكتاب ، قلتُ : زعم أنه ليس معه كتاب ، قال : فسلكه عما قَدِم له ، قلتُ : قد سأله فلم يُخبرني ، قال أَدخله ، فأدخلته ، فقال : أجزك الله يا أمير المؤمنين في عبد العزيز ! فاسترجع وبكى ووجع ساعةً ثم قال : يرحم الله عبدَ العزيز ! مَضَى والله عبدُ العزيز لشأنيهِ ، وتركنا وما نحن فيه ، ثم بكى النساءُ وأهل الدار ، ثم دعاني من غَد ، فقال : إن عبدَ العزيز رحمه الله قد مَضَى لسبيله ، ولا بدُ للناس من عَلمٍ وقائمٍ يقومُ بالأمر من بعدي ، فمن تَرى ؟ قلتُ : يا أمير المؤمنين ، سيّد الناس وأرضاهم وأفضلهم الوليدُ بن عبد الملك ، قال : صدقتَ وفَقَّك الله ! فَمَنْ تَرى أن يكون بعده ^(١) ؟ قلتُ : يا أمير المؤمنين ، أين تَعْلَمُها عن سليمان فتى العرب ! قال : وفَقَّت ، أما إننا لو تركنا الوليدَ وإياها لجمَلَكها لبنيهِ ، اكتبْ عهداً للوليد وسليمان من بعده ، فكتبْتُ بيعةَ الوليد ثم سليمان من بعده . فغَضِبَ على الوليد فلم يُولني شيئاً حين أشرتُ بسليمان من بعده .

قال عليّ ، عن ابن جَعْدبة ^(٢) : كتب عبدُ الملك إلى هشام بن إسماعيل المخزومي أن يدعو الناس لبيعة الوليد وسليمان ، فبايعوا غير سعيد بن المسيّب ، فإنه أبى ، وقال : لا أباع وعبد الملك حيّ ؛ فضرَبه هشام ضَرْباً

(١) ب : « ثم من » ، ر : « ثم قال من » .

(٢) ب : « ابن جعدة » . ر : « عن أبي جعدة » .

مُبْرَحًا وَأَلْبَسَهُ الْمُسُوحَ ، وَرَوَّحَهُ إِلَى ذَبَابٍ - ثَنِيَّةٍ بِالْمَدِينَةِ كَانُوا يُقْتَلُونَ عِنْدَهَا وَيُصَلَّبُونَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ قَتْلَهُ ، فَلَمَّا انْتَهَوْا بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ رَدَّوهُ ، فَقَالَ : لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ لَا يَصَلَّبُونِي مَا لَبِسْتُ سُرَاوِيلَ مُسُوحٍ ، وَلَكِنْ قُلْتُ : يَصَلَّبُونِي فَيَسْتَرُونِي . وَبَلَغَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْخَبْرَ ، فَقَالَ : قَبِحَ اللَّهُ هَشَامًا ! إِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوهُ إِلَى الْبَيْعَةِ ، فَإِنْ أَتَى بِضَرْبِ عُنُقِهِ ، أَوْ يَكْفِ عَنَّهُ .

• • •

[بَيْعَةُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِابْنَيْهِ : الْوَلِيدِ ثُمَّ سُلَيْمَانَ]

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَايَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِابْنَيْهِ : الْوَلِيدَ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ سُلَيْمَانَ ، وَجَعَلَهُمَا وَلِيَّيْنِ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَتَبَ بِبَيْعَتِهِ لهما إِلَى الْبُلْدَانِ ، فَبَايَعَ النَّاسُ ، وَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، فَضَرَبَهُ هَشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ - وَهُوَ عَامِلُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْمَدِينَةِ - وَطَافَ بِهِ وَحَبَسَهُ ، فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى هَشَامٍ يُلَوِّمُهُ عَلَى مَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ ، وَكَالَ ضَرْبَهُ سَتِينَ سَوَاطِئًا ، وَطَافَ بِهِ فِي تَبَّانٍ ^(١) شَعَرَ حَتَّى يَبْلُغَ بِهِ رَأْسَ الثَّنِيَّةِ .

وَأَمَّا الْخَارِثُ فَإِنَّهُ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ سَعْدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو الْوَاقِدِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالُوا : اسْتَعْمَلَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الزَّيْبَرِ جَابِرَ بْنَ الْأَسَدِ بْنِ عَوْفِ الزَّهْرِيِّ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ لِابْنِ الزَّيْبَرِ ، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : لَا ، حَتَّى يَجْتَمَعَ النَّاسُ ، فَضَرَبَهُ سَتِينَ سَوَاطِئًا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنُ الزَّيْبَرِ ، فَكَتَبَ إِلَى جَابِرٍ يُلَوِّمُهُ ، وَقَالَ : مَا لَنَا وَلِسَعِيدٍ ، دَعَاهُ !

وَحَدَّثَنِي الْخَارِثُ ، عَنْ ابْنِ سَعْدٍ ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرِو أَخِيَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنَ مَرْوَانَ تَوَفَّى بِمَعْمَرٍ فِي جُمَادَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ ، فَعَقَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِابْنَيْهِ الْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ الْعَهْدَ ، وَكَتَبَ بِالْبَيْعَةِ لهما إِلَى الْبُلْدَانِ ، وَعَامِلُهُ يَوْمَئِذٍ هَشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْخَزَوِيُّ ،

(١) التَّبَّانُ : مَرْوِيلٌ صَغِيرٌ يَسْتَرُ النُّورَةَ .

فدعا الناس إلى البيعة ، فابيع الناس ، ودعا سعيد بن المسيب أن يبيع
لهما ، فأبى وقال : لا حتى أنظر ، فضربه هشام بن إسماعيل ميتين سوطاً ،
وطاف به في ثُبَّانٍ شعر حتى بلغ به رأس الثنية ، فلما كروا به قال : أين
تكررون^(١) بي ؟ قالوا : إلى السجن ، قال : والله لولا أني^(٢) ، ظننت أنه
الصلب لما لبست هذا الثُبَّان أبداً . فردّه^(٣) إلى السجن ، وحبسه^(٤) ، وكتب
إلى عبد الملك يُخبره بخلافه^(٥) ، وما كان من أمره ، فكتب إليه عبد الملك
يكومهُ فيما صَنَعَ ويقول : سعيدٌ والله كان أحوج أن تصل رحمه من أن
تضره ، وإنا لنعلم ما عنده من شقاق ولا خلاف .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي ، كذلك حدثنا
أحمد بن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكذلك قال الواقدي .

وكان العامل على المشرق في هذه السنة مع العراق الحجاج بن يوسف .

(١) ر : « تكررون » . (٢) ب : « إني » .
(٣) ب : « فرديه » . (٤) ب : « قبحه » .
(٥) ب : « يخبر خلافته » .

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةٌ سِتٌّ وَثَمَانِينَ

ذَكَرَ الْخَبِيرُ عَمَّا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ

• • •

[خَبَرُ وَفَاةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ]

فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ هَلَاكُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَكَانَ مَهْلِكُهُ فِي النِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ مِنْهَا. حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ ذِكْرِهِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ، قَالَ: تُوْفِيَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِلنِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ^(١)، فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ ثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةٍ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ^(٢).

وَأَمَّا الْحَارِثُ فَلِإِنَّهُ حَدَّثَنِي عَنْ ابْنِ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي شَرْحَبِيلُ بْنُ أَبِي عَوْنٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَجْمَعَ^(٣) النَّاسُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ سَنَةَ ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ.

قَالَ ابْنُ عَمْرٍو: وَحَدَّثَنِي أَبُو مَعْشَرٍ نَجِيجٌ، قَالَ: مَاتَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بَدْ مَشَقٍّ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِلنِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ، فَكَانَتْ^(٤) وَلايَتُهُ مِنْذُ^(٥) يَوْمٍ بَوِيعَ إِلَى يَوْمٍ تُوْفِيَ لِاحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً وَشَهْرًا وَنِصْفًا، كَانَ^(٦) تِسْعَ سِنِينَ مِنْهَا يُقَاتِلُ فِيهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَيَسْلَمُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ بِالشَّامِ، ثُمَّ بِالْعِرَاقِ بَعْدَ مَقْتَلِ مُصْعَبٍ، وَبَقِيَ بَعْدَ مَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَاجْتِمَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ ثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ إِلَّا سَبْعَ لَيَالٍ.

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيُّ، فَلِإِنَّهُ فِي حَدَّثِنَا أَبُو زَيْدٍ عَنْهُ — قَالَ: مَاتَ عَبْدُ الْمَلِكِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ بَدْ مَشَقٍّ، وَكَانَتْ وَلايَتُهُ ثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا.

(١) بَدْ مَشَقٍّ : « بَدْ مَشَقٍّ » . (٢) بَدْ مَشَقٍّ : « بَدْ مَشَقٍّ » .

(٣) بَدْ : « أَجْمَعَ » . (٤) بَدْ : « وَكَانَتْ » .

(٥) بَدْ : « مِنْ يَوْمٍ بَوِيعَ » . (٦) بَدْ : « وَكَانَ » .

ذكر الخبر عن مبلغ سنة يوم توفى

اختلف أهل السير في ذلك، فقال أبو معشر فيه - ما حدثني الحارث عن ابن سعد، قال: أخبرتني محمد بن عمرو، قال: حدثني أبو معشر نعيم. قال: مات عبد الملك بن مروان وله ستون سنة. قال الواقدي: وقد روي لنا أنه مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة. قال: والأوّل أثبت. وهو على مولده، قال: وللمنقست وعشرين في خلافة عثمان ابن عفان رضي الله عنه، وشهد يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين. وقال المدائني على بن محمد - فيما ذكر، أبو زيد عنه: مات عبد الملك وهو ابن ثلاث وستين سنة.

ذكر نسبه وكنيته

أمّا نسبه، فإنه عبد الملك بن مروان بن الحَكَم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف. وأمّا كنيته فأبو الوليد. وأمّه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، وله يقول ابن قيس الرقيّات:

أَنْتَ ابْنُ عَائِشَةَ الَّتِي فَضَلْتَ أَرْوَمَ نَسَائِهَا^(١)
لَمْ تَلْغَيْتْ لِيْلَدَاتِهَا وَصَصْتَ عَلَى غُلَوَاتِهَا

• • •

ذكر أولاده وأزواجه

منهم الوليد، وسليمان، ومروان الأكبر - درج^(٢) - وعائشة؛ أمّهم ولادة بنت العباس بن جَزْء بن الحارث بن زهير بن جديمة بن رواحة بن

(٢) درج، له مات صغيراً.

(١) ديوانه ١١٧.

ربيعة بن مازن بن الحارث بن قُطَيْبَة بن عَبْس بن بَغِيض .
 ويزيد، وسروان، وسعاوية - درج - وأم كلثوم، وأُمهم عاتكة بنت
 يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .
 وهشام، وأُمهم أم هشام بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن
 المغيرة المخزومي . وقال المدائني : اسمها عائشة بنت هشام .
 وأبو بكر، وأُمهم بكار، أُمهم عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله،
 والحقم - درج - أمهم أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان .
 وفاطمة بنت عبد الملك، أُمهم أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص
 ابن هشام بن المغيرة .
 وعبد الله وسليمة والمنذر وعنيسة ومحمد وصعيد الخير والحجاج ؛ لأمهات
 أولاد .

* * *

قال المدائني : وكان لمن النساء - سوى من ذكرنا - شقراء بنت سلمة
 ابن حلبس الطائي، وابنة لعل بن أبي طالب عليه السلام ، وأم أبيها بنت
 عبد الله بن جعفر .

وذكر المدائني ، عن عوانة وغيره أن سلمة بن زيد بن وهب بن نباتة
 الفهمي دخل على عبد الملك فقال له : أي الزمان أدركت أفضل ؟ وأي
 الملوك أكمل ؟ قال : أما الملوك فلم أر إلا ذاماً وحامداً ؛ وأما الزمان فبفتح
 أقواماً ويضع أقواماً ، وكلهم يكتم زمانه لأنه يبلى جديدهم ، ويُبهرم صغيرهم ،
 وكل ما فيه منقطع غير الأمل ؛ قال : فأخبرني عن فتهم ، قال : هم
 كما قال من قال :

١١٧٠/٢

درج الليل والنهار على قه
 دَرَجَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ عَلَى قَه
 وَخَلَّتْ دَارُهُمْ فَأَضْحَتْ يَبَاباً
 بَعْدَ عَزٍّ وَفُرُوءٍ وَنَعِيمٍ
 كَذَاكَ الزَّمَانُ يَذْهَبُ بَالَنَا
 مَسَ وَتَبَقَى دِيَارُهُمْ كَالرُّسُومِ

قال : فمن يقول منكم ^(١) :

رَأَيْتُ النَّاسَ مَذْخُلُقُوا وَكَانُوا يُحِبُّونَ الْفَنَى مِنْ الرِّجَالِ
وَلَنْ كَانَ الْفَنَى قَلِيلَ خَيْرٍ بَخِيلًا بِالْقَلِيلِ مِنَ النِّوَالِ
فَمَا أَذْرَى عَلَامَ وَفِيمَ هَذَا وَمَاذَا يَرْتَجُونَ مِنَ الْيَحَالِ ^(٢) !
أَلِدُنْيَا ؟ فَلَيْسَ هُنَاكَ دُنْيَا وَلَا يُرْجَى لِحَادَثَةِ اللَّيَالِ

قال : أنا .

قال علي : قال أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عتبة بن أبي معيط
لعبدِ الملكِ بنِ مروان :

نَبِئْتُ أَنَّ أَبْنَ الْقَلَمْسِ عَابَنِي وَمَنْ ذَا مِنَ النَّاسِ الصَّحِيحِ الْمَسْلَمِ ^(٣) !
فَأَبْصَرَ سُبُلَ الرِّشْدِ مَبْدُ قَوْمِهِ وَقَدْ يُبْصِرُ الرِّشْدَ الرَّئِيسُ الْمَعْمَمُ
فَمَنْ أَنْتُمْ ؟ هَا خَبَرُونَا مَنْ أَنْتُمْ ؟ وَقَدْ جَعَلْتَ أَشْيَاءَ تَبْدُو وَتُكْتَمُ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ مِثْلَنَا يُقَالُ لَهُ : مَنْ أَنْتُمْ ! أَمَا
وَاللَّهِ لَوْلَا مَا تَعَلَّمْتُ لَقُلْتُ قَوْلَا الْحُكْمِ بِأَصْلِكُمُ الْخَبِيثِ ، وَلَضَرَبْتُكَ حَتَّى
تَمُوتَ .

وقال عبدُ الله بنُ الحجاجِ الثعلبيُّ لعبدِ الملك :

يَا بْنَ أَبِي الْعَاصِ وَيَا خَيْرَ فَتَى أَنْتَ سِدَادُ الدِّينِ إِنْ دِينَ وَهَى ^(٤)
أَنْتَ الَّذِي لَا يَجْعَلُ الْأَمْرَ سُدى جِيئَتْ قَرِيشٌ عَنْكُمْ جَوْبَ الرَّحَى
إِنَّ أَبَا الْعَاصِ وَفِي ذَاكَ أَعْتَصَى أَوْصَى بَنِيهِ فَوَعَوْا عَنْهُ الْوَصَى
إِنَّ يَسْعُرُوا الْحَرْبَ وَيَأْبُوا مَا أَبِي الطَّاعِنِينَ فِي النَّحُورِ وَالْكَلى
شَزْرًا وَوَضَلًا لِلسُّيُوفِ بِالْخَطَا إِلَى الْقِتَالِ فَحَوَّوْا مَا قَدْ حَوَى

(١) ب : ه فيكم . (٢) اليخال : جمع بخيل ، مثل كريم وكرام .

(٣) الأغاني ١ : ٣٤ ، والقلمس : الرجل الداهية . (٤) الأغاني ١٣ : ١٦٩ ، مع اختلاف في الرواية .

وقال أعتقني بني شيبان :

عرفتُ قريشَ كلها ليجيَ أبي العاصِ الإمارة
 لأبْرِها وأحسها عند المشورة بالإشارة
 المانعين لِمَا وكُوا والناقمين ذوى الضمارة
 وممَّ أحقهم بها عند الحلاوة والمرارة
 وقال عبد الملك : ما أعلم مكانَ أحدٍ أقوى على هذا الأمر مني ، وإنَّ
 ابنَ الزبير لطويلُ الصلابة ، كثيرُ الصيام ، ولكنَّ لبخله لا يصلحُ أن
 يكونَ سائسًا .

خلافة الوليد بن عبد الملك

وفي هذه السنة بُويع للوليد بن عبد الملك بالخلافة، فذكر أنه لما دُفِنَ أباه وانصرف عن قبره، دَخَلَ المسجد فصعد المنبر، واجتمع إليه الناس، فخطب فقال : إِنَّا لله وإنا إليه راجعون ! والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين، والحمد لله على ما أنعم به علينا من الخلافة . قوموا فابيعوا . فكان أول مَنْ قام لبيعته عبد الله بن همام السلولي ، فإنه قام وهو يقول :

اللَّهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لَا قَوْفَهَا وَقَدْ أَرَادَ الْمَلْحُودُونَ عَوَفَهَا
عَنْكَ وَيَا بِي اللَّهِ إِلَّا سَوْفَهَا إِلَيْكَ حَتَّى قَلْدُوكَ طَوَفَهَا

فبايعته ، ثم تتابع الناس على البيعة .

١١٧٨/٢

وأما الواقدي فإنه ذكر أن الوليد لما رجع من دُفِنَ أبيه، ودُفِنَ خارج باب البجائية ، لم يتخلل منزله حتى صعد على منبر دمشق، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

أيها الناس ، إنه لا مقدّم لِمَا أختَر الله، ولا مؤخّر لِمَا قَدَّمَ الله ، وقد كان من قضاء الله وسابقِ عِلْمِهِ وما كَتَبَ على أنبيائه وحَمَلَةِ عَرْشِهِ الموت . وقد صار إلى منازل الأبرار وإلى هذه الأمة الذي يحقّ عليه الله من الشدة على المرئيب واللين لأهل الحق والفضل، وإقامة ما أقام الله من متار الإسلام وأعلامه؛ من حجّ هذا البيت ، وغزوَ هذه الثغور ، وشنّ هذه الغارة على أعداء الله ، فلم يكن عاجزاً ولا مُعْطِلاً . أيها الناس ، عليكم بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، فإن الشيطان مع الفرد . أيها الناس، مَنْ أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عَيْنَاه ، ومن سكّنت ماتَ بدّأته .

ثم نَزَلَ، فنظّر إلى ما كان من دواب الخلافة فحازره، وكان جباراً أعيداً .

[ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان من قبل الحجاج]

وفي هذه السنة قَدِمَ قتيبةُ بنُ مسلم خُراسانَ والياً عليها من قِبَلِ
الحجاج ، فذكر علي بن محمد أنَّ كُليبَ بنَ خُلف ، أخبَرَهُ عن طُعَيْلِ
ابنِ مِرْدَاسِ العَمِيِّ^(١) والحسن بنِ رُشيد ، عن سليمان بن كثير العَمِيِّ ،
قال : أخبرتني عمِّي قال : رأيت قُتَيْبَةَ بنَ مُسْلِمٍ حينَ قَدِمَ خُراسانَ في
سنة ست وثمانين ، قَدِمَ والمفضلُ يَحْرُسُ الجُندَ ، وهو يريد أن يغزوَ أخرونَ
وشُومانَ ، فَخَطَبَ الناسَ قُتَيْبَةً ، وَحَثَّهُمْ على الجهاد ، وقال :

إِنَّ اللَّهَ أَحْلَمُ هَذَا الْمُحَلِّ لِيُحْزَرَ دِينَهُ ، وَيَذَبَّ بِكُمْ عَنِ الْخُرُمَاتِ ، وَيَزِيدَ
بِكُمُ الْمَالَ اسْتِغَاظَةً ، وَالْعَدُوَّ وَقَمًا^(٢) ، وَوَعَدَ نَبِيَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّصْرَ بِعَدِيثٍ
صَادِقٍ ، وَكُتَابَ نَاطِقٍ ، فَقَالَ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكُتُبِهِ الْمُشْرُكُونَ ﴾^(٣) .
وَوَعَدَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ أَحْسَنَ الثَّوَابِ ، وَأَعْظَمَ الدُّخْرِ عِنْدَهُ فَقَالَ :
﴿ ذِكْرٌ بَأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا تَخْصِصَةٌ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ ﴾ ، إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٤) . ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ قَتِيلٍ
فِي سَبِيلِهِ أَنَّهُ حَيٌّ مَرْزُوقٌ ، فَقَالَ : ﴿ وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾^(٥) . فَتَنَجَّرُوا وَمَوْعِدَ
رَبِّكُمْ وَوُطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى أَقْصَى أَثَرٍ وَأَمْضَى أَلَمٍ ، وَلِإِيَّايَ وَالْمَوْتِ .

• • •

ذكر ما كان من أمر قتيبة بخراسان في هذه السنة
ثم عَرَضَ قُتَيْبَةُ الجُندَ في السلاح والكُرَاع ، وصاروا يستخلفونَ بِمَرَوْ
على حربها لِيُاسَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو ، وعلى الخِزَاجِ عِيَانُ بنُ السَّعْدِيِّ^(٦) ،
فلما كان بالطالِقَانِ تَلَقَّاهُ دَهَاقِينَ بَلَخَ وَبَعْضُ عِظَمَائِهِمْ فَسَارُوا مَعَهُ ،
فلما قَطَعَ النهرَ تَلَقَّاهُ تَيْشُ^(٧) الْأَعْوَرِ مَلِكِ الصَّفَّانِيَّانِ بِهَدَايَا وَفِتْنَةٍ مِنْ

١١٨٠/٢

(١) ب : « العَمِيِّ » . (٢) الرِّقْمُ : اللد . (٣) سورة الصف : ٩ .

(٤) سورة التوبة : ١٢٠ ، ١٢١ (٥) سورة آل عمران : ١٦٩ .

(٦) ابن الأثير : « مَهَانُ السَّعْدِيِّ » . (٧) ط : « دَيْش » .

ذهب ، فدعاه إلى بلاده ، فأثاه وأتى ملك كفتان بهدايا وأموال ، ودعاه إلى بلاده ، ففضى مع بيش إلى الصفانيان ، فسلم إليه بلاده ، وكان ملك آخرون وشومان قد أساء جوار تيش وغزاه وضيق عليه ، فسار قتيبة إلى آخرون وشومان - وهما من طخارستان ، فجاءه غشتاسبان^(١) فصالحه على فدية أداها إليه ، فقبلها قتيبة ورضى ، ثم انصرف إلى مرو ، واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم ، وتقدم جندة فسبقهم إلى مرو ، وفتح صالح بعد رجوع قتيبة بأسارا ، وكان معه نصر بن سيار فأبلى يومئذ ، فوهب له قرية تدعى تنجانه ، ثم قدم صالح على قتيبة فاستعمله على الترمذ .

قال : وأما الباهليون فيقولون : قدم قتيبة خراسان سنة خمس وثمانين فمرّص الجند ، فكان جميع ما أحصوا من الدروع في جُند خراسان ثلثائة وخمسين درعاً ، فغزا آخرون وشومان ، ثم قفل فركب السفن فأنشدر إلى آمل ، وحلف الجند ، فأخذوا طريق بلكخ إلى مرو ، وبلغ الحجاج ، فكتب إليه يلومه ويعجز رأيه في تخليفه الجند ، وكتب إليه : إذا غزوت فكن في مقدّم الناس ، وإذا قلت فكن في أخرياتهم وصاقتهم .

وقد قيل : إن قتيبة أقام قبل أن يقطع النهر في هذه السنة على بلكخ ، لأن بعضها كان منتقفاً عليه ، وقد ناصب المسلمين ، فحارب أهلها ، فكان من سبى امرأة برمك ، أبي خالد بن برمك - وكان برمك على الثوبهار - فصارت لعبد الله بن مسلم الذي يقال له الفقير ، أخى قتيبة بن مسلم ، فوقع عليها ، وكان به شيء من الجذام . ثم إن أهل بلكخ صالحوا من غد اليوم الذي حاربهم قتيبة ، فأمر قتيبة برد السي ، فقالت امرأة برمك لعبد الله بن مسلم : يا تازي ، إني قد علفتك منك . وحضرت عبد الله بن مسلم الوفاة ، فأوصى أن يلحق به ما في بطنها ، وردت إلى برمك ، فذكر أن ولد عبد الله بن مسلم جاءوا أيام المهدي حين قدم الرى إلى خالد ، فادعوه ، فقال لهم مسلم بن قتيبة : إنه لا بد لكم إن

(١) ط : غشتاسبان .

استلحقتموه ففعل من أن تزوجه ، فتركوه وأعرضوا عن دعواهم .
وكان بمرمك طيباً ، فداوى بعد ذلك مسلمة من علة كانت به .

• • •

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم .
وفيها حبس الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب ، وعزل حبيب بن
المهلب عن كرمان ، وعبد الملك بن المهلب عن شرطته .

١١٨٢/٢

• • •

وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل الخزوي ، كذلك
حدثني أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكذلك قال الواقدي .

وكان الأمير على العراق كله والمشرق كله الحجاج بن يوسف . وعلى
الصلاة بالكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل . وعلى الحرب بها من قبل
الحجاج زياد بن جريز بن عبد الله . وعلى البصرة أيوب بن الحكم . وعلى
خراسان قتيبة بن مسلم .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة عزّل الوليدُ بنُ عبد الملك هشامَ بنَ إسماعيل عن المدينة ،
ووردَ عزله عنها - فيما ذكر - ليلةَ الأحد لسبعِ ليالٍ خلونَ من شهر
ربيع الأول سنة سبع وثمانين . وكانت إمرته ^(١) عليها أربع سنين غير شهر
أو نحوه .

* * *

[خبر إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة]

وفي هذه السنة ولّى الوليدُ عمرَ بنَ عبد العزيز المدينة . قال الواقدي :
قدِمَها وليّاً في شهر ربيع الأول ؛ وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وولد
سنة اثنتين وستين .

قال : وقَدِمَ على ثلاثين بعيّاً ، فنَزَلَ دارَ مروان . قال : فحدثني
عبدُ الرحمن بنُ أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : لما قَدِمَ عمرُ بنُ عبد العزيز
المدينة ونَزَلَ دارَ مروانَ دخل عليه الناسُ فسلموا ، فلما صلّى الظهر دعا
عشرةً من فقهاء المدينة : عروةَ بنَ الزبير ، وعبد الله بن عبد الله بن حُتَيْب ،
وأبا بكر بن عبد الرحمن ، وأبا بكر بن سليمان بن أبي حشمة ^(٢) ، وسليمان بن
يسار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عبد الله
ابن عمرو ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زَيْد ، فجلسوا عليه
فجلسوا ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

إني إنما دعوتكم لأمرٍ تتجرون عليه ، وتكونون فيه أعواناً على الحق ،
ما أريد أن أقطع أمراً إلا ب رأيكم أو برأي من حضَرَ منكم ، فإن رأيتم أحداً

(١) ساقطة من ب .

(٢) ط = « عيشة » ، وانظر القهس .

يبتعدى ، أو يلتصكم عن عامل لى ظلامه ، فأحرج الله على من بلغه ذلك إلا بلفظي .

فخرجوا يُجزونه خيراً ، وافترقوا .

قال : وكسب الوليدُ إلى عمرَ يأمره أن يقف هشامُ بن إسماعيلَ للناس ، وكان فيه سيئُ الرأي .

قال الواقدي : فحدثني داودُ بن جبير ، قال : أخبرتني أمّ ولد سعيد بن المسيّب أن سعيداً دعا ابنه ومواليه فقال : إنّ هذا الرجل يُوقف للناس — أو قد وقّف — فلا يتعرض له أحدٌ ولا يؤذيه بكلمة ، فإنّا مسترّك ذلك لله والرّحيم ، فإن كان ما علمتُ لسيئُ النظر لنفسه ، فأما كلامه فلا أكلمه أبداً .

قال : وحدثني محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر ، عن أبيه ، قال : كان هشامُ بن إسماعيلَ يسيء جوارنا ويؤذي بنا ، ولقي منه عليّ بن الحسين أذى شديداً ، فلما عُرِل أمرّ به الوليدُ أن يُوقف للناس ، فقال : ما أخاف إلا من عليّ بن الحسين . فترّ به عليّ وقد وقّف عند دارِ مروان ، وكان عليّ قد تقدّم إلى خاصته ألاّ يتعرض له أحد منهم بكلمة ؛ فلما مرّ ناداه هشامُ بن إسماعيلَ : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

١١٨٤/٢

* * *

[خير صلح قتيبة ونيزك]

وفي هذه السنة قدّم نيزك على قتيبة ، وصالح قتيبة أهل بادغيس على ألاّ يتخلّوها قتيبة .

• ذكر الخبر عن ذلك :

• ذكر عليّ بن محمد أن أبا الحسن الجشمي أخبره عن أشياخ من أهل خراسان ، وجلة بن فروخ عن محمد بن المنتي ، أن نيزك طرخان كان في يديه أسراء من المسلمين ، وكتب إليه قتيبة حين صالح مملّك شوّمان في يديه من أسرى المسلمين أن يطلقهم ، ويهدّده^(١) في كتابه ،

فخافته^(١) أنيزك ، فأطلقت الأسرى ، وبعث بهم إلى قتيبة ، فوجه إليه قتيبة
سليماً الناصح مولى عبيد الله بن أبي بكره يدعو إلى الصلح وإلى أن يؤمنه ،
وكتب إليه كتاباً يخلف فيه بالله: لئن لم يقدم عليه ليغزوه ، ثم ليطلبته حيث
كان ، لا يقطع عنه حتى يظفر به أو يموت قبل ذلك . فقصد سليم على
نيزك بكتاب قتيبة - وكان يستنصحه - فقال له: يا سليم ، ما أظن عند صاحبك
خيراً ، كتب إلى كتاباً لا يكتب إلى مثلي ! قال له سليم : يا أبا
الهيّاج ، إن هذا رجل شديد في سلطانه ، سهل إذا سويل ، صعب إذا
عوسر ، فلا بمنعك منه غلظة كتابه إليك ، فإحسن حالك عنده وعند
جميع منصرف ! فقصد نيزك مع سليم على قتيبة ، فصالحه أهل باذغيس
في سنة سبع وثمانين على ألا يدخل باذغيس .

* * *

[خبر غزو مسلمة بن عبد الملك أرض الروم]

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ، ومعه يزيد بن
جبّير ، فلقى الروم في عدد كثير بسوسة من ناحية النصيبة .
قال الواقدي : فيها لاقى مسلمة ميمونا الجرجماني ومع مسلمة نحو
من ألف مقاتل من أهل أنطاكية عند طوانة ، فقتل منهم بشراً كثيراً ،
وفتح الله على يديه حصوناً .

وقيل : إن الذي غزا الروم في هذه السنة هشام بن عبد الملك ،
فتفتح الله على يديه حصن بولتي وحصن الأخرم وحصن بولس وقمم ،
وقتل من المستعربة نحواً من ألف مقاتل ، وسبى^(٢) ذراريهم ونساءهم .

* * *

[خبر غزو قتيبة بيكنند]

وفي هذه السنة غزا قتيبة بيكنند .

* ذكر الخبر عن غزوته هذه :

١١٨٦/٢

ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ أَنَّ أَبَا الذَّيَالِ أَخْبَرَهُ عَنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ لِيَاسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حُسَيْنٍ ^(١) بْنِ مُجَاهِدِ الرَّازِيِّ وَهَارُونَ بْنِ عَيْسَى، عَنْ يُونُسَ ابْنِ أَبِي إِسْحَاقٍ وَغَيْرِهِمْ، أَنَّ قُتَيْبَةَ لَمَّا صَالَحَ نَيْزَكَ أَقَامَ إِلَى وَكْمَتِ الْقَزْوِ، ثُمَّ غَزَا فِي تِلْكَ السَّنَةِ - سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ - بَيْكَنْدَ، فَسَارَ مِنْ مَرَوْ وَأَتَى مَرَوْ الرُّوذَ، ثُمَّ أَتَى أَمْلُ آثَمَ مَضَى إِلَى زَمَ قَطَطَحَ النُّهْرَ، وَسَارَ إِلَى بَيْكَنْدَ - وَهِيَ أَدْنَى مَدَائِنِ بُخَارَى إِلَى النُّهْرِ، يُقَالُ لَهَا مَدِينَةُ التُّجَارِ عَلَى رَأْسِ الْمَنَازَةِ مِنْ بُخَارَى - فَلَمَّا نَزَلَ بِمَقَرِّهِمْ اسْتَنْصَرُوا الصُّغْدَ، وَاسْتَمَدُّوا مَنَ حَوْلِمَ، فَأَتَوْهُمْ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ، وَأَخَذُوا بِالطَّرِيقِ، فَلَمْ يَنْفُذْ لِقَيْبَةَ رَسُولٌ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ رَسُولٌ، وَلَمْ يَجِرْ لَهُ خَيْرٌ شَهْرَيْنِ، وَأَبْطَأَ خَبَرُهُ عَلَى الْحِجَّاجِ، فَاشْفَقَ الْحِجَّاجُ عَلَى الْجُنْدِ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالِدَّعَاءِ لَهُمْ فِي الْمَسَاجِدِ، وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى الْأَمْصَارِ وَهُمْ يَتَقَتِّلُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ.

قَالَ : وَكَانَ لِقَيْبَةَ عَيْنٌ يُقَالُ لَهُ تَنْذَرُ ^(٢) مِنَ الْعَجَمِ، فَأَعْطَاهُ أَهْلُ بُخَارَى الْأَعْلَى بَالًا عَلَى أَنْ يَمْنَأَ عَنْهُمْ قُتَيْبَةَ، فَأَنَاهُ، فَقَالَ : أَخْلَنِي، فَتَهَيَّأَ النَّاسُ وَاحْتَبَسَ قُتَيْبَةُ ضِرَارَ بْنَ حَصِينِ الضَّبِّيَّ، فَقَالَ تَنْذَرُ : هَذَا عَامِلٌ يَتَقَدَّمُ عَلَيْكَ، وَقَدْ عَزَلَ الْحِجَّاجُ، فَلَوْ انْصَرَفْتَ بِالنَّاسِ إِلَى مَرَوْ ! فِدَعَا قُتَيْبَةَ سَيِّمَاهُ مَوْلَاهُ، فَقَالَ : اضْرِبْ عُنُقَ تَنْذَرٍ، فَفَتَشَكَّهُ، ثُمَّ قَالَ لَضِرَارٍ : لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ يَعْلَمُ هَذَا الْخَبَرَ غَيْرِي وَغَيْرِكَ، وَإِنِّي ^(٣) أَعْطَى اللَّهَ عَهْدًا إِنْ ظَهَرَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى تَنْقُضِيَ حَرْبَنَا هَذِهِ لِلْحَقْنَكِ بِهِ، فَاذْكُرْ لِسَانَكَ، فَإِنَّ انْتِشَارَ هَذَا الْحَدِيثِ يَنْقُضُ فِي أَعْضَادِ النَّاسِ. ثُمَّ أَذِنَ لِلنَّاسِ.

١١٨٧/٢

قَالَ : فَدَخَلُوا، فَزَاعَمَهُمْ قَتْلُ تَنْذَرٍ، فَوَجَعُوا وَأَطَرَقُوا، فَقَالَ قُتَيْبَةُ : مَا يَرَوْعُكُمْ مِنْ قَتْلِ عَبْدِ أَهَانَةِ اللَّهِ ! قَالُوا : إِنَّا كُنَّا نَنْظُنُّهُ نَاصِحًا لِمُسْلِمِينَ، قَالَ : بَلَى كَانَ غَاشًّا ^(٤) فَأَحَانَهُ اللَّهُ بِذُنْبِهِ، فَقَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ، فَاغْدُوا عَلَى

(٢) د : « تيلر » .

(١) ب : « حُصَيْن » .

(٤) بمعناها ب : « ولم » .

(٣) ب : « فإني » .

قتال عدوكم ، والقوم بغير ما كنتم تملكونهم به . فغدا الناس متاهين ، وأخلوا مصافهم ، وشئى قتيبة فخص أهل الرايات ، فكانت بين الناس مشاورة^(١) ، ثم تراحقوا^(٢) ، والتفوا ، وأخذت السيوف مأخذها ، وأزرك الله على المسلمين الصبر ، فقاتلوه حتى زالت الشمس ، ثم منح الله المسلمين أكثافهم ، فانهزموا يريدون المدينة ، واتبعهم المسلمون فشقوهم عن الدخول فترقوا ، وركبهم المسلمون قتلاً وأمرأ كيف شاعوا ، واعتصم من دخل المدينة بالمدينة ، ولم قليل ، فوضع قتيبة الصعكة في أصلها ليهدمها ، فسأله الصلح فصالحهم ، واستعمل عليهم رجلاً من بني قتيبة .

وارتحل عنهم يريد الرجوع ، فلما سار مرحلة أو اثنتين ، وكان منهم على خمسة فراسخ نفضوا وكفروا ، فقتلوا العامل وأصحابه ، وجدعوا آثمتهم وأذانتهم ، وبلغ قتيبة فرجع إليهم ، وقد تحصنوا ، فقاتلهم شهراً ، ثم وضع القلعة في أصل المدينة فملقوها^(٣) بالحشب ، وهو يريد إذا فرغ من تعليقها أن يحرق الحشب فتتهدم ، فسقط الحائط وهم يلقونه ، فقتل أربعين من القلعة ، فطلبوا الصلح ، فأبى وقاتلهم ، فظفر بهم عنوة ، فقتل من كان فيها من المقاتلة ، وكان فيمن أخذوا في المدينة رجل أعور كان هو الذى استجاش الشرك على المسلمين ، فقال لقتيبة : أنا أفدى نفسى ، فقال له سلم الناصح : ما تريد ؟ قال : خمسة آلاف حرية صينية قيمتها ألف ألف ، فقال قتيبة : ما ترون ؟ قالوا : نرى أن فداه زيادة في غنائم المسلمين ، وما عسى أن يبلغ من كبد هذا ! قال : لا والله لا تروا بك مسلمة أبداً ، وأمر به فقتل .

قال على : قال أبو الذيال ، عن المهلب بن إياس ، عن أبيه والحسن ابن رشيد ، عن طهليل بن مرداس ، أن قتيبة لما فتح بيكنند أصابوا فيها من آنية الذهب والفضة ما لا يحصى ، فولى الغنائم والتسم عبد الله بن وألان العلوي أحد بني ميسان . وكان قتيبة يسميه الأمين ابن الأمين — وإياس بن

(١) ب : مسالة . والمشولة : القتال بالرياح . (٢) ب : تراحقوا .

(٣) ب : فملقوها .

بَيْهَسَ الْبَاهِلَى ، فَأَذَابَا الْآتِيَّةَ وَالْأَصْنَامَ فَرَقَعَاهُ إِلَى قَتِيَّةَ ، وَرَفَعَا إِلَيْهِ خَبِثَتَ مَا أَذَابَا ، فَوَهَبَهُ لَهَا ، فَأَعْطَاهَا بِهِ أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، فَأَعْلَمَاهَا فَرَجَعَ فِيهِ وَأَمَرَهُمَا أَنْ يُذَيَّيَاهُ فَأَذَابَاهُ ، فَخَرَجَ مِنْهُ خَمْسُونَ وَمِائَةً أَلْفَ مِثْقَالٍ - ١١٨٩/٢
أَوْ خَمْسُونَ أَلْفَ مِثْقَالٍ - وَأَصَابُوا فِي بَيْكَنْدَ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَصَارَ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَيْكَنْدَ شَيْءٌ لَمْ يُصَيَّبُوا مِثْلَهُ بِخُرَّاسَانَ . وَرَجَعَ قَتِيَّةَ إِلَى مَرَوْ ، وَقَوَّيَ الْمُسْلِمُونَ ، فَاشْتَرَوْا السِّلَاحَ وَالْحِلْيَةَ ، وَحُلِبَتْ لَهُمُ الدَّوَابُّ ، وَتَنَافَسُوا فِي حُسْنِ الْحِفْظِ وَالْعُدَّةِ ، وَغَالَتُوا بِالسِّلَاحِ حَتَّى بَلَغَ الرَّمْحُ سَبْعِينَ ؛ وَقَالَ الْكُمَيْتُ :

وَيَوْمَ بَيْكَنْدَ لَا تُحْصَى عَجَائِبُهُ وَمَا بُخَارَاهُ مِمَّا أَخْطَأَ الْعَدَدُ

وَكَانَ فِي الْخِزَانَةِ سِلَاحٌ وَآلَةٌ مِنْ آلَةِ الْحَرْبِ كَثِيرَةٌ ، فَكَتَبَ قَتِيَّةُ إِلَى الْحِجَابِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي دَفْعِ ذَلِكَ السِّلَاحِ إِلَى الْخُنْدِ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَأَخْرَجُوا مَا كَانَ فِي الْخِزَانَةِ مِنْ عُدَّةِ الْحَرْبِ وَآلَةِ السَّفَرِ ، فَقَسَّمَهُ فِي النَّاسِ ، فَاسْتَعَدَّوْا ، فَلَمَّا كَانَ أَيَّامُ الرَّبِيعِ نَدِبَ النَّاسَ وَقَالَ : إِنِّي أَغْزِيكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْتَاجُوا إِلَى حِمْلِ الزَّادِ ، وَأَنْتَظِلُّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْتَاجُوا إِلَى الْإِدْفَاءِ ؛ فَسَارَ فِي عُدَّةِ حَسَنَةٍ مِنَ الدَّوَابِّ وَالسِّلَاحِ ، فَأَتَى أَمْلًا ؛ ثُمَّ عَيَّرَ مِنْ زَمٍّ إِلَى بُخَارَى ، فَأَتَى نَوْمُشْكُوتَ - وَهِيَ مِنْ بُخَارَى - فَصَالَحُوهُ .

قَالَ عَلِيٌّ : حَدَّثَنَا أَبُو الذِّيَالِ ، عَنْ أَشْيَاحَ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ ، أَنَّ مُسْلِمًا الْبَاهِلِيَّ قَالَ لِيُوَالَانَ : إِنَّ عِنْدِي ^(١) مَا لَا أَحِبُّ أَنْ أَسْتَوْدِعَ عِيَّتَهُ ، قَالَ : أَتُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَكْتُومًا أَوْ لَا تَكْرَهُ أَنْ يَعْلَمَهُ النَّاسُ ؟ قَالَ : أَحِبُّ أَنْ تَكْتُمَهُ ؛ قَالَ : ابْعَثْ بِهِ مَعَ رَجُلٍ تَشْتَقِي بِهِ إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا ، وَسُورَهُ إِذَا رَأَى رَجُلًا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ أَنْ يَضَعَهُ مَا مَعَهُ وَيَنْصَرِفُ ؛ قَالَ : نَعَمْ ، فَجَعَلَ مُسْلِمُ الْمَالِ فِي خُمُرٍ ، ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَى بَقْلِ وَقَالَ لِمَوْلَى لَهُ : انْظُرْ بِهَذَا الْبَقْلِ إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا ، فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا جَالِسًا فَقُلْ عَنِ الْبَقْلِ وَانْصَرِفْ . فَانْظَلَقَ الرَّجُلُ بِالْبَقْلِ ، وَقَدْ كَانَ وَالَانُ أَتَى الْمَوْضِعَ لِمُعَادَاةِ ،

فأبطأ عليه رسولُ مسلم، ومضى الوقتُ الذي وعدّه، فظنَّ أنمقد بدا له، فانصرف، وجاء رجلٌ من بني تغلب فجلس في ذلك الموضع، وجاء مولى مسلم فرأى الرجل جالساً، فخلطى عن البغل ورجع، فقام التغلبيُّ إلى البغل، فلما رأى المال ولم يرمع البغل أحدًا قಾದ البغل إلى مترله، فأخذ البغلَ وأخذَ المال، فظنَّ مسلم أن المال قد صار إلى ولّان، فلم يسأل عنه حتى احتاج إليه، فلكّبه فقال: مالى! فقال: ما قبضت شيئاً، ولا لك عندى مال. قال: فكان مُسلم يشكو ويتنقصه. قال: فأنى يوماً مجلس بني ضبيعة فشكاه والتغلبيُّ جالسٌ، فقام إليه فخلأ به وسأله عن المال، فأخبره، فانطَلَقَ به إلى مترله، وأخرج الخُرُجَ فقال: أتعرفه؟ قال: نعم، قال: والخاتم؟ قال: نعم، قال: اقبض مالك، وأخبره الخبر، فكان مسلم يأتى الناسَ والقبائلَ التى كان يشكو إليهم ولّان فيعذّره ويخبرهم الخبر، وفي ولّان يقول الشاعر:

وَلَمَسْتُ كَوَالَانَ الَّذِي سَادَ بِالثَّقِي وَلَسْتُ كَعِمْرَانَ وَلَا كَالْمُهَلَّبِ ١١٩١/٢
وعمرانُ: ابنُ النصيل البرجمي.

وَجَّعَ بالناس في هذه السنة - فيما حدثني أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر - عمر بن عبد العزيز، وهو أمير على المدينة.

وكان على قضاء المدينة في هذه السنة أبو بكر بن عمرو بن حزم من قبيل عُمر بن عبد العزيز.

وكان على العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف، وخطيفته على البصرة في هذه السنة - فيما قيل - الجرّاح بن عبد الله الحكسي. وعلى قضائهما عبد الله ابن أذينة، وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جبرير بن عبد الله، وعلى قضائهما أبو بكر بن أبي موسى الأشعري، وعلى خراسان قتيبة بن مسلم.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

[ذكر ما كان فيها من الأحداث]

[خبر فتح حصن طُوانة من بلاد الروم]

فمن ذلك ما كان من فَتَحَ الله على المسلمين حصنًا من حصون الروم يُدعى طُوانة في جُمادى الآخرة ^(١) ، وشتوا بها ، وكان على الجيش مُسلمة بن عبد الملك ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك .

١١٩٢/٢

فذكر محمد بن عمر الواقدي أن ثور بن يزيد حدثه عن أصحابه قال : كان فتح طُوانة على يد مُسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد ، وهزم المسلمون العدو يومئذ هزيمة صاروا إلى كنيستهم ، ثم رجعوا فانهزم الناس حتى ظننوا ألا يجتبروها أبدًا ، وبقي العباس معه نُفير ، منهم ابن مُحيريز الحمصي ، فقال العباس لابن مُحيريز : أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة ؟ فقال ابن مُحيريز : فادهم يأتوك ؛ فنادى العباس : يا أهل القرآن ! فأقبلوا جميعًا ، فهزم الله العدو حتى دخلوا طُوانة .

وكان الوليد بن عبد الملك ضرب البعث على أهل المدينة في هذه السنة . فذكر محمد بن عمر ، عن أبيه ، أن تحرمه بن سليم الوالي قال : ضرب عليهم بعث ألفين . وأنهم تجاعكوا فخرج ألف وخمسمائة ، وتخلّف خمسمائة ، ففجزوا الصائفة مع مُسلمة والعباس ، وهما على الجيش . ولأنهم شتوا بطُوانة واقتتحوها .

وفيها ولد الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

(١) ب وابن الأثير : « الأولى منها » .

[ذكر عمارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم]

وفيهما أمر الوليد بن عبد الملك بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم وهدم بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وإدخالها في المسجد ، فذكر محمد بن عمر ، أن محمد بن جعفر بن وردان البناء قال : رأيت الرسول الذي بعثه الوليد بن عبد الملك قدّم في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ، قدم معتمرًا ، فقال الناس : ما قدّم به الرسول ! فتدخل على عمر بن عبد العزيز بكتاب الوليد يأمره بإدخال حجر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله ، وأن يشتري ما في مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ويقول له : قدّم القبلة إن قدّرت ، وأنت تقدر لمكان أنوالك ، فإنهم لا يخالفونك ، فن أوى منهم فر أهل مصر فليقوموا له قيمة عدل ، ثم اهدم عليهم وادفع إليهم الأمان ، فإن لك في ذلك سكف صديق ، عمر وعثمان فأقرأهم كتاب الوليد وهم عنده ، فأجاب القوم إلى الثمن ، فأعطاهم إياه ، وأخذ في هدم بيوت أزواج النبي ^(١) صلى الله عليه وسلم وبناء المسجد ، فلم يملك إلا يسيرًا ^(٢) حتى قدّم الفعلة ، بعث بهم الوليد . قال محمد بن عمر : حدثني موسى بن يعقوب ، عن عمه ، قال : رأيت عمر بن عبد العزيز يهدم المسجد ومعه وجوه الناس : القاسم ، وسالم ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، وجبيل الله بن عبد الله بن عتبة ، وخارجة بن زيد ، وعبد الله بن عبد الله بن عمر ، يرؤونه أعلامًا في المسجد ويقدرونه ، فاستسوا أساسه .

قال محمد بن عمر : حدثني يحيى بن النعمان الغفاري ، عن صالح بن كيسان ، قال : لما جاء كتاب الوليد من دمشق وسار ^(٣) خمس عشرة بهلم المسجد ، تجرد عمر بن عبد العزيز . قال صالح : فاستعملني على هدمه وبنائه ، فهدمناه بعمال المدينة ، فبدأنا بهدم بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم حتى قدّم علينا الفعلة الذين بعث بهم الوليد .

(١) ب : رسول الله . (٢) ب : و قليلا .

(٣) ط : وسار .

قال محمد : وجدني موسى بن أبي بكر ، عن صالح بن كيسان ، قال : ابتدأنا بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر من سنة ثمان وثمانين ، وبعث الوليد إلى صاحب الروم يعلمه أنه أمر بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يعينه فيه ، فبعث إليه بمائة ألف مثقال ذهب ، وبعث إليه بمائة عامل ، وبعث إليه من القسيفساء بأربعين حملاً ، وأمر أن يتتبع القسيفساء في المدائن التي خربت ، فبعث بها إلى الوليد ، فبعث بذلك الوليد إلى عمر بن عبد العزيز .
وفي هذه السنة ابتدأ عمر بن عبد العزيز في بناء المسجد .

* * *

وفيهما غزاً أيضاً مسلمة الروم ، ففتح على يديه حصون ثلاثة : حصن قسطنطينية ، وغزاة ، وحصن الأخرم . وقتل من المستعربة نحو من ألف مع سببي الذرية وأخذ الأموال .

* * *

[ذكر غزو قتيبة نومشكت وراميشنه]

وفي هذه السنة غزا قتيبة نومشكت وراميشنه .

* ذكر الخبر عما كان من خبر غزوته هذه :

ذكر علي بن محمد ، أن المفضل بن محمد أخبره عن أبيه ومصعب بن حبان ، عن مولى لم أدرك ذلك ، أن قتيبة غزا نومشكت في سنة ثمان وثمانين ، واستخلف على مرو بشار بن مسلم ، فلقاه أهلها ، فصالحهم ، ثم صار إلى راميشنه فصالحه أهلها ، فانصرف عنهم ^(١) وزحف إليه الترك ، معهم ^(٢) السغد وأهل فرغانة ، فاعتزضوا المسلمين في طريقهم ، فلحقوا عبد الرحمن ابن مسلم الباهلي وهو على الساقة ، بينه وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل ، فلما قربوا منه أرسل رسولا إلى قتيبة بخبره ، وغشبه الترك فقاتلوه ، وأتى الرسول قتيبة فرجع بالناس ، فأنهى إلى عبد الرحمن وهو يقاتلهم ، وقد كاد

١١٩٠/٢

الرَّكَّ يَسْتَعْمِلُونَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ قَتِيَّةَ طَابَتْ أَنْفُسُهُمْ فَصَبَرُوا ، وَقَاتَلُوهُم إِلَى الظُّهْرِ ، وَأَبْلَى يَوْشُدُ نِيزِكُ وَهُوَ مَعَ قَتِيَّةَ ، فَهَزَمَ اللَّهُ الرَّكَّ ، وَفَضَّ جَسَمَهُمْ ، وَرَجَعَ قَتِيَّةُ يُرِيدُ مَرَّوً ، وَقَطَعَ النَّهْرَ مِنَ التَّرْمِذِ يُرِيدُ بَلْخُشَ ، ثُمَّ أَتَى مَرَّوً . وَقَالَ الْبَاهِلِيُّونَ : لَقِيَ الرَّكَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ كُورُ مَغَانُونَ الرَّكَّيْنِ ابْنِ أُخْتِ مَلِكِ الصِّينِ فِي مَاتَى أَلَفَ ، فَأَظْهَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ .

* * *

[ذَكَرَ مَا عَمِلَ الْوَلِيدُ مِنَ الْمَعْرُوفِ]

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَتَبَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي تَسْهِيلِ الثَّنَائِيَا وَحَقْفَرِ الْأَبَارِ فِي الْبُلْدَانِ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ : حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبِيَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ ، قَالَ : كَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى عُمَرَ فِي تَسْهِيلِ الثَّنَائِيَا وَحَقْفَرِ الْأَبَارِ بِالْمَدِينَةِ ، ١١٩٦/٢ وَخَرَجْتُ كَتَبُهُ إِلَى الْبُلْدَانِ بِذَلِكَ ، وَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِذَلِكَ . قَالَ : وَحَبَسَ الْمُخِذَّمِينَ عَنْ أَنْ يَخْرُجُوا عَلَى النَّاسِ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ أَرْزَاقًا ، وَكَانَتْ (١) تُجْرَى عَلَيْهِمْ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي سَبِيَةَ ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ ، قَالَ : كَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى عُمَرَ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنْ يَعْمَلَ الْقَوَارَةَ الَّتِي عِنْدَ دَارِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْيَوْمَ ، فَعَمَلَهَا عُمَرُ وَأَجْرَى مَاءَهَا ، فَلَمَّا حَجَّ الْوَلِيدُ وَكَفَّ عَلَيْهَا ، فَنَظَرَ إِلَى بَيْتِ الْمَاءِ وَالْقَوَارَةِ ، فَأَعْجَبَتْهُ ، وَأَمَرَ لَهَا بِقَوَامٍ يَتَقَوَّمُونَ عَلَيْهَا ، وَأَنْ يُسْقَى أَهْلُ الْمَسْجِدِ مِنْهَا ، فَفَعَلَ ذَلِكَ .

* * *

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ . ذَكَرَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ - مَوْلَى ابْنِ الْعَبَّاسِ - حَدَّثَهُ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ ، قَالَ : خَرَجَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ تِلْكَ السَّنَةَ - يَعْنِي سَنَةَ ثَمَانَ وَثَمَانِينَ - بَعْدَ مَنْ قَرِيشَ ، أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ بِصَلَاتٍ وَظَهَرَ لِلْحُمُولَةِ ، وَأَحْرَمُوا مَعَهُ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ ، وَسَاقَ مَعَهُ بُدْنًا ، فَلَمَّا كَانَ بِالتَّنْعِيمِ لِقَبِيهِمْ نَقَرُوا

(١) ط : « كُورُ مَغَانُونَ » . (٢) ب : « فَكَانَتْ » .

من قريش، منهم ابن أبي مُلَيْكَة وغيره ، فأخبروه أنَّ مَكَّةَ قليلة الماء، وأنهم يخافون على الحاجِّ العطش ، وذلك أنَّ المطر قلَّ ، فقال عمر : فامْطَلَبْ هاهنا بَيْنَ ، تعالوا نَدْعُ الله . قال : فرَأَيْتُهُمْ دَعَوْا ودعا معهم ، فألْحَقُوا في الدَّعَاءِ . قال صالح : فلا^(١) واللهِ إِنْ وصلنا إلى البيتِ ذلكَ اليومِ إلا مع المطر حتى كان مع الليل ، وصَكَبَتِ السماءُ ، وجاء سَيْلُ الوادئِ ، فجاء أمرٌ خافه أهلُ مَكَّةَ ، ومُطِرَتْ عَرَفَةُ ومِيقَى وَجُمُعٌ ؛ فإِذَا كانت إِلا حُبْرًا ، قال : ونَبِيتَ مَكَّةَ تلكَ السَّنةَ لِخِصْبٍ .

وأما أبو مَعَشَرٍ فإنه قال : حجَّ بالناسِ سنة ثمانٍ وثمانينَ عمرُ بنُ الوليدِ ابنِ عبدِ الملكِ ، حدَّثَنِي بذلكَ أحمدُ بنُ ثابتَ عَمَّنْ ذَكَرَهُ ، عنِ إِسْحَاقَ ابنِ عيسى عنه .

وكانتِ العمَّالُ على الأَمْصارِ في هذه السَّنةِ العمَّالُ الذينَ ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ كانوا عَمَّالَهَا في سَنةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ .

(١) ب : « فإِذَا » ، س : « ولا وَاقَه » .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

[خبر غزو مسلمة أرض الروم]

فمن ذلك المقتاتح للمسلمين في هذه السنة حصن سورية ، وعلى الجيش مسلمة بن عبد الملك ، زعم الواقدي أن مسلمة غزا في هذه السنة أرض الروم ، ومعه العباس بن الوليد ودخلها جميعاً ثم تفرقوا ، فافتتح مسلمة حصن سورية ، وافتتح العباس أذربيجان ، ووافق من الروم جمعاً فهزمهم . وأما غير الواقدي فإنه قال : فصل مسلمة عمورية فوافق بها للروم جمعاً كثيراً ، فهزمهم الله ، وافتتح هيرقلة وقمودية . وغزا العباس الصائفة من ناحية البغداد .

[خبر غزو قتيبة بخارى]

وفي هذه السنة غزا قتيبة بخارى ، ففتح راميسنه . ذكر علي بن محمد عن الباهليين أنهم قالوا ذلك ، وأن قتيبة رجع بعد ما فتحها في طريق بلخ ، فلما كان بالفاريا بأتاه كتاب الحجاج : أن رد وردان خذاه . فرجع قتيبة سنة تسع وثمانين ، فأق زعم ، فقطع النهر ، فليقه السغد وأهل كيس ونسب في طريق المفازة ، فقاتلوه ، فظفر بهم وصلى إلى بخارى ، فنزل خرقانة السفلى عن يمين وردان ، فلقوه بجمع كثير ، فقاتلهم يومين وليلتين ، ثم أعطاه الله الظفر عليهم ، فقال نهار بن تميم : وبانت لهم منا بخرقان ليلة وليلتنا كانت بخرقان أطولاً قال علي : أخبرنا أبو الذئبال عن المهلب بن إياس ، وأبو العلاء عن

١١٩٩/٢ إدريس بن حنظلة ، أن قتيبة غزا وَرْدَانَ حَذَاهُ ^(١) ملك بُخَارَى سنة تسع وثمانين فلم يُطِيقَهُ ، ولم يَنْظُرَ من البلد بشيء ، فرجع إلى مرو ، وَكَتَبَ إلى الحجاج بذلك ، فَكَتَبَ إليه الحجاج : أن صَوَّرَهَا لِي ، فَبَعَثَ إليه بِصُورَتِهَا ، فَكَتَبَ إليه الحجاج : أن ارجع إلى مَرَاغِتِكَ ^(٢) ، فَتَبَّ إلى الله مما كان منك ، وَأَتَيْهَا من مكانٍ كَذَا وَكَذَا .

وقيل : كَتَبَ إليه الحجاج أن كَيْسَ بكسٍ وانسفٌ نَسَفَ وَرْدَ وَرْدَانِ ، وَإِسَّاكَ والتحويط ^(٣) ، وَدَعْنِي من بُنْيَاتِ الطريق ^(٤) .

* * *

[خبر ولاية خالد القسري على مكة]

وفي هذه السنة وليَّ خالد بن عبد الله القسريَّ مكةَ فيها زعم الواقدي ، وَذَكَرَ أن عَمَرَ بن صالح حَدَّثَهُ عن نافع مولى بني غزوم ، قال : سمعت خالدَ بنَ عبد الله يقول على منبرِ مكةَ وهو يخطب :

أيُّهَا النَّاسُ ، أَيُّهُمَا أَعْظَمُ ؟ أُنْخِيفَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ ، أَمْ رَسُولُهُ إِلَيْهِمْ ؟ وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَعْلَمُوا فَضْلَ الْخَلِيفَةِ ، إِلَّا أَنَّ لِإِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ اسْتَسْقَى فَسَقَاهُ مُلْحَمًا أَجَابًا ، وَاسْتَسْقَاهُ ^(٥) الْخَلِيفَةُ فَسَقَاهُ عَذْبًا فَرَاتًا ، بِيْرًا حَفَرَهَا الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالثَّنْبَيْنِ — ثَنِيَّةَ طَوًى وَثَنِيَّةَ الْحَجُّونِ ^(٦) — فَكَانَ يَسْقَلُ مَاؤُهَا فَيَوْضَعُ فِي حَوْضٍ مِنْ أَدَمَ إِلَى جَنْبِ زَمْرَمَ لِيُعْرَفَ فَضْلُهُ عَلَى زَمْرَمَ .

١٢٠٠/٢

قال : ثُمَّ غَارَت الْبُيْرُ فَذَهَبَتْ فَلَا يُبْصَرُ أَيْنَ هِيَ الْيَوْمَ .

(١) ب : « خذاه » .

(٢) المراجعة في الأصل : مَتَرَّغَ الدَّابَّةِ ؛ أَرَادَ بِهَا بُخَارَى أَيْ أَنْ يَفْتَحَهَا وَيَخْذَهَا مَقْلًا يَتَقَلَّبُ فِيهَا كَمَا تَتَقَلَّبُ الدَّابَّةُ فِي مَرَاغَتِهَا .

(٣) حَوَطَ حَوْلَ الْأَمْرِ ، أَيْ دَارَ ، وَأَصْلُهُ مِنْ حَوَطَ كَرَمَهُ تَحْوِيطًا ، أَيْ بَنَى حَوْلَهُ حَائِطًا ؛ يَبْرِدُ : لِذَاكَ وَاللَّوْزَانِ فِي الْقَوْلِ وَكَثْرَةِ الْمَرَايَةِ فِيهِ .

(٤) بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ : الطَّرِيقُ الصَّخَارُ تَنْشَبُ مِنَ الْجَادَّةِ ، أَيْ اسْلَاكِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي لَا تَصْرِيعُ فِيهِ . (٥) ب : « وَاسْتَسْقَى » .

(٦) ابْنُ الْأَثِيرِ : « ثَنِيَّةُ طَوًى فِي ثَنِيَّةِ الْحَجُّونِ » .

* * *

وفيها غزاً مسلماً بنُ عبد الملك التُّركَ حتى بلغ البابَ من ناحية
أذريجان ، ففتَح حصوناً ومدائنَ هنالك .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة عمر بنُ عبد العزيز ، حدثني بذلك أحمدُ
ابنُ ثابت ، عن ذكْره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكال المال في هذه السنة على الأمصار العمال في السنة التي قَبَلَهَا ،
وقد ذكرواها قَبْل .

ثم دخلت سنة تسعين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

ففي هذه السنة غزا مسلمة أرض الروم فيها ذكر محمد بن عمر - من ناحية سورية ، ففتح الحصون الخمسة التي بسورية .

وغزا فيها العباس بن الوليد ، قال بعضهم : حتى بلغ الأرز ، وقال بعضهم : حتى بلغ سورية . وقال محمد بن عمر : قول من قال : حتى بلغ سورية أصح .

وفيهما قتل محمد بن القاسم الثقفي داهر بن صمصمة ملك السند ، وهو على جيش من قبيل الحجاج بن يوسف .

وفيهما استعمل الوليد قرّة بن شريك على مصر موضع عبد الله بن عبد الملك .

وفيهما أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر ، فذهبوا به إلى ملكهم ، فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك .

* * *

[خبر فتح بخارى]

وفيهما فتح قتيبة بخارى ، وهزم جموع العدو بها .

• ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر علي بن محمد أن أبا الديال أخبره عن المهلب بن إياس ، وأبا العلاء عن إدريس بن حنظلة ، أن كتب الحجاج لما ورد على قتيبة يأمره بالتوجه مما كان ، من انصرافه عن وردان خذاه ملك بخارى قبل الظفر به والمصير إليه ، ويعرفه الموضع الذي ينبغي له أن يأتي بلده منه ، خرج قتيبة إلى بخارى في سنة تسعين غازياً ، فأرسل وردان خذاه إلى السغد وترك ومن حولهم

يستنصرونهم^(١)، فأتوهم وقد مسّبت إلىها قتيبة فحصرهم، فلما جاءتهم
أمدادهم خرجوا إليهم ليقاتلوهم، فقالت الأزد: اجعلونا على حدة^(٢)، وحشدوا
بيننا وبين قتالهم. فقال قتيبة: تقدّموا؛^(٣) فتقدّموا يقاتلونهم^(٤) وقتيبة
جالس، عليه رداء أصفر فوق سلاحه، فصبروا جميعاً ملياً، ثم جال
المسلمون، وركبهم المشركون فطمعهم حتى دخلوا في عسكر قتيبة وجازوه
حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكتين، فكروا راجعين، وانطلوت مجنبتاً
المسلمين على الترك، فقاتلوهم حتى ردّوهم إلى مواقعهم، فوقف للترك على
نشر، فقال قتيبة: من يزيلهم لنا عن هذا الموضع^(٥)؟ فلم يقدم عليهم
أحد،^(٦) والأحياء كلها وقوف^(٧).

فشي قتيبة إلى بني تميم، فقال: يا بني تميم، إنكم أنتم بمنزلة الخطيئة،
فيوم كأيامكم، أبي^(٨) لكم الغداة! قال: فأخذ وكيع اللواء بيده، وقال:
يا بني تميم، أتسلمونني اليوم؟ قالوا: لا يا أبا مطرف - وهريم بن
أبي طلحة المجاشعي على خيل بني تميم وكيع رأسهم، والناس وقوف -
فأحجموا جميعاً، فقال وكيع: يا هريم، قدّم^(٩)، ودفع إليه الراية، وقال:
قدّم خيلك فتقدّم هريم، ودب وكيع في الرجال، فأنهى هريم إلى نهر
بينه وبين العدو فوقف، فقال له وكيع: أقحم يا هريم، قال: فنظر هريم
إلى وكيع فنظر الجمل الصئول^(١٠) وقال: أنا أقحم^(١١) خيلي هذا النهر، فإن
انكشفت كاف هلاكها! والله إنك لأحمق؛ قال: يا بن اللّخناء، ألا أراك
تردّ أمرى! وحذّفه بعمود كان معه، فضرّب هريم فرسه فأقحمه، وقال:
ما بعد هذا أشدّ من هذا، وعبر هريم في الخيل، وانتهى^(١٢) وكيع إلى النهر،
فدعا بخشب؛ فقتطر النهر وقال لأصحابه: من وطن منكم نفسه على
الموت فليعبر، ومن لا فليثبت مكانه؛ فاعبر معه إلا ثمانمائة

(٢) ب: «ثانية».

(٤) ب: «للطف».

(٦) ر: «إن».

(٨) ب: «الهاج».

(١٠) ب: «فأش».

(١) ب: «يستنصرونهم فأتوا».

(٣-٢) ب: «فقاتلوهم».

(٥-٥) ب: «والأحياء من العرب كلهم وقوف».

(٧) ابن الأثير: «وقد غبك».

(٩) ابن الأثير: «أنهم».

وابجل^(١)، فلبّ فيهم حتى إذا أعيوا^(٢) أقعدهم فأراحوا حتى دنا من العدو، فجعل^(٣) الخيل مجتبتين، وقال لريم: إني مطاعن القوم، فاشغلهم عنا بالخيل، وقال للناس: شدّوا، فحملوا فما انتشروا حتى خالطوهم، وحمل هريم خيله عليهم فطاعنهم بالرماح، فأكفوا عنهم حتى حدّروهم عن موقعهم، ونادى قتيبة: أما ترون العدو منهزمين! فما عبر أحدٌ ذلك النهر حتى ولّى العدو منهزمين، فأتبهم الناس، ونادى قتيبة: من جاء برأس فله مائة.

١٢٠٣/٢

قال: فزعم موسى بن المتوكل القريني، قال: جاء يومئذ أحد عشر رجلا من بني قريع، كل رجل يحمي برأس، فيقال له: من أنت؟ فيقول: قريني. قال: فجاء رجل من الأزد برأس فألقاه، فقالوا له: من أنت؟ قال: قريني؛ قال: وجههم بن زحر قاعد، فقال: كتب الله وأله أصلحك الله! إنه لابن عتي؛ فقال له قتيبة: ويحك! ما دعاك إلى هذا؟ قال: رأيت كل من جاء قريني: فظننت أنه يبنى لكل من جاء برأس أن يقول: قريني. قال: فضحك قتيبة.

قال: وجرح^(٤) يومئذ خاقان وابنه، ورجع قتيبة إلى مرو، وكتب إلى الحجاج: إني بعث عبد الرحمن بن مسلم، ففتح الله على يديه.

قال: وقد كان شهد الفتح مولى للحجاج، فقدم فأخبره الخبر، فغضب الحجاج على قتيبة: فاغتم لذلك^(٥)، فقال له الناس: ابعت وقدأ من بني تميم وأعطهم وأرضهم بخبروا الأمير أن الأمر على ما كتبت، فبعث رجلا فيهم عرام بن شثير الضبي، فلما قدموا على الحجاج صاح بهم وعاتبهم ودعا بالحجام بيده مِرْاض فقال: لأقطعن ألسنتكم أو لنصدقنني، قالوا: الأمير قتيبة، وبعث عليهم عبد الرحمن، فالفتح^(٦) للأمير والرأس الذي يكون على الناس، وكنى بهنا عرام بن شثير: فسكن الحجاج.

١٢٠٤/٢

- | | |
|----------------|-------------------|
| (١) ب: «ابجل». | (٢) ب: «أعيوا». |
| (٣) ب: «وجعل». | (٤) ب، ر: «وخرج». |
| (٥) ب: «وكنى». | (٦) ب: «بالفتح». |

[خبر صلح قتيبة مع السغد]

وفي هذه السنة جدّد قتيبة الصلح بينه وبين طرخون ملك السغد .

* ذكر الخبر عن ذلك :

قال عليّ : "ذكر أبو السري عن الجهم الباهليّ ، قال : لما أوقع قتيبة بأهل بخارى ففّض جمعهم هابيه أهل السغد ، فرجع طرخون ملك السغد ومعه فارسان حتى وقف قريباً من عسكر قتيبة ، وبينهما نهر بخارى ، فسأل أن يبعث إليه رجلاً يكلمه ، فأمر قتيبة رجلاً فدنا منه .

وأما الباهليون فيقولون : نادى طرخون حيّان النبطيّ فأناه ، فسأله الصلح على فدية يؤدّيها إليهم ، فأجابه قتيبة إلى ما طلب ، وصالحه ، وأخذ منه رهناً حتى يبعث إليه بما صالحه عليه ، وانصرف طرخون إلى بلاده ، ورجع قتيبة ومعه نيزك .

* * *

[غدر نيزك]

وفي هذه السنة غدر نيزك ، فنفّض الصلح الذي كان بينه وبين المسلمين وامتنع بقلعته ، وعاد حرباً ، فغزاه قتيبة .

* ذكر الخبر عن سبب غدره وسبب الظفر به :

قال عليّ : "ذكر أبو الديال ، عن المهلب بن إياس والمفضل الضبيّ ، عن أبيه ، وعليّ بن مجاهد وكليب بن حكيّف العميّ ، كلّ قد ذكر شيئاً فأنفته ، وذكر الباهليون شيئاً فأنفته في خبر هؤلاء وألفته ؛ أن قتيبة فصل من بخارى ومعه نيزك وقد دَعَرَه ما قد رأى من الفُتوح ، وخاف قتيبة ، فقال : لأصحابه وخاصته : منّهم أنا مع هذا ، ولست آمنه ؛ وذلك أن العربيّ بمنزلة الكلب ، إذا ضربته نبّح ، وإذا أطعمته بصّبح واتبعك ، وإذا غزوته ثم أعطيته شيئاً رضى ، ونسى ما صنعت به ، وقد قاتلته طرخون مراراً ، فلما أعطاه فدية قبلها ورضى ، وهو شديد السطوة فاجر

فلو استأذنت^(١) ورجعتُ كان الرأي، قالوا : استأذنه . فلما كان قتيبة يأمل استأذنته في الرجوع إلى تخارستان ، فأذن له ، فلما فارق عسكره متوجهاً إلى بكخان قال لأصحابه : اغدوا السير ؛ فساروا^(٢) سيراً شديداً حتى أتوا التوبهار^(٣) ، فنزل يوصلني فيه وتبرك به . وقال لأصحابه : إني لا أشك أن قتيبة قد نكس حين فارقنا عسكره على إذنه لي ، وسيقدم الساعة رسولُه على المغيرة بن عبد الله يأمره بحجسى ، فأقيموا ربيته تنظر ، فإذا رأيتم الرسولَ قد جاوز المدينة وخرج من الباب فإنه لا يبلغ البرقان حتى نبلغ تخارستان ، فيبعث المغيرة رجلاً فلا يلدركنا حتى ندخل شعب خلم ، ففعلوا .

قال : وأقبل رسولٌ من قبيل^(٤) قتيبة إلى المغيرة يأمره بحجس نيزك . فلما مرَّ الرسول إلى المغيرة وهو بالبرقان - ومدينة بكخان يومئذ خراب - ركب نيزك وأصحابه فضوا ، وقدم الرسول على المغيرة فركب بنفسه في طلبه ، فوجده قد دخل شعب خلم ، فانصرف المغيرة ، وأظهر نيزك الخلع ، وكتب إلى أصبهذ بكخان وإلى باقام ملك مَرَوَزِد ، وإلى سهر^(٥) ملك الطالقان ، وإلى ترسل ملك القارياب ، وإلى الجوزجاني ملك الجوزجان يدعوهم إلى خلع قتيبة ، فأجابوه ، ووعدهم الربيع أن يجتمعوا ويغزوا قتيبة . وكتب إلى كابل شاه يستظهر به ، وبعث إليه بشكاه وماله ، وسأله أن يأذن له إن اضطر إليه أن يأتيه ويؤمنه في بلاده ، فأجابته إلى ذلك وضمَّ شكاه .

قال : وكان جبغويه ملك تخارستان ضعيفاً ، واسمه الشذ ، فأخذه نيزك فقيده بقييد من ذهب مخافة أن يشغب عليه - وجبغويه ملك تخارستان ونيزك من عبيده - فلما استوثق منه وضعَّ عليه الرقباء ، وأخرج عامل قتيبة من بلاد جبغويه ، وكان العامل محمد بن سلم التامصح ، وبلغ قتيبة خلعته قبل الشتاء ، وقد تفرق الجند فلم يبق مع قتيبة إلا أهل عرو ، فبعث عبد الرحمن أخاه إلى بكخان في اثني عشر ألفاً إلى البرقان ، وقال : أقم بها ،

١٢٠٦/٢

١٢٠٧/٢

(١) ب : استأذنته .

(٢) ب : سار .

(٣) ب : التوبهار .

(٤) ب : سار .

(٥) ط : سهر . وانظر الطبري ٢ : ١٥٦٦ ، ١٥٦٩ (أوربا) .

ولا تُحدث شيئاً ، فإذا حَسَرَ الشتاء فَعَسَّكَيرَ وسَرَّ نحو بخارستان ، واعلم
أنى قريب منك ، فسار عبدُ الرحمن فتزل البروقان ، وأمهتل قتيبة حتى
إذا كان في آخر الشتاء كَتَبَ إلى أبرشهر ويبيورد وسرخس وأهل هرة
ليقدموا قبل أوانهم الذى كانوا يقدّمون عليه فيه .

[خبر فتح الطالقان]

وفى هذه السنة ، أوقع قتيبة بأهل الطالقان بخراسان - فيما قال بعض
أهل الأخبار - قتل من أهلها مقتلة عظيمة ، وصلب منهم ستمائتين أربعة
فراسخ في نظام واحد .

• ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر - أن نيزك طرخان لما غدر وخلَعَ قتيبة
وعزَمَ على حربه ، طابَقَهُ على حربه مَلِكُ الطالقان ، وواعدَهُ المصيرَ
إليه مَن استجاب للنهوض معه من الملوك لحرب قتيبة ، فلما هَرَبَ نيزك من
قتيبة ودخل شِعب خُلم الذى يأخذ إلى طُخارستان عليم أنه لا طاقة له
بقتيبة ، فهَرَبَ ، وسار قُتَيْبَةُ إلى الطالقان فأوقع بأهلها ، ففعل ما ذكرتُ فيما قبل .
وقد خُوِّلِفَ قائلُ هذا القول فيما قال من ذلك ، وأنا ذاكرُهُ في أحداث
سنة إحدى وتسعين .

١٢٠٨/٢

وحجَّ بالنَّاسِ في هذه السنة عمرُ بنُ عبد العزيز ، كذلك حدثني أحمد
ابن ثابت عمَّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك
قال محمد بن عمر .

وكان عمرُ بنُ عبد العزيز في هذه السنة عامل الوليد بن عبد الملك على
مكة والمدينة والطائف . وعلى العراق والمشرق الحجاج بن يوسف ، وعامل
الحجاج على البصرة الجراح بن عبد الله . وعلى قضائهما عبد الرحمن بن أذينة ،
وعلى الكوفة زياد بن جرير بن عبد الله . وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى .
وعلى خراسان قتيبة بن مسلم . وعلى مصر قُتْرَةُ بن قُتْرَةَ بن شريك .

[هرب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحجاج]

وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب وإخوته الذين كانوا معه في السجن مع آخرين غيرهم، فلحقوا بسليمان بن عبد الملك مستجيرين به من الحجاج ابن يوسف، والوليد بن عبد الملك.

• ذكر الخبر عن سبب تخلصهم من سجن الحجاج وسيرهم إلى سليمان :

قال هشام : حدثني أبو مخنف، عن أبي المخارق الراسي، قال :
خرج الحجاج إلى رُسْتَقْبَازِ البَحْثِ، لأنَّ الأكراد كانوا قد غلبوا على عامة
أرض فارس، فخرج يزيد وإخوته المفضل وعبد الملك حتى قدم بهم
رُسْتَقْبَازَ، فجعلهم في عسكريه، وجعل عليهم كهيفة الخندق، وجعلهم
في قسطنط قريبا من حُجْرَتِهِ، وجعل عليهم حرما من أهل الشام،
وأغرمهم ستة آلاف ألف، وأخذ يعذبهم، وكان يزيد يصبر صبرا
حسنا، وكان الحجاج يغيظه ذلك، فقليل له : إنه رمى بشاة فشبَّت
نصلها في ساقه، فهو لا يمسه شيء إلا صاح، فإن حركت أدنى شيء
سمعت صوته، فأمر أن يعذب ويدهق^(١) ساقه، فلما فعل ذلك به
صاح، وأخته هند بنت المهلب عند الحجاج، فلما سمعت صياح يزيد صاحت
وناحت، فطلقها. ثم إنه كف عنهم، وأقبل يستأديهم، فأخذوا يؤذون
وهم يسمكون في التخلص من مكانهم، فبعثوا إلى مروان بن المهلب وهو
بالبصرة يأمره أن يضمّر لم الخيل، ويرى الناس أنه إنما يريد بيعها
ويعرضها على البيع، ويخل بها لئلا تشتري فتكون لنا عدة إن نحن قلدنا
على أن نجو ما هانا. ففعل ذلك مروان، وجيب بالبصرة^(٢) يعذب أيضا،
وأمر يزيد بالكرس فصنع لهم طعام كثير فأكلوا، وأمر بشراب فسقوا،
فكانوا متشاغلين به، وليس يزيد ثياب طبائحه، ووضع على لحيته لحية

١٢٠٩/٧

(٢) ب : • يطلب بالبصرة •

(١) اللهق : شد الساق بخيشين .

بَيْضَاءَ ، وخرج فرآه بعضُ الحرس فقال : كأنَّ هذه مِشْيَةُ يزيد ! فجاء حتى استعرض وجهه ليلاً ، فرأى بياضَ اللِّحْيَةِ ، فانصرف عنه ، فقال : هذا شيخ . وخرج المفضلُ على أثره ، ولم يُفِطْنَ له ، فجاءوا إلى سَفْنِهِمْ وقد هَيَّئُوا في البطائع ، وبينهم وبين البصرة ثمانية عشرَ فَرَسَخًا ، فلما انتهوا إلى السفن أبطأ عليهم عبدُ الملك وشُغِلَ عنهم ، فقال يزيد للمفضل : اركب بنا فلانة لاحقًا ، فقال المفضل - وعبد الملك أخوه لأُمِّه - وهي بهلة ، هندية : لا والله ، لا أبرح حتى يجيء ولو رجعتُ إلى السجن . فأقام يزيد حتى جاءهم عبد الملك ، وركبوا عند ذلك السفنَ ، فساروا ليلتهم حتى أصبحوا ، ولما أصبح الحرس علموا بذهابهم ، فرفع ذلك إلى الحجاج ، وقال الفرزدق في خروجهم ^(١) :

فلم أرَ كالرُّفُطِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا على الجِذَعِ والحرَّاسِ غيرَ نِيَامٍ
مَضُوا وَمُهمُّ مُسْتَيْقِنُونَ بِأَنَّهُمْ إلى قَلْبِ آجَالِهِمْ وَحِمَامٍ
وإنَّ مِنْهُمْ إِلَّا يُسَكِّنُ جَائِشُهُ ^(٢) بعَضْبِ صَقِيلٍ صَارِمٍ وَحُسامِ
فلَمَّا التَّقَوْا لَمْ يَلْتَقُوا بِمُتَّقِهِ ^(٣) كَبِيرٍ وَلَا رَخِصِ الْعِظَامِ غلامِ
بمثلِ أبيهم حينَ تَمَّتْ لِدَائَتُهُمْ لخصمين قُلٌّ في جُرْأَةٍ وَقَامِ

ففرع له الحجاج ، وذهبَ ومعه أنتم ذَهَبُوا قِبَلَ خُرَّاسَانَ ، وبعثَ البريدَ إلى قتيبة بن مسلم يحذِّره قلوبهم ، ويأمره أن يستعدَّ لهم ، وبعثَ إلى أمراء الثغور والكُفَّور أن يرصدوهم ، ويستعدوا لهم ، وكتب إلى الوليد بن عبد الملك يُخَبِّره بهربهم ، وأنه لا يرلهم أرادوا إلا خُرَّاسَانَ . ولم يزل الحجاج يظنُّ بيزيدَ ما صنع ، كان يقول : إني لأظنه يحدثُ نفسه بمثل الذي صنع ابنُ الأشعث .

ولمَّا دنا يزيدُ من البطائع ، من مَوْقُوعٍ ^(٤) استقبلته الخليلُ فقد هَيَّيْتُ له وإِخْوَتَهُ ، فخرجوا عليها ومعهم دليلٌ لهم من كُتُبِ يقال له : عبد الجبار بن يزيد بن الربيعة ، فأخذ بهم على السَّماوَةِ ، وأتى الحجاج بعد يومين ، فقيل

(١) ديوانه ٨١٦ - ٨١٧ . (٢) الديوان : « وما منهم » .

(٣) كذا في ب والديوان ، وللمنفذ : النصف من السلة . وفي ط : « بمنته » .

(٤) مَوْقُوع : ماءٌ بناحية البصرة .

له : إنما أخذ الرجل طريقَ الشام ، وهذه الخيلُ حَسْرَى في الطريق ، وقد أتيتُ من رأيهم موجّهين في البرّ ، فبعث إلى الوليد يُعلِّمه ذلك ، ومضى يزيدُ حتى قدِمَ فلسطينَ ، فنَزَلَ على وهيب بن عبد الرحمن الأزدِيّ - وكان كريماً على سليان - وأنزل بعضَ ثِقَلِهِ وأهليه على سفيان بن سليان الأزدِيّ ، وجاء وهيب بن عبد الرحمن حتى دخل على سليان ، فقال : هذا يزيدُ بن المهلب ، وإخوته في منزلي ، وقد أتوك هُرَاباً من الحجاج متعوذين بك ، قال : فأتيتُ بهم فهم آمنون لا يوصلُ إليهم أبداً وأنا حي . فجاء بهم حتى أدخلهم عليه ، فكانوا في مكان آمن . وقال الكلبي ^(١) : ذليلهم في مسيرهم :

أَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْأَخْلَاءَ كُلَّهُمْ فداءً على ما كان لابنِ الْمُهَلَّبِ
لَنِعْمَ الْفَتَى يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ أَسْعَفَتْ رِكَابُكُمْ بِالْهَوْبِ شَرٌّ مَنَقَبٍ ^(٢)
عَدَنَ يَمِيناً عَنْهُمْ زَمَلٌ عَالِجٍ وذاتِ يَمِينِ الْقَوْمِ أَعْلَامُ غُرَبٍ ^(٣)
فَلِإِلَّا تُصَبِّحَ بَعْدَ خَمْسِ رِكَابُنَا سليانُ مِنْ أَهْلِ اللَّوَى تَتَأَوَّبُ ^(٤)
تَقَرُّ قَرَارِ الشَّمْسِ مِمَّا وَرَاءُنَا ^(٥) وتذهبُ في دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبٍ
يَقُومُ هُمْ كَانُوا الْمُلُوكَ هَدَيْتُهُمْ ^(٦) يَظْلَمَاءَ لَمْ يُبْصَرْ بِهَا ضَوْءُ كَوْكَبٍ
وَلَا قَمَرٍ إِلَّا ضَيْلًا كَأَنَّهُ سِوَارٌ حَنَاءُ صَائِغِ السُّورِ مُذْهَبٍ

قال هشام : فأخبرني الحسن بن أبان العُلمِيّ ، قال : بينا عبد الجبار ابن يزيد بن الربيعة يسري بهم فسقطت غمامة يزيد ، ففقدوها فقال : يا عبد الجبار ، ارجع فاطلبها لنا ، قال : إن مثلي لا يؤمر بهذا ، فأعاد ، فأبى ، فتناوكة بالسوط ، فانتسب له ، فاستجيا منه ، فذلك قوله :

أَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْأَخْلَاءَ كُلَّهُمْ فداءً على ما كان لابنِ الْمُهَلَّبِ

- (١) ب : « وقد قال ابن » .
(٢) ب : « حزب » ، ر : « حزب » .
(٣) ب : « تأوب » .
(٤) ب : « يقوم من أبناء الملوك » .
(٥) ب : « فقاموا بالهوى » .
(٦) ب : « يقوم من أبناء الملوك » .

وكتب الحجاج: إن آل المهلب خانوا مال الله وهرّبوا مني ولحقوا بسليمان، وكان آل المهلب قدّموا على سليمان، وقد أمر الناس أن يحصلوا ليسرّحوا إلى خراسان، لا يبرّون إلا أن يزيد توجه إلى خراسان ليتفّتين من بها. فلما بلغ الوليد مكانه عند سليمان هوّن عليه بعض ما كان في نفسه، وطار غضباً للمال الذي ذهب به. وكتب سليمان إلى الوليد: إن يزيد بن المهلب عندي وقد آمنته، وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف، كان الحجاج أغرمهم ستة آلاف ألف فأدّوا ثلاثة آلاف ألف، وبقى ثلاثة آلاف ألف، فهي عليّ. فكتب إليه: لا والله لا أؤمّنه حتى تبعث به إليّ. فكتب إليه: لئن أنا بعثت به إليك لأجبتّ معه، فأنت شك الله أن تفصّحنى ولا أن تخفّرنى. فكتب إليه: والله لئن جئتني لا أؤمّنه. فقال يزيد: ابعتني إليه، فواقه ما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوةً وحرّاً، ولا أن يتشام بي لكما الناس، ابعت إليه بي^(١)، وأرسل معي ابنك، وكتب إليه بالطّف ما قدّرت عليه. فأرسل ابنه أيوب معه. وكان الوليد أمره أن يبعث به إليه في وثاق، فبعث به إليه، وقال لابنه: إذا أردت أن تدخل عليه فادخل أنت ويزيد في سلسلة ثم ادخلوا جميعاً على الوليد، ففعل ذلك به حين انتهى إلى الوليد، فدخلوا عليه، فلما رأى الوليد ابن أخيه في سلسلة، قال: والله لقد بلغنا من سليمان! ثم إن الغلام دفع كتاب أبيه إلى عمه وقال: يا أمير المؤمنين، نفسي فداؤك! لا تخفر ذمّة أبي، وأنت أحقّ من متّعها، ولا تقطع منا رجاء من رجاء السلامة في جوارنا لمكاننا منك، ولا تدلّ من رجاء العزّ في الانقطاع إلينا لعزنا بك. وقرأ الكتاب:

لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك. أما بعد يا أمير المؤمنين، فواقه إن كنت لأظنّ لو استجار بي عدوّ قد نابذك وجاهدك فأنزلته وأجرته أنك لا تذللّ جاري، ولا تخفر جوارى، بل لم أجبر إلا سامعاً مطيعاً حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته، وقد بعثت به إليك، فإن كنت إنما تخفّرو قطيعي والإخضار للحمى، والإبلاغ في مسامتي، فقد

(١) ب: «بيته وبينك».

(٢) ب: «بي إليه».

قدرت إن أنت فعلت . وأنا أعيدك بالله من احتداد^(١) قطيعي ، وانتهاك حرمتي وترك يبري وصليتي ، فوالله يا أمير المؤمنين ما تدري ما بقائي وبقاؤك ، ولا متى يفرق الموت بيني وبينك ! فإن استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره ألا يأتي علينا أجل الوفاة إلا وهو لي واصل ، ولحقى مؤد ، وعن مسامتي نازع ، فكيف فعل . والله يا أمير المؤمنين ما أصبحت بشيء من أمر الدنيا بعد تقوى الله فيها بأسر مني برضاك وسرورك . وإن رضاك مما ألتجس به رضوان الله ، فإن كنت يا أمير المؤمنين تريد يوماً من الدهر مسرتي وصليتي وكرامتي وإعظام حقي فتجاوزني عن يزيد ، وكل ما طلبته به فهو علي .

١٢١٥/٢

فلما قرأ كتابه ، قال : لقد شققنا على سليمان ! ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه . وتكلم يزيد فحسّد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال :

يا أمير المؤمنين ، إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء ، فمن ينس ذلك فلسنا ناسيه ، ومن يكفر فلسنا كافريه ، وقد كان من بلاتنا أهل البيت في طاعتكم والظن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشرق والمغرب ما إن المنة علينا فيها عظيمة .

فقال له : اجلس ، فجلس فأمته وكف عنه ، ورجع إلى سليمان وسعى إخوته في المال الذي عليه ، وكتب إلى الحجاج : إن لم أصل إلى يزيد ، وأهل بيته مع سليمان ، فاكشف عنهم ، وإله عن الكتاب إلى فيهم .

فلما رأى ذلك الحجاج كف عنهم . وكان أبو عبيدة بن المهلب عند الحجاج عليه ألف ألف درهم ، فتركها له ، وكف عن حبيب بن المهلب . ورجع يزيد إلى سليمان بن عبد الملك فأقام عنده يعلمه الحديث ، ويتصنع له طبيب الأعطية ، ويهدي له^(٢) الهدايا العظام . وكان من أحسن الناس عنده منزلة ، وكان لا تأتي يزيد بن المهلب هدية إلا بعث بها إلى سليمان ، ولا تأتي سليمان هدية إلا باعته بنصفها إلى يزيد بن المهلب ،

١٢١٦/٢

(١) الاحتداد : من الحرد ، وهو القصد ، وفي ابن خلكان ٢ : ٢٧٠ : « اختيار » .

(٢) ب : « إليه » .

وكان لا تعجبه جارية إلا بعث بها إلى يزيد إلا خطيئة الجارية . فبلغ ذلك الوليد بن عبد الملك ، فدعا الحارث بن مالك بن ربيعة الأشعري ، فقال : انطلق إلى سليمان فقل له : يا خالفة أهلي بيته ، إن أمير المؤمنين قد بلغه ^(١) أنه لا تأتيك هديّة ولا فائدة إلا بعثت إلى يزيد بنيعنهما ، وإنك تأتي الجارية من جواريك فلا يتقضى ^(٢) طهرها حتى تبعث بها إلى يزيد ، وتبجح ذلك عليه ، وعيّر به ، أترأك مبلغاً ما أمرتك به ؟ قال : طاعتك طاعة ، وإنما أنا رسول ، قال : فأنه فقل له ذلك ، وأقيم عنده ، فإني باعث إليه بهديّة فادفعها إليه ، وخذ منه البراءة بما تدفع إليه .

ثم أقبل فتصّى حتى قدّم عليه وبين يديه المصحف ، وهو يقرأ ، فدخل عليه فسلم ، فلم يردّ عليه السلام حتى فرغ من قراءته ، ثم رفع رأسه إليه فكلّمه ^(٣) بكل شيء أمره به الوليد ، فتمعر وجهه ، ثم قال : أما والله لئن قدرت عليك يوماً من الدهر لأقطن منك طابقاً ! فقال له : إنما كانت على الطاعة .

ثم خرج من عنده . فلما أتى بذلك الذي بعث به الوليد إلى سليمان ، دخل عليه ^(٤) الحارث بن ربيعة الأشعري وقال له : أعطيت البراءة بهذا الذي دفعت إليك ، فقال : كيف قلت لي ؟ قال : لا أعيدّه علماً أبداً ^(٥) ، إنما كان على فيه الطاعة . فسكن ، وعلم أن قد صدقه الرجل ، ثم خرج وخرجوا معه ، فقال : خذوا نصف هذه الأعدال وهذه الأسفاط ^(٦) وابعثوا بها إلى يزيد ^(٧) .

قال : فعلم الرجل أنه لا يطيع في يزيد أحداً ، ومكث يزيد بن المهلب عند سليمان تسعة أشهر . وتوفي الحجاج سنة خمس وتسعين في رمضان ليتسع بقين منه في يوم الجمعة .

(١) ب : «لأنه قد بلغ أمير المؤمنين» .

(٢) ب : «وكله» .

(٤) ب : «له» .

(٦) ب : «وتصف هذه الأسفاط» .

(٥) ر : «إليك أبداً» .

(٧) ب : «فزيد بن المهلب» .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها غزا فيما ذكر محمد بن عمرو وغيره - الصائفة عبد العزيز بن الوليد، وكان على الجيش مسلمة بن عبد الملك .

وفيها غزا أيضاً مسلمة الترك ، حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان ، ففتح على يديه مدائن وحصون .

وفيها غزا موسى بن نصير الأندلس ، ففتح على يديه أيضاً مدائن وحصون .

وفي هذه السنة قتل قتية بن مسلم نيزك طرخان .

١٢١٨/٢

[تتمة خبر قتية مع نيزك]

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد وقصة نيزك وظفر قتية به حتى قتله . ولما قدم من كان قتية كتب إليه بأمره بالقدوم عليه من أهل أبرشهر وبيورد وصرخس وهرة على قتية ، سار بالناس إلى مروزد واستخلف على الحرب حماد بن مسلم ، وعلى الخراج عبد الله بن الأهم . وبلغ مروزيان مروزد إقباله إلى بلاده ، فهرب إلى بلاد القرمس . وقدم قتية مروزد فأخذ ابنين له فقتلتهما وصلبهما ، ثم سار إلى الطالقان فقام صاحبها ولم يحارب ، فكف عنه ، وفيها لصوص ، فقتلهم قتية وصلبهم ، واستعمل على الطالقان عمرو بن مسلم ، ونفى إلى الفارياب ، فخرج إليه ملك الفارياب مدعياً قرأ بطاعته ، فرضى عنه ، ولم يقتل بها أحداً ، واستعمل عليها رجلاً من باهلة . وبلغ صاحب الجوزجان خبرهم ، فترك أرضه وخرج إلى الجبال هارباً ، وسار قتية إلى الجوزجان فلقه أهلها سامعين مطيعين ،

فَقَبِلَ مِنْهُمْ ، فَلَمْ يَقْتُلْ فِيهَا ^(١) أَحَدًا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عَامِرَ بْنَ مَالِكِ الْحِصَانِي ، ثُمَّ أَتَى بَلْخَ فَلَقِيَهُ الْأَصْبَهَنِيُّ فِي أَهْلِ بَلْخَ ، فَدَخَلَهَا فَلَمْ يُعِمْ بِهَا إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا .

١٢١٩/٢ ثُمَّ مَضَى يَتَّبِعُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ حَتَّى أَتَى شَعْبَ خُلُمَ ، وَقَدْ مَضَى نِيزَكَ فَمَسْكُرَ بَيْسَلَانَ ، وَخَلَفَ مُقَاتِلَةً عَلَى فِمْ الشَّعْبِ وَصَافِيَةً بِمَعْنَاهُ ^(٢) ، وَوَضَعَ مُقَاتِلَةً فِي قَلْعَةٍ حَصِينَةٍ مِنْ وَرَاءِ الشَّعْبِ ، فَأَقَامَ قَتِيَةَ أَيَّامًا يقاتلهم على مَضِيْقِ الشَّعْبِ لَا يَقْدِرُ مِنْهُمْ عَلَى شَيْءٍ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى دُخُولِهِ ، وَهُوَ مَضِيْقٌ ، الْوَادِي يَجْرِي وَسَطَهُ ، وَلَا يَعْرِفُ طَرِيقًا يُفْضِي بِهِ ^(٣) إِلَى نِيزَكَ إِلَّا الشَّعْبُ أَوْ مَفَازَةٌ لَا تَحْتَمِلُ الْعَاكِرَ ، فَبَقِيَ مُتَلَدًّا يَلْتَمِسُ الْحَيْلَ .

قَالَ : فَهُوَ فِي ذَلِكَ إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِ الرَّبِيعُ خَانَ مَلِكِ الرَّبِيعِ وَبَيْسَلَانَ ، فَاسْتَأْذَنَهُ عَلَى أَنْ يَدْخُلَ عَلَى مَسْخَلِ الْقَلْعَةِ الَّتِي وَرَاءَ هَذَا الشَّعْبِ ، فَأَمَنَهُ قَتِيَةُ ، وَأَعْطَاهُ مَا سَأَلَهُ ، وَبَعَثَ مَعَهُ رَجُلًا لَيْلًا ، فَأَنْتَهَى بِهِمْ إِلَى الْقَلْعَةِ الَّتِي مِنْ وَرَاءِ شَعْبِ خُلُمَ ، فَطَرَقُوهُمْ وَهُمْ آمِنُونَ فَنَقَلُوهُمْ ، وَهَرَبَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ وَمَنْ كَانَ فِي الشَّعْبِ ، فَدَخَلَ قَتِيَةُ وَالنَّاسُ الشَّعْبَ ، فَأَتَى الْقَلْعَةَ ثُمَّ مَضَى إِلَى بَيْسَلَانَ وَنِيزَكَ بَيْسَلَانَ بَعَيْنَ تَلْحِي فَتَنَجَّ بِجَاهِ ، وَبَيْنَ بَيْسَلَانَ وَبَيْسَلَانَ مَفَازَةٌ لَيْسَتْ بِالشَّدِيدَةِ

قَالَ : فَأَقَامَ قَتِيَةُ بِبَيْسَلَانَ أَيَّامًا ، ثُمَّ سَارَ نِيزَكَ ، وَقَدَّمَ أُنْجَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَبَلَغَ نِيزَكَ فَأَرْتَحَلَ مِنْ مَتَرِهِ حَتَّى قَطَعَ وَادِي فَرْعَانَةَ ، وَوَجَّهَ ثَبَلَةَ وَأُمَوَالَهُ إِلَى كَابُلِ شَاهٍ ، وَمَضَى حَتَّى نَزَلَ الْكَرْزَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُسْلِمٍ يَتَّبِعُهُ ، فَتَزَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَخَذَ بِمَضَائِقِ الْكَرْزَ ، وَنَزَلَ قَتِيَةُ أَسْكِمِشْتَ بَيْنَهُ ^(٤) وَبَيْنَ عَيْدِ الرَّحْمَنِ فَرَسَخَانٍ . فَتَحَرَّزَ نِيزَكَ فِي الْكَرْزَ وَلَيْسَ إِلَيْهِ مَسْلَكَ إِلَّا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ ، وَذَلِكَ الْوَجْهُ صَعْبٌ لَا تُطِيقُهُ الدَّوَابُّ ، فَحَصَرَهُ قَتِيَةُ شَهْرَيْنِ حَتَّى قَلَّ مَا فِي يَدِ نِيزَكَ مِنَ الطَّعَامِ ، وَأَصَابَهُمُ الْجُحْدَرُ وَجُدُّرُ جَبْغُوهِ ، وَخَافَ قَتِيَةُ الشِّتَاءَ ، فَدَعَا مُلْكِيًا النَّاصِحَ ، فَقَالَ : انْطَلِقْ إِلَى نِيزَكَ

(١) ب : « ولم يقتل بها » . (٢) و : « بمعونه » .

(٣) ب : « فيه » . (٤) ب : « وبيته » .

واحتملَ لأنْ تَأْتِيَنِي بِهِ بِغَيْرِ أَمَانٍ ، فَإِنْ أَعْيَاكَ وَأَتَى فَأَمِنَهُ ، وَاعْلَمْ أَنِّي إِنْ عَايَنْتُكَ وَلَيْسَ هُوَ مَعَكَ صَلْبَتُكَ ؛ فَاغْمِلْ لِنَفْسِكَ . قَالَ : فَارْتَدَّ لِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَا يَخَالِفُنِي ؛ قَالَ : نَعَمْ . فَكُتِبَ لَهُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَدِمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : ابْعَثْ رِجَالًا فَلْيَكُونُوا عَلَى فِئَةِ الشَّعْبِ ، فَإِذَا خَرَجْتَ أَنَا وَنِيْزُكَ فَلْيَسْعِفُوا مِنْ وَرَائِنَا فَيَحْمِلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الشَّعْبِ . قَالَ : فَبَعَثَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ خَيْلًا فَكَانُوا حَيْثُ أَمَرَهُمْ سَلِيمٌ ، وَمَتَّقَى سَلِيمٌ وَقَدْ حَمَلَ مَعَهُ مِنَ الْأَطْعَمَةِ الَّتِي تَبَقَى أَبَاكَ وَالْأَخْبِيصَةَ أَوْقَارًا ، حَتَّى أَتَى نِيْزُكَ ، فَقَالَ لَهُ نِيْزُكَ : خَذْلَتْنِي يَا سَلِيمُ ، قَالَ : مَا خَذَلْتُكَ ، وَلَكِنَّكَ عَصَيْتَنِي وَأَسَأْتَ بِنَفْسِكَ ، خَلَعْتَ وَغَدَرْتَ ، قَالَ : فَمَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ : الرَّأْيُ أَنْ تَلْقِيَنِي فَقَدْ أَحْكَمْتَهُ ^(١) ، وَلَيْسَ بِيَارِحَ مَوْضِعُهُ هَذَا ، قَدْ احْتَرَمَ عَلَى أَنْ يَشْتُوَ بِمَكَانِهِ ^(٢) ؛ هَلَكَ أَوْسَلُمُ ، قَالَ : آتِيَنِي ^(٣) عَلَى غَيْرِ أَمَانٍ ! قَالَ : مَا أَظُنُّهُ يُؤْمِنُكَ لِمَا فِي قَلْبِهِ عَلَيْكَ ، فَإِنَّكَ قَدْ بَلَغْتَهُ غِيظًا ، وَلَكِنِّي أَرَى الْآلَ يَعْلَمُ بِكَ حَتَّى تَضَعُ يَدَكَ فِي يَدِهِ ، فَإِنِّي أَرْجُو إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ أَنْ يَسْتَحْيِيَ وَيَعْفُو عَنْكَ ، قَالَ : أَرَأَيْتَ ذَلِكَ ^(٤) ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : إِنْ نَفْسِي لَتَأْتِيَ هَذَا ، وَهُوَ إِنْ رَأَى قَتْلَتَنِي ، فَقَالَ لَهُ سَلِيمُ : مَا أَتَيْتُكَ إِلَّا لِأَشِيرَ عَلَيْكَ بِهِذَا ، وَلَوْ فَعَلْتَ لَرَجَوْتُ أَنْ تَسَلَّمَ وَأَنْ تَعُودَ ^(٥) حَالُكَ عِنْدَهُ إِلَى مَا كَانَتْ ؛ فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتَ فَإِنِّي مُنْصَرِفٌ . قَالَ : فَتَعَدَّيْكَ ^(٦) إِذَا ، قَالَ : إِنِّي لَأُظَنُّكُمْ فِي شُغْلٍ عَنْ تَهْنِئَةِ الطَّعَامِ ، وَمَعَنَا طَعَامٌ كَثِيرٌ .

١٢٢١/٢

قَالَ : وَدَعَا سَلِيمٌ بِالْفَسَادِ فَجَاءُوا بِطَعَامٍ كَثِيرٍ لَا عَهْدَ لَهُمْ بِمِثْلِهِ مِنْدَحَصَرُوا ، فَانْتَهَبَهُ الْأَتْرَاكُ ، فَغَمَّ ذَلِكَ نِيْزُكَ ، وَقَالَ سَلِيمُ : يَا أَبَا الْحَيَّاجِ ، أَنَا لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ، أَرَى أَصْحَابَكَ قَدْ جُهِلُوا ، وَإِنْ طَالَ بِهِمُ الْحَصَارُ وَأَقَمْتَ عَلَى حَالِكَ لَمْ آمَنْتَهُمْ أَنْ يَسْتَأْمِنُوا بِكَ ، فَانْطَلِقْ وَأَتِ قُتَيْبَةَ ، قَالَ : مَا كُنْتُ لِأَمْنَتِهِ عَلَى نَفْسِي ، وَلَا آتِيَنِي عَلَى غَيْرِ ^(٧) أَمَانٍ ؛ فَإِنْ طَلَبَ بِهِ أَنَّهُ

- | | |
|--|-----------------------------|
| (١) الْهَلَكُ : الْغَضَبُ وَالْمُشَارَةُ . | (٢) ب : « مَكَانَهُ » . |
| (٣) ب : « لِقَاتِي » . | (٤) ب : « ذَلِكَ » . |
| (٥) ب : « وَيَعُودُ » . | (٦) ب : « فَيُعَذِّبُكَ » . |
| (٧) ب : « بِغَيْرِ » . | |

قاتل وإن آمنني ، ولكنّ الأمان أعذر لي وأرجى ، قال : فقد آمنتك
أفتتهمني ! قال : لا ، قال : فانطلق معي ، قال له أصحابه : اقبل قول
سليم ، فلم يكن ليقول إلا حقاً ، فدعا بدوابه وخرج مع سليم ، فلما انتهى
إلى الدرجة التي يهبط منها إلى قرار الأرض قال : يا سليم ، من كان لا يعلم
مَن يموت فإني أعلم مَن أموت ، أموت إذا عابنت قتيبة ؛ قال : كلاً
أبقتلك مع الأمان ! فركب وصحى معه جيفويه — وقد برأ من الجذري —
وصول وعثمان ابنا أخى نيزك — وصول طرخان خليفة جيفويه ، وخنس طرخان
صاحب شرطه ^(١) — قال : فلما خرج ^(٢) من الشعب عطفّت الخيل التي
خلفها سليم على فوهة ^(٣) الشعب ، فحالوا بين الأتراك وبين الخروج ، فقال
نيزك لسليم : هذا أول الشر ؛ قال : لا تفعل ، تخلف هؤلاء عنك خير لك . ١٢٢٢/٧

واقبل سليم ونيزك ومن خرج معه حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مسلم ،
فأرسل رسولاً إلى قتيبة يعلمه ، فأرسل قتيبة عمرو بن أبي مهران إلى عبد الرحمن :
أن اقدم بهم عليّ ، فقدم بهم عبد الرحمن عليه ، فحس أصحاب
نيزك ، ودفع نيزك إلى ابن بسام اللّبي ، وكتب إلى الحجاج يستأذنه في قتل
نيزك ، فجعل ابن بسام نيزك في قبته ، وحفر حول القبة خندقاً ، ووضع
عليه حرساً . ووجه قتيبة معاوية بن عامر بن علقمة المكي ، فاستخرج
ما كان في الكُرز من متاع ومن كان فيه ، وقدم به على قتيبة ، فحبسهم
ينتظر كتاب الحجاج فيما كتب إليه ، فأناه كتاب الحجاج بعد أربعين يوماً
بأمره بقتل نيزك . قال : فدعا به فقال : هل لك عندي عقد أوعده عبد الرحمن
أو عند سليم ؟ قال : لي عند سليم ؛ قال : كذبت ، وقام فدخل وردّ
نيزك إلى حبسه ، فكث ثلاثة أيام لا يظهر للناس . قال : فقام ^(٤) المهلب
ابن إياس العدوي ، وتكلم في أمر نيزك ، فقال بعضهم : ما يحلّ له أن
يقتله ، وقال بعضهم : ما يحلّ له تركه ، وكثرت الأقاويل فيه .

(٢) ب : « خرجوا » .

(١) ب : « شرطه » .

(٤) ب : « خرجوا » .

(٣) ب : « فم الشعب » .

(٥) كذا في ر ، وفي ط : « فقال » .

وخرج قتيبة اليوم الرابع فجلس وأذن للناس، فقال: ما ترون في قَتْلِ نَيْرِزْكَ؟
فاختلَعُوا، فقال قاتلٌ: أَقْتَلُهُ، وقال قاتلٌ: أُعْطِيَتْهُ عَهْدًا فَلَا تَقْتُلْهُ،
وقال قاتلٌ: ما نأمنه^(١) على المسلمين. ودخل ضرار بن حصين الضبيّ فقال:
ما تقول يا ضرار؟ قال: أقول: إني ممعتك تقول: أُعْطِيَتْ اللهُ عَهْدًا إِنْ
أَمَكَّنَكَ مِنْهُ أَنْ تَقْتُلَهُ، فَإِنْ لَمْ^(٢) تَفْعَلْ لَا يَنْصُرْكَ^(٣) اللهُ عَلَيْهِ أَبَدًا. فَأُطْرَقَ
قُتَيْبَةُ طَوِيلًا، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ أَجَلِي إِلَّا ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ لَقُلْتُ:
اقتُلُوهُ، اقتُلُوهُ، اقتُلُوهُ، وأرسل إلى نَيْرِزْكَ فأمر بقتله وأصحابه^(٤) فقتل مع
سبعائة.

وأما الباهليّون فيقولون: لم يؤمنه ولم يؤمنه سليم، فلما أراد قتله دعا به
ودعا بسيف حنّى فانتفضاه^(٥) وطول كمينه^(٦) ثم ضرب عنقه بيده، وأمر
عبد الرحمن فصرّب عنقَ صول، وأمر صالحًا فقتل عثمان - ويقال:
شقران ابن أنسى نَيْرِزْكَ - وقال ليكر بن حبيب السهمي من باهليّة: هل
بك قوة؟ قال: نعم، وأريد - وكانت في بكر أعرابية - فقال: دُونِكَ
هؤلاء الدهاقين. قال: وكان إذا أتى برجل صرّب عنقه وقال: أوردوا
ولا تُصدروا، فكان من قتل يومئذ اثنا عشر ألفًا في قول الباهليّين، وصلب
نَيْرِزْكَ وابني أخيه في أصل عين تدعى ونش خاشان في أسكيمشت، فقال
المغيرة بن حَبِشَاء^(٧) يذكّر ذلك في كلمة له طويلة:

لَعَمْرِي لِنِعْمَتِ غَزْوَةِ الْجُنْدِ غَزْوَةٌ قَصَصْتُ نَحْبَهَا مِنْ نَيْرِزْكَ وَتَعَلْتُ

قال علي: أخبرنا مصعب بن حيّان، عن أبيه، قال: بعث قتيبة برأس
نَيْرِزْكَ مع حُضَيْنِ بْنِ جَزْءٍ الْكَلْبِيِّ، وسوار بن زَهْدَمٍ الْبَحْرِيِّ، فقال
الحجاج: إِنْ كَانَ قُتَيْبَةُ لِحَقِيقًا أَنْ يَبْعَثَ بِرَأْسِ نَيْرِزْكَ مَعَ وَلَدٍ مُسْلِمٍ،
فقال سَوَّار:

(٢-٢) ب: «يفعل فلا ينصرك».

(٤) ب: «فانتفضى».

(٦) ابن الأثير: «نهال بن قوسمة».

(١) ب: «نأمنه».

(٣) ب: «فقتل وقتل أصحابه».

(٥) ب: «كته».

أَقُولُ لِمَحْضَنٍ وَجَرَى سَنِيعُ وَأَخَّرَ بَارِحُ مِنْ عَن يَمِينِي
وَقَدْ جَعَلْتُ بَوَائِقُ مِنْ أَسُورٍ تَرْفَعُ حَوْلَهُ وَتَكْفُ دِينِي
نَشَدْتُكَ هَلْ يَسُرُّكَ أَنْ سَرَجِي وَسَرَجُكَ فَوْقَ أَبْغُلٍ بِأَذِينِي

قال : فقال عَفْنَن : نعم وبالعَيْن .

قال علي : أَخْبَرَنَا حمزة بن إبراهيم وعلي بن مجاهد ، عن حَسْبَلٍ بن
أبي حريصة ؛ عن مَرْزَبَانَ قَهْشْتَانَ وَغَيْرِهِمَا ، أَنَّ قَتِيبةَ دَعَا يَوْمًا بَنِيكَ
وهو محبوس ، فقال : مَا رَأَيْكَ فِي السَّبَلِ وَالشَّدِّ ؟ أَتُرَاهُمَا يَأْتِيَانِ إِنْ أُرْسِلَتْ
إِلَيْهِمَا ؟ قال : لا ، قال : فَأَرْسَلِ إِلَيْهِمَا قَتِيبةَ فَقَدْ مَا عَلَيْهِ ، وَدَعَا نِيْزَكَ
وَجَبْغُوِيَه فَلَخَلَا ، فَلِذَا السَّبَلِ وَالشَّدِّ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى كُرْسِيَيْنِ ، فَجَلَسَا لِزَأْنِهِمَا ،
فَقَالَ الشَّدُّ لِقَتِيبةَ : إِنْ جَبْغُوِيَه — وَإِنْ كَانَ لِي عَدُوًّا — فَهُوَ أَسَنُّ مِنِّي ، وَهُوَ
الْمَلِكُ وَأَنَا كَعَبْدِهِ ، فَأَذْنِي أَدْنُ مِنْهُ ، فَأَذْنُ لَهُ ، فَلَمَّا مِنْهُ ، فَقَبِلَ يَدَهُ
وَسَجَدَ لَهُ ، قَالَ : ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ فِي السَّبَلِ ، فَأَذْنُ لَهُ فَلَمَّا مِنْهُ فَقَبِلَ يَدَهُ ،
١٢٢٥/٢ فقال نِيْزَكَ لِقَتِيبةَ : ائْذَنْ لِي مِنْ الشَّدِّ ، فَلَمَّا مِنْهُ ، فَأَذْنُ لَهُ ، فَلَمَّا مِنْهُ
فَقَبِلَ يَدَهُ ، ثُمَّ أَذْنُ قَتِيبةَ لِلْسَّبَلِ وَالشَّدِّ ^(١) فَانْصَرَفَا إِلَى بِلَادِهِمَا ، وَضَمَّ إِلَى
الشَّدِّ الْحِجَااجَ الْقَتِيْبِيَّ ، وَكَانَ مِنْ وُجُوهِ أَهْلِ خُرَّاسَانَ . وَقَتْلَ قَتِيبةَ نِيْزَكَ ، فَأَخَذَ
الزَّيْبُرُ مَوْلَى عَابِسِ الْبَاهِلِيِّ خُفْمًا لِنِيْزَكَ فِيهِ جَوْهَرٌ ، وَكَانَ أَكْثَرُ مَنْ فِي
بِلَادِهِ مَالًا وَعَقَارًا ؛ مِنْ ذَلِكَ الْجَوْهَرِ الَّذِي أَصَابَهُ فِي خُفِّهِ . فَسَرَّغَهُ إِيَّاهُ قَتِيبةَ ،
فَلَمْ يَزَلْ مُوسِرًا حَتَّى هَلَكَ بِكَابُلٍ فِي وَلايَةِ أَبِي دَاوُدَ .

قال : وَأَطْلَقَ قَتِيبةَ جَبْغُوِيَه وَمَنْ عَلَيْهِ ، وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَلَمْ يَزَلْ
بِالشَّامِ حَتَّى مَاتَ الْوَلِيدُ . وَرَجَعَ قَتِيبةَ إِلَى مَرْوَ ، وَاسْتَعْمَلَ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ
عَلَى بَلْخُشَ ، فَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ : غَدَرُ قَتِيبةَ بَنِيْزَكَ ، فَقَالَ ثَابِتٌ قُطَنَةُ :

لَا تَحْسِبَنَّ الْغَدْرَ حَزْمًا قَرِيبًا تَرَقَّتْ بِهِ الْأَقْدَامُ يَوْمًا فَرَلْتَ
وَقَالَ : وَكَانَ الْحِجَااجُ يَقُولُ : بَعَثْتُ قَتِيبةَ قَتَى غَيْرًا فَأَزْدَتْهُ ذِرَاعًا إِلَّا

(١) ب : « الشَّد والسَّبَل » .

زادني باعاً .

قال علي : أخبرنا حمزة بن إبراهيم ، عن أشياخ من أهل خراسان ، وعلي بن مجاهد ، عن حنبل بن أبي حريشة ، عن مَرْزُبَان قَهِسْتَان وغيرهما ، أن قتيبة بن مسلم لما رجع إلى مرو وقتل نيزك طلب ملك الجوزجان - وكان قد هرب عن بلاده - فأرسل يطلب الأمان ، فأمنه على أن يأتيه فيصالحه ، فطلب رهناً يكونون في يديه ويعطى رهائن ، فأعطى قتيبة حبيب بن عبد الله بن عمرو بن حصين الباهلي ، وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته ، فخلّف ملك الجوزجان حبيباً بالجوزجان في بعض^(١) حصونه ، وقدم على قتيبة فصالحه ، ثم رجع فات بالاطلاق . فقال أهل الجوزجان : سمعوه ، فقتلوا حبيباً ، وقتل قتيبة الرهمن الذين كانوا عنده ، فقال نهار بن نسيمة لقتيبة :

١٢٢٦/٢

أراك الله في الأثر كحكما
كحكما في قرينة والنفسير
قضاء من قتيبة غير جور
بد يشقى الغليل من الصدور
فلن ير نيزك خزيًا ودلاً
فكم في الحرب حتم من أمير
وقال المغيرة بن حنينة يمدح قتيبة ويذكر قتل نيزك ووصول ابن
أنس نيزك وعثمان - أو شمران :

لن الديار عفت بمنفع بتمام
عصف الرياح ذيولها فمحونها
دار لجارية كأن رضاءها
مسلك يشاب مزاجه بتمام
أبلغ أبا حصير قتيبة مدحتي
واقرأ عليه تحيتي وسلامي
يا سيف أبلغها فلان ثناها
حسن وإنك شاهد لقاءي
يسمو فتتضح الرجال إذا ملأ
لقتيبة الحامي حتى الإسلام

لَاغَرٌ مُتَجَبِّ لِكُلِّ عَظِيمَةٍ ۖ
عَمِي إِذَا هَابَ الْجَبَانُ وَأَحْمَسْتُ^(١)
تُرَوَّى الْقَنَاطَةُ مَعَ اللِّوَاءِ أَمَامَهُ ۖ
وَالِهَامُ تَفْرِيدُ السَّيْفِ كَأَنَّهُ
وَتَرَى الْجِيَادَ مَعَ الْجِيَادِ ضَوَامِرًا
وَبِهِنَّ أَنْزَلَ نِيْزَكَ مِنْ شَاهِقِ
وَأَخَاهُ شَقَرَانَا سَقَيْتَ بِكَاسِهِ^(٢)
وَتَرَكْتَ صَوْلًا حِينَ صَالَ مُجَدَّلًا
نَحْرُ يَبَاحُ بِهِ الْعَدُوُّ لِهَامٍ^(٣)
حَرْبٌ تَسْعُرُ نَارُهَا بِغَيْرِ أَمٍ
تَحْتَ اللَّوَامِعِ وَالنَّحُورِ دَوَامٍ^(٤)
بِالْقَنَاقِ حِينَ تَرَاهُ قَيْصُ نَعَامٍ^(٥)
بِفَنَائِهِ لِحَوَادِثِ الْأَيَّامِ
وَالْكَرْزِ حَيْثُ يَرُومُ كُلُّ مَرَامٍ
وَسَقَيْتَ كَأْسَهُمَا أَخَا بَادَامٍ
يَرْكَبْنُهُ بِدَوَابِرِ وَحَوَامٍ

* * *

(خبر غزو قتيبة شومان وكس ونسف)

وفي هذه السنة - أعني سنة إحدى وتسعين - غزا قتيبة شومان وكس ونسف غزواته الثانية وصالح طخشان^(٦).

• ذكر الخبر عن ذلك :

قال علي : أخبرنا يشر بن عيسى عن أبي صفوان ، وأبو السري وجبيلة بن فروخ عن سليمان بن جبالد ، والحسن بن رشيد عن طقبل بن مبرداس العمي ، وأبو السري المروزي عن عمه ، ويشر بن عيسى وعلي ابن مجاهد ، عن حنبل بن أبي حريصة عن مَرْزُبَان قَهْشْتَان ، وعيَّاش ابن عبد الله الغنوي ، عن أشياخ من أهل خراسان ، قال : حدثني ظنثري - كل قد ذكر شيئا ، فألفته ، وأدخلت من حديث بعضهم في حديث بعض - أن قيسلشيب باذق - وقال بعضهم : قيسبشتان^(٧) ملك شومان - طرد عامل قتيبة ومنع القديمة التي صالح عليها قتيبة ، فبعث إليه قتيبة عيَّاشا الغنوي ومعه رجل من نساك أهل خراسان يدعوان ملك شومان إلى أن يؤدي القديمة

١٢٢٨/٢

(١) النمر : المقاتل الجري . (٢) ب : « وأحمست » .

(٣) ب : « دواي » . (٤) ر : « يبيض نعام » .

(٥) ر : « وأخوه شقرانا سقيت » . (٦) ط : « طرخان » .

(٧) ط : « قيسلشتان » .

على ما صالح عليه قتيبة، فقدما البلد، فخرجوا إليهما فرموهما، فانصرف الرجل وأقام عياش الغنوي فقال: أما هاهنا مسلم! فخرج إليه رجل من المدينة فقال: أنا مسلم، فما تريد؟ قال: تُعينني على جهادهم، قال: نعم، فقال له عياش: كن خلتني لتمنح لي ظهري، فقام خلفه - وكان اسم الرجل المهلب - فقاتلهم عياش، فحمل عليهم، ففترقوا عنه، وحمل المهلب على عياش من خلفه فقتله، فوجدوا به ستين جراحة، فغمسهم قتله، وقالوا: قتلنا رجلاً شجاعاً.

وبلغ قتيبة، فسار إليهم بنفسه، وأخذ^(١) طريق بكنخ، فلما أتاها قدم أخاه عبد الرحمن، واستعمل على بكنخ عمرو بن مسلم، وكان ملك شومان صديقاً للصالح بن مسلم، فأرسل إليه صالح رجلاً بأمره بالطاعة، ويضمن له رضا قتيبة إن رجع إلى الصلح، فأبى وقال لرسول صالح: ما تخوفني به من قتيبة، وأنا أمتعُ الملوك حصناً أرى أعلاه، وأنا أشد الناس قوساً وأشد الناس رمياً^(٢)، فلا تبلغُ شأني نصف حصتي، فما أخاف من قتيبة! فضى قتيبة من بلخ فجبر النهر، ثم أتى شومان وقد تحصن ملكيها فوضع عليه المجانيق، ورى حصنه فهشمه، فلما خاف أن يظهر عليه، ورأى ما نزل به جماع ما كان له من مال وجوهر فرمى به في عيين في وسط القلعة لا يدرك قعرها.

قال: ثم فتحت القلعة وخرج إليهم فقاتلهم فقتل، وأخذ قتيبة القلعة عنوة، فقتل المقاتلة وسبي الذرية^(٣)، ثم رجع إلى باب الحديد فأجاز منه إلى كيس ونسف، وكتب^(٤) إليه الحجاج، أن كس بكس وأنسف بنسف^(٥)، ولربك والتحويل. ففتح كس ونسف، وامتنع عليه فرياب^(٦) فحرقها فسميت المحترقة. وسرح قتيبة من كيس ونسف أخاه عبد الرحمن بن مسلم إلى السغد^(٧)، إلى طرخون، فسار حتى نزل بمرج قريباً منهم، وذلك في وقت

١٢٢٩/٢

(٢) كلنا في ب، وفي ط: «أشده».

(٤) ب: «فكتب».

(٦) ب: «قريلات».

(١) ب: «وأخذ».

(٣) ب: «من فيها».

(٥) ب: «نسفا».

(٧) ب: «والصف».

العَصْر ، فانتَبَذَ الناسُ وشَرِبُوا حتى عَثُوا وأفسدوا ، فأمر عبدُ الرحمن أبا مرضية - مولى لهم - أن يَمْنَعَ الناسَ من شُرْبِ العصير ، فكان يضرهم ويكسر آيتهم ويصب نبيذهم ، فسال في الوادي ، فسئى مَرَجَ النبيذ ، فقال بعضُ شعرائهم :

أما التَّيْبُذُ فلستُ أَشْرَبُهُ أَخْشَى أبا مرضيةَ الكَلْبِ
مُتَعَسِّفاً يَسْعَى بِشِكِّهِ يَتَوَتَّبُ الحِيطَانَ للشَّرْبِ

فَقَبَضَ عبدُ الرحمن من طرخون شيئاً كان قد صالحه عليه قتيبة ، ودفع إليه رَهْناً كانوا معه ، وانصرف عبد الرحمن إلى قتيبة وهو يبخارى ، فرجعوا إلى مَرَوْ ، فقالت السُّغْدُ لَطَرخون : إنك قد رضيتَ بالذلِّ واستعظمتَ^(١) الجزية ، وأنت شيخٌ كبير فلا حاجةَ لنا بك^(٢) . قال : فولوا من أحببتم . قال : فولوا غَوَزَكَ^(٣) ، وحبسوا طرخون ؛ فقال طرخون : ليس بعد سَكَبِ المُلْكِ إلا القتل ، فيكون ذلك بيدي أحبَّ إلى من أن يليه مني غيري ، فاتكأ على سيفه حتى خرج من ظهره . قال : وإنما صنعوا بطرخون ١٢٣٠/٢ هذا^(٤) حين خرج قتيبة إلى سيجستان ولوا غوزك .

وأما الباهليون فيقولون : حَصَرَ قتيبةُ ملكَ شومان ، ووضَعَ على قلعته للمجانيق ، ووضَعَ منجنيقاً كان يسميها الفَحْجاء ، فرمى بأول حَجَرٍ فأصاب الحائط ، ورمى بآخر فوق في المدينة ، ثم تابعت الحجارة في المدينة فوق حَجَرٍ منها في مجلس الملك ، فأصاب رجلاً فقتله ، ففتح القلعة عنوةً ، ثم رجع إلى كَسَ ونَسَفَ ، ثم مضى إلى بُخارى فقتل قريةً فيها بيتُ نار وبيتُ آلهة ، وكان فيها طواويس ، فسموه منزل الطواويس ، ثم سار إلى طرخون بالسُّغْدِ ليقبض منه ما كان صالحه عليه ، فلما أشرَفَ على وادي السُّغْدِ فرأى حُسْنَهُ تمثَّلَ :

(١) ر : « وأعطيت » . (٢) ب : « فيك » .
(٣) ويقال : « غوزك » . (٤) ب : « هذا بطرخون » .

وَأَمَّ خَصِيبٌ عَشِيبٌ ظَلَّ يَمْنَعُهُ مِنَ الْأَنْبِيسِ حَذَارُ الْيَوْمِ ذِي الرَّهَجِ ^(١)
وَرَدَّتْهُ بَعَثَانِيجٌ مُسَوِّمَةٌ يَرْذِينَ بِالشَّعْثِ سَفَاكِينَ لِلْمُهَجِ ^(٢)
قال: فقَتِصَ من طرخون صلحه ، ثم رجع إلى بخارى فكلك بخارى
خذه غلاماً حداثاً ، وقتل من خاف أن يضاده ، ثم أخذ على أمل
ثم أتى مرو .

قال : وذكر الباهليّون عن بشار بن عمرو ، عن رجل من باهليّة ، قال :
لم يفرغ الناس من ضرب أبيّتهم حتى افتتحت القلعة .

[ولاية خالد بن عبد الله القسري على مكة]

وفي هذه السنة ولّى الوليد بن عبد الملك مكة خالد بن عبد الله القسري
فلم يزل ولياً عليها إلى أن مات الوليد. فذكر محمد بن عمر الواقدي أن إسماعيل
بن إبراهيم بن عتبة حدثه عن نافع مولى بني مخزوم ، قال : سمعت
خالد بن عبد الله يقول :

يأيتها الناس ، إنكم بأعظم بلاد الله حرمة ، وهي التي اختار الله من
البلدان ، فوضع بها بيته ، ثم كتب على عباده حجة من استطاع إليه
سيلاً . أيها الناس ، فعليكم بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، وإياكم والشبهات ،
فإني والله ما أوتيت بأحد يقطع عن إمامي إلا صليته في الحرم . إن الله
جعل الخلافة منه بالموضع الذي جعلها ، فاسكموا وأطيعوا ، ولا تقولوا كيئت
وكيئت . إنه لا رأى فيما كتّبت به الخليفة أو رآه إلا إمضاؤه ، واعلموا أنه
بلغني أن قوماً من أهل الخلاف يقدمون عليكم ، ويقمون في بلادكم ، فإياكم
أن تنزلوا أحداً ممن تعلمون أنه زائف عن الجماعة ، فإني لا أجد أحداً منهم
في منزل أحد منكم إلا هدمت منزله ^(٣) ، فانظروا من تنزلون في منازلكم ،
وعليكم بالجماعة والطاعة ، فإن الفرقة هي البلاء العظيم .

قال محمد بن عمرو : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن موسى بن عتبة

(١) ب : « الموت والرجح » . (٢) المناجيج : جمع منجوج ، وهي الخيل النجبية .

(٣) ب : « هدمه » .

عن أبي حسيبة ، قال : اعتمرْتُ فترلتُ دورَ بني أسدٍ في منازل الزبير ، فلم أشعر إلا به يدعوني ، فدخلت عليه ، فقال : من أنت ؟ قلت : من أهل المدينة ، قال : ما أنزلتُك^(١) في منازل المخاليف للطاعة ! قلت : إنما مقامي إن أقمت يوماً أو بعضه ، ثم أرجع إلى منزلي وليس عندي خلاف ، أنا ممن يُعظم أمر الخلافة ، وأزعمُ أن من جسدَها فقد هلك . قال : فلا عليك ١٢٣٢/٢ ما أقمت ، إنما يسكره^(٢) أن يُقيمَ مَنْ كان زارياً على الخليفة ، قلت : معاذ الله !

وسمعه يوماً يقول : والله لو أعلمُ أن هذه الوحش التي تأمن في الحرم لو نطقت لم تقِرَّ بالطاعة لأخرجتها من الحرم . إنه لا يسكن حرم الله وأمنه مخالف للجماعة ، زار عليهم . قلت : وفق الله الأمير .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة الوليدُ بنُ عبد الملك ، حدثني أحمدُ بن ثابت ، عن عثمان ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : حجَّ الوليد بنُ عبد الملك سنة إحدى وتسعين .

وكذلك قال محمد بن عمر : حدثني موسى بن أبي بكر ، قال : حدثنا صالح بنُ كيسان ، قال : لما حضر قتل الوليد أمر عمرُ بن عبد العزيز عشرين رجلاً من قريش يخرجون معه ، فيتلقون الوليد بن عبد الملك ، منهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الحارث بن هشام ، وأخوه محمد بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فخرجوا حتى بَلَغُوا السويداء ، وهم مع عمر بن عبد العزيز - وفي الناس يومئذ دوابٌ وخييلٌ - فلحقوا الوليد وهو على ظهره ، فقال لهم الحاجب : انزلوا لأمر المؤمنين ، فترلوا ، ثم أمرهم فركبوا ، فدعا بعمر بن عبد العزيز فسايرهُ حتى نزل بذى خُشْب ، ثم أحضروا ، فدعاهم رجلاً رجلاً ، فسلموا عليه ، ودعا^(٣) بالسويداء ، فتغدوا عنده ، وراح من ذى خُشْب ، فلما دخل المدينة غداً إلى المسجد ينظر إلى بنائه ، فأخرج الناس منه ، فما ترك

(٢) ر : « تكوه » .

(١) ب : « فأنزلت » .

(٣) ب : « ثم دعا » .

١٢٣٣/٢

فيه أحدٌ، وبقى سعيد بن المسيَّب ما يجترئ أحد من الحرم^(١) أن يخرج، وما عليه إلا رِبْطَتان ما تساويان إلا خمسة دراهم في مُصَلَّاهُ ، قليل له : لو قمت ! قال : والله لا أقوم حتى يأتي الوقت الذي كنت أقوم فيه . قيل : فلو سلَّمت على أمير المؤمنين ! قال : والله لا أقوم إليه . قال عمر بن عبد العزيز : فجعلتُ أعدل بالوليد في ناحية المسجد رجاء ألا يرى سعيداً حتى يقوم ، فحانت من الوليد نظيرة إلى القبلة ، فقال : مَنْ ذلك الجالس ؟ أهو الشيخ سعيد بن المسيَّب ؟ فجعل عمر يقول : نعم يا أمير المؤمنين ومن حاله ومن حاله ... ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك ، وهو ضعيف البصر . قال الوليد : قد علمتُ حاله ، ونحن نأتيه فنسلم عليه ، فلما في المسجد حتى وقفت على القبر ، ثم أقبلت حتى وقف على سعيد فقال : كيف أنت أيها الشيخ ؟ فوالله ما تحرك سعيد ولا قام ، فقال : بخير والحمد لله ، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله ؟ قال الوليد : خير والحمد لله . فانصرف وهو يقول لعمر : هذا بقية الناس ، فقلت : أجل يا أمير المؤمنين .

قال : وقسَّمت الوليد بالمدينة رقيقاً كثيراً عجباً بين الناس ، وآنية من ذهب وفضة ، وأموالاً وخطب بالمدينة في الجمعة وصلى بهم .

قال محمد بن عمر : وحدثنى إسحاق بن يحيى ، قال : رأيت الوليد يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة عام حج ، قد صَفَّ له جندُه صفين من المنبر إلى جدار مؤخر المسجد ، في أيديهم الجِرَزَة وعمد الحديد على العواتق ، فرأيتُه طلَّحَ في دُرَاعَة وقلنسوة ، ما عليه رداء ، فصعد المنبر ، فلما صعد سلم ثم جلس فأذن^(٢) المؤذنون ، ثم سكتوا ، فخطب الخطبة الأولى وهو جالس ، ثم قام فخطب الثانية قائماً ، قال إسحاق : فقلت رجاء بن حيوة وهو معه ، فقلت : هكذا يصنعون^(٣) قال : نعم ، وهكذا صنع معاوية فسلم جراً ، قلت : أفلا تكلِّمه ؟ قال : أخبرتني قبيصة بن ذؤيب أنه كلم عبد الملك بن مروان

١٢٣٤/٢

(٢) ب : « وجلس وأذن » .

(١) ر : « الناس » .

(٣) ابن الأثير : « تصنعون » .

فَأَبَى أَنْ يَفْعَلَ ؛ وَقَالَ : هَكَذَا نَخْطُبُ عُمَانَ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ مَا نَخْطُبُ هَكَذَا ، مَا نَخْطُبُ عُمَانَ إِلَّا قَائِمًا . قَالَ رَجَاءٌ : رَأَى لَمْ هَذَا فَأَخَذُوا بِهِ . قَالَ إِسْحَاقُ : لَمْ نَرِ مِنْهُمْ أَحَدًا أَشَدَّ تَجَبُّرًا مِنْهُ .

قال محمد بن عمر : وَقَدْ مِ يَطِيبُ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَجْمَرِهِ وَبِكِسْوَةِ الْكَتْعَةِ فَتَشِيرَتْ وَعُلِقَتْ عَلَى جِبَالٍ فِي الْمَسْجِدِ مِنْ دِيْبَاجٍ حَسَنٍ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ قَطً ، فَتَشَرُّهَا يَوْمًا وَطُرَى^(١) وَرَفَعَ . قَالَ : وَأَقَامَ الْحَيَّجَ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ .

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عاملها في سنة تسعين ، غير مكة فإن عاملها كان في هذه السنة خالد بن عبد الله القسري في قول الواقدي . وقال غيره : كانت ولاية مكة في هذه السنة أيضًا إلى عمر بن عبد العزيز .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففي ذلك غزوة مسلمة بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرض الروم ،
ففتح على يدي مسلمة حصون ثلاثة ، وجلا أهل سُوسنة إلى جوف
أرض الروم .

[فتح الأندلس]

وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الأندلس في اثني
عشر ألفاً ، فلحقه ملك الأندلس - زعم الواقدي أنه يقال له أدرينوق ، وكان
رجلاً من أهل أصبهان ، قال : وهم ملوك عجم الأندلس - فرحف
له طارق بجميع من معه ، فرحف الأدرينوق في سرير الملك ، وعلى
الأدرينوق تاجه وقفازه وجميع الحلية التي كان يلبسها الملوك ،
فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل الله الأدرينوق ، وفتح الأندلس سنة
اثنتين وتسعين .

وفيها غزوا - فيما زعم بعض أهل السير - قتيبة سيجستان يريد رُبَيْلَ
الأعظم والزابل ، فلما نزل سيجستان تلقته رُسُلُ رُبَيْلَ بالصلح ،
فقبل ذلك وانصرف ، وامتثل عليهم عبد ربه بن عبد الله بن عُيمَرِ
الأسدي .

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة ، كذلك
حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكذلك قال الواقدي وغيره .

وكان حمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فمما كان فيها من ذلك غزوة العباس بن الوليد أرض الروم ، ففتّح الله على يديه سمسطة .

وفيهما كانت أيضاً غزوة مروان بن الوليد الروم ، فبلغ خنجره .

وفيهما كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ، فافتتح مائة وحصن الحديد وغزاة وبرجمة من ناحية سملطية .

* * *

[صلح قتيبة ملك خوارزم شاه وفتح خام جرد]

وفيهما قتل قتيبة ملك خام جرد ، وصالح ملك خوارزم صلحاً مجدداً .

• ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه :

ذكر علي بن محمد أن أبا الذّيال أخبره عن المهلب بن إياس والحسن بن رشيد ، عن طقيل بن مِرْدَاس العَمِيّ وعلي بن مجاهد ، عن حنبل ابن أبي حريدة ، عن مَرزُبان قَهِسْتان وکلب بن خلكف والباهليين وغيرهم — وقد ذكر بعضهم ما لم يذكر بعض فالفته — أن ملك خوارزم كان ضعيفاً ، فقلبه أخوه خُرّاذ علي أمره — وخُرّاذ أصغر منه — فكان إذا بَلَغَه أن عند أحد من هو منقطع إلى الملك جارية أو دابة أو متاعاً فآخرأ أرسل فآخذه ، أو بَلَغَه أن لأحد منهم بنتاً أو اختاً أو امرأة جميلة أرسل إليه فخصبه ، وأخذ ما شاء ، وجس ما شاء ، لا يمتنع عليه أحد ، ولا يمتنع الملك ، فإذا قيل له ، قال : لا أقوى عليه ، وقد ملأه مع هذا غيظاً ، فلما طال ذلك منه عليه كتب إلى قتيبة يدعو إلى أرضه يريد أن يسلمها إليه ، وبعث إليه بمفاتيح مدائن خوارزم ، ثلاثة مفاتيح من ذهب ، واشتراط عليه أن يسلّم إليه أخاه وكل من كان بضاده ، يحكم فيه بما يرى . وبعث في ذلك رسلاً ، ولم يطلع أحداً من مرازميه ولا دهاقينه على ما كتب به

إلى قتيبة ، فتقدمت رسله على قتيبة في آخر الشتاء وقت الغزو ، وقد تهيأ للغزو ، فأظهر قتيبة أنه يريد السغد ، ورجع رسل خوارزم شاه إليه بما يحب من قبيل قتيبة ، ودار واستخلف على مرو ثابتاً الأعور مولى مسلم . قال : فجمع ملوكه وأجباره ودهاقينه فقال : إن قتيبة يريد السغد ، وليس يغازيكم ، فهل نتنعم في ربيعنا هذا : فأقبلوا ^(١) على الشرب ^(٢) ، والتمتع ، وأمنوا عند أنفسهم الغزو .

١٢٣٨/٢

قال : فلم يشعروا حتى نزل قتيبة في هزأ رصب دون النهر ، فقال خوارزم شاه لأصحابه : ما ترون ؟ قالوا : نرى أن نقاتله ^(٣) ، قال : لكني لا أرى ذلك ، قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكة ، ولكني أرى أن نصره بشيء نؤديه إليه ، فنصره عامنا ^(٤) ، هذا ، وزر رأينا . قالوا : ورأينا رأيك . فأقبل خوارزم شاه فنزل في مدينة الفيل من وراء النهر . قال : ومدائن خوارزم شاه ثلاث مدائن يطيف بها فارقين واحد ، فمدينة الفيل أحصن ، فترها خوارزم شاه — وقتيبة في هزارب دون النهر لم يعبره بينه وبين خوارزم شاه نهر بلخ — فصالحه على عشرة آلاف رأس ، وعين ومستاع ، وعلى أن يعينه على ملك خام جرد ، وأن يتي له بما كتب إليه ، فقبل ذلك منه قتيبة ، ووتى له . وبعث قتيبة أخاه إلى ملك خام جرد ، وكان يعادى خوارزم شاه ، فقاتله ، فقتله عبد الرحمن ، وغلب على أرضه وقدّم منهم على قتيبة بأربعة آلاف أسير ، فقتلهم ، وأمر قتيبة لما جاءه بهم ^(٥) عبد الرحمن بسريره فأخرج ويرز للناس . قال : وأمر بقتل الأسرى قتل بين يديه ألف وعن يمينه ألف وعن يساره ألف وشكف ظهره ألف . قال : قال المهلب بن أبياس : أخذت يومئذ سيوف الأشراف فضرب بها الأعناق ، فكان فيها ما لا يقطع ولا يجرح ، فأخذوا سيوفهم فلم يضرب به شيء إلا أبانه ، فحسكني بعض آل قتيبة ، فغمز الذي يضرب أن أصفح به ، فصفح به قليلا ، فوقع في ضرس المقتول فقتله . قال أبو الذئبال : والسيوف عندي . قال : ودفع قتيبة إلى خوارزم شاه أخاه

١٢٣٩/٢

(١) ب : «هملوا» . (٢) ر : «الشراب» . (٣) ب : «نقاتل» .

(٤) ب : «علتنا» . (٥) كذا في ب ، وفي ط : «لما جاءهم أخاه عبد الرحمن» .

ومن كان يخالفه فقتلهم ، واصطلمى أموالهم فبحث بها إلى قتيبة ،
ودخل قتيبة مدينة فيل ، فقبيل من خوارزم شاه ما صالحه عليه ، ثم رجع
إلى هراسب . وقال كحَب الأشرى :

رَمَتْكَ فِيلٌ بما فيها وما ظَلَمْتُ ورأى ما قبلك الصَّحْجَاةُ الصِّلَفُ^(١)
لا يُجْزِي الثُّغْرُ خَوَّارُ القَنَاةِ وَلَا هَشُّ المَكَايِرِ وَالقَلْبُ الَّذِي يَجْفُ
هل تَذْكُرُونَ ليالى التُّرْكِ تَقْتُلُهُمْ ما دون كَاذِهِ وَالصَّحْجَاةُ مُلْتَجِفُ
لم يَرْكَبُوا الخَيْلَ إِلَّا بعد ما كَبَرُوا فَهَمْ يُقَالُ على أَكْثَافِهَا عُنْفُ
أنتم شِباسٍ ومرداذانٍ محْتَقِرُ وبُسْخَرَاءِ قُبُورٍ حَشَوْهَا القُلْفُ^(٢) ١٢٤٠/٢
إني رأيتُ أبا حفص تَفْضُلُهُ أَيامُهُ وَمَسَاعِي النَّاسِ تَحْتَلِفُ
فيس صَرِيحٍ وبعضُ النَّاسِ يَجْمَعُهُمْ قُرَى وريفٍ فَمَنْسُوبٌ وَمُقْتَرَفُ
لو كنتَ طَاوَعْتَ أَهْلَ العِزِّ مَا اقْتَسَمُوا سَبْعِينَ أَلْفًا وَعِزُّ السُّغْدِ مُوتَنِفُ
وفي سمرقندَ أخرى أنت قَاسِمُهَا لئن تَأَخَّرَ عن حَوَائِكِ التَّلْفُ
ما قَدَّمَ النَّاسُ من خَيْرٍ سَبَقَتْ به وَلَا يَقُوتُكُ مما خَلَفُوا شَرَفُ
قال : أنشأني على بنُ مجاهد :

• رَمَتْكَ فِيلٌ بما دون كاز ... •

قال : وكذلك قال الحسن بنُ رشيد الجوزجاني ؛ وأما غيرُهما فقال :

• رمتك فيلٌ بما فيها •

وقالوا : فيلٌ مدينة سمرقند ؛ قال : وأثبتها عندي قولُ علي بن مجاهد .

قال : وقال الباهليون : أصاب قتيبة من خوارزم مائة ألف رأس . قال :

وكان خاصة قتيبة كلموه سنة ثلاث وتسعين وقالوا : الناس كانوا قدِ مَوَّ ١٢٤١/٢

(١) الأغاني ١٤ : ٢٩٩ ، ياقوت ٦ : ٤١٤ . والصحافة : الكثير الكلام .

(٢) رواية البيت في الأغاني :

منهم شَنَاسٌ ومرداذاء نعرفه وبسخراء قبور حشوها القُلْفُ

قال في شرحه : شناس اسم أبي صفرة ، ضيره وتسمى ظلالاً ، ومرداذاء : أبو أبي صفرة ، وسموه
بسراق لما قهرهوا . وبسخراء : جنه وهم قوم من الخوز من أعمال أهل عمان ، قتلوا الأزد ثم أدموا
أنهم صليبة صرحاء منهم .

من سَجِسْتَانٍ فَأَجْمَعَهُمْ عَامَهُمْ هَذَا، فَأَبَى. قَالَ: فَلَمَّا صَالَحَ أَهْلَ خُوارزم سَارَ إِلَى السَّغْدِ، فَقَالَ الْأَشْقَرِيُّ:

لَوْ كُنْتُ طَاوَعْتُ أَهْلَ الْعَبْرَةِ أَتَقَسَّمُوا سَبْعِينَ أَلْفًا وَعِزُّ السَّغْدِ مُؤْتَنَفٌ

[فتح سمرقند]

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة غزا قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ مَنْصُوفَةَ مِنْ خُوارزم سَمَرْقَنْدَ، فَافْتَتَحَهَا.

• ذكر الخبر عن ذلك:

قد تقدّم ذكرى الإسناد عن القوم الذين ذكر على بن محمد أنه أخذ عنهم حين صالح قتيبة صاحب خوارزم، ثم ذكر مبرجا في ذلك أن قتيبة لما قبض صلح خوارزم قام إليه المحشّر^(١) بن مزاحم السلّمي فقال: إن لي حاجة، فأخلى، فأخلاه، فقال: إن أردت السغد يوما من الدهر فالآن، فإنهم آمنون من أن تأتيهم من عامك هذا، وإنما بينك وبينهم عشرة أيام. قال: أشار بهذا عليك أحد؟ قال: لا، قال: فأعلمته أحدا؟ قال: لا، قال: والله لئن تكلم به أحد لأضربن عنقك. فأقام يومه ذلك، فلما أصبح من الغد دعا عبد الرحمن فقال: سِرْ في القُرْصَانِ والمُرَامِيَةِ، وقدّم الأتقالَ إلى مَرَوْ، فوُجِّهَتِ الأتقالُ إلى مَرَوْ، ومضى عيدُ الرحمن يتنَّج الأتقالُ يريدُ مَرَوْ يومه كله، فلما أمسى كتب إليه: إذا أصبحت فوجه الأتقالَ إلى مَرَوْ وسِرْ في القُرْصَانِ والمُرَامِيَةِ نحو السَّغْدِ، واكتم الأخبار، فإني بالأكتر.

١٢٤٢/٢

قال: فلما أتى عبد الرحمن الخبر أمر أصحاب الأتقال أن يمضوا إلى مَرَوْ، وسار حيث أمره، وخطب قتيبة الناس فقال:

إن الله قد فتح لكم هذه البلدة في وقت الفَرَوْ فيه يمكن، وهذه^(٢) السَّغْدُ شَاغِرَةٌ بِرِجْلِهَا، قد نقضوا العهد الذي كان بيننا، منعونا ما كنا

صَالِحُنَا عَلَيْهِ طَرَحُونَ ، وَصَنَعُوا بِهِ مَا بَلَغَكُمْ ، وَقَالَ اللَّهُ : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ ^(١) ، فَسِيرُوا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَوَارِزْمُ وَالسُّغْدُ كَالنَّصِيرِ وَفَرِيظَةِ ، وَقَالَ اللَّهُ : ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْلُرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَخَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴾ ^(٢) .

قال : فَأَتَى السُّغْدُ وَقَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُسْلِمٍ فِي عَشْرِينَ أَلْفًا ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ قَتِيبةٌ فِي أَهْلِ خَوَارِزْمَ وَبُخَارَى بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَوْ أَرْبَعَةِ مِائِنِ نَزُولِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِهِمْ ، فَقَالَ : إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ ﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُتَلَوِّينَ ﴾ ^(٣) . فَحَصَرْتَهُمْ شَهْرًا ، فَقَاتَلُوا فِي حِصَارِهِمْ مِرَارًا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ . وَكَتَبَ أَهْلُ السُّغْدِ وَخَافُوا طَوْلَ الْحِصَارِ إِلَى مَلِكِ الشَّاشِ وَإِخْشَادِ فَرَّغَانَةَ : إِنَّ الْعَرَبَ إِنْ ظَفَرُوا بِنَا عَادُوا ^(٤) عَلَيْكُمْ بِمِثْلِ مَا أَتَوْنَا بِهِ ، فَانْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ . فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَأْتُوهُمْ ، وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ : أَرْسِلُوا مَنْ يَشْغَلُهُمْ حَتَّى نَبِيتَ عَسْكَرَهُمْ .

قال : وَانْتَبَهُوا فَرُسَانًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمَرَّازِيَةِ وَالْأَسَاوِرَةِ وَالْأَشْدَاءِ الْأَبْطَالِ ١٢٤٣/٢
فَوَجَّهَهُمْ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَبْنِيُوا عَسْكَرَهُمْ ، وَجَاءَتْ عِيُونُ الْمُسْلِمِينَ فَأَخْبَرَهُمْ . فَانْتَضَبَ قَتِيبةٌ ثَلَاثَةَ أَوْ سِتَاءَةَ مِنْ أَهْلِ التَّجْدَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ ^(٥) عَلَيْهِمْ صَالِحَ ابْنِ مُسْلِمٍ ، فَصَبَّرَهُمْ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي يَخَافُ أَنْ يُؤْتِيَ مِنْهُ . وَبَعَثَ صَالِحٌ عِيُونًا يَأْتُونَهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ ، وَنَزَلَ عَلَى فَرَسَيْنِ مِنْ عَسْكَرِ الْقَوْمِ ، فَرَبِجَتْ إِلَيْهِ عِيُونُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهِمْ يَصِلُونَ إِلَيْهِ مِنْ لَيْلَتِهِمْ ، فَفَرَّقَ صَالِحٌ خَيْلَهُ ثَلَاثَ فِرَقٍ ، فَجَعَلَ كَمِيْنَةً فِي مَوْضِعَيْنِ ، وَأَقَامَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، وَطَرَقَهُمُ الْمُشْرِكُونَ لَيْلًا ، وَلَا يَعْلَمُونَ بِمَكَانِ صَالِحٍ ، وَهُمْ آمِنُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُمْ أَحَدٌ دُونَ الْعَسْكَرِ ، فَلَمْ يَعْلَمُوا بِصَالِحٍ حَتَّى غَشَوْهُ . قَالَ : فَشَدُّوا عَلَيْهِ حَتَّى إِذَا اخْتَلَفَتِ الرِّمَاحُ بَيْنَهُمْ خَرَجَ الْكَمِيْنَتَانِ فَاقْتَتَلَا . قَالَ : وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْبَرَّاجِينَ : حَصَرْتُهُمْ فَأَرَيْتُ قَطْعًا قَوْمًا كَانُوا أَشَدَّ قِتَالًا مِنْ أَبْنَاءِ أَوْلَئِكَ الْمُلُوكِ وَلَا أَصْبَرَ ، فَقَتَلْنَاهُمْ فَلَمْ يُقْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا ثَقْرَ سَيْرٍ ، وَحَبْوَيْنَتَا

(١) سورة الفتح: ١٠ . (٢) سورة الفتح: ٢١ . (٣) سورة الصافات: ١٧٧ .
(٤) ب : « أَغْلَرُوا » . (٥) ب : « فَاسْتَعْمَلَ » .

سلاحهم ، واحتَرَزْنَا رِجَالَهُمْ ، وَأَسَرْنَا مِنْهُمْ أَسْرَى ، فَسَأَلْنَاهُمْ عَنْ قَتْلِنَا ، فَقَالُوا : مَا قَتَلْنَا إِلَّا ابْنَ مَلِكٍ ، أَوْ عَظِيمًا مِنَ الْعُظَمَاءِ ، أَوْ بَطْلًا مِنَ الْأَبْطَالِ ، وَلَقَدْ قَتَلْنَا رِجَالًا إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيُعَدَّكَ بِمِائَةِ رَجُلٍ . فَكَتَبْنَا عَلَى أَذَانِهِمْ ، ثُمَّ دَخَلْنَا الْعِسْكَرَ حِينَ أَصْبَحْنَا وَمَا مِنْ رَجُلٍ إِلَّا مَعْلُوقٌ رَأْسًا مَعْرُوفًا بِاسْمِهِ ، وَصَلَبْنَا مِنْ جَيْدِ السِّلَاحِ وَكَرِيمِ الْمَنَاعِ وَمَنَاطِقِ الذَّهَبِ وَدَوَابِّ فَرَسِهِ ، فَفَعَلْنَا قَتِيَّةَ ذَلِكَ كُلِّهِ . وَكَسَّرَ ذَلِكَ أَهْلَ السُّغْدِ ، وَوَضَعَ قَتِيَّةَ عَلَيْهِمُ الْهَجَانِيْقَ ، فَرَمَاهُمْ بِهَا ، وَهَوَى ذَلِكَ بِقَاتِلِهِمْ لَا يَقْلَعُ عَنْهُمْ ، وَنَاصَحَتَهُ مَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ بَخَارَى وَأَهْلِ خُوارِزْمَ ، فَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَبَدَلُوا أَنْفُسَهُمْ .

١٢٤٤/٢

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ غُوزَكُ : إِنَّمَا تَقَاتَلْنِي يَا خَوْفَى وَأَهْلِي بَقِيَ مِنَ الْعَجَمِ ، فَأَخْرِجْ إِلَى الْعَرَبِ ، فَتَنْصِبَ قَتِيَّةَ وَدَعَا الْجَدْلِيَّ فَقَالَ : اِعْرِضْ النَّاسَ ، وَمَيِّزْ ، أَهْلَ الْبَاسِ فَجَمَعْتَهُمْ ، ثُمَّ جَلَسَ قَتِيَّةَ يَعْزِضُهُمْ بِنَفْسِهِ ، وَدَعَا الْعُرَفَاءَ فَجَعَلَ يَدْعُو بِرَجُلٍ رَجُلًا . فَيَقُولُ : مَا عِنْدَكَ ؟ فَيَقُولُ الْعَرِيفُ : شَجَاعٌ ، وَيَقُولُ : مَا هَذَا ؟ فَيَقُولُ : مَخْتَصِرٌ ، وَيَقُولُ : مَا هَذَا ؟ فَيَقُولُ : جَبِيَانٌ ، فَسَمِعَ قَتِيَّةَ الْجَبِيَّتَيْنِ الْأَنْثَتَيْنِ ، وَأَخَذَ خَيْلَهُمْ وَجَيْدَ سِلَاحِهِمْ فَأَعْطَاهُ الشَّجْعَانِ وَالْمَخْتَصِرَيْنِ ، وَتَرَكَ لَهُمُ رِثَةَ السِّلَاحِ ، ثُمَّ زَجَفَ بِهِمْ فَقَاتَلَهُمْ بِهِمْ فُرْسَانًا وَرِجَالًا ، وَرَمَى الْمَدِينَةَ بِالْهَجَانِيْقِ ، فَتَنَكَّمُ فِيهَا ثُلُومَةٌ فَسَدَّوْهَا بِغَرَائِرِ الدُّخَانِ ، وَجَاءَ رَجُلٌ حَتَّى قَامَ عَلَى الثُّلُومَةِ فَشَتَمَ قَتِيَّةَ ، وَكَانَ مَعَ قَتِيَّةٍ قَوْمٌ رُمَاةٌ ، فَقَالَ لَهُمُ قَتِيَّةُ : اخْتَارُوا مِنْكُمْ رَجُلَيْنِ ، فَاخْتَارُوا ، فَقَالَ : أَيُّكُمَا يَرْمِي هَذَا الرَّجُلَ ، فَإِنْ أَصَابَهُ فَلَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ ، وَإِنْ أَخْطَأَهُ قُطِعَتْ يَدُهُ ؟ فَتَلَكَّأَ أَحَدُهُمَا وَتَقَدَّمَ الْآخَرُ ، فَرَمَاهُ فَلَمْ يُخْطِئْ عَيْنَهُ ، فَأَسْرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ .

قَالَ : وَأَخْبَرَنَا الْبَاهِلِيُّونَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ أَبِيهِ خَالِدِ بْنِ بَابِ مَوْلَى مُسْلِمِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : كُنْتُ فِي رُمَاةٍ قَتِيَّةَ ، فَلَمَّا افْتَتَحْنَا الْمَدِينَةَ صَعَدْتُ السُّورَ فَأَتَيْتُ مَقَامَ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ فِيهِ فُوجِدَتْهُ مَيْتًا عَلَى الْحَائِطِ ، مَا أَخْطَأَتْ الشَّابَاةُ عَيْنَهُ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ قَعَاهُ ، ثُمَّ أَصْبَحُوا مِنْ

١٢٤٥/٢

غد فرموا المدينة ، فثَلَمُوا فيها . وقال قتيبة : أَلَحُوا عليها حتى تَعَبُوا
الثَلَمَةَ ، فقاتلهم حتى صاروا على ثَلَمَةِ المدينة ، ورامهم السَّخْدُ بالنشَاب ، فَوَضَعُوا
تَرَسْتَهُمْ ^(١) فكان الرجل يضعُ ترسه على عينه ، ثمَّ يَجْمِلُ ^(٢) حتى
صاروا على الثَلَمَةِ ، فقالوا له : انصرف عنا اليوم حتى نصلحك غداً .

فأما باهلة فيقولون : قال قتيبة : لانصالحهم إلا ورجلنا على الثَلَمَةِ ،
ويعانيقنا تَخْطِرُ جلي رؤوسهم ومدينتهم .

قال : وأما غيرهم فيقولون : قال قتيبة : جَزَعَ العيدُ ، فانصرفوا
على ظفرِكم ، فانصرفوا ، فصالحهم من القد على أَلَى ألف ومائتي ألف ^(٣)
في كل عام ، على أن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس ، ليس فيهم
صبي ولا شيخ ولا عيب ، على أن يخلوا المدينة لقتيبة فلا يكون لهم فيها
مقاتيل ، فيُسَبِّحَ له فيه مسجد فيدخل ويصلي ، ويوضع له فيها مِنبَرٌ
فيخطب ، ويتغدى ويخرج .

قال : فلما تمَّ الصلح بعث قتيبة عشرة ، من كل خمسين رجلين ،
فقبضوا ما صالحهم عليه ، فقال قتيبة : الآن ذَلُّوا حين صار إخوانهم وأولادهم
في أيديكم . ثمَّ أخلوا المدينة وبنوا مسجداً ووضعوا منبراً ، ودخلها في
أربعة آلاف انتخبهم ، فلما دخلها أتى المسجد فصلّى وخطب ثمَّ
تَغَدَّى ، وأرسل إلى أهل السَّخْد : من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذه ؛
فلما لَسْتُ خارجاً منها ، وإنما صنعتُ هذا لكم ، ولستُ أخذُ منكم أكثرَ
مما صالحتكم عليه ، غير أن الجُنْدَ يقيمون فيها .

قال : أما الباهليين فيقولون : صالحهم قتيبة على مائة ألف رأس ،
وبيوت النيران وحلية الأصنام ، فقبض ما صالحهم عليه ، وأتى بالأصنام
فسلبت ، ثمَّ وُضِعَتْ بين يديه ، فكانت كالتصنُّع العظيم حين جمعت ،
فأمَرَ بتحريقها ، فقالت الأعاجم : إن فيها أصناماً من حرقها هلكك ،
فقال قتيبة . أنا أحرقها بيدي ، فجاء غوزك ، فجثا بين يديه وقال :

(١) ب : «ترسم» . (٢) ب : «يجمل» . (٣) ب : «مقال» .

أيها الأمير، إن شُكِرَ على واجب، لا تعرّض لهذه الأصنام؛ فندعاً قتيبة بالنار وأخذ شُعلةً يبيده، وخرج فكبر، ثم أشعلها، وأشعل الناس فاضطربت، فوجدوا من بقايا ما كان فيها من مسمير الذهب والفضة خمسين ألف مثقال.

* * *

قال: وأخبرنا مَخْلَدُ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ بَيْضَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مِنْ شَهِدَ قُتَيْبَةَ وَفَتَحَ سَمَرْقَنْدَ أَوْ بَعْضَ كُورِ خُرَاسَانَ فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهَا قَدُورًا عَظَمًا مِنْ نُحَاسٍ، فَقَالَ قُتَيْبَةُ لِحَضِينِ: يَا أَبَا سَامَانَ، أَتُرَى رِقَاشًا كَانَ لَهَا مِثْلُ هَذِهِ الْقَدُورِ؟ قَالَ: لَا، لَكِنْ كَانَ لَعَبْلَانَ قِدْرٌ مِثْلُ هَذِهِ الْقَدُورِ، فَضَحِكَ قُتَيْبَةَ وَقَالَ: أَدْرَكَتْ بِشَأْرِكَ.

قال: وقال محمد بن أبي عبيدة لسلم بن قتيبة بين يدي سليمان بن علي: "إن المصم لم يعيرون قتيبة الغدر لأنه غدر بخوارزم وسمرقند."

قال: فأخبرنا شيخ من بني سدوس عن حمزة بن بيض قال: أصاب قتيبة بخراسان بالسغد جارية من ولد يزيد جرد، فقال: أتروا ابن هذه يكون هجيناً؟ فقالوا: نعم، يكون هجيناً من قبل أبيه، فبعث بها إلى الحجاج، فبعث بها الحجاج إلى الوليد، فولدت له يزيد ابن الوليد.

١٢٤٧/٢

قال: وأخبرنا بعض الباهليين، عن نهشل بن يزيد، عن عمه - وكان قد أدرك ذلك كله - قال: لما رأى غوزك إلحاح قتيبة عليهم كتب إلى ملك الشاش وإخشاذ فرغانة وخاقان: إنا نحن دونكم فما بينكم وبين العرب، فإن وصل إلينا كنتم أضعف وأذل، فهما كان عندكم من قوة فابذلوا، فنظروا في أمرهم فقالوا: إنما نؤتّى من سفلتنا، وإنهم لا يجدون كوجدنا، ونحن معشر الملوك المعنّين بهذا الأمر، فانتخبوا أبناء الملوك وأهل النجدة من فتيان ملوكهم، فليخرجوا حتى يأتوا عسكر قتيبة فليبيت، فإنه مشغول بحصار السغد، ففعلوا، ولوا عليهم أبناء لخاقان، وما وا وقد

أجمعوا أن يبيتوا العسكر ، وبلغ قتيبة فانتخب أهل النجدة والبأس ووجوه الناس ، فكان شعبة بن ظهير وزهير بن حيان فيمن انتخب ، فكانوا أربعمائة ، فقال لهم : إن عدوكم قد رأوا بلاء الله عندكم ، وتأيدوه إياكم في مزاحفتكم ومكائرتكم ، كل ذلك يفلجكم الله عليهم ، فاجمعوا على أن يخالوا غيرتكم وبياتكم ، واختاروا دهاقينهم وملكوتهم ، وأنتم دهاقين العرب وفرسانهم ، وقد فضلكم الله بدينه ، فأبلى الله بلاء حسناً ١٢٤٨/٢ تستوجبون به الثواب ، مع الذب عن أصحابكم .

قال : ووضَّح قتيبة عيوناً على العدو حتى إذا قرَّبوا منه قدراً ما يصلون إلى عسكره من الليل أدخل الذين انتخبهم ، فكلَّمهم وحضَّهم ، واستمحل عليهم صالح بن مسلم ، فخرجوا من العسكر عند المغرب ، فساروا ، فترلوا على فرسَحين من العسكر على طريق القوم الذين وصَّوا لهم ، ففرق صالح خيله ، وأكن كميناً عن يمينه ، وكميناً عن يساره ، حتى إذا مضى نصف الليل أو ثلثاه ، جاء العدو باجتماع وإسراع وصمت ، وصالح واقف في خيله ، فلما رأوه شدوا عليه ، حتى إذا اختلف الرماح شد الكمينان عن يمين وعن شمال ، فلم تسمع إلا الاعتزاء ، فلم ترَ قوماً كانوا أشدَّ منهم .

قال : وقال رجل من البراجم : حدثني زهير أوشعية قال : إنا لنختلف عليهم بالطنن والضرب إذ تبينت تحت الليل قتيبة ، وقد ضربت ضربة أعجبتني وأنا أنظر إلى قتيبة ، فقلت : كيف ترى بأبي أنت وأمي ! قال : امسكت دق الله فاك ! قال : فقتلناهم فلم يفلت منهم إلا الشريد ، وأقمنا نجوى الأصلاب ونجى الروم حتى أصبحنا ، ثم أقبلنا إلى العسكر ، فلم أر جماعة قط جاءوا بمثل ما جئنا به ، ما مينا رجل إلا معلق رأساً معروفاً باسمه ، وأسير في وثاقه .

قال : وجئنا قتيبة بالرموس ، فقال : جزاكم الله عن الدين والأعراض خيراً . ١٢٤٩/٢ وأكرمنا قتيبة من غير أن يكون باح لي بشيء ، وقرن في في الصلة والإكرام حيان العدو وحليسا الشيباني ، فظننت أنه رأى منهما مثل الذي رأى

متى ، وكسر ذلك أهل السُّقَد ، فطلبوا الصِّلح ، وعرضوا الفدية فأبى ، وقال : أنا ثائر بدم طرْحُون ، كان مولاي وكان من أهل رِغْمِي .

قالوا : حدث عمرو بن مسلم ، عن أبيه ، قال : أطال قتيبةُ المُقام ، وثلمتِ الثلثة في سمرقند . قال : فنادى منادٍ فصيح بالعربية يشتُم قتيبة ، قال : فقال عمرو بن أبي زهْدَم : ونحنُ حول قتيبة ، فحين سمعنا الشتم خرجنا مسرعين ، فكششنا طويلاً وهو مُلحٌ بالشم ، فجئتُ إلى رواق قتيبة فاطلعت ، فإذا قتيبةُ مُختبئٌ بشملة يقول كالمناجى لنفسه : حتى متى يا سمرقندُ يعيش فيك الشيطان ! أما والله لئن أصبحتُ لأحاولن من أهلك أقصى غاية ، فانصرفتُ إلى أصحابي ، فقلت : كم من نفس أبيّة ستموت غداً منا ومنهم ! وأخبرتهم الخبر .

قال : وأما باهلة فيقولون : سارَ قتيبةُ فجعل النهرَ يمينه حتى وردَ بخارى ، فاستنهضهم معه ، وسار حتى إذا كان بمدينة أربنجن ، وهي التي تُجلب منها اللبود الأربنجية ، لقيهم غوزك صاحبُ السُّقَد في جمع عظيم من الترك وأهل الشاش وفرغانة ، فكانت بينهم وقائعٌ من غير مُزاحفة ، كلٌّ ذلك يظهر المسلمون ، ويتحاجزون حتى قربوا من مدينة سمرقند ، فتزاحفوا يومئذ ، فحمل السُّقَد على المسلمين حملةً حطموهم حتى جازوا عسكرهم ، ثم كثر المسلمون عليهم حتى ردوهم إلى عسكرهم ، وقتل الله من المشركين عدداً كثيراً ، ودخلوا مدينة سمرقند فصالحوهم .

قال : وأخبرنا الباهليون عن حاتم بن أبي صغيرة ، قال : رأيتُ خيلاً يومئذ تُطاعنُ خيل المسلمين ، وقد أمر يومئذ قتيبةُ بسريره فأبرز ، وقعد عليه ، وطاعنوه حتى جازوا قتيبة ، وإنه لمُختبئٌ بسفيه ما حلَّ حَبْرته ، وانطوت مجنبتا المسلمين على الذين هزموا القلب ، فهزموهم حتى ردوهم إلى عسكرهم ، وقتل من المشركين عدداً كثيراً ، ودخلوا مدينة سمرقند فصالحوهم . وصنع غوزك طعاماً ودعا قتيبة ، فأناه في عدد من أصحابه ، فلما تعدى استوهب منه سمرقند ، فقال للملك : انتقل عنها ، فانتقل عنها ، وتلا قتيبة :
(وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادَا الْأُولَى * وَنُوذِرَ فَمَا أَبْقَى)^(١)

قال : وأخبرنا أبو الذّيال ، عن عمر بن عبد الله التيمي ، قال : حدثني الذي سرحه قتيبة إلى الحجاج بفتح سمرقند ، قال : قدمت على الحجاج فوجهني إلى الشام ، فقدمتها فدخلت مسجداً ، فجلست قبل طلوع الشمس وإلى جنتي رجل ضريب ، فألته عن شيء من أمر الشام ، فقال : إنك ١٢٥١/٢ لغريب ، قلت : أجل ؛ قال : من أي بلد أنت ؟ قلت : من خراسان . قال : ما أقدملك ؟ فأخبرته ، فقال : والذي بعث محمدًا بالحق ما افتتحنوها إلا غدرًا ، وإنكم يا أهل خراسان للذين تسلّبون بني أمية ملوكهم ، وتنفضون دمشق حجرًا حَجَرًا .

قال : وأخبرنا العلاء بن جرير ، قال : بلغني أن قتيبة لما فتح سمرقند وقف على جبلها فنظر إلى الناس مغرقين في مروج السغد ، فتمثل قولاً طرقة :

وَأَرْتَعَ أَقْوَامٌ وَلَسَوْلا مَحَلُّنَا بِمَخْشِيَةٍ رَدُّوا الْجَمَالَ فَقَوَّضُوا

قال : وأخبرنا خالد بن الأصمغ ، قال : قال الكميت :
كانت سمرقند أحقاباً يمانية فالיום تنسبها قيسية مضر

قال : وقال أبو الحسن الجشمي : فدعا قتيبة نهار بن ترمصة حين صالح أهل السغد ، فقال : يا نهار ، أين قولك :

أَلَا ذَمَبَ الْغَزُو الْمُقَرَّبُ لِلْفَنَى وَمَاتَ النَّدَى وَالْجُودُ بَعْدَ الْمَهْلَبِ
أَقَامَا بِمِرْوِ الرُّودِ رَهْنَ ضَرِيحِهِ وَقَدْ غُيِّبَا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ
أَفْتَضَرُّوْا هَذَا يَا نَهَارُ ؟ قال : لا ، هذا أحسن^(١) ، وأنا الذي أقول :

وَمَا كَانَ مَذْ كُنَّا وَلَا كَانَ قَبْلَنَا وَلَا هُوَ فِيمَا بَعَدَنَا كَأَن مُسْلِمٍ
أَعْمَ لِأَهْلِ التَّرْكِ قَتْلًا بِسَيْفِهِ وَأَكْثَرَ فِينَا مَقْسِمًا بَعْدَ مَقْسَمِ

(١) في الشعر والشعراء ٥٢٣ : إن الفنى أنت فيه ليس بالغزو ولكنه الحرب .

قال : ثم ارتحل قتيبة واجعاً إلى مرو ، واستخلف على سمرقند عبد الله ابن مسلم ، وخلف عنده جنداً كثيراً ، وآلة من آلة الحرب كثيرة ، وقال : لا تدعني مشركاً يدخل باباً من أبواب سمرقند إلا غنوم اليد ، وإن جفت الطينة قبل أن يخرج فاقطعه ، وإن وجدت معه حديدة ، سيكناً فما سواه فاقطعه ، وإن أغلقت الباب ليلاً فوجدت فيها أحداً منهم فاقطعه ، فقال كعب الأشقرى - ويقال رجل من جمعي :

كُلُّ يَوْمٍ يَخْرِي قَتِيْبَةُ نَهْبًا وَيَزِيدُ الْأَمْوَالَ مَالًا جَدِيدًا
بَاهِلٌ قَدْ أَلْبَسَ التَّاجَ حَتَّى شَابَ مِنْهُ مَقَارِقُ كَنْ سَوْدَا
دَوَّخُ السُّغَدِ بِالْكَتَائِبِ حَتَّى تَرَكَ السُّغَدَ بِالْعَرَاهِ قُعُودًا
فَوَلِيدٌ يَبْكِي لِفَقْدِ أَبِيهِ وَأَبٌ مُوجِعٌ يُبْكِي الْوَلِيدَا
كَلِمَا حَلَّ بِلَدَةٍ أَوْ أَتَاهَا تَرَكْتَ خَيْلُهُ بِهَا أَخْدُودَا

قال : وقال قتيبة : هذا العداء لا عداة غيرين ، لأنه فُتِحَ خوارزم وسمرقند في عام واحد ، وذلك أن الفارس إذا صرع في طلق واحد غيرين قيل : عادى بينَ غيرَين . ثم انصرف عن سمرقند فأقام بمرو . ١٢٥٣/٢

* * *

: وكان عامله على خوارزم إياس بن عبد الله بن عمرو على حربها ، وكان ضعيفاً . وكان على خراجها عبيد الله بن أبي عبيد الله مولى بني مسلم . قال : فاستضعف أهل خوارزم إياساً ، وجمَعُوا له ، فكتب عبيد الله إلى قتيبة ، فبعث قتيبة عبد الله بن مسلم في الشتاء عاملاً ، وقال : اضرب إياس بن عبد الله وحيات النسيطة مائة ، واحلقهما ، وضم إليك عبيد الله بن أبي عبيد الله ، مولى بني مسلم ، واسمع منه فإن له وفاء . ففُضِيَ حتى إذا كان من خوارزم على سكة ، فدمس إلى إياس فأنذره ففتحني ، وقدم فأخذ حيان فضربه مائة وحلقه .

قال : ثم وجه قتيبة بعد عبد الله المغيرة بن عبد الله في الجنود إلى خوارزم ، فبكتهم ذلك ، فلما قدم المغيرة اعتزل أبناء الذين قتلهم

خوارزم شاه، وقالوا: لا نعينك، فهرب إلى بلاد الترك. وقدم المغيرة فسبي وقتل، وصالحه الباقون، فأخذ الجزية. وقدم على قتيبة، فاستعمله على نيسابور.

* * *

[فتح طليطلة]

وفي هذه السنة عزل موسى بن نصير طارق بن زياد عن الأندلس ووجهه إلى مدينة طليطلة.

• ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر محمد بن عمر أن موسى بن نصير غضب على طارق في سنة ثلاث وتسعين، فشحص إليه في رجب منها، ومعه حبيب بن عتبة بن نافع الصهرى، واستخلف حين شحص على إفريقية ابنه عبد الله بن موسى بن نصير، وعبر موسى إلى طارق في عشرة آلاف، فلقاه، فرفضه ١٢٥٤/٢ فرفض عنه، وقيل منه عذره، ووجهه منها إلى مدينة طليطلة - وهي من عظام مدائن الأندلس، وهي من قرطبة على عشرين يوماً^(١) - فأصاب فيها مائدة سليمان بن داود، فيها من الذهب والبخور ما الله أعلم به.

قال: وفيها أجدب أهل إفريقية جدياً شديداً، فخرج موسى بن نصير فاستسقى، ودعا يومئذ حتى انتصف النهار، وخطب الناس، فلما أراد أن ينزل قبل له: ألا تدعو لأمر المؤمنين! قال: ليس هذا يوم ذاك، فسقوا مسقياً كفاهم حيناً.

* * *

[خبر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز]

وفيها عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة.

• ذكر سبب عزل الوليد إتياء عنها :

وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الوليد يُخبره بعسف الحجاج أهل عمله بالعراق، واعتدائه عليهم، وظلمه لم يغير حق ولا جناية، وأن ذلك بلغ الحجاج، فاضطغته على عمر، وكتب إلى الوليد: إن من قبلى من مرأى أهل العراق وأهل الشقاق قد جعلوا عن

(١) بعدما في ابن الأثير: «فتتها».

العراق ، ولجئوا إلى المدينة ومكة ، وإن ذلك وعهن .
فكتب الوليد إلى الحجاج : أن أشر على يرجلين ، فكتب إليه يشير عليه
بعثمان بن حيان وخالد بن عبد الله ، فولى خالدًا مكة وعثمان المدينة ، وعزل
عمر بن عبد العزيز .

قال : محمد بن عمر : خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة فأقام
بالسويداء وهو يقول لمزاحم : أتخاف أن تكون ممن نعتته طيبة !

* * *

وفيهما ضرب عمر بن عبد العزيز خبيب بن عبد الله بن الزبير بأمر الوليد
إياه ، وصب على رأسه قربة من ماء بارد . ذكر محمد بن عمر ، أن أبا المليلح
حدثه عن حضر عمر بن عبد العزيز حين بخله خبيب بن عبد الله بن
الزبير خمسين سوطاً ، وصب على رأسه قربة من ماء في يوم شات .
ووقفه على باب المسجد ، فسكت يومه ثم مات .

١٢٥٥/٢

* * *

وحج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . حدثني
بذلك أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي محنسر .
وكانت محال الأمصار في هذه السنة محالها في السنة التي قبلها ، إلا ما كان من
المدينة ، فإن العامل عليها كان عثمان بن حيان المزي ، ولبيها - فيها قيل -
في شعبان سنة ثلاث وتسعين .

وأما الواقدي فإنه قال : قدِم عثمانُ المدينةَ لليلتين بقيتا من شوال
سنة أربع وتسعين .

وقال بعضهم : شَخَصَ عمر بن عبد العزيز عن المدينة معزولاً في
شعبان من سنة ثلاث وتسعين وغزاً فيها ، واستخلف عليها حين شَخَصَ
عنها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري . وقدِم عثمانُ بن
حيان المدينةَ لليلتين بقيتا من شوال .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غزوة العباس بن الوليد أرض الروم ، فقبل : إنه
فتَحَ فيها أنطاكية .

وفيها غزاة - فيما قبل - عبد العزيز بن الوليد أرض الروم حتى بلغ غزاة . ١٢٥٦/٢
وبلغ الوليد بن هشام المعيطي أرض بُرج الحمام ، ويزيد بن أبي كبشة
أرض سورية .

وفيها كانت الرجفة ^(١) بالشام ^(٢) .

وفيها افتتح القاسم بن محمد التقي أرض الهند .

[غزو الشاش وفرغانة]

وفيها غزاة قتيبة شاش وفرغانة حتى بلغ خجندة وكاشان ، مدينتي
فرغانة .

• ذكر الخبر عن غزوة قتيبة هذه :

ذكر علي بن محمد ، أن أبا الفوارس التميمي ، أخبره عن ماهان ويونس
ابن أبي إسحاق ، أن قتيبة غزا سنة أربع وتسعين . فلما قطع النهر فرض على
أهل بخارى وكس ونسف وخوارزم عشرين ألف مقاتل . قال : فساروا
معه إلى السغد ، فوجهوا إلى الشاش ، وتوجه هو إلى فرغانة ، صار حتى أتى
خجندة ، فجمع له أهلها . فلقوه فاقتتلوا مراراً ، كل ذلك يكون الظفر
للمسلمين . ففرغ الناس يوماً فركبوا خيولهم ، فأولئ رجل على نَشْرٍ
فقال : نال ما رأيت كاليوم غرة ، لو كان هيج اليوم ونحن على ما أرى

(١) ب : « الزحفة » .

(٢) ابن الأثير : « وفيها كانت الزلازل بالشام ، ودامت أربعين يوماً ، ضربت البلاد ؛ وكان
علم ذلك في أنطاكية » .

من الانتشار لكانت الفضيحة ، فقال له رجل إلى جنبه : كلا ، نحن كما قال عوف بن الحرير :

نوم البلاد لحب اللقا ولا ننتق طائراً حيث طارا
سنيحاً ولا جارياً بارحاً على كل حال نلاق اليسارا^(١)

وقال سحبان وائل يذكر قتالهم بخجندة :

فسلر الفوارس في خجند لدة تحمت مرهقة العوالي
هل كنت أجمعهم^(٢) إذا هزموا وأقدم في قتال
أم كنت أضرب هامة ال هاتي^(٣) وأصير للعوالي
هذا وأنت قريع قيه يس كلها ضخم النوال
وقضبت قيساً في الندى وأبوك في الحجاج العوالي
ولقد تبين عدل حكا حكا فيهم في كل مال
تست مرومكم ونا غي عزكم غلب الجبال

قال : ثم أتى قتيبة كاشان مدينة فرغانة ، وأتاه الجنود الذين وجههم إلى الشاش وقد فتحوها وحرقوا أكثرها ، وانصرف قتيبة إلى مرو . وكتب الحاج إلى محمد بن القاسم التقي أن وجه من قبلك من أهل العراق إلى قتيبة ، ووجه إليهم جهنم بن زحر بن قيس ، فإنه في أهل العراق خير منه في أهل الشام . وكان محمد واداً لجهنم بن زحر ، فبعث سليمان بن صحنعة وجهنم بن زحر ، فلما ودعه جهنم بكى وقال : يا جهنم ، إنه لكفراف ؛ قال : لا بد منه .

قال : وقدم على قتيبة سنة خمس وتسعين .

* * *

(١) ر : « اليسار » . (٢) ب : « أحيم » . (٣) ب : « الهاتي » .

[ولاية عثمان بن حيان المروى على المدينة]

وفي هذه السنة قدم عثمان بن حيان المروى المدينة والياً عليها من قبل الوليد بن عبد الملك .

* ذكر الخبر عن ولايته :

قد ذكرنا قبل سبب عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن المدينة ومكة وتأثيره على المدينة عثمان بن حيان ، فزعم محمد بن عمران عثمان قدم المدينة أميراً عليها للثلاثين بقيتاً من شوال سنة أربع وتسعين ، فقتل بها دار مروان وهو يقول : حلة والله مطعان ، المغرور من غربك . فاستقضى أبا بكر بن حزم .

قال محمد بن عمر : حدثني محمد بن عبد الله بن أبي حرة ، عن عمه قال : رأيت عثمان بن حيان أخذ رباح بن عبيد الله ومثقالاً العراقى فحبسهم وعاقبهم ، ثم بعث بهم في جوامع إلى الحجاج بن يوسف ، ولم يترك بالمدينة أحداً من أهل العراق تاجراً ولا غير تاجر ، وأمر بهم أن يخرجوا من كل بلد ، فرأيتهم في الجوامع ، وأتبع أهل الأهواء ، وأخذ هيصماً فقطعه ، ومنحوراً . وكان من الخوارج فقال : وصمته بخطب على المنبر يقول بعد حمد الله :

أيها الناس ، إنا وجدناكم أهل غش لأمير المؤمنين في قديم الدهر وحديثه ، وقد صوّى إليكم من يزيدكم خبلاً . أهل العراق هم أهل الشقاق والنفاق ، هم والله عشّ النفاق وبَيْضَتُهُ الَّتِي تَفَلَقَتْ عَنْهُ . والله ما جربتُ عراقياً قط إلا وجدتُ أفضلهم عند نفسه الذي يقول في آل ١٢٠٩/٢

أبي طالب ما يقول ، وما هم لم بشيعة ، وإنهم لأعداء لهم ولغيرهم ، ولكن لما يريد الله من سبقتك دمائهم فإني والله لا أوتى بأحد آوى أحداً منهم ، أو أكره مسزلاً ، ولا أنزله ، إلا هدمتُ منزله ، وأنزلتُ به ما هو أهله . ثم إنّ البلدان لما مصرها عمر بن الخطاب وهو مجتهد على ما يصلح رعيته جعل يمرّ عليه من يريد الجهاد فيستشيره : الشام أحب إليك أم العراق ؟ فيقول : الشام أحب إلي . إني رأيتُ العراق داءً عضالاً ، وبها فرغ الشيطان . والله

لقد أعضلوا^(١) بي، وإلى لأراني سافر قههم في البلدان، ثم أقول: لو فرقهم لأفسلوا من دخلوا عليه يمدك وحججاج، وكيف؟ ولهم؟ وسرعة وجيف في الفتنة، فإذا خبروا عند السيف لم يخبر منهم طائل^(٢). لم يصلحوا على عيان، فلفي منهم الأمرين^(٣)، وكانوا أول الناس فتق هذا الفتق العظيم، ونقصوا عروة عروة الإسلام عروة عروة، وأنزلوا^(٤) البلدان. والله إني لأتقرب إلى الله بكل ما أفعل بهم لما أعرف من رأيهم ومكدهم. ثم ولهم أمير المؤمنين معاوية فلما سمعهم^(٥) فلم يصلحوا عليه، ولهم رجل الناس^(٦) جلدًا فسقط عليهم السيف، وأخافهم، فاستقاموا له أحبا أو كرها، وذلك أنه خببرهم وعرفهم.

أيها الناس، إنا والله ما رأينا شعارا ~~مثل الأمن~~ ولا رأينا حليسا^(٧) قط شرا من الخوفا، فالزموا الطاعة، فإن عصى يا أهل المدينة خيرة من الخيلاف. والله ما أنتم بأصحاب قتال، فكونوا من أحلاس بيوتكم، وعصوا على النواجد، فإني قد بعثت في مجالسكم من يسمع فيلغى عنكم. إنكم في فضول كلام غيره أئزم لكم، فعدوا عيب الولاء، فإن الأمر إنما ينقص شيئا شيئا حتى تكون الفتنة وإن الفتنة من البلاء. والفتن تذهب بالدين وبالمال والوكند.

قال: يقول القاسم بن محمد: صدق في كلامه هذا الأخير، إن الفتنة لهكذا.

قال محمد بن عمر: حدثني خالد بن القاسم، عن سعيد بن عمرو الأنصاري، قال: رأيت منادى عيان بن حيان ينادي عندنا: يا بني أمية بن زيد، برئت ذمة من آوى عيراقيا^(٨) وكان عندنا رجل من أهل البصرة له فضل

(١) عضل به الأمر وأفضل: اشتد. (٢) الطائل والطائلة والطلول: الفضل والقدرة.

(٣) الأمران: الفقر والمهم؛ وما كتبه من اشتداد الأمر.

(٤) أنزلوا: أفسدوا، من نزل الأديم إذا فبه في الدباغ، وأنزل: أفسد.

(٥) دأبهم: راقبهم؛ من الدأبة وهي مثل المناجاة. (٦) رجل الناس: يزيد الحجاج.

(٧) الحلي في الأصل: كساء على ظهر مبر يوضع تحت رجليه؛ والمراد لزوم الثوب.

يقال له أبو سودة، من العبيد - فقال: والله ما أحب أن أدخِل عليكم مكروهاً، بلغوني^(١) ما سمعني؛ قلت: لا خير لك في الخروج، إن الله يدفع عنا وعنك. قال: فأدخلته بيتي، وبلغ عثمان بن حيان فبعثت أحراساً فأخرجته إلى بيت أنسي، فما لَدُّوا على شيء، وكان الذي سمعني في عدوًّا، فقلت للأمير: أصلح الله الأمير! يؤتني بالباطل فلا تعاقب عليه. قال: فضرب الذي سمعني في عشرين سوطاً. وأخبر جُنَّاءُ العراقي، فكان يصلي معنا ما يغيب يوماً واحداً، وحديث عليه أهل دارنا، فقالوا: نموت دونك! فما يبرح حتى عزَّل الحبيث.

قال محمد بن عمر: وحدَّثنا عبدُ الحكيم^(٢) بن عبد الله بن أبي قرة، قال: إنَّما بعث الوليدُ عثمانَ بنَ حيانَ إلى المدينة لإخراج من بها من العِراقِيَّينَ وتفريق أهل الأهواء ومن ظهروا^(٣) عليهم أو علا بأمرهم^(٤)، فلم يبعثه والياً، فكان لا يصعد المنبر ولا يتخطب عليه، فلما فعل في أهل العراق ما فعل وفي مسجون وغيره أثبتته على المدينة، فكان يصعد على المنبر.

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل سعيد بن جبيرة]

وفي هذه السنة قُتِلَ الحجاجُ سعيد بن جبيرة.

* ذكر الخبر عن مقتله :

وكان سبب قتل الحجاج إياه خروجه عيه مع من خرَّج عليه. مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكان الحجاج جعله على عطاء الجند حين وجهه عبد الرحمن إلى رتبيل لقتاله، فلما خلع عبدُ الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلَّعه معه، فلما هُزِمَ عبدُ الرحمن وهرب إلى بلاد رتبيل هرب سعيد.

فحدَّثنا أبو كريب، قال: حدَّثنا أبو بكر بن عياش، قال: كتب الحجاج إلى فلان وكان على أصبهان - وكان سعيد، قال الطبري: أظنه أنه لما هرب

(١) ب : « بلغوني » . (٢) ط : « الحكيم » ، تصحيف

(٣) ب : « ظن » . (٤) ب : « طلب لهم » .

من الحجاج ذهب إلى أصبهان فكتب إليه : إن سعيداً عندك فخذْه .
فجاء الأمر إلى رجل تحرّج ، فأرسل إلى سعيد : تحوّل عني ، فتنحّى عنه ،
فأتى أذربيجان ، فلم يزل بأذربيجان فطال عليه السنون ، واعتَمَرَ
فخرَجَ إلى مكة فأقام بها ، فكان أناس من ضربه يستخفون فلا يُخبرون
بأسمائهم . قال : فقال أبو حصين وهو يحدثنا : هذا : فبكتنا أن فلاناً قد أُمِرَ
على مكة ، فقلت له : يا سعيد ، إن هذا الرجل لا يؤمن ، وهو رجل
سوء ، وأنا أتقيه عليك ، فاطمئن واشخص ، فقال : يا أبا حصين ، قد
والله فررت حتى استحييتُ من الله ! سيحييني ما كتب الله لي . قلتُ :
أظنك والله سعيداً كما سمعتك أمك . قال : فقدِم ذلك الرجل إلى مكة ،
فأرسل فأخِذَ فلان له وكلمه ، فجعل يديره .

١٢٦٢/٧

وذكر أبو عاصم عن عمر بن قيس ، قال : كتب الحجاج إلى
الوليد : إن أهل التفاق والشقاق قد بلحوا إلى مكة ، فإن رأى
أمير المؤمنين أن يأذن لي فيهم ! فكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله القسري ،
فأخذ عطاء وسعيد بن جبير ومجاهد وطلق بن حبيب وعمرو بن دينار ،
فأما عمرو بن دينار وعطاء فأرسلَا لأنهما مكيتان ، وأما الآخرون فبعث بهم
إلى الحجاج ، فمات طلق في الطريق ، وحبس مجاهد حتى مات الحجاج ،
وقُتِلَ سعيد بن جبير .

حدثنا أبو كريب . قال : حدثنا أبو بكر ، قال : حدثنا الأشجعي ،
قال : لما أقبل الحرسيان بسعيد بن جبير فنزل منزلاً قريباً من الريدة ،
فانطلقت أحد الحرسيين في حاجته وبقى الآخر ، فاستيقظ الذي عنده ،
وقد رأى رؤيا ، فقال : يا سعيد ، إني أبرأ إلى الله من ذمك ! إني رأيتُ
في منامي ؛ فقيل لي : ويلك ! تبرأ من دم سعيد بن جبير . اذهب
حيث شئت لا أطلبك أبداً ، فقال سعيد : أرجو العافية وأرجو ، وأبى حتى

١٢٦٣/٧

(١) هو أبو حسين هان بن عاصم ، روى عنه أبو بكر بن عياش ، وانظر الجزء الأول

جاء ذاك، ففترلا من الغد، فأرى مثلها، فقيل: أبرا من دم سعيد.
فقال: يا سعيد، اذهب حيث شئت، إني أبرا إلى الله من دمك، حتى جاء به.
فلما جاء به إلى داره التي كان فيها سعيد وهي دارهم هذه، حدثنا
أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر، قال: حدثنا يزيد بن أبي زياد
مولي بني هاشم قال: دخلت عليه في دار سعيد هذه، فجاء به
مقيداً فدخل عليه قرأه أهل الكوفة. قلت: يا أبا عبد^(١) الله، فحدثكم؟
قال: إني والله وبضحك، وهو يحدثنا، وبنيته له في حجره، فنظرت
نظرة فأبصرت القيد فبكت، فسمعت يقول: أي بني لا تطيرى،
إياك وشقي والله عليه - فاتبعناه نسيه، فاتبعنا به إلى الجسر، فقال
الخرميان: لا نعبه أبداً حتى يعطينا كفيلاً، نخاف أن يغرّق نفسه.
قال: قلنا: سعيد يغرّق نفسه! فما عبروا حتى كفلنا به.

قال وهب بن جرير: حدثنا أبي، قال: سمعت الفضل بن سويد
قال: بعثني الحجاج في حاجة، فجاء بسعيد بن جبير، فرجعت
فقلت: لأنظرن ما يصنع، فقم على رأس الحجاج، فقال له الحجاج: ١٢٦٤/٢
يا سعيد، ألم أشركك في أمانتي! ألم أستعملك! ألم أفعل! حتى ظننت
أنه يخلى سبيله؟ قال: بلى، قال: فما حملك على خروجك علي؟
قال: عزم علي، قال: فطار غضباً وقال: هيه! رأيت لزمة عدو
الرحمن عليك حقاً، ولم تر لله ولا لأمير المؤمنين ولا لي عليك حقاً!
اضربا عنقه، فضربت عنقه، ففكر رأسه عليه كفة بيضاء
لا طية صغيرة.

وحديث عن أبي غسان مالك بن إسماعيل، قال: سمعت خلف بن خليفة
يسكر عن رجل قال: لما قُتل سعيد بن جبير ففكر رأسه لله، هلك ثلاثاً:
مرة يفصح بها، وفي الثنتين يقول. مثل ذلك فلا يفصح بها.
وذكر أبو بكر^(٢) الباهلي، قال: سمعت أنس بن أبي شيخ، يقول: لما

(١) أبو عبد الله كنية يزيد بن أبي زياد. تذيب التذيب.

(٢) ط: «بكراً»، وانظر الفهرس.

أتى الحجاج بسعيد بن جبير ، قال : لعن الله ابن النصرانية - قال : يعنى خالداً القسرى ، وهو الذى أرسل به من مكة - أما كنت أعرف مكانه ! بلى والله والبيت الذى هو فيه بمكة . ثم أقبل عليه فقال : يا سعيد ، ما أخرجك على ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! إنما أنا امرؤ من المسلمين يُخطئ مرةً ويصيب مرةً ، قال : فطابت نفس الحجاج ، وتطلق وجهه ، ورجا أن يتخلص من أمره ، قال : فعاودةً فى شيء ، فقال له : إنما كانت له بيعة فى عنتى ؛ قال : فغضب وانتفخ حتى سقط أحد طرقي رءاه عن منكبيه ، فقال : يا سعيد ، ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير ، ثم أخذت^(١) بيعة أهلها ، وأخذت بيعتك لأمر المؤمنين عبد الملك ! قال : بلى ، قال : ثم قدمت الكوفة والياً على العراق فجددت لأمر المؤمنين البيعة ، فأخذت بيعتك له ثانية ! قال : بلى ؛ قال : فتنبكت^(٢) بيعتين لأمر المؤمنين ، ونفى بواحدة للحالك ابن الحائك ! اضربا عنقه ، قال : فإياه عنى جرير بقوله :

يأربُ ناكثٍ بيعتين تركته وخضابٌ لحيتيه دمُ الأوداج^(٣)

وذكر عتاب بن بشير ، عن سالم الأفتس ، قال : أتى الحجاج بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب ، وقد وضع إحدى رجليه فى الفرز - أو الركاب - فقال : والله لا أركب حتى تسوئ مقعدك من النار ، اضربوا عنقه . فضربت عنقه ، فالتبس مكانه ، فجعل يقول : قيودنا قيودنا ، فظنوا أنه قال : القيود التى على سعيد بن جبير ، فقطعوا رجليه من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود .

قال محمد بن حاتم : حدثنا عبد الملك بن عبد الله عن هلال بن خبّاب^(٤) قال : جرى بسعيد بن جبير إلى الحجاج فقال : أكتبته إلى مصعب ابن الزبير ؟ قال : بلى كتبته إلى مصعب ؛ قال : والله لأقتلنك ؛ قال :

(١) ب : « وأخذت » . (٢) ب : « فنبكت » .
(٣) ديوالة ٩٠ . (٤) ط : « جناب » ، وانظر الفهرس .

إني إذا لسعيد كما سمّني أمي! قال : فقتله ؛ فلم يلبث بعده إلاّ نحواً من أربعين يوماً ، فكان إذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول : يا عدو الله ، لم قتلتني ؟ فيقول : مالي ولسعيد بن جبّير! مالي ولسعيد ابن جبّير!

قال أبو جعفر : وكان يقال لهذه السنة سنة الفُقهاء ، مات فيها عامة فقهاء أهل المدينة ، مات في أولها عليّ بن الحسين عليه السلام ^(١) ، ثم عروة بن الزبير ، ثم سعيد بن المسيّب ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

واستقصى الوليد في هذه السنة بالشام سليمان بن حبيب . واختلف فيمن أقام الحجّ للناس في هذه السنة ، فقال أبو معشر - فيها حدّثني أحمد بن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى عنه - قال : حجّ بالناس مسيلمة بن عبد الملك سنة أربع وتسعين . وقال الواقدي : حجّ بالناس سنة أربع وتسعين عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك - قال : ويقال : مسلّمة بن عبد الملك .

وكان العامل فيها على مكة خالد بن عبد الله القسريّ ، وعلى المدينة عثمان بن حيان المُرّيّ ، وعلى الكوفة زياد بن جرير ، وعلى قضائهما أبو بكر ابن أبي موسى . وعلى البصرة الجراح بن عبد الله . وعلى قضائهما عبد الرحمن ابن أذينة . وعلى خراسان قتيبة بن مسلم ، وعلى مصر قرّة بن شريك ، وكان العراق والمشرق كله إلى الحجاج ^(٢) .

(١) ب : «عليّ بن الحسين بن عليّ صلّى الله عليه» .

(٢) بعده في ب : « بن يوسف » .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

١٢٦٧/٢ ففيها كانت غزوة العباس بن الوليد بن عبد الملك أرض الروم ، ففتح الله على يديه ثلاثة حصون فيما قيل ، وهي : طولس ، والمرزبانين ، وهيرقلة .

وفيهما فتح آخر الهند إلا الكبيرج والمسدك .

وفيهما بُنيّت واسط القصب في شهر رمضان .

وفيهما انصرف موسى بن نصير إلى إفريقية من الأندلس ، وضحى بقصر الماء - فيما قيل - على ميل من القيروان .

[بقية الخبر عن غزو الشاش]

وفيهما غزا قتيبة بن مسلم الشاش .

• ذكر الخبر عن غزوته هذه :

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد ، قال : وبعث الحجاج جيشاً من العراق فقدموا على قتيبة سنة خمس وتسعين ، فغزا ، فلما كان بالشاش - أو بكشهاهن - أتاه موت الحجاج في شوال ، فغمه ذلك ، وقفل راجعاً إلى مرو ، ومثل :

لعمري لنعم المرء من آل جعفر بحوران أمسى أعلقته الجبال^(١)
فإن تخي لا أمل حياتي وإن تمت فما في حياة بعد موتك طائل

قال : فرجع بالناس فقرّهم ، فخلّف في بخارى قوماً ، ووجه قوماً إلى كس ونسف ، ثم أتى مرو فأقام بها ، وأتاه كتاب الوليد : قد عرّف أمير المؤمنين بلاءك وجيّدك^(٢) في جهاد أعداء المسلمين ، وأمير المؤمنين^(٣)

١٢٦٨/٢

(١) الحليّة ، ديوانه ١٠٠ ، وذكروا أنه خرج يريد علقمة بن حلة وهو بحوران ، فات علقمة قبل أن يصل إليه الحليّة ؛ فقال آياتاً منها هذان البيتان . (٢) ب : « وجهادك » .

(٣) ب : « المسلمين » .

رافعك وصانع بك كالذى يجب لك ، فإلم متعازيك ، وانتظر ثواب ربك ، ولا تغيب^(١) عن أمير المؤمنين كتبك ؛ حتى كأني أنظرُ إلى بلادك^(٢) والفر الذي أنت به^(٣) .

* * *

وفيها مات الحجاج بن يوسف في شوال - وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة وقيل : ابن ثلاث وخمسين سنة - وقيل : كانت وفاته في هذه السنة لخمس ليال بقين من شهر رمضان .

وفيها استخلف الحجاج لما حضرته الوفاة على الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج . وكانت إمرأة الحجاج على العراق فيما قال الواقدي عشرين سنة . وفي هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين . وفيها قُتِلَ الرضاحي بأرض الروم ونحو من ألف رجل معه . وفيها - فيما ذكر - ولد المنصور عبد الله بن محمد بن علي .

وفيها ولّى الوليد بن عبد الملك يزيد بن أبي كبشة على الحرب والصلاة بالمصريين^(٤) : الكوفة والبصرة ، وولّى خراجهما يزيد بن أبي مسلم .

وقيل : إن الحجاج كان استخلف حين حضرته الوفاة على حرب البلدين والصلاة بأهلها يزيد بن أبي كبشة ، وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم ، فأقرهما الوليد بعد موت الحجاج على ما كان الحجاج استخلفهما عليه . وكذلك فعل بعمال الحجاج كلهم ، أقرهم بعده على أعمالهم التي كانوا عليها في حياته .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة بشر بن الوليد بن عبد الملك ، حدثني

(١) ب : « قتيب » .

(٢) ب : « بلادك » .

(٣) ب : « فيه » .

(٤) ب : « عل المصريين » .

بذلك أحمدُ بنُ ثابتٍ عَمَّنْ ذكره، عن إسحاقَ بن عيسى ، عن أبي بصير .
وكنلك قال الواقدي .

* * *

وكان عُمالُ الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة
التي قبلها ، إلا ما كان من الكوفة والبصرة ، فإنهما ضُمَّتا إلى مَنْ
ذكرتُ بعد موتِ الخِجَّاج .

ثم دخلت سنة ست وتسعين
ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففيها كانت - فيما قال الواقدي - غزوة يشر بن الوكيل الشامية ،
فقتل وقد مات الوليد .

* * *

[ذكر الخبر عن موت الوليد بن عبد الملك]

وفيها كانت وفاة الوليد بن عبد الملك، يوم السبت في النصف من
جمادى الآخرة سنة ست وتسعين في قول جميع أهل السير .
واختلف في قدر مدة خلافته، فقال الزهري في ذلك - ما حدثت
عن ابن وهب عن يونس عنه : ملك الوليد عشر سنين إلا شهراً .

وقال أبو معشر فيه ، ما حدثني أحمد بن ثابت ، عن ذكره ،
عن إسحاق بن عيسى ، عنه : كانت خلافة الوليد تسع سنين وسبعة أشهر .

وقال هشام بن محمد : كانت ولاية^(١) الوليد ثمان سنين وستة^(٢) أشهر . ١٢٧٠/٢

وقال الواقدي : كانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر وثلثين .
واختلف أيضاً في مبلغ عمره ، فقال محمد بن عمر : توفي بدمشق
وهو ابن ست وأربعين سنة وأشهر .

وقال هشام بن محمد : توفي وهو ابن خمس وأربعين سنة .

وقال علي بن محمد : توفي وهو ابن اثنتين وأربعين سنة وأشهر .

وقال علي : كانت وفاة الوليد بدير مرّان، ودفن خارج باب الصغير .

ويقال : في مقابر القراييس .

ويقال : إنه توفي وهو ابن سبع وأربعين سنة .

وقيل : صلى عليه عمر بن عبد العزيز .

(١) ب : « خلافة » .

(٢) ب : « ثمانية » .

وكان له غيا قال عليّ - تسعة عشر ابنًا: عبدالعزيز، ومحمد، والعباس، وإبراهيم، وتكّام، وخالد، وعبد الرحمن، ومبشر، وسرور، وأبو عبيدة، وصدقة، ومنصور، ومروان، وعنيسة، وعمر، وروح، وبشر، ويزيد، ويحيى؛

أم عبد العزيز ومحمد وأم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان، وأم أبي عبيدة فزارية، وسائرهم لأمهات شتى.

* * *

* ذكر الخبر عن بعض سيره :

حدثني حمزة، قال : حدثني عليّ، قال : كان الوليدُ بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل جلائقهم ، بنى المساجدَ مسجدَ دمشق ومسجدَ المدينة ، ووضعَ المنار ، وأعطى الناسَ ، وأعطى المُجندَ مَن ، وقال : لا تسألوا الناس . وأعطى كلَّ مُتَعَدِّ خادماً ، وكلَّ ضَرِيرٍ قائداً . وفتحَ في ولايته فتوحَ عظام ؛ فتحَ موسى بن نصير الأندلسَ ، وفتحَ قتيبة كاشغرَ ، وفتحَ محمد بن القاسم الهندَ .

قال : وكان الوليدُ يمرُّ بالبقال فيَتَفَيَّ عليه فيأخذ حُرْمةَ البَقْلِ فيقول : بكمْ هذه ؟ فيقول : بفكس ، فيقول : زدْ فيها .

قال : وأتاه رجلٌ من بني غزوم يسأله في دينه ، فقال : نعم ، إن كنت مستحقاً لذلك ، قال : يا أمير المؤمنين ، وكيف لا أكون مستحقاً لذلك مع قرابتي ! قال : أقرأت القرآن ؟ قال : لا ، قال : ادنُ مني ، فداك منه ، فنزعَ عمامته بقضيب كان في يده ، وقرعه قرعات بالقضيب ، وقال لرجل : ضمَّ هذا إليك ، فلا يفارقك حتى يقرأ القرآن ، فقام إليه عثمان ابن يزيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عليّ ديناً ، فقال : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم ، فاستقرأه عشرَ آيات من الأَنْفال ، وعشرَ آيات من براءة ، فقرأ ، فقال : نسعم ، نَقْضِي ^(١) عنكم : ونصبل أرحامكم على هذا .

١٢٧٢/٢

قال : ومَرِضَ الوليدُ فَرَهَقَتْهُ غَشِيَّةٌ ، فَكَثَّ عَامَةً يَوْمَهُ عِنْدَهُمْ مَيْتًا ، فَبُكِيَ عَلَيْهِ ، وَخَرَجَتِ الْبُرْدُ بِمَوْتِهِ ، فَقَدِمَ رَسُولٌ عَلَى الْحِجَاجِ ، فَاسْتَرْجَعَ ، ثُمَّ أَسْرَ بِجَلٍ فُشِدَ فِي يَدَيْهِ ، ثُمَّ أُوتِيَ إِلَى أَسْطَوَانَةٍ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ لَا تَسْلُطْ عَلَى مَنْ لَا رَحْمَةَ لَهُ ، فَقَدْ طَلَمَّا سَأَلْتُكَ أَنْ تَجْعَلَ مَيْتِي قَبْلَ مَيْتِيهِ ! وَجَعَلَ يَدْعُو ، فَإِنَّهُ لَكَذَلِكَ إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِ بِرِيْدٍ يُلَاقِيهِ .

قال علي : ولما أفاق الوليدُ قال : ما أَحَدٌ أَسْرَ بِعَافِيَةِ أميرِ المؤمنين ^(١) من الحِجَاجِ ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَا أَعْظَمَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْنَا بِعَافِيَتِكَ ، وَكَأَنِّي بِكِتَابِ الْحِجَاجِ قَدْ أَتَاكَ يَذْكُرُ فِيهِ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ بِرُؤُوكَ خَرَّ لِلَّهِ سَاجِدًا ، وَأَعْتَقَ كُلَّ مَمْلُوكٍ لَهُ ، وَبَعَثَ بِقَوَارِيرٍ مِنْ أَنْبَإِ الْحِندِ . فَمَا لَبِثَ إِلَّا أَيَّامًا حَتَّى جَاءَ الْكِتَابُ بِمَا قَالَ .

قال : ثُمَّ لَمْ يَمُتِ الْحِجَاجُ حَتَّى تُقْبَلَ عَلَى الْوَلِيدِ ، فَقَالَ خَادِمُ الْوَلِيدِ : إِنِّي لِأَوْضَيْتُ الْوَلِيدَ يَوْمًا لِلْفَدَاءِ ، فَدَنَيْتُهُ ، فَجَعَلْتُ أَصْبَ عَلَيْهِ الْمَاءَ ، وَهُوَ مَا وَالْمَاءَ يَسِيلُ وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَكَلَّمَ ، ثُمَّ نَضَّجَ الْمَاءَ فِي وَجْهِهِ ، وَقَالَ : أَنْاعَسُ أَنْتَ ! وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى وَقَالَ : مَا تَدْرِي مَا جَاءَ اللَّيْلَةَ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : وَنَحَلْتُكَ ! مَاتَ الْحِجَاجُ ! فَاسْتَرْجَعْتُ . قَالَ : اسْكُتْ مَا يُسَرُّ مَوْلَاكَ أَنْ فِي يَدِهِ نَفَاةٌ يَشْتُمُهَا .

قال علي : وَكَانَ الْوَلِيدُ صَاحِبَ بِنَاءٍ وَاتَّخَذَ لِلْمَصَانِعِ وَالضَّبَاعِ ، وَكَانَ النَّاسُ يَلْتَقُونَ فِي زَمَانِهِ ، فَلَمَّا يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنِ الْبِنَاءِ وَالْمَصَانِعِ . فَوَلَّى ١٢٧٢/٢ سُلَيْمَانَ ، فَكَانَ صَاحِبَ نِكَاحٍ وَطَعَامٍ ، فَكَانَ النَّاسُ يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنِ التَّزْوِيجِ وَالْجُودَارِيِّ . فَلَمَّا وَلَّى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانُوا يَلْتَقُونَ فَيَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ : مَا وَزَدَكَ اللَّيْلَةَ ؟ وَكَمْ تَحْفَظُ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ وَمَتَى تَخْتِمُ ؟ وَمَتَى تَخْتَمُتُ ؟ وَمَا تَصُومُ مِنَ الشَّهْرِ ؟ وَرَتَّى جَرِيرَ الْوَلِيدِ فَقَالَ :

يَا عَيْنَ جُودِي يَدْعُمُ هَاجَهُ الذُّكْرُ فَمَا لِدَمْعِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ مُدْخَرٌ ^(٢)

(١) س : « الوليد » .

(٢) ديوانه ٢٩٦ .

إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ وَارَتْ شَمَائِلَهُ غَبْرَاءُ مُلَحَدَةً فِي جُودِهَا زَوْرٌ^(١)
أَصْحَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
كَانُوا جَمِيعاً فَلَمْ يَدْفَعْ مَنِيَّتَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَا رُوحٌ وَلَا عَمْرُ^(٢)

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: حجَّ الوليدُ بنُ عبد الملك، وحجَّ
محمد بنُ يوسفَ من اليمَن ، وحملَ هدايا للوليد ، فقالت أمُّ البنين للوليد :
يا أمير المؤمنين ، اجعلْ لي هديةَ محمد بنِ يوسف ، فأمرَ بصرفها إليها ،
فجاءت رسلُ أمِّ البنين إلى محمد فيها ، فأبى وقال : يَنْظُرُ إليها أميرُ المؤمنين
فيرى رأيه - وكانت هدايا كثيرة - فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنك أمرتَ
بهدايا محمد أن تُصرفَ إلى ، ولا حاجةَ لي بها ، قال : ولِمَ ؟ قالت :
بَلَّغَنِي أَنَّهُ غَضِبَهَا النَّاسَ ، وكلفهم عملها ، وظلمهم . وحملَ محمد
المتاع إلى الوليد ، فقال : بلَّغَنِي أَنَّكَ أَصْبَيْتَهَا غَضَبًا ، قال ، معاذَ الله ! فأمر
فاستحلف بينَ الركنِ والمقام خمسينَ يمينًا بالله ما غَضِبَ شيئًا منها ،
وَلَا ظَلَمَ أَحَدًا ، وَلَا أَصَابَهَا إِلَّا مِنْ طَلَبٍ ، فحلفَ ، فقبلها الوليدُ ودفعها
إلى أمِّ البنين ، فمات محمد بنُ يوسفَ باليمَن ، أصابه داءٌ تَقَطَّعَ مِنْهُ .

١٢٧٤/٢

وفي هذه السنة كان الوليد أرادَ الشخصَ إلى أخيه سليمانَ لخلعه ، وأرادَ
البَيْعَةَ لابنه من بعده ، وذلك قبلَ مَرَضَتِهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا . حدثني عمر ،
قال : حدثنا علي ، قال : كان الوليدُ وسليمانَ وليَّيَ عهد عبد الملك ،
فلما أَقْفَى الأمرُ إلى الوليد ، أرادَ أن يبيعَ لابنه عبد العزيز
ويخلعَ سليمانَ ، فأبى سليمان ، فأراده على أن يجعله له من بعده ، فأبى ،
فعرَّضَ عليه أموالًا كثيرة ، فأبى ، فكَتَبَ إلى عماله أن يبيعوا لعبد العزيز ،

(١) الديوان : « غبراء ملحدة » . وأجول البئر : فواحها . والزور : الاعوجاج .

(٢) بعده في الديوان .

وخالدٌ لو أرادَ الدَّهْرَ فليدتهُ أَغْلَوْا مخاطرةً لو يقبلُ الخطرُ
قد شَفَنِي روعةُ العباسِ من فزعٍ لا أَنَاهُ بليدُ القسطلِ الخبرُ

ودعا الناس إلى ذلك ؛ فلم يجبه أحد إلا الحجاج وقتيبة وخوَّاص من الناس . فقال عبيد بن زياد : إن الناس لا يجيبونك إلى هذا ، ولو أجابوك لم آمنهم على العذر بابتك ، فاكذب إلى سليمان فليقدم عليك ، فإن لك عليه طاعة ، فأرده على البيعة لعبد العزيز من بعده ، فإنه لا يقدر على الامتناع وهو عندك ، فإن أبى كان الناس عليه .

فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم^(١) ، فأبطأ ، فاعتزَم الوليد على المسير إليه وعلى أن يخلعه ، فأمر الناس بالتأهب ، وأمر بجُجره فأخرجت ، فريض ، ومات قبل أن يسير^(٢) وهو يريد ذلك .

قال عمر : قال علي : وأخبرنا أبو عاصم الزبدي عن الهيثم الكلبى ، قال : كنا بالهند مع محمد بن القاسم ، فقتل الله داهراً^(٣) ، وجاءنا كتاب من الحجاج أن اخلعوا سليمان ، فلما ولى سليمان جاءنا كتاب سليمان ، أن ازرعوا واحرثوا ، فلا شأَم لكم ، فلم نزل بتلك البلاد حتى قام عمر بن عبد العزيز فأقفلنا .

قال عمر : قال علي : أراد الوليد أن يبنى مسجد دمشق ، وكانت فيه كنيسة ، فقال الوليد لأصحابه : أقسمت عليكم لما أتاني كل رجل منكم ببلينة ، فجعل كل رجل يأتيه بلينة ، ورجل من أهل العراق يأتيه بلبنتين ، فقال له : ممن أنت ؟ قال : من أهل العراق ؛ قال : يا أهل العراق ، تفرطون في كل شيء حتى في الطاعة ! وهدموا الكنيسة وبناها مسجداً ، فلما ولى عمر بن عبد العزيز شكوا ذلك إليه ، فقيل : إن كل ما كان خارجاً من المدينة افتتج عتوة ، فقال لهم عمر : ردوا عليكم كنيتكم ونهدم كنيسة ثوماً ، فإنها فتحت عتوة ، نبينها مسجداً ، فلما قال لهم ذلك قالوا : بل ندع لكم هذا الذي هدمه الوليد ، ودعوا لنا كنيسة ثوما . ففعل عمر ذلك .

(١) بهما في ب : « عليه » .

(٢) بهما في ب : « إليه » .

(٣) داهر ، ملك مكران .

[فتح قتيبة كاشغر وغزو الصين]

وفي هذه السنة افتتح قتيبة بن مسلم كاشغر ، وغزى الصين .

• ذكر الخبر عن ذلك :

١٢٧٦/٢ رَجَعَ الحديث إلى حديث علي بن محمد بالإستاد الذي ذكرْتُ قبلُ . قال : ثُمَّ غَزَا قُتَيْبَةُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَتَسْعِينَ ، وَحَسَمَ مَعَ النَّاسِ عِيَالَهُمْ وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يُحِيزَ عِيَالَهُ فِي سَمَرْقَنْدَ خَوْفًا مِنْ سُلَيْمَانَ ، فَلَمَّا عَبَرَ النُّهْرَ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ مَوَالِيهِ يُقَالُ لَهُ الْخَوَارِزْمِيُّ عَلَى مَقْطَعِ النُّهْرِ ، وَقَالَ : لَا يُجُوزُنَّ أَحَدٌ إِلَّا بِمُجَاوِزٍ ؛ وَصَفَى إِلَى فَرَّغَانَةَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى شُعْبٍ عَصَامٍ مِنْ يُسْهَلٍ لَهُ الطَّرِيقُ إِلَى كَاشْغَرٍ ، وَهِيَ أَدْنَى مَدَائِنِ الصِّينِ ، فَأَتَاهُ مَوْتُ الْوَلِيدِ وَهُوَ بِفَرَّغَانَةَ .

قال : فَأَخْبَرَنَا أَبُو الذَّيَالِ عَنْ الْمُهَلَّبِ بْنِ إِيَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ إِيَّاسُ بْنُ زُهَيْرٍ : لَمَّا عَبَرَ قُتَيْبَةُ النُّهْرَ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّكَ خَرَجْتَ وَلَمْ أَعْلَمْ رَأَيْتَكَ فِي الْعِيَالِ فَنَاحِلَةُ أَهْبَةِ ذَلِكَ ، وَبَنَى الْأَكَابِرَ مَعِيَ ، وَلِي عِيَالٌ قَدْ خَلَقْتَهُمْ وَأَمْ عَجُوزُهُ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِهِمْ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَكْتُبَ لِي كِتَابًا مَعَ بَعْضِ بَنَى أَوْجَهَةٍ فَيَقْدِمَ عَلَيَّ بِأَهْلِي ! فَكُتِبَ ، فَأَعْطَانِي الْكِتَابَ فَانْتَهَيْتُ إِلَى النُّهْرِ وَصَاحِبِ النُّهْرِ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ ، فَأَلَوَيْتُ بِيَدِي . فَجَاءَ قَوْمٌ فِي سَفِينَةٍ فَقَالُوا : مَنْ أَنْتَ ؟ أَيْنَ بَجَوَازُكَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُمْ ، فَصَعِدَ مَعِيَ قَوْمٌ وَرَدَّ قَوْمٌ السَّفِينَةَ إِلَى الْعَامِلِ ، فَأَخْبَرُوهُ . قَالَ : ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى فَحْمَلُونِ ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ يَأْكُلُونَ وَأَنَا جَائِعٌ ، فَرَمَيْتُ بِنَفْسِي ، فَسَأَلَنِي عَنِ الْأَمْرِ ، وَأَنَا آكِلٌ لَا أَجِيبُهُ ، فَقَالَ : هَذَا أَعْرَابِي قَدْ مَاتَ مِنَ الْجُوعِ ، ثُمَّ رَكِبْتُ فُضِيْتُ فَأَتَيْتُ مُرَوَّ ، فَحَمَلْتُ أُمِّي ، وَرَجَعْتُ أُرِيدُ الْعُسْكَرَ ، وَجَاءَنَا مَوْتُ الْوَلِيدِ ، فَانْصَرَفْتُ إِلَى مُرَوَّ .

وقال : وَأَخْبَرَنَا أَبُو مَخْنَفٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : بَعَثَ قُتَيْبَةُ كَثِيرَ بَنِي فُلَانٍ إِلَى كَاشْغَرٍ ، فَسَبَى مِنْهَا سَبْيًا ، فَخَمَّ أَعْنَاقَهُمْ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى قُتَيْبَةَ ، ثُمَّ رَجَعَ قُتَيْبَةُ وَجَاءَهُ مَوْتُ الْوَلِيدِ .

قال : وَأَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ زَكْرِيَاءَ الْمَسْدَدِيُّ عَنْ أَشْيَاحَ مِنْ أَهْلِ خُرَّاسَانَ

والتحكّم بن عثمان ، قال : حدثني شيخٌ من أهل خُرَاسَانَ . قال : وَغَلَ قتيبةٌ حتى قرب^(١) من الصين . قال : فكَتَبَ إليه ملكُ الصين أنْ يبعثَ إلينا رجلاً من أشرفِ مَنْ مَعَكُمْ يُخبرنا عنكم ، ونُسأله عن دينكم . فانتخبَ قتيبةٌ من عسكره اثني عشر رجلاً - وقال بعضهم : عشرة - من أفتاء القبائل ، لهم جمال وأجسام والسُنُّ وشُعُور وبُأس ، بعد ما سأل عنهم فوجدتهم من صالح مَنْ هم منه . فكلّتهم قتيبةً ، وقاطنتهم فرأى عقولاً وجمالاً ، فأمرهم بعدة حسنة من السلاح والمتاع الجيد من الخنزِرِ والوشى واللبن من البياض والرقيق^(٢) والنعال^(٣) والعطر ، وحملتهم على خيول مطهّمة تُقادُ معهم ، ودوابٌ يركبونها^(٤) . قال : وكان هُبيرة بن المشترج الكلابي مفوهاً بسيط اللسان ، فقال : يا هُبيرة ، كيف أنتَ صانع ؟ قال : أصلى الله الأمير ! قد كُفيت الأدبَ وقلَّ ما شئتَ أَقلُّه . وأخذ به ، قال : سيروا على بركة الله ، وبالله التوفيق . لا تَضَعُوا العمامَ عنكم حتى تقدّموا البلادَ ، فإذا دخلتمْ عليه فأعلموه أني قد حلفتُ ألا أنصرفَ حتى أطا بلادهم ، وأختمَ ملوكهم ، وأجني خراجهم .

قال : فساروا ، وعليهم هُبيرة بن المشترج ، فلما قدّموا أُرسلَ إليهم ملكُ الصين يدعوهم ، فدَخَلُوا الحمام ، ثمَّ خرجوا فلبسوا ثياباً بيضاً^(٥) نَحَتْها الفُلاثل ، ثمَّ مَسَوْا الغالية ، وتَدَخَّنُوا^(٦) . ولبسوا النعال والأردية ، ودخلوا عليه وعنده عظماءُ أهل مملكته ، فجلسوا ، فلم يكلمهم الملك ولا أحدٌ من جلسائه فَنَهَضُوا ، فقال الملكُ لمن حَضَرَه : كيف رأيتمْ هؤلاء ؟ قالوا : رأينا قوماً ما هُمُ إلا نساء : ما بقي منا أحدٌ حين رأهم ووجد راحتهم إلا انتشر ما عنده .

قال : فلما كان الغد أُرسلَ إليهم فلبسوا الوشيَ وعمائمَ الخنزِرِ والمطارف ، وغدوا عليه ، فلما دخلوا عليه قبل لهم : ارجعوا ، فقال لأصحابه : كيف

(١) ب : « بلغ قرب » . (٢) ب : « الرقاق » .

(٣) ب : « والبغال » . (٤) ب : « يربطونها » .

(٥) في اللسان : « الدخنة : بخور يدخن به الثياب أو البيت ، وقد تدخن بها ودخن غيره » .

(٦) ط : « يباغوا » .

رَأَيْتُمْ هَذِهِ الْهَيْئَةَ ؟ قَالُوا : هَذِهِ الْهَيْئَةُ أَشْبَهَتْ بَيْتَةَ الرِّجَالِ مِنْ تِلْكَ الْأَوَّلَى ، وَهِيَ أَوْلَتْكَ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَشَدَّوْا عَلَيْهِمْ سِلَاحَهُمْ ، وَلَبَسُوا الْبَيْضَ وَالْمَخَافِرَ ، وَتَقَلَّدُوا السِّیُوفَ ، وَأَخَذُوا الرِّمَاحَ ، وَتَنَكَّبُوا الْقِسِيَّ ، وَرَكِبُوا خَيْولَهُمْ ، وَغَدَوْا فَتَنَظَّرَ إِلَيْهِمْ صَاحِبُ الصِّينِ فَرَأَى أَمْثَالَ الْجِيَالِ مُقْبِلَةً ، فَلَمَّا دَنَوْا رَكَزُوا رِمَاحَهُمْ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا نَحْوَهُمْ مُشْتَرِينَ ، فَقَبِلَ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا : ارْجِعُوا ، لِمَا دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْ خَوْفِهِمْ .

قال : فَانصَرَفُوا فَرَكِبُوا خَيْولَهُمْ ، وَاخْتَلَعُوا رِمَاحَهُمْ ، ثُمَّ دَفَعُوا خَيْولَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَتَطَارَدُونَ بِهَا ، فَقَالَ الْمَلِكُ لِأَصْحَابِهِ : كَيْفَ تَرَوْنَهُمْ ؟ قَالُوا : مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَؤُلَاءِ قَطُّ ، فَلَمَّا أَمْسَى أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْمَلِكُ ، أَنْ ابْعَثُوا إِلَى زَعِيمِكُمْ وَأَقْضِلْكُمْ رَجُلًا ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ هَبِيرَةَ ، فَقَالَ لَهُ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ : قَدْ رَأَيْتُمْ عَظِيمَ مُلْكِي ، وَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَمْنَعُكَ مِنِّي ، وَأَنْتُمْ فِي بِلَادِي ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ بِمَنْزِلَةِ الْبَيْضَةِ فِي كَثْفِي . وَأَنَا سَائِلُكَ ^(١) عَنْ أَمْرِ فُلَانٍ لَمْ تَصْلُقْنِي ^(٢) قَتَلْتُكُمْ . قال : سَلِّ : قَالَ : لِمَ صَنَعْتَ مَا صَنَعْتَ مِنَ الزَّيِّ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَالثَّلَاثِ ؟ قال : أَمَا زَيْنَةُ الْأَوَّلِ فَلَبِاسُنَا فِي أَهَالِنَا ^(٣) وَرَبِحْنَا عَنْدَهُمْ ، وَأَمَا يَوْمُنَا الثَّانِي فَلِإِذَا أَتَيْنَا أَمْرَأَتَنَا ، وَأَمَا الْيَوْمُ الثَّلَاثُ فَزَيْنَةُ لَعَدَوْنَا ، فَلِإِذَا هَاجَسْنَا هَيْجَ وَفَزَعٍ ^(٤)

كُنَّا هَكَذَا . قال : مَا أَحْسَنَ مَا دَبَّرْتُمْ دَهْرَكُمْ ! فَانصَرَفُوا إِلَى صَاحِبِهِمْ فَقُولُوا لَهُ : يَنْصَرِفُ ، فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ حِرْصَهُ وَقِلَّةَ أَصْحَابِهِ ، وَإِلَّا بَعَثْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ يَهْلِكُكُمْ وَيُهْلِكُهُ ، قَالَ لَهُ : كَيْفَ يَكُونُ قَلِيلُ الْأَصْحَابِ مِنْ أَوَّلِ خِيَلِهِ فِي بِلَادِكَ وَآخِرِهَا فِي مَنَابِتِ الزَّيْتُونِ ! وَكَيْفَ يَكُونُ حَرِيصًا مِنْ خَلْفِ الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَيْهَا وَغَيْرَكَ ! وَأَمَا تَخْوِيفُكَ إِيَّانَا بِالْقَتْلِ فَإِنَّ لَنَا آجَالًا إِذَا حَضَرَتْ فَأَكْرَمَهَا الْقَتْلُ ، فَلَسْنَا نَكْرَهُهُ وَلَا نَخَافُهُ ، قَالَ : فَمَا الَّذِي يُرْضِي صَاحِبَكُمْ ؟ قَالَ : إِنَّهُ قَدْ حَلَفَ أَلَّا يَنْصَرِفَ حَتَّى يَطَأَ أَرْضَكُمْ ، وَيَخْتُمَ مَلُوكَكُمْ ، وَيُعْطَى الْجِزْيَةَ : قَالَ : فَإِنَّا نَخْرُجُهُ مِنْ بَيْتِهِ ، نَبْعَثُ إِلَيْهِ

١٢٧٩/٢

(١) ب : أَرَأَيْتُمْ .

(٢) ب : تَصْلُقْنِي .

(٣) ب : أَهْلَانَا .

(٤) ب : أَوْ فَزَعٍ .

بتراب من تراب أرضنا فيطوهُ ، ونَبِثَ ببعض أبنائنا فيختهم ، ونَبِثَ إليه
 بجزية يرضاها . قال : فدعا بصِحف من ذهب فيها تُرابٌ ، وبِثَ بحريز
 وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ، ثم أجازهم فأحسنَ جِوارِهم ،
 فساروا فقدموا بما بَعثَ به ، فقبِلَ قتيبةُ الجزيةَ ، وختمَ الغِلْمةَ ورددَهم ،
 ووطئَ الترابَ ، فقال سودةُ بنُ عبد الله السَّلُولُ :

لا عَيْبَ في الْوَفْدِ الَّذِينَ يَبْعَثُهُمْ للصين إن سلكوا طريقَ الْمَنْهَجِ
 كسروا الجفونَ على القذَى خوفَ الرَّدَى حاشا الكريمِ هُبَيْرَةَ بنَ مُشْمَرَجٍ
 لَمْ يَرْضَ غَيْرَ الْحَتَمِ في أعناقِهِمْ ورهائنِ دُفَعَتْ بِحَمْلِ سَمَرَجٍ
 أدَّى رسالتَكَ التي استرعىَتْهُ وأتاك من حِنْثِ اليمينِ بمخرجِ ١٧٨٠/٢
 قال : فأوفدَ قتيبةُ هُبَيْرَةَ إلى الوليدِ ، فاتَ بقريةَ^(١) من فارسَ ، فترَّاه
 سودةً ، فقال :

للهِ قَبْرُ هُبَيْرَةَ بنِ مُشْمَرَجٍ ماذا تَضْمَنَ من نَدَى وَجَمَالِ !
 وبديهةً يَعيَا بها أبنائُها عندَ احتفالِ مَشَاهِدِ الْأَقْوَالِ
 كانَ الرِّبِيعَ إِذَا السَّنُونُ تَتَابَعَتْ والليثَ عندَ تَكْعَمِ الْأَبْطَالِ
 فَسَقَتْ بِقَرْبَةٍ حَيْثُ أَمْسَى قَبْرُهُ غُرٌّ يَرْحَنَ بِمَسِيلِ هَطَالِ
 بَكَتِ الْجِيَادُ الصَّافِنَاتُ لَفَقْدِهِ وَيَكَاهِ كُلُّ مُثْقَفٍ عَسَالِ
 وبكتهُ شُعْتُ لَمْ يَجِدَنَّ مُوَابِيَاً في العامِ ذِي السَّنَوَاتِ وَالْإِمْحَالِ
 قال : وقال الباهليُّون : كانَ قتيبةُ إِذَا رَجَعَ من غَزَاتِهِ كُلِّ سَنَةٍ اشْتَرَى
 اثْنَيْ عَشَرَ فَرَساً من جِيَادِ الْخَيْلِ ، واثْنَيْ عَشَرَ هَجِيئاً . لَا يُجَاوِزُ بِالْفَرَسِ أَرْبَعَةَ
 آلَافٍ ، فيقامُ عليها إلى وقتِ الْغَزْوِ ، فإذا تَأَهَّبَ لِلْغَزْوِ وَعَسَكَرَ قَبِلَتْ
 وَأَضْمِرَتْ ، فلا يَقْطَعُ نَهراً بِخَيْلٍ حَتَّى تَخْفَ لُحُومُهَا ، فيَحْمِلُ عليها
 من يَحْمِلُهُ في الطَّلَاحِ . وكانَ يبعثُ في الطَّلَاحِ الْقُرْصَانِ من الْأَشْرَافِ ،
 ويبعثُ معهم رجلاً من الْعَجَمِ مَنْ يَسْتَنْصِحُ على تِلْكَ الْمَجْعُنِ ، وكانَ إِذَا بَعَثَ

(١) قرية : اسم موضع .

بطليحة^(١) أمر بلروح فتعش ، ثم يشقه شقتين فأعطاه شقة ، واحتبس
شقة ، لئلا يمثل مثلها ، ويأمره أن يلدنها في موضع يصفه له من^(٢) غصاة
معرفة ، أو تحت شجرة معلومة ، أو خربة ، ثم يبعث بعده من يستبريها
ليعلم أصادق في طليعته أم لا .
وقال ثابت قطنة العتكي يذكر من قُتِل من ملوك الترك :

أقرَّ العَيْنَ مقتلُ كارزنكٍ وكشبيز وما لاقى بيار
وقال الكميت يذكر غزوة السغد وخوارزم :

وبعد في غزوة كانت مباركة	تردى زراعة أقوام وتحصيد
نالت غمامتها فيلاً بوابلها	والسغد حين دنا شوبوبها البرد
إذ لا يزال له نهب ينقله	من المقاصم لا وخش ولا نكد
نلك الفتوح التي تدل بحجتها	على الخليفة إنا معشر حشد
لم تشن وجهك عن قوم غزونهم	حتى يقال لهم : بعداً وقد بعدوا
لم ترض من حصنهم إن كان ممتنعاً	حتى يكبر فيه الواحد الصمد

(١) ب : « طليحة » .

(٢) ب : « في » .

خلافة سليمان بن عبد الملك

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة بُويع سليمان بن عبد الملك بالخلافة ، وذلك في اليوم الذي تُوُفِّي فيه الوليد بن عبد الملك ، وهو بالرَّملة .

وفيها عَزَلَ سليمان بن عبد الملك عثمان بن حيان عن المدينة ، ذكره محمد بن عمر ، أنه نَزَعَه عن المدينة لسبع بقين من شهر رمضان سنة ست (١) ١٢٨٢/٢ وتسعين .

قال : وكان عمله على المدينة ثلاث سنين . وقيل : كانت إمرته عليها سنتين غير سبع (٢) ليال .

قال الواقدي : وكان أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قد استأذن عثمان أن ينام في غد ، ولا يجلس للناس ليقوم ليلة إحدى وعشرين ، فأذن له . وكان أيوب بن سلمة الخزوي عنده ، وكان الذي بين أيوب بن سلمة وبين أبي بكر بن عمرو بن حزم سيثًا ، فقال أيوب لعثمان : ألم تر إلى ما يقول هذا ؟ إنما هذا منه رثاء ، فقال عثمان : قد رأيت ذلك ، ولست لأبي إن أرسلت إليه غداة ولم أجده جالسًا لأجلدنه مائة ، ولأحلقن رأسه ولحيته .

قال أيوب : فجاءني أمر أحبه ، فتعجبت من السحر ، فإذا شَمْعَةٌ في الدار ، فقلت : عجيب المرئى ، فإذا رسول سليمان قد قدم على أبي بكر بتأميره وعزله عثمان وحده .

قال أيوب : فدخلت دار الإمارة ، فإذا ابن حيان جالس ، وإذا بأبي بكر على كرمي يقول للحداد : اضرب في رجل هذا التكديد ، ونظر إلى عثمان فقال (٣) :

أبو على أدبارهم كُشِفَا والأمر يحدث بعده الأمر

(١) ب : « في سنة » .

(٢) ط : « سبعة » ، والصواب ما أثبت من ب .

(٣) بعدها في ب : « مثلاً » .

وفي هذه السنة عزّل سليمانُ يزيدَ بنَ أبي مسلم عن العراق ، وأمر عليه يزيدَ بنَ المهلب ، وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج ، وأمره أن يقتل آل أبي عقيل ويَسْطُ عليهم العذاب . فحدثني عمرُ بن شُبّة ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : قدّم صالح العراق على الخراج ، ويزيدُ على الخرب ، فبعث يزيدُ زيادَ بنَ المهلب على عُمان ، وقال له : كاتبٌ صالحاً ، وإذا كتبتَ إليه فابدأ بأصمه ، وأخذ صالح آلَ أبي عقيل فكان يُعَذِّبهم ، وكان يلي عذابهم عبدُ الملك بن المهلب .

[خير مقتل قتيبة بن مسلم]

وفي هذه السنة قُتِلَ قتيبة بنُ مسلمٍ بخراسان .

• ذكر الخبر عن سبب مقتله :

وكان سبب ذلك أن الوليد بن عبد الملك أراد أن يحصل ابنته عبد العزيز ابن الوليد وليّ عهده ، ودسّ في ذلك إلى القواد والشعراء ، فقال جرير في ذلك :

إذا قيلَ أَىّ الناسِ خيرٌ خليفة؟ أشارت إلى عبد العزيز الأصابع^(١)
رأوه أحقّ الناسِ كلُّهم بها وما ظلّموا ، فبايعوه وسارِعُوا^(٢)

وقال أيضاً جرير يحضّ الوليد على ببيعة عبد العزيز :

إلى عبد العزيز سَمَتَ عيُنُ السرِّ عِيَّةٌ إذ تَحِيرَتِ الرُّعَاءُ^(٣)
إليه دَعَتْ دَوَاعِيهِ إذا مَا عِمَادُ الْمُلْكِ خَرَّتِ وَالسَّمَاءُ
وقال أولو الحكومة من قُرَيْشٍ علينا البيعُ إن بلغ الغلاء^(٤)

(١) ديوانه ٣٥٧ .

(٢) ب : « إذ بايعوه وسارِعُوا » ، ر : « فبايعوه وسارِعُوا » .

(٣) ديوانه ٩ .

(٤) الديوان : « إذ بلغ الغلاء » .

رَأَوْا عَبْدَ الْعَزِيزِ وَلَّى عَهْدٍ وما ظلموا بذلك ولا آسأوا
فماذا تنظرونَ بها وفيكم جُسُورٌ بالعظائم واعتلاهُ !
فَرَحْلِفَهَا بِأَزْمَلِهَا إِلَيْهِ أمير المؤمنين إذا تشاء^(١)
فإنَّ النَّاسَ قد مَدُّوا إِلَيْهِ أَكْهَمُهُمْ وقد بَرَحَ الْخَفَاءُ
ولو قد بَايَعوكَ وَلَّى عَهْدٍ لِقَامِ الْوِزْنِ واعتدلَ الْبِنَاءُ^(٢) ١٢٨٤/٢

فبَايَعَهُ عَلَى خَلْعِ سُلَيْمَانَ الْحِجَاجُ بْنُ يُوْسُفَ وَقْتِيَّةَ ، ثُمَّ هَلَكَ الْوَلِيدُ
وَقَامَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَخَافَهُ قَتِيَّةُ .

قال علي بن محمد : أَخْبَرَنَا بِشْرُ بْنُ عَمِيٍّ وَالْحَسَنُ بْنُ رُشَيْدٍ وَكُتَيْبُ
ابن خَلْفٍ ، عَنْ طُقَيْلِ بْنِ مِرْدَاسٍ ، وَجَبَلَةَ بْنِ قَرْوَخٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَزِيزِ
الْكِنْدِيِّ ، وَجَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَادٍ^(٣) ، وَسَلَمَةَ بْنِ مَحَارِبٍ ، عَنْ السَّكِينِ بْنِ قَتَادَةَ ؛
أَنَّ قَتِيَّةَ لما أَمَّاهُ مَوْتُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقِيَامُ سُلَيْمَانَ ، أَشْفَقَتْ مِنْ سُلَيْمَانَ
لأنَّهُ كَانَ يَسْمَى فِي بَيْتِهِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ الْوَلِيدِ مَعَ الْحِجَاجِ ، وَخَافَ أَنْ
يَوَلِّيَ سُلَيْمَانُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ خُرَّاسَانَ . قَالَ : فَكُتِبَ إِلَيْهِ كِتَابًا يُهَنِّتُهُ
بِالْخُلَافَةِ ، وَيَعِزُّهُ عَلَى الْوَلِيدِ ، وَيُعَلِّمُهُ بِلَاةٍ وَطَاعَتِهِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ وَالْوَلِيدِ ،
وَأَنَّهُ لَهُ عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ لَهَا عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ إِنْ لَمْ يَحْزَلْهُ عَنْ
خُرَّاسَانَ . وَكُتِبَ إِلَيْهِ كِتَابًا آخَرَ يُعَلِّمُهُ فِيهِ فَتُوْحَهُ وَنِيكَايَتَهُ وَعَظَمَ
قُدْرَهُ عِنْدَ مُلُوكِ الْعَجَمِ ، وَهَيْبَتَهُ فِي صُلُوحِهِمْ ، وَعَظَمَ صَوْتَهُ فِيهِمْ ، وَبَذَمَ^{١٢٨٥/٢}
الْمُهَلَّبَ وَآلَ الْمُهَلَّبِ ، وَيَخْلِفُ بِاللَّهِ لَنْ اسْتَعْمَلَ يَزِيدَ عَلَى خُرَّاسَانَ لِيُخْلَعَنَّهُ .
وَكُتِبَ كِتَابًا ثَالِثًا فِيهِ خَلْعُهُ ، وَبُعِثَ بِالْكَتُبِ الثَّلَاثَةِ مَعَ رَجُلٍ مِنْ بَاهِلَةَ^(٤) ،
وَقَالَ لَهُ : ادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ ، فَإِنْ كَانَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ حَاضِرًا ، فَقَرَأْهُ
ثُمَّ أَمَّاهُ إِلَيْهِ ، فَادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ ، فَإِنْ قَرَأَهُ وَأَمَّاهُ إِلَى يَزِيدَ فَادْفَعْ
إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ ، فَإِنْ قَرَأَ الْأَوَّلَ وَلَمْ يَدْغُهُ إِلَى يَزِيدَ فَاحْتَبِسِ الْكِتَابَيْنِ
الْآخَرَيْنِ .

(١) زلحقها إليه ، أي ادفعها . قوله : • باتقيلها • ، أي بأجسها .

(٢) البديان : وقام القسط . (٣) ط : مخراده ، تحريف . (٤) ب : وأعلمه .

قال : قدّم رسول قتيبة فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب ، فدفّع إليه الكتاب ، فقرأه ، ثم ألقاه لى يزيد ، فدفّع إليه كتاباً آخر فقرأه ، ثم رمى به إلى يزيد ، فأعطاه الكتاب الثالث ، فقرأه فتمعر لونه ^(١) ، ثم دعا بطين فخته ثم أمسكه بيده .

وأما أبو عبيدة سمع بن المثنى ، فإنه قال — فيما حدثت عنه : كان فى الكتاب الأوّل وقية فى يزيد بن المهلب ، وذكر غدره وكفره وقلة شكره ، وكان فى الثانى ثناء على يزيد ، وفى الثالث : لئن لم تُقرّنى على ما كنتُ عليه وتؤمّننى لأخلعنك خلع النمل ، ولأملأنها عليك خيلاً ورجالاً . وقال أيضاً لما قرأ سليمان الكتاب الثالث وضعته بين مثالبين من المثّل الى تحته ولم يحِ فى ذلك مرجوعاً .

رجع الحديث إلى حديث على بن محمد . قال : ثم أمر — يعنى سليمان — برسول قتيبة أن يُترّل ، فحوّل إلى دار الضيافة ، فلما أمسى دعا به سليمان ، فأعطاه صرة فيها دنانير ، فقال : هذه جائزتك ، وهذا عهدٌ صاحبك على خراسان فسرّ ، وهذا رسولى معك بعهدك . قال : فخرج الباهل ، وبعث معه سليمان رجلاً من عبد القيس ، ثم أحد بنى ليث يقال له صعصعة — أو مصعب — فلما كان بجلوان تلقاهم الناسُ بخلع قتيبة ، فرجع العبدى ، ودفع العهد إلى رسول قتيبة ، وقد خلع ؛ واضطرب الأمر ، فدفّع إليه عهدك ، فاستشار إخوته ، فقالوا : لا يتّى بك سليمان بعد هذا .

١٢٨٦/٢

قال على : وحدّثنى بعضُ العنبريين ، عن أشياخ منهم ، أن توبة ابن أبى أسيد العنبرى ، قال : قدّم صالح العراق ، فوجهنى إلى قتيبة ليطلعنى ^(٢) طلع ما فى يده . فصحبته رجل من بنى أسد ، فسألنى عما خرجتُ فيه ، فكأتمته أمرى ، فإذا لنسير إذ سنح لنا سانع ، فنظر لى رفيق

(١) تمعر لونه ، أى تغيّر .

(٢) ب : لطلع .

فقال : أراك في أمر جسم وأنت تكتمني ! فضيتُ ، فلما كنت بحلوان تلقاني الناسُ بقتل قتيبة .

قال عليّ : وذكر أبو الذّبال وكُليب بن خُلف وأبو عليّ الجوزجانيّ عن طُعيل بن مِرْداس ، وأبو الحسن الجشميّ ومصعب بن حيّان ^(١) عن أخيه مقاتل بن حيّان ، وأبو مخنف وغيرهم ، أن قتيبة لما همّ بالخلع استشار إخوانه ، فقال له عبدالرحمن : اقطع بعثاً فوجه فيه كلّ من تخافه ، وجهه قوماً إلى مَرو ، ومِرّ حتى تنزل سَمَرْقَنْد ، ثم قل لمن معك : مَن أحبّ المقامَ فله المِواصة ، ومن أراد الانصرافَ فغير مستكره ولا متبوع بسوء ، فلا يقيم معك إلا مناصح . وقال له عبد الله : اخلعه مكانك ، وادع الناس إلى خطبه . فليس يختلف عليك رجلان . فأخذ برأى عبد الله ، فخلع سليمان ، ودعا الناس إلى خُلقه ، فقال للناس :

إني قد جمعتكم من عين التمر وفيض البحر فضمت الأخ إلى أخيه ، والولد إلى أبيه ، وقسمتُ بينكم فينكم ، وأجريت عليكم أعطياتكم غير مكذّرة ولا مؤخّرة ، وقد جرتُم الولاة قبلي ؛ أناكم أمية ^(٢) فكتب إلى أمير المؤمنين إن خراج خراسان لا يقوم ^(٣) بمطبخي ، ثم جاءكم أبو سعيد ^(٤) فلوّم بكم ^(٥) ثلاث سنين لا تدرون أفي طاعة أنتم أم في معصية ! لم يحبّ فينّاً ، ولم يشكّاً عدواً ، ثم جاءكم بنوه بعده ؛ يزيد ، فحلّ تبارى إليه النساء ، وإنما خطيفتكم يزيد بن ثروان هبّنة القيس ^(٦) .

قال : فلم يُجبه أحد ، ففَضِب فقال : لا أعزّ الله من نصرتم ، والله لو اجتمعتم على عتْز ما كسرتُم قرنّها ، يا أهل السافلة - ولا أقول أهل العالية - يا أوباش الصّدقة ، جمعتكم كما تُجمع إبلُ الصّدقة من كلّ أوب . يا معشر بكر بن وائل ، يا أهل التّفخ والكذب والبُخل ، بأى

(١) ط : « حيّان » ، تحريف . (٢) أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن

أبي العاص بن أمية ، عامل عبد الملك على خراسان حتى سنة ٧٨ . (٣) ط : « لا يقيم » ،

وقى البيان : « لو كان في مطبخه لم يكفه » . (٤) أبو سعيد كنية المهلب بن أبي صفرة .

(٥) ب : « فرزم فيكم » .

(٦) هو يزيد بن ثروان بن هبنة ذو الودعات القيس ، المصروب به الخيل في الحق .

يوميكم تفخرون ؟ بيوم حربكم ، أو بيوم سلمكم ! فوالله لأنا أعز منكم . يا أصحاب مُسَيْلَمَة ، يا بني تميم - ولا أقول تميم - يا أهل الخَوَر ^(١) والقصيف والغدر ، كنتم تسمون الغدر في الجاهلية كَيْسَان ^(٢) . يا أصحاب سَجَّاح ، يا معشر عبد القيس القساة ، تبدلتم بأبئر النحل ^(٣) أعتة الخيل . يا معشر الأزد ، تبدلتم بقلُوس ^(٤) السفن أعتة الخيل الحصن ^(٥) ؛ إن هذا لبدعة في الإسلام ! والأعراب ، وما الأعراب ! لعنة الله على الأعراب ! يا كناسة المصرين ، جمعتم من منابت الشيخ والقيصوم ومنابت القليل ^(٦) ، تركبون البقر والحمر في جزيرة ابن كاوآن ، حتى إذا جمعتمكم كما تجتمع قزح الخريف ^(٧) قلنتم كيت وكيت ! أما والله إني لأبني أبيه ! وأخو أخيه ، أما والله لأعصبنكم عصب السلثة . إن حول الصليان الزمزمة ^(٨) . يا أهل خُراسان ، هل تدرون من وليكم ؟ وليكم يزيد بن تروان . كافي بأمر مزجاء ^(٩) ، وحكمكم قد بجاءكم فغلبيكم على فيثكم وأظلالكم . إن ها هنا نارا أرموها أرم معكم ، أرموا غرضكم الأقصى . قد استخلف عليكم أبو نافع ذو الردعات . إن الشام أب مبرور ، وإن العراق أب مكفور . حتى متى يتطلع ^(١٠) أهل الشام بأفنيستكم وظلال دياركم ! يا أهل خُراسان ، انصبوني تجلوني عراق الأم ، عراق الأب ، عراق المولد ، عراق الهوى والرأي والدين ^(١١) ، وقد أصبحتم اليوم فبا ترون من الأمن والعافية قد فتَح الله لكم البلاد ، وآمن سبلُكم ، فالظعينة تخرج من مرو إلى بلخ بغير جواز

- (١) ب : « الجور » . (٢) البيان : « وأما هذا الحى من تميم ، فإنهم كانوا يسمون الغدر كيسان » . (٣) أبئر النحل : إصلاحه ، وفي ب : « تأبير » . (٤) القلوس : جمع قلس ؛ وهو حبل شتم من ليف أو غصن أو غيرها من قلوس سفن البحر . (٥) الحصن : جمع حصان . (٦) الشيخ والقيصوم والقليل ، من منابت البادية . (٧) ط : « قزح » تحريف : والقزح : كل شيء يكون قطعاً متفرقة ؛ ومنه قطع السحاب . (٨) الصليان : ثوب من أفضل المربي ، يخل الخيل لئلا تتأرق الحى . والززينة ، ينسج صوت القيس إذا رآه ؛ وهو مثل يضرب الرجل يغم لثوته . قال الميداني ١ : ٢٠٦ : « ويروى : حبل الصليان الززينة » ؛ جمع صليب ، والززينة : صوت عابدها ؛ يضرب لمن يحوم حول الشيء لا يظهر مرأه . (٩) مزجاء المعلى ، لى كثير الإزجاء لها ، زجاءها وأزجاءها : ساقها . (١٠) س : « يتطلع » . (١١) ب : « للرأي والمهى » .

فاحملوا الله على النعمة ، وسكوه الشكر والمزيد^(١) .

قال : ثم نزل فدخل منزله ، فأناه أهل بيته فقالوا : ما رأينا كالיום قط ، والله ما اقتصرت على أهل العالية وهم شعارك وديارك ، حتى تناولت بكراً وهم أنصارك ، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت نجيماً وهم إخوانك ، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت الأزد وهم يملك ! . فقال : لما تكلمت فلم يجئني أحد غضبت ، فلم أدري ما قلت ؛ إن أهل العالية كليل الصدقة قد جمعت من كل أوب ، وأما بكراً فإنها أمة لا تمنح يد لأميس ، وأما نعيم فجمعت أجرب ، وأما عبد القيس فما يضرب العير بذنبه ، وأما الأزد فأعلاج ، شرار من خلقت الله ، لو ملكت أمرهم لومعتهم .

قال : فغضب الناس وكبرها خلع سليمان ، وغضبت القبائل من شتم قتيبة ، فأجمعوا على خلافه وخلعه ، وكان أول من تكلم في ذلك الأزد ، فأتوا حصين بن المنذر فقالوا : إن هذا قد دعا إلى ما دعا إليه من خلع الخليفة ، وفيه فساد الدين والدنيا ، ثم لم يرض بذلك حتى قصر بنا وشتمنا ، فما ترى يا أبا حفص ؟ وكان يكسني في الحرب بأبي ساسان ، ويقال : كسنيته أبو محمد — فقال لهم : حصين : مضرب بخراسان تعدل هذه الثلاثة الأخماس ؛ ونيهم أكثر الخمسين ، وهم فرسان خراسان ، ولا يرضون أن يصير الأمر في غير مضرب ، فإن أخرجهتم من الأمر أعانوا قتيبة ؛ قالوا : إنه قد وتر بني نعيم بقتل ابن الأهم ، قال : لا تنظروا إلى هذا فإنهم يتعصبون للمضربة ، فانصرفوا رادين لرأي حصين ، فأرادوا أن يولوا عبد الله بن حوذان الجهنمسي ، فأبى ، وتداقعوها ، فرجعوا إلى حصين ، فقالوا : قد تلافعنا الرئاسة ، فنحن نوليكم أمرنا ، وربيعة لا تخالفك ، قال : لا ناقة لي في هذا ولا جمل ؛ قالوا : ما ترى ؟ قال : إن جعلتم هذه الرئاسة في نعيم ثم أمركم ، قالوا : فمن ترى من نعيم ؟ قال : ما أرى أحداً غير وكيع ، فقال حيّان مولى بني شيان : إن أحداً لا يتخذ هذا الأمر فيصلي بجمرة ، ويبذل دمه ، ويتعرض للقتل ، فإن قدم أمير

(١) أورد الجاسط عطية قتيبة في ثلاث خطب متفرقة ، في البيان والتبيين ٢ : ١٣٢ - ١٣٥ .

أَخَذَهُ بِمَا جَسَّتْهُ وَكَانَ الْمُهْنَأُ لغيره إِلَّا هَذَا الْأَعْرَابِيَّ وَكَيْجَ ؛ فَلَازِمٌ مَقْدَامٌ لَا يُبَالِي مَا رَكِبَ ، وَلَا يَنْتَظِرُ فِي عَاقِبَةٍ ، وَلَهُ عَشِيرَةٌ كَثِيرَةٌ تَطْعِمُهُ ، وَهُوَ مَوْتُورٌ يَطْلُبُ قَتِيلَةً بِرِيَاسَتِهِ إِلَى صَرْفَتِهَا عَنْهُ وَصَبْرُهَا لِضِرَارِ بْنِ حُصَيْنٍ بْنِ زَيْدِ الْقَوَارِسِ بْنِ حُصَيْنٍ بْنِ ضِرَارِ الضَّبِّيِّ . فَشَتَّى النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ سِرًّا ، وَقِيلَ لِقَتِيلَةٍ : لَيْسَ يُقْسَدُ أَمْرُ النَّاسِ إِلَّا حَيَّانٌ ، فَأَرَادَ أَنْ يَفْتَالَهُ - وَكَانَ حَيَّانٌ يَلَاطِفُ حَسَمَ الْوَلَاةِ فَلَا يُخَفُّونَ عَنْهُ شَيْئًا - قَالَ : فَدَعَا قَتِيلَةً رَجُلًا فَأَمَرَهُ بِقَتْلِ حَيَّانٍ ، وَمَعَهُ بَعْضُ الْخَلْدَمِ ، فَأَتَى حَيَّانٌ فَاتَّخَبَرَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِدَعْوِهِ ، فَحَلَبُوا وَمَارَضُوا ، وَأَتَى النَّاسُ وَكَيْمًا فَسَأَلُوهُ أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِهِمْ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، وَتَمَثَّلَ قَوْلَ الْأَشْهَبِ بْنِ رُمَيْلَةَ :

سَاجِنِي مَا جَنَيْتَ وَإِنْ رَكْنِي لِمَعْتَمِدٍ إِلَى نَصْدٍ رَكْنِي

قَالَ : وَبِخُرَّاسَانَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِنْ أَهْلِ الْعَالِيَةِ تِسْعَةَ آلَافٍ ، وَبِكُرْ سَبْعَةَ آلَافٍ ، وَرِئِيسُهُمُ الْخُصْفَيْنِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، وَتَمِيمُ عَشْرَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ ضِرَارُ بْنُ حُصَيْنِ الضَّبِّيِّ ، وَعَبْدُ الْقَيْسِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُلْثَوَانَ عَوْذَى^(١) ، وَالْأَزْدُ عَشْرَةَ آلَافٍ رَأْسُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ حَوْذَانَ ، وَمِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ سَبْعَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ جِهَنَّمُ بْنُ زَحْرٍ - أَوْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ حُلٍّ - وَالْمُلُوَالِ سَبْعَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ حَيَّانٌ - وَحَيَّانٌ يَقَالُ إِنَّهُ مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ مِنْ خُرَّاسَانَ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ نَبْطِيٌّ لَلْكِنْتَةِ - فَأَرْسَلَ حَيَّانٌ إِلَى وَكَيْجَ : أَرَأَيْتَ إِنْ كَفَفْتُ عَنْكَ وَأَعْنَتُكَ تَجْعَلَ لِي جَانِبَ نَهْرٍ يَسْلُخُ وَخُرَّاجَهُ مَا دَمْتُ حَيًّا ، وَمَا دَمْتُ وَإِلَيَّا ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ فَقَالَ لِلْعَجَمِ : هَؤُلَاءِ يِقَاتِلُونَ عَلَى غَيْرِ دِينٍ ، فَدَعَوْهُمْ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ؛ قَالُوا : نَعَمْ ، فَبَايَعُوا وَكَيْمًا سِرًّا ، فَأَتَى ضِرَارُ بْنُ حُصَيْنِ قَتِيلَةً ، فَقَالَ : إِنْ النَّاسُ يَخْتَلِفُونَ إِلَى وَكَيْجَ ، وَهُمْ يُبَايِعُونَهُ - وَكَانَ وَكَيْجَ بِأَتَى مَنَزَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمِ الْفَقِيرِ فَيَشْرَبُ عَنْدهُ - فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : هَذَا يَحْسُدُ وَكَيْمًا ، وَهَذَا الْأَمْرُ بَاطِلٌ ، هَذَا وَكَيْجَ فِي بَيْتِي يَشْرَبُ وَيَسْكُرُ وَيَسْلُخُ فِي ثِيَابِهِ ؛ وَهَذَا يَزْعُمُ أَنَّهُمْ يُبَايِعُونَهُ . قَالَ : وَجَاءَ وَكَيْجَ إِلَى قَتِيلَةٍ فَقَالَ : احْذَرِ ضِرَارًا فَإِنِّي

١٢٩١/٢

لا آمنه عليك ، فأنزل قتيبة ذلك منهما على التحاسد . وتعارض وكيع .
 ثم إن قتيبة دس ضرار بن سنان الضبي إلى وكيع فبايعه سرا ، فبين لقتيبة
 أن الناس يبايعونه ، فقال لضرار : قد كنت صدقتني ، قال : إني لم أخبرك
 إلا يعلم ، فأنزلت ذلك مني على الحسد ، وقد قضيت الذي كان علي ، قال : ١٢٩٢/٢
 صدقت . وأرسل قتيبة إلى وكيع يدعوه ^١ فوجده رسول قتيبة قد طسكى
 على رجله مغرة ، وعلى ساقه ^٢ خرزاً وودعاً ، وعنده رجلان من
 زهران يرفيان رجله ، فقال له : أجب الأمير ، قال : قد تسرى ما يرجلي .
 فرجع الرسول إلى قتيبة فأعاده إليه ، قال : يقول لك : اتنى محمولاً على
 سرير ، قال : لا أستطيع . قال قتيبة لشريك بن الصامت الباهلي أحد
 بني وائل - وكان على شرطته - ورجل من غني انطلقا إلى وكيع فأتيا به .
 فإن أبي فاضربا عنقه ، ووجهه معهما خيلاً ، ويقال : كان على شرطه
 بخراسان ورفاء بن نصر الباهلي .

قال علي : قال أبو الديال : قال ثمامة بن ناجذ العدوي : أرسل قتيبة
 إلى وكيع من يأتيه به ، فقلت : أنا آتيك به أصلحك الله ! فقال : اتنى
 به ، فأتيت وكيعاً - وقد سبق إليه الخبر أن الخليل تأتيه - فلما رأي قال :
 يا ثمامة ، ناد في الناس ، فناديت ، فكان أول من أتاه هريرم بن
 أبي طحمة في ثمانية .

قال : وقال الحسن بن رشيد الجوزجاني : أرسل قتيبة إلى وكيع ،
 فقال هريرم : أنا آتيك به ، قال : فانطلق . قال هريرم : فركبت برذوني
 مخافة أن يردني ، فأتيت وكيعاً وقد خرج .

قال : وقال كليب بن خلف : أرسل قتيبة إلى وكيع شعبة بن ظهير
 أحد بني صخر بن نهشل ، فأتاه ، فقال : يا بن ظهير :
 * لبث قليلاً تلحق الكتاب *

ثم دعا بسكين فقطع خرزاً كان على رجله ، ثم لبس سلاحه ، وتمثل : ١٢٩٣/٢
 شددوا على سرتي لا تنقلف يوم لهمدان ويوم للصليف

(١ - ١) ب : « فوجده قد طس على رجله مغرة وعلق على رأسه » . والمغرة : طين أحمر يصبح به .

وخرج وحده ، ونظرا إليه نسوة قتلن : أبو مطرف وحده ، فجاء
هرم بن أبي طحمة في ثمانية ، فيهم عميرة البريد بن ربيعة العُجَينِي .
قال حمزة بن إبراهيم وغيره : إن وكيعاً خرج فقتله رجل ، فقال : ممن
أنت ؟ قال : من بني أسد ، قال : ما اسمك ؟ قال : ضِرغامَة ، قال :
ابن من ؟ قال : ابن ليث ، قال : دونك هذه الراية .

قال الفضل بن محمد الضبي : ودفع وكيع رايته إلى عتبة بن شهاب
المازني ، قال : ثم رجع إلى حديثهم ، قالوا : فخرج وكيع وأمر علماته ،
فقال : اذهبوا بشقلى إلى بني العَم ، فقالوا : لا نعرف موضعهم ، قال :
انظروا رُمحين مجموعين أحدهما فوق الآخر ، فوقهما عجلة ، فهم
بنو العَم . قال : وكان في المسكر منهم خمسمائة ، قال : فتادى وكيع
في الناس ، فأقبلوا أرسالا من كل وجه ، فأقبل في الناس يقول :

قَرَّمْ إِذَا حُمِّلَ مَكْرُوهَةً شَدَّ الشَّرَاسِيفَ لَهَا وَالْحَزِيمَ^(١)

وقال قَوْمٌ : تَحْمِلُ وَكَيْعٌ حِينَ خَرَجَ :

أَنْخَنَ بَلْقَمَانُ بْنُ عَادٍ فَجَسَنَهُ أَرِيئِي سِلَاحِي لَنْ يَطِيرُوا بِأَعْزَلِ
واجتمع إلى قتيبة أهل بيته ، وخواص من أصحابه وثقاته ، فيهم إياس
ابن بيته بن عمرو ، ابن عم قتيبة دُنْيَا ، وعبد الله بن ولان العدوي ،
وناس من رَهْطِهِ ، بنو وائل . وأتاه حيَّان بن إياس العدوي في عشرة ، فيهم
عبد العزيز بن الحارث ، قال : وأتاه ميسرة الجليلي — وكان شجاعاً —
فقال : إن شئت أتيتك برأس وكيع ، فقال : قف مكانك . وأمر قتيبة
رجلا ، فقال : ناد في الناس ، أين بنو عامر ؟ فتادى : أين بنو عامر ؟ فقال
محض بن جزة الكلابي — وقد كان جفاهم : حيث وضعتهم ، قال : ناد
أذكركم الله والرحيم ! فتادى محض : أنت قطعتهما ، قال : ناد لكم العُتْبِي ،
فتاداه محض أو غيره : لا أقالتا الله إذا ، فقال قتيبة :

يَا نَفْسُ صَبِرَا عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَلَمٍ إِذْ لَمْ أَجِدْ لِفُضُولِ الْقَوْمِ أَقْرَانَا

(١) الشراسيف : أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن . والحزيم : موضع الخزام
من الصدر والظهر .

ودعا بعمامة كانت أمته بعثت بها إليه . فاعتم بها ، كان نعم بها في الشدائد ، ودعا ببردون له ملرب ، كان يتطير إليه في الزخوف ، ففرب إليه ليركبه ، فجعل يقيص حتى أعياه ، فلما رأى ذلك عاد إلى سريره ففقد عليه وقال : «دعوه» فإن هذا أمر يراد . وجاء حيّان التّسلي في العجم ، فوقف وقّية واجد عليه ، فوقف معه عبد الله بن مسلم ، فقال عبد الله لحيّان : احمل على هذين الطرفين ، قال : لم بأن لذلك ، فبغضب عبد الله ، وقال : ناولني قوسي ، قال حيّان : ليس هذا يوم قوس ، فأرسل وكيع إلى حيّان : أين ما وعدتني ؟ فقال حيّان لابنه : إذا رأيتني قد حولت فكنسوتي ، ومضيت نحو عسكر وكيع ، فليل بمن معك في العجم إلى . فوقف ابن حيّان مع العجم ، فلما حول حيّان فكنسوته مالت الأعجام إلى عسكر وكيع ، فكبر^(١) أصحابه . وبعث قتيبة أخاه صالحاً إلى الناس فرماه رجل من بني ضبة يقال له سليمان الزنجيرج - وهو الحرثوب ، ويقال : بل رماه رجل من بكنم فأصاب هامته - فحمل إلى قتيبة ورأسه مائل ، فوضع في مصلاة ، فتحول قتيبة فجلس عنده ساعة ، ثم تحوّل إلى سريره .

قال : وقال أبو السري الأزدي : رى صالحاً رجلاً من بني ضبة فأقتله ، وطمعته زياد بن عبد الرحمن الأزدي ، من بني شريك بن مالك .

قال : وقال أبو مخنف : حمل رجل من غنى على الناس فرأى رجلاً عجمياً فشبهه بهم بن زحر بن قيس فطمعته ، وقال :

إِنْ غِيَا أَهْلُ عِزٍّ وَمَصْدَقٍ إِذَا حَارِبُوا وَالنَّاسُ مُتَتَبِعُونَ

فلذا الذي طعن عالج . وتهايج الناس ، وأقبل عبد الرحمن بن مسلم نحوهم ، فرماه أهل السوق والفرغاء ، فقتلوه ، وأحرق الناس موضعاً كانت فيه إبل لقتيبة ودوابه ، ودنوا منه ، فقاتل عنه رجل من باهلة من بني وائل ، فقال له قتيبة : انج بنفسك ، فقال له : بش ما جزيتك إذا ،

وقد أطمعني الجردق^(١) والبستني الشرقي^(٢) !

قال : فدعا قتيبةً بدابته ، فأتي بيبرذون فلم يقر ليركبه ، فقال : إن له لشأناً ؛ فلم يركبه . وجلس وجاء الناس حتى بلغوا الفسطاط ، فخرج إياس بن بيهس وعبد الله بن ولان حين بلغ الناس الفسطاط وتركوا قتيبة . وخرج عبد العزيز بن الحارث يطلب ابنه عمرًا — أو عمر — فلقية الطائي فحذره ، ووجد ابنه فأردفه . قال : وفطن قتيبة للهيم بن المنخل وكان ممن يعين عليه ، فقال :

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا أَشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

قال : وقيل معه إخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحُصَيْن وعبد الكريم ، بنو مسلم . وقيل ابنه كثير بن قتيبة وناس من أهل بيته ، ونجا أخوه ضرار ، استنقذه أخواله ، وأمه غراء بنت ضرار بن القسحاق بن معبد بن زُرارة . وقال قوم : قُتِلَ عبد الكريم بن مسلم بقرّوين . وقال أبو عبيدة : قال أبو مالك : قتلوا قتيبة سنة ست وتسعين ، وقيل من بني مسلم أحد عشر رجلاً ، فصلبهم وكيع ، سبعة منهم لصلب مسلم وأربعة من بني أبنائهم : قتيبة ، وعبد الرحمن ، وعبد الله الفقيير ، وعبيد الله ، وصالح ، وبشار ، ومحمد بن مسلم . وكثير بن قتيبة ، ومغلس بن عبد الرحمن ، ولم ينج من صلب مسلم غير عمرو — وكان عامل الجوزجان — وضرار ، وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القسحاق بن معبد بن زُرارة ، فجاء أخواله فدفعوه حتى نحوه ، ففي ذلك يقول الفرزدق :

عَشِيَّةَ مَا وَدَّ ابْنُ غُرَّةَ أَنَّهُ لَه مِنْ سِوَانَا إِذْ دَعَا أَبَوَانِ^(٣)

وضرب إياس بن عمرو — ابن أخي مسلم بن عمرو — على ترقوته فعاش . قال : ولما غشي القوم الفسطاط قطعوا أطنابه . قال زهير : فقال جهنم ابن زحر لسعد : انزل ، فحز رأسه ، وقد أثخن جراحاً ، فقال : أخاف

(١) الجردق : الرغيف ، بالفارسية . والشرقي : اللين ، وهو فارسي أيضاً . وفي : «الفرق» .

(٢) ديوانه ٨٧٢ .

أَنْ تَجُولَ الحَيْلُ ، قال : تخاف وأنا إلى جَنْبِكَ ! فتزل سعد فشق صَوْقَمَةً^(١) الفُسطاط ، فاحتَرَّ رأسه ، فقال حُصَيْنُ بن المنذر :

وإنَّ ابنَ سعدَ وابنَ زَحْرٍ تَمَاورَا بسيفيهما رَأْسَ الهُمَامِ المُتَوَجِّعِ
عَشِيَّةً جَثْنَا بِابْنِ زَحْرٍ وَجِشْتُمْ بِأَدْعَمِ مَرْقُومِ الذَّرَاعَيْنِ ذِي زَجْرِ
أَصَمَّ غُدَّائِي كَأَنَّ جِيئَهُ لَطَاحَةً نِقْصٍ فِي أَدِيمٍ مُمَجْمَعِ

قال : فلما قتل مسلمةُ يزيدَ بن المهلب استعمل على خراسانَ سعيدُ بن خَدَّيْنَةَ بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، فحبس عمال يزيدَ ، وحبسَ فيهم جَهمَ بن زَحْرٍ الجُمُحِيُّ ، وعلى عذابه رجلٌ من باهلة ، فقيل له : هذا قاتلُ قُتَيْبَةَ ، فقتلته في العذاب ، فلامه سعيدُ ، فقال : أمرتني أن أستخرج منه المالَ فعذبتُه فأُني على أَجَلِهِ .

قال : وسقطتْ على قُتَيْبَةَ يومَ قَتْلِ جاريةٍ له خُوارزمية ، فلما قُتِلَ ١٢٩٨/٢ خرجتْ ، فأخذتها بعد ذلك يزيدُ بن المهلب ، فهي أمُ خَلِيدَةَ .

قال عليٌّ : قال حمزة بن إبراهيم وأبو اليَقْتِظَان : لما قُتِلَ قُتَيْبَةُ صَعِدَ عُمارَةُ بن جنية الرياحي المنبرَ فتكلم فأكثر ، فقال له وكيع : دعنا من قَدَرِكَ وهذَرِكَ ، ثم تكلم وكيع فقال : مثلي ومثلي قُتَيْبَةَ كما قال الأول :

• مِنْ يَنِكَ الْغَيْرُ يَنِكَ نِيَّاكَ •

أراد قُتَيْبَةُ أَنْ يَقْتُلَنِي وَأَنَا قَتَلْتُ .

قد جَرَّبُونِي ثُمَّ جَرَّبُونِي مِنْ غُلُوتَيْنِ وَمِنْ المِشِينِ
حَتَّى إِذَا شَبَبْتُ وَشَبَبُونِي خَلُّوا عِنائِي وَتَنَكَّبُونِي
أنا أبو مطرف .

قال : وأخبرنا أبو معاوية ، عن طلحة بن إياس ، قال : قال وكيع يوم قَتْلِ قُتَيْبَةَ :

(١) صَوْقَمَةُ الفُسطاط ، أي أعلامه .

أَنَا ابْنُ خَنْدِفَ تَنْمِيْنِي قَبَائِلَهَا لِلصَّالِحَاتِ وَعَنَى قَيْسُ عِيْلَانَا
ثُمَّ أَخَذَ يَلْحِيْتَهُ ثُمَّ قَالَ :

شَيْخٌ إِذَا حُمِّلَ مَكْرُوهَةً شَدَّ الشَّرَائِيْفَ لَهَا وَالْحَزِيْمَ

وَاللهَ لَا تُقَاتِلَنَّ ، ثُمَّ لَا تُقَاتِلَنَّ ، وَلَا تُصَلِّبَنَّ ، ثُمَّ لَا تُصَلِّبَنَّ ، إِنِّي وَاللَّهِ دَمًا ، إِنْ
مَرَزْتُ بَانِيَكُمْ هَذَا ابْنَ الزَّانِيَةِ قَدْ أَغْلَى عَلَيْكُمْ أَسْعَارَكُمْ ، وَاللهَ لَيُصَيِّرَنَّ الْقَفِيْزُ
فِي السُّوقِ غَدًا بِأَرْبَعَةٍ أَوْ لَاصِلَتِهِ ، صَلُّوا عَلَى نَبِيِّكُمْ . ثُمَّ نَزَلَ .

قَالَ عَلِيٌّ : وَأَخْبَرَنَا الْمُفَضَّلُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَشَيْخٌ مِنْ بَنِي تَيْمٍ ، وَمُسْلِمَةُ بْنُ
عَارِبٍ ، قَالُوا : طَلَبَ وَكَيْعَ رَأْسِ قُتَيْبَةَ وَنَاطَعَةَ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنْ الْأَزْدُ أَخَذَتْهُ ،
فَخَرَجَ وَكَيْعٌ وَهُوَ يَقُولُ : دُهُ كُورَيْنَ ، سَعَدُ الْقَتَيْنِ :

فِي أَيِّ يَوْمٍ مِنَ الْمَوْتِ أُفِرَّ أَيُّوْمَ لَمْ يُقْتَلْ أَمْ يَوْمَ قُتِلَ
لَا خَيْرَ فِي أَحْزَمِ جِيَادِ الْقَرْعِ فِي أَيِّ يَوْمٍ لَمْ أُرْعَ طَمَ أَرْعَ

وَاللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَا أُبْرِحُ حَتَّى أَوْتَى بِالرَّأْسِ ، أَوْ يَدُ هَبَ بِرَأْسِي
مَعَ رَأْسِ قُتَيْبَةَ . وَجَاءَ بِخَشَبٍ فَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ الْخَيْلَ لَا يَدُ لَهَا مِنْ فُرْسَانٍ —
يَتَهَدَّدُ بِالصَّلْبِ — فَقَالَ لَهُ حُضَيْنٌ : يَا أَبَا مَطْرَفَ ، تَوَقَّى بِهِ فَاصْكُنْ . وَأَتَى
حُضَيْنُ الْأَزْدَ فَقَالَ : أَحْمَقَى أَنْتُمْ بِابْنَعْنَاهُ وَأَعْطَيْتَاهُ الْمَقَادَةَ ، وَعَرَضَ
نَفْسَهُ ، ثُمَّ تَأَخَّلَوْا الرُّأْسَ ! أَخْرِجُوهُ لَعَنَهُ اللهُ مِنْ رَأْسٍ ! فَجَاعُوا بِالرَّأْسِ
فَقَالُوا : يَا أَبَا مَطْرَفَ ، إِنَّ هَذَا هُوَ احْتَرَهُ ، فَاشْكُمُهُ ، قَالَ : نَعَمْ ، فَأَعْطَاهُ
ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، وَبَعَثَ بِالرَّأْسِ مَعَ سَلِيْطٍ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْخَثْعَمِيِّ وَرِجَالٍ
مِنَ الْقَبَائِلِ وَعَلَيْهِمْ سَلِيْطٌ ، وَلَمْ يَبْعَثْ مِنْ بَنِي تَيْمٍ أَحَدًا .

قَالَ : قَالَ أَبُو الذَّيَالِ : كَانَ فِيمَنْ ذَهَبَ بِالرَّأْسِ أَنْيْفُ بْنُ حِصَانٍ أَحَدُ
بَنِي عَدِيِّ .

قَالَ أَبُو غَنْفٍ : وَقَتَى وَكَيْعَ لِحْيَتَيْنِ النَّبْطِيَّ بِمَا كَانَ أَعْطَاهُ . قَالَ :
قَالَ خُرَيْمُ بْنُ أَبِي يَحْيَى ، عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْ قَيْسٍ ، قَالُوا : قَالَ سَلِيْطَانُ لِلْهَنْدِيلِ

ابن زُفر حين وُضِعَ رأسُ قتيبة ورعوسُ أهل بيته بين يديه : هل ساءك هذا يا هُذَيْل ؟ قال : لو ساء في ساء قومًا كثيرًا ؛ فكلّمه خُزَيم بن عَمْرٍو والقَحْطَاع ابن خُليد ، فقال : ائذَنْ في دَفْنِ رعوَسهم ، قال : نعم ، وما أودت هذا كله .

قال عليّ : قال أبو عبد الله السلمي ، عن يزيد بن سُويد ، قال : قال رجلٌ من عَجَمٍ أهل خُرَاسان : يا معشر العَرَب ، قَتَلْتُم قتيبةً ، والله لو كان قتيبةٌ منّا فَمَاتَ فينا جَعَلْنَاهُ في ثَابُوت فَكُنَّا نَسْتَفْتِحُ بِهِ إِذَا غَزَوْنَا ، وما صنع أحد قطّ بخُرَاسانَ ما صنع قتيبة ، إلا أنه قد غَدَرَ ، وذلك أن الحجاج كَبَّ إليه أن اختلهم واقتلهم في الله .

قال : وقال الحسن بن رُشيد : قال الإصْبَهَنِي لِرَجُلٍ : يا معشر العَرَب ، قَتَلْتُم قتيبةً ويزيدَ وهما سيّدَا العَرَب ! قال : فأَيُّهُمَا كان أعظم عندكم وأُهيَب ؟ قال : لو كان قتيبة بالمغرب بأقصى جُحُرٍ به في الأرض مكبلاً بالحديد ، ويزيد معنا في بلادنا وإلّا علينا لكان قتيبةً أُهيَبٌ في صلورنا وأعظم من يزيد .

قال عليّ : قال المفضل بن محمد الضبيّ " جاء رجل إلى قتيبة يوم قُتِلَ وهو جالس ، فقال : اليوم يُقْتَلُ ملك العَرَب - وكان قتيبةً عندهم ملكٌ العَرَب - فقال له : اجلس .

قال : وقال كُلَيْب بن خُكَيْف : حدّثني رجلٌ من كان مع وكيع حين قُتِلَ قتيبة ، قال : أمر وكيعُ رجُلًا فنادى : لا يُسلَبَنَّ قَتِيلٌ ، فَمَرَّ ابنُ عبيد المَجَرى على أبي الحجر الباهليّ فسَلَبَهُ ، فبَلَغَ وكيعًا فضربَ عنقه .

قال أبو عبيدة : قال عبد الله بن عمر ، من تَمَّ اللات : رَكِبَ وكيع ذات يوم ، فأَتَوْهُ بِسُكْرانٍ ، فأمر به فُقِلَ ، فقيل له : ليس عليه القَتْلُ ، إنما عليه الخَلْدُ ، قال : لا أعاقِبُ بالسياط ، ولكنّي أعاقِبُ بالسيف ، فقال تَهَار بن تَوْصِعة :

وَكُنَّا نُبَكِّي مِنَ الْبَاهِلِ فِهَذَا الْقُدَانِي شَرُّ وَشَرُّ

وقال أيضاً :

ولا رأينا الباهلي ابن مسلم
وقال الفرزدق يذكر رقة وكيع :
ومنّا الذي سلّ السيف وشامها
عشية لم تمنع بينها قبيلة
عشية ما ودّ ابن غراء أنه
عشية لم تستر هوازن عامر
عشية ودّ الناس أنهم لنا
رأوا جبلا تعلو الجبال إذا التقت
رجال على الإسلام إذ ما تجالدا
وحتى دعا في سور كلّ مدينة
سيجزي وكما بالجماعة إذ دعا
جزاء بأعمال الرجال كما جرى
وقال الفرزدق في ذلك أيضاً :

أتاني ورحلي بالمدينة وقعة
وقال عليّ : أخبرنا خريم بن أبي يحيى ، عن بعض عمومته قال : أخبرني
شيوخ من غسان قالوا : إنا لبشينة العقاب إذ نحن نرجل يشبه الفيض (١) معه
عصاً وجراب ، قلنا : من أين أقبلت ؟ قال : من خراسان ، قلنا : فهل
كان بها من خبير ؟ قال : نعم ، قُتل فتية بن مسلم أمّس ، فتعجبنا
لقوله ، فلما رأى إنكارنا ذلك قال : أين ترونني الليلة من إفريقية ؟ ومضى
واتبعناه على خيولنا ، فإذا شيء يسبق الطرف . وقال الطرمّاح :
لولا فارس ملّحج ابنة ملّحج والأزد زعزع واستبيح العسكر

(٢) ديوانه ٨٥٣ .

(١) ديوانه ٨٧٢ .

(٣) القبيح : جمع فيج وهو رسول السلطان .

وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْبِلَادُ وَلَمْ يَسُوبْ
وَأَسْتَضْلَعَتْ عَهْدَ الْجَمَاعَةِ وَازْدَرَى
قَوْمٌ مُمْ قَتَلُوا قَتِيلَةً عَنَوَةً
بِالْمَرْجِ مَرْجَ الصَّيْنِ حَيْثُ تَبَيَّنَتْ
إِذْ حَالَفَتْ جَزْعًا رُبِيعَةً كُلَّهَا
وَتَقَدَّسَتْ أَرْدُ الْعِرَاقِ وَمَلَجَجْ
قَحْطَانُ تَضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ مَلَجَجٍ
وَالْأَرْدُ تَعْلَمُ أَنَّ تَحْتَ لَوَائِهَا
فِي عِزِّهَا نُصَيْرَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

مِنْهُمْ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ مُخْبِرٌ
أَمْرُ الْخَلِيفَةِ وَاسْتَحْلُ الْمُنْكَرِ
وَالْخَيْلُ جَانِحَةٌ عَلَيْهَا الْعِثِيرُ
مُضَرُّ الْعِرَاقِ مِنَ الْأَعَزِّ الْأَكْبَرِ
وَتَفَرَّقَتْ مُضَرٌّ وَمَنْ يَتَمَضَّرُ
لِلْمَوْتِ يَجْمَعُهَا أَبُوهَا الْأَكْبَرُ
نَحْيِي بِصَائِرُهُنَّ إِذَا لَا تَبْصُرُ
مُلْكًا قَرَّاسِيَةً وَمَوْتَ أَحْمَرُ
وَبِنَا تَثَبَّتْ فِي دَمَشْقِ الْمُنْبَرُ

١٣٠٢/٢

وقال عبد الرحمن بن جُمَانَةَ الْبَاهِلِيُّ :

كَأَنَّ أَبَا حَفْصٍ قَتِيلَةً لَمْ يَسِرْ
وَلَمْ تَخْفِرِ الرِّيَّائَاتُ وَالْقَوْمُ حَوْلَهُ
دَعَتْهُ الْمَنَائِي فَاسْتَجَابَ لِرَبِّهِ
فَمَا رُئِيَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
— يَعْنِي أُمَّ وَلَدَهُ .

وقال الْأَصَمُّ بْنُ الْحُجَّاجِ يَرْتِي قَتِيلَةً :

أَلَمْ يَأْنِ لِلْأَحْيَاءِ أَنْ يَعْرِفُوا لَنَا
نَقُودَ تَمِيمًا وَالْمَوَالِي وَمَلْجَجًا
نَقْتُلُ مَنْ شَتْنَا بِجَزَاءِ مُلْكِنَا
مُسْلِمَانِ كَمْ مِنْ عَسْكَرٍ قَدْ حَوَّتْ لَكُمْ
وَكَمْ مِنْ حَصُونٍ قَدْ أَبْخَسَا مَنِيْعَةً
وَمِنْ بَلَدَةٍ لَمْ يَغْزُهَا النَّاسُ قَبْلَنَا

بَلَى نَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمُجْدِ وَالْفَخْرِ
وَأَزْدَ وَعَبْدَ الْقَيْسِ وَالْحَيَّ مِنْ بَكْرِ
وَنَجْبَرُ مَنْ شَتَّنَا عَلَى الْخَسَفِ وَالْقَسْرِ
أَسِنْتُنَا وَالْمُقَرَّبَاتُ بِنَا تَجْرِي
وَمِنْ بَلَدٍ سَهْلٍ وَمِنْ جَبَلٍ وَغَيْرِ
غَزَوْنَا نَقُودَ الْخَيْلِ شَهْرًا إِلَى شَهْرِ

١٣٠٤/٢

مرنً على الغزو الجورور ووقرت
 وحى لو أن النار شبت وأكرهت
 تلاعب أطراف الأيسنة والقننا
 بن أبخنا أهل كل مدينة
 ولو لم نعلنا المنايا لجاوزت
 بنار دم ذى القرنين ذا الصخر والقطر
 ولكن أجالا قضين ومدة
 تنأى إليها الطيبون بنو عمرو
 على التفري حتى ما تهال من التفري
 على النار خاضت في الوعى لهب الجمر
 بلباتها والموت في لجج خضر
 من الشرك حتى جاوزت مطلع الفجر
 بنار دم ذى القرنين ذا الصخر والقطر
 تنأى إليها الطيبون بنو عمرو

وفي هذه السنة عزل سليمان بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري
 عن مكة ، وولاه طليحة بن داود الحضرى . ١٣٠٠/٢

وفيهما غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم الصائفة ، ففتح حصنا
 يقال له حصن عوف .

وفي هذه السنة توفي قرّة بن شريك العبسى وهو أمير مصر فى صفر فى
 قول بعض أهل السيرة .

وقال بعضهم : كان هلاك قرّة فى حياة الوليد فى سنة خمس وتسعين
 فى الشهر الذى هلك فيه الحجاج .

وحج بالناس فى هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى ،
 كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن
 أبي معشر . وكذلك قال الواقدي وغيره .

وكان الأمير على المدينة فى هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن
 حزم ، وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى حرب
 العراق وولاتها يزيد بن المهلب ، وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن .
 وعلى البصرة سفيان بن عبد الله الكندي من قبل يزيد بن المهلب ، وعلى
 قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى ،
 وعلى حرب خراسان وكيع بن أبي سؤد .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تجهيز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية ١٣٠٦/٢ واستعماله ابنته داود بن سليمان على الصائفة ، فافتتح حصن المرأة . وفيها غزا - فيما ذكر الواقدي - مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ، ففتح الحصن الذي كان فتحه الوضاح صاحب الوضاحية . وفيها غزا عمر^(١) بن هبيرة الفزاري في البحر أرض الروم ، فقتلها . وفيها قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بالأندلس ، وقدم برأسه على سليمان جبيب بن أبي عبيد الصهري .

[ولاية يزيد بن المهلب على خراسان]

وفيها ولي سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب خراسان . ذكر الخبر عن سبب ولايته خراسان :

وكان السبب في ذلك أن سليمان بن عبد الملك لما أفضت الخلافة إليه ولي يزيد بن المهلب حرب العراق والصلاة وخراجها .

فذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن يزيد نظر لما ولاه سليمان ما ولاه من أمر العراق في أمر نفسه ، فقال : إن العراق قد أخر بها الحجاج ، وأنا اليوم رجاء أهل العراق ، وبقى قلميها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم عليه صرت مثل الحجاج أدخل على الناس الحرب ، وأعيد عليهم تلك السجون التي قد عافاهم الله منها ، وبقى لم آت سليمان بمثل ما جاء به الحجاج لم يقبل مني . فأقى يزيد سليمان فقال : أدلك على رجل يصير بالخراج توليه إياه ، فتكون أنت تأخذه به ؟ صالح بن عبد الرحمن ، مولى بني تميم . ١٣٠٧/٢ فقال له : قد قبلنا رأيك ، فأقبل يزيد إلى العراق .

(١) ط : « مرو » ، تحريف .

وحدثني عمرُ بنُ شُبَّة، قال : قال عليّ : كان صالح قدِم العراق قبل قُدوم يزيدَ ، فنزل واسطاً . قال عليّ : فقال عباد بن أبيوب : لما قُمَ يزيدُ خَرَجَ الناسُ يُتَلَقُّونَهُ ، فقبل لصالح : هذا يزيدُ ، وقد خرجَ الناسُ يُتَلَقُّونَهُ ، فلم يخرج حتى قَرُبَ يزيدُ من المدينة ، فخرج صالحُ ، عليه دُرَاعَةٌ وديبوسية صفراء صغيرة ، بين يديه أربع مائة من أهل الشام ، فلقى يزيدَ فسايرَه ، فلما دخل المدينة قال له صالح : قد فرغت لك هذه الدار — فأشار له إلى دار — فنزل يزيدُ ، ومضى صالح إلى منزله . قال : وضيقَ صالحُ على يزيدَ فلم يملكه شيئاً ، واتخذَ يزيدُ ألفَ خَوان يُطِعمُ الناسَ عليها ، فأخذها صالحُ ، فقال له يزيدُ : اكتبْ ثمنَها عليّ ، واشترى متاعاً كثيراً ، وصلك صِكَاكاً إلى صالحٍ لباعَتِها^(١) منه ، فلم يُنفِذه ، فرجعوا إلى يزيدَ ، فغضب وقال : هذا عملي بنفسى ، فلم يَكِبْ أن جاء صالحُ ، فأوسعَ له يزيدُ ، فجلس وقال ليزيد : ما هذه الصِّكَاكُ ؟ الخراجُ لا يقوم لها ، قد أنفدت لك منذ أيام صِكاً بمائة ألف ، وصحلت لك أرزاقك ، وسألت مالا للجند ، فأعطيتك ، فهذا لا يقوم له شيء ، ولا يَرْضَى أميرُ المؤمنين به ، وتؤخذ به ! فقال له يزيد : يا أبا الوليد ، أجزء هذه الصِّكَاكُ هذه المرة ، وضاحتك . قال : فإني أُجيزُها ، فلا تُكثِرَنَّ عليّ ، قال : لا^(٢) .

قال عليّ بنُ محمد : حدثنا مسلمة بنُ محارب وأبو العلاء التميمي والطفيل بن مِرْداس العمي وأبو حفص الأزدي عن حدثه عن جبهتهم ابن زحر بن قيس ، والحسن بن رشيد عن سليمان بن كثير ، وأبو الحسن الخُراساني عن الكَرَماني ، وعامر بن حفص وأبو مخنف عن عثمان ابن عمرو بن محصن الأزدي وزهير بن هنيذ وغيرهم — وفي خبر بعضهم ما ليس في خبر بعض ، فألفت ذلك — أن سليمان بن عبد الملك وليَ يزيدَ ابنَ المهلبَ العِراقَ ولم يولِّه خُراسانَ ، فقال سليمان بن عبد الملك لعبد الملك ابنَ المهلب وهو بالشامَ ويزيدُ بالعراق : كيف أنت يا عبدَ الملك إن وليتُك خُراسانَ ؟ قال : يَحِلُّني أميرُ المؤمنين حيثُ يُحِبُّ ، ثم أعرضَ سليمان عن

(١) ابن خلكان : وليتاعها . (٢) الخبر في ابن خلكان ٢ : ٢٧١ ، نقله عن الطبري .

ذلك . قال : وكتب عبدُ الملك بنُ المهلب إلى جوير بن يزيد الجهمي
وإلى رجال من خاصته : إنَّ أميرَ المؤمنين عرَّضَ على ولاية خُرَّاسانَ .
فبلغ الخبرُ يزيدَ بنَ المهلب ، وقد ضَجِرَ بالعراق ، وقد ضَيَّقَ عليه صالح
ابنُ عبد الرحمن ، فليس يصلِ معه إلى شيء ، فدعا عبد الله بن الأهم ،
فقال : إني أريدك لأمر قد أهماًني ، فأحبُّ أن تكفينيهِ ، قال : مررتُ
بما أحببتُ ، قال : أنا فيما ترى من الضيق ، وقد أضجرتني ذلك ، وخُرَّاسان
شاغرةٌ يبرجلها ، وقد بكتُني أنَّ أميرَ المؤمنين ذكرَها لعبدِ الملك بن
المهلب ، فهل من حيلة ؟ قال : نعم ، سرَّحتُ^(١) إلى أميرِ المؤمنين ، فإني
أرجو أن أتيك بعهدك عليها ، قال : فاكم ما أخبرْتُك به . وكتب إلى
سليانَ كتابين : أحدهما يذكُرُ له فيه أمرَ العراق ، وأثنى فيه على ابن الأهم
وذكرَ له علمه بها ، ووجه ابن الأهم وحمله على البريد . وأعطاه ثلاثين
ألفاً . فسار سبعةً ، فمَدَّ يده بكتاب يزيدَ على سليمان ، فدخل عليه وهو
يتفدَّى ، فجلس ناحيةً ، فأتيَ بدجاجتين فأكلهما .

قال : فدخل ابنُ الأهم فقال له سليمان : لك مجلسٌ غيرُ هذا تعود^(٢)
إليه . ثم دعا به بعد ثلاثة ، فقال له سليمان : إنَّ يزيدَ بنَ المهلب كتب
إلي يذكُرُ علمك بالعراق وبخُرَّاسان ، ويثني عليك ، فكيف علمكُ
بها ؟ قال : أنا أعلمُ الناسَ بها ؛ بها وكُلتُ ، وبهانثأتُ ، فلي بها وبأصلِها
خبر وعليم . قال : ما أحوجُ أميرَ المؤمنين إلى مثلك يُشاوره في أمرها !
فأشرَ على برجلٍ أوليهِ خُرَّاسان ؛ قال : أميرُ المؤمنين أعلمُ بمن يريد
يولى ، فإن ذكرَ منهم أحداً أخبرتهُ برأى فيه ، هل يصلحُ لها أو لا ؛ قال :
فسمي سليمانُ رجلاً من قريش ؛ قال : يا أميرَ المؤمنين ، ليس من رجال
خُرَّاسان ، قال : فعبدُ الملك بنُ المهلب ، قال : لا ، حتى عددَ رجلاً ؛
فكان في آخرِ مَنْ ذكرَ وكيع بن أبي سُود ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، وكيعُ
رجلٌ شجاعٌ صارمٌ بئيسٌ^(٣) مقدام ، وليس بصاحبها^(٤) مع هذا ، إنه لم

(١) ب : « تسرحني » . (٢) ابن خلكان : « تعود » .

(٣) ب : « رئيس » . واليئس : الشديد . (٤) ب : « لصاحبها » .

يَقْدُ ثَلَاثَةَ قَطَا فَرَأَى^(١) لِأَحَدٍ عَلَيْهِ طَاعَةَ . قَالَ : صَدَقْتَ وَيَسْحَكَ ، فَنَ لَهَا !
 قَالَ : رَجُلٌ أَعْلَمَهُ لَمْ تُسَمِّهِ^(٢) ، قَالَ : فَنَ هُوَ ؟ قَالَ لَا أَبُوحَ بِاسْمِهِ إِلَّا
 أَنْ يَتَضَمَّنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سِتْرَ ذَلِكَ ، وَأَنْ يُجِيرَنِي مِنْهُ إِنْ عَلِمَ ؛ قَالَ :
 نَعَمْ ، سَمِعْتَنَ هُوَ ؟ قَالَ : يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ؛ قَالَ : ذَلِكَ بِالْعِرَاقِ ، وَالْمَقَامِ
 بِهَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمَقَامِ بِخُرَّاسَانَ ، قَالَ : قَدْ عَلِمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنْ
 تُكْرِهُهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَيَسْتَخْلِفُ عَلَى الْعِرَاقِ رَجُلًا وَيَسِيرُ ؛ قَالَ : أَصَبْتَ
 الرَّأْيَ . فَكَتَبَ عَهْدَ يَزِيدَ عَلَى خُرَّاسَانَ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا : إِنْ ابْنُ
 الْأَهِمِّ كَمَا ذَكَرْتَ فِي عَقْلِهِ وَدِينِهِ وَفَضْلِهِ وَرَأْيِهِ . وَدَفَعَ الْكِتَابَ وَعَهْدَ يَزِيدَ إِلَى
 ابْنِ الْأَهِمِّ ، فَسَارَ سَبْعًا ، فَقَلَمَ عَلَى يَزِيدَ فَقَالَ لَهُ : مَا وَرَاعَكَ ؟ قَالَ :
 فَأَعْطَاهُ الْكِتَابَ ، فَقَالَ : وَيَسْحَكَ ! أَعِنْدَكَ خَيْرٌ ؟ فَأَعْطَاهُ الْعَهْدَ ، فَأَمَرَ
 يَزِيدَ بِالْجِهَازِ لِلْمَسِيرِ مِنْ سَاعَتِهِ ، وَدَعَا ابْنَهُ مَخْلَدًا فَقَدَّمَهُ إِلَى خُرَّاسَانَ . قَالَ :
 فَسَارَ مِنْ يَوْمِهِ ، ثُمَّ سَارَ يَزِيدُ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى وَاسِطَةِ الْجَزْأَحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 الْكَلْبَكِيِّ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْبَصْرَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هَلَالٍ الْكَلْبَكِيَّ ، وَصَبَّرَ مَرْوَانَ
 ابْنَ الْمُهَلَّبِ عَلَى أَمْوَالِهِ وَأَمْوَرِهِ بِالْبَصْرَةِ ، وَكَانَ أَوْثَقَ إِخْوَتِهِ عِنْدَهُ ، وَلَمَرْوَانَ
 يَقُولُ أَبُو الْبَيْهَاءِ الْإِيَادِيُّ :

رَأَيْتُ أَبَا فَبِيصَةَ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الْعَلَاتِ أَكْرَمَهُمْ طِبَاعًا .
 إِذَا مَا هُمْ أَبَوًا أَنْ يَمْتَنِعُوا جَسِيمَ الْأَمْرِ يَحْوِلُ مَا اسْتَطَاعَا
 وَإِنْ ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ بِأَمْرِ فَضَلَّتْهُمْ بِذَلِكَ نَدَى وَيَاعَا

١٣١١/٢

* * *

وَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى فَلَمَّا قَالَ فِي ذَلِكَ : حَدَّثَنِي أَبُو مَالِكٍ أَنَّ
 وَكَيْعَ بْنَ أَبِي سُودَ بَعَثَ بِطَاعَتِهِ وَبِرَأْسِ قُتَيْبَةَ إِلَى سُلَيْمَانَ ، فَوَقَعَ ذَلِكَ مِنْ
 سُلَيْمَانَ كُلِّ مَوْجِعٍ ، فَجَعَلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَهِمِّ مِائَةَ أَلْفٍ
 عَلَى أَنْ يَنْقَرُ^(٣) وَكَيْعًا عِنْدَهُ ، فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! وَاللَّهِ مَا أَحَدٌ

(١) ب : « وَلَا رَأْيَ » . (٢) ب : « لَمْ يَسْمَعْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ » .
 (٣) ب : « يَنْقَرُ » ، م : « يَنْقَرُ » ، وَيُقَالُ : نَقَرَ الرَّجُلُ يَنْقَرُوهُ ، لَمَّا عَابَهُ وَفَقَّ بِهِ .

أوجب شكرًا، ولا أعظم عندي يدا من وكيع، لقد أدرك بشأري، وشفاني من عذوتي، ولكن أمير المؤمنين أعظم وأوجب عليّ حقًا، وإن النصيحة تلزمني لأمر المؤمنين؛ إن وكيعًا لم يجمع له مائة عنان قط إلا حدث نفسه بغدرة؛ خامل في الجماعة، نابه في الفتنة، فقال: ما هو إذا ممن نستعين به - وكانت قيس تزعم أن قتيبة لم يخلع - فاستعمل سليمان يزيد ابن المهلب على حرب العراق، وأمره إن أقامت قيس البيعة أن قتيبة لم يخلع فيترج يدا من طاعة، أن يقيد وكيعًا به. ففقد يزيد، فلم يعط عبد الله ابن الأهم ما كان ضمن له، ووجه ابنه غلدة بن يزيد إلى وكيع.

• • •

رجع الحديث إلى حديث علي. قال علي: أخبرنا أبو مخنف عن عثمان بن عمرو بن حصن، وأبو الحسن الخراساني عن الكرماني، قال: وجه يزيد ابنه غلدة إلى خراسان فقدم غلدة عمرو بن عبد الله بن سنان ١٢١٢/٢ المتسكي، ثم الصنابحي^(١)، حين دفنا من مرو، فلما قلعها أرسل إلى وكيع أن أقمي، فأبى، فأرسل إليه عمرو، يا أعرابي أحمق جلفًا جافيًا، انطلق إلى أميرك فتلقه. وخرج وجه من أهل مرو يتلقون غلدة، وتتأكل وكيع عن الخروج، فلخرجهم عمرو الأزدي، فلما بلغوا غلدة نزل الناس كلهم غير وكيع ومحمد بن حمران السلمي وعباد بن لقيط أحد بني قيس بن ثعلبة، فأنزلكهم، فلما قدم مرو حبس وكيعًا فعذب به، وأخذ أصحابه فعذبهم قبل قتلهم أبيه.

قال علي عن كليب بن خديف، قال: أخبرنا إدريس بن حنظلة، قال: لما قدم غلدة خراسان حبسني، فجاءني ابن الأهم فقال لي: أتريد أن تسجوا؟ قلت: نعم، قال: أخرج الكتب التي كتبها القعقاع بن خديف العيسى وخريم بن عمرو المزي إلى قتيبة في خلعة سليمان، فقلت له: يا ابن الأهم،

إِيتَانِي تَخَدَعُ عَنْ دِينِي ! قَالَ : فَدَعَا بِطُومَارٍ وَقَالَ : إِنَّكَ أَحْمَقُ . فَكَتَبَتْ
 كُتُبًا عَنْ لِسَانِ الْقَتَعْفَاعِ وَرِجَالٍ مِنْ قَيْسٍ إِلَى قُتَيْبَةَ ، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ
 عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ مَاتَ ، وَسَلْيَانُ بَاعَثَ هَذَا الْمَرْثِيَّ عَلَى خُرَّاسَانَ فَاخْلَعَهُ .
 فَقُلْتُ : يَا بَنَ الْأَهَمِّ ، تَهْلِكُ وَاللَّهِ نَفْسُكَ ! وَاللَّهِ لَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ لِأَعْلَمَنَّهُ
 أَنَّكَ كَتَبْتَهَا .

* * *

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ شَخَّصَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى خُرَّاسَانَ أَمِيرًا عَلَيْهَا ،
 فَذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِي السَّرِيِّ الْمُرُوزِيِّ الْأَزْدِيِّ ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ : وَكَيْ وَكَيْ
 خُرَّاسَانَ بَعْدَ قَتْلِ قُتَيْبَةَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ أَوْ عَشْرَةَ . وَقَدَّمَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ
 سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ . ١٣١٣/٢

قَالَ عَلِيُّ : فَذَكَرَ الْمُفَضَّلُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : أَدْنَى يَزِيدُ أَهْلَ
 الشَّامِ وَقَوْمًا مِنْ أَهْلِ خُرَّاسَانَ ، فَقَالَ نَهَارُ بْنُ تَوْسِيعَةَ :

وَمَا كُنَّا نُوْمِلُ مِنْ أَمِيرٍ كَمَا كُنَّا نُوْمِلُ مِنْ يَزِيدٍ
 فَأَخْطَأَ ظَنُّنَا فِيهِ وَقَدْ مَأْ زَهَدْنَا فِي مَعَاشِرَةِ الزُّهَيْدِ
 إِذَا لَمْ يُعْطِنَا نَصْفًا أَمِيرُ مَشَيْنَا نَحْوَهُ مِثْلَ الْأَسْوَدِ
 فَمَهْلًا يَا يَزِيدُ أَنْبِ إِلَيْنَا وَدَعْنَا مِنْ مَعَاشِرَةِ الْعَبِيدِ
 نَجِيءُ فَلَا تَرَى إِلَّا صُدُودًا عَلَيَّ أَنَا نُسَلِّمُ مِنْ بَعِيدِ
 وَتَرْجِعُ خَائِبِينَ بِلَا نَوَالٍ فَمَا بِأَلِ التَّجَهُُّمِ وَالصُّدُودِ !

قَالَ عَلِيُّ : أَخْبَرَنَا زِيَادُ بْنُ الرَّبِيعِ ، عَنْ غَالِبِ الْقَطَّانِ ، قَالَ : رَأَيْتُ
 عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَاقِفًا بِعَرَافَاتٍ فِي خِلَافَةِ سُلْيَانَ ، وَقَدْ حَجَّ سُلْيَانُ عَامِئِدَ
 وَهُوَ يَقُولُ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ : الْعَجَبُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
 اسْتَعْمَلَ رِجَالًا عَلَى أَفْضَلِ تَخَرُّلٍ لِلْمُسْلِمِينَ ! فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْهُمْ يَقْدَمُ مِنَ التَّجَارِ
 مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ أَنَّهُ يُعْطَى الْجَارِيَّةَ مِنْ جَوَارِيهِ مِثْلَ سَهْمِ أَلْفِ رَجُلٍ . أَمَا وَاللَّهِ

ما الله أراد بولايته - فعرفت أنه يعني يزيدَ والجهنية - فقلت: يشكر بلاءهم أيام الأزارقة .

قال : ووَصَلَ يزيدُ عبدَ الملك بن سلام السَّلُولِيَّ فقال :

ما زال سبيلك يا يزيدُ بحويي حتى أرتويتُ وجودكم لا يُنكرُ
أنتَ الربيعُ إذا تكونَ خصاصةً عاش السقيم به وعاش المُقْتِرُ
عمت سحائبه جميعَ بلادكم فرووا وأغسلقهم سحابُ مُمِطِرِ
فسقاك ربك حيثُ كنتَ مخيلةً رياءُ سحائبها تروحُ وتُبكيرُ^(١)

• • •

وفي هذه السنة حجَّ بالناس سليمانُ بنُ عبد الملك ، حدثني بذلك أحمدُ ابن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

وفيها عزَّل سليمانُ طلحةَ بن داودَ الحضرميَّ عن مكة ، قال الواقدي : حدثني إبراهيمُ بنُ نافع ، عن ابن أبي مُليكة ، قال : لما صدرَ سليمانُ ابنُ عبد الملك من الحجِّ عزَّل طلحةَ بنَ داودَ الحضرميَّ عن مكة ، وكان عمَّله عليها ستة أشهر ، وولى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

وكانت عمَّال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها إلا خراسان ، فإن عاملها على الحرب والخراج والصلاة يزيدُ بنُ المهلب .

وكان خليفته على الكوفة سفيان قيل - حرَّملة بن عُمر اللخميَّ أشهرًا ، ثم عزَّله وولَّاهما بشير بن حسان النهدي .

(١) ب : « رياء سحائبها » .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[خبر محاصرة مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية]

فمن ذلك ما كان من توجيه سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك
إلى القسطنطينية ، وأمره أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه ، فشأنها
وصاف . فذكر محمد بن عمر أن ثور بن يزيد حدثه عن سليمان بن موسى ،
قال : لما دنا مسلمة من قسطنطينية أمر كل فارس أن يحمل على عجز
فرسه مدين^(١) من طعام حتى يأتي به القسطنطينية ، فأمر بالطعام فألقى في
ناحية مثل الجبال ، ثم قال للمسلمين : لا تأكلوا منه شيئا ، أغبروا
في أرضهم ، وازدروا^(٢) . وعمل بيوتنا من خشب ، فشتا فيها ، وزرع الناس ،
وسكت ذلك الطعام في الصحراء لا يكتنه شيء ، والناس يأكلون مما أصابوا
من الغارات ، ثم أكلوا من الزرع ، فأقام مسلمة بالقسطنطينية قاهرا
لأهلها ، معه وجوه أهل الشام : خالد بن معدان ، وعبد الله بن أبي زكرياء
الخرزاعي ، ومجاهد بن جبر ، حتى أتاه موت سليمان فقال القائل :

• تخيل مدينتها ومديني مسلمة •

حدثني أحمد بن زهير ، عن علي بن محمد ، قال : لما ولي سليمان
غزاة الروم قتل دابق ، وقدّم مسلمة فها به الروم ، فشخص اليون من
أرمينية ، فقال لمسلمة : ابعث إلى رجلا يكلمني ، فبعث ابن هبيرة ، فقال
له ابن هبيرة : ما تعدون الأحمس فيكم ؟ قال : الذي يملأ بطنه من كل
شيء يحميه ، فقال له ابن هبيرة : إننا أصحاب دين ، ومن ديننا طاعة

(١) المدي : مكياك ضمن لأهل الشام بمصر .

(٢) ازدروا ، أي اتخذوا لأنفسكم زحما لكم ، وفي ب : « وازدروا » .

أمرائنا ، قال : صدقت ، كنا وأنتم نقاتل على الدين وتغضب له ، فأما اليوم فلإنا نقاتل على الفسقة والمكث ، نعطيك عن كل رأس ديناراً . ١٣١٦/٢
فرجع ابن هبيرة إلى الروم من غده ، وقال : أبى أن يرضى ، أتيتُه وقد تغدّى وملأ بطنه ونام ، فانتبه وقد غلب عليه البلغم ، فلم يدر ما قلت .
وقالت البطارقة لإليون : إن صرفت عنا مسلمة ملكك فوثقوا له ، فأتى مسلمة فقال : قد علمكم القوم أنك لا تصدقهم القتال ، وأنت تطاولم ما دام الطعام عندك ، ولو أحرقت الطعام أعطوا بأيديهم ، فأحرقه ، فقوى العدو ، وضاق المسلمون حتى كادوا يهلكون ، فكانوا على ذلك حتى مات سليمان . قال : وكان سليمان بن عبد الملك لما نزل دابق أعطى الله عهداً ألا ينصرف حتى يدخل الجيش الذي وجهه إلى الروم القسطنطينية .

قال : وهلكك ملك الروم ، فأناه إليون فأخبرته ، وضمن له أن يدفع إليه أرض الروم ، فوجه معه مسلمة حتى نزل بها ، وجمع كل طعام حولاً وحصر أهلها^(١) وأتاهم إليون فلكه^(٢) ، فكتب إلى مسلمة يخبره بالذي كان ، ويسأله أن يخل من الطعام ما يعيش به القوم ، ويصدقونه بأن أمره وأمر مسلمة واحد ، وأنهم في أمان من السباء والخروج من بلادهم ، وأن يأذن لهم ليلة في حمل الطعام ، وقد هبأ إليون السفن والرجال ، فأذن له ، فما بقى في تلك الحظائر إلا ما لا يذكر ، حمل في ليلة ، وأصبح إليون محارباً ، وقد خطعه خديعة لو كان امرأة لعيب بها ، فلقى الجند ما لم يلقى جيش ، حتى إن كان الرجل ليخاف أن يخرج من العسكر وحده ، وأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق ، وكل شيء غير التراب ، ١٣١٧/٢
وسليمان مقيم بدايتي ، ونزل الشتاء فلم يقدر يمدد لهم حتى هلك سليمان .

[مبايعة سليمان لابنه أيوب ولياً للعهد]

وفي هذه السنة بايع سليمان بن عبد الملك لابنه أيوب بن سليمان وجعلته ولي عهد ، فحدثني عمر بن شبة ، عن علي بن محمد ، قال : كان عبد الملك أخذ على الوليد وسليمان أن يبأيعا لابن عاتكة ولروان بن عبد الملك

من بعده ، قال : فحدثني طارقُ بنُ المبارك ، قال : مات مروانُ بنُ عبد الملك في خلافة سليمان منصوره من مكة ، فبايع سليمان حين مات مروانُ لأبيوب ، وأمسك عن يزيد وقرين به ، ورَجَا أن يهلك ، فهلك أيتوب وهو وليَّ عهده .

وفي هذه السنة فُتِحَتْ مَدِينَةُ الصَّقَالِيَةِ ، قال محمد بنُ عمر : أغارت بُرجان في سنة ثمان وتسعين على مَسْلَمَةَ بن عبد الملك وهو في قِلَّةٍ مِنَ الناس ، فأَمَدَّهُ سليمانُ بنُ عبد الملك بِمَسْعُودَةٍ - أو عَمْرُو بن قَيْسٍ - في جَمْع فسَكَّرَتْ بهم الصَّقَالِيَةُ ، ثُمَّ هَزَمَهُمُ اللَّهُ بعد أن قَتَلُوا شَرَاخِيلَ بن عبد ابن عَبدَةَ^(١) .

وفي هذه السنة - فيما زعم الواقدي - غَزَا الوليد بنُ هشام وعمرُو بنُ قيس ، فأَصِيبَ نَاسٌ من أهل إِنْطَاكِيَّةَ ، وَأَصَابَ الْوَلِيدُ نَاسًا من ضَوَاحِي الرُّومِ وَأَسْرَ مِنْهُمْ بَشَرًا كَثِيرًا .

* * *

[غزو جرجان وطبرستان]

وفي هذه السنة غزا يزيدُ بن المهلب جُرجانَ وطَبْرِسْتَانَ ، فذَكَرَ هشامُ بن محمد ، عن أبي مَخْنَفٍ ، أن يزيد بن المهلب لما قدم خُرَّاسَانَ أَقَامَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ أو أَرْبَعَةً ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى دِهِيْسْتَانَ وجُرجانَ ، وبعث ابنه خَلْدًا على خُرَّاسَانَ ، وجاء حتى نزل بدِهستان ، وكان أهلها طَائِفَةً مِنَ التُّرُك ، فأَقَامَ عليها ، وحاصِرَ أهلها ، معه أهلُ الكوفة وأهلُ البَصْرَةِ وأهلُ الشَّامِ ووجوه أهل خُرَّاهان والرِّيِّ ، وهو في مائة ألف مقاتل سوى المَوَالِي والمَمَالِكِ والمُتَطَوِّعِينَ ، فكانوا يَخْرُجُونَ فَيَقَاتِلُونَ النَّاسَ ، فلا يُلْبِثُهُمُ النَّاسُ أن يَهْزِمُوهُمْ فَيَدْخُلُونَ حَصْنَهُمْ ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ أحيانًا فَيَقَاتِلُونَ فَيَسْتَدُّ قِتَالَهُمْ . وكان جِهَنَّمُ وجمال ابنا زحر من يزيد بمكان ، وكان يُكْرَهُمَا ، وكان محمد بن عبد الرحمن بن أبي سَبْرَةَ الحُصَيْنِيُّ لَهُ لسان وبأس ، غير أنه كان يُقْسِدُ نَفْسَهُ بِالشَّرَابِ ، وكان لا يُكْبِرُ غَشِيَانِ يَزِيدَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، وكأنه

١٣١٨/٢

(١) ط : « شراويل بن عبة » ، والصواب ما أثبتته ، وهو أبو عامر الشامي .

أَيْضًا حَجَّزَهُ^(١) عَنْ ذَلِكَ مَا رَأَى مِنْ حُسْنِ أَثَرِهِمْ عَلَى ابْنِي زَحَرٍ جَهَنَّمَ وَجَمَالٍ . وَكَانَ إِذَا نَادَى الْمُنَادَى : يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي وَأَبْشِرِي كَانَ أَوَّلُ فَارِسٍ مِنْ أَهْلِ الْعُسْكَرِ يَبْدُرُ^(٢) إِلَى مَوْقِفِ الْيَأْسِ عِنْدَ الرَّوْعِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ ، فَتَوَدَّى ذَاتَ يَوْمٍ فِي النَّاسِ ، فَبَدُرَ^(٣) النَّاسَ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، فَلَمَّا لَوَاقَفَ عَلَى تَلٍّ إِذْ مَرَّ بِهِ عُمَانُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا بَنَ ابْنِ سَبْرَةَ ، مَا قَدَرْتُ عَلَى أَنْ أَسْبِقَكَ إِلَى الْمَوْقِفِ قَطُّ ، فَقَالَ : وَمَا يُغْنِي ذَلِكَ عَنِّي ، وَأَنْتُمْ تُرْشِحُونَ غُلَمَانَ مِدْحَجٍ ، وَتَسْجَهُلُونَ حَقَّ ذُرَى الْأَسْنَانِ وَالتَّجَارِبِ وَالْبِلَاءِ ! فَقَالَ : أَمَا إِنَّكَ لَوْ تَرِيدَ مَا قَبَلْنَا لَمْ نَعْدِلْ^(٤) عَنْكَ مَا أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ .

قال : وخرج الناسُ فاقتتلوا قتالًا شديدًا ، فحمل محمد بن أبي سببرة على تركي قد صدَّ الناسَ عنه ، فاختلفا ضربتين : فثبت سيفُ التركي في بيضة ابن أبي سبرة ، وضربه ابنُ أبي سببرة ففقتله ، ثم أقبل سيفُه^(٥) في يده يقطر دماءً ، وسيفُ التركي في بيضته ، فنظر الناسُ إلى أحسن منظرٍ رأوه من فارس ، ونظر يزيد إلى ائتلاق السيِّفين والبيضة والسلاح فقال : مَنْ هَذَا ؟ فقالوا : ابنُ أبي سببرة ، فقال : لله أبوه ! أيُّ رجلٍ هو لولا إسرافُه على نفسه !

وخرج يزيد بعد ذلك يومًا وهو يرتادُ مكانًا يتدخل منه على القوم . فلم يشعُر بشيء حتى هجمَ عليه جماعةٌ من الترك — وكان معه وجوه الناس وفرسانهم ، وكان في نحو من أربعمائة ، والعلو في نحو من أربعة آلاف — فقاتلهم ساعة ، ثم قالوا ليزيد : أيُّها الأمير ، انصرف ونحن نُقاتِلُ عنكَ ، فأبى أن يفعل ، وغشي القتال يومئذ بنفسه ، وكان كأحدهم ، وقاتل ابنُ أبي سبرة وابنا زحر والحجاجُ بن جارية^(٦) الخثعميَّ وجُلَّ أصحابه ، فأحسنوا القتال ، حتى إذا أرادوا الانصرافَ جمَلَ الحجاجُ بن جارية على

(١) ب : فكانه إنما كان يحجزه .

(٢) ب : فبادر .

(٣) ب : ما عدلنا .

(٤) ب : سيفه يهون ولو .

(٥) ب : سارية .

الساقة ، فكان يُقاتِل مَنْ وراءه حتى انتهى إلى الماء ، وقد كانوا عطشوا فشريوا ، وانصرف عنهم العدو ، ولم يظفروا منهم بشيء ، فقال سفيانُ ابن صفوان الخثعمي :

لولا ابنُ جاريةِ الأغرُ جبينُهُ لَسَقَيْتَ كأساً مُرةً المُتَجَرِّعِ ١٣٢٠/٢

وحَمَاكَ في قُرْمَانِهِ وخُيُولِهِ حتى وَرَدَتِ الماءَ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ
ثم إنَّه ألحَ عليها^(١) وأنزل الجنود^(٢) من كلِّ جانبِ حولِها ، وقطَعَ عنهم الموائد ، فلما جهِدوا^(٣) ، وعَجَزوا عن قتالِ المسلمين ، واشتدَّ عليهم الحصار والبلاء ، بعثَ صَوْلَ دِهْمَانَ دِهْمَانَ إلى يزيدَ : إني أصالحك على أن تؤمنني على نفسي وأهل بيتي ومالي ، وأدفعَ إليك المدينة وما فيها وأهلها . فصالحه ، وقبِلَ منه ، ووفى له ، ودخلَ المدينة فأخذ ما كان فيها من الأموال والكنوز ومن السبي شيئاً لا يُحصى ، وقتلَ أربعةَ عشر ألفَ تُركيٍّ صَبْرًا ، وكتبَ بذلك إلى سليمانَ بن عبد الملك .

ثم خَرَجَ حتى أتى جُرجانَ ، وقد كانوا يُصالحون أهلَ الكوفة على مائة ألف ، واثني ألف أحياناً ، وثلثمائة ألف ، وصالحهم عليها ، فلما أتاها يزيدُ استقبلوه بالصلح ، وهابوه وزادوه ، واستخلفَ عليهم رجلاً من الأزد يقال له : أسدُ بنُ عبد الله ، ودخلَ يزيدُ إلى الإصبهيد في طَبْرِ سَتَانٍ فكان معه الفَحْلَةُ يقطعون الشجر ، ويصالحون الطرق ، حتى انتهوا إليه ، فنزل به فحصره^(٤) وغلبَ على أرضه ، وأخذ الإصبهيدَ يعرض على يزيدَ الصلح ويريده على ما كان يُؤخِّدُ منه ، فإبى رجاؤه^(٥) افتتاحاً . فبعث ذاتَ يومَ أخاه أبا عبيدة في أهلِ المِصْرَيْنِ^(٦) ، فأصعد في الجبلِ إليهم ، وقد بعثَ الإصبهيدَ إلى الديلم ، فاستجاشَ بهم ، فاقتتلوا ، فحازهم المسلمون ساعةً وكشفوهم ، وخرجَ رأسُ الديلمِ يسألُ المُبَارَزةَ ، فخرجَ إليه ابنُ أبي سبرةَ فقتله ، فكانت هزيمتهم حتى انتهى المسلمون إلى قَمِ الشَّعبِ ؛

١٣٢١/٢

(١) ب : عليهم وعليها .

(٢) ب : أجهلوا .

(٣) ب : وحصر .

(٤) ب : السكر .

(٥) ب : رجال .

فَذَهَبُوا لِيَصْعَدُوا فِيهِ ، وَأَشْرَفَ عَلَيْهِمُ الْعَدُوُّ يَرْتَدُّونَهُمْ بِالنَّشَابِ ،
وَيَرْتَدُّونَهُمْ بِالْحِجَارَةِ ، فَانْهَزَمَ النَّاسُ مِنْ قَهْرِ الشَّعْبِ مِنْ غَيْرِ كِبَرٍ قِتَالٍ
وَلَا قُوَّةَ مِنْ عَدُوِّهِمْ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ وَطَلَبِهِمْ ، وَأَقْبَلُوا يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ،
حَتَّى أَخَذُوا يَتَسَاقَطُونَ فِي اللَّهْوِ ، وَيَتَلَهَّى الرَّجُلُ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ حَتَّى
نَزَلُوا إِلَى عَسْكَرِ يَزِيدَ لَا يَعْثُونَ بِالشَّرِّ شَيْئًا .

وَأَقَامَ يَزِيدُ بِمَكَانِهِ عَلَى حَالِهِ ، وَأَقْبَلَ الْإِصْبَهَيْدُ بِكَاتِبِ أَهْلِ جَرْجَانٍ
وَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يَشِيرُوا بِأَصْحَابِ يَزِيدَ ، وَأَنْ يَقْطَعُوا عَلَيْهِ مَادَّةَ والطَّرِيقِ فِيهَا بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْعَرَبِ ، وَيَعِدُّهُمْ أَنْ يَكْفِيَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، فَتَوَثَّبُوا بِمَنْ كَانَ يَزِيدُ
خَلْفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَنْ قَدَّرُوا عَلَيْهِ ، وَاجْتَمَعَ بِقَبِيضِهِمْ
فَتَحَصَّنُوا فِي جَانِبٍ ، فَلَمْ يَزَالُوا فِيهِ حَتَّى خَرَجَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ ، وَأَقَامَ يَزِيدُ عَلَى
الْإِصْبَهَيْدِ فِي أَرْضِهِ حَتَّى صَالَحَهُ عَلَى سَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفِ
نَقْدًا وَمِائَتِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ حِمَارٍ مَوْقَرَةٍ زَعْفَرَانًا ، وَأَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ ،
عَلَى رَأْسِ كُلِّ رَجُلٍ بُرْنُسٌ ، عَلَى الْبُرْنُسِ طَيْلَسَانٌ وَلِحْجَامٌ مِنْ فِصَّةٍ
وَسَرَقَةٍ^(١) مِنْ حَرِيرٍ ، وَقَدْ كَانُوا صَالِحُوا قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى مِائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ .
ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا يَزِيدُ وَأَصْحَابُهُ كَانَهُمْ قَتَلُوا ، وَلَوْلَا مَا صَنَعَ أَهْلُ جَرْجَانٍ
لَمْ يَخْرُجْ مِنْ طَبَرِ سَتَانَ حَتَّى يَفْتَحَهَا .

١٣٢٢/٢

وَأَمَّا غَيْرُ أَبِي خَنْصَفٍ ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي أَمْرِ يَزِيدَ وَأَمْرِ أَهْلِ جَرْجَانٍ مَا حَدَّثَنِي
أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ كَلِيبِ بْنِ خَلِيفٍ وَغَيْرِهِ ، أَنَّ
سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ صَالِحَ أَهْلِ جَرْجَانٍ ، ثُمَّ امْتَنَعُوا وَكَفَرُوا ، فَلَمْ يَأْتِ
جَرْجَانُ بَعْدَ سَعِيدِ أَحَدٍ ، وَسَنَعُوا ذَلِكَ الطَّرِيقَ ، فَلَمْ يَكُنْ يَسْلُكُ طَرِيقَ
خُرَّاسَانَ مِنْ فَاحِيَةِ أَحَدٍ إِلَّا عَلَى وَجَلٍ وَخَوْفٍ مِنْ أَهْلِ جَرْجَانٍ ؛ كَانَ
الطَّرِيقُ إِلَى خُرَّاسَانَ مِنْ فَارِسَ إِلَى كَرْمَانَ ، فَأَوَّلُ مَنْ صَيَّرَ الطَّرِيقَ مِنْ
قَوْمِ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ حِينَ وَلِيَ خُرَّاسَانَ . ثُمَّ غَزَا مَصْقَلَةَ خُرَّاسَانَ أَيَّامَ
مَعَاوِيَةَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، فَأَصِيبَ وَجَنَّهُ بِالرُّوْيَانِ ، وَهِيَ مَتَاخِمَةُ طَبَرِ سَتَانَ

(١) السَّرَقَةُ : شَقَّةُ الْحَرِيرِ الْأَبْيَضِ .

فهلكوا في وادٍ من أوديتها ، أخذ العدو عليهم بمضايقة ، فقتلوا جميعاً ،
فهو يُسمى وادي مصقلة .

قال : وكان يُضرب به المشك حتى يرجع مصقلة من طبرستان ، قال
على ، عن كليب بن خلف العمي ، عن طفيل بن مرداس العمي
وإدريس بن حنظلة : إن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان ، فكانوا
يبيعون أحياناً مائة ألف ، ويقولون : هذا صلحنا ، وأحياناً مائتي ألف ، وأحياناً
ثلثمائة ألف ، وكانوا ربما أعطوا ذلك ، وربما منعه ، ثم امتنعوا وكفروا
فلم يُعطوا خراجاً ، حتى أتاهم يزيد بن المهلب فلم يُعازره أحد حين
قدمها ، فلما صالح صول وفتح البحيرة ودهستان صالح أهل جرجان
على صلح سعيد بن العاص . ١٣٢٣/٢

حدثني أحمد . عن علي ، عن كليب بن خلف العمي ، عن
طفيل بن مرداس ، وبشر بن عيسى عن أبي^(١) صفوان ، قال علي :
حدثني أبو حفص الأزدي عن سليمان بن كثير ، وغيرهم ، أن صولاً التركي
كان ينزل دِهستان والبحيرة - جزيرة في البحر بينهما وبين دِهستان
خمس فراسخ ، وهما من جرجان مما يلي خوارزم - فكان صول يُغير على
فيروز بن قول ، مَرزبان جرجان ، وبينهم خمسة وعشرون فرسخاً ، فيصيب
من أطرافهم ثم يرجع إلى البحيرة ودهستان ، فوقع بين فيروز وبين
ابن عم له يقال له المَرزبان منازعة ، فاعتزله المَرزبان ، فنزل الياسان ،
فخاف فيروز أن يُغير عليه الترك ، فخرج إلى يزيد بن المهلب بخراسان ،
وأخذ صول جرجان ، فلما قدم على يزيد بن المهلب قال له : ما أقد منك ؟
قال : خفت صولاً ، فهربت منه ، قال له يزيد : هل من حيلة لقتاله ؟
قال : نعم ، شيء واحد ، إن ظفرتُ به قتلته ، أو أعطى^(٢) بيده ، قال :
ما هو ؟ قال : إن خرج من جرجان حتى يتزل^(٣) البحيرة ، ثم أتيته
ثم فحاصرته بها ظفرتُ به ، فكتب إلى الإصبيهد كتاباً تسأله فيه أن يمتل

(١) ساقطة من ط (٢) ب : « وأعطى » . (٣) ب : « يترك » .

لصول حتى يقيم بجرجان ، واجعل له على ذلك جعلًا ، ومنه ، فإنه يبعث بكتابه إلى صول يتقرب به إليه لأنه يعظمه ، فيتحوّل عن جرجان ، فيتزلّ البُحيرة .

فكُتِبَ يزيدُ بنُ المهلب إلى صاحب طَبَرِستان : إني أريد أن أغزو صولا وهو بجرجان ، فحضتُ إنْ يُلْغِه أني أريدُ ذلك أن يتحوّل إلى البُحيرة فينزلها ، فإن تحوّل إليها لم أقدر^(١) عليه ؛ وهو يسمّع منك^(٢) ويستصحك ، فإن حبسته العام بجرجان فلم يأت البُحيرة حملت إليك خمسين ألف مثقال ؛ فاحتلّ له حيلة ؛ تحبسه بجرجان ، فإنه إن أقام بها ظفرت به . فلما رأى الإصبيذُ الكتابَ أراد أن يتقرب إلى صول ، فبعث بالكتاب إليه ، فلما أتاه الكتابُ أمر الناس بالرحيل إلى البُحيرة وحمل الأطعمة ليتحصن فيها . وبلغَ يزيدُ أنه قد سار من جرجان إلى البُحيرة ، فاعتزم على السير إلى الجرجان ، فخرج في ثلاثين ألفًا ، ومعه فيروز ابنُ قول ، واستخلف^(٣) على خراسانَ مخلد بن يزيد ، واستخلف على سمرقند وكس ونسف وبخارى ابنه معاوية بن يزيد ، وعلى طخارستان حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وأقبل حتى أتى جرجان ولم تكن يومئذ مدينة إنما هي جبال مُحيطَةٌ بها ، وأبوابٌ وتُحارم ، يقوم الرجلُ على باب منها فلا يقدم عليه أحدٌ — فدخلها يزيد لم يعازه أحد ، وأصاب أموالًا ، وهرب المرزبان ، وخرج يزيد بالناس إلى البُحيرة ، فأناخ على صول ، وتغل حين نزل بهم :

فخرَ السيفِ وارْتَعَشَتْ يَدَاهُ وَكَانَ بِنَفْسِهِ وَقَيْتَ نَفُوسُ

قال : فحاصرهم ، فكان يخرج إليه صول في الأيام فيقاتله ثم يرجع إلى حصنه ، ومع يزيد أهل الكوفة وأهل البصرة . ثم ذكر من قصة جهنم ابن زحر وأخيه محمد نحوًا مما ذكره هشام ، غير أنه قال في ضربته التركي ابن أبي سبرة : فنكس سيف التركي في دقة ابن أبي سبرة .

(١) ب : لم يقدر عليه . (٢) ب : منّا .

(٣) ب : واستعمل .

قال علي بن محمد ، عن علي بن مجاهد ، عن عتبة ، قال : قاتل محمد بن أبي سبرة الترك بمرجان فأحاطوا به واعتوروه بأساقهم ، فانقطع في يده ثلاثة أسياف .

ثم رجع إلى حديثهم ؛ قال : فكنوا بذلك - يعني الترك - محصورين يخرجون فيقاتلون ، ثم يرجعون إلى حصنهم ستة أشهر ، حتى شربوا ماء الأحساء ، فأصابهم داء يسمى السؤد^(١) ، فتوقع فيهم الموت ، وأرسل صول في ذلك يطلب الصلح ، فقال يزيد بن المهلب : لا ، إلا أن يتزل على حكمي ، فأبى . فأرسل إليه : إني أصالحك على نفسي ومالي وثلاثمائة من أهل بيتي وخاصتي ، على أن تمني فتتزل البحيرة . فأجابته إلى ذلك يزيد ، فخرج بحاله وثلاثمائة من أحسب ، وصال مع يزيد ، فقتل يزيد من الأمراء أربعة عشر ألفاً صبراً ، ومن على الآخرين فلم يقتل منهم أحداً . وقال الجند ليزيد : أعطنا أرزاقنا ، فدعا إدريس بن حنظلة للمعنى ، فقال : يا بن حنظلة ، أحضر لنا ما في البحيرة حتى نعطيك الجند ، فدحلكها إدريس ، فلم يقدر على إحصاء ما فيها ، فقال ليزيد : فيها ما لا أستطيع إحصاءه ، وهو في ظروفي ، فحصى الجواليق ونعلم ما فيها ، ونقول للجند : ادخلوا فخذوا ، فن أخذوا شيئاً عرفنا ما أخذ من الخنطة والشعير والأرز والسمسم^(٢) والعسل . قال : نعم ما رأيت ، فأحصوا الجواليق عند دأ ، وعلموا كل جوالق^(٣) ما فيه ، وقالوا^(٤) للجند : خذوا ، فكان الرجل يخرج وقد^(٥) أخذ ثياباً^(٦) أو طعاماً أو ما حمّل^(٧) من شيء فيكتب على كل رجل ما أخذ ، فأخذوا شيئاً كثيراً .

قال علي : قال أبو بكر الهذلي : كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب ، فرفضوا عليه أنه أخذ خريطة^(٨) ، فسأله يزيد عنها ، فأثابه بها ، فدعا يزيد الذي رقع عليه فشتمه ، وقال لشهر : هي لك ، قال : لا حاجة لي فيها ، فقال القطامي الكلبي - ويقال : سينان بن مكمل التميمي :

(١) في القاموس : « السؤد ، كتراب : داء يأخذ الإنسان والإبل والدمن من شرب الماء المالح »

(٢) ب : « والسمن » . (٣) ب : « على جوالق » .

(٤) ب : « وقال » . (٥) ر : « قد » . (٦) ب : « وطعاماً وما » .

لَقَدْ بَاعَ شَهْرٌ دِينَهُ بِخَرِيطَةٍ فَمَنْ يَأْمَنُ الْقُرْءَا بِعَمَلِكَ يَا شَهْرُ؟
أَخَذَتْ بِهِ شَيْئاً طَفِيفاً وَبِعَتْهُ مِنْ ابْنِ جَوْوِدَ إِنَّ هَذَا هُوَ الْغَنَرُ
وَقَالَ مَرَّةً النَّحْتَى لَشَهْرٍ :

يَا بَنَ الْمُهْلَبِ مَا أَرَدْتَ إِلَى امْرِئٍ لَوْلَاكَ كَانَ كصَالِحِ الْقُرْءَا

قال عليّ: قال أبو محمد الثَّقَفِيّ: أصاب يزيدُ بنُ المهلبِ تاجاً يجرُجان فيه جَوهر ، فقال : أترون أحداً يزهد في هذا التاج ؟ قالوا : لا ، فدعا محمد بن واسع الأزديّ ، فقال : خذْ هذا التاجَ فهو لك ؛ قال : لا حاجة لي فيه ، قال : عزمتُ عليك ، فأخذه ، وخرج فأمر يزيدُ رجلاً ينظر ما يصنع به ، فلقى سائلاً فدفعه إليه ، فأخذ الرجلُ السائل ، فأنتى به يزيدُ ١٣٢٧/٢ وأخبره الخبر ، فأخذ يزيدُ التاجَ ، وعوّض السائل مالاً كثيراً .

قال عليّ : وكان سليمانُ بن عبد الملك كلما افتتح قتيبةً فتَحاً قال ليزيد بن المهلب : أما تَرى ما يصنع الله على يدَي قُتيبة ؟ فيقول ابنُ المهلب : ما فعلتُ جُرْجانُ التي حالت بين الناس والطريق الأعظم ، وأفسدت قُبُوس وأبرشهر ! ويقول : هذه الفتوح ليست بشيء ، الشأنُ في جُرْجان . فلما ولي يزيدُ بنُ المهلب لم يكن له همة غير جُرْجان . قال : ويقال : كان يزيدُ بنُ المهلب في عشرين واثنة ألف ، معه من أهل الشام ستون ألفاً .

قال عليّ في حديثه ، عن ذَكَرَ خَبَرَ جُرْجان عنهم : وزاد فيه على ابن مجاهد ، عن خالد بن صبيح أن يزيدَ بنَ المهلب لما صالح صولاً طَمَع في طَبْرِستان أن يَمْتَحَهَا ، فاعترَم على أن يسيرَ إليها ، فاستعمل عبد الله بن المعتمر الشكري على اليباسان ودهستان ، وخلف معه أربعة آلاف ، ثم أقبل إلى أداني جُرْجان مما يلي طَبْرِستان ، واستعمل على أنطريستان أسد ابن عمرو - أو ابن عبد الله بن الربيعة - وهي مما يلي طَبْرِستان ، وخلفه في أربعة آلاف ، ودخل يزيدُ بلادَ الإصبهنة فواصل إليه يسأله الصلح ،

وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْ طَبَرِ سَتَانَ ، فَأَبَى يَزِيدُ وَرَجَا أَنْ يَفْتَحَهَا ، فَوَجَّهَ أَخَاهُ
 ١٣٢٨/٢ أَبَا عُسَيْبَةَ مِنْ وَجْهِ ، وَخَالَدَ بْنَ يَزِيدَ ابْنَهُ مِنْ وَجْهِ ، وَأَبَا الْجَهْمِ الْكَلْبِيَّ مِنْ
 وَجْهِ ، وَقَالَ : إِذَا اجْتَمَعْتُمْ فَأَبُو عُسَيْبَةَ عَلَى النَّاسِ . فَسَارَ أَبُو عُسَيْبَةَ فِي أَهْلِ
 الْمَيْصَرَيْنِ وَمَعَهُ هُرَيْرُ بْنُ أَبِي طَحْمَةَ . وَقَالَ يَزِيدُ لِأَبِي عُسَيْبَةَ : شَاوِرْ هُرَيْرًا
 فَإِنَّهُ نَاصِحٌ . وَأَقَامَ يَزِيدُ مَعْسَكَرًا .

قَالَ : وَاسْتَجَاشَ الْإِصْبَهَيْدُ بِأَهْلِ جِيلَانَ وَأَهْلِ الدَّيْلَمِ ، فَأَتَتْهُ فَانْتَقَوْا
 فِي سَنَدِ جَبَلٍ ، فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ ، وَأَتَبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى فِئَةِ الشَّعْبِ
 فَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ ، فَصَعَدَ الْمُشْرِكُونَ فِي الْجَبَلِ ، وَأَتَبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، فَرَمَاهُمْ
 الْعَدُوُّ بِالنَّشَابِ وَالْحِجَارَةِ ، فَانْهَزَمَ أَبُو عُسَيْبَةَ وَالْمُسْلِمُونَ ، فَرَكِبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
 يَتَسَاقَطُونَ مِنَ الْجَبَلِ ، فَلَمْ يَثْبُتُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى عَسْكَرِ يَزِيدَ ، وَكَفَفَ
 الْعَدُوُّ عَنْ اتِّبَاعِهِمْ ، وَخَافَهُمُ الْإِصْبَهَيْدُ ، فَكَتَبَ إِلَى الْمَرْزُوبَانَ بْنِ عَمِّ
 قَبْرُوزَ بْنِ قَوْلٍ وَهُوَ بِأَقْصَى جُرْجَانَ مَمَالِي الْبِيَّاسَانِ : إِنَّا قَدْ قَتَلْنَا يَزِيدَ وَأَصْحَابَهُ
 فَاقْتُلْ مَنْ فِي الْبِيَّاسَانِ مِنَ الْعَرَبِ . فَخَرَجَ إِلَى أَهْلِ الْبِيَّاسَانِ وَالْمُسْلِمِينَ
 غَارُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ ، قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِمْ ، فَقَتَلُوا جَمِيعًا فِي لَيْلَةٍ ، فَأَصْبَحَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَمِرِ مَقْتُولًا وَأَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ،
 وَقُتِلَ مِنْ بَنِي الْعَمِّ خَمْسُونَ رَجُلًا ؛ قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَإِسْمَاعِيلُ
 ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَمَّاسٍ . وَكَتَبَ إِلَى الْإِصْبَهَيْدِ يَأْخُذُ بِالْمَضَائِقِ ^(١) وَالطَّرِيقِ .
 وَبَلَغَ يَزِيدَ قَتْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ وَأَصْحَابِهِ ، فَأَعْظَمُوا ذَلِكَ ، وَهَالَتْهُمْ ،
 فَتَفَرَّغَ يَزِيدُ إِلَى حَيَّانَ النَّبْطِيِّ . وَقَالَ : لَا يَمْنَعُكَ مَا كَانَ مِنْهُ إِلَيْكَ مِنْ
 ١٣٢٩/٢ نَصِيحَةِ الْمُسْلِمِينَ ، قَدْ جَاءَنَا عَنْ جُرْجَانَ مَا جَاءَنَا ، وَقَدْ أَخَذَ هَذَا بِالطَّرِيقِ ،
 فَأَعْمَلْ فِي الصَّلَاحِ ؛ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَتَى حَيَّانُ الْإِصْبَهَيْدَ فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ
 مِنْكُمْ ، وَإِنْ كَانَ الدِّينُ قَدْ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، فَإِنِّي لَكُمْ ^(٢) نَاصِحٌ ، وَأَنْتَ
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ يَزِيدَ ، وَقَدْ بَعَثَ بِسَيْفٍ ، وَأَمَدَّاهُ مِنْهُ قَرِيبَةً ، وَإِنَّمَا أَصَابُوا
 مِنْهُ طَرَفًا ، وَلَسْتُ أَمْسِنُ أَنْ يَأْتِيكَ مَا لَا تَقُومُ لَهُ ، فَأَرْحُ نَفْسَكَ مِنْهُ ، وَصَالِحَهُ

(١) ب : للمضائق .

(٢) كذا في ب ، وفي ط : فأتاك .

فإنك إن صالحته صيرَ حدةً على أهل جُرجان ، بغدرهم وقتلهم من قتلوا ، فصالحه على سبعمائة ألف - وقال على بن مجاهد : على خمسمائة ألف - وأربعمائة وقرَ زعفران أو قيمته من العيين ، وأربعمائة رجل ، على كل رجل بُرئس وطيلسان ، ومع كل رجل جام فضة وسرقة خنز وكسوة .

ثم رجع إلى يزيد بن المهلب فقال : ابعت من يحمل صلحهم الذي صالحتهم عليه ، قال : من عندهم أو من عندنا ؟ قال : من عندهم . وكان يزيد قد طابت نفسه على أن يعطيهم ما سألو ، ويرجع إلى جُرجان فأرسل يزيد من يحمل ما صالحهم عليه حيّان ، وانصرف إلى جُرجان ، وكان يزيد قد غرم حيّاناً مائتي ألف ، فخاف ألا ينالها .

والسبب الذي له أغرم حيّان فيه ما حدثني علي بن مجاهد ، عن خالد بن صبيح ، قال : كنت مؤدباً لوليد حيّان ، فدعاني فقال لي : اكتب كتاباً إلى مخلد بن يزيد - وتخلد يومئذ ببسّخ ، ويزيد بمرو - فتناولت القيرطاس ، فقال : اكتب : من حيّان مولى مصقلة إلى مخلد بن يزيد - فغمزني مقاتل ابن حيّان ألا تكتب ، وأقبل على أبيه فقال : يا أبت تكتب إلى مخلد وتبدأ بنفسك ! قال : نعم يا بني ، فإن لم يرض لقي ما لقي قتيبة . ثم قال لي : اكتب ، فكتبت ، فبعث مخلد بكتابه إلى أبيه ، فأغرم يزيد حيّان مائتي ألف درهم .

[فتح جرجان]

وفي هذه السنة فتح يزيد جُرجان الفتح الآخر بعد غدرهم بجنده ونقضهم العهد ، قال علي ، عن الرهط الذين ذكر أنهم حدّثوه بخبر جُرجان وطبرستان : ثم إن يزيد لما صالح أهل طبرستان قصّد لجُرجان ، فأعطى الله عهداً ، لئن ظفّر بهم ألا يقلع عنهم ، ولا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدمائهم ، ويختبز من ذلك الطحين ، ويأكل منه ،

فلما بلغ المرزبان أنه قد صالح الإصهيد ووجه إلى جرجان ، جمَعَ أصحابه وأتى وجاه ، فتحصن فيها ، وصاحبها لا يحتاج إلى عُدّة من طعام ولا شراب . وأقبل يزيد حتى نزل عليها وهم متحصنون فيها ، وحولها غياض فليس يعرف لها إلا طريق واحد ، فأقام بذلك سبعة أشهر لا يتقدرون منهم على شيء ، ولا يعرف لهم مأتى إلا من وجه واحد ، فكانوا يخرجون في الأيام فيقاتلونهم ويرجعون إلى حصنهم ، فبيناهم على ذلك إذ خرج رجل من عجم خراسان كان مع يزيد يتصيدُ ومعه شاكزية له .

وقال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف : فخرج رجل من عسكره من طيئ يتصيد ، فأبصر وعلاً يرقى في الجبل ، فاتبعه ، وقال لمن معه : قتلوا مكانكم ، ووقل في الجبل يقتص الأثر ، فاشعر بشيء حتى هجم على عسكرهم ، فرجع يريد أصحابه ، فخاف ألا يهتدى ، فجعل يخرق قباءه ويتخذ على الشجر علامات ، حتى وصل إلى أصحابه ، ثم رجع إلى العسكر . ويقال : إن الذي كان يتصيد المياج بن عبد الرحمن الأزدي من أهل طوس ، وكان منهوياً بالصيد ، فلما رجع إلى العسكر أتى عامر بن أديم الواشجي صاحب شرطة يزيد ، فسنعه من الدخول ، فصاح : إن عدلى نصيحة .

وقال هشام عن أبي مخنف : جاء حتى رفع ذلك إلى ابني زحر بن قيس ، فانطلقا به ابنا زحر حتى أدخلاه على يزيد ، فأعلمه ، فضمن له بضمان الجهنية - أم ولد كانت ليزيد - على شيء قد ساء .

وقال علي بن محمد في حديثه عن أصحابه : فدعا به يزيد فقال : ما عندك ؟ قال : أتريد أن تدخل وجاه بغير قتال ؟ قال : نعم ، قال : جئناكي ؟ قال : احتكم ، قال : أربعة آلاف ، قال : لك دية ، قال : عجلوا لي أربعة آلاف ، ثم أنتم بعد من وراء الإحسان . فأمر له بأربعة آلاف ، ونذّب الناس ، فانتدب ألف وأربعمائة ، فقال : الطريق لا يحبل هذه الجماعة لالتفاف الغياض ، فاختر منهم ثلثائة ، فرجهم ، واستعمل عليهم جهنم بن زحر .

وقال بعضهم : استعمل عايهم ابنه خالد بن يزيد ، وقال له : إن غلبت على الحياة فلا تغلبن على الموت ، وإياك أن أراك عندى منهزماً ، وضم إليه جهنم بن زحر ، وقال يزيد للرجل الذى ندب الناس معه : متى تحصل إليهم ؟ قال : غداً عند العصر فيما بين الصلاتين ، قال : امضوا على بركة الله ، فمضى ساجداً على مناهضتهم غداً عند صلاة الظهر . فساروا ، فلما قارب انتصاف النهار من غد أمر يزيد الناس أن يشعلوا النار فى حطاب كان جمعه فى حصاره إياهم ، فصيروه أكلاً ، فأضرموه نارا ، فلم تنزل الشمس حتى صارت حول عسكره أمثال الجبال من الثيران ، وفطر العدو إلى النار ، فهالهم ما رأوا من كثرتها ، فخرجوا إليهم . وأمر يزيد الناس حين زالت الشمس فصلوا ، فجمعوا بين الصلاتين ، ثم رجعوا إليهم فاقتتلوا ، وسار الآخرون بقية يومهم والغد ، فهجموا على عسكر الركب قبيل العصر ، وهم آمنون من ذلك الوجه ، ويزيد يقاتل من هذا الوجه ، فاشعروا إلا بالتكبير من ورائهم ، فانقطعوا جميعاً إلى حصنهم ، وركبهم المسلمون ، فأعطوا بأيديهم ، ونزلوا على حكم يزيد ، فسي ذرايعهم ، وقتل مقاتلتهم ، وصلبهم فرستين عن يمين الطريق ويساره ، وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى الأندلس - وادى جرجان - وقال : من طلبهم بأثر فليقتل ، فكان الرجل من المسلمين يقتل الأربعة والخمسة فى الوادى ، وأجرى الماء فى الوادى على الدم ، وعليه أرحاء ليطحن بدمائهم ، ولتبر يمينه ، فطحن واختبر وأكل وبنى مدينة جرجان . وقال بعضهم : قتل يزيد من أهل جرجان أربعين ألفاً ، ولم تكن قبل ذلك مدينة ورجع إلى خراسان واستعمل على جرجان جهنم بن زحر الجعفى .

وأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبي مخنف أنه قال : دعا يزيد جهنم ابن زحر فبعث معه أربعمائة رجل حتى أخذوا فى المكان الذى دلوا عليه وقد أمرهم يزيد فقال : إذا وصلتم إلى المدينة فانتظروا ، حتى إذا كان فى السحر فكسروا ، ثم انطلقوا نحو باب المدينة ، فإنكم تجدونى وقد نهضت بجميع الناس إلى بابها ، فلما دخل ابن زحر المدينة أمهل حتى إذا كانت

الساعة التي أمره يزيد أن يتنهض فيها مشى بأصحابه، فأخذ لا يستقبل من أحراسهم أحداً إلا قتله. وكثير، ففرع أهل المدينة فزعاً لم يدخلهم مثله قط، فما مضى، فلم يرعهم إلا والمسلمون معهم في مدينتهم يكبرون فدُهِشوا، فألقى الله في قلوبهم الرعب، وأقبلوا لا يدرون أين يتوجهون! غير أن عصابة منهم ليسوا بالكثير قد أقبلوا نحو جهنم بن زحر، فقاتلوا ساعة، فدقت يد جهنم، وصبر لم هو وأصحابه، فلم يلبثوا أن قتلوا إلا قليلاً. وسمع يزيد بن المهلب التكبير، فوثب في الناس إلى الباب، فوجدوا قد شغلهم جهنم بن زحر عن الباب، فلم يجد عليه من يمنعه ولا من يدفع عنه كبير دفع، ففتح الباب ودخلها من ساعته، فأخرج من كان فيها من المقاتلة، فنصب لهم الخنوع فترسخن عن عین الطريق ويساره، فصلبهم أربعة فراسخ، وسبى أهلها، وأصاب ما كان فيها.

قال علي في حديثه، عن شيوخه، الذين قد ذكرت أسماءهم قبل، وكتب يزيد إلى سليمان بن عبد الملك:

أما بعد، فإن الله قد فتح لأمير المؤمنين فتحاً عظيماً، وصنع للمسلمين أحسن الصنع، فلربنا الحمد على نعمه وإحسانه، أظهر في خلافة أمير المؤمنين على جرجان وطبرستان، وقد أعيا ذلك سابور ذا الأكتاف وكيسرى بن قباد وكيسرى بن هرمز، وأعيا الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان ومن بعدهما من خلفاء الله، حتى فتح الله ذلك لأمير المؤمنين كرامة من الله له، وزيادة في نعمه عليه. وقد صار عندي من خمس ما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار إلى كل ذي حق حقه من الفتي والغنيمة ستة آلاف ألف، وأنا جامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله.

فقال له كاتبه المغيرة بن أبي قرّة مولى بني سدوس: لا تكب بتسمية مال، فإنك من ذلك بين أمرين: إما استكثرت فأمرتك بحمله، وإما سخّنت نفسه لك به فسوّغتك فتكلفت الهدية، فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقبله، فكأن بك قد استغرقت ما سميت ١٢٣٥/٢

ولم يقع منه موقعاً ، ويبقى المال الذي سميت غلداً عندهم عليك في دواوينهم ، فإن وكليّ وال بعدّه أخذك به ، وإن وكليّ من يتحامل عليك لم يرض منك بأضعافه ، فلا تمض كتابك ، ولكن اكتب بالفتح ، سلّه القدوم فتشافه بما أحببت مشافهة ، ولا تقصر ، فإنك إن تقصر عما أحببت أخرى من أن تكثر .
فأبى يزيد وأمضى . وقال : بعضهم كان في الكتاب أربعة آلاف ألف .

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة توفيّ أيوب بن سليمان بن عبد الملك ، فحدثت عن عليّ بن محمد ، قال : حدثنا عليّ بن مجاهد ، عن شيخ من أهل الرّي أدركه يزيد ، قال : أتني يزيد بن المهلب الرّي حين فرغ من جرجان ، فبلغه وفاة أيوب بن سليمان وهو يسير في باغ أبي صالح على باب الرّي ، فارتجز راجز بين يديه فقال :

إن يك أيوب مضي لشائيه فإن داود لفي مكايه .

• يقم ما قد زال من سلطانيه •

وفي هذه السنة فتحت مدينة الصقالية .

وفيها غزا داود بن سليمان بن عبد الملك أرض الروم ، فتفتح حصن المرأة مما على مملطية .

وحج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وهو يومئذ أمير على مكة ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عليها سنة سبع ، وقد ذكرناهم قبل ، غير أن عامل يزيد بن المهلب على البصرة في هذه السنة كان - فيما قيل - سفيان بن عبد الله الكندي .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[وفاة سليمان بن عبد الملك]

فمن ذلك وفاة سليمان بن عبد الملك، توفى - فيما حدثت عن هشام، عن أبي مخنف - بدأبقي من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر، فكانت ولايته ستين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام.

وقد قيل : توفى لعشر ليال مضين من صفر. وقيل : كانت خلافته ستين وسبعة أشهر وقيل : ستين وثمانية أشهر وخمسة أيام.

وقد حدث الحسن بن حماد، عن طلحة أبي محمد، عن أشياخه، أنهم قالوا : استخلف سليمان بن عبد الملك بعد الوليد ثلاث سنين. وصلى عليه عمر بن عبد العزيز.

وحدثني أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال : توفى سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين، فكانت خلافته ثلاث سنين إلا أربعة أشهر.

* * *

• ذكر الخبر عن بعض سيره :

١٣٣٧/٢

حدثت عن علي بن محمد، قال : كان الناس يقولون : سليمان مفتاح الخير، ذهب عنهم الحجاج، فولى سليمان، فاطلق الأسارى، وخلص أهل السجون، وأحسن إلى الناس، واستخلف عمر بن عبد العزيز، فقال ابن بيشر :

حاز الخلافة والدك كلاهما من بين سخطه ساخط أو طائع
أبوك ثم أخوك أصبح ثالثاً وعلى جبينك نور ملك الرابع
وقال علي : قال المفضل بن المهلب : دخلت على سليمان بدأبقي يوم

جمعة ، فلما بثياب فلكبها ، فلم تُعجبه ، فلما بغيرها بثياب خُضِرَ سُوسِيَّةٌ بَعَثَ بِهَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، فلبسها واعْتَمَ وقال : يا ابن المهلب ، أعجبتك ؟ قلت : نعم ، فَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَنَا الْمَلِكُ الْفَتَيِّ ، فَصَلَّى الْجُمُعَةَ ، ثُمَّ لَمْ يَجْمَعْ بَعْدَهَا ، وَكَبَّ وَصِيَّتَهُ ، وَدَعَا ابْنَ أَبِي نُعَيْمٍ صَاحِبَ الْحَاتِمِ فَخَتَّمَهُ .

قال علي : قال بعضُ أهل العلم : إن سليمانَ لبس يوماً حُلَّةَ خُضْرَاءَ وَعَمَامَةَ خُضْرَاءَ وَنَظَرَ فِي الْمِرْآةِ فَقَالَ : أَنَا الْمَلِكُ الْفَتَيِّ ، فَمَا عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا أَسْبُوعًا .

قال علي : وَحَدَّثَنَا سُحَيْمُ بْنُ حَفْصٍ ، قَالَ : نَظَرْتُ إِلَى سُلَيْمَانَ جَارِيَةً لَهُ يَوْمًا ، فَقَالَ : مَا تَنْظُرِينَ ؟ فَقَالَتْ :

أَنْتَ غَيْرُ الْمَنَاعِ لَوْ كُنْتَ نَبِيًّا غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ لَيْسَ فِيهَا عَلَمُهُ فَيْكَ عَيْبٌ كَانَ فِي النَّاسِ غَيْرَ أَنَّكَ فَإِنْ فَتَنَصَّ عَمَامَتَهُ .

قال علي : كَانَ قَاضِي سُلَيْمَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ حَبِيبٍ الْمَهَارِيُّ ، وَكَانَ ابْنُ أَبِي عُبَيْتَةَ يَقُصُّ عَنْهُ .

وَحَدَّثْتُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، عَنْ رُوَيْبَةَ بْنِ الْعَسَاجِ ، قَالَ : حَجَّ^(١) سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَحَجَّ الشَّعْرَاءُ مَعَهُ ، وَحَجَّجْتُ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَاجِعًا تَلَكَّاهُ بَنُو مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ الرُّومِ ، فَتَعَدَّ سُلَيْمَانُ ، وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلَسًا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ،^(٢) فَقَدَّمَ بِطَرِيقِهِمْ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، أَضْرِبْ عُنُقَهُ^(٣) ، فَقَامَ فَمَا أَعْطَاهُ أَحَدٌ سَيْفًا حَتَّى دَفَعَ إِلَيْهِ حَرَسِي سَيْفَهُ فَضَرَبَهُ فَأَبْكَى الرَّأْسَ ، وَأَطْنِ السَّاعِدَ^(٤) ، وَبِضْ الْفُكْلَ ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ : أَمَّا وَاللَّهِ مَا مِنْ جُودَةِ السَّيْفِ

(١) الخبر في الأغاني ١٥ : ٣٤١ ، ٣٤٢ ، يستند عن قتادة ، عن أبي عبيدة في كتاب التفاضل ، من رؤية ابن السجّاج ؛ وهو أيضاً في التفاضل ٣٨٣ .

(٢-٣) الأغاني : وعليه ثوبان مسمران ، وهو أقربهم منه مجلساً ، فادنوا إليه بطريقهم وهو في جامعة ، فقال لعبد الله بن الحسن : قم فانصب عنه . (٣) أُلْك : قله .

جاءت الضربة ، ولكن لحسنه^(١) ، وجعل يدفع البقية إلى الوجه وإلى الناس يقتلونهم حتى دفع إلى جرير رجلاً منهم ، فمست إليه بنو عبس سيفاً في قراب أبيض ، فضربه فأبان رأسه ، ودفع إلى الفرزدق أسيراً فلم يجيد سيفاً ، فدسوا له سيفاً دنان^(٢) مثني^(٣) لا يقطع ، فضرب به الأسير ضربات ، فلم يصنع شيئاً ، فصحبك سليمان والقوم ، وسميت بالفرزدق بنو عبس أحوال سليمان ، فألقى السيف وأنشأ يقول ، ويعتذر إلى سليمان ، ويأتى بنجو سيف ورفاء عن رأس خالد :

١٣٣٩/٢

إِنْ يَكُ سَيْفٌ خَانَ أَوْ قَدْرٌ آتَى بِتَأْخِيرِ نَفْسٍ حَقُّهَا غَيْرُ شَاهِدٍ^(٤)
فَسَيْفُ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ نَبَأَ يَبْدَى وَرَقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ
كَذَاكَ سُيُوفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُلُمَاتُهَا وَتَقَطُّعُ أحياناً مَنَاطَ الْقَلَائِدِ

ورقاء هو ورفاء بن زهير بن جذيمة العبسي ، ضرب خالد بن جعفر بن كلاب ، وخالد مكب على أبيه زهير ، قد ضربه بالسيف وصراعه ، فأقبل ورفاء بن زهير فضرب خالداً ، فلم يصنع شيئاً ، فقال ورفاء ابن زهير :

رَأَيْتُ زُهَيْرًا تَحْتَ كُلِّكَ خَالِدٍ فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى كَالْعَبْجُولِ أَبَادِرُ^(٥)
فَشَلَّتْ عَيْنِي يَوْمَ أَضْرَبُ خَالِدًا وَيُحْصِنُهُ مِنِّي الْحَلِيدُ الْمَظَاهِرُ^(٦)

وقال الفرزدق في مقامه ذلك :

أَيَعْجَبُ النَّاسُ أَنْ أَصْحَكَتْ خَيْرَهُمْ خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَقْسَى بِهِ الْمَطَرُ^(٧)
فَمَا نَبَأَ السَّيْفُ عَنْ جُبَيْنٍ وَلَا دَهَشٍ عِنْدَ الْإِمَامِ وَلَكِنْ أَخْرَ الْقَدْرُ

- (١) في الأغاني : « فقال له سليمان : اجلس ، فواقه ما ضربته بسيفك ، ولكن بحبك » ، وفي النقاظ : « والله ما هو من جودة السيف أجاد الفرية ، ولكن بجودة حسبه وشرف مركبه » .
(٢) الددان ، السيف الكليل : وفي الأغاني : « فمست إليه القية سيفاً كليلاً » .
(٣) ط : « مثني » . (٤) دبراته ١٨٦ .
(٥) الأغاني ١١ : ٧٤ . (٦) الأغاني : « ويمتعه مني الحديده » .
(٧) النقاظ ٣٨٤ ، الأغاني ١٥ : ٣٤٤ . وفيه : « أبيضك الناس »

ولو ضربتُ على عمرو مقلدةً لخرّ جثمانه ما فوقه شعر^(١)
وما يُعجلُ نفساً قبلَ ميّتها^(٢) جمعُ اليدين ولا الصمصامة الذكّر ١٣٤٠/٢
وقال جرير في ذلك :

بسيّفو أبي رغوآن سيفٌ مجاشعٌ ضربتُ ولم تضرب بسيف ابن ظالم^(٣)
ضربتَ به عند الإمام فأزعشتُ يدك ، وقالوا مُحَدَّثٌ غيرُ صارمٍ

حدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني ، أبي قال : حدثني سليمان
قال : حدثني عبد الله بن محمد بن عيسى ، قال : أخبرني أبو بكر بن
عبد العزيز بن الضحاك بن قيس ، قال : شهد سليمان بن عبد الملك جنازةً
بدايتُ ، فدُفنتُ في حقل ، فجعل سليمان يأخذ من تلك التربة فيقول :
ما أحسن هذه التربة ! ما أطيبها ! فما أتى عليه جمعة أو كما قال حتى دُفن
إلى جنب ذلك القبر .

(١) لم يرد في النفاqus . وفي الأغاني : « ولو ضربت به عمرًا مقلده » .

(٢) الأغاني : « وما يقدم » .

(٣) الأغاني ١٥ : ٣٤٣ ، وروى : « أن الفرزدق قال لسليان : يا أمير المؤمنين ، حب ل
هذا الأسير ، فوجبه له فأعطته ، وقال الأبيات التي تقدم ذكرها . ثم أقبل على روايته وأصحابه وقال :
كأنّ يابن المرافعة وقد بلغه خبري ، فقال - وذكر البيتين - قال : فإليشنا غير معة يسيرة حتى جاءتنا
القسيصة وفيها هذان البيتان ، فسيبنا من فطنة الفرزدق » .

خلافة عمر بن عبد العزيز

وفي هذه السنة استُخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحَكَم .

• ذكر الخبر عن سبب استخلاف سليمان إياه :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثني الميثم بن واقد ، قال : استُخلف عمر بن عبد العزيز بدابق يوم الجمعة لعشر مضين من صفر سنة تسع وتسعين .

١٣٤١/٢ قال محمد بن عمر : حدثني داود بن خالد بن دينار ، عن سهيل بن أبي سهيل قال : سمعت رجاء بن حيوة ، يقول : لما كان يوم الجمعة ليس سليمان بن عبد الملك ثياباً خَصُراً من خَزّ ، ونظر في المرأة ، فقال : أنا والله الملك الشاب ، فخرج إلى الصلاة ^(١) فصلى بالناس الجمعة ، فلم يرجع حتى وعك ، فلما ثقل ^(٢) عهد في كتاب كتبه لبعض بنيته وهو غلام ولم يبلغ فقلت : ما تصنع يا أمير المؤمنين ! إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح . فقال سليمان : أنا أستخير الله وأنظر فيه . ولم أعزم عليه ؛ قال : فكث يوماً أويومين ، ثم خرّقه ، فدعاني ، فقال : ما ترى في داود بن سليمان ؟ فقلت : هو غائب عنك بقسطنطينية وأنت لا تدري أحى هو أم ميت ! فقال لي : فمن ترى ؟ قلت : وأليك يا أمير المؤمنين ، وأنا أريد أنظر من يذكر . قال : كيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت : أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً ؛ فقال : هو والله على ذلك ، ثم قال : والله لئن وليته ولم أوكّل أحداً سواه لتكونن فتنة ، ولا يركونه أبداً إلى عليهم إلا أن يجعل أحدهم بعده ، ويزيد بن عبد الملك غائب على الموضع ، قال : فيزيد ابن عبد الملك أجله ^(٣) بعده ، فإن ذلك مما يسكنهم ويرضون به ؛ قلت : وأليك . قال : فكتب . ١٣٤٢/١

(١) ر : « صلاة » .

(٢) قتل ، أي لتثقل مرضه .

(٣) يعلمنا في ب : « يوشد » .

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من عيد الله سليمان أمير المؤمنين لعُمر بن عبد العزيز^(١) ، إلى قد وليتكَ الخلافةَ من بعدى ، ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطَمَعَ فيكم . وختم الكتاب ، وأرسل إلى كعب بن حامد العبسي صاحب شرطه فقال : مرَّ أهلَ بيتي فليجتمعوا ؛ فأرسل كعب إليهم^(٢) أن يجمعوا فاجتمعوا ، ثم قال سليمانُ لرجاء بعد اجتماعهم : اذهب بكتابي هذا إليهم فأخبرهم أن هذا كتابي ، وأمرهم فليبايعوا من وليت فيه ؛ ففعل رجاء ، فلما قال رجاء ذلك لم قالوا : ندخل فنسلم على أمير المؤمنين؟ قال : نعم ؛ فدخلوا فقال لهم سليمانُ في هذا الكتاب - وهو يشير لهم إليه وهم ينظرون إليه في يد رجاء ابن حنيفة - عهدي ، فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سميتُ في هذا الكتاب . فبايعوه رجلا رجلا ، ثم خرج بالكتاب محتوماً في يد رجاء بن حنيفة .

قال رجاء : فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال : أخشى أن يكون هذا أسنداً إلى شيئاً من هذا الأمر ، فأنشدك الله وحرمي وسودّي إلا أعلمتني إن كان ذلك حتى أستغفبه الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة ! قال رجاء : لا والله ما أنا بمُخبرك حرقاً ، قال : ١٣٤٣/٢ فذهب عمر غضبان .

قال رجاء : لقيني هشام بن عبد الملك ، فقال : يا رجاء ، إن لي بك حرمةً ومودةً قديمةً ، وعندي شكر ، فأعلمتني هذا الأمر ، فإن كان إلى علمت ، وإن كان إلى غيري تكلمت ، فليس مثلي قصر به ، فأعلمتني فلك الله على ألا أذكر من ذلك شيئاً أبداً . قال رجاء : فأبيت فقلت : والله لا أنعبرك حرقاً واحداً مما أسيرُ إلى .

قال : فانصرف هشام وهو قد يش ، ويضرب^(٣) يلحدي يديه على الأخرى وهو يقول : فإلى من إذا نُحيت عني ؟ أنتخرج من بني عبد الملك ؟ قال رجاء : ودخلت على سليمان فإذا هو يموت ، فجعلت إذا أخذته السكرتة من

(١) بمعاني من : ابن مروان . (٢) ب : « شرطه » .
(٣) ب : « إليهم كعب » . (٤) ب : « وهو يضرب » .

سَكَرَاتِ الْمَوْتِ حَرَفَتْهُ إِلَى الْقَبْلَةِ ، فَجَعَلَ يَقُولُ حِينَ يُفْقِي : لَمْ يَأْنِ لَئِكَ
بَعْدُ يَا رَجَاءُ ، فَفَعَلْتَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ ، فَلَمَّا كَانَتْ الثَّالِثَةَ قَالَ : مِنْ الْآنَ يَا رَجَاءُ
إِنْ كُنْتُ تَرِيدُ شَيْئًا ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .
قَالَ : فَحَرَفَتْهُ وَمَاتَ ؛ فَلَمَّا غَمَضَتْهُ سَجَّيْتُهُ بِقَطِيفَةٍ خَضْرَاءَ ، وَأَغْلَقْتُ الْبَابَ .
وَأَرْسَلْتُ إِلَى زَوْجَتِهِ تَقُولُ : كَيْفَ أَصْبَحَ ؟ فَقُلْتُ : نَأَمُ ، وَقَدْ تَخَطَّيْ ، فَظَرَّ
الرَّسُولُ إِلَيْهِ ^(١) مَغْطًى بِالْقَطِيفَةِ ، فَرَجَعَ فَأَخْبَرَهَا قَبِيلَتُ ذَلِكَ ، وَظَنَّتْ أَنَّهُ
نَأَمُ ، قَالَ رَجَاءُ : وَأَجْلَسْتُ عَلَى الْبَابِ مِنْ أَثْقَى بِهِ ، وَأَوْصَيْتُهُ أَلَّا يَبْرَحَ حَتَّى
آتِيَهُ ، وَلَا يَدْخُلَ عَلَى الْخَلِيفَةِ أَحَدٌ .

١٣٤٤/٢

قَالَ : فَخَرَجْتُ فَأَرْسَلْتُ إِلَى كَعْبِ بْنِ حَامِدِ الْعَبْسِيِّ ، فَجَمَعَ أَهْلَ بَيْتِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَاجْتَمَعُوا فِي مَسْجِدِ دَابِيقَ ، فَقُلْتُ : يَا بَايعُوا ، فَقَالُوا : قَدْ بَايعَنَا
مَرَّةً وَنَبَايِعَ أُخْرَى ! قُلْتُ : هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَبَايعُوا عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ
وَمَنْ سَمِيَ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْمَخْتُومِ ، فَبَايعُوا الثَّانِيَةَ رَجُلًا رَجُلًا . قَالَ رَجَاءُ :
فَلَمَّا بَايعُوا بَعْدَ مَوْتِ سُلَيْمَانَ رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ أَحْكَمْتُ الْأَمْرَ ، قُلْتُ : قَوْمُوا إِلَى
صَاحِبِكُمْ فَقَدْ مَاتَ ، قَالُوا : إِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! وَقَرَأْتُ الْكِتَابَ عَلَيْهِمْ ،
فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى ذِكْرِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ نَادَى هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : لِأَتَابِعَهُ
أَبَدًا ، قُلْتُ : أَضْرِبْ وَاللَّهِ عُنُقَكَ ، قُمْ فَبَايِعْ ، فَقَامَ بِحِمْرِ رَجُلِيهِ .

قَالَ رَجَاءُ : وَأَخَذْتُ بِضَبْعِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَأَجْلَسْتُهُ لَمَّا وَقَعَ فِيهِ
وَهْشَامُ يَسْتَرْجِعُ عَلَى الْمَنِيرِ وَهُوَ يَسْتَرْجِعُ لَمَّا أخطأه ، فَلَمَّا انْتَهَى هِشَامُ إِلَى عُمَرَ
قَالَ عُمَرُ : إِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! حِينَ صَارَتْ إِلَى لَكَرَاهَتِهِ [إِيَّاهَا] ^(٢) ،
وَالْآخِرَ يَقُولُ : إِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، حَيْثُ نُحْيِيَتْ عَنِّي .

قَالَ : وَغُسِّلَ سُلَيْمَانُ وَكُفِّنَ وَصَلَّى عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ قَالَ
رَجَاءُ : فَلَمَّا فَرِغَ مِنْ دَفْنِهِ أَتَيْتُ بِمَرَكَبِ الْخِلَافَةِ : الْبِرَازِيزِ وَالْحَلِيلِ وَالْبِغَالِ
وَلِكُلِّ دَابَّةٍ سَائِسٍ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ! قَالُوا : مَرْكَبُ ^(٣) الْخِلَافَةِ ، قَالَ :

(١) ب : «إليه الرسول» .

(٢) من ي .

(٣) ب : «مراكب» .

دايق أوفق لي ، وركب دابته . قال : فصرفت تلك الدواب^(١) ، ثم أقبل ١٣٤٥/٢
سائراً ، فقيل : منزل الخلافة ، فقال : فيه عيال أبي أيوب وفي فسطاطي كفاية
حتى يتحولوا ، فأقام في منزله حتى فرغوه بعد ، قال رجاء : فلما كان المساء
من ذلك اليوم قال : يا رجاء ، ادع لي كاتباً ، فدعوته وقد رأيت منه كل
ما سرتي^(٢) ، صَنَعَ في المراكب ما صَنَعَ ، وفي منزل سليمان ؛ فقلت :
كيف يصنع الآن في الكتاب ؟ أيصنع نُسخاً ، أم ماذا ؟ فلما جلس الكاتب
أَمَلَى عليه كتاباً واحداً من فيه إلى يد الكاتب بغير نُسخة ، فأملأ أحسن
إملاء وأبلغته وأجزه ، ثم أمر بذلك الكتاب أن يُنسخ إلى كل بلد .

وبلغ عبد العزيز بن الوليد ـ وكان غائباً ـ موت سليمان بن عبد الملك ، ولم
يعلم ببيعة الناس عُمر بن عبد العزيز ، وعهد سليمان إلى عمر ، فعقد لواء ، ودعا
إلى نفسه ، قبلعته بيعة الناس عمر بعهد سليمان ، فأقبل حتى دخل على عمر بن
عبد العزيز ، فقال له عمر : قد بلغني أنك كنت بايعت من قبلك ، وأردت
دخول دمشق ، فقال : قد كان ذلك ، وذلك أنه بلغني أن الخليفة سليمان
لم يكن عتد لأحد ، فخفت على الأموال أن تُنهَب ، فقال عمر : لو
بويعت وقمت بالأمر ما نازعتك ذلك ، ولقعدت في بيتي ، فقال عبد العزيز :
ما أحب أنه ولي هذا الأمر غيرك . وبايع عمر بن عبد العزيز . قال : فكان
بُرجى لسليمان بتوليته عمر بن عبد العزيز وترك ولده .

وفي هذه السنة وجّه عمر بن عبد العزيز إلى مَسَلَمَة وهو بأرض الروم ١٣٤٦/٢
وأمره بالقُبول منها بمن معه من المسلمين ، ووجّه إليه خيلاً عتاقاً وطعاماً
كثيراً ، وحشّ الناس على معونتهم ، وكان الذي وجّه إليه الخيل العتاق ـ فيما
قيل ـ خمسمائة فرس .

وفي هذه السنة أغارت الترك على أذربيجان ، فقتلوا من المسلمين جماعة ،
ونالوا منهم ، فوجّه إليهم عمر بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي ،

(٢) ب : « يرد » .

(١) ر : « الخيل » .

فقتل أولئك الترك ، فلم ^(١) يُفْلِت منهم إلا اليسير ، فقدم منهم على عمرَ
بُخْصَاصَةٍ بِخَمْسِينَ أُسِيرًا .

وفيها عزل عمرُ يزيدَ بنَ المهلب عن العراق ، ووجه على البصرة وأرضها
عدى بن أوطاة القزاري ، وبعث على الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن
ابن زيد بن الخطاب الأعرج القرشي ، من بني عدى بن كعب ، وضم إليه
أبا الزناد ، فكان أبو الزناد كاتب عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وبعث عدى
في أثر يزيد بن المهلب موسى بن الوحيه الحميري .

وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، وكان عامل
عمر على المدينة .

وكان عامل عمر على مكة في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله
ابن خالد بن أسيد ، وعلى الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن ،
وعلى البصرة وأرضها عدى بن أوطاة ، وعلى خراسان الجراح بن عبد الله .
وعلى قضاء البصرة إياس بن معاوية بن قرّة المزني ، وقد ولي فيها ذكر قبله
الحسن بن أبي الحسن ، فشكا ^(٢) ، فاستقصى إياس بن معاوية .

وكان على قضاء الكوفة - في هذه السنة فيما قيل - عامر الشعبي . وكان
الواقدي يقول : كان الشعبي على قضاء الكوفة أيامَ عمر بن عبد العزيز
من قبل عبد الحميد بن عبد الرحمن ، والحسن بن أبي الحسن البصري على
قضاء البصرة من قبل عدى بن أوطاة ، ثم إن الحسن استعفى من القضاء
عدياً ، فأعفاه وولّى إياساً .

(١) ابن الأثير « ولم » .

(٢) ر : « فشكى » .

ثم دخلت سنة مائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك خروج الخارجة التي خرجت على عمر بن عبدالعزيز بالعراق .

• ذكر الخبر عن أمرهم :

ذكر محمد بن عمر أن ابن أبي الزناد حدثه ، قال : خرجت حرورية بالعراق ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب عامل العراق بأمره أن يدعوهم إلى السلم بكتاب الله سنة نبية صلى الله عليه وسلم . فلما أعذر في دعائهم بعث إليهم عبد الحميد جيشاً ١٣٤٨/٢ فهزمتهم الحرورية ، فبلغ عمر ، فبعث إليهم مسلمة بن عبد الملك في جيش من أهل الشام جهزهم من الرقة ، وكتب إلى عبد الحميد : قد بلغني ما فعل جيشك جيش السوء ، وقد بعثت مسلمة بن عبد الملك ، فخل بينه وبينهم . فلقبهم مسلمة في أهل الشام ، فلم ينسب أن أظهره الله عليهم .

[خبر خروج شوذب الخارجي]

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن الذي خرج على عبد الحميد بن عبد الرحمن بالعراق في خلافة عمر بن عبد العزيز شوذب - واسمه بسطام من بني يشكر - فكان يخرج به بجوخى في ثمانين فارساً أكثرهم من ربيعة ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد ، ألا تحركهم إلا أن يسفكوا دمًا ، أو يفسدوا في الأرض ، فإن فعلوا فحُل بينهم وبين ذلك ، وانظر رجلاً صلياً حازماً فوجهه إليهم ، ووجهه معه جنداً ، وأوصيه بما أمرتك به . فعقد عبد الحميد لمحمد بن جرير بن عبد الله البجلي في ألفين من أهل الكوفة ، وأمره بما أمره به عمر ، وكتب عمر إلى بسطام يدعو ويسأله عن مخرجيه ، فقدم كتاب عمر عليه ، وقد قدم عليه محمد بن جرير ، فقام بإزالته لا يحركه

ولا يهتجه ، فكان في كتاب عمر إليه : إنه بلغني أنك خرجت غَضَبًا لله ولنبيه ،
ولست بأولى بذلك مني ، فهل أناظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل
فيه الناس ، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا . فلم يحرك بسطام شيئاً ، وكتب ١٣٤٩/٢
إلى عمر : قد أنصفت ، وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك - قال
أبو عبيدة : أحد الرجلين اللذين بعثهما شاذب إلى عمر تمزوج مولى بني
شيبان ، والآخر من صلية بني يشكر - قال : فيقال : أرسل نقرأ فيهم
هذان ، فأرسل إليهم عمر : أن اختاروا رجلين ، فاختاروهما ، فدخلا
عليه فناظراه ، فقالا له : أخبرنا عن يزيد لِمَ تُقره خليفة بعدك ؟ قال :
صبره غيري ، قالوا : أفريت لو وكيت مالا لغيرك ثم وكلتك إلى غير مأمون
عليه ، أنراك كنت أديت الأمانة إلى من اتتمنتك ! قال : فقال : أنظرائي
ثلاثاً ، فخرجوا من عنده ، وخاف بنو مروان أن يُخرج ما عندهم في أيديهم
من الأموال ، وأن يخلع يزيد ، فدمسوا إليه من سقاء سماً ، فلم يكبت
بعد خروجهما من عنده إلا ثلاثاً حتى مات .

* * *

وفي هذه السنة أغزى عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المصيطي وعمر
ابن قيس الكندي من أهل حمص الصائفة .

وفيها شخص عمر بن هبيرة القزاري إلى الجزيرة عاملاً لعمر عليها .

* * *

[خبر القبض على يزيد بن المهلب]

وفي هذه السنة حُمل يزيد بن المهلب من العراق إلى عمر بن عبد العزيز .

• ذكر الخبر عن سبب ذلك ، وكيف وصل إليه حتى استوثق منه : ١٣٥٠/٢

اختلف أهل السير في ذلك ، فأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن
أبي مخنف أن عمر بن عبد العزيز لما جاء يزيد بن المهلب فتزل واسطاً ،
ثم ركب السفن يريد البصرة ، بعث عدى بن أرقطة إلى البصرة أميراً ، فبعث
عدى موسى بن الوحيه الحميري ، فلحقه في نهر محفل عند الجسر ، جسر

البصرة فأوثقه ، ثم بعث به إلى عمر بن عبد العزيز ، فقدم به عليه موسى ابن الرحيه ، فلما به عمر بن عبد العزيز — وقد كان ^(١) عمر يبغي يزيد وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جبابرة ، ولا أحب مثلهم ، وكان يزيد بن المهلب يبغي عمر ويقول : إني لأظنه مرائياً ، فلما ولي عمر عرف يزيد أن عمر كان من الرياء بعيداً . ولما دعا عمر يزيد سألته عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك ، فقال : كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت ، وإنما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به ، وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني بشيء سمعت ، ولا بأمر أكرهه ، فقال له : ما أجديني أمرك إلا حبسك ، فأتق الله وأد ما قبلك ، فإنها حقوق المسلمين ، ولا يستعنى تركها ، فردّه إلى تحبسه ^(٢) ، وبعث إلى الجراح بن عبد الله الحكمي فسرّحه إلى خراسان ، وأقبل محمد بن يزيد من خراسان يعطى الناس ، ولا يمر بكورة إلا أعطاهم فيها أموالاً عظيمة . ثم خرج حتى قدم على عمر بن عبد العزيز ، فدخل عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله يا أمير المؤمنين صنع لهذه الأمة بولايتك عليها ، وقد ابتليتنا بك ، فلا تكن أشقى الناس بولايتك ، علّام تحبس هذا الشيخ ! أنا أتحمّل ما عليه ، فصالحني على ^(٣) ما إياه تسأل ، فقال عمر : لا . إلا أن تحمل جميع ما نسأله إياه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كانت لك بيّنة فخذ بها ، وإن لم تكن بيّنة فصدّق مقالة يزيد ، وإلا فاستحلفه ، فإن لم يفعل فصالحه . فقال له عمر : ما أجيد إلا أخذه بجميع المال . فلما خرج تخلفه قال : هذا خير عندي من أبيه ، فلم يلبث محمد إلا قليلاً حتى مات ، فلما أبى يزيد أن يؤدي إلى عمر شيئاً ألبسه جبّة من صوف ، وحملته على جمل ، ثم قال : سيروا به إلى دهلك ، فلما أخرج فرّ به على الناس أخذ يقول : ما لي عشيرة ، ما لي يذهب بي إلى دهلك ! إنما يذهب إلى دهلك بالفاستق المريب الخارب ، سبحان الله ! أما لي عشيرة ! فدخل على عمر سلامة بن نعيم

(٢) ب : س : « مجله » .

(١) س : « وكان » .

(٣) س : « مما إياه » .

الخولاني، فقال : يا أمير المؤمنين ، اُزِدْ يَزِيدَ إلى محبته ؛ فإني أخاف إن أمضيتَه أن يتزعزع قومه^(١) ؛ فإني قد رأيتُ قومه غَضِبُوا له . فردّه إلى محبته ، فلم يزل في محبته ذلك حتى بلغه مرض عمر . ١٣٥٢/٢

وأما غير أبي مخنف فإنه قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى ابن أوطاة يأمره بتوجيه يزيد بن المهلب ، ودفعه إلى مَنْ بعين الثمر من الجند ، فوجهه عدى بن أوطاة مع وكيع بن حسان بن أبي سُود التميمي مغلولاً مقيداً في سفينته ، فلما انتهى به إلى نهر أبان ، عرض لوكيع ناس من الأزد ليبتزعوه منه ، فوثب وكيع فانتضى سيفه ، وقطع قلنس السفينة ، وأخذ سيف يزيد ابن المهلب ، وحلف بطلاق امرأته ليضربن عنقه إن لم يتفرقوا ، فناداهم يزيد بن المهلب ، فأعلمهم بمين وكيع ، ففترقوا ، ومضى به حتى سلّمه إلى الجند الذين بعين الثمر ، ورجع وكيع إلى عدى بن أوطاة ، ومضى الجند الذين بعين الثمر بيزيد بن المهلب إلى عمر بن عبد العزيز ، فحبسه في السجن .

[عزل الجراح بن عبد الله عن خراسان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله عن خراسان ، وللاها عبد الرحمن بن نعيم القشيري^(٢) ، فكانت ولاية الجراح بخراسان سنة وخمسة أشهر ، قدمها سنة تسع وتسعين ، وخرج منها لأيام بقيت من شهر رمضان سنة مائة .

* ذكر سبب عزل عمر لإياه :

وكان سبب ذلك - فيما ذكر علي بن محمد عن كليب بن خلفه عن إدريس بن حنظلة ، والمفضل عن جدّه ، وعلي بن مجاهد عن خالد ابن عبد العزيز ؛ أن يزيد بن المهلب ولّى جهنم بن زحر جرجان حين شخص عنها ، فلما كان من أمر يزيد ما كان وجه عامل العراق من العراق وإلياً على جرجان ، فقدم الولي عليها من العراق ، فأخذه جهنم فقيده وقتد

(١) ب : هـ اهـ .

(٢) هو عبد الرحمن بن نعيم الفاسي الأزدى ، وانظر ص ٥٦١ .

رهطاً قدموا معه ، ثم خرج في خمسين من اليمن يريد الجراح بخراسان ، فأطلق أهل جرجان عاملهم ، فقال الجراح لجهم : لولا أنك ابنُ عمي لم أسوِّغك هذا ، فقال له جهم : ولولا أنك ابنُ عمي لم آتتك - وكان جهم سلفَ الجراح من قبل ابنتي حصين بن الحارث وابن عمه ، لأنَّ الحكم وجعني ابناً سعد - فقال له الجراح : خالفت إمامك ، وخرجت عاصياً ، فاغزُ لعلك أن تغفر ، فيصلح أمرك عند خليفتك . فوجهه إلى الخُتَل ، فخرج ، فلما قرب منهم سار متكرراً في ثلاثة ، وخلف في عسكره ابن عمه القاسم بن حبيب - وهو حنظلته على ابنته أم الأسود - حتى دخل على صاحب الخُتَل فقال له : أنحنِّي ، فأخلاه ، فاعتزى ، فتول صاحب الخُتَل عن سريره وأعطاه حاجته - ويقولون : الخُتَل مولى النعمان وأصاب مغناً ، فكتب الجراح إلى عمر : وأوفد وفداً رجلين من العرب ، ورجلاً من المولى من بني ضبَّة ، ويكنى أبا الصيदा ، واسمه صالح بن طريف ، كان فاضلاً في دينه . وقال بعضهم : المولى سعيد أخو خالد أو يزيد^(١) النحوي . فتكلم المرياني والآخر جالس ، فقال له ١٣٥١/٢ عمر : أما أنت من الوفد ؟ قال : بلى ، قال : فما يمنعك من الكلام ! قال : يا أمير المؤمنين ، عشرون ألفاً من المولى يتخزون بلاعطاء ولا رزق ، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخَّلون بالجراح ، وأميرنا عصبي جاف يقوم على منبرنا ، فيقول : أتيتكم حفيئاً ، وأنا اليوم عصبي ! والله لرجلٌ من قومي أحبُّ إلىَّ من مائة من غيرهم . وبلغ من جفائه أن كُسمَ درعه يبلغ نصف درعه ، وهو بعد سيف من سيوف الحجاج ، قد عمل بالظلم والمردوان . فقال عمر : إذن مثلك فليوقد .

وكتب عمر إلى الجراح : انظر مَنْ صَلَّى قِبْلَتَكَ إلى القبلة ، فضع عنه الجزية . فسارع الناس إلى الإسلام ، فقيل للجراح : إنَّ الناس قد سارعوا إلى الإسلام ، وإنما ذلك نفوراً من الجزية ، فامتحنهم بالختان . فكتب الجراح بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : إن الله بعث محمداً صلى الله عليه داعياً ولم يبعثه خاتماً . وقال عمر : ابغضني رجلاً صلوكاً ،

أَسْأَلُهُ عَنْ خُرَاسَانَ ، فَقِيلَ لَهُ : قَدْ وَجَدْتَهُ ، عَلَيْكَ بِأَبِي عَجَلَنْزَرٍ . فَكُتِبَ إِلَى الْجَرَاحِ : أَنْ أَقْبَلَ وَاحْمِلْ أَبَا عَجَلَنْزَرَ وَخَلِّفْ عَلَى حَرْبِ خُرَاسَانَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ نَعِيمٍ الْغَامِدِيُّ^(١) . وَعَلَى جَزِيرَتِهَا عِيْدُ اللَّهِ - أَوْ عَبْدُ اللَّهِ - بْنِ حَبِيبٍ .

فَخَطَبَ الْجَرَاحُ فَقَالَ : يَا أَهْلَ خُرَاسَانَ ، جِئْتُكُمْ فِي ثِيَابِي هَذِهِ الَّتِي عَلَىَّ وَعَلَى فَرَسِي ، لَمْ أَصِبْ مِنْ مَالِكُمْ إِلَّا حَلِيَةَ سَبْعِي - وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إِلَّا فَرَسٌ قَدْ شَابَ وَجْهَهُ ، وَبَغْلَةٌ قَدْ شَابَ وَجْهَهَا ؛ فَخَرَجَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَاسْتَخْلَفَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ نَعِيمٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ^(٢) قَالَ لَهُ عُمَرُ : مَتَى خَرَجْتَ ؟ قَالَ : فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، قَالَ : قَدْ صَدَقَ مَنْ وَصَفَكَ بِالْجَفَاءِ ، هَلَّا أَقَمْتَ حَتَّى تُنْطَظِرَ ثُمَّ تَخْرُجَ ! وَكَانَ الْجَرَاحُ يَقُولُ : أَنَا وَاللَّهِ عَصْبِي عَقِي - بَرِيدٌ مِنَ الْعَصِيَّةِ . وَكَانَ الْجَرَاحُ لَمَّا قَدِمَ خُرَاسَانَ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ : إِنِّي قَدِمْتُ خُرَاسَانَ فَوَجَدْتُ قَوْمًا قَدْ أَبْطَرْتَهُمُ الْفِتْنَةُ فَهُمْ يَسْتَرُونَ فِيهَا نِزْوًا ، أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْهِمْ أَنْ تَعُودَ لِيَمْنَعُوا حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، فَلَيْسَ يَكْفِيهِمْ إِلَّا السِّيفُ وَالسُّوْطُ ، وَكَرِهَتْ الْإِقْدَامُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِإِذْنِكَ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ :

يَا بْنَ أُمِّ الْجَرَاحِ ، أَنْتَ أَحْرَصُ عَلَى الْفِتْنَةِ مِنْهُمْ ؛ لَا تُضْرِبَنَّ مُؤْمِنًا وَلَا مُسَاهِدًا سَوْطًا إِلَّا فِي حَقٍّ ، وَاحْذَرِ الْقَصَاصَ فَإِنَّكَ صَائِرٌ إِلَى مَنْ يَعْلَمُ خَاتِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، وَتَقْرَأُ كِتَابًا لَا يَفَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا .

وَلَمَّا أَرَادَ الْجَرَاحُ الشَّخْصَ مِنْ خُرَاسَانَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْمَزِيْزِ أَخَذَ عَشْرِينَ أَلْفًا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : عَشْرَةُ آلَافٍ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . وَقَالَ : هِيَ عَلَى سَلْفًا حَتَّى أُؤَدِّيَهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ ، فَقَدِمَ عَلَى عُمَرَ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَتَى خَرَجْتَ ؟ قَالَ : لِأَيَّامٍ بَقِيَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَعَلَى دِينَ فَاقْضِهِ ؛ قَالَ : لَوَأَقَمْتُ حَتَّى تُنْطَظِرَ ثُمَّ خَرَجْتَ قَضَيْتَ عَنْكَ . فَأَدَّى عَنْهُ قَوْمَهُ فِي أُعْطِيَاتِهِمْ^(٣) .



(١) ب : « الغامدي » .

(٢) ب : « خرج » .

(٣) ب : « وأعطى أهلهم » .

ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن نعيم
وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري خراسان

وكان سبب ذلك - فيما ذكر لي - أن الجراح بن عبد الله لما شكى،
واستقدمه عمر بن عبد العزيز، فقدم عليه عزله عن خراسان لما قد ذكرت قبل.
ثم إن عمر لما أراد استعمال عامل على خراسان، قال - فيما ذكر على
ابن محمد عن خارجة بن مصعب الضبي وعبد الله بن المبارك وغيرهما: ابغوني
رجلا صدوقاً أسأله عن خراسان، فقبل له: أبو مجلز لاحق بن حميد،
فكتب فيه، فقدم عليه - وكان رجلاً لا تأخذه العين - فدخل أبو مجلز على
عمر بن جفّة^(١) الناس، فلم يثبتته^(٢) عمر: وخرج مع الناس فسأل عنه فقيل:
دخل مع الناس ثم خرج، فدعا به عمر فقال: يا أبا مجلز، لم أعرفك، قال:
فهلا أنكرتني إذ لم تعرفني! قال: أخبرني عن عبد الرحمن بن عبد الله، قال:
يكافئ الأكفاء، ويعادي الأعداء، وهو أمير يفعل ما يشاء، ويقدم إن وجد
من يساعده. قال: عبد الرحمن بن نعيم، قال: ضعيف لين يحب العافية،
وتأتي له، قال: الذي يحب العافية وتأتي له أحب إلى، فولاه الصلاة والحرب،
وولّى عبد الرحمن القشيري، ثم أحد بني الأعور بن قشير الخراج، وكتب إلى
أهل خراسان: إني استعملت عبد الرحمن على حربكم وعبد الرحمن بن عبد الله
على خراجكم عن غير معرفة مني بهما ولا اختيار، إلا ما أخبرت عنهما: فإن
كانا على ما تحبون فاحمدوا الله، وإن كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله،
ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٣٥٧/٢

قال على: وحدتنا أبو السري الأزدي، عن إبراهيم الصائغ، أن عمر
ابن عبد العزيز كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم:
أما بعد، فكن عبداً ناصحاً لله في عباده، ولا يأخذك في الله لومة لائم؛
فإن الله أولى بك من الناس، وحقه عليك أعظم، فلا تولين شيئاً من أمر
المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم والتوفير عليهم، وأداء الأمانة فيما استرعى،

(١) جفة الناس: جماعتهم. (٢) لم يثبتته: لم يمره حق المعرفة.

وأياك أن يكون ملكاً ميلاً إلى غير الحق ، فإن الله لا تخفى عليه خافية ، ولا تذهبن عن الله منهجاً ؛ فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه .

قال علي ، عن محمد الباهلي وأبي نهيك بن زياد وغيرهما : إن عمر بن عبد العزيز بعث بعهد عبد الرحمن بن نعيم على حرب خراسان وسجستان مع عبد الله بن صخر القرشي ، فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى مات عمر بن عبد العزيز ، وبعد ذلك حتى قُتل يزيد بن المهلب ، ووجه مسلمة سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم ، فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف ، وليها في شهر رمضان من سنة مائة ، وعزل سنة اثنتين ومائة ، بعد ما قتل يزيد بن المهلب .

قال علي : كانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهراً .

* * *

أول الدعوة

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة - أعني سنة مائة - وجه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من أرض الشراة ميسرة إلى العراق ، وجهه محمد بن خنيس وأبا عكرمة السراج - وهو أبو محمد الصادق - وجبان العطار خال إبراهيم ابن سلمة إلى خراسان ، وعليها يوثق الجراح بن عبد الله الحكمي من قبيل عمر بن عبد العزيز ، وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته ، فلقوا من لقوا ، ثم انصرفوا يكتسب من استجاب لهم إلى محمد بن علي ، فدفعوها إلى ميسرة ، فبعث بها ميسرة إلى محمد بن علي ، واختار أبو محمد الصادق لمحمد بن علي اثني عشر رجلاً ، نقيباً^(١) ، منهم سليمان ابن كثير الخزاعي ، ولاهز بن قريظ التميمي ، وقحطبة بن شبيب الطائي ، وموسى بن كعب التميمي ، وخالد بن إبراهيم أبو داود ، من بني عمرو بن شيبان بن ذهل ، والقاسم بن مجاشع التميمي وعمران بن إسماعيل أبو النجم ، مولى لآل أبي معيط ومالك بن المهيم الخزاعي وطلحة ابن رزيق الخزاعي وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى لخزاعة . وشيبل بن طهمان أبو علي المروزي ، مولى لبني حنيفة ، وعيسى بن أعين مولى خزاعة ؛ واختار سبعين رجلاً ، فكتب إليهم محمد بن علي كتاباً ليكون لهم مثلاً وسيرة يسرون بها .

(١) س : « نقيب » .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، حدثني ١٣٥٩/٢
 بذلك أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر .
 وكذلك قال الواقدي .

وكان عمال الأمصار في هذه السنة العمال في السنة التي قبلها ، وقد ذكرناهم
 قبل ما خلا عامل خراسان ؛ فإن عاملها كان في آخرها عبد الرحمن بن نعيم
 على الصلاة والحرب ، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج .

ثم دخلت سنة إحدى ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[خبر هرب يزيد المهلب من سجنه]

فمن ذلك ما كان من هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز .

• ذكر الخبر عن سبب هربه منه وكيف كان هربه منه :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن عمر بن عبد العزيز لما كُتِمَ في يزيد بن المهلب حين أراد نفيه إلى دَهْلَك ، وقيل له : إنا نخشى أن يتزعجه قومه ، رده إلى محبسه ، فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر ، فأخذ يعمل بعد في الهرب من محبسه مخافة يزيد بن عبد الملك ؛ لأنه كان قد عذب أصحابه آل أبي عَقِيل — كانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أختي الحجاج بن يوسف عند يزيد بن عبد الملك ، فولدت له الوليد بن يزيد المقتول — فكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله لئن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعن منه طابقاً فكان يخشى ذلك ، فبعث يزيد بن المهلب إلى مواليه ، فأعدوا له إبلا ، وكان مرض عمر في دَيْرِ سَمْعَانَ ، فلما اشتد مرض عمر أمر بإبله ، فأتى بها ، فلما تبين له أنه قد ثقل نزل من محبسه ، فخرج حتى مضى إلى المكان الذي واعدهم فيه ؛ فلم يجدهم جاءوا ، فجزع أصحابه وضجروا ، فقال لأصحابه : أتروني أرجع إلى السجن ! لا والله لا أرجع إليه أبداً . ثم إن الإبل جاءت ، فاحتمل ، فخرج معه عاتكة امرأته ابنة القرات ابن معاوية العامرية من بني البكاء في شقّ الحمل ، فضى .

١٣٦٠/٢

فلما جاز كتب إلى عمر بن عبد العزيز : إني والله لو علمتُ أنك تبقى ما خرجتُ من محبسي ؛ ولكني لم آمن يزيد بن عبد الملك . فقال عمر : اللهم إن كان يزيد يريد بهذه الأمة شراً فاكفهم شره ، وادد كيده في نحره . ومضى يزيد بن المهلب حتى مرّ بمحدث الزقاق ، وفيه الهذيل بن زُفَرٍ معه قيس ،

فأتبعوا يزيد بن المهلب حيث مرّ بهم ، فأصابوا طرّفاً من ثَنَكِهِ وِغْلَمَةً من وصفائه ، فأرسل المذيل بن زُفَرٍ في آثارهم ، فردّهم فقال : ما تطلبون ؟ أخبروني ، أتطلبون يزيد بن المهلب أو أحداً من قومه يتبسّل ؟ فقالوا : لا ، قال : فما تريدون ؟ إنما هو رجل كان في إسرائٍ ، فخاف على نفسه فهرب . وزعم الواقديّ أن يزيد بن المهلب إنما هرب من سجن عمر بعد موت عمر .

* * *

[خبر وفاة عمر بن عبد العزيز]

وفي هذه السنة توفّي عمر بن عبد العزيز ، فحدثني أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : توفّي عمر بن عبد العزيز لخمس ليالٍ بقيّين من رجب سنة إحدى ومائة .

وكذلك قال محمد بن عمر ، حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني عمرو بن عثمان ، قال : مات عمر بن عبد العزيز لعشر ليالٍ بقيّين من رجب سنة إحدى ومائة .

وقال هشام عن أبي مخنف : مات عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لخمس بقيّين من رجب بدير سمعان في سنة إحدى ومائة ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وكانت خلافته ستين وخمسة أشهر . ومات بدير سمعان .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني عمي الهيثم بن واقد ، قال : ولدت سنة سبع وتسعين ، واستخلف عمر بن عبد العزيز بدائيّ يوم الجمعة لعشرين من صفر سنة تسع وتسعين ، فأصابني من قسمه ثلاثة دنائير ، وتوفّي بخنصرة يوم الأربعاء لخمس ليالٍ بقيّين من رجب سنة إحدى ومائة ، وكان شكوه عشرين يوماً ، وكانت خلافته ستين وخمسة أشهر وأربعة أيام . ومات وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، ودفن بدير سمعان .

وقد قال بعضهم : كان له يوم توفّي تسع وثلاثين سنة ، وخمسة أشهر .

وقال بعضهم : كان له أربعون سنة .

وقال هشام : توفي عمر وهو ابن أربعين سنة وأشهر : وكان يكنى أبا حفص وله يقول عُويف القوافي . وقد حضره في جنازة شهدا معه :

أَجِئْنِي أَبَا حَفْصٍ لَقِيتُ مُحَمَّدًا عَلَى حَوْضِهِ مُسْتَبْشِرًا وَرَأَى كَأَنَّ
فَأَنْتَ أَمْرُؤُ كِلْتَا يَدَيْكَ مُفِيدَةٌ شِمَالُكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِي سِوَاكَ
وَأُمِّهِ أُمٌّ عَاصِمُ بِنْتُ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : أَشْجُ
بَنِي أُمَيَّةَ ، وَذَلِكَ أَنَّ دَابَّةَ مِنْ دَوَابِّ أَبِيهِ كَانَتْ شَجَّتَهُ فَقِيلَ لَهُ : أَشْجُ بَنِي أُمَيَّةَ .

حدَّثني الحارث ، قال : حدَّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا سليمان بن حرب ،
قال : حدَّثنا المبارك بن فضالة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، قال : كنتُ
أُسمع ابن عمر كثيراً يقول : ليت شعري مَنْ هَذَا الَّذِي مِنْ وَلَدِ عُمَرَ ، فِي
وَجْهِهِ عَلَامَةٌ ، يَمَلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا !

وحدَّثت عن منصور بن أبي مزاحم ، قال : حدَّثنا مروان بن شجاع ،
عن سالم الأفلح : أن عمر بن عبد العزيز رحمه (٢) دابة وهو غلام بدو شق ،
فأتيت به أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، فضمته إليها ،
وجعلت تمسح الدم عن وجهه (٣) . ودخل أبوه عليها على تلك الحال ، فأقبلت
عليه تعذله وتلومه ، وتقول : ضيَّعت ابني ، ولم تضمَّ إليه خادماً ولا حاضناً (٤)
يحفظه من مثل هذا ! فقال لها : امسكِي يَا أُمَّ عَاصِمِ ، فطوباك إذ كان أشجُ
بني أُمَيَّةَ !

١٣٦٣/٢

* * *

ذكر بعض سيره

ذكر علي بن محمد أن كليب بن خلف حدَّثهم عن إدريس بن حنظلة ،
والفضل ، عن جدِّه ، وعلي بن مجاهد عن خالد : أن عمر بن عبد العزيز كتب
حين ولي الخلافة إلى يزيد بن المهلب :

(١) الأغاني ١٧ : ١١٠ . (٢) س : « وضته » .

(٣) ب : « من وجهه » . (٤) ب : « حاضناً ولا خادماً » .

أما بعد ، فإن سليمان كان عبداً من عبيد الله أتم الله عليه ، ثم قبضه واستخلفني ، ويزيد بن عبد الملك من بعدى إن كان ، وإن الذي ولاني الله من ذلك وقد رلى ليس على بهين ، ولو كانت رغبتي في اتخاذ أزواج واعتقاد^(١) أموال ، كان في الذي أعطاني من ذلك ما قد بلغ بي أفضل ما بلغ بأحد من خلقه ، وأنا أخاف فيها ابتليت به حساباً شديداً ، ومسألة غليظة ، إلا ما عافى الله ورحم ، وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك .

فلما قدم الكتاب على يزيد بن المهلب ، ألقاه إلى أبي عيينة ، فلما قرأه قال : لست من عماله ، قال : ولم ؟ قال : ليس هذا كلام من مضى من أهل بيته ، وليس يريد أن يسلك مسلكهم . فدعا الناس إلى البيعة فبايعوا^(٢) .
قال : ثم كتب عمر إلى يزيد استخلف على خراسان ، وأقبل ، فاستخلف ابنه مخلداً .

قال علي : وحدثنا علي بن مجاهد ، عن عبد الأعلى بن منصور ، عن ميمون بن مهران ، قال : كتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم أن السمل والعلم قريبان ، فكان عالماً بالله عاملاً له ، فإن أقواماً علموا ولم يعملوا ، فكان علمهم عليهم وبالاً .

قال وأخبرنا مصعب بن حبان ، عن مقاتل بن حبان ، قال : كتب عمر إلى عبد الرحمن :

أما بعد ، فاعمل عمل رجل يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين .

قال علي : أخبرنا كليب بن خلف ، عن طقيل بن مرداس ، قال : كتب عمر إلى سليمان بن أبي السري ، أن اعمل خانات في بلادك فن مر بك من المسلمين فاقروهم يوماً وليلة ، وتمهدوا دوابهم ، فن كانت به علة فاقروهم يومين وليلتين ، فإن كان منقطعاً به فقروهم بما يصل به إلى بلده .

فلما أتاه كتاب عمر قال أهل سمرقند لسليان : إن قتيبة غدر بنا ، وظلمنا وأخذ بلادنا ، وقد أظهر الله العدل والإنصاف ، فائذن لنا فليغدر^(٣) منا وقد

(١) ب وابن الأثير : « اعتقاد » . (٢) ب : « فبايعوه » .

(٣) ب : « فليغدر » .

إلى أمير المؤمنين يشكون ظلامتنا ، فإن كان لنا حق أعطيتنا ، فإن بنا إلى ذلك حاجة . فأذن لهم ، فوجهوا منهم قوماً ، فقدموا على عمر ، فكتب لهم عمر إلى سليمان ابن أبي السرى :

١٢٦٥/٢

إن أهل سمرقند قد شكوا إلى ظلماً أصابهم ، وتحاملاً من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم ، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي ، فلينظر في أمرهم ، فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة .

قال : فأجلس لهم سليمان جُسميخ بن حاضر القاضي الناجي ، فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذهم على سواء ، فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوةً ، فقال أهل السغد : بل نرضى بما كان ، ولا نجد حرباً . وتراضوا بذلك ، فقال أهل الرأي : قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم ، وأمينونا وأمنائهم ، فإن حكم لنا عدنا إلى الحرب ولا ندرى لمن يكون الظفر . وإن لم يكن لنا كنا قد اجتلبنا عداوة في المنازعة . فتركوا الأمر على ما كان ووضوا ولم ينازعوا .

قال : وكتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم يأمره بإقفال من وراء النهر من المسلمين بنواريهم . قال : فأبوا وقالوا : لا يسعنا مَرُّو . فكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه عمر : اللهم إني قد قضيت الذي على ، فلا تغزُ بالمسلمين . فحبسهم الذي قد فتح الله عليهم .

قال : وكتب إلى عقبة بن زرعة الطائي—وكان قد ولّاه الخراج بعد التفسيرى : إنَّ للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها ، فالوالى رُكنٌ ، والقاضى ركنٌ ، وصاحب بيت المال ركنٌ ، والركن الرابع أنا ، وليس من ثغور المسلمين ثغر أهمُّ إلى ، ولا أعظم عندى من ثغر خراسان ، فاستوعب الخراج وأحرزه في غير ظلم ، فإن بك كفافاً لأعطيتهم فسيل ذلك ، وإلا فاكذب إلى حتى أحمل إليك الأموال فتوفروهم أعطيتهم .

١٢٦٦/٢

قال : فقدم عقبة فوجد خراجهم يفضل عن أعطيتهم ، فكتب إلى

عمر فأعلمه ، فكتب إليه عمر : أن اقسم الفضل في أهل^(١) الحاجة .

وحدثني عبد الله بن أحمد بن شيبوية ، قال : حدثني أبي ، قال :
حدثني سليمان ، قال : سمعت عبد الله يقول عن محمد بن طلحة ، عن داود
ابن سليمان الجعفي ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز^(٢) :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الحميد ، سلام عليك ؛ أما بعد ؛
فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله وسنة خبيثة
استنابها^(٣) عليهم عمال السوء ، وإن قوام الدين العدل والإحسان ، فلا يكونن
شيء أهم إليك من نفسك ؛ فإنه لا قليل من الإثم . ولا تحمل خراباً على
عامر ، ولا عامراً على خراب ، انظر الخراب^(٤) فخذ منه ما أطاق . وأصلحه
حتى يعمر ، ولا يؤخذ^(٥) من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل
الأرض ، ولا تأخذن في الخراج إلا وزن سبعة ليس لها آيين ولا أجور
الضرايين ، ولا هدية النبروز والمهرجان^(٦) . ولا ثمن الصحف ، ولا أجور
الفروج^(٧) ، ولا أجور البيوت ، ولا دراهم النكاح ، ولا خراج على من أسلم من
أهل الأرض ؛ فاتبع في ذلك أمري ؛ فإني قد وليتك من ذلك ما ولاني الله ،
ولا تعجل دوني بقطع ولا صلب ؛ حتى تراجعني فيه ، وانظر من أراد من
النرية أن يحج . فعجل له مائة يحج بها ، والسلام .

حدثنا عبد الله بن أحمد بن شيبوية ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا
سليمان ، قال : حدثني عبد الله ، عن شهاب بن شريعة المجاشعي ، قال :
ألقى عمر بن عبد العزيز ذراري الرجال الذين في العطايا^(٨) أقرع بينهم ، فن

(١) ب : « فني » .

(٢) بعدها في ب : « كتاباً » .

(٣) ابن الأثير : « سنها » ، وفي ط « استنابها » ، تحريف .

(٤) ب : « إلى الخراب » . (٥) ب : « ولا يؤخذ » .

(٦) النبروز : اسم أول يوم في السنة ؛ وهو عند الفرس عند نزل الشمس أول الحمل ،
وعند القبط أول توت ، عرب « نوروز » ، أي اليوم الجديد . والمهرجان : عيد لفرس عند نزل الشمس
أول الميزان .

(٧) الفروج : جمع فوج ؛ وهو رسول السلطان الذي يسمى بالكتب .

(٨) س : « العطاء » .

أصابته القرعة جعله في المائة ، ومن لم تُصِبه القرعة جعله في الأربعين ، وقسم في قراء أهل البصرة كل إنسان ثلاثة دراهم ، فأعطى الزمى خمسين خمسين . قال : وأراه رزق القسطنطين^(١) .

حدثني عبد الله ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا الفضيل ، عن عبد الله قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الشام :

سلام عليكم ورحمة الله ، أما بعد ؛ فإنه من أكثر ذكر الموت قل كلامه ، ومن علم أن الموت حق رضى باليسير ، والسلام^(٢) .

١٣٦٨/٢

قال علي بن محمد : وقال أبو عجلان لعمر : إنك وضعتنا بمنقطع التراب ، فاحمل إلينا الأموال . قال : يا أبا عجلان : قلبت الأمر ، قال : يا أمير المؤمنين أهو لنا أم لك ؟ قال : بل هو لكم إذا قصر خراجكم عن أعطياتكم ، قال : فلا أنت تحمله إلينا ، ولا نحمله إليك ، وقد وضعت بعضه على بعض . قال : أحمله إليكم إن شاء الله .

ورضى من ليلته فأت من مرضه . وكانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهراً .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة توفي عمارة بن أكيمة الليثي ، ويكنى أبا الوليد ، وهو ابن تسع وسبعين .

زيادة في سيرة عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب أبي جعفر

إلى أول خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

روى عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي ، قال : حدثنا رجل في مسجد الجنباب ، أن عمر بن عبد العزيز خطب الناس بخصاصة ، فقال : أيها الناس ، إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولئن تركوا سدس ، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم ، والفصل بينكم ، وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله إلى وسعت كل شيء ، وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض . ألا واعلموا

أما الأمان غداً لمن حذر الله وخافه ، وباع نافداً^(١) بياق ، وقليلاً بكثير ، ١٣٦٩/٢
 وخوفاً بأمان . ألا ترون أنكم في أسلاب المالكين ، وسيخلفها بعدكم الباقون
 كذلك حتى ترد^(٢) إلى خير الوارثين ! وفي كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى
 الله قد قضى نحبهُ ، وانقضى أجله ، فتنبئونه في صدع من الأرض ، ثم تدعونهُ
 غير مؤسّد ولا ممهّد ، قد فارق الأحبة ، وخلع الأسباب ، فسكن التراب
 وواجه الحساب ، فهو مرتَهَنَ بعمله ، فقبر إلى ما قدّم ، غنى عما ترك .
 فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مواعده . وإيم الله إني لأقول لكم هذه المقالة ،
 وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندي ، فاستغفر الله وأتوب إليه .
 وما منكم من أحد تبلغنا عنه حاجة إلا أحببت أن أسدّ من حاجته ما قدوتُ
 عليه ، وما منكم أحد يسمعه ما عندنا إلا وددتُ أنه سدّ أي^(٣) ولحمي ، حتى
 يكون عيشنا وعيشه سواء . وإيم الله أن لو أردت غير هذا من القضاة والعيش ،
 لكان اللسان مني به ذلولاً عالمّاً بأسبابه ، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق
 وسنة عادلة ، يدلّ فيها على طاعته ، وينهى عن معصيته .

ثم رفع طرف رداءه فبكى حتى شهق وأبكى الناس حوله ، ثم نزل فكانت
 إياها لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله^(٤) .

روى خلف بن تميم ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن سعد ، قال : ١٣٧٠/٢
 بلغني أن عمر بن عبد العزيز مات ابن له ، فكتب عامل له يعزيه عن ابنه ،
 فقال لكتابه : أجه عني ، قال : فأخذ الكاتب يبري القلم ، قال : فقال
 للكتاب : أدّق القلم ، فإنه أبى للقرطاس ، وأوجز للحرّوف ، واكتب :
 بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإنّ هذا الأمر أمرٌ قد كنا وطننا أنفسنا
 عليه ، فلمّا نزل لم ننكروه^(٥) ، والسلام .

روى منصور بن مزاحم ، قال : حدثنا شعيب - يعني ابن صفوان -
 عن ابن عبد الحميد ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : من وصل أخاه
 بنصيحة له في دينه ، ونظر له في صلاح دنياه ، فقد أحسن صلته ، وأدّى واجب

(١) البيان والتبيين : « فانتا » . (٢) البيان : « قدوا » .

(٣) ط : « ساوى » . البيان : « إن يده مع يدي ، ونحسّ الذين يلحقني » .

(٤) البيان والتبيين ٢ : ١٢١ . (٥) ط : « فذكروه » .

حقه ؛ فاتقوا الله ، فإنها نصيحة لكم في دينكم ، فاقبلوها ، وموعظة منجية في العواقب فالزموها . الرزق مقسوم فلن يغدر المؤمن ما قسم له ، فأجملوا في الطلب ، فإن في القنوع سعة وبلغة وكمافاً ، إن أجل الدنيا في أعناقكم ، وجهم أمامكم ، وما ترون ذاهب ، وما مضى فكان لم يكن ، وكل أموات عن قريب ، وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق ؛ وبعد فراغه وقد ذاق الموت ، والقوم حوله يقولون : قد فرغ رحمه الله ! وعايتم تعجيل إخراجهم ، وقسمته تراثه ووجهه مفقود ، وذكره منسى ، وبابه مهجور ، وكان لم يخالف الإخوان الحفاظ ، ولم يعمر الديار ، فاتقوا هول يوم لا تحسرفه مثقال ذرة في الموازين .

روى سهل بن محمود ؛ قال : حدثنا حرملة بن عبد العزيز ، قال : حدثني أبي ، عن ابن لعمر بن عبد العزيز ، قال : أمرنا عمر أن نشتري موضع قبره ، فاشتريناه من الراهب ، قال : فقال بعض الشعراء (١) :

١٣٧١/ ٢

أَقُولُ مَا نَحَى النَّاعُونَ لِي عَمَّا لَا يَبْعَثُنَّ قِوَامُ الْعَدْلِ وَالِدِينِ
قَدْ غَادَرَ الْقَوْمُ بِاللَّحْدِ الَّذِي لَحَلُّوا بِدَيْبَرِ سَمْعَانَ قِسْطَاسَ الْمَوَازِينِ
روى عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، قال : قال عمر بن عبد العزيز :

من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه ، والرضا قليل ، ومحوّل المؤمن الصبر ، وما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه فأعاضه مما انتزع منه الصبر إلا كان ما أعاضه خيراً مما انتزع منه ، ثم قرأ هذه الآية : (إِنَّمَا يُؤَفِّقِي الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (٢) .

وقدم كتابه على عبد الرحمن بن نعيم :

لا تهلموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار صولحتم عليه ، ولا تحذثن كنيسة ولا بيت نار ، ولا تجرّ الشاة إلى مذبحها ، ولا تحذوا الشفرة على رأس الذبيحة ، ولا تجمعوا بين الصلاتين إلا من عذّر .

١٣٧٢/٢

روى عفان بن مسلم ، عن عثمان بن عبد الحميد ، قال : حدثنا أبي ،

(١) ابن الأثير : « فقال كثير عزة » . وما من ثلاثة أبيات في الكامل ٢ : ٢٧٧ من غير نسبة .

(٢) سورة الزمر : ١٠ .

قال : بلغنا أن فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قالت : اشتدّ علّزُه^(١) ليلة ، فسهر وسهرنا معه ، فلما أصبحنا أمرت وصيفاً له يقال له مرثد ، فقلت له : يا مرثد ، كن عند أمير المؤمنين ، فإن كانت له حاجة كنت قريباً منه . ثم انطلقنا فصر بنا برمونا لطول سهرنا ، فلما انفتح النهار استيقظت فتوجهت إليه ، فوجدت مرثداً خارجاً من البيت نائماً ، فأيقظته فقلت : يا مرثد ، ما أخرجك ؟ قال : هو أخرجني ، قال : يا مرثد ؛ اخرج عني ! فوافقه إلى لأرى شيئاً ما هو بالإنس ولا جان ، فخرجت فسمعتة يتلو هذه الآية : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(٢) ، قال : فدخلت عليه فوجدته قد وجّه نفسه ، وأغمض عينيه ، وإنه لميت . رحمه الله^(٣) .

(١) في اللسان : « العلز : شبه رعدة تأخذ المريض لو الحريص على الشيء ، كأنه لا يستقر

في مكانه من الريح » . (٢) سورة القصص : ٨٣ .

(٣) في حاشية ب : « ثم الفصل من الزيادة وعاد ترتيب أبي جعفر من ها هنا » .

خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

وفيها ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وكنيته أبو خالد ، وهو ابن تسع وعشرين سنة في قول هشام بن محمد ، ولما ولي الخلافة نزع عن المدينة أبا بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ، ولأها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، فقدمها - فيما زعم الواقدي - يوم الأربعاء لليال بقين من شهر رمضان فاستقضى عبد الرحمن سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد المخزومي .

١٢٧٣/٢

وذكر محمد بن عمر أن عبد الجبار بن عمار حدثه عن أبي بكر بن حزم ، أنه قال : لما قدم عبد الرحمن بن الضحاك المدينة وعزلي ، دخلت عليه ، فسلمت فلم يقبل علي ، فقلت : هذا شيء لا تملكه قریش للأنصار^(١) ، فرجعت إلى منزلي وخففته - وكان شاباً مقدماً - فإذا هو يبلغني عنه أنه يقول : ما يمنع ابن حزم أن يأتيي إلا الكبير ، وإني لعالم بخيائته ؛ فجاعني ما كنت أحلر وما أستيقن من كلامه ، فقلت للذي جاعني بهذا : قل له : ما الخيانة لي بعادة ، وما أحب أهلها ، والأمير يحدث نفسه بالخلود في سلطانه ، كم نزل هذه الدار من أمير وخليفة قبل الأمير فخرجوا منها وبقيت آثارهم أحاديث إن خيراً فخيراً وإن شراً فشرّاً ! فاتق الله ولا تسمع قول ظالم أو حاسد على نعمة . فلم يزل الأمر يترقى بينهما ، حتى خاصم إليه رجل من بني فهر وآخر من بني

التجار - وكان أبو بكر قضى للتجاري على الفهري في أرض كانت بينهما نصفين ، فدفع أبو بكر الأرض إلى التجاري - فأرسل الفهري إلى التجاري وإلى أبي بكر بن حزم ، فأحضرهما ابن الضحاك ، فتظلم الفهري من أبي بكر بن حزم ، وقال : أخرج مالي من يدي ، فدفعه إلى هذا التجاري ، فقال أبو بكر : اللهم غفراً ! أما رأيتني سألت أياً ما في أمرك وأمر صاحبك ، فاجتمع لي على إخراجها من يدك ، وأرسلتك^(٢) إلى من أفتاني بذلك : سعيد بن المسيب وأبي بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فسألتكما ؟ فقال الفهري : بلى ،

١٢٧٤/٢

(١) كذا في ب ، وفي ط : « الأنصار » .

(٢) ب : « فأرسلتك » .

وليس يلزمى قولهما . فانكسر ابن الضحاك فقال : قوموا ، فقاموا ، فقال القهري :
تقر له أنك سألت من أفتاه بهذا ، ثم تقول ردّها على ! أنت أرعن ، اذهب
فلاحق لك ، فكان أبو بكر يتقيه ويخافه ، حتى كلم ابن حيان^(١) يزيد أن
يقبده من أبي بكر ، فإنه ضربه حدّين ، فقال يزيد : لا أفعل ، رجل اصطنعه
أهل بيتي ، ولكني أوكّيك المدينة . قال : لا أريد ذلك ، لو ضربته بسلطاني
لم يكن لي قوداً . فكتب يزيد إلى عبد الرحمن بن الضحاك كتاباً :

أما بعد ، فانظر فيما ضرب ابن حزم ابن حيان ، فإن كان ضربه في أمر
يبتن فلا تلتفت إليه ، وإن كان ضربه في أمر يختلف فيه فلا تلتفت إليه ،
فإن كان ضربه في أمر غير ذلك فأقده منه .

١٣٧٥/٢ : فقدم بالكتاب على عبد الرحمن بن الضحاك ، فقال عبد الرحمن :
ما جئت بشيء ، أترى ابن حزم ضريك في أمر لا يختلف فيه ! فقال
عُثمان لعبد الرحمن : إن أردت أن تحسن أحسنت ، قال : الآن أصبت
المطلب ، فأرسل عبد الرحمن إلى ابن حزم فصره حدّين في مقام واحد ، ولم
يسأله عن شيء . فرجع أبو المغراء^(٢) بن حيان وهو يقول : أنا أبو المغراء بن
الحبيان ، والله ما قربت النساء من يوم صنع بي ابن أبي حزم ما صنع حتى يوى
هذا ، واليوم أقرب النساء !

• • •

[مقتل شوذب الخارجي]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة قُتِل شوذب الخارجي .

• ذكر الخبر عن مقتله :

قد ذكرنا قبل الخبر عما كان من مراسلة شوذب عمر بن عبد العزيز
لمناظرته في خلافه عليه ، فلما مات عمر أحببنا — فيما ذكر معمر بن المنثري —
عبد الحميد بن عبد الرحمن أن يحظى عند يزيد بن عبد الملك ، فكتب إلى

محمد بن جرير يأمره بمحاربة^(١) شَوْذِب وأصحابه ، ولم يرجع رسولا شوذب ، ولم يعلم بموت عمر ، فلما رأوا محمد بن جرير يستعد للحرب : أرسل إليه شوذب : ما أعمجلك^(٢) قبل انقضاء المدة فيما بيننا وبينكم ! أليس قد تواعدنا إلى أن يرجع رسولا شوذب ! فأرسل إليهم محمد : إنه لا يسعنا ترككم على هذه الحالة - قال غير أبي عبيدة : فقالت الخوارج : ما فعل هؤلاء هذا^(٣) إلا وقد مات الرجل الصالح .

قال معمر بن المثنى : فبرز لهم شوذب ، فاقتتلوا ، فأصيب من الخوارج نفر ، وأكثروا في أهل القبلة القتل ، وتولوا منزهين ، والخوارج في أعقابهم تقتل حتى بلغوا أخصاص الكوفة ، ولجئوا إلى عبد الحميد ، وجرح محمد بن جرير في استه ، ورجع شوذب إلى موضع فأقام ينتظر صاحبيه ، فجاءه فأخبراه بما صار عليه عمر ، وأن قد مات . فأقر يزيد عبد الحميد على الكوفة ، ووجه من قبله تميم بن الحباب في ألفين ، فراسلهم وأخبرهم أن يزيد لا يفارقهم على ما فارقهم عليه عمر ، فلعنوه ولعنوا يزيد ، فحاربهم فقتلوه وهزموا أصحابه ، فلجأ بعضهم إلى الكوفة ورجع الآخرون إلى يزيد ، فوجه إليهم نجدة بن الحكم الأزدي في جمع فقتلوه ، وهزموا أصحابه ، فوجه إليهم الشحاج بن دواع في ألفين ، فراسلهم وراسلوه ، فقتلوه ، وقتل منهم نفراً فيهم هذبة الشكري ، ابن عم يسطام - وكان عابداً - وفيهم أبو شبيب مقاتل ابن شيان - وكان فاضلاً عندهم - فقال أبو ثعلبة أيوب بن خنوس يريهم :

تَرَكْنَا تَمِيمًا فِي الْغُبَارِ مُلَحًّا تُبَكِّي عَلَيَّ عِرْسُهُ وَكَرَائِيهِ
وَقَدْ أَسْلَمْتَ قَيْسَ تَمِيمًا وَمَالِكًا كَمَا أَسْلَمَ الشَّحَاجُ أَمِيرَ أَقَارِبِهِ
وَأَقْبَلَ مِنْ حَرَّانَ يَحْوِيلُ رَايَةَ يَغَالِبُ أَمْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَالِبُهُ
فَيَاهُذِبُ لِلْهَيْبَا ، وَيَاهُذِبُ لِلنَّدَى ، وَيَاهُذِبُ لِلْخَضَمِ الْأَلَدُ بِحَارِبِهِ !
وَيَاهُذِبُ كَمَنْ مَلَحَمٌ قَدْ أَجَبْتَهُ^(٤) وَقَدْ أَسْلَمْتَهُ لِلرَّمَاحِ جَوَائِبُهُ

(١) ابن الأثير : « متناجزة » . (٢) اب : « ما أعمجلك » . (٣) ر : « ما فعلوا » .

(٤) ط : « صادراً » . ب : « صاراً » . (٥) ابن الأثير : « كم من ملحم » .

وكان أَبُو شَيْبَانَ خَيْرَ مُعَاتِلٍ يُرْجَى وَيَخْشَى بِأَسْءُ مِنْ يَحَارِبُهُ
فَفَازَ وَلَاقَى اللَّهَ بِالْخَيْرِ كُلِّهِ وَخَلَّعَهُ بِالسَّيْفِ فِي اللَّهِ ضَارِبُهُ
تَزَوَّدَ مِنْ دُنْيَاهُ دِرْعًا وَمِقْفَرًا وَعَضْبًا حُسَامًا لَمْ تَخْنُهُ مَضَارِبُهُ
وَأَجْرَدَ مَحْبُوكَ السَّرَاقِ كَأَنَّهُ إِذَا انْقَضَ وَافَى الرَّيْشَ حُجْنٌ مَخَالِبُهُ

١٣٧٨/٢

فلما دخل مسلمة الكوفة شكّا إليه أهلها مكانَ شُوذِبَ ، وخوفهم منه
وما قد قتل منهم ، فدعا مسلمة سعيد بن عمرو الحرثي - وكان فارساً - فعقد
له على عشرة آلاف ، ووجهه إليه ^(١) وهو مقيم بموضعه ، فأثابه ما لاطاقة له به .
فقال شُوذِبَ لأصحابه : مَنْ كان يريد الله فقد جاءته الشهادة ، وَمَنْ كان
لِنَا خرج للدنيا فقد ذهب الدنيا ، وإنما البقاء في الدّار الآخرة ؛ فكسروا
أعْصَادَ السُّيُوفِ ^(٢) وحملوا ، فكشفوا سعيداً وأصحابه مراراً ؛ حتى خاف الفضيحة
فدَسَمَ أصحابه ، وقال لهم : أَمِنْ هذه الشرذمة لا أبأ لكم تفرون ! يا أهل
الشَّامِ يوماً كأيامكم !

قال : فحملوا عليهم ، فطعنوهم ^(٣) طعنًا لم يقوا منهم أحداً ، وقتلوا بِسِطَاطًا
وهو شُوذِبَ وفرسانه ، منهم الرِّيَّان بن عبد الله اليشكري ، وكان من المحبّتين ^(٤) ؛
فقال أخوه شِمْر بن عبد الله يرثيه :

وَلَقَدْ فَجِئْتُ بِسَادَةٍ وَقَوَارِسٍ لِلْحَرْبِ سَعْرٍ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ
إِعْتَنَاهُمْ رَبِّبُ الزَّمَانِ فَعَالَهُمْ وَتَرَكْتُ قَرْدًا غَيْرَ ذِي إِخْوَانٍ
كَمِيدًا تَجَلْجَلُ فِي فَوَادِي حَسْرَةٍ كَالنَّارِ مِنْ وَجْدٍ عَلَى الرِّيَّانِ
وَقَوَارِسٍ بَاغُوا إِلَهَةَ نَفْسِهِمْ مِنْ يَشْكُرُ عِنْدَ الرَّغَى فَرَسَانِ
وَقَالَ حَسَانُ بْنُ جَعْفَرٍ يَرِثُهُمْ :

يَا عَيْنُ أَذْرَى دُمُوعًا مَلِكُ تَسْجَامَا وَابْكِي صَحَابَةَ بِسْطَامٍ وَيَسْطَامَا
فَلَنْ تَرَى أَبَدًا مَا عِشْتَ مِثْلَهُمْ أَنْتَقَى وَأَكْمَلَ فِي الْأَحْلَامِ أَحْلَامَا

(٢) ب : سيوفهم .

(١) س : إليهم .

(٤) ط : « المحبتين » . وأحببت إلى ربه ،

(٣) ط : « فطعنهم » ، وما أثبتته من ب .

لي الطمان .

١٣٧٩/٢ بِسَيِّمِهِمْ قَدْ تَأَسَّوْا عِنْدَ شِدَّتِهِمْ وَلَمْ يُرِيدُوا عَنِ الْأَعْدَاءِ لِحِجَامَا
حَتَّى مَضَوْا لِلَّذِي كَانُوا لَهُ خَرَجُوا فَأَوْرَثُونَا مَنَارَاتٍ وَأَعْلَامًا
لِيُنْيَ لِأَعْلَمِ أَنْ قَدْ أُنْزِلُوا غُرَفًا مِنَ الْجَنَانِ وَنَالُوا ثُمَّ خُذْنَا
أَسْقَى الْإِلَهَ يَلَادًا كَانَ مَصْرُعُهُمْ فِيهَا سَحَابًا مِنَ الْوَسْمَى سَجَامًا

• • •

[خبر خلع يزيد بن المهلب بن عبد الملك]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة لحق يزيد بن المهلب بالبصرة ، فغلب عليها ، وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك عليها عدى بن أوطاة الفزارى ، فحبسه وخلع يزيد بن عبد الملك .

• ذكر الخبر عن سبب خلعه يزيد بن عبد الملك وما كان من أمره وأمر يزيد في هذه السنة :

قد مضى ذكرى خبر هرب يزيد بن المهلب من محبسه الذى كان عمر بن عبد العزيز حبسه فيه ، ونذكر الآن ما كان من صتيه بعد هربه في هذه السنة - أسمى سنة إحدى ومائة .

ولما مات عمر بن عبد العزيز بويع يزيد بن عبد الملك في اليوم الذى مات فيه عمر ، وبلغه هرب يزيد بن المهلب ، فكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن يأمره أن يطلبه ويستقبله ، وكتب إلى عدى بن أوطاة يعلمه هربه ، ويأمره أن يتنهي لاستقباله ، وأن يأخذ من كان بالبصرة من أهل بيته .

فذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن عدى بن أوطاة أخذهم وجسهم ، وفيهم المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب ، وأقبل يزيد بن المهلب حتى مرَّ بسعيد بن عبد الملك بن مروان ، فقال يزيد لأصحابه : ألا نعرض لهذا فنأخذه فنذهب به معنا ! فقال أصحابه : لا بل امض بنا ودعه . وأقبل يسير حتى ارتفع فوق القُطُطُطانة ، وبعث عبد الحميد بن عبد الرحمن هشام ابن مساحق بن عبد الله بن محمرة بن عبد العزيز بن أبي قيس بن عبد ود بن

١٣٨٠/٢

نصرين مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي القرشي، في ناس من أهل الكوفة من الشرط وجوه الناس وأهل القوة، فقال له: انطلق حتى تستقبله فإنه اليوم يمر بجانب العُدَيب. فشى هشام قليلاً، ثم رجع إلى عبد الحميد، فقال: أجيئك به أسيراً أم آتيك برأسه؟ فقال: أي ذلك ما شئت، فكان يعجب لقوله ذلك من سيمه، وجاء هشام حتى نزل العُدَيب، ومرّ يزيد منهم غير بعيد، فأتقوا الإقدام عليه، ومضى يزيد نحو البصرة، فقيه يقول الشاعر:

وسارَ ابنُ المهلبِ لم يُعْرَجْ وعَرَّسَ ذو القُطَيْفَةِ من كِنَانَةِ
وياسِرَ والتَّيَّاسِرُ كان حَزْماً ولم يقربِ قُصُورَ القُطُطَانَةِ

ذوالقُطَيْفَةِ هو محمد بن عمرو^(١)، وهو أبو قُطَيْفَةِ بن الوليد بن عَقْبَةَ بن أبي معيط، وهو أبو قُطَيْفَةِ؛ وإنما سمي ذا القُطَيْفَةِ، لأنه كان كثير شعر اللحية والوجه والصدر. ومحمد يقال له ذوالشامة.

١٣٨١/٢ فلما جاء يزيد بن المهلب انصرف هشام بن مساحق إلى عبد الحميد، ومضى يزيد إلى البصرة، وقد جمع عدى بن أرطاة إليه أهل البصرة وخذلق عليها، وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي. وكان عدى بن أرطاة رجلاً من بني فزارة. وقال عبد الملك بن المهلب لعدى بن أرطاة: خذ ابني حميداً فأحبسه مكافئاً، وأنا أضمن لك أن أردّ يزيد عن البصرة حتى يأتي فارس، ويطلب لنفسه الأمان^(٢)، ولا يقربك^(٣) فأبى عليه، وجاء يزيد ومعه أصحابه^(٤) الذين أقبل فيهم^(٥)، والبصرة محفوفة بالرجال، وقد جمع محمد بن المهلب - ولم يكن ممن حيس رجالاً وقتية من أهل بيته وناساً من مواليه، فخرج حتى استقبله، فأقبل في كتيبة تهول من رآها، وقد دعا عدى أهل البصرة، فبعث على كل خمس من أحماسها رجلاً، فبعث على خمس الأزدي المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي، وبعث على خمس بني تميم حمز بن حُمران السعدي من بني مَنقَر، وعلى خمس بكر بن وائل عمران بن عامر

(١) هو: لؤي عمرو، وفي ط: «وأبو قُطَيْفَةِ»، وهو خطأ.

(٢) ب: «الأمان لنفسه». (٣) ب: «لا يقربك».

(٤) س: «وجاء يزيد وأصحابه». (٥) س: «هم».

ابن مسمع من بني قيس بن ثعلبة. فقال أبو متمر — رجل من قيس بن ثعلبة: إن الزاية لا تصلح إلا في بني مالك بن مسمع، فدعا عدى نوح بن شيان ابن مالك بن مسمع، فعقد له على بكر بن وائل، ودعا مالك بن المنذر بن الجارود، فعقد له على عبد القيس، ودعا عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر القرشي، فعقد له على أهل العالية — والعالية قريش وكنانة والأزد وبجيلة وخنيم وقيس عيلان كلها ومزينة — وأهل العالية بالكوفة يقال لهم ربيع أهل المدينة وبالبصرة^(١) خمس أهل العالية، وكانوا بالكوفة أحماساً، فجعلهم زياد بن عبيد أرباعاً.

١٣٨٢/٢

قال هشام عن أبي مخنف: وأقبل يزيد بن المهلب لا يمر ببخيل من خيلهم ولا قبيلة من قبائلهم إلا تنحوا له عن السبيل^(٢) حتى يمضي، واستقبله المغيرة ابن عبد الله الثقفي في الخيل، فحمل عليه محمد بن المهلب في الخيل، فأفزع له عن الطريق هو وأصحابه، وأقبل يزيد حتى نزل داره، واختلف^(٣) الناس إليه، وأخذ يبعث إلى عدى بن أوطاة أن ادفع^(٤) إلى إخوتك وأنا أصالحك على البصرة، وأخليك وإياها حتى آخذ لنفسى ما أحب من يزيد بن عبد الملك، فلم يقبل منه، وخرج^(٥) إلى يزيد بن عبد الملك حميد بن عبد الملك بن المهلب، فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري وعمر بن يزيد^(٦) الحكيمي بأمان يزيد بن المهلب وأهل بيته، وأخذ يزيد بن المهلب يعطى من أناه من الناس، فكان يقطع لم يقطع الذهب وقطع الفضة، قال الناس إليه، ولحق به عمران بن عامر بن مسمع ساخطاً على عدى بن أوطاة حين نزع منه رايته، راية بكر بن وائل، وأعطاه ابن عمه، ومالت إلى يزيد ربيعة وبقية تميم وقيس وناس بعد ناس^(٧)؛ فיהم عبد الملك ومالك ابنا مسمع ومعه ناس من أهل الشام، وكان عدى لا يعطى إلا درهمين درهمين، ويقول:

١٣٨٢/٢

(٢) ابن الأثير: «عن طريقه».

(٤) ب وابن الأثير: «أن أبهت».

(٦) ب: «زيد».

(١) س: «وبالبصرة».

(٣) ابن الأثير: «فاختلف».

(٥) ب: «فسار».

(٨) ب: «من الناس».

لا يجلّ لي أن أعطيكم من بيت المال دونهما إلا بأمر يزيد بن عبد الملك ،
ولكن تبلى بهذا^(١) حتى يأتى الأمر في ذلك^(٢) . فقال الفرزدق في ذلك :
أظن رجلاً الدهميين يسوقهم إلى الموت آجال لهم ومصارع^(٣)
فأحزهم من كان في قعر بيت^(٤) وأيقن أن الأمر لا شك واقع^(٥)
وخرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عدى ، فزلوا المربد ، فبعث
إليهم يزيد بن المهلب مولى له يقال له دارس ؛ فحمل عليهم فهزمهم ، فقال
الفرزدق في ذلك :

تفرقت الحمراء إذ صاح دارس ولم يصبروا تحت السيوف الصوارم^(٦)
جزى الله قيساً عن عدى ملامة ألا صبروا حتى تكون ملاحم

وخرج يزيد بن المهلب حين اجتمع له الناس . حتى نزل جبانة بنى يشكر
— وهو المنصف^(٧) ، فبها بينه وبين القصر — وجاءته بنو تميم وقيس^(٨) وأهل الشام ،
فاقتتلوا هنيئة ، فحمل عليهم محمد بن المهلب ، ففرض مسور بن عباد
الحبلى بالسيف فقطع أنف البيضة ، ثم أسرع السيف إلى أنفه^(٩) ، وحمل
على هريم بن أبى طلحة من بنى نهشل بن دارم . فأخذ بمنطقته ، فحذفه عن
فرسه^(١٠) ؛ فوقع فيها بينه وبين الفرس ، وقال : هيهات هيهات ! عمك أثقل من
ذلك . وانهزموا ، وأقبل يزيد بن المهلب إثر القوم يتلوهم حتى دنا من القصر ،

(١) ابن الأثير : « جهده » . (٢) ب : « بنك » .

(٣) ديوانه ١٦٦ ، وروايته : « إلى قدر آجالهم » .

(٤) الديوان : « من قر في قعر بيته » .

(٥) الديوان : « وأيقن أن العزم لا يد واقع » .

(٦) ديوانه ٧٧٨ ، والرواية فيه :

تصدعت الجعراء إذ صاح دارس ولم يصبروا عند السيوف الصوارم
جزى الله قيساً عن عدى ملامة وخص بها الأدنين أهل الملاوم
م قتلوا مولاهم وأميرهم ولم يصبروا للموت عند الملاحم

(٧) ابن الأثير : « النصف » . (٨) ابن الأثير : « فلقية قيس وتمد » .

(٩) ب : « في أنفه » . (١٠) حذفه عن فرسه ، أى رماه عنه .

فقاتلوهم وخرج إليه عدى بنفسه فقتل من أصحابه الحارث بن مصرف الأودي-
وكان من أشرف أهل الشام وفرسان الحجاج - وقتل موسى بن الوجيه الحميري
ثم الكلعي ، وقتل راشد المؤذن ، واتهم أصحاب عدى ، وجمع إخوة يزيد
وهم في محبس عدى الأصوات تدنو ، والنشاب تقع في القصر ، فقال لم عبد الملك :
إني أرى النشاب تقع في القصر ، وأرى الأصوات تدنو ، ولا أرى يزيد إلا قد
ظهر ، وإني لا آمن من مع عدى من مضر ومن أهل الشام أن يأتونا فيقتلونا
قبل أن يصل إلينا يزيد إلى الدار ، فأغلقوا الباب ثم ألقوا عليه ثياباً . فحلوا
فلم يلبثوا إلا ساعة حتى جاءهم عبد الله بن دينار مولى ابن عمر^(١) ، وكان على
حرس عدى - فجاء يشدد إلى الباب هو وأصحابه ، وقد وضع بنو المهلب متاعاً
على الباب ، ثم اتكوا عليه ، فأخذ الآخرون يعالجون الباب ، فلم يستطيعوا
الدخول ، وأعجلهم الناس فحلوا عنهم .

١٣٨٥/٢

وجاء يزيد بن المهلب حتى نزل دار سلم بن زياد بن أبي سفيان إلى^(٢)
جانب القصر^(٣) ، وأتى بالسلالم ، فلم يلبث عثمان أن فتح القصر ، وأتى بـعدى
ابن أرطاة ، فحمله به وهو يتيم ، فقال له يزيد : لم تضحك ؟ فوافقه إنه
لينبغي أن يمنعك من الضحك خصلتان : إحداهما الفرار من القشة الكريمة
حتى أعطيت يديك إعطاء المرأة يديها ، فهذه واحدة ، والأخرى أني أتيت بك
تفعل^(٤) كما يتل^(٥) العبد الآبق إلى أربابه ، وليس معك مني عهد ولا عقد ،
فما يؤمنك أن أضرب عنقك ! فقال عدى : أما أنت فقد قلت عني ، ولكني
أعلم أن بقائي بقاؤك ، وأن هلاكي مطلوب به من جرته يده ، إنك قد رأيت
جنود الله بالمغرب ، وعلمت بلاء الله عندهم في كل موطن من مواطن الغدر
والنكث ، فتدارك فكتكتك وزكتك بالثوبة واستقالة العترة ، قبل أن يرى إليك
البحر بأمواله ، فإن طلبت الاستقالة حيث لم تفعل ، وإن أردت الصلح وقد
أشخصت القوم إليك وجدتهم لك مباعدين ، وما لم يشخص القوم إليك فلم

(١) ط : « عامر » ، وانظر القهرس .

(٢) ط : « سالم » ، وانظر القهرس .

(٣) ب وابن الأثير : « إلى جنب » .

(٤) يتل ، أي يقاد .

يبتعوك شيئاً طلبت فيه الأمان على نفسك وأهلك ومالك .

فقال له يزيد : أما قولك : إن بقاءك بقاى ؛ فلا أبقانى الله حسوة طائر مذعور إن كنت لا يبقينى إلا بقاءك ؛ وأما قولك : إن هلاكك مطلوب به من جرته يده ؛ فوالله لو كان فى يدي من أهل الشام عشرة آلاف إنسان ليس فيهم ^(١) رجل إلا أعظم مترلة منك فيهم ، ثم ضربت أعناقهم فى صعيد واحد ، لكان فرأى إياهم وخلا فى عليهم أهولَ عندهم وأعظم فى صدورهم من قتل أولئك ، ثم لو شئت أن تهدر لى دماؤهم ، وأن أحكم فى بيوت أموالهم ، وأن يجوزوا لى عظيماً من سلطانهم ، على أن أضع الحرب فيما بينى وبينهم لقلعوا ؛ فلا يخفين عليك أن القوم ناسوك لو قد رقت أخبارنا إليهم ، وأن أعمالهم وكيدهم لا يكون إلا لأتفسهم ، لا يذكرونك ولا يحلفون بك . وأما قولك : تدارك أمرك واستقله وافعل وافعل ؛ فوالله ما استشرتك ، ولا أنت عندى بوادٍ ولا نصيب ؛ فما كان ذلك منك إلا عجزاً وفضلاً ؛ انطلقوا به ، فلما ذهبوا به ساعة قال : ردوه ، فلما رد قال : أما إن حبسى إياك ليس إلا لحبسك بنى المهلب وتضييقك عليهم فيما كنا نساك التسهيل فيه عليهم ، فلم تكن تألوما عسرت وضيقت وخالفت ؛ فكانه لهذا القول حين سمعه أمين على نفسه ، وأخذ عدى يحدث به كل من دخل عليه .

وكان رجل يقال له السמידع الكندى من بنى مالك بن ربيعة من ساكنى عُمان يرى رأى الخوارج ، وكان خرج وأصحاب يزيد وأصحاب عدى مصطفون فاعتزل معه ناس من القرعاء ، فقال طائفة من أصحاب يزيد وطائفة من أصحاب عدى : قد رضينا بحكم السמידع . ثم إن يزيد بعث إلى السמידع فدعاه إلى نفسه ، فأجابه ، فاستعملوا يزيد على الأبلّة ، فأقبل على الطيب والتخلق والنعم ، فلما ظهر يزيد بن المهلب هرب رموس أهل البصرة من قيس وتميم ومالك بن المنذر ، فلحقوا بعبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة ، ولحق بعضهم بالشام ، فقال الفرزدق :

فداءً لِقَوْمٍ مِنْ نَعِيمٍ تَتَابَعُوا إِلَى الشَّامِ لِمَرْضَاوَابِحَكُمُ السَّيِّدَعِ^(١)
أَحْكُمُ حُرُورِي مِنَ اللَّيْنِ مَارِقِ أَضْلُ وَأَعْوَى مِنْ جِمَارِ مُجْدَعِ
فَأَجَابَهُ خَلِيفَةُ الْأَقْطَعِ .

وَمَا وَجَّهَهَا نَحْوَهُ عَنْ وَفَادَةٍ وَلَا نَهْزَةٍ يُرْجَى بِهَا خَيْرٌ مَطْمَعِ .
وَلَكِنَّهُمْ رَاخُوا إِلَيْهَا وَأَذْلَجُوا بِأَقْرَعِ أَسْتَاهُ تَرَى يَوْمَ مَقْرَعِ
وَهُمْ مِنْ جَذَارِ الْقَوْمِ أَنْ يَلْحَقُوا بِهِمْ لَهُمْ نَزْلَةٌ فِي كُلِّ خَمْسٍ وَأَرْبَعِ
وخرج الحواري^(٢) بن زياد بن عمرو العتكي يريد يزيد بن عبد الملك
هارباً من يزيد بن المهلب ، فلقى خالد بن عبد الله القسري وعمر بن يزيد
العتكي ومعهما حميد بن عبد الملك بن المهلب قد أقبلوا من عند يزيد بن
عبد الملك بأمان يزيد بن المهلب ، وكل شيء أأراه ، فاستقبلهما ، فسألاه عن
الخبر ، فخلا بهما حين رأى معهما حميد بن عبد الملك ، فقال : أين تريدان ؟
فقالا : يزيد بن المهلب ، قد جئناه بكل شيء أأراه ، فقال : ما تصنعان بيزيد
شيئاً ، ولا يصنعه بكما ؛ قد ظهر على عدوه عدى بن أوطاة ، وقتل القتل
وحبس عدياً ، فارجعا أيها الرجلان . ويمر رجل من باهلة يقال له مسلم بن
عبد الملك ، فلم يقف عليهما ، فصابحاه وساملاه ، فلم يقف عليهما ، فقال
القسري : ألا تردّه فتجلده مائة جلدة ! فقال له صاحبه : غربه عنك ،
وأملأ لينصرف .

١٣٨٨/٢

ومضى الحواري بن زياد إلى يزيد بن عبد الملك ، وأقبل بحميد بن عبد الملك
معهما ، فقال لهما حميد : أنشدك الله أن تخالفا أمر يزيد ما بعثنا به ! فإن
يزيد قابل منكما ؛ وإن هذا وأهل بيته لم يزالوا لنا أعداء ، فأنشدك الله أن
تقبل مقاتله ؛ فلم يقبل قوله ، وأقبل به حتى دفعاه إلى عبد الرحمن بن سليم^(٣)
الكلبي ، وقد كان يزيد بن عبد الملك بعثه إلى خراسان عاملاً عليها . فلما
بلغه خلع يزيد بن عبد الملك كتب إليه : إن جهاد من خالفك أحب إلى

(١) ديوانه ٥٠٨ ، وفيه : « نأى لروى من نعيم » .

(٢) ابن الأثير : « المغيرة » . (٣) ط : « سليمان » ، وانظر الفهرس .

من عملى على خراسان، فلاحاجة لى فيها ، فاجلنى من توجهنى لى يزيد بن المهلب ، وبعث بمحميد بن عبد الملك لى يزيد ، ووثب عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب على خالد بن يزيد بن المهلب ، وهو بالكوفة وعلى حمّال بن زحر الجعفى ، وليسا ممن كان ينطق بشيء إلا أنهم عرفوا ما كان بينه وبين بنى المهلب، فأوثقهما وسرحهما^(١) لى يزيد بن عبد الملك ، فحبسهما جميعاً ، فلم يفارقوا السجن حتى هلكوا فيه . وبعث يزيد بن عبد الملك رجالاً من أهل الشام إلى الكوفة يسكتونهم، ويشنون عليهم بطاعتهم، ويمسّونهم الزيادات منهم القطاى بن الحصين، وهو أبو الشرقى، واسم الشرقى الوليد ، وقد قال القطاى حين بلغه ما كان من يزيد بن المهلب :

لَعْلُ عِنَى أَنْ تَرَى يَزِيدَا يَفُودُ جَيْشًا جَحْفَلًا شَدِيدَا
تَسْمَعُ لِلْأَرْضِ بِهِ وَكَيْدَا لَا بَرَمًا هَذَا وَلَا حَسُودَا
وَلَا جَبَانًا فِي الْوُغَى رَعِيدَا تَرَى ذَوِي النَّجَاحِ لَهُ سُجُودَا
مُكْفَرِينَ خَاشِعِينَ قُودَا وَآخِرِينَ رَحْبُوا وَقُودَا
لَا يَنْقُصُ الْعَهْدُ وَلَا الْمَعُودَا مِنْ نَفَرٍ كَانُوا هِجَانًا صِيدَا
تَرَى لَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِيدَا مِنَ الْأَعَادَى جَزَرًا مَقْصُودَا

ثم إن القطاى سار بعد ذلك إلى المعسكر حتى شهد قتال يزيد بن المهلب مع مسلمة بن عبد الملك، فقال يزيد بن المهلب : ما أبعد شعر القطاى من فعله !

ثم إن يزيد بن عبد الملك بعث العباس بن الوليد فى أربعة آلاف فارس؛ جريدة خيل، حتى واقفوا الحيرة ببادر إليها يزيد بن المهلب، ثم أقبل بعد ذلك مسلمة بن عبد الملك وجنود أهل الشام ، وأخذ على الجزيرة وعلى شاطئ الفرات، فاستوثق أهل البصرة ليزيد بن المهلب ، وبعث عماله على الأهواز وفارس وكيرمان، عليها الجراح بن عبد الله الحكيمى حتى انصرف إلى عمر بن

(١) ابن الأثير : « وسيرهما » .

عبد العزيز ، وعبد الرحمن بن نعيم الأزدي فكان على الصلاة . واستخلف يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن القشيري على الحسراج ، وجاء مُدْرِكُ بن المهلب حتى انتهى إلى رأس المفازة ، فدرس عبد الرحمن بن نعيم إلى بني تميم أن هذا مدرك بن المهلب يريد أن يُلْقَى بينكم الحرب ، وأنتم في بلاد عافية وطاعة وعلى جماعة ، فخرجوا ليلاً يستقبلونه ، وبلغ ذلك الأزدي ، فخرج منهم نحو من أثنى فارس حتى لحقهم قبل أن يتوها إلى رأس المفازة ، فقالوا لهم : ماجاء بكم؟ وما أخرجكم إلى هذا المكان ؟ فاعتلوا عليهم بأشياء ، ولم يَقْرَوا لهم أنهم خرجوا ليتلفوا مدرك بن المهلب ، فقال لهم الآخرون ، بل قد علمنا أن تخرجوا لتلحق صاحبنا ، وما هو ذا قريب ؟ فاشتتم .

ثم انطلقت الأزدي حتى تلقوا مدرك بن المهلب على رأس المفازة ، فقالوا له : إنك أحب الناس إلينا ، وأعزهم علينا ، وقلخرج أخوك ونابذ ، فإن يظهره الله فإنما ذلك لنا ، ونحن أسرع الناس إليكم أهل البيت وأحقه بذلك ؛ وإن تكن الأخرى فوالله ما لك في أن يفشاننا ما يعرنا فيه من البلاء راحة . فزم له رأيهم على الانصراف ، فقال ثابت قُطنة ، وهو ثابت بن كعب ، من الأزدي من العتيك :

١٣٩١/٢

أَلَمْ تَرَ دَوْسَرًا مَنَعَتْ أَخَاهَا	وَقَدْ حَشَدَتْ لِتَقْتُلَهُ نَعِيمُ
رَأَوْا مِنْ دُونِهِ الزُّرْقَ الْقَوَالِي	وَحَيًّا مَا يُبَاحُ لَهُمْ حَرِيمُ
فَسَوَّيْتُهَا وَعِمْرَانُ بْنُ حَزْمٍ	هَنَّاكَ الْمَجْدُ وَالْحَسْبُ الصَّيْمُ
فَمَا حَمَلُوا وَلَكِنْ نَهَنَّهُتُهُمْ	رِمَاحُ الْأَزْدِ وَالْعَزُّ الْقَدِيمُ
رَدَدْنَا مُدْرِكًا بِمَرْدٍ صِدْقٍ	وَلَيْسَ بِوَجْهِهِ مِنْكُمْ كَلُومُ
وَحَيْلٍ كَالْقِدَاحِ مُسَوَّمَاتٍ	لَدَى أَرْضِ مَقَانِيهَا الْجِيمُ
عَلَيْهَا كُلُّ أَصْبَدَ دَوْسَرِيٍّ	عَزِيزٍ لَا يَقْرُ وَلَا يَرِيمُ
بِهِمْ تُسْتَعْتَبُ السَّفَهَاءُ حَتَّى	تَرَى السَّفَهَاءَ تَرَدُّعَهَا الْحُلُومُ

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثني معاذ بن سعد أن يزيد لما استجمع له البصرة ، قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أخبرهم أنه يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحث على الجهاد ، ويوعظ أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم .

قال : فدخلت أنا والحسن البصري وهو واضح يده على عاتقي ، وهو يقول : انظر هل ترى وجه رجل تعرفه ؟ قلت : لا والله ، ما أرى وجه رجل أعرفه ، قال : فهؤلاء والله الغناء^(١) ، قال : فضينا حتى دوننا من المنبر . قال : فسمعت يذكّر كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم رفع صوته^(٢) ، فقال : والله لقد رأيناك والياً ومولئاً^(٣) عليك ، فما ينبغي لك ذلك . قال : فوثبنا عليه ، فأخذنا بيده فقه وأجلسناه ، فوالله ما نشك أنه سمعه ، ولكنه لم يلتفت إليه ومضى في خطبته .

قال : ثم إنا خرجنا إلى باب المسجد ، فإذا على باب المسجد النضر بن أنس ابن مالك يقول : يا عباد الله ، ما تنقمون من أن تجيبوا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ! فوالله ما رأينا ذلك ولا رأيتوه منذ ولدتم إلا هذه الأيام من إمارة عمر بن عبد العزيز ، فقال الحسن : سبحان الله ! وهذا النضر بن أنس قد شهد أيضاً .

قال هشام : قال أبو مخنف : وحدثني المثنى بن عبد الله أن الحسن البصري مرّ على الناس وقد اصطفوا صفيتين ، وقد نصبوا الرايات والزمام ، وهم ينتظرون خروج يزيد ، وهم يقولون : يدعوننا يزيد إلى سنة الصمّرين ، فقال الحسن : إنما كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ، ثم يسرّح بها إلى بني مروان ، يريد بهلاك هؤلاء وضاهم . فلما غضب غضبة نصب قصباً ، ثم وضع عليها خرقة ، ثم قال : إني قد خالفتهم فخالقوهم . قال هؤلاء : نعم . وقال : إني أدعوكم إلى سنة الصمّرين ، وإن من سنة الصمّرين أن يوضع قيد في زجله ، ثم يرد إلى محبس عمر الذي فيه حبسه ، فقال له ناس من أصحابه

(١) ط : « الاعتناء » ، والصواب ما في الأصول .

(٢) ابن الأثير : « وكان حسن البصري يسمع ، فرفع رأسه » .

(٣) ط : « مولياً » تحريف .

من سمع قوله : والله لكأنك يا أبا سعيد راض عن أهل الشام ، فقال : أنا راض عن أهل الشام قبحهم الله وبرّحهم ! أليس هم الذين أحلّوا حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقتلون أهله ثلاثة أيام^(١) ، ثلاث ليال ! قد أباحوهم^(٢) لأتباعهم وأقباطهم ، يحملون الحراثر ذوات الدّين ، لا يتناهون عن انتهاك حرمة . ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام ، فهدموا الكعبة ، وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها ، عليهم لعنة الله وسوء الدار !

١٢٩٣/٢

قال : ثم إن يزيد خرج من البصرة ، واستعمل عليها مروان بن المهلب ، وخرج معه بالسلاح وبيت المال ، فأقبل حتى نزل واسطاً ، وقد استشار أصحابه حين توجه نحو واسط ، فقال : هاتوا الرأى ، فإن أهل الشام قد نهضوا إليكم ، فقال له حبيب ، وقد أشار عليه غير حبيب أيضاً فقالوا : نرى أن تخرج وتزل بفارس ، فتأخذ بالشعاب وبالعقاب ، وتندو من خراسان ، وتطاول القوم ، فإن أهل الجبال ينفضون إليك وفي يدك القلاع والحصون . فقال : ليس هذا برأى ، ليس يوافقني هذا ؛ إنما تريدون أن تجعلوني طائراً على رأس جبل . فقال له حبيب : فإن الرأى الذى كان ينبغي أن يكون فى أول الأمر قد فات ، قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة أن توجه خيلاً عليها أهل بيتك حتى ترد الكوفة ، فإنما هو^(٣) عبد الحميد بن عبد الرحمن ، مرت به فى سبعين رجلاً فعجز عنك ؛ فهو عن خيلك أعجز فى العدة ، فسبق إليها أهل الشام وعظماء أهلها يرون رأيك ، وأن تلى عليهم أحب إلى جلّتهم من أن يلى عليهم أهل الشام ، فلم تطعنى ، وأنا أشير الآن برأى ؛ سرح مع أهل بيتك خيلاً من خيلك عظيمة فتأق الجزيرة ، وتبادر إليها حتى ينزلوا حصناً من حصونها^(٤) ، وتسير فى أثرهم ، فإذا أقبل أهل الشام يريدونك لم يدعوا جنداً من جنودك بالجزيرة ؛ ويقبلون إليك فيقيمون عليهم ، فكانهم حابستهم عليك^(٥) حتى تأتيتهم فيأتيك من الموصل من قومك ، وينفض إليك أهل العراق وأهل الثغور ، وتقاتلهم فى أرض ربيعة^(٦) السمر ، وقد جعلت العراق كله وراء ظهرك ،

١٢٩٤/٢

(١) ابن الأثير : « أباحوا » .

(٢) ابن الأثير : « ثلاثاً » .

(٣) ابن الأثير : « حاربهم » .

(٤) ابن الأثير : « حاربهم » .

(٥) ابن الأثير : « ربيعة » .

(٦) ابن الأثير : « ربيعة » .

« ربيعة » تحريف .

فقال : إني أكره أن أقطع جيشي وجندي . فلما نزل واسطًا أقام بها أيامًا يسيرة .

• • •

قال أبو جعفر : ورجع بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك ابن قيس الفهري ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال محمد بن عمر .

وكان عبد الرحمن عامل يزيد بن عبد الملك على المدينة ، وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد . وكان على الكوفة عبد الحميد ابن عبد الرحمن ، وعلى قضائها الشَّعبيّ ، وكانت البصرة قد غلب عليها يزيد ابن المهلب ، وكان على خراسان عبد الرحمن بن نُعَيم .

ثم دخلت سنة اثنين ومائة

[ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث]

فمن ذلك ما كان فيها من مسير العباس بن الوليد بن عبد الملك ومسلمة ابن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب بتوجيه يزيد بن عبد الملك لإيأهما لحربه .

١٣٩٥/٢

وفيها قتل يزيد بن المهلب ، في صفر .

ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب

ذكر هشام، عن أبي عثفان: أن معاذ بن سعيد حدثه أن يزيد بن المهلب استخلف على واسط حين أراد الشخصوس عنها للقاء مسلمة بن عبد الملك والعباس ابنه معاوية، وجعل عنده بيت المال والخزائن والأُسرار، وقدّم بين يديه أخاه عبد الملك، ثم سار حتى مرّ بقم النبل^(١)، ثم سار حتى نزل العسكر. وأقبل مسلمة يسير على شاطئ الفرات حتى نزل الأنبار، ثم عقد عليها الجسر. فعبر من قبل قرية يقال لها فارط، ثم أقبل حتى نزل على يزيد بن المهلب، وقد قدّم يزيد أخاه نحو الكوفة، فاستقبله العباس بن الوليد بسُوراً، فاصطفوا، ثم اقتتل القوم، فشده عليهم أهل البصرة شدة كشفوم فيها، وقد كان معهم ناس من بني تميم وقيس ممن انهزم من يزيد بالبصرة، فكانت لهم جماعة حسنة مع العباس، فيهم هرّيم بن أبي طحمة المجاشعي. فلما انكشف أهل الشام تلك الانكشاف، ناداهم هرّيم بن أبي طحمة: يا أهل الشام، الله الله أن تسلمونا! وقد اضطرم أصحاب عبد الملك إلى نهر^(٢) فأخذوا يتادونه: لا بأس عليك، إن لأهل الشام جولة في أول القتال، أتاك الغوث .

١٣٩٦/٢

(١) ابن الأثير: « سار على قم النبل » .

(٢) ابن الأثير: « النهر » .

قال : ثم إن أهل الشام كرموا عليهم ، فكشف أصحاب عبد الملك وهزموا ، وقتل المنتوف من بكر بن وائل ، مولى لهم ، فقال القرزق بحرّض بكر بن وائل :

تُبَكِّي على المنتوف بكر بن وائل وَتَنْهَى عَنِ ابْنِي مَسْمَعٍ مَنْ بَكَاهُمَا^(١)
غَلَامَيْنِ شَبَا فِي الْحَرْبِ وَأَدْرَكَا كِرَامَ الْمَسَاعِي قَبْلَ وَصْلِ لِحَاهُمَا^(٢)
وَلَوْ كَانَ حَيًّا مَالِكُ وَابْنُ مَالِكٍ إِذَا أَوْقَدُوا نَارِينَ يَعْلُو سَنَاهُمَا
وابنا مسمع : مالك وعبد الملك ابنا مسمع ، قتلهم معاوية بن يزيد بن المهلب فأجابه الجهمد بن درهم مولى من همدان^(٣) :

تُبَكِّي على المنتوف في نصر قومه وَلَسْنَا تُبَكِّي الشَّائِدِينَ أَبَاهُمَا
أَرَادَ فِتْنَاءَ الْحَيِّ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فِعِزَّ تَمِيمٍ لَوْ أُصِيبَ فِتْنَاهُمَا
فَلَا لَقِيَا رَوْحًا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً وَلَا رَقَاتٍ عَيْنَا شَجِيَّ بَكَاهُمَا
أَفِي الْغُشِّ تُبَكِّي إِنْ بَكَيْنَا عَلَيْهِمَا وَقَدْ لَقِيَا بِالْغُشِّ فِتْنَا رَدَاهُمَا ١٢٩٧/٢

وجاء عبد الملك بن المهلب حتى انتهى إلى أخيه بالعقر ، وأمر عبد الله ابن حيان العبدى ، فعبّر إلى جانب الصرة الأقصى - وكان الجسر بينه وبينه - ونزل هو وعسكره وجمع من جموع يزيد ، وخندق عليه ، وقطع مسلمة إليهم الماء وسعيد بن عمرو الحرثي ، ويقال : عبر إليهم الوضاح ، فكانوا يلازمهم . وسقط إلى يزيد ناس من الكوفة^(٤) كثير ، ومن الجبال ، وأقبل إليه ناس من الثغور ، فبعث على أرباع أهل الكوفة الذين خرجوا إليه وربّع أهل المدينة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المخفل الأزدى ، وبعث على ربع مذحج وأسد النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي ، وبعث على ربع كتلة وريعة محمد

(١) الكامل للبدي : ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٢) الكامل : « غلامان » ، ويعد في الكامل :

ولو قُتِلَا من جند بكر بن وائل لَكَانَ عَلَى النَّاعِي شَدِيدًا بَكَاهُمَا

(٣) كذا في ط ، وفي ابن القيراني ٣١ : « والجهمد بن درهم مولى سويد بن غفلة » .

(٤) ابن الأثير : « من أهل الكوفة » .

ابن إسحاق بن محمد بن الأشعث ، وبعث على ربيع تميم وهمدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التميمي ، وجمعهم جميعاً مع الفضل بن المهلب .

قال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف : حدثني العلاء بن زهير ، قال : والله إنا لجالوس عند يزيد ذات يوم إذ قال : ترون أن في هذا العسكر ألف سيف يضرب به ؟ قال حنظلة بن عتاب : إي والله وأربعة آلاف سيف ، قال : إنهم والله ما ضربوا ألف سيف قط ، والله لقد أحصى ديواني مائة وعشرين ألفاً ، والله لوددت أن مكانهم الساعة معي من بخراسان من قومي .

١٣٩٨/٢

قال هشام : قال أبو مخنف : ثم إنه قام ذات يوم فحرّضنا ورغبنا في القتال ثم قال لنا فيما يقوله : إن هؤلاء القوم لن يردّهم عن غيبتهم إلا الطعن في عيونهم ، والضرّ بالمشرفيّة على هامهم . ثم قال : إنه قد ذكر لي أن هذه الجرادة الصفراء — يعني مسلمة بن عبد الملك — وعافر ناقة ثمود ؛ يعني العباس ابن الوليد ، وكان العباس أزرق أحمر ، كانت أمه رومية — والله لقد كان سليمان أراد أن ينفيه حتى كلمته فيه فأقرّه على نسه ؛ فبلغني أنه ليس همتها إلا التماس في الأرض ، والله لو جاء أهل الأرض جميعاً وليس إلا أنا ، ما برحت العرسمة حتى تكون لي أو لهم . قالوا : نخاف أن تعطينا كما عطانا عبد الرحمن ابن محمد ، قال : إن عبد الرحمن فضح الدمار ، وفضح حسبه ، وهل كان يعدو أجله ! ثم نزل .

قال : ودخل علينا عامر بن السميشك — رجل من الأزد — قد جمع جمعاً فأتاه فبايعه ؛ فكانت بيعة يزيد : تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلى آل تطلّ الجنود بلادنا ولا يبيضتنا ، ولا يعاد علينا سيرة الفاسق الحجاج ، فمن بايعنا على ذلك قبلنا منه ، ومن أبى جاهدناه ، وجعلنا الله بيننا وبينه ، ثم يقول : تبايعونا ؟ فإذا قالوا : نعم ، بايعهم .

وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالتيخيلة ، وبعث إلى المياه فبسطها فيما بين الكوفة وبين يزيد بن المهلب ، لئلا يصل إلى الكوفة ، ووضع على الكوفة مناظر وأرصاداً لتحبس أهل الكوفة عن الخروج إلى يزيد ، وبعث

١٣٩٩/٢

عبد الحميد بعثاً من الكوفة عليهم سيف بن هانيّ الحمدانيّ حتى قدموا على مسلمة ، فألفظهم مسلمة ، وأثنى عليهم بطاعتهم ، ثم قال : والله لقلّ ما جاءنا من أهل الكوفة . فبلغ ذلك عبد الحميد ، فبعث بعثاً هم أكثر من ذلك ، وبعث عليهم سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف الأزديّ ، فلما قدم أثنى عليه ، وقال : هذا رجل لأهل بيته طاعة وبلاء ، ضمّوا إليه من كان ها هنا من أهل الكوفة . وبعث مسلمة إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن فمزله ، وبعث محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة — وهو ذو الشامة — مكانه . فدعا يزيد بن المهلب رموس أصحابه فقال لهم : قد رأيتُ أن أجمع اثني عشر ألف رجل ، فأبعثهم مع محمد ابن المهلب حتى يبيتوا مسلمة ويحملوا معهم البراذع والأكف والزبل لدفن خندقهم ، فيقاتلهم على خندقهم وعسكرهم بقيّة ليلتهم ، وأمّده بالرجال حتى أصبح ، فإذا أصبحتُ نهضتُ إليهم أنا بالناس ، فتناجزهم ، فإني أرجو عند ذلك أن ينصرنا الله عليهم .

قال السَّمِيدُ : إنا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد زعموا أنهم قابلوا هذا منا ، فليس لنا أن نمكر ولا نغدر ، ولا نريدهم بسوء حتى يردّوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا .

قال أبو ربيعة — وكان رأس طائفة من المرجئة ، ومعه أصحاب له : ١٤٠٠/٢
صَدَقَ ، هكذا ينبغي . قال يزيد : ويحكم ! أتصدّقون بني أمية ، أنهم يعملون بالكتاب والسنة ، وقد ضيعوا ذلك منذ كانوا ! إنهم يقولون لكم : إنا نقبل منكم ، وهم يريدون ألاّ يعملوا بسلطانهم إلا ما تأمرهم به ، وتدعونهم إليه ؛ لكنهم أرادوا أن يكفركم عنهم ؛ حتى يعملوا في المكر ، فلا يسبقكم إلى تلك ، ابدعهم بها ، إني قد لقيت بني مروان فوالله ما لقيت رجلاً هو أكره ولا أبعد غوراً من هذه الجرادة الصقراء — يعني مسلمة — قالوا : لا نرى أن نفعل ذلك ، حتى يردّوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا . وكان مروان بن المهلب وهو بالبصرة يحث الناس على حرب أهل الشام ، ويسرّح الناس إلى يزيد ، وكان الحسن البصريّ يثبّط الناس عن يزيد ابن المهلب .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الحميد البصري ، أن الحسن البصري كان يقول في تلك الأيام :

أيها الناس ، الزموا رجالكم ، وكفوا أيديكم ، واتقوا الله مولاكم ، ولا يقتل بعضكم بعضاً على دنيا زائلة ، وطمع فيها يسير . ليس لأهلها بياق ، وليس الله عنهم فيها اكتسبوا يراض ؛ إنه لم تكن فتنة إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والفهاء وأهل التثنية والخيلاء ، وليس يسلم منها إلا المجهول الحق والمعروف التقي ، فمن كان منكم خفياً فليزلم الحق ، وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا ، فكفاه الله بمعرفة الله إياه بالخير شرفاً ؛ وكفى له بها (١) من الدنيا خلاقاً ، ومن كان منكم معروفاً شريفاً ، فترك ما يتنافس فيه نظارته من الدنيا إرادة الله بذلك ، فواهاً لهذا ! ما أسعده وأرشدته وأعظم أجره وأهدى سبيله ! فهذا غداً — يعني يوم القيامة — التقرير عيناً ، الكريم عند الله مآباً . فلما بلغ ذلك مروان بن المهلب قام خطيباً كما يقوم ، فأمر الناس بالجلد والاحتشاد ، ثم قال لهم :

١٤٠١/٢

لقد بلغني أن هذا الشيخ الضال المرائي — ولم يسمه — يبطئ الناس ، والله لو أن جاره نزع من خصه داره قصبة لظل يرعف أنفه ؛ أينكر علينا وعلى أهل مصرنا أن نطلب حقنا (٢) ، وأن ننكر مظلمتنا ! أما والله ليكفرن عن ذكرنا وعن جمعه إلينا سقاط (٣) الأبلّة وعلوج فرات البصرة — قوماً ليسوا من أنفسنا ، ولا من جرت عليه النعمة من أخدمنا — أولأنحنين عليه مبرداً خشناً .

فلما بلغ ذلك الحسن قال : والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه . فقال ناس من أصحابه : لو أرداك ثم شئت لمنعتك ، فقال لهم : فقد خالفتكم إذا إلى ما نهيتكم عنه ! أكرمكم ألا يقتل بعضكم بعضاً مع غيرة ، وأدعوكم إلى أن يقتل بعضكم بعضاً دوني ! فبلغ ذلك مروان بن المهلب ، فاشتد عليهم وأخافهم وطلبهم حتى تفرقوا . ولم يدع الحسن كلامه ذلك ، وكف عنه مروان بن المهلب .

(١) ط : « به » .

(٢) ط : « غيرنا » .

(٣) سقاط : جمع ساقط ؛ وهو التيم في حبه ونسبه .

وكانت إقامة يزيد بن المهلب منذ أجمع هو ومسلمة ثمانية أيام ، حتى إذا كان يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من صفر ، بعث مسلمة إلى الوضاح أن يخرج بالوضاحية والسفن حتى يحرق الجسر ، ففعل . وخرج مسلمة فبسي جنود أهل الشام ، ثم ازدلف بهم نحو يزيد بن المهلب ، وجعل على ميمته جبلة بن محمرة الكندي ، وجعل على ميسرته الهذيل بن زفر بن الحارث العامري ، وجعل العباس على ميمته سيف بن هاني المصداقي ، وعلى ميسرته سويد بن القعقاع التميمي ومسلمة على الناس ، وخرج يزيد بن المهلب ، وقد جعل على ميمته حبيب بن المهلب ، وعلى ميسرته المفضل بن المهلب ، وكان مع المفضل أهل الكوفة وهو عليهم ، ومعه خيل لربيعة معها عدد حسن ، وكان مما يلي العباس بن الوليد .

قال أبو مخنف : فحدثني الغنوي - قال هشام : وأظن الغنوي الملاء ابن المنهال - أن رجلاً من الشام خرج فدعا إلى المبارزة ، فلم يخرج إليه أحد ، فبرز له محمد بن المهلب ، فحمل عليه ، فاتفق الرجل بيده ، وعلى كفه كف من حديد ، فضربه محمد فقطع كف الحديد وأسرع السيف في كفه ، واعتنق فرسه ، وأقبل محمد يضربه ، ويقول : المنجل أعود عليك . قال : فذكر لي أنه حيّان النبطي .

قال : فلما دنا الوضاح من الجسر أهب فيه النار ، فسطع دخانه : وقد اقتتل^(١) الناس ونشبت الحرب ، ولم يشتد القتال ، فلما رأى الناس الدخان ، وقيل لهم : أحرق الجسر انهزموا ، فقالوا ليزيد : قد انهزم الناس . قال : وم انهزموا ؟ هل كان قتال ينهزم من مثله ! فقيل له : قالوا : أحرق الجسر فلم يثبت أحد ، قال : فبهم الله ! بق دُخن عليه فطار . فخرج وخرج معه أصحابه ومواليه وناس من قومه ، فقال : اضربوا وجوه من ينهزم ، ففعلوا ذلك بهم ، حتى كثروا عليه ، فاستقبلهم منهم مثل الجبال ، فقال : دعوهم ، فوالله إني لأرجو ألا يمحني الله وإياهم في مكان واحد أبداً ، دعوهم يرحمهم الله ، غمّ عدا في نواحيها الذئب ، وكان

(١) ابن الأثير : « وقد أتيل » .

يزيد لا يحدث نفسه بالفرار ، وقد كان يزيد بن الحكم بن أبي العاص — وأمه ابنة الزبير بن السعدى — أتابه وهو بواسط قبل أن يصل إلى العقر ، فقال (١) :
 إِنَّ بَنِي مَرْوَانَ قَدْ بَادَ مُلْكُهُمْ فَلِنْ كُنْتَ لَمْ تَشْعُرْ بِذَلِكَ فَاشْعُرْ
 قال يزيد : ما شعرت . قال : فقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفى :
 فَعِشْ مُلْكًا أَوْ مُتْ كَرِيمًا وَإِنْ نَمَتَ (٢) وَسَيُفُكُ مَشْهُورٌ بِكَفِّكَ تُغْلَرُ
 قال : أَمَا هَذَا فَعِشْ .

ولما خرج يزيد إلى أصحابه واستقبلته المزينة ، فقال : يَا سَمِيدَ ع ،
 أَرَأَيْتَ أَمْ رَأَيْتَ ؟ أَلَمْ أَعْلَمْكَ مَا يَرِيدُ الْقَوْمُ ! قال : بلى والله ، والرأى كان رأيك ،
 وأنا ذا ملك لا أزالك ، فرئى بأمرى ؟ قال : إما لا فانزل ، فتزل فى أصحابه ،
 وجاء يزيد بن المهلب جاء فقال : إن حبيباً قد قتل .

١٤٠٤/٢

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثني ثابت مولى زهير بن سلمة
 الأزدى ، قال : أشهد أنى أسمع حين قال له ذلك ، قال : لا خير فى العيش
 بعد حبيب ! قد كنت والله أبغض الحياة بعد المزينة ، فوالله ما ازددت له
 إلا بغضاً ، امضوا قُدماً . فعلمنا والله أن قد استقتل ، فأخذ من يكره القتال
 ينكص ، وأخلوا بتسللون ، وبقيت معه جماعة حسنة ، وهو يزولف ، فكلما
 مرّ بخيل كشفها ، أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه وعن سنن أصحابه ،
 فجاء أبو ربيعة المرجئ ، فقال : ذهب الناس — وهو يشير بذلك إليه وأنا
 أسمع — فقال : هل لك أن تنصرف إلى واسط ؟ فإنها حصن فتزلها ويأتك
 مدد أهل البصرة ، ويأتك أهل عُمان والبحرين فى السفن ، وتضرب خندقاً ؟
 فقال له : قبح الله رأيك ! ألبى تقول هذا ! الموت أيسر على من ذلك ، فقال
 له : فرأى أن تخوف عليك لما ترى ، أما ترى ما حولك من جبال الحديد ! وهو
 يشير إليه ، فقال له : أما أنا فما أباليها ، جبال حديد كانت أم جبال نار ،
 اذهب عنا إن كنت لا تريد قتالاً معنا . قال : وتمثل قول حارثة بن بدر القُدْأَنِى
 — قال أبو جعفر أخطأ هنا ، هو للأعشى — :

(١) ابن الأثير : « قال له » . (٢) ابن الأثير : « فش » .

أَبَا مَوْتٍ خَشْتَنِي عُبَادُ وَإِنَّمَا رَأَيْتُ مَنَآيَا النَّاسِ يَشْتَقِي ذَلِيلُهَا
فَمَا مَيِّتَةً إِن مُتُّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ بَعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسُ غَوْلُهَا

وكان يزيد بن المهلب على بردون له أشهب ، فأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره ؛ حتى إذا دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب ، ففطف عليه خيول أهل الشام ، وعلى أصحابه ، فقتل يزيد بن المهلب . وقتل معه السميدع ، وقتل معه محمد بن المهلب . وكان رجل من كلب من بني جابر بن زهير بن جناب الكلبي يقال له القسحل بن عياش لما نظر إلى يزيد قال : يا أهل الشام ، هذا والله يزيد ، والله لأقتلته أو ليقتلني ، وإن دونه ناساً ، فمن يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصل إليه ؟ فقال له ناس من أصحابه : نحمل نحن معك ، ففعلوا ، فحملوا بأجمعهم ، واضطربوا^(١) ساعة ، وطمع الغبار ، وانفزع الفريقان عن يزيد قتيلاً ، وعن القسحل بن عياش بآخر رمق . فأوى إلى أصحابه يريهم مكان يزيد ؛ يقول لهم : أنا قتلتُه ، ويوى إلى نفسه إنه هو قتلي . ومرَّ مسلمة على القحل بن عياش صريعاً إلى جنب يزيد ، فقال : أما إني أظن هذا هو الذي قتلتني . وجاء برأس يزيد مولد لبني مرة ، فقيل له : أنت قتلتُه ؟ فقال : لا ، فلما أتى به مسلمة لم يعرف ولم ينكر ، فقال له الحواري بن زياد ابن عمرو العتكي : مرَّ برأسه فليُفصل ثم ليعمم ، ففعل ذلك به ، ففرقه ، فبعث برأسه إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط .

١٤٠٦/٢

قال أبو مخنف : فحدثني ثابت مولد زهير ، قال : لقد قتل يزيد وهزم الناس ، وإن المفضل بن المهلب ليقاتل أهل الشام ما يدرى بقتل يزيد ولا بهزيمه الناس ؛ وإنه لعلى بردون شديد قريب من الأرض ، وإن معه خفقة أمامه ، فكلما حمل عليها نكست وانكشت وانكشت ، فيحمل في ناس من أصحابه حتى يخالط القوم ثم يرجع حتى يكون من وراء أصحابه ، وكان لا يرى منا مُتُّنَةً إلا أشار إليه يده ألا يلتفت ليُقتل القوم بوجوههم على علوهم ، ولا يكون لهم هم غيرهم .

(١) ابن الأثير : « ففعلوا » .

قال : ثم اقتلتنا ساعة ، فكأنى أنظر إلى عامر بن العَمَيْشِئَلِ الأزدي وهو يضرب سيفه ، ويقول :

قَدْ عَلِمْتُ أُمَّ الصَّبِيِّ المَوْلُودِ أَنِّي بِتَصَلِ السَّيْفِ غَيْرَ رَغِيدٍ
قال : واضطربنا والله ساعة ، فانكشفت خيل ربيعة ؛ والله ما رأيت عند
أهل الكوفة من كبير صبر ولا قتال ، فاستقبل ربيعة بالسيف يناديهـم : أى
معشر ربيعة ، الكرّة الكرّة ! والله ما كنتم بكشف ولا لثام ، ولا هذه لكم بعادة ،
فلا يؤثبن أهل العراق اليوم من قبلكم . أى ربيعة ، فدتك نفسي ، أصبروا
ساعة من النهار .

قال : فاجتمعوا حوله ، وثابوا إليه (١) ، وجاءت كُوَيْمُتْكَ (٢) .

قال : فاجتمعنا ونحن نريد الكرّة عليهم ، حتى أتى ، فقيل له :
ما تصنع ها هنا وقد قتل يزيد وحبيب ومحمد ، وانهزم الناس منذ طويل ؟
وأخبر الناس بعضهم بعضاً ، ففترقوا ومضى المفضل ، فأخذ الطريق إلى واسط ،
فأرأيت رجلاً من العرب مثل منزله كان أعشى للناس بنفسه ، ولا أضرب
بسيفه ، ولا أحسن تبعته لأصحابه منه .

قال أبو مخنف : فقال لى ثابت مولى زهير : مررت بالخندي ، فإذا عليه
حائط ، عليه رجال معهم النبل ، وأنا مجتف ، وهم يقولون : يا صاحب
التجفاف ، أين تذهب ؟ قال : فما كان شئ أثقل على من تجفافى ،
قال : فما هو إلا أن جرتهم ، فتزلت فألقيته لأخضف عن دابتي . وجاء أهل
الشام إلى عسكر يزيد بن المهلب ، فقاتلهم أبو ربيعة صاحب المرجة ساعة
من النهار حتى ذهب عظمهم ، وأسر أهل الشام نحواً من ثلثمائة رجل ،
فسرحهم مسلمة إلى محمد بن عمرو بن الوليد فحبسهم . وكان على شرطه
العمريان بن المهيم . وجاء كتاب من يزيد بن عبد الملك إلى محمد بن عمرو :
أن اضرب رقاب الأسراء ، فقال للعمريان بن المهيم : أخرجهم عشرين عشرين ،
وثلاثين ثلاثين . قال : فقام نحواً من ثلاثين رجلاً من بني تميم ، فقالوا :

١٤٠٧/٢

(١) ابن الأثير : « فرجوا إليه » .

(٢) كذا في ط .

نحن انهزمنا بالناس ، فاتقوا الله وابدموا بنا ، أخرجونا قبل الناس ، فقال لهم
العُريان : اخرجوا على اسم الله ، فأخرجهم إلى المصطبة ، وأرسل إلى محمد بن
عمرو يخبره بإخراجهم ومقاتلتهم ، فبعث إليه أن اضرب أعناقهم .

قال أبو مخنف : فحدثني نجيع أبو عبد الله مولى زهير ، قال : والله إنى
لأنظر إليهم يقولون : إنا لله ! انهزمنا بالناس ، وهذا جزاؤنا ، فما هو إلا أن فرغ
منهم ، حتى جاء رسول من عند مسلمة فيه عافية الأسراء والنهي عن قتلهم .
فقال حاجب بن ذبيان من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم :

لَعَمْرِي لَقَدْ خَاصَتْ مَعِيْطُ دِمَاعِنَا بِأَسْيَافِهَا حَتَّى انْتَهَى بِهِمُ الْوَحْلُ
وَمَا حُمِلَ الْأَقْوَامُ أَعْظَمَ مِنْ دَمٍ حَرَامٍ وَلَا دَخَلَ إِذَا التَّمَسَّ اللَّحْلُ^(١)
حَقَنْتُمْ دِمَاءَ الْمُصْلَتَيْنِ عَلَيْكُمْ^(٢) وَجُرُّ عَلَى فُرْسَانٍ شَيْعَتِكَ الْقَتْلُ
وَقَى بِهِمُ الْعُرْيَانُ فُرْسَانَ قَوْمِهِ فَبِاعْجَبَا أَيْنَ الْأَمَانَةُ وَالْعَدْلُ!

وكان العُريان يقول : والله ما اعتمدتهم ولا أردتهم حتى قالوا : ابْدُ بنا ،
أخرجنا ، فما تركت حين أخرجتهم أن أعلمتُ المأمور بقتلهم ، فما يتقبل حُجَّتَهُمْ
وأمر بقتلهم ، والله على ذلك ما أحب أن قتل من قوى مكانهم رجل .
ولئن لاموني ما أنا بالذي أحفل لائمتهن ، ولا تكبر على .

وأقبل مسلمة حتى نزل الحيرة ، فألق بنحو من خمسين أسيراً ، ولم يكونوا
فيمن بعث به إلى الكوفة ، كان أقبل بهم معه ، فلما رأى الناس أنه يريد أن
يضرب رقابهم ، قام إليه الحصين بن حماد الكلبي فاستوهبه ثلاثة : زياد بن
عبد الرحمن القشيري ، وعتبة بن مسلم ، وإسماعيل مولى آل بني عقيل بن مسعود ،
فوهبهم له ، ثم استوهب بقيتهم أصحابه ، فوهبهم لهم ، فلما جاءت هزيمة
يزيد إلى واسط ، أخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيراً كانوا

(١) في الحاشية : « النسل بالناء مجبة : الحقة ، وبغير مجبة : الحفر في الأرض » .

في يده ، فضرب أعناقهم : منهم عدى بن أوطاة ، ومحمد بن عدى بن أوطاة ومالك وعبد الملك ابنا مسمع وعبد الله بن عزة البصري ، وعبد الله بن وائل ، وابن أبي حاض التميمي من بني أسيد بن عمرو بن تميم ، وقد قال له القوم : ويحك ! إنا لا نراك إلا تقتلنا ، إلا أن أباك قد قتل ، وإن قتلنا ليس بنافع لك في الدنيا ، وهو ضارك في الآخرة ؛ فقتل الأسارى كلهم غير ربيع بن زياد بن الربيع ابن أنس بن الريثان ، تركه ، فقال له ناس : نسيته ؟ فقال : ما نسيته ؛ ولكن لم أكن لأقتله ؛ وهو شيخ من قومي له شرف ومعروف وبيت عظيم ، ولست أتهمه في ود ، ولا أخاف بغيته . فقال ثابت قطنة في قتل عدى بن أوطاة :

مَا سَرَقَ قَتْلُ الْفَزَارِيِّ وَابْنِهِ عَدَى وَلَا أَحْبَبْتُ قَتْلَ ابْنِ مِصْمَعٍ
وَلَكِنَّهَا كَانَتْ مُعَاوِيَ زَلَّةً وَضَعَتْ بِهَا أَمْرِي عَلَى غَيْرِ مَوْضِعٍ

١٤١٠/٢

ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه المال والخزائن ، وجاء المفضل بن المهلب ، واجتمع جميع آل المهلب بالبصرة ، وقد كانوا يتخوفون الذي كان من يزيد ، وقد أعدوا السفن البحرية ، وتجهزوا بكل الجهاز ، وقد كان يزيد بن المهلب بعث وداع بن حميد الأزدي على قننديل أميراً ، وقال له : إني سائر إلى هذا العدو ، ولو قد لقيتهم لم أبرح العرصه حتى تكون إلى أولهم ، فإن ظفرت أكرمتك ، وإن كانت الأخرى كنت بقننديل حتى يقدم عليك أهل بيتي ، فيتحصنوا بها حتى يأخذوا لأنفسهم أماناً ، أما إني قد اخترتك لأهل بيتي من بين قومي ؛ فكن عند حسن ظني ، وأخذ عليه أماناً غلاظاً ليساصحن أهل بيته ، إن هم احتاجوا ولجئوا إليه ، فلما اجتمع آل المهلب بالبصرة بعد الهزيمة حملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحرية ، ثم لجئوا في البحر حتى مروا بهرم ابن القرار العبدى - وكان يزيد استعمله على البحرين - فقال لهم : أشير عليكم ألا تفارقوا سفنكم ، فإن ذلك هو بقاءكم ، وإني أتخوف عليكم إن خرجتم من هذه السفن أن يتخطفكم الناس ، وأن يتقربوا بكم إلى بني مروان . فمضوا حتى إذا كانوا بجبال كerman خرجوا من سفنهم ، وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدواب .

وكان معاوية بن يزيد بن المهلب حين قدم البصرة قدمها ومعه الخزانين وبيت المال ؛ فكانته أراد أن يتأمر عليهم ، فاجتمع آل المهلب وقالوا للمفضل : أنت أكبرنا وسيدنا ، وإنما أنت غلام حديث السن كبعض فتیان أهلک ، فلم يزل المفضل عليهم حتى خرجوا إلى كَرْمان ، وبكرمان فلول كثيرة ، فاجتمعوا إلى المفضل ، وبعث مسلمة بن عبد الملك مدرك بن ضبّ الكلبي في طلب آل المهلب وفي أثر القتل^(١) . فأدرك مدرك المفضل بن المهلب ، وقد اجتمعت إليه القلول بفارس فنبعهم ، فأدركهم في عَقَبَةٍ ، فعطفوا عليه ، فقاتلوه واشتد قتالهم إياه ، فقتل مع المفضل بن المهلب التَّعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي ومحمد بن إسحاق ابن محمد بن الأشعث ، وأخذ ابن صُول ملك قهستان أسيراً ، وأخذت سرية المفضل العالية ، وجرح عثمان بن إسحاق بن محمد بن الأشعث جراحة شديدة ، وهرب حتى انتهى إلى حلوان ، فدلّ عليه ، فقتل وحُمل رأسه إلى مسلمة بالحيرة ، ورجع ناس من أصحاب يزيد بن المهلب ، فطلبوا الأمان ، فأومئوا ؛ منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر ، والورد بن عبد الله بن حبيب السعدي من تميم ، وكان قد شهد مع عبد الرحمن بن محمد موطنه وأيامه كلها ، فطلب له الأمان محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان إلى مسلمة بن عبد الملك عمه وابنة مسلمة تحته — فأمنته ، فلما أتاه الورد وقفه مسلمة فشتمه قائماً ، فقال : صاحب خلاف وشقاق ونفاق ونيفار في كل فتنة ، مرة مع حائك كندة ، ومرة مع ملاح الأزْد ؛ ما كنت بأهل أن تؤمن ؛ قال : ثم انطلق . وطلب الأمان للمالك بن إبراهيم بن الأشتر الحسن بن عبد الرحمن بن شراحيل — وشراحيل يلقب برسم الحضرمي — فلما جاء ونظر إليه ، قال له الحسن بن عبد الرحمن الحضرمي : هذا مالك بن إبراهيم بن الأشتر ، قال له : انطلق ، قال له الحسن : أصلحك الله ! لم تشتمه كما شتمت صاحبه ! قال : أجلتكم عن ذلك ، وكنتم أكرم علي من أصحاب الآخر وأحسن طاعة . قال : فإنه أحب إلينا أن تشتمه ، فهو والله أشرف أباً وجدّاً ، وأسوأ أثراً من أهل الشام من الورد بن عبد الله ؛ فكان الحسن يقول بعد أشهر : ما تركه إلا حسداً من أن يعرف

١٤١٢/٢

صاحبنا ، فأراد أن يُرينا أنه قد حقره . ومضى آل المهلب ومن سقط منهم من الفلول حتى انتهوا إلى قنديل ، وبعث مسلمة إلى مدرك بن ضبّ الكليّ فردّه ، وسرّح في أثرهم هلال بن أحوز التميمي ، من بني مازن بن عمرو بن تميم فلحقهم بقنديل ، فأراد آل المهلب دخول قنديل ، فمنعهم وداع بن حميد . وكتبه هلال بن أحوز ، ولم يباين آل المهلب^(١) فيفارقه ، فتبين لهم فراقه لما التقوا وصفوا ، كان وداع بن حميد على الميمنة ، وعبد الملك بن هلال على اليسرة وكلاهما أزدى ، فرفع لهم راية الأمان ، قال إليهم وداع بن حميد وعبد الملك ابن هلال ، وادفص عنهم الناس فخلّوهم . فلما رأى ذلك مروان بن المهلب ذهب يريد أن ينصرف إلى النساء ، فقال له المفضل : أين تريد ؟ قال : أدخل إلى نساتنا فأقتلن ، لتلا يصل إليهن هؤلاء الفساق ، فقال : ويحك ! أقتل أخواتك ونساء أهل بيتك ! إنا والله ما نخاف عليهن منهم . قال : فردّه عن ذلك ، ثم مشوا بأسيا فمعه ، فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم^(٢) ، إلا أبا عينة ابن المهلب ، وحيّان بن المفضل فإنهما نَجّوا ، فلحقا بخاقان ورتبيل ، وبعث بنسائهم^(٣) وأولادهم إلى مسلمة بالحيرة ، وبعث برؤسهم إلى مسلمة ، فبعث بهم مسلمة إلى يزيد بن عبد الملك ، وبعث^(٤) بهم يزيد بن عبد الملك إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك ، وهو على حلب ، فلما نُصّبوا خرج لينظر إليهم ، فقال لأصحابه : هذا رأس عبد الملك ، هذا رأس المفضل ، والله لكانه جالس معي يتحدثني .

١٤١٣/٢

وقال مسلمة : لأبعين ذريّتهم وهم في دار الرزق ، فقال الجراح بن عبد الله^(٥) : فأنا أشتريهم منك لأبّرّ يمينك ، فاشتراهم منه بمائة ألف ، قال : هاتها ، قال : إذا شئت فخذها ، فلم يأخذ منه شيئا ، وخلي سبيلهم ، إلا تسعة فتية

١٤١٤/٢

- (١) ابن الأثير : « وكان هلال بن أحوز لم يباين آل المهلب » .
 (٢) أضاف ابن الأثير : « وهم المفضل وعبد الملك وزباد ومروان بنو المهلب ، ومعاوية ابن يزيد بن المهلب ، والمنهال بن أبي عينة بن المهلب ، وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب ، وحملت رؤسهم وفي أذن كل واحد رقعة فيها اسمه » .
 (٣) ابن الأثير : « وبعث هلال بن أحوز بنسائهم » .
 (٤) ابن الأثير : « فسيرهم » .
 (٥) بمعناها ابن الأثير : « الحكى » .

منهم أحداث بعث بهم إلى يزيد بن عبد الملك ، فقدم بهم عليه ، فضرب رقابهم ، فقال ثابت قطنة^(١) حين بلغه قتل يزيد بن المهلب يرثيه :

ألا يا هند طالع على ليلي	وعاد قصيره ليلاً تماماً
كأنني حين خلقت الثريا	سقيت لعاب أسود أو سحاباً
أمر على حلو العيش يوم	من الأيام شيبني غلاماً
مصاب بني أبيك وغبت عنهم	فلم أشهدهم ومضوا كراماً
فلا والله لا أنسى يزيداً	ولا القتل التي قتلت حرماً
فعلت أن أبو بأخيك يوماً	يزيداً أو أبوه به هبماً
وعلى أن أقود الخيل شعثاً	شواذب ضمراً تقص الإكاماً
فأصبحهن جبر من قريب	وعكاً أو أرغ بهما جذاماً
ونسقى مذججاً والحي كلباً	من الليفان أنفاساً قواماً
عشارنا التي تبغى علينا	نحربنا زكاً عاماً فعاماً
ولولاهم وما جلبوا علينا	لأصبح وسطناً ملكاً همماً

وقال أيضاً يرثي يزيد بن المهلب :

أبى طول هذا الليل أن يتصرماً	وهاج لك الهم الفؤاد المتيمناً
أرقت ولم تارق معي أم خالد	وقد أرقنت عيناي حولاً مجرماً
على هالك هذ العشرة فقده	دعته المنايا فاستجاب وسلماً
على ملك يا صاح بالعقر جبت	كسائبه واستورد الموت معلماً

١٤١٥/٢

(١) في ابن الأثير : « قطنة ؛ بالنون ؛ وهو ثابت بن كعب بن جابر التكني الأزدي ، أصيبت عينه بخراسان ، فجل عليها قطنة ، فصرف بذلك ؛ وهو يشبه بثابت قطنة ، بالباء الموحدة ، وهو خزاعي ، وبذلك تكنى » ..

أصيب ولم أشهد ولو كنت شاهداً
 وفي غير الأيام يا هند فاعلمي
 فعلى إن مالت بي الريح ميلاً
 أمسلم إن يقلب عليك رماحنا
 وإن نلقى للعباس في الدهر عشرة
 قصاصاً ولا نعدو الذي كان قد أتى
 متعلم إن زلت بك النعل زلة
 من الظالم الجاني على أهل بيته
 وإنا لنعطفون بالحلم بعد ما
 وإنا لخلالون بالشعر لا نرى
 نرى أن للجيران حاجة وحُرمة
 وإننا لنقرى الضيف من قمع الدرى
 وراحت بصراً مليت جليده
 أبونا أبو الأنصار عمرو بن عامر
 وقد كان في غسان مجد يعسده

١٤١٦/٢

* * *

[ولاية مسلمة بن عبد الملك على العراق وخراسان]

فلما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب يزيد بن المهلب ، جمع له (١)
 يزيد بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة ، فلما ولّاه
 يزيد ذلك ، ولّى مسلمة الكوفة ذا الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن
 أبي معيط ، وقام بأمر البصرة بعد أن خرج منها آل المهلب — فيما قيل —
 شبيب بن الحارث التميمي ، فقبض عليها ، فلما ضُمَّت إلى مسلمة بعث عاملاً

١٤١٧/٢

(٢) ابن الأثير : له أخوه .

(١) ابن الأثير : أخضرت .

عليها عبد الرحمن بن سليم الكلبي ، وعلى شرطتها وأحداثها عمر بن يزيد التميمي ، فأراد عبد الرحمن بن سليم أن يستعرض أهل البصرة ، وأفضى ذلك إلى عمر بن يزيد ، فقال له عمر : أتريد أن تستعرض أهل البصرة ولم تَمُن حصناً بكويقة ، وتدخل من تحتاج إليه ! فوافقه لو رماك أهل البصرة وأصحابك بالحجارة لتخوفت أن يقتلونا ؛ ولكن أنظرنا عشرة أيام حتى نأخذ أهبة ذلك . ووجه رسولا إلى مسلمة يخبره بما هم به عبد الرحمن ، فوجه مسلمة عبد الملك ابن بشر بن مروان على البصرة ، وأقر عمر بن يزيد على الشرطة والأحداث .

* * *

[ذكر استعمال مسلمة سعيد خدينة على خراسان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وجه مسلمة بن عبد الملك سعيد بن عبدالعزيز ابن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، وهو الذي يقال له سعيد خدينة — وإنما لقب بذلك — فيما ذكر — أنه كان رجلاً ليناً سهلاً متعمداً^(١) ، قدم خراسان على بختيه معلماً سكيناً في منطقته^(٢) ، فدخل عليه^(٣) ملك أبرش، وسعيد متفضل في ثياب مصبغة ، حوله^(٤) مرافق مصبغة ، فلما خرج^(٥) من عنده قالوا له : كيف رأيت الأمير ؟ قال : خدينة ، لمتة سكينية ؛ فلقب خدينة وخدينة هي الدهقانة ربة البيت ، وإنما استعمل مسلمة سعيد خدينة على خراسان لأنه كان ختته على ابنته ، كان سعيد متزوجاً بابنة مسلمة .

ولما ولي مسلمة سعيد^(٦) خدينة خراسان ، قدم إليها قبل شخوصه سرورة ابن الحر من بني دارم ، فقدمها قبل سعيد — فيما ذكر — بشهر ، فاستعمل شعبة بن ظهير النهشلي على سمرقند ، فخرج إليها في خمسة وعشرين رجلاً من أهل بيته ، فأخذ على أمل ، فأتي بخاري ، فصحبه منها مائتا رجل ، فقدم

(١) ف : « سنيا » .

(٢) ب : « منطقة » .

(٣) ح : « حل » .

(٤) ابن الاثير : « وحوله » .

(٥) ح : « خرجوا » .

(٦) ب : « سيدا » .

السُّعْد ، وقد كان أهلها تُخفروا في ولاية عبد الرحمن بن نعيم الغامدي ، وليها ثمانية عشر شهراً ، ثم عادوا إلى الصُّلح ، فخطب شعبة أهل السُّعْد ، ووبَّخ سكانها من العرب وغيرهم بالخبثين ، فقال^(١) : ما أرى فيكم جرئاً ، ولا أسمع فيكم أناةً . فاعتزلوا إليه بأن جئنا عاملهم علياء بن حبيب العبلي ، وكان على الحرب . ثم قدم سعيد ، فأخذ عمال عبد الرحمن بن عبد الله القشيري الذين وُلُّوا أيام عمر بن عبد العزيز فحبسهم ، فكلَّمهم فيهم عبد الرحمن بن عبد الله^(٢) القشيري ، فقال له سعيد : قد رُفِعَ عليهم أن عندهم أموالاً من الخراج . قال : فأنا أضمتُه ، فضمن عنهم^(٣) سبعمائة ألف ، ثم لم يأخذه بها .

١٤١٩/٧

ثم إن سعيداً رفع إليه - فيما ذكر على بن محمد - أن جهم بن زحر الجعفي وعبد العزيز بن عمرو بن الحجاج الزبلي والمنتجع بن عبد الرحمن الأزدي والقعقاع الأزدي وُلُّوا ليزيد بن المهلب وهم ثمانية^(٤) ، وعندهم أموال قد اختانوها من فيء المسلمين . فأرسل إليهم ، فحبسهم في قهْشَد زَمَرُو ، فقيل له : إن هؤلاء لا يؤدون إلا أن تبسط عليهم . فأرسل إلى جهم بن زحر ، فحمل على حمار من قهْشَد زَمَرُو ، فرأوا به على الفيض بن عمران ، فقام إليه فوجاً أنفه ، فقال له جهم : يا فاسق ، هلا فعلت هذا حين أتوني بك سكران قد شربت الخمر ، فضربتك حداً ! فغضب سعيد على جهم فضر به مائتي سوط ، فكبر أهل السوق حين ضرب جهم بن زحر ، وأمر سعيد بجهم والثمانية الذين كانوا في السجن فدفعوا^(٥) إلى ورقاء بن نصر الباهلي ، فاستغفاه فأعفاه .

١٤٢٠/٧

وقال عبد الحميد بن دينار - أوعبد الملك بن دينار - والزيير بن نشيط مولى باهلة ، وهو زوج أم سعيد خديجة : وُلِّنا محاسبتهم ، فوَلَّاهم فقتلوا في العذاب جهماً ، وعبد العزيز بن عمرو والمنتجع ، وعذبوا القعقاع وقوماً حتى أشفروا على الموت . قال : فلم يزالوا في السجن حتى غزتهم الترك وأهل السُّعْد ، فأمر سعيد بإخراج

(١) ابن الأثير : « وقال » . (٢) ب : « عبد الله بن عبد الرحمن » .

(٣) ح : « عليه » .

(٤) ابن الأثير : « في ثمانية نفر » .

(٥) ب : « قرضوا » ، ابن الأثير : « فسلموا » .

مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ ، فَكَانَ سَعِيدٌ يَقُولُ : قَبِّحَ اللَّهُ الزُّبَيْرَ ، فَإِنَّهُ قَتَلَ جِهْماً !

وفى هذه السنة غزا المسلمون السُّعْدَ والتُّرُكَّ ، فكان فيها الوقعة بينهم بقصر الباهليّ .

وفيهما عزل سعيد خديجة شعبة بن ظُهَيْر عن ممرقند .

ذكر الخبر عن سبب عزل سعيد شُعبيةً وسبب هذه الوقعة وكيف كانت :

ذكر عليّ بن محمد ، عن الذين تقدم ذكرى خبره عنهم ، أن سعيد خديجة لما قدم خُرَّاسَانَ ، دعا قوماً من الدَّهَاقِينَ ، فاستشارهم فيمن يوجه إلى الكُورِ ، فأشاروا إليه بقوم من العرب ، فولَّاهم ، فشكروا إليه ، فقال للناس يوماً وقد دخلوا عليه : إني قدمت البلد ، وليس لي علم بأهله ، فاستشرت فأشاروا^(١) علىّ بقوم ، فسألتُ عنهم فحمِدوا ، فولَّيتهم ، فأخرجَ عليكم لما أخبرتمني عن عماليّ . فأثنى عليهم القوم خيراً ، فقال عبد الرحمن بن عبد الله القشيريّ : لو لم تُخرج^(٢) علينا لكففتُ^(٣) ، فأما إذ حرَّجتَ علينا فإنك شاورت المشركين فأشاروا عليك بمن لا يخالفهم وبأشباههم^(٤) ، فهذا علمنا فيهم .

قال : فاتَّكأ سعيد ثم جلس ، فقال : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، قوموا .

قال : وعزل سعيد شعبة بن ظهير عن السُّعْدِ ، وولَّى حربها عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشَّخِيرِ ، وولَّى الخراج سليمان بن أبي السَّريّ مولى بني عُوَاقَةَ ، واستعمل على هَرَاةَ معقل بن عروة القشيريّ ، فسار إليها . وضعف الناس سعيداً وسمَّوه خديجة ، فطمع فيه الترك ، فجمع له خاقان الترك ،

(٢) ح : « تخرج » .

(١) ب : « فأشار » .

(٢) ب : « لكففت » .

(٤) ب : « ولا بأشباههم » .

ووجههم إلى السُّدِّ ، فكان على الترك كورصول ، وأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهلي .

وقال بعضهم : أراد عظيمٌ من عظماء الدِّهَاقِين أن يتزوج امرأة من باهلة ، وكانت في ذلك القصر ، فأرسل إليها يخطبها ، فأبت ، فاستعجاش ورجا أن يسبوا مَنْ في القصر ، فأتوا المرأة ، فأقبل كورصول حتى حصر أهل القصر ، وفيه مائة أهل بيت بنزاريتهم ، وعلى بمرقند عثمان بن عبد الله^(١) وخافوا أن يبطئ عنهم المدد ، فصالحوا الترك على أربعين ألفاً ، وأعطوهم سبعة عشر رجلاً رهينة ، وندب عثمان بن عبد الله الناس ، فانتدب المسيب بن بشر الرياحي وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل ، فقال شعبة بن ظهير : لو كان هنا خيول خراسان ما وصلوا إلى غايتهم^(٢) .

قال : وكان فيمن انتدب من بني تميم شعبة بن ظهير النهشلي وبلعاء بن مجاهد المنزلي ، وعميرة بن ربيعة أحد بني العُجَيْف — وهو عميرة الثريد — وغالب بن المهاجر الطائي — وهو عم أبي العباس الطوسي — وأبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائي ، وثابت قطنة ، وأبو المهاجر بن دارة من غطفان ، وحليس^(٣) الشيباني ، والحجاج بن عمرو الطائي ، وحسان بن معدان الطائي ، والأشعث أبو حطامة وعمرو بن حسان الطائيين . فقال المسيب بن بشر لما عسكروا : إنكم تقدمون على حلبة الترك ، حلبة خاقان وغيرهم ، والعوض إن صبرتم الجنة ، والعقاب النار إن فررت ، فمن أراد الغزو والصبر فليقدم .

فانصرف عنه ألف وثلاثمائة ، وسار في الباقيين ، فلما سار فرسخاً قال للناس مثل مقاتله الأولى ، فاعتزل ألف ، ثم سار فرسخاً آخر فقال لهم مثل ذلك ، فاعتزل ألف ، ثم سار — وكان دليلهم الأشهب بن عبيد الحنظلي — حتى إذا كان على فرسخين من القوم نزل فاتاهم ترك خاقان ملك قبي فقال : إنه لم يبقَ هاهنا دِهَقَان إلا وقد بايع الترك غيري ، وأنا في ثلاثمائة مقاتل فهم معك ، وعندى الخبير ، قد كانوا صالحوهم على أربعين ألفاً ، فأعطوهم سبعة عشر رجلاً ، ليكونوا رَهْنًا

(١) ببغداد في ب : « ابن مطرف » .

(٢) ب : « إغاثتهم » .

(٣) ط : « جليس » ، بالجمع ، تحريف .

في أيديهم^(١) حتى يأخذوا صلحتهم ؛ فلما بلغهم مسيركم إليهم قتل الترك من كان في أيديهم من الرهائن .

قال : وكان فيهم نهشل بن يزيد الباهلي فنجاه لم يقتل ، والأشهب بن عبيد الله الخطلي ، وميصادهم أن يقاتلهم^(٢) غداً أو يفتحوا القصر ، فبعث المسيب رجلين : رجلاً من العرب ورجلاً من العجم من ليلته على خيولهم ، وقال لهم : إذا قريبتم فشدوا دوابكم بالشجر ، واعلموا علم القوم . فأقبلوا في ليلة مظلمة ؛ وقد أجرت^(٣) الترك الماء في نواحي القصر ؛ فليس يصل إليه أحد ، ودنوا من القصر ؛ فصاح بهما الربيثة ، فقالا : لا تصح وادع لنا عبد الملك ابن دنار ، فدعاه فقالا له : أرسلنا المسيب ، وقد أتاكم الغيath ، قال : أين هو ؟ قال : على فرسخين ؛ فهل عندكم امتناع ليلتك وغدا ؟ فقال : قد أجمعنا على تسليم^(٤) نساتنا وتقديمهم للموت أمامنا ؛ حتى نموت جميعاً غداً . فرجعا إلى المسيب ، فأخبراه فقال المسيب للذين معه : إنني سائر إلى هذا العدو ، فن أحب أن يذهب فليذهب ، فلم يفارقه أحد ؛ وبايعوه على الموت .

١٤٢٤/٢

فسار وقد زاد الماء الذي أجروه حول المدينة^(٥) تحصيناً ، فلما كان بينه وبينهم نصف فرسخ نزل ، فأجمع على بياتهم ؛ فلما أمسى أمر الناس فشدوا على خيولهم ، وركب فحثهم على الصبر ، ورغبهم فيما يصير إليه أهل الاحتساب والصبر ، ومالهم في الدنيا من الشرف والغنيمة إن ظفروا ، وقال لهم : اكتموا^(٦) دوابكم وقودوها^(٧) ، فإذا دنوتم من القوم فاركبوها ، وشدوا شدة صادقة وكبروا ، وليكن شعاركم : يا محمد ؛ ولا تتبعوا مولياً ، وعليكم بالدواب فاعقروها ، فإن الدواب إذا عقرت كانت أشد عليهم منكم ، والليل الصابر خير من الكثير الفشل ؛ وليست بكم قلة ، فإن سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر إلا أوهنوه وإن كثر أهله .

(١) ب : « بأيديهم » . ح : « يقاتلهم » ، ابن الأثير : « يقاتلوا » .

(٢) ب وابن الأثير : « أغلت » .

(٤) ح : « تسليح » ، ابن الأثير : « على تقديم نساتنا إلى الموت » .

(٥) ح : « الذي أحرقه للمدينة » .

(٦) الكمام : شيء يحمل على فم البعير ؛ وركم البعير : شد فاه بالكمام في هياجه لتلا يعض أرباً كل .

(٧) كذا في ب ، وفي ط : « قودوها » .

قال : وعيناهم وجعل على المينة كثير بن الدبوسى ، وعلى الميرة رجلا من ربيعة يقال له ثابت قُطنة . وساروا حتى إذا كانوا منهم على غلوتين كبيروا وذلك فى السحر ، وثار الترك ، وخالط المسلمون العسكر ، ففقدوا الدواب ، وصارهم الترك ، فجال المسلمون وانهزموا حتى صاروا إلى المسيب ، وتبعهم الترك وضربوا عَجَز دابة المسيب فترجل رجال من المسلمين ، فيهم البَحْرَى أبو عبد الله المرائى ، ومحمد بن قيس الغنوى . ويقال : محمد بن قيس العنبرى - وزياد الأصبهانى ، ومعاوية بن الحجاج ، وثابت قُطنة . فقاتل البَحْرَى فقطعت ^(١) يمينه ، فأخذ السيف بشماله فقطعت ، فجعل يذب بيديه حتى استشهد . واستشهد أيضاً محمد بن قيس العنبرى أو الغنوى وشبيب بن الحجاج الطائى .

قال : ثم انهزم المعركون ، وضرب ثابت قُطنة عظيماً من عظامهم ، فقتله ، ونادى منادى المسيب : لا تتبعوهم ^(٢) ؛ فإنهم لا يدرون من الرعب ، اتبعتموهم أم لا ! واقصلوا القصر ، ولا تحملوا شيئاً من المتاع إلا المال ، ولا تحملوا من يقلر على المشى .

وقال المسيب : من حمل امرأة أو صبيّاً أو ضعيفاً حِسْبَةً فأجره على الله ، ومن أبى فله أربعون درهماً ، وإن كان فى القصر أحدٌ من أهل عهدكم فاحملوه . قال : فقصدوا جميعاً القصر ، فحملوا من كان فيه ، وانتهى رجلٌ من بني فُقيم إلى امرأة ، فقالت : أغشيتى أغاثك الله ! فوقف وقال : دونك وعجز الفرس ، فوثبت فإذا هى على عَجَز الفرس ؛ فإذا هى أفرسٌ من رجل ، فتناول الفقيمى بيد ابنتها ، غلاماً صغيراً ، فوضعه بين يديه ، وأتوا ترك خاقان ، فأنزلهم قصره وأتاهم بطعام ، وقال : الحقوا بسمرقند ، لا يرجعوا فى آثاركم . فخرجوا نحو سمرقند ، فقال لهم : هل بى أحد ؟ قالوا : هلال الحريرى ، قال : لا أسلمه ، فأثاه وبه بضع وثلاثون جراحة ، فاحتمله ، فبرأ ، ثم أصيب يوم الشعب مع الجند .

قال : فرجع الترك من الغد ، فلم يروا فى القصر أحداً ، ورأوا

(٢) ط : « تتبعهم » ، وما أتته من ب .

(١) ب : « حتى قطعت » .

قتلهم ، فقالوا : لم يكن الذين جاءوا من الإنس ، فقال ثابت قطة :

فَدَتْ نَفْسِي فَوَارِسَ مِنْ تَمِيمٍ غَدَاةَ الرُّوعِ فِي صَنْتِكَ الْمَقَامِ
قَدَتِ نَفْسِي فَوَارِسَ أَكْتَفُونِي عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي رَهَجِ الْقَتَامِ
بِقَضْرِ الْبَاهِلِ وَقَدْ رَأَوْنِي أَحَابِي حَيْثُ صَنِّبَهُ الْمُحَابِي^(١)
بَسْنِي بَعْدَ حَطَمِ الرُّمَحِ قُدَمَاءُ أَذُوهُمْ بِذِي شُطْبِ جُسَامِ
أَكْرُ عَلَيْهِمُ الْيَحْمُومَ كَرًّا كَكُرِّ الشَّرْبِ آتِيَةَ الْمُدَامِ
أَكْرُ بِهِ لَدَى الْغَمَرَاتِ حَتَّى تَجَلَّتْ لَا يَصِيقُ بِهَا مَقَامِي
فَلَوْلَا اللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ وَضَرْبِي قَوْنَسَ الْمَلِكِ الْهَمَامِ
إِذَا لَسَعَتْ نَسَاءُ بَنِي دِنَارٍ أَمَامَ التَّرْكِ بَادِيَةَ الْخِدَامِ !
فَمَنْ مِثْلُ الْمَسِيبِ فِي تَمِيمٍ أَلْبَى بِشَرِّ كَقَادِمَةِ الْحَمَامِ

وقال جرير يذكر المسيب :

لَوْلَا حِمَايَةُ يَرْبُوعٍ نِسَاءَكُمُ كَانَتْ لَغَيْرِكُمْ مِنْهُمْ أَطْهَارُ^(٢)
حَامَى الْمَسِيبُ وَالْخِلَانُ فِي رَهَجٍ إِذْ مَازَنَ ثُمَّ لَا يُحَمَى لَهَا جَارُ^(٣)
إِذْ لَا عِقَالُ يُحَامِي عَنْ ذِمَارِكُمْ وَلَا زُرَّارَةٌ يَحْيِيهَا وَوَزَارُ

قال : وعور تلك الليلة أبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائي ، وشلت يده ، وقد كان ولي ولاية قبيل سعيد ، فخرج عليه شيء مما كان يقي عليه ، فأخذ به ، فدفعه سعيد إلى شداد بن خليد الباهلي ليحاسبه ويستأديه^(٤) فصيَّق عليه شداد ، فقال : يا معشر قيس ، سرت إلى قصر الباهلي وأنا شديد البطش ، حديد البصر ؛ فعورت وشكت يدي ، وقاتلت مع مَنْ قاتل

(٢) ديوانه ١٩٨ .

(١) ابن الأثير : « حيث ضربه » .

(٤) ابن الأثير : « ويستأذنه » .

(٣) الديوان : « أنيان شبة لا يحى ونمار » .

حتى استقذناهم بعد أن أشرقوا^(١) على القتل والأمر والسبي ، وهذا^(٢) صاحبكم يصنع في ما يصنع^(٣) ، فكفوه عني ، فخلأه .

قال : وقال عبد الله بن محمد عن رجل شهد ليلة قصر الباهلي قال : كنا في القصر ، فلما التقوا ظننا أن القيامة قد قامت لما سمعنا من همهم القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل . ١٤٢٨/٢

[ذكر الخبر عن غزو سعيد خدينة السغد]

وفي هذه السنة قطع سعيد خدينة نهر بلخ وغزا السغد^(٤) ، وكانوا نقضوا العهد وأعانوا الترك على المسلمين .

• ذكر الخبر عما كان من أمر سعيد والمسلمين في هذه الغزوة :

وكان سبب غزو^(٥) سعيد هذه الغزوة — فيما ذكر — أن الترك عادوا إلى السغد ، فكلم الناس سعيداً وقالوا : تركت الغزو ، فقد أغار الترك ، وكفر أهل السغد ، فقطع النهر ، وقصد للسغد ، فلقية الترك وطاعة من أهل السغد فهزمهم المسلمون ، فقال سعيد : لا تتبعهم ، فإن السغد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتهم ، أفريدون بوارهم ! وقد قاتلتم يا أهل العراق الخلفاء غير مرة فهل أباروكم^(٦) !

وسار المسلمون ، فانتبهوا إلى واد بينهما وبين المرج ، فقال عبد الرحمن ابن صبح : لا يقطعن هذا الوادي بحفّ ولا راجل ، وليبر من سواهم . فعبروا^(٧) ، ورأىهم الترك ، فأكنوا كيناً ، وظهرت لهم خيل المسلمين فقاتلهم ، فانهزأ الترك فأتبعوهم حتى جازوا الكمين ، فخرجوا عليهم ، فانهزم المسلمون حتى انتهوا إلى الوادي ، فقال لهم عبد الرحمن بن صبح : سابقوهم ، ولا تقطعوا فلأنكم إن قطعتم أبادوكم . فصبروا ولم حتى انكشفوا عنهم ، فلم يتبعوهم ، فقال ١٤٢٩/٢

(١) ب وابن الأثير : « ما أشرقوا » . (٢) ب : « فهذا » .

(٣) ح : « صنع » . (٤) ب وابن الأثير : « السغد » .

(٥) ح : « غزوة » . (٦) ابن الأثير : « أبادوكم » .

(٧) ب : « فساروا » .

قوم : قُتِلَ يومئذ شُعْبَةُ بْنُ ظُهَيْرٍ وَأَصْحَابُهُ ، وَقَالَ قَوْمٌ : بَلْ انْكَشَفَ التُّرُكُ مِنْهُمْ يَوْمئِذٍ مِنْهُمْ ، وَمَعَهُمْ جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ السُّغْدِ . فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ ، خَرَجَتْ مَسْلُحَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ - وَالْمَسْلُحَةُ يَوْمئِذٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ - فَأَشْعَرُوا إِلَّا بِالْتُّرُكِ مَعَهُمْ ، خَرَجُوا عَلَيْهِمْ مِنْ غِيضَةٍ وَعَلَى خَيْلِ بَنِي تَمِيمٍ شُعْبَةُ بْنُ ظُهَيْرٍ ، فَقَاتَلَهُمْ شُعْبَةُ فَقُتِلَ ، أَعْجَلُوهُ عَنِ الرُّكُوبِ . وَقَتَلَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ ، فَأُخْرِجَتْ جَارِيَتُهُ حَيًّا ، وَهِيَ تَقُولُ : حَتَّى مَتَى أَعَدَّ لَكَ مِثْلَ هَذَا الْخَضَابِ ، وَأَنْتَ مَغْتَضِبٌ بِالْدَمِ ! مَعَ كَلَامٍ كَثِيرٍ ، فَأَبَكَتْ أَهْلَ الْعَسْكَرِ . وَقَتَلَ نَحْوَ مِنْ خَمْسِينَ رَجُلًا ، وَانْهَزَمَ أَهْلُ الْمَسْلُحَةِ ، وَأَتَى النَّاسَ الصَّرِيخُ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُهَلَّبِ الْعَدَوِيُّ : كُنْتُ أَنَا أَوَّلُ مَنْ أَتَاهُمْ لَمَّا أَتَانَا الْخَبِيرُ ، وَتَحْتِى فَرَسُ جَوَادٍ ، فَلِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زُهَيْرٍ إِلَى جَنْبِ شَجَرَةٍ كَأَنَّهُ قُتِفَ مِنَ النَّشَابِ ؛ وَقَدْ قَتَلَ ، وَرَكِبَ الْخَلِيلُ بْنُ أَوْسٍ الْعَبْسِيُّ - أَحَدُ بَنِي ظَلَمٍ ، وَهُوَ شَابٌّ - وَنَادَى : يَا بَنِي تَمِيمٍ ، أَنَا الْخَلِيلُ ، إِلَى ! فَانْضَمَّتْ ^(١) إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ - فَحَمَلُ بِهِمْ عَلَى الْعَدُوِّ ، فَكَفَرُوهُمْ وَوَزَعُوهُمْ عَنِ النَّاسِ حَتَّى جَاءَ الْأَمِيرُ وَالْجَمَاعَةُ ، فَانْهَزَمَ الْعَدُوُّ ، فَصَارَ الْخَلِيلُ عَلَى خَيْلِ بَنِي تَمِيمٍ يَوْمئِذٍ ، حَتَّى وَلى نَصْرَ بَنِي سِيَارٍ ، ثُمَّ صَارَتْ رِيَاسَةُ بَنِي تَمِيمٍ لِأَخِيهِ الْحَكَمِ بْنِ أَوْسٍ .

وَذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ شَيْخِهِ ؛ أَنَّ سُورَةَ بَنِي الْحَرِّ قَالَ الْحَيَّانُ : أَنْصَرَفَ ١٤٣٠/٢
يَا حَيَّانُ ، قَالَ : عَقِيرَةُ اللَّهِ أَدْعُهَا وَأَنْصَرَفَ قَالَ : يَا نَبْطَى قَالَ : أَنْبَطُ
اللَّهُ وَجْهَكَ !

قَالَ : وَكَانَ حَيَّانُ النَّبْطَى يَكْنَى فِي الْحَرْبِ أَبَا الْهِتَاجِ ، وَلَهُ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

إِنَّ أَبَا الْهِتَاجِ أَرْجَى لِلرَّيْحِ فِي أَثْوَابِهِ دَوَى

قَالَ : وَعَبْرَ سَعِيدِ النَّهْرِ مَرَّتَيْنِ ، فَلَمْ يَجَاوِزْ سَمَرْتَهُ ، نَزَلَ فِي الْأَوَّلِ بِإِزَاءِ الْعَدُوِّ ، فَقَالَ لَهُ حَيَّانُ مَوْلَى مَصْقَلَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيِّ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، نَاجِزَ أَهْلَ السُّغْدِ ، فَقَالَ : لَا ، هَذِهِ بِلَادُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَرَأَى دُخَانًا سَاطِعًا ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ : السُّغْدُ قَدْ كَفَرُوا وَمَعَهُمْ بَعْضُ التُّرُكِ . قَالَ : فَتَاوَشَهُمْ ، فَانْهَزَمُوا

(١) ابْنُ الْأَثِيرِ : « فَاجْتَمَعَ » .

فَأُلْهِوا فِي طَلَبِهِمْ ، فَنَادَى مُتَادَى سَعِيدَ : لَا تَطْلُبُوهُمْ ؛ إِنَّمَا السَّعْدُ بَسْتَانِ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ هَزَمْتُمُوهُمْ ، أَفَرِيدُونَ بِوَارِهِمْ ! وَأَنْتُمْ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ قَدْ قَاتَلْتُمْ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ مَرَّةٍ ، فَعَفَا عَنْكُمْ وَلَمْ يَسْتَأْصِلْكُمْ وَرَجَعَ ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ
بَعَثَ رِجَالًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ إِلَى وَرَعَشَرٍ ، فَقَالُوا : لَيْتَنَا نَلْقَى الْعَدُوَّ فَنُطَارِدُهُمْ
— وَكَانَ سَعِيدٌ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً فَأَصَابُوا وَغَنَمُوا ^(١) وَسَبَّوْا رَدَّ ذُرَارِي السَّبْيِ
وَعَاقِبَ السَّرِيَّةِ ، فَقَالَ الْمَجْرِيُّ وَكَانَ شَاعِرًا :

سَرِيتَ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَلَهُوْا بِلَعْبَةٍ وَأَيُّرُكَ مَسْلُوكٌ وَسَيْفُكَ مُقَمَّدٌ ١٤٣١/٢
وَأَنْتَ لِمَنْ عَاتَيْتَ عِرْسَ خَفِيَّةٍ وَأَنْتَ عَلَيْنَا كَالْحُسَامِ الْمُهَنْدِ
فَلَمَّا دَرَّ السَّعْدُ لَمَّا تَحَزَّبُوا ^(٢) وَيَا عَجَبًا مِنْ كَيْدِكَ الْمُتَرَدِّدِ !

قال : فقال سورة بن الحرّ لسعيد — وقد كان حفظ عليه ، وحقد عليه
قوله : وَأَنْطَقَ اللَّهُ وَجْهَكَ هـ : « إِنَّ هَذَا الْعَبْدَ أَعْدَى النَّاسِ لِلْعَرَبِ وَالْعَمَالِ ، وَهُوَ
أَفْسَدُ خُرَاسَانَ عَلَى قَتِيبةِ بْنِ مَسْلَمٍ ، وَهُوَ وَاثِبٌ بِكَ ، مُفْسِدٌ عَلَيْكَ خُرَاسَانَ ؛
ثُمَّ يَنْحَصِنُ ^(٣) فِي بَعْضِ هَذِهِ الْقِلَاعِ . فقال : يَا سُرَّة ^(٤) لَا تُسْمِعْنِي هَذَا
أَحَدًا . ثُمَّ مَكَثَ أَيَّامًا ، ثُمَّ دَعَا فِي مَجْلِسِهِ بَلِيغًا ، وَقَدْ أَمَرَ بِذَهَبٍ فَسَحَقَ ،
وَالنَّخْلَ فِي إِنَاءٍ حَيَّانٍ فَشَرِبَهُ ، وَقَدْ خَلَطَ بِالذَّهَبِ ، ثُمَّ رَكِبَ ، فَرَكِبَ النَّاسُ أَرْبَعَةَ
فَرَاسِخٍ إِلَى بَارُكْشَ ، كَأَنَّهُ يَطْلُبُ عَدُوًّا ، ثُمَّ رَجَعَ فَعَاشَ حَيَّانٌ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ وَمَاتَ
فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ ، فَتَقَبَّلَ سَعِيدٌ عَلَى النَّاسِ وَضَعَفَهُ ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ
يَقَالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ مُنْقَطِعًا إِلَى مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، فَذَكَرَ إِسْمَاعِيلُ عِنْدَ خُذَيْبَةَ ١٤٣٢/٢

وَمُودَتَهُ لِمَرْوَانَ ، فَقَالَ سَعِيدٌ : وَمَا ذَاكَ الْمِلْطُ ! فَهَجَاهُ إِسْمَاعِيلُ ، فَقَالَ :

زَعَمْتَ خُذَيْبَةَ أَنْنِي مِلْطٌ ^(٥) لِيُخْذِيَنَةَ الْمَرْأَةَ وَالْمُشْطَ
وَمَجَازِيرٌ وَمِكَاحِلٌ جُعِلَتْ وَمَعَازِفٌ وَيَخْذَهَا نَقْطُ

(١) ابن الأثير : « أُيْغَنُوا » .

(٢) ح : « قُتِرُوا » .

(٣) ب : « تَنْحَصِنُ » .

(٤) ابن الأثير : « فَقَالَ سَعِيدٌ : لَا تُسْمِعْنِي هَذَا أَحَدًا » .

(٥) المِلْطُ : الَّذِي لَا يَعْرِفُ لَهُ نَسَبٌ وَلَا آبَ .

أَفْذَاكَ أَمْ زَعَفَ مُضَاعَفَةٌ وَهَنَدُ مِنْ شَانِهِ الْقَطْ
لَمْقَرِسٍ ذَكَرٍ أَخَى ثِقَةٍ لَمْ يَغْذُهُ الثَّانِيثُ وَاللَّقَطْ
أَغْضِبْتَ أَنْ بَاتَ ابْنُ أُمِّكُمْ بِهِمْ وَأَنْ أَبَاكُمْ سَقَطْ
إِنِّي رَأَيْتُ نِيَالَهُمْ كُسِبَتْ رِيَشُ اللُّوَامِ وَنَبْلِكُمْ مَرُطْ
وَرَأَيْتُهُمْ جَعَلُوا مَكَاسِرَهُمْ عِنْدَ النَّدَى وَأَنْتُمْ خِلْطْ

[عزل مسلمة عن العراق وخراسان]

وفي هذه السنة عُرِّلَ مسلمة بن عبد الملك عن العراق وخراسان وانصرف إلى الشام .

• ذكر الخبر عن سبب عزله وكيف كان ذلك :

وكان سبب ذلك - فيما ذكر على بن محمد - أن مسلمة لما ولي ما ولي من أرض العراق وخراسان لم يرفع من الخراج شيئاً ، وأن يزيد بن عاتكة أراد عزله فاستحيا منه ، وكتب إليه أن استخلف على عملك ، وأقبل .

١٤٣٣/٧

وقد قيل إن مسلمة شاور عبد العزيز بن حاتم بن النعمان في الشخوص إلى ابن عاتكة ليزوره ، فقال له : أمن ^(١) شوق بك إليه ! إنك لطروب ، وإن عهدك به لقريب ، قال : لا بد من ذلك ، قال : إذا لا تخرج من عملك حتى تلقى الوالى عليه ، فشخص ، فلما بلغ دُورين لقيه عمر بن هبيرة على خمس ^(٢) من دواب البريد ، فدخل عليه ابن هبيرة ، فقال : إلى أين يابن هبيرة ؟ فقال : وجهي أمير المؤمنين في حيازة أموال بني المهلب . فلما خرج من عنده أرسل إلى عبد العزيز فجاءه ، فقال : هذا ابن هبيرة قد لقينا كما ترى ، قال : قد أنبأتك ، قال : فإنه إنما وجهه لحيازة أموال بني المهلب ، قال : هذا ^(٣) أعجب من الأول ؛ بصرف عن الجزيرة ، ويوجه في حيازة أموال

(٢) ح : فني حسين .

(١) ف : و من .

(٣) ب : فإن هذه .

بنى المهلب ، قال : فلم يلبث أن جاءه عزل ابن هيرة عماله والغلظة عليهم فقال الفرزدق :

رَأَيْتَ بِمَسْلَمَةَ الرِّكَابُ مُودَعًا فَارَعَى فَرَاةَ لَا هُنَاكَ الْمَرْتَعُ^(١)
عُزْلَ ابْنِ بَشَرَ وَابْنَ عَمْرٍو قَبْلَهُ وَأَخُو هَرَاةَ لِيُثْلِهَا يَتَوَقَّعُ^(٢)
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَثَنَ فَرَاةَ أَمَرْتُ أَنْ سَوْفَ تَطْمَعُ فِي الْإِمَارَةِ أَشْجَعُ
مَنْ خَلَقَ رَبُّكَ مَا هُمُ وَلِيُثْلَهُمْ فِي مِثْلِ مَا نَالَتْ فَرَاةُ يَطْمَعُ^(٣)

يعنى^(٤) : باين بشر عيد الملك بن بشر بن مروان ، وباين عمرو محمداً ذا الشامة بن عمرو بن الوليد ، وبأخى هراة سعيد خذينة بن عبد العزيز ، كان عاملاً لمسلمة على خراسان .

١٤٣٤/٢

وفى هذه السنة غزا عمر بن هيرة الروم بأرمينية ، فهزمهم وأسر منهم بشراً كثيراً قبل سبعمائة أسير .

[بده ظهور الدعوة]

وفيهما وجهه فبدأ ذكر ميسرة — رسله من العراق إلى خراسان وظهر أمر الدعوة^(٥) بها ، فجاء رجل من بنى تميم يقال له عمرو بن بحير بن ورقاء السعدي إلى سعيد خذينة ، فقال له : إن ها هنا قوماً قد ظهر منهم كلام قبيح ، فبعث إليهم سعيد ، فأقْبَى بهم ، فقال : من أنتم ؟ قالوا : أناس من التجار ؟ قال : فإِذَا الذي يحكي عنكم ؟ قالوا : لا ندرى ، قال : جنم دعاة ؟ فقالوا :

(١) ديوانه ٥٠٩ ، وفيه : « وضعت لمسلمة » .

(٢) الديوان : « تزح ابن بشر » .

(٣) موضه في الديوان :

إِنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ دَنَتْ أَشْرَاطُهَا حَتَّى أُمِيَّةٌ عَنْ فَرَاةٍ تَنْزِعُ

(٤) ف : « ويصغى » .

(٥) ف : « ويصغى » .

إن لنا في أنفسنا وتجارئنا شغلا عن هذا ، فقال : مَنْ يعرف هؤلاء ؟ فجاء أناس من أهل خراسان ، جلّهم ربيعة واليمن ، فقالوا : نحن نعرفهم ، وهم علينا إن أتاك منهم شيء تكرهه ، فجلّى سيلهم .

[ذكر خبر قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية]

وفيهما - أعنى سنة اثنتين ومائة - قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية وهو وال عليها . ١٤٣٥/٢
• ذكر الخبر عن سبب قتله :

وكان سبب ذلك أنه كان - فيما ذكر - عزم أن يسير بهم ^(١) بسيرة الحجاج بن يوسف في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ، ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة ، فأسلم بالعراق عن ردهم إلى قراهم ^(٢) ورسائيقهم ، ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم ، فلما عزم ^(٣) على ذلك تأمروا في أمره ، فأجمع ^(٤) رأيهم - فيما ذكر - على قتله فقتلوه ، وولوا على أنفسهم الذي كان عليهم قبل يزيد بن أبي مسلم ؛ وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار ، وكان في جيش يزيد بن أبي مسلم ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك : إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة ؛ ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى ^(٥) الله والمسلمون ، فقتلناه ، وأعدنا عاملا . فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك : إني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم ، وأقر محمد بن يزيد على إفريقية .

وفي هذه السنة استعمل عمر بن هبيرة بن معيّة بن سكين بن خنديج بن مالك بن سعد بن عدى بن قزارة على العراق وخراسان .
وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك ؛ كذلك قال أبو معشر والواقدي .

(١) ب وابن الأثير : « بهم » . (٢) ف : « قراهم » .

(٣) ح : « عزبوا » ، ابن الأثير : « قلما عزم يزيد » .

(٤) ب : « وأجمع » . (٥) ب وابن الأثير : « يرضاه » .

وكان العامل على المدينة عبد الرحمن بن الضحاك ، وعلى مكة عبد العزيز
 ابن عبد الله بن خالد بن أسيد . وعلى الكوفة محمد بن عمرو ذو الشامة ،
 وعلى قضائها القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وعلى البصرة
 عبد الملك بن بشر بن مروان ، وعلى خراسان سعيد خديبة ، وعلى مصر أسامة
 ابن زيد .

ثم دخلت سنة ثلاث ومائة ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[عَزَلَ سعيد خُذَيْنة عن خراسان]

فِيمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ عَزَلَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ سَعِيدَ خُذَيْنَةَ عَنْ خُرَاسَانَ ،
وَكَانَ سَبَبُ عَزْلِهِ عَنْهَا - فِيمَا ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَشْيَاخِهِ - أَنَّ الْمُجَشَّرَ بْنَ
مُزَاحِمَ السُّلَمِيِّ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُيَيْنَةَ الَّذِي قَدِمَا عَلَى عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ ، فَشَكَاوَاهُ
فَعَزَلَهُ ، وَاسْتَعْمَلَ سَعِيدَ بْنَ عُمَرَ بْنِ الْأَسَدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كَعْبِ بْنِ وَقْدَانَ بْنِ
الْحَرِيشِ ^(١) . بَنِي كَعْبِ بْنِ رَيْبَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، وَخُذَيْنَةَ غَازَ ^(٢) بِيَابَ
سَمَرْقَنْدَ ، فَبَلَغَ النَّاسَ عَزْلُهُ ، فَقَفَلَ خُذَيْنَةَ ، وَخَلَفَ بِسَمَرْقَنْدَ أَلْفَ فَارِسٍ ،
فَقَالَ تَهَارَ بَيْنَ تَوْسِعَةٍ :

فَمَنْ ذَا مُبْلَغُ فَتَيَانَ قَوْمِي ^(٣) يَا نَّ النَّبِيلَ رِيشتَ كُلَّ رِيَشٍ ١٤٣٧/٢
يَا نَّ اللَّهُ أَبْدَلُ مِنْ سَعِيدٍ سَعِيدًا لَا الْمُخْنَتَ مِنْ قَرِيَشٍ
قَالَ : وَلَمْ يَعْرِضْ سَعِيدُ الْحَرَشِيُّ لِأَحَدٍ مِنْ عَمَالِ خُذَيْنَةَ ، فَقَرَأَ رَجُلٌ
عَهْدَهُ فَلَحَنَ فِيهِ ، فَقَالَ سَعِيدٌ : صِهْ ، مَهْمَا سَمِعْتُمْ فَهُوَ مِنَ الْكَاتِبِ ، وَالْأَمِيرُ
مَنْ بَرَى ، فَقَالَ الشَّاعِرُ يَضْعُفُ الْحَرَشِيُّ فِي هَذَا الْكَلَامِ :
تَبَدَّلْنَا سَعِيدًا مِنْ سَعِيدٍ لَجَدَّ السُّوءِ وَالْقَاتِرِ الْمُتَاحِ

قَالَ الطَّبَرِيُّ : وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ غَزَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ الرُّومَ فَفَتَحَ مَدِينَةَ ^(٤)
يُقَالُ لَهَا رَسْلَةٌ .

وَفِيهَا أَغَارَتِ التُّرُكُ عَنِ اللَّانِ .

(١) ب : « وَقْدَانُ بْنُ الْحَرِيشِ » . (٢) ابْنُ الْأَثِيرِ : « كَانَ » .
(٣) ب وَابْنُ الْأَثِيرِ : « فَبَلَغَ مِنْ مَبْلَغٍ » . (٤) بِمَعْنَى ف : « مِنْهَا » .

وفيها ضمت مكة إلى عبد الرحمن بن الضحاك القهري ، فجمعت له مع المدينة .

وفيها ولي عبد الواحد بن عبد الله النضري ، الطائف وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد عن مكة .

وفيها أمر عبد الرحمن بن الضحاك أن يجمع بين أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعثمان بن حيان المري ، وكان من أمره وأمرهما ما قد مضى ذكره قبل .

وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس القهري ، كذلك قال أبو معشر والواقدي . ١٤٣٨/٢

وكان عامل يزيد بن عاتكة في هذه السنة على مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحاك ، وعلى الطائف عبد الواحد بن عبد الله النضري^(١) . وعلى العراق وخراسان عمر بن هبيرة ، وعلى خراسان سعيد بن عمرو الحرثي من قبيل عمر بن هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى .

[استعمال ابن هبيرة سعيداً الحرثي على خراسان]

وفيها استعمل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرثي على خراسان .

* ذكر الخبر عن سبب استعماله الحرثي على خراسان :

ذكر علي بن محمد عن أصحابه أن ابن هبيرة لما ولي العراق ، كتب إلى يزيد بن عبد الملك بأسماء من أبلت يوم العقر ، ولم يذكر الحرثي ، فقال يزيد بن عبد الملك : لم لم يذكر الحرثي ؟ فكتب إلى ابن هبيرة : ولي الحرثي خراسان . فولاه ، فقدم الحرثي على مقدمته المحبسين مزاحم السلمي سنة ثلاث ومائة ، ثم قدم الحرثي خراسان ، والناس يلزاه العدو ، وقد كانوا نكبوا ، فخطبهم وحشهم على الجهاد ، فقال : إنكم لا تقاتلون عدو الإسلام بكثرة

(١) ب : « البصري » ، ف : « النضري » .

ولا بعدة ، ولكن بنصر الله وعز الإسلام ، فقولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله .
وقال :

فَلَسْتُ لِعَامِرٍ إِنْ لَمْ تَرَوْنِي أَمَامَ الْخَيْلِ أَطْعُنُ بِالْعَوَالِي^(١)
فَأَضْرِبُ هَامَةَ الْجَبَّارِ مِنْهُمْ بَعْضُ الْحَدَّ حَوِثٌ بِالصَّقَالِ^(٢)
فَمَا أَنَا فِي الْحَرْبِ بِمُسْتَكِينٍ وَلَا أَخْشَى مُصَاوَلَةَ الرِّجَالِ
أَبَى لِي وَالَّذِي مِنْ كُلِّ ذِمٍّ وَخَالِي فِي الْحَوَادِثِ خَيْرٌ خَالِ
إِذَا خَطَرْتُ أَمَامِي حَيْثُ كَعَبٌ وَزَافَتْ كَالْجِبَالِ بَنُو هِلَالِ

[ارتحال أهل السغد عن بلادهم إلى فرغانة]

وفي هذه السنة ارتحل أهل السغد عن بلادهم عند مقدم سعيد بن عمرو
الحمرشي فلقحوا بفرغانة ، فسألوا ملكها معونتهم على المسلمين .

• ذكر الخبر عما كان منهم ومن صاحب فرغانة :

ذكر علي بن محمد عن أصحابه ، أن السغد كانوا قد أعانوا الترك أيام
خُذْيَنْدَة ، فلما وليهم الحمرشي خافوا على أنفسهم ، فأجمع عظماءهم على
الخروج عن بلادهم ، فقال لهم ملكهم : لا تفعلوا ، أقيموا واحملوا إليه خراج
ما مضى ، واضمنوا له خراج ما تستقبلون ، واضمنوا له عمارة أرضيكم^(٣) والغزو
معه إن أراد ذلك ، واعتدروا بما كان منكم ، وأعطوه رهائن يكونون في يده .
قالوا : نخاف ألا يرضى ، ولا يقبل منا ، ولكننا نأتي خُجَنْدَة ، فنستجير
بملكها ، ونرسل إلى الأمير فنسأله الصفح عما كان منا ، ونوثق له ألا يرى أمراً
يكروه ، فقال : أنا رجل منكم ، وما أشرت به عليكم كان خيراً لكم ، فأبوا ،
فخرجوا إلى خُجَنْدَة ، وخرج كارزنج وكشّين وبيساركت وثابت بأهل
إشتيخن ، فأرسلوا إلى ملك فرغانة الطار يسألونه أن يمنهم وينزلهم

(١) ابن الأثير : « فلعن » . (٢) سودث ، أي جبل .

(٣) ح : « أرضكم » ، ابن الأثير : « الأرض » .

مدينته. فهم أن يفعل، فقالت له أمه: لا تدخل هؤلاء الشياطين مدينتك، ولكن فرغ لهم رستاقاً يكونون فيه، فأرسل إليهم: سموا لي رستاقاً^(١) أفرغه لكم، وأجعلوني أربعين يوماً - ويقال: عشرين يوماً - وإن شئتم فرغت لكم شعب عصام بن عبد الله الباهلي - وكان قتيبة خلقه فيهم - فقبلوا شعب عصام. فأرسلوا إليه^(٢): فرغه لنا، قال: نعم، وليس لكم على^(٣) عقد ولا جوار حتى تدخلوه؛ وإن أتتكم العرب قبل أن تدخلوه لم أمنعكم، فرضوا؛ ففرغ لهم الشعب.

وقد قيل: إن ابن هبيرة بعث إليهم قبل أن يخرجوا من بلادهم يسألهم أن يقيموا، ويستعمل عليهم من أحبوا، فأبوا وخرجوا إلى خُجَنْدَة وشعب عصام من رستاق أسفرة - وأسفرة يومئذ ولي عهد ملك فرغانة بلادا، وييلادا أنوجور ملكها.

وقيل: قال لهم كارزنج: أخيركم ثلاث خصال، إن تركتموها هلكنم: إن سعيدياً فارس العرب، وقد وجه على مقلعته عبد الرحمن بن عبد الله القشيري^(٤) في حماة أصحابه، فبيتهوا فاقتلوه، فإن الحرشي إذا أتاه خبره لم يفرمكم، فأبوا عليه، قال: فاقطعوا نهر الشاش، فسلوهم ماذا تريدون؟ فإن أجابوكم وإلا مضيت إلى سوياب، قالوا: لا، قال: فأعطوهم.

قال: فارتحل كارزنج وجلبج بأهل قبي، وأبارين ماخون وثابت بأهل إشتيخن، وارتحل أهل يياركت وأهل سسكت بألف رجل عليهم مناطق الذهب مع دهاقين بزماججن، فارتحل الديواشني بأهل بنجيكك إلى حصن أبغمر، ولحق كلوزنج وأهل السغد بخجندة.

تم الجزء السادس من تاريخ الطبرى

وبليه الجزء السابع. وأوله: ذكر حوادث سنة أربع ومائة

(١) يطعاني ابن الأثير: «تكوين فيه حق» ، (٢) ب: «وقالوا له» .

(٣) ح: «على» . (٤) ب: ح: «القشيري» .

فهرس الموضوعات

السنة السادسة والستون

- ذكر الخبر عن الكائن الذى كان فيها من الأمور الجليلة . ٥ - ٣٨
 ذكر الخبر عن أمر المختار مع قتلة الحسين بالكوفة . ٣٨ - ٦٦
 ذكر الخبر عن البيعة للمختار بالبصرة . . . ٦٦ - ٧١
 ذكر الخبر عن بعث المختار جيشه للمكرّر بابن الزبير . ٧١ - ٧٥
 ذكر الخبر عن قتلهم الخشيّة مكة وموافاتهم الحج . ٧٥ - ٧٧
 ذكر الخبر عن حصار بنى تميم بخراسان . ٧٧ - ٨٠
 شخوص إبراهيم بن الأشتر لحرب عبيد الله بن زياد . ٨١ - ٨٢
 ذكر أمر الكرى الذى كان المختار يستنصر به . ٨٢ - ٨٥

• • •

السنة السابعة والستون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٨٦
 خبر مقتل عبيد الله بن زياد ومن كان معه من أهل الشام . ٨٦ - ٩٢
 ذكر الخبر عن عزل القبايع عن البصرة . . . ٩٣
 ذكر خبر قتل مصعب المختار بن أبي عبيد . . . ٩٣ - ١١٦
 خبر عزل عبد الله بن الزبير أخاه المصعب . . . ١١٧ - ١١٨
 أخبار متفرقة ١١٨

• • •

السنة الثامنة والستون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجلييلة . . . ١١٩ .
 ذكر الخبر عن رجوع الأزارقة من فارس إلى العراق . . . ١١٩ - ١٢٧ .
 ذكر الخبر عن مقتل عبد الله بن الحر . . . ١٢٨ - ١٣٨ .
 أخبار متفرقة . . . ١٣٨ ، ١٣٩ .

• • •

السنة التاسعة والستون

- ذكر خبر قتل عبد الملك سعيد بن عمرو . . . ١٤٠ - ١٤٨ .
 أخبار متفرقة . . . ١٤٨ ، ١٤٩ .

• • •

السنة السبعون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث . . . ١٥٠ .

• • •

السنة الحادية والسبعون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث . . . ١٥١ .
 خبر مسير عبد الملك بن مروان لحرب مصعب بن الزبير ثم قتله ١٥١ - ١٦٢ .
 ذكر الخبر عن دخول عبد الملك بن مروان الكوفة . . . ١٦٢ - ١٦٥ .
 ذكر خبر ولاية خالد بن عبد الله على البصرة . . . ١٦٥ ، ١٦٦ .
 خطبة عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب . . . ١٦٦ .

• • •

السنة الثانية والسبعون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجلية . . . ١٦٨ — ١٧٣
- خروج أبي فديك الخارجي وغلبته على البحرين . . . ١٧٤
- خبر توجيه عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير . . . ١٧٤ ، ١٧٥
- أمر عبد الله بن خازم السلمي مع عبد الملك . . . ١٧٦ — ١٧٨
- فصل في ذكر الكتاب من بدء أمر الإسلام . . . ١٧٨ ، ١٧٩
- أسماء من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم . . . ١٧٩
- أسماء من كان يكتب للخلفاء والولاة . . . ١٧٩ — ١٨٦

. . .

السنة الثالثة والسبعون

- ذكر الكائن الذي كان فيها من الأمور الجلية . . . ١٨٧
- خبر مقتل عبد الله بن الزبير . . . ١٨٧ — ١٩٣
- أخبار متفرقة . . . ١٩٣ ، ١٩٤

. . .

السنة الرابعة والسبعون

- ذكر ما كان فيها من الأعمال الجلية . . . ١٩٥
- ذكر الخبر عن حرب المهلب للأزارقة . . . ١٩٥ — ١٩٩
- عزل بكير بن وشاح عن خراسان وولاية أمية بن عبد الله عليها . . . ١٩٩ — ٢٠١
- أخبار متفرقة . . . ٢٠١ ، ٢٠٢

. . .

السنة الخامسة والسبعون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٢٠٢
- ولاية الحجاج على الكوفة وخطبته في أهلها . . . ٢٠٢ - ٢٠٩
- ذكر الخبر عن ثورة الناس بالحجاج بالبصرة . . . ٢١٠ - ٢١١
- نفي المهلب وابن مخنف الأزاقة عن واهرمز . . . ٢١١ - ٢١٥
- ذكر الخبر عن تحرك صالح للخروج وما كان منه في هذه السنة ٢١٥

. . .

السنة السادسة والسبعون

- ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرح وعن سبب خروجه ٢١٦ - ٢٢٣
- خبر دخول شبيب الكوفة وما كان من أمره مع الحجاج . . ٢٢٤ - ٢٥٦
- نقش الدّواهم والسنانير بأمر عبد الملك بن مروان . . ٢٥٦
- أخبار متفرقة ٢٥٦

. . .

السنة السابعة والسبعون

- عاربة شبيب عتاب بن ورقاء وزهرة بن حوية وقتلها . . ٢٥٧ - ٢٦٧
- ذكر الخبر عن دخول شبيب الكوفة مرة ثانية . . . ٢٦٧ - ٢٧٩
- ذكر الخبر عن مهلك شبيب ٢٧٩ - ٢٨٤
- خروج مطرف بن المغيرة على الحجاج وعبد الملك . . ٢٨٤ - ٣٠٠
- ذكر الخبر عن وقوع الخلاف بين الأزاقة . . . ٣٠٠ - ٣٠٨
- ذكر الخبر عن هلاك قطري وأصحابه ٣٠٨ - ٣١١

ذكر الخبر عن مقتل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد . ٣٩١ - ٣١٧

أخبار متفرقة ٣١٧ ، ٣١٨

• • •

السنة الثامنة والسبعون

ذكر الخبر عن الكائن في هذه السنة من الأحداث الجلية . ٣١٧

ذكر الخبر عن العمال الذين ولاهم الحجاج خراسان وسجستان

وذكر السبب في توليته مَنْ ولاه ذلك وشيئاً منه . ٣١٧ - ٣٢١

أخبار متفرقة ٣٢١

• • •

السنة التاسعة والسبعون

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجلية . ٣٢٢

ذكر الخبر عن غزو عبيد الله بن أبي بكره وتبيل . ٣٢٢ - ٣٢٤

أخبار متفرقة ٣٢٤

• • •

السنة الثمانون

ذكر الأحداث الجلية التي كانت في هذه السنة . ٣٢٥

ذكر خبر غزو المهلب ما وراء النهر ٣٢٥ ، ٣٢٦

تسير الجنود مع ابن الأشعث إلى تبيل ٣٢٦ - ٣٢٩

أخبار متفرقة ٣٢٩ ، ٣٣٠

• • •

السنة الحادية والثمانون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٣٣٠ .
- ذكر الخبير عن مقتل بجير بن ورقاء بجمراسان ٣٣٠ - ٣٣٤
- ذكر الخبير عن خلاف ابن الأشعث على الحجاج ٣٣٤ - ٣٤١
- أخبار متفرقة ٣٤١

. . .

السنة الثانية والثمانون

- ذكر الخبير عن الكائن فيها من الأحداث ٣٤٢
- ذكر خبر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث بالزاوية ٣٤٢ - ٣٤٥
- وقعة دبر الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث ٣٤٦ - ٣٥٠
- ذكر الخبير عن وفاة المغيرة بن المهلب ٣٥٠ - ٣٥٢
- ذكر الخبير عن سبب انصراف المهلب عن كيسان ٣٥٢ ، ٣٥٣
- ذكر خبر وفاة المهلب بن أبي صفرة ٣٥٤ ، ٣٥٥
- أخبار متفرقة ٣٥٥ ، ٣٥٦

. . .

السنة الثالثة والثمانون

- ذكر الأحداث التي كانت فيها ٣٥٧
- خبر هزيمة ابن الأشعث بدير الجماجم ٣٥٧ - ٣٦٥
- هزيمة ابن الأشعث وأصحابه في وقعة مسكن ٣٦٦ - ٣٨٣
- ذكر خبر بناء مدينة واسط ٣٨٣ ، ٣٨٤
- أخبار متفرقة ٣٨٤

السنة الرابعة والثمانون

ذكر ما كان فيها من الأحداث	٣٨٥
خبر قتل الحجاج أيوب بن القريّة	٣٨٥ ، ٣٨٦
خبر فتح قلعة نيزك ببادغيس	٣٨٦ — ٣٨٨
أخبار متفرقة	٣٨٨

* * *

السنة الخامسة والثمانون

ذكر ما كان فيها من الأحداث	٣٨٩
خبر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث	٣٨٩ — ٣٩٣
عزل يزيد بن المهلب عن خراسان	٣٩٣ — ٣٩٧
غزو المفضل بآذغيس وآخرون	٣٩٧ ، ٣٩٨
خبر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم بالشرمذ	٣٩٨ — ٤١٢
عزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبد العزيز	٤١٢ ، ٤١٣
خبر موت عبد العزيز بن مروان	٤١٣ — ٤١٦
بيعة عبد الملك لابنيه : الوليد ثم سليمان	٤١٦ ، ٤١٧
أخبار متفرقة	٤١٧

* * *

السنة السادسة والثمانون

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٤١٨
خبر وفاة عبد الملك بن مروان	٤١٨
ذكر الخبر عن مبلغ سنة يوم توفي	٤١٩

- ذكر نسبه وكنيته ٤١٩ .
 ذكر أولاده وأزواجه ٤١٩ — ٤٢٢ .
 خلافة الوليد بن عبد الملك ٤٢٣ .
 ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان من قبيل الحجاج ٤٢٤ .
 ذكر ما كان من أمر قتيبة بخراسان في هذه السنة . ٤٢٤ — ٤٢٦ .
 أخبار متفرقة ٤٢٦ .

• • •

السنة السابعة والثمانون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤٢٧ .
 خبر إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة ٤٢٧ ، ٤٢٨ .
 خبر صلح قتيبة ونيزك ٤٢٨ ، ٤٢٩ .
 خبر غزو مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ٤٢٩ .
 خبر غزو قتيبة ببيكنند ٤٢٩ — ٤٣٣ .
 أخبار متفرقة ٤٣٣ .

• • •

السنة الثامنة والثمانون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٤٣٤ .
 خبر فتح حصن طوانة من بلاد الروم ٤٣٤ .
 ذكر عمارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ٤٣٥ ، ٤٣٦ .
 ذكر غزو قتيبة نوميشت وراميشته ٤٣٦ ، ٤٣٧ .
 ذكر ما عمل الوليد بن المعروف ٤٣٧ .
 أخبار متفرقة ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

• • •

السنة التاسعة والثمانون

- ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها . . . ٤٣٩
- خبر غزو مسلمة أرض الروم . . . ٤٣٩
- خبر غزو قتيبة بخارى . . . ٤٣٩ ، ٤٤٠
- خبر ولاية خالد القسرى على مكة . . . ٤٤٠
- أخبار متفرقة . . . ٤٤١

* * *

السنة التسعون

- ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها . . . ٤٤٢
- خبر فتح بخارى . . . ٤٤٢ — ٤٤٤
- خبر صلح قتيبة مع السفد . . . ٤٤٥
- غدر نيزك . . . ٤٤٥ — ٤٤٧
- خبر فتح الطالقان . . . ٤٤٧
- هرب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحجاج . . . ٤٤٨ — ٤٥٣

* * *

السنة الحادية والتسعون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث . . . ٤٥٤
- تمة خبر قتيبة مع نيزك . . . ٤٥٤ — ٤٦١
- خبر ولاية قتيبة شومان وكمس وسف . . . ٤٦١ — ٤٦٤
- ولاية خالد بن عبد الله القسرى على مكة . . . ٤٦٤ ، ٤٦٥
- أخبار متفرقة . . . ٤٦٥ — ٤٦٧

* * *

السنة الثانية والتسعين

- ذكر الأحداث التي كانت فيها ٤٦٨
فتح الأندلس ٤٦٨

. . .

السنة الثالثة والتسعين

- ذكر الأحداث التي كانت فيها ٤٦٩
صلح قتيبة ملاك خوارزم شاه وفتح خام جرد ٤٦٩ — ٤٧٢
غزو قتيبة ممرقند ثم فتحها ٤٧٢ — ٤٨١
فتح طليطلة ٤٨١
ذكر خبر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز ٤٨١ ، ٤٨٢
أخبار متفرقة ٤٨٢

. . .

السنة الرابعة والتسعين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤٨٣
غزو قتيبة الشاش وفرغانة ٤٨٣ — ٤٨٥
ولاية عثمان بن حيان المرقى على المدينة ٤٨٥ — ٤٨٧
ذكر الخبر عن مقتل سعيد بن جبير ٤٨٧ — ٤٩١
أخبار متفرقة ٤٩١

. . .

السنة الخامسة والتسعين

- ذكر الأحداث التي كانت فيها ٤٩٢
بقية الخبر عن غزو الشاش ٤٩٢ ، ٤٩٣
أخبار متفرقة ٤٩٣ ، ٤٩٤

. . .

• السنة السادسة والتسعون

- ذكر الأحداث التي كانت فيها ٤٩٥
- ذكر الخبر عن موت الوليد بن عبد الملك ٤٩٥ ، ٤٩٦
- ذكر الخبر عن بعض سيره ٤٩٦ — ٤٩٩
- فتح قتيبة كاشغر وغزو الصين ٥٠٠ — ٥٠٤
- خلافة سليمان بن عبد الملك ٥٠٥ ، ٥٠٦
- خبر مقتل قتيبة بن مسلم ٥٠٦ — ٥٢٢
- أخبار متفرقة ٥٢٢ ، ٥٢٣

• • •

السنة السابعة والتسعون

- ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث . . . ٥٢٤
- ولاية يزيد بن المهلب على خراسان ٥٢٤ — ٥٢٩
- أخبار متفرقة ٥٢٩

• • •

السنة الثامنة والتسعون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٣٠
- خبر محاصرة مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية . . . ٥٣٠ ، ٥٣١
- مبايعة سليمان لابنه أيوب ولياً للعهد ٥٣١ ، ٥٣٢
- غزو جرجان وطبرستان ٥٣٢ — ٥٤١
- فتح جرجان ٥٤١ — ٥٤٥
- أخبار متفرقة ٥٤٥

• • •

السنة التاسعة والتسعون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٤٦ .
 ذكر الخبر عن وفاة سليمان بن عبد الملك ٥٤٦ .
 ذكر الخبر عن بعض سيره ٥٤٨ ، ٥٤٩ .
 خلافة عمر بن عبد العزيز ٥٥٠ — ٥٥٣ .
 أخبار متفرقة ٥٥٣ ، ٥٥٤ .

. . .

السنة المائة

- ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها ٥٥٥ .
 خبر خروج شوذب الخارجي ٥٥٥ ، ٥٥٦ .
 خبر القبض على يزيد بن المهلب ٥٥٦ — ٥٥٨ .
 عزل الجراح بن عبد الله عن خراسان ٥٥٨ — ٥٦٠ .
 ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن
 نعيم وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري خراسان ٥٦١ ، ٥٦٢ .
 أول الدعوة ٥٦٢ .
 أخبار متفرقة ٥٦٣ .

. . .

سنة إحدى ومائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٦٤ .
 خبر خروج يزيد بن المهلب من سجنه ٥٦٤ ، ٥٦٥ .
 خبر وفاة عمر بن عبد العزيز ٥٦٥ ، ٥٦٦ .
 ذكر بعض سيره ٥٦٦ — ٥٧٠ .
 زيادة في سيرة عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب أبي جعفر ٥٧٠ — ٥٧٣ .

- خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان ٥٧٤ ، ٥٧٥
 مقتل شونب الخارجي ٥٧٥ — ٥٧٨
 خبر خلع يزيد بن المهلب يزيد بن عبد الملك . ٥٧٨ — ٥٨٩
 أخبار متفرقة ٥٨٩

. . .

سنة الثنتين ومائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٩٠
 ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب ٥٩٠ — ٦٠٤
 خبر ولاية مسلمة على العراق وخراسان ٦٠٤ ، ٦٠٥
 خبر استعمال مسلمة سعيد خذينة على خراسان . ٦٠٥ — ٦٠٧
 ذكر الخبر عن سبب عزل سعيد شعبة وسبب هذه الواقعة
 وكيف كانت ٦٠٧ — ٦١٢
 ذكر الخبر عن غزو سعيد خذينة السغد ٦١٢ — ٦١٥
 عزل مسلمة عن العراق وخراسان ٦١٥ ، ٦١٦
 بله ظهور الدعوة ٦١٦ ، ٦١٧
 ذكر خبر قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية ٦١٧
 أخبار متفرقة ٦١٧ ، ٦١٨

. . .

سنة ثلاث ومائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٦١٩
 عزل سعيد خذينة عن خراسان ٦١٩
 أخبار متفرقة ٦١٩ ، ٦٢٠
 استعمال ابن هبيرة سعيد بن عمر الحرشي على خراسان . ٦٢٠ ، ٦٢١
 خبر ارتحال أهل السغد عن بلادهم إلى فرغانة . ٦٢١ ، ٦٢٢

١٩٩٣/١٠٠٢٩	رقم الإيداع
ISBN 977-02-4290-X	الترقيم الدولي

١/٩٣/١٠٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

